

الجزء الأول

٢٨٣

المجلد السابع والعشرون

ربيع سنة ١٣٧١ هـ

مجلة

الجمعية العلمية العربية



مركز ترقية كليات علوم رسيدي



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٢ م

٤ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ هـ

مجلة  
المجمع العلمي العربي  
دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

مركز تحقيق وتصوير أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي  
الدفع نقدياً  
} في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري  
} وفي سائر الاقطار ١٠٠٠ قرش سوري

## عالمان عربي وغربي

سمعت بعشرة عالمين عظيمين شرقي وغربي ، الأول عربي والثاني ايطالي ،  
أنفق كلاهما حياته في خدمة الآداب والمعارف ، وكانت الشام ومصر مباءة  
علم العربي وحصرت شهرته في الغرب ببعض الخواص ، واستفاضت في الأكثر  
بين من كتب مقرباً منال العلم طيبهم ، واشتهر الثاني بين علماء المشرقيات  
في الغرب وبين خواص المشتغلين بالعلوم الحديثة في الشرق العربي .

توخى الأول بسط علوم الحضارة لقومه فأجاد وأبدع في نقله من الانكليزية  
الى العربية وأفاد العرب والعربية ، وشارك في نشر المدنية العربية من دون ان  
يوجب بها ، على النحو الذي كان عليه صنوه ، على حين كان هذا غريباً بدمه  
وجنسه ودينه . وكان كلاهما صادقاً في دعوته ما اعتقدا شيئاً فوه مخالفة بين  
باطنها وظاهرهما ، بعيدين كل البعد عن المصانعة في علمها ، سارا على أحسن  
ما يسير عليه عالم يصدع بالحق الذي يراه . وكانت فائدة العرب من الأول  
جزيلة ، وفائدة الافرنج من الثاني ليست بقليلة ، وكلاهما عرف في دائرة معينة  
ما كان غير الدارسين في الشرق والغرب عارفين بعظم منهاجها . ولما مضيا  
لسبيلهما شعرت أندية العلماء بعظم خسارة العلم بها .

قد يكون في شعوب الغرب وعلماء المشرقيات من دوله من يشابه العالم  
الايطالي في كثير من خصائصه ، ولكن العربي لم ينبغ مثله ، كان على صفات  
من الاخلاص والذؤوب وسعة المدارك على ما لم يؤته الا أفراد ، وكان الأول  
يسرع في نشر ما تلقفه عن المعاصرين من علم في مجلته ، وكان الثاني  
في التأليف والمحاضرات ومقالات المجلات .

عينا يهذين العالمين الجليلين الدكتورين يعقوب صروف و كارلو نلينو .

## الدكتور يعقوب صروف

بعد فتنة الشام في سنة ١٨٦٠ قويت عزيمته أصحاب الرسائل الدينية في الغرب على نشر مذاهبها في هذا الشرق القريب ، وتنافس دعاة الكثلكة مع دعاة البرتستانتيية ، فكان من ذلك تأسيس مدارس مختلفة الصبغات والدرجات في الساحل الشامي ولا سيما في جبل لبنان ، وجعلوا من بيروت ميدان المنافسات المذهبية ، فاستفاد اللبنانيون من ذلك ثقافة جديدة وأحكوا من اللغات الغربية الفرنسية والانكليزية . ومن أعظم المدارس التي كان لها الأثر العظيم في هذه النهضة الجديدة كلية الأميركان في بيروت وهي التي دُعيت بعد الجامعة الأميركية الانجليزية ، فانها الى عنايتها بنشر البرتستانتيية عُنيت أيضاً بالعلوم والآداب وعلمت لأول نشأتها العلوم بالعربية فخرجت فيها طائفة من الشبان الأذكياء كان بعضهم فخراً للشام . ومن جملتهم الدكتور يعقوب صروف .

ولد هذا العالم يوم ١٨ تموز سنة ١٨٥٣ م ( مات يوم ٩ تموز ١٩٢٧ م ) في قرية حدث بيروت من أبوين فقيرين ، قيل ان جده كان من أصل رومي وأن الدم العربي قليل في دمه . ولما ترعرع تلقى مبادئ العلوم في مدرسة سوق الغرب البرتستانتيية ثم انتقل الى مدرسة عيبه الأميركية وكفله الأميركان وأخذوا بيده فظهر ذكاؤه واجتهاده ونال شهادة بكالوريوس علوم من الكلية الأميركية في بيروت في سنة ١٨٧٠ ، ودرّس بعد ذلك سنتين في مدرستي صيدا وطرابلس الأميركيتين وبعدها دعته الكلية الأميركية الى تعليم البيان العربي والعلوم الطبيعية والكيمياء والرياضية والفلسفية فدرّس فيها احدى عشرة سنة . وبدأ له خلال التدريس مع تربيته الدكتور فارس نمر باشا أن ينشي مجلة تبحث في العلوم المادية فاستشارا أستاذهما العلامة الدكتور كرنيلوس فاندريك

الأمير كافي صاحب الأيادي البيض على العلم والعرب فشحجها على عملها وسمى مجلتها «المقتطف» وبدأ يؤازر فيها وينظر فيما يترجمان ويؤلفان . وصدر المقتطف في أول أيار ١٨٧٦ في مدينة بيروت ثم رأب الانتقال الى مصر وأنشأ في القاهرة سنة ١٨٨٨ جريدة سياسية يومية سماها «المقطم» تناصر الاحتلال الانكليزي ، وظلا على اصدار «المقتطف» و «المقطم» الى اليوم .

وتقامم الشريك العمل ، فانفرد الدكتور نمر بالمقطم السيامي وانقطع الدكتور صروف لانشاء المقتطف . وينظر صروف أيضاً في المسودات الأخيرة من المقطم ولا ينظر الدكتور نمر في المقتطف قبل نشره ، وكثيراً ما كان صروف يحذف من المقطم أشياء لا تخلو من مجازفات لا تتفق مع اعتداله وتقله وتمس عواطف المصريين . وامتزج الشريك حتى كأنها شخص واحد فأثريا من معارضة الانكليز ونال المستأثر بالجريدة السياسية منها الحظ الأكبر من مغائهم على صورة لم يوفق الى مثلها أحد من أرباب الأقلام في بلاد العرب .

وما زال المقتطف بفضل منشئه يدأب على السير في الخطة التي رسمت له ، وجل اعتاده في مادته على المصادر الانكليزية ، بقرب العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والاقتصادية والزراعية من أذهان الجمهور . وقد أُنسُر في هذا المعنى ، فكان أداة صالحة لتزع غشاوة الجهل الخيم على العقول ، ومشعلاً من نور الغرب يشع بين أبناء هذا الشرق .

وكثير ممن لم يحظهم الحظ بدراسة هذه العلوم في المدارس تلقوها من طريق المقتطف . ذلك لأن منشئه كان يتوخى السلاسة في التعبير ولا ينشر ما يتعب ذهن القارئ وينفره من المطالعة . وأذكر أن أحد معارفي أرسل اليّ من دمشق بمقالة منمقة العبارة قليلة المعاني وأرادني على أن أدفعها لصاحب المقتطف للنشر ، فنامت عنده مدة حتى فرغ صاحبها فأوعن اليّ

بالبحث عما آلت اليه حال مقالته . فقال لي الدكتور صروف : اني اعتدت أن أدفع مقالات المؤازرين الى ابني لتقرأها فاذا فهمتها أنشرها وأعتقد أن القراء يتذوقونها وإلا فلا . ومقالة صاحبك عبارة عن أغاز ومعميات لم أدرك ما يريد أن يقول فبالطبع على تلك النسبة يكون فهم القراء وهذا ما حال دون طبعا .

نعم رُزق صروف رشاقة في بيانه لا يتكلف فيه ولا يتصنع ، ومهر في بسط المعاني لقرائه ، وكان من تدريسه في صباه سنين كثيرة عامل مهم لادراك حاجة المتعلم والمستمع والقارئ ساعده على افهام قرائه وتجييب الأبحاث العلمية الجافة الى تفوسهم مما كانت درجة معرفة المطالع ، وهذه منزلة فيه قلما دانه فيها أحد ممن أنشأوا مجالات خاضت الأبحاث التي خاضها أو ما يماثلها . والسر في نجاحه أنه أتقن العربية والانكليزية وأتقن العلوم التي توخى نشرها وتخرج بعضهم أفاده طاماً وتدريباً .

كان المترجم له يقرأ المقالة الطويلة بالانكليزية فينقلها الى العربية أو يحنثها أو يأخذ بعض معانيها وذلك باختصار لا غبار عليه . يزيتها بما بوضوحها ويحليها في العين والدوق . وكان حسن الاختيار فيما ينقل ويحنثي ويؤلف ، لا يخوض أبحاثاً لم يقع له أن ذاق منها ولو لملاحظات خفيفة ، واذا اضطر الى أن يعالج موضوعات لم تسبق له تبدو مقالته ويظهر ضعفه ، عدّ عليه هذا في بعض ما كتب وترجم ، والتعريب في مجلته أبداً أكثر من التأليف . وأكثرت المقالات المصنفة كانت من أقلام مؤازريه . ومن قرأ أجزاء المتقطف يسقط فيها على ملخص آراء العلماء من الانكليز السكسونيين في العلوم التي يخوض عنها ، وعلى مقالات جادت بها أقلام بعض أدباء تلك الحقبة من الشاميين والمصريين وغيرهم . ويدرك أن صاحب هذه الصحيفة كان يسير بها على سنة الترفي تزيد كل سنة مادته وتزيد معها معارف قرائه .

ولما كان له من موضوعاته ما لا يستسيغه عامة المطالعين في ذلك الدهر بدعوى أن منها ما يميس الأديان والتقاليد في الأحابن ، كان منشئها يلتزم الحياد على الأكثر فينقل ويعزو ما ينقل الى مصادر معينة ، ويترك المجال للقاري حتى يفكر بنفسه فيما يتلو ويتدبر . وكان يتعمد ما أمكن الابتعاد عن مزج القديم بالحديث ، وما كان ممن يحسن الظن بمدنية العرب لتشبعه بروح من لم يدرسوها حق دراستها ، وساء حكمه على تلك المدنية بما أبتت بينته الأولى في نفسه من التبرم بحال من شاهد من أهلها . ومع هذا نشر لمؤازره أبحاثاً مهمة بدون تعليق عليها الا في أمور لا تحتملها حوصلته ، ويعتقد هو خلافها بحسب ما هداه اليه علمه . ثم قد تضطره العاطفة الى أن بنوه ممن لا يستحقون التنويه ، فيترجم لهم ، وبلنق لهم أدباً ، ويزعم لهم فضائل ، ويغفل عن ترجمة من لم يشار كوه في سياسته ، أو من تقدمه وآذوه في تقدم من علماء العصر وغيرهم . على أن التسامح العلمي باد على أكثر ما كان ينشر . ولا يحمل عطفه على بعض من حاول رفعهم الا على خلقت تخلفت به الطوائف القليلة في هذا الشرق القريب وفي غيره أيضاً . فان الطائفة القليلة العدد تتماصق وتتساند أمام الطوائف الكبرى وبعبارة أصح انه أصبح من طبيعة المسيحيين في هذا الشرق أن يمسك بعضهم بأيدي بعض وبنوهوا بأدبائهم ورجالهم وبلغقوا لهم مزايا ويتخيّلوا لهم درجات يرفعونهم اليها ، وقد بعد هذا العمل من باب التنشيط اذا لم يعبث بالحقيقة .

ومن طالع مجلة المشرق وما كتبه أصحابها من أبناء الرهينة اليسوعية في التنويه بأبناء طائفهم من الباباويين يدهش من هذه الجرأة على التصنيع والمصانعة ، ولو حاول مؤرخ معتدل أن يرد الخالص الصواب ما نقلوه ودونوه في أبناء الكاثوليك والموارنة لاقتضى له أن يهدف منه تسعة أعشاره ذلك لأنهم خلّقوا لمن ارادوا تزيين صورهم شعراً ونثراً وتآليف وخطباً لو كان هناك انصاف لما قوبلت بنهر

الطرح في سلة المهملات وقالوا عما نشروا انها كتب وأسفار وأباوعها من عامتهم ونشروها لتأييد دعوتهم فكانت سببة على العرب والعربية وعاراً على الحقائق التاريخية . فتح المقتطف صدره للمناقشات في العقد الأول من حياته فنصح فاندبك لمنشئيه بالمدول عن خطة المباحث وأثبنا له نصيحته في مجلد السنة الثامنة وقللا بعد ذلك من الأخذ والرد في الأجزاء التالية وشغلا صفحاتها بالمفيد من الأبحاث . وراعى المقتطف ذوق الكثرة العامرة من قرائه وما لا يعود عليه بضرر في تجارته العلمية . ومن مزج العلم بخدمة نفسه في الماديات فاتخذ العلم تجارة والتجارة باباً للعلم قد ينجح في الأعم من حالاته . ومن أجل هذا اضطر المقتطف في الربع الأخير من عمره أن يجاري بعض المجلات في نشر الأبحاث الأدبية فأجاد في بعض رواياته المترجمة ولم يجد في المختارات الأدبية فجاء من المقتطف صحيفة عامة تبحث في أمور كثيرة ولا تشهد عليها مسحة مجلات الاخصائيين التي تنصرف الى علم أو علوم لا تنعدها فتطيل فيها وتتوسع ماشاءت وشاءت أغراضها . وللمقتطف عذره في ذلك ما دام أهل الاخصاء في الشرق لا يبيعشون من أقدلامهم وما عمّ العلم بيننا حتى يخص . ومن كان غرضه تعميم المعارف بين قرائه كافة وارضاءهم على اختلاف أهوائهم وشهواتهم الأدبية لا بد أن يسقط ولو قليلاً فيما بدعوه الخاصة لغواً او حشواً . وقد قال لنا منشئه يوماً في الكلام على مجلتنا المقتبس اتنا نملؤها بالدمم فوق اللازم فالأشبه بنا أن نضمها ما نحمض به النفوس ليشدد قرمها الى العلم .

لا جرم أن المقتطف كان مدة نصف قرن مباءة لنشر الأفكار والعلوم ، وكان الفضل له بأن حمل زمرة سالحة من رجال النهضة العربية من أواخر القرن الماضي على البحث والدرس والنشر ، وطال عمر مجلته فدعيت شريحة المجلات العربية ، وقد سار منشئه فيه بروح الزمن فكانت مباحثه علمية صناعية لأول أمره ، ثم أخذ يُعنى بأبحاث عربية وما يستهوي العامة الى مطالعته خصوصاً عندما

ابعثت شعلة الآداب من مصر ونبغ من المصريين علماء وأدباء أرقى كعباً ممن تخرجوا في مدارس المرسلين في الشام ومصر ذلك لأن الأفراد الذين امتازوا من أهل مصر أخصوا في العلوم وأتقنوا العربية وصرنوا على الكتابة والترجمة ، وجمهور من درسوا في مدارس المرسلين من المبشرين درسوا أموراً كلية فصدوا بها تلقف اللغات الأجنبية لتساعدهم على التجارة وما عُنوا العناية المطلوبة باللغة العربية وآدابها .  
وللدكتور صروف فضل عظيم في وضع كثير من المصطلحات العلمية والأسماء الفنية نشرها على صفحات صحيفته فتناقلتها الأقلام ودخلت في الكتب العلمية الحديثة المترجمة . وله طريقة في النقل من اللغات الأفرنجية جيداً لو يسير النقلة عليها لأنها زبدة تجارب سنين طويلة ، وهي من خير الطرق في النقل والاحتذاء . وقد تجلت في شخصه أخلاق الدماء العصاميين فهضم ما تعلم وعلم ما علم فزرق الحظوة بما كتب وعرب ، وكثر أحابيه والمعجبون بمضائه وحزمه من جميع الطبقات والنحل . واحتفلت مصر بعيد المقتطف الحسيني فأظهر خاصة العرب ما تكنه قلوبهم من الحرمة لهذه المجلة وصاحبها .

وان واحداً وسبعين مجلداً كتبها الدكتور صروف في احدى وخمسين سنة هي في الواقع أهم معلمة عربية في العلوم الطبيعية والرياضية والاقتصادية تتخذ بين العالمين ذكره ، وتضعه في الصف الأول بين الرعيل الذي حمل قبس العلم والأدب الى عقول العرب في العهد الحديث ، ولقد كان مثال العامل النشيط الى آخر أيامه بلذته عمله ويتعشقه . ولذلك أكبر العقلاء المصيبة به يوم وفاته ، وعده العرب ركناً عظيماً من أركان نهضتهم ، ورجلاً قل في الرجال العاملين نبوغ مثله ، رفعه علمه وأدبه ورفع هو كثيرين من حملة الأقلام ، وأرشدهم وهداهم الى البحث على الطرق العلمية الجديدة وكان أيضاً من جملة من لم فضل عظيم على كاتب هذه السطور بعطفه عليه وتنويه به ، وما أخلاه في بداءة عمله من ملاحظاته الرشيدة وآرائه السديدة . رحمه الله وأجزل ثوابه .

## الدكتور كارلو نلينو

كان الدكتور كارلو الفونسو نلينو شيخ علماء المشرقيات في إيطاليا ، وصاحب التأليف والأبحاث الممتعة بالعربية والإيطالية .

ولد في تورين يوم ١٦ شباط ١٨٧٢ وفيها درس دراسته الأولى وأخذ مبادئ اللغات الشرقية ، واعتمد منذ نشأته الأولى على ذكائه ودرسه الخاص أكثر من اعتماده على المعلمين والأساتيد ، وبما فطر عليه من قوة الملاحظة ودقة النظر على ما لم يكتب لغير أفراد قلائل في الناس جاء منه عالم تام الأدوات ، ولما يبلغ سن الرشد ، على حين في العادة أن يظهر من كانوا في مثل سنه من صفار العلماء أنهم مبتدئون اذا بحثوا وكتبوا ، وأنهم في أول مراتب التحقيق العلمي اذا ألفوا وصنفوا .

عين أستاذاً للغة العربية في المجمع العلمي الشرقي في نابل وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وغدا في سن الثلاثين أستاذاً في جامعة بلرم عاصمة صقلية . وفي سنة ١٩١٣ خضته دولته بأن أنشأت له كرسيًا لتدريس التاريخ والأبحاث الإسلامية في جامعة رومية . وكان منذ سنة ١٩٠٩ يُعهد إليه المرة بعد المرة التدريس في الجامعة المصرية ، وكان قضى في مصر في صباه أشهراً لاحكام اللغة العربية .

وكان في آخر أمره نائب رئيس مجمع لنشاي في رومية وعضواً في المجمع العلمي الايطالي وفي عدة مجامع وجمعيات ايطالية وغير ايطالية وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق منذ بدء تأسيسه وعضواً في مجمع اللغة العربية الملكي في القاهرة منذ أول عهده .

وعهد اليه النظر في القسم الشرقي من المعلمة الإيطالية أي دائرة المعارف

الايطالية فكتب معظم مقالاتها الخاصة بالإسلام . وأنشأ مجلة الشرق الحديث تصدر بالايطالية مرة كل شهر في رومية بعناية المجمع العلمي الشرقي باحثه في السياسة وتقوم البلدان وأصول السكان والثقافة الحديثة ، وبفضل عنايته أصبحت هذه المجلة من أهم المجلات المشهورة في العالم ، وقد أدارها سبع عشرة سنة بما صرف فيه من مضاء ودؤوب ، وأزرته في عمله في العهد الأخير كريمة الفاضلة وتابته في دروسه ورافقته في أسفاره .

كتب نلينو أبحاثاً جليلة ، وأكثر ما كتب مقالات ومحاضرات دلت على بعد غوره ونظره ، وأنه مفرد في بحثه العلمي بتجلى انصافه وأدبه مع مخالفيه وموافقيه . كان أجزل الله ثوابه شديداً على نفسه وشديداً في مناقشاته لا يعلّم عن جهل جاهل ، ولا يسكت عن غرور مزهو معجب بنفسه ، رأياه يناقش خصومه بحماسة وقوة ، وقد يصلهم نارا حامية من نقده ، فلا يخرجون من حوارهم سالمين لكنه لا يجوز لنفسه أن يُجهّز عليهم ولا أن يتعدى نطاق الأدب والنصفة في حوارهم . وكان اذا وسد اليه النظر في أعمال قام بها غيره يصلح هفواتها ويقوم منادها وينقدها وينقيها ، ولا يتعدى حدود اللطف والعطف في تقدير كل عمل قام به صاحبه بأمانة ، وظهر أن الجد لجمته وسداه .

من أبرز صفات نلينو غرامه الشديد بجلاء الحقائق وقد أفرط في ذلك الى حد الوسواس والتردد . كان يحلل كل عبارة مها كان مصدرها تحليلاً مجرباً ، ويفحص بمرفته الثابتة كل كتاب مها كانت مها أم غير مهم ، لا يهمل ولا يتريث ، ذلك لأنه كان يريد أن يكون في العلم كما هو في الحياة على مثل اليقين فيما يقول به وبؤيده من أنظاره .

كان اذا جرى أمامه بحث في بعض المسائل التي لم يعطها من الدرس حقه بنصت مستمعا لما يقال استماع تلميذ جبان أمام معلمه العظيم . واذا كانت المسألة

المعروضة مما يحسن معرفته لا يحول أحد بينه وبين الكلام ، ولا يحجم عن قول كل ما يعرفه .

قال من ترجوا له انه لم يكتف من العلم الاسلامي بدراسة علم الفلك فقط بل أخذ نفسه بدرس كل ما لهذا العلم من فروع وشعب ، وكان مثالا مفردا في معناه بين المؤلفين ، وحجة قاطعة في الدروس الاسلامية والعربية . وقد قال مرة لأحد أصحابه : أنا لا أود أن أدع الخروج من درس العرب دراسة خاصة إلا اذا عرفت كل شيء على حساب العرب .

وداه اتساع نطاق الحضارة العربية وطول مداها وتراحي أطراف البلاد التي نشأت فيها ان يخرج عن دائرة الاختصاص الضيق الى ساحة النظر المطلق في كل ماله علاقة بهذه المدينة . فكان نخوبا مؤرخا جغرافيا فقيها فيلسوفا حقوقيا طبيعا رياضيا ، ونظراته سديدة في هذه المدينة الغنية وارثة تراث الشرق السامي والفارسي الطويلة العمر (أربعة عشر قرنا) .

رأى نلينو في العصر الذي عاش فيه وتجرد للعمل في ميدانه أن العلم العربي الاسلامي حاد عن طريقه اللغوي واتجه وجهة جديدة في بحث الأفكار والأوضاع فتخلى عن درس الأصول وعن أخذ ما خلفته الاجيال القديمة من تراث أدبي ورجع الى القرون الوسطى الاسلامية ثم بدأ بدرس الاسلام الحاضر دراسة علمية . وما كان الاول ولا الوحيد الذي قاده عقله الى سلوك هذه الطريق الجديدة ، وكان بما رزق من ملكة لاستخراج مادة مبعثرة ، ومعالجة موضوع عسير ، فردا في صبره وأناته لم يشاركه فيما نعلم غير أفراد قلائل من علماء المشرقيات فهو لم يترك قضية عربية اسلامية الا وجعل لها قسطا من عنايته ، وتوفر على دراستها دراسة كفو محقق ، ودقق في فروعها وأصولها ، كاشفا عن غوامض الحوادث المجهولة ، ومصالحا أغلاطا فاحشة قديمة .

تناولت دراساته اللهجات العصرية ، والتاريخ السيامي حديثه وقديمه ، والتنقل بين التاريخ والجغرافيا ، والنظر في الأساليب المختلفة في كل مظاهرها ، والبحث في عادات اليمن قبل الاسلام . وفي أسماء بلدان ليبية ( طرابلس وبرقة ) وفي وضع فهارس المخطوطات ، وفي تراجم الرجال . وحل الكتابات الأثرية . وكتب أكثر تأليفه بالاطالية وبعضها بالعربية ، ونشر أبحاثاً بديعة في التاريخ والجغرافيا والفلك عند العرب ، وأبحاثاً في القرآن ، وفي قبائل العرب وأصولها ، وطبع في صباه زيج البتاني الفلكي العربي مع ترجمته بالاطالية وبه اشتهر بين العلماء . ولما دعِيَ في سنة ١٩٠٩ - ١٩١٠ الى التدريس في الجامعة المصرية القديمة أبقى على تلاميذه محاضرات في تاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى وطبعها على حدة ، فكانت من أجل الكتب التي نشرت في هذا العصر بالعربية ، وبه وقفنا على أشياء كنا نجهلها من عناية أجدادنا بهذا العلم . ومن الكتب التي صحح أغلاطها كتاب تاريخ المسلمين في صقلية لآماري المستشرق الصقلّي وهو في مجلدين بالاطالية ، فاستدرك نلينو ما فات المؤلف ، ومنها كتاب دولة عمورية لغازيليف المستشرق الروسي ، نظر فيه نظرة بليغة مع من نظرفيه من العلماء . وله عدة أبحاث في مجلة المجمع العلمي العربي وفي مجلة الهلال وبعض مقالات في مجلات أخرى يضرب فيها كلها على سندان واحد وهو تصحيح أغلاط المعاجم وتنقية العلم من الزغل والزوان الذي وقع فيه بفعل القروء الطويلة وجهل الجاهلين .

وقد نشر في سنة ١٩٠٨ بحثاً في مجلة المجمع العلمي المصري صحح فيه ما وقع للمترجمين من تحريف في أسماء البلدان العربية ولما اطلع على ما كتبه في جريدة المؤيد ومجلة المقتبس بشأن موضوعه بعث يشكرني ويقول ان غرضه ( تنبيه أولي الشأن من الشرقيين الراغبين في صون لغتهم من أيدي الضياع

ووقاية الكتب والمصوّرات والجرائد من التحريف الشنيع) وبقى يطيل النظر في هذا الموضوع الى السنة الماضية وقد طلب بجمع اللغة العربية الملكي بالقاهرة تصحيح اعلام البلدان في بلاد الاسلام فصحح القسم الأعظم منها ، ما خلا الديار الشامية وجزيرتي الأندلس وصقلية ، وأبرز جداول محكمة في هذا الموضوع دات على علو كعبه وطول درسه ، فأقر الأعضاء جداوله معجبين ، وقد كان الجمع يريد ارجاء هذا البحث الى دورة الانعقاد المقبل فأصر نلينو على تلاوة جداوله وإقرارها ، كأنه كان يلحظ من جانب الغيب أن المنية ترصده وأن تلك الجلسة آخر جلساته ، وهو يريد أن يقر الجمع عملاً له تعب سنين في اعداده ، وأن ينشر هذه الكلمات الصحيحة على الشعوب العربية والاسلامية ينتفعون بها في تقويم أسماء بلادهم .

وكتب الأستاذ مقالات ممتعة في معلمة الاسلام وأكثرها في علم الفلك والآلات الفلكية وتراجم بعض الفلكيين وغيرهم ، وكانت مقالاته في مجلة المشرقيات الايطالية في غابة الامتاع ، ومنها خلاصة ما نشره مجلات الشرق العربي من الكتب والرسائل والأبحاث النادرة . أما الأسئلة التي كانت تعرض عليه ويحيب عنها بالتحقيق المعهود فيه فكانت وافية جداً ، وربما تألف منها مجلدات لأن الفقيه العزيز كان كريماً بعلمه ما سأله سائل في أمر يعرفه الا بادر الى اطلاعه على ما عنده منه . سأله ان يجلو لي بعض الأنحاء الغامضة من تاريخ الفتح العربي في جنوبي ايطاليا ما عدا صقلية ، فكتب اليّ كراسة بالفرنسية فيها زبدة تاريخ تلك البلاد فانتفعت بها في كتابي (الاسلام والحضارة العربية) وطلبت منه أن يتفضل ويكتب لي نبذة مختصرة في حياة صديقي وصديقيه العظيمين جويايدي وكايتاني من أكبر علماء المشرقيات في ايطاليا فاغتنبت وابشمت ووعدني بأن يكتب .

والسرّ في كل هذه الاعمال الجليلة التي تمت على يد زميلي الكبير شدته في نظامه وتدقيقه في عمله وما رزق من ارادة قوية ، فهو رجل ما عرف الفوضى ولا التوى ولا أحجم . أحرز درجة عالية في الأبحاث التي نظر فيها ، قلما تطالّ الى مداناته فيها العلماء ، وهو بالنسبة لبيئته وتربيته ولما يريد يبحث من الموضوعات قد يستهدف لغضب قصار النظر ، لأن أبحاثه لا تتخلو لاختلاف الدار من أشواك وحسك ، ومما يقبض عليه أنه قال ما يرضي وما يغضب فأرضى وما أغضب ، وهذه نعومة وحسن مآق قلما يصل اليها باحث . ولذلك كثير المُعجبون به في الشرق العربي ولا سيما في مصر ، وكان يجيها لأنها عرفت قدره شاباً فوسدت اليه التدريس في جامعتها وما نسيت كهلها وضمتها الى أعضاء مجمع فؤاد الأول اللغوي .

نعم كان نلينو نابغة بعلمه وتحقيقه ، فرداً في أخلاقه وسميه ، عرضت عليه أرفع المناصب السيامية في بلاده ، فما أراد أن يخرج عن هدي العلماء ، وما وجدت المظاهر الخلابه سبيلاً الى قلبه . كان يحسن بضع لغات غربية ويجذق العربية تخاطباً وتكاتباً كأحسن أبنائها . وقد فقد العلم الاسلامي به عالماً غيوراً وطاملاً مخلصاً . فيه شجاعة وأريحية ، وفيه المروءة وعزة العلماء ، ويحق لايطاليا أن تباهي باين لها أورثها مجداً لا تبلى على الأيام جدته ، وخلق بعلم المشرقيات أن يبكيه ، وبنا معشر العرب أن تتأمل طويلاً في سيرته وأن نعرف أنه خدم أمته وما كره غيرها ، وأنه تقف طول حياته وما أضر . ومن حق الشعوب العربية من أقصى بحر الظلمات الى الخليج الفارسي أن لا تنسى عظيمًا صرف عمره في درس كل ما له علاقة بها وتاريخها وباجتماعها وبلادها وعطف عليها وأحبها .

ولا يسعني وقد وصل بي نفس الكلام الى هذا الحد الا أن أقول ان صلاتي كانت مع صديقي الراحل وثيقة مدة ثلاثين سنة و كنت اذا حدثته أو كاتبته أشعر بأني مع عالم قريب منا بذهنيته وآدابه ، ذلك لأنه كان يجب العرب والعربية محبة صادقة ، وما ألقاه من المحاضرات وكتبه من المقالات باللغة العربية حبه الى أهلها وحب أهلها اليه ، وكان هو والعلامة جويدي والعلامة سانتلانا من أول من ألف من علماء المشرقيات الغربيين باللغة العربية ، ثم تبعهم العلماء ريتز وكرنكو وبرتزل ومايرهوف ونيرج وغيرهم . وكانت العادة أن يكتب المستعربون من علماء المشرقيات مقدمات الكتب العربية القديمة التي ينشرونها بلغاتهم أو باللغة اللاتينية فأصبحوا يكتبونها بالعربية وبهذا عرف أبناء العرب صورة من بحث علماء المشرقيات وعنايتهم بالعلم وتحقيقهم المنعم .

وبعد فقد كنت أود أن أعرض في هذا الحديث لتحليل روح الراحل العظيم والامام بنشأته . ولعلّ أحد أصدقائه وتلاميذه يسد هذه الثلمة ليكون من سيرته لناشئنا درس نافع وليوقنوا أن العلم بغير درس لا يحصل ، وبدون عمل لا يستفاد منه ، وأن الشهادات المدرسية والألقاب العظيمة مها كانت وتمددت لا تنفي عن الرجل ، وأن أوربا لم تتقدم الشرق الا بعملها وعلمائها ، وأن دعوى التمجيد بالقديم من دون عمل لاقتباسه والزيادة عليه لا تفيدنا ، وأن الواجب على علمائنا وأدبائنا أن يجعلوا قبل كل شيء سيرة أمثال نلينو نصب أعينهم ، ولا غضاضة على من اعترف بقصوره ، وسعى الى الكمال من طرقة المعقولة .

محمد كرد علي

## مقدمة العقد الفريد

كثيراً ما نغفل في مطالعتنا للكتب النظر في مقدمات هذه الكتب فنقع في أمور لا ينبغي لنا أن نقع في أمثالها ، فقد سمعت من يعترض على صاحب كتاب الأغاني ويتهمه بالتعصب لأنه لم يدون تراجم بعض الشعراء على أن صاحب الأغاني قد ألفت كتابه ليجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية ، قديمها وحديثها ، هذه هي غاية الكتاب ، فإذا كان لقائل الشعر الذي يغنى به أو لمغنيه أو لصانع لحنه وطريقته أو للسبب الذي من أجله قيل الشعر أو صنع اللحن خبر يستفاد ويحسن بذكره ذكر الصوت معه أشار إليه ، وإذا لم يكن لهذا كله خبر يستفاد أهمله ، هذا ما ذكره في مقدمته ، فإذا لم يدون تراجم بعض الشعراء فعنى هذا ان هؤلاء الشعراء ليس لهم شعر يغنى به وإذا لم يكن لهم مثل هذا الشعر فهو قد تخطى تراجمهم في كتابه ، فلو قرأنا مقدمة كتاب الأغاني قبل الاعتراض عليه لما اعترضنا .

وقد نقع في قوب من هذا الخطأ في حكنا على مقامات الحريري ، فقد نظن أن صاحب المقامات قد ضمن كتابه جداً القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرد البيان ودرره وملح الأدب ونوادره ووشتهه بالآيات ومحاسن الكتابات ورصعه بالأمثال العربية واللطائف الأدبية والأحاجي النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المتكررة والخطب المحبيرة والمواعظ المبكية والأضحك الملهية ، قد نظن ان صاحب المقامات اقتصر على هذا التضمين والتوشيح والترصيع أي على الفن وحده وأهمل شيئاً آخر ورآء هذا الفن وهو التنبيه والتهذيب .

فلو قرأنا مقدمة المقامات قبل قراءة المقامات نفسها لعرفنا أن صاحبها جمع فيها بين غايتين : غاية الفن وغاية التنبيه والتهديب .

هذا ما يجلنا على أن نقرأ مقدمات الكتب قبل قراءة هذه الكتب لأنها تدلنا في بعض الأحيان على السبب الذي من أجله عملت هذه الكتب وعلى طريقة أصحابها فيها أو على أمور ثانية من هذا الشكل .

فما هي الأمور التي نهدي إليها في دراسة مقدمة العقد الفريد .  
إذا تجاوزنا البسالة والحمدلة وجدنا أن مقدمة العقد الفريد اشتملت على توضيح غاية الأدباء وعلى الموازنة بين المتقدمين والتأخرين وعلى مصادر الكتاب وعلى طريقة صاحبه في التأليف وعلى أجزاء كتابه .  
يقول ابن عبد ربه في مقدمته :

« وبعد فان أهل كل طبقة وجهابذة كل أمة قد تكلموا في الأدب وتفلسفوا في العلوم على كل لسان ومع كل زمان وان كل متكلم منهم قد استفرغ غايته وبذل مجوده في اختصار بديع معاني المتقدمين واختيار جواهر ألفاظ السالفين وأكثروا في ذلك حتى احتاج المختصر منها الى اختصار والتخير الى اختيار» .  
نجد أن ابن عبد ربه في هذا الجزء من مقدمته قد أوضح غاية الذين تكلموا في الأدب ، ما هي هذه الغاية : اختصار بديع معاني المتقدمين واختيار جواهر ألفاظ السالفين ، هذا هو محور الأدب في عصر ابن عبد ربه ، إلا أن صاحب العقد الفريد لم يختص بهذا الحكم العرب وحدهم وإنما أطلق القول إطلاقاً فقال : إن أهل كل طبقة وجهابذة كل أمة . . . فان قوله : ان أهل كل طبقة قد يخلو من شيء من دقة التعبير ، فإذا اعتبرنا الأمة طبقات : طبقة النجّارين والحدّادين والحياطين وغيرهم استنبطنا من كلام ابن عبد ربه ان أهل كل طبقة من هذه الطبقات قد تكلموا في الأدب وما نظن ان صاحب العقد الفريد

يرمي الى شيء من ذلك وانما الذي يريد أن يقوله على ما نعتقد ان أهل كل طبقة من طبقات الأدباء في الأمم ، وعلى هذا الوجه احتاج كلامه الى بعض الدقة ، ثم رأيناه قد أطلق القول إطلاقاً فقال : ان جهايزة كل أمة ... فهل كان واقفاً على لغات الأمم في عصره حتى يحكم مثل هذا الحكم أم جازف بالتعبير مجازفة وهو لا يريد إلا العرب فاذا كان الأمر الأول فهو مستغرب جداً ، واذا كان الأمر الثاني فان كلامه كما قلت يفتقر الى الدقة ، وبعد هذا كله أصبح ان جهايزة كل أمة قد بذلوا مجهودهم في اختصار بديع معاني من تقدمهم واختيار جواهر ألفاظ من سلف ، فهذا حكم عام ما نظن أنه مؤيد ببعض الحجج والبراهين ، وعلى كل حال فالذي نستطيع أن نستخرجه من تضاعيف هذا الجزء من مقدمة العقد الفريد ان الأدباء في عصر ابن عبد ربه كانوا اذا تكلموا في الأدب يقتصرون معاني المتقدمين ويختارون ألفاظ السالفين وهذا صحيح من بعض الوجوه لأن كتب أدبنا متشابهة أو متقاربة في هذا المعنى . اذا وضّح ابن عبد ربه في الجزء الأول من مقدمته غاية الذين تكلموا في الأدب فقد وازن في الجزء الثاني بين الأولين والآخريين من الأدباء فقال : « ثم اني رأيت آخر كل طبقة وواضعي كل حكمة ومؤلفي كل أدب أعذب ألفاظاً وأسهل بنية وأحكم مذهباً وأوضح طريقة من الأول لأنه نافض متعقب والأول بادي متقدم ، فليُنظر الناظر الى الأوضاع المحمكة والكتب المترجمة بعين انصاف ثم يجعل عقله حكماً عادلاً فاطعاً فعند ذلك يعلم أنها شجرة ياسقة الفرج طيبة المنبت ذكيفة التربة يانعة الثمرة ، فمن أخذ بنصيبه منها كان على إرث من النبوة ومنهاج من الحكمة لا يستوحش صاحبه ولا يضل من تمسك به » . وازن ابن عبد ربه في هذا الكلام بين المتقدمين والمتأخرين ففضل الآخريين على الأولين في الأمور الآتية : في عذوبة اللفظ وسهولة البنية وإحكام المذهب

ووضوح الطريقة ، هذه هي عناصر التفضيل الأربعة في نظر صاحب العقد الفريد ،  
 وإذا دققنا في هذه العناصر رأينا ان ابن عبد ربه بدخل في جملة النقاد الذين  
 بهمهم الفن قبل أن بهمهم موضوع هذا الفن فقد أشار في التفضيل الى فضائل  
 اللفظ ولم يشر الى فضائل المعنى وعلى هذا الرأي كان أكثر النقاد في عصره  
 وقبل عصره وقد شغلت قضية المتقدمين والمتأخرين أذهان أدبائنا في الماضي  
 فجاولوا فيها كل مجال ونحن لا ننسى في هذا الباب كلام ابن قتيبة في مقدمة  
 الشعر والشعراء وكلام ابن فارس في كتابه الصاحبي ، فابن عبد ربه من النقاد  
 الذين مالوا الى المتأخرين ففضلهم على المتقدمين في بعض خصائص اللفظ وبيّن  
 سبب التفضيل ، وهذا هو السبب : ان المتأخر ناقض لأقوال من تقدمه متعقب  
 لهذه الأقوال وان المتقدم يادى .

وبعد أن فرغ صاحب العقد الفريد من هذه الموازنة بين الأولين والآخريين  
 رغب الى القارئ أن ينظر الى ثمرات القرائح ونتائج الخواطر نظرة إنصاف  
 وأن يحكمهم عقله في هذه النظرة .

وإذا انتقلنا من هذين القسمين من أقسام مقدمة العقد الفريد الى القسم الثالث  
 وجدنا ان صاحب الكتاب قد دخل في موضوع كتابه فأشار الى مصادر  
 هذا الكتاب فقال :

« وقد ألفتُ هذا الكتاب ونجّيت جواهره من متخيرات جواهر الأدب  
 ومحصل جوامع البيان فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب وانما لي فيه تأليف  
 الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدور كل كتاب وما سواه فأخوذ من أفواه  
 العلماء وما أثور عن الحكماء والأدباء واختيار الكلام أصعب من تأليفه وقد قالوا :  
 اختيار الرجل وافد عقله وقال الشاعر :

قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلاً على اللبيب اختياره

وقال أفلاطون : عقول الناس مدوّنة في أطراف أرقامهم وظاهرة في حسن اختيارهم» .

بدلنا هذا الكلام على مصادر العقد الفريد ، فإن مادته مأخوذة من أفواه العلماء ومأثورة عن الحكماء والأدباء فابن عبد ربه ليس له فيه إلا الاختيار وحسن الاختصار ولهذا نجده قد أسهب في مدح حسن الاختيار وهو يرمي في هذا الاسهاب الى مدح نفسه حتى اعتبر كتابه جوهر الجوهر ولباب اللباب ، ولكن ما هي طريقته في الاختيار والاختصار ، انه لم يغفل عن توضيح هذه الطريقة فقد قال في الجزء الرابع من مقدمته :

«فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادير الأمثال ثم قرنت كل جنس الى جنسه فجعلته باباً على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره من كل باب» .

من هذا يتبين لنا انه رتب كتابه ترتيباً ولم يجعله فوضى فكان مثلاً اذا بحث عن الخطب جمع طائفة من خطب العرب في باب واحد حتى يكون للقارئ فكر عام فيها وكذلك فعل في كل باب من أبواب كتابه فهو لا يبحث في باب الحروب عن العلم والأدب ولا يبحث في باب العلم والأدب عن الخلفاء وتواريخهم وهذا ترتيب حسن يسهل للقارئ قراءة الكتاب ، كان ابن عبد ربه قبل هذا الكلام لا يذكر في مقدمته من الأدب إلا عذوبة اللفظ وسهولة البنية واحكام المذهب ووضوح الطريقة أما الآن فقد رأيناه يشير الى المعاني والحكم والأمثال ، على انه لا يلبث بعد هذه الاشارة أن يعود الى مذهبه في الفن فيذكر ما يهجه من هذه المعاني والحكم والأمثال أي من هذه الأخبار والآثار : «وقصدت من جملة الأخبار وقنوت الآثار الى أشرفها جوهرها وأظهرها رونقاً وألطفها معني وأجزلها لفظاً وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة

آخذاً بقول الله تبارك وتعالى : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » .  
 فابن عبد ربه يهجمه من الأخبار التي اختارها والآثار التي اختصرها شرف  
 الجوهر وظهور الروق وجزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة ،  
 وهذه أمور صليها بالفن نفسه فكأنه لم يؤلف كتابه إلا للترويض على هذا الفن .  
 وقد جرى في مقدمته على قاعدة معروفة فهو اذا كذف برأي من الآراء  
 أيده باستشهادات شتى فانه لما قال في كتابه ان له فيه تأليف الاختيار جاء  
 بكلام يدل على حسن الاختيار وموقعه ولما أشار الى مذهبه في تفضيل شرف  
 الجوهر وظهور الروق وجزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة  
 استشهد بآية من القرآن الكريم : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،  
 وبكلام يحيى بن خالد : يكتبون أحسن ما يسمعون ويحفظون أحسن ما يكتبون  
 ويتحدثون بأحسن ما يحفظون كما استشهد بكلام طائفة من أهل العلم والأدب .  
 ونراه في هذا الجزء نفسه من مقدمته يستمر في توضيح طريقته في تأليف  
 كتابه ، من هذه الطريقة حذف الأسانيد :

« وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلباً للاستخفاف والايجاز وهرباً  
 من الثقيل والتطويل لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد بانصالة  
 ولا يضرها ما حذف منها وقد كان بعضهم يحذف اسناد الحديث من سنة متبعة  
 وشريعة مفروضة فكيف لا يحذفه من نادرة شاردة ومثل ما تزوخر مستظرف ،  
 سأل حفص بن غياث الأعمش عن اسناد حديث فأخذ بملقه وأسنده الى حائط  
 وقال : هذا اسناده ! وحديث ابن السمك بحديث فقيل له : ما اسناده قال :  
 هو من الرسائل عُرْفاً ، وحديث الحسن البصري بحديث فقيل له :  
 يا أبا سعيد ! ممن ، قال : وما تصنع بعمن يا ابن أخي ! أما أنت فنالتك  
 موعظته وقامت عليك حجة » .

درج كثير من رجال الأدب في الماضي على ذكر الأسانيد في أخبارهم وآثارهم حتى تتم الثقة بهذه الأخبار والآثار وعلى قدر الثقة بالأسانيد تكون الثقة بالروايات والحكايات وإذا رجعنا إلى كتاب الأغاني وجدنا صاحبه يهتم بالأسانيد الاهتمام كله فيخطيهم بعض الرواة ويطعن على بعضهم حرصاً على الحقيقة أما ابن عبد ربه فالذي يهجمه على ما يظهر أننا هو ما يقال لا من يقول فكانه جمع لنا هذه الجملة الرائعة من جواهر الحكم وضروب الأدب ونوادير الأمثال حتى تحصل لنا ثقافة أدبية تامة ، وسواء عليه بعد ذلك أكانت هذه الحكم وهذه الأمثال وهذا الأدب مأخوذة من فلان من الرواة أم من فلان فنجن إذا قرأنا كتاب العقد الفريد فلا نبالي بصحة ما جاء فيه بقدر ما نبالي بروعته وحسنه ، نستنبط من هذا إذا رجعنا إلى العقد الفريد للاستشهاد بخبر من أخباره أو بأثر من آثاره لزمنا التوثيق من صحة هذا الخبر وهذا الأثر ووجب علينا أن نتصرف إلى الفن في رواية الأخبار والآثار أكثر من انصرافنا إلى حقيقتها ، وليس معنى هذا أن ما جاء في العقد الفريد من حكم وأمثال وأدب إنما هو منحرف عن الحقيقة ولكن معناه أنه بلزمنا الشك فيها قبل كل شيء حتى نخلص من هذا الشك إلى اليقين .

ولقد ختم ابن عبد ربه توضيح طريقته في تأليف كتابه بالكلام الآتي :  
« وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة في فنون الأخبار ولا جامعة لجل الآثار فجعلت هذا الكتاب كافيًا جامعًا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبيها وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لغربنا على قاصبه وبلدنا على انقطاعه حظًا من المنظوم والمنثور » .

بدلنا الصدر الأول من هذا الكلام على ان صاحب العقد الفريد توخى في تأليف كتابه تعميم الثقافة الأدبية التي كانت أصولها مطاوعة في عصره ، فهو لم يجمع الأخبار والآثار لطبقة دون طبقة ولا لفئة دون فئة وإنما جمعها للامة والخاصة والملوك والسوقة حتى ينشر الثقافة الأدبية ومثله في عصرنا هذا كمثل الذين يكتبون في مبادئ العلوم أو الفلسفة بلغة سهلة بسيطة حتى تدخل هذه المبادئ في أذهان الناس كلهم ، فغاياته تعميم الأدب ولما كان للشعر مقام أول في الأدب حلّس كل جزء من أجزاء كتابه بشواهد من هذا الشعر من جنس الأخبار والآثار التي يروها .

ولكن الشيء المستغرب في هذا كله أن يذكر شعره الى جنب الأشعار التي يروها لأن المستحسن في مثل هذا الباب أن ينسى المؤلف شعره اذا كان شاعراً وقد وقع في مثل هذا الأمر ابو هلال العسكري في كتاب الصناعتين فكان اذا روى شعراً لأمثال جرير والفرزدق والأخطل وأبي تمام والبحتري وغيرهم من أمراء الشعر قرن هذه الرواية بشعره فأحس القارىء بضعف هذا الشعر اذا قيس بشعر أئمة الشعر على أن شعر ابن عبد ربه لا يشبه بشعر العسكري فإنه شاعر مطبوع .

وأخيراً نصل في منتهى المقدمة الى تسمية الكتاب الذي ألفه ابن عبد ربه والى أجزاء هذا الكتاب :

« وسمينه : كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة المسلك وحسن النظام وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً ، كل كتاب منها جزآن فتلك خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد » .

هذا هو كتاب العقد الفريد ، لقد فصل صاحبه في مقدمته الكلام على غاية الأدباء ثم وازن بين المتقدمين والمتأخرين وفضل الآخرين على الأولين وأتى على ذكر عناصر التفضيل ثم أشار الى مصادر كتابه المأخوذ من أفواه العلماء ، المأثور عن الحكماء والأدباء ثم وضح طريقته في اختيار ما اختاره من الأخبار واختصار ما اختصره من الآثار ثم بيّن مذهبه في الفن ثم تكلم على غايته في تعميم الثقافة الأدبية ثم ختم المقدمة بذكر اسم كتابه وأجزاء هذا الكتاب .

وأظن أنه مهوّن علينا بعد هذا كله أن ندرك ما هو كتاب العقد الفريد . إذا كنا ندرس تاريخ الأدب فانا نجد في العقد الفريد أصولاً تهتدي بها في دراسة هذا التاريخ لأن فيه أخباراً وآثاراً مختلفة تبدأ من الجاهلية وتنتهي في عصر ابن عبد ربه ، ولكن صاحبه لم يتوخّ شيئاً من هذا كله وإنما أراد أن يهيئ لأهل عصره هذه الأخبار والآثار حتى تفزر بها مادّتهم الأدبية ويريد بهذه المادة عدوية اللفظ وسهولة البنية وإحكام المذهب ووضوح الطريقة وشرف الجوهر وظهور الرونق وجزالة اللفظ وحين اللبابة وكثرة الطلاوة والحلاوة .

لو اخترنا في عصرنا هذا جملة من آثار الأدباء أكننا نجري في اختيارنا على طريقة ابن عبد ربه ، ان الأدب الحديث ينكر هذه الطريقة ، فان الذين يجمعون آثار الأدباء أو ينتخبون من هذه الآثار طائفة يجمعونها في كتاب يبرون في انتخايمهم على أصلين :

إما انهم يتبعون عصور الأدب ، فيأخذون من كل عصر شعراءه وكتابه وخطباءه وعلماءه وأدباءه المشهورين ثم ينتخبون من هذه الطبقات كلها أحسن كلامهم وعلى هذا الشكل نحيط بتسلسل عصور الأدب وبخصائص هذه العصور .

وإما أنهم يتبعون تسلسل الفكر فيبدؤن مثلاً بالشاعر الذي ابتكر مذهباً من المذاهب ثم يذكرون الشعراء الذين مشوا على آثاره أو الشعراء الذين تقضوا هذا المذهب وعلى هذا الوجه نلّم بتسلسل الفكر وبنقله من طور إلى طور على تراخي الأيام .

وإذا أردت أن أضرب مثلاً لذلك فاني أضرب المثل الآتي .

ان المتعارف ان أبا نواس هو الذي فتح باب الخمرات في الشعر ولكن أبا الفرج الأصبهاني يردُّنا إلى الصواب وبدلنا على حامل اللواء في وصف الخمر حين يقول : وللوليد في ذكر الخمر وصفها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في شعرهم سلخوا معانيها وأبونواس خاصة فانه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره ففكرها في عدة مواضع منه .

فاذا كنا نضع كتاباً في انتخاب جملة من أشعار المتقدمين ونشير في هذا الانتخاب إلى وصف الخمر فانا نبدأ بشعر الوليد ثم بشعر الشعراء الذين أخذوا معانيه وأدخلوها في شعرهم حتى نرى بأعيننا تسلسل هذا الشعر وانتقال المعاني فيه من طور إلى طور .

تفتيحي هيري

## تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الخامس عشر

- ٢ -

ص ٣٣٥ سطر ١ قوله (فكهننت) وقالت (أي الكاهنة) والنور والظلماء والأرض والسماء الخ) . ضبط المصحح فعل (كهننت) بكسر المهاء . وكأنه سرى إليه هذا الوم من قول التاج في مستدركه (كهن كهانة بالكسر اذا تكهن) فان قوله (بالكسر) راجع الى كاف (كهانة) المصدر والافان فعل (كهن) من أبواب منع ونصر وكرم لاغير .

ص ٣٣٥ سطر ١١ قوله عن الجرذ الذي خرّب السدّ (فان رأيت جرذاً بكثير يديه في السدّ الحفّر . ويقاب برجليه مراحل الصخر) الى أن قال (فانطلق الى السدّ فاذا الجرذ يقاب برجليه صحرة ما يقليبها خمسون رجلاً) قوله (يديه) صوابه يديه وقوله (مراحل الصخر) المراحل القدور التي يطبخ فيها وقد تكون من حجارة فكأنه يريد الصخر الذي تتخذ منه مراحل . وفيه من التكلف ما فيه . فلعل كلمة (مراحل) محرفة عن جلامد ونحوها .

ص ٣٣٦ سطر ١٦ قوله (اغتنموا غصبة عمرو) ضبطت (غصبة) بضم الضاد وصوابه (غصبة) بسكونها . وكان المصحح اشبه عليه ضبط (الغصبة) وهي بناء المرة من الغضب بضبط (الغصبة) وهي وصف للرجل الغضبان . فكما يقال غضبان وغضوب يقال رجل (غصبة) بضم الضاد لكن مع تشديد الباء . وهنا لا تصلح ارادة الوصف كما لا يخفى . وإنما المراد معنى المرة من الغضب .

- ٢٢ -

ص ٣٣٧ سطر ٣ قوله ( وهم أبناء قبيلة الأوس والخزرج ) صوابه ( أبناء قبيلة ) ثم أبدل من ( قبيلة ) كئبي ( الأوس والخزرج ) . في القاموس وشرحه ( قبيلة أم الأوس والخزرج وهي قبيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية . ويقال بنت جفنة غسائية . ذكرها الزبير بن بكار وغيره وترجمتها واسعة في ( المعارف ) وشروح ( المقامات ) .

ص ٣٣٧ سطر ١٤ قوله ( وفي ذلك للمؤتسي أسوة الخ ) صوابه ( وفي ذلك ) ليستقيم الوزن .

ص ٣٤٠ سطر ١١ قوله ( أي صلح تمشي في الدماء فتيتاكم ) صوابه ( في الدماء من دون همز ليستقيم الوزن . أو بالدماء فتانكم بالافراد . وهو الموافق للقصة . وقوله بعده ( خلقتم لأثواب العرائس وللغسل ) صوابه ( والغسل ) ليستقيم الوزن أيضاً . ص ٣٤١ سطر ١٧ قوله ( فأمر كل انسان ان يقتلع شجرة الخ ) هذا من كلام ( رباح ) أخي زرقاء الهياة للملك يحدّثه منها . فهو فعل أمر طلي لا فعل ماض خبري . فصوابه ( فأومر ) أو ( فمُر ) والا لكان مكرراً مع قوله بعده ( فأمر حسان ) أي الملك ( بذلك ) .

ص ٣٤٢ سطر ١ قوله ( واني لا أرى رجلاً من وراء شجرة ) صوابه ( لأرى ) باللام المؤكدة لا بلا النافية .

ص ٣٤٥ سطر ٤ قوله ( حتى أتى ضفةً فاحترف تحتها ) الضفة جانب الوادي قال المصحح وفي الأصل ( حتى أتى صُعدّة ) أقول والصعدة هو الصواب وهي بضمّتين أو بضم فسكون ضرب من الشجر وجمعها صُعدّات وإنما رجحنا ( الصُعدّة ) لما يأتي من قوله بعد ( وهو في أولئك الصُعدّات ) وقوله ( فجعلنا يريتان رباحاً بين الصُعدّات ) فرياح خَرَجَ من حفرة وأفلت بين الشجرات التي احترف تحتها . وقوله ( تحتها ) يناسب الاحتفار تحت الشجرات لا تحت الضفة إذ يقال احترف في الضفة واحترف تحت الشجرة .

ص ٣٤٧ سطر ١ قوله ( وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد ) قوله ( بنت ) كذا بتاء مربوطة من دون همزة . وكان المصحح سوغ حذف همزتها حملاً على ( ابن ) والا فالأظهر أن تكتب ( ابنة ) بهمزة أو ( بنت ) بتاء مبسوطة وفي المصباح ( قال ابن الأعرابي وسأت الكسائي كيف تقف على بنت ؟ فقال : بالتاء اتباعاً للكتاب والأصل بالهاء ؛ لأن فيها معنى التأنيث ) .

ص ٣٤٩ قول المصحح في تفسير ( أشرجت عليها القبة ) جمعتها غير شديد إذ أن معنى أشرح الخريطة داخل بين أشرابها . وأشرابها عراها . وللقبة أي الخيمة أشراب وعري تكون على أبوابها المنسدلة فإذا ناموا أدخلوا الأشرطة ( وهي أعواد عتق بئابة الأزرار ) أدخلوها في العري . وبذلك تشد اغلاق الأبواب فلا يدخل على النائمين أحد . والشريجة مشتقة من هذا .

ص ٣٥١ سطر ٦ قوله ( وكان يجيبي من بها من العرب ) صوابه ( وكان أي ملك هجر يجبي ) من الجباية .

ص ٣٥٣ سطر ١٧ قوله ( لمعجل ) صوابه لمعجل .

ص ٣٥٣ قول المصحح في الدليل ( وبخبرها نسباً إذا عدت إلى أنسابها ) صواب ( عدت ) ( عادت ) ليعلق به حرف الجر ( إلى ) ومعنى عادت خذفت إلى أنسابها رجعت إليها تعدّها وتفاخر بها القبائل .

ص ٣٥٥ سطر ١١ قوله ( هذا نسب رحم كرشاء ) قال المصحح ( الرشاء الحبل ) . بقي أن يقال أن الكاف الداخلة عليها حرف جر . فقد جعل الرحم أو نسب الرحم مثل الحبل . ولا حاجة إلى هذا مادام القاموس وشرحه واللسان يقولون في مادة ( كرش ) مانصه : ( والكرشاء من الرحم البعيدة يقال بينهم رحم كرشاء ) . وهذا بمعنى ما نقول في لهجتنا الدارجة ( بينهم قرابة بعيدة ) .

ص ٣٥٦ سطر ٥ قوله ( وأمر ابن الحمس به فقتله ) ظاهر العبارة أن

تكون هكذا : ( وأمر (أي الملك) ابن الخمس فقتله به ) أي ان ابن الخمس قتل الحارث به أي بأبيه الخمس .

ص ٣٥٨ سطر ٣ قول عنتره في رثاء مالك بن زهير (فله عيناً من رأى مثل مالك) نوتت (عيناً) بالنصب خطأ . وصوابه ترك التنوين لكونها مثنى مضافة الى (من) بعدها أي (من رأى مثل مالك لله عيناه) يفظ تلك العين ويمدحها من حيث ان ذلك يؤدي الى مدح مالك وتقريظه . وهذا على حد قول مالك ابن نويرة (الأغاني ص ٣٨٥) (فله عيناً من رأى مثل خيلنا) فان (عيناً) هذه لم تنون وكذا ينبغي أن لا تنون هنا أيضاً . ولو صح تنوينها لوجب أن يقال (فله عين أو عينان) بالرفع مبتدأ وخبر .

ص ٣٦٢ سطر ٣ قوله (اني جزيت بني بدر بسمعيهم) أو الصواب (ببقيهم) . ص ٣٦٢ سطر ١٥ قوله (وقد تواترت الظعن عنهم) صوابه توارت الظعن أي الموادج وفيها النساء . وكان قال من قبل إنهم قدموها لتسبق فلا يسبها العدو . ص ٣٦٢ سطر ٢٠ قوله (يوم الهباتين) صوابه يوم الهباتين ليستقيم الوزن . ص ٣٦٣ سطر ١٠ قوله (يوم غدیر قلبي) صوابه قلّسني بالتحريك بوزن جَمَزَي اسم قرية كبيرة في واد على مقربة من المدينة .

ص ٣٦٣ سطر ١٢ قوله (لا نرضى حتى يودوا قتلانا) صوابه يدوا بفتح الياء وضم الدال من فعل ودى القاتل القاتل بديه أعطى وليه ديته . أما يودوا بالواو بعد ياء المضارعة فمن فعل (أودى) إذا هلك ومات وليس مراداً هنا . ص ٣٦٤ سطر ١٣ قوله في العنوان (لبس على بن عامر) صوابه على بني عامر . ص ٣٦٥ سطر ١٧ قوله (قد برّيت الرطبة) صوابه ترّبت أي مرغتها بالتراب . والرطبة جمّة معاوية بن الشريد أي مجتمع شعر رأسه . ص ٣٦٦ سطر ٦ قوله (وأنفذها هاشم سنانه عن عانة معاوية) الظاهر

ان صواب الجملة هكذا ( وأنفذ هاشم سنانة عانة معاوية ) أو ( في عانة معاوية )  
قال الزمخشري في الأساس ( رميته فأنفذته • وأنفذت فيه السهم ) •  
ص ٣٦٩ سطر ١١ قوله ( اني أرى عينيه تبص ) صوابه عينه •  
ص ٣٦٩ سطر ١٢ قوله ( فخرج دم قد احتقن ) ضبط ( احتقن ) بالبناء  
للمجهول وصوابه للمعلوم يقال احتقن الدم اذا اجتمع في الجوف من طعنة جائفة •  
ص ٣٦٩ سطر ١٦ قوله ( وكانت تلك المرأة في قوم مختارين لا يشعرون  
بالوقعة ) صواب مختارين مختارين ففي الأساس ( انماز عن القوم اعتزلهم )  
وتقول عن أوليائك اذا انسحبوا من المعركة انمازوا وحاصوا اما عن اعدائك  
فتقول انهزموا وولوا مديرين • وتقول اليوم مكان انمازوا ( انسحبوا أو تراجعوا  
بنظام ) • وكأنه تعبير اوروبي يريدون به تخفيف وقع الهزيمة كما يقول العرب  
انمازوا أو حاصوا وفي القرآن ( إلا متحيزاً لقتال ) •  
ص ٣٧٢ سطر ٤ قوله ( إذ جاءه نسوة يتهادين اليه ) هنا ملاحظتان : (١) صواب  
( يتهادين ) يتهادين بياء الغيبة • (٢) صواب ( اليه ) حذفها للاستغناء عنها  
بضمير النصب في جاءه • ومعنى يتهادين يتمايلن ويتبخترن •  
( قلت اذا قبلت وزهر تهادي كمنجاج الفلا تعسفن رملا )  
ص ٣٧٦ سطر ٢ قوله ( فتحول عن سرجه الى جنب أبدانه ) ضبط المصحح  
جنب بسكوت النون ولم يفسر المراد منه وفي ( العقد ) طبعته المصرية  
الأخيرة ( أبدانه ) بالهمزة مكان النون وفسر مصححوه ( الأبداء ) بالمفاصل •  
ولكن يفهم من كتب اللغة أن المراد بمفاصل الجزور أو عظامه التي عليها اللحم  
ما كان منها مُعَفَّسِي مجزأً مقسماً الى أنصباء توزع على المقامرين • وما معنى  
تحول الفارس عن فرسه الى جنب مفاصله ؟ • والذي أراه أن ( جنب )  
يفتح النون لاسكونها وهو الخيل التي تُجنب الى جنب الفارس يتحول اليها

حين الحاجة . وفي القاموس ( خيل جنائب وجنّاب محرّكة ) والأبدان جمع بدن  
وبدن جمع بدنة الدرع . فعامر لما طُعنَ تحول عن مرجه والتحول عن السرج  
تحول عن الفرس نفسها وكان في جنبه خيل معدة لتحميل الدروع عليها وهي التي  
سمّاها ( جنّاب الأبدان ) فركب احداها ثم لحق ضراراً الضبي الى آخر القصة .  
هذا ما أمكن حمل عبارة المؤلف عليه ما لم يثر على نص أصح فيرجع اليه .  
ص ٣٧٩ سطر ١٤ قوله ( ولیمصعوا همّام بن بشامة ) صوابه ولیمصوا . من  
العصيان بدليل قوله بعده ( ويطيعوا ابن الأخنس ) .

ص ٣٧٩ قول المصحح ( العوسج الشوك ) فيه تسامح . وكان الأحسن  
ان يقال العوسج شجر ذو شوك أو من شجر الشوك .

ص ٣٧٩ قوله عن همّام بن بشامة ( فإنه مشؤوم محدود ) فسر المصحح المحدود  
بالمحدود وليس بسديد فلعل ( المحدود ) محرف عن ( المحروم ) وهو المنوع من  
الخير الذي لا ينمو له مال أو لا يكاد يكسب . يقال فلان محروم ومحدود  
ومحارف ومشؤوم وضده المحدود ( بالجيم ) والمحظوظ واليمون والمخوت .

ص ٣٨٠ سطر ١ قوله ( فأتاهم الرسول فأبلغهم ) صوابه فأتاهم بهمة غير  
مدودة أي جاءهم أما ( آتاهم ) بمدّها فعناه اعطاهم وليس مراداً .

ص ٣٨٠ سطر ٨ قوله ( وأما تشكّى النساء فيخبركم أنهن قد عملن حجلاً  
يفزون به ) لا معنى لقوله عملن حجلاً . وحمل المرأة خلخالها . والخلخال  
لا يفزي بها . وصوابه ( قد عملن شيكاً ) جمع شكوة وهي القرية الصغيرة  
للماء وغيره . يقال شكّت المرأة واشتكت وتشكّت كنه بمعنى اتخذت لها  
قرية . فنشكى النساء يحسن ان يفسر بالتخاذل قريباً للماء يفزون بها العدو مع  
رجالهن الغازين يساعدهنم ويسقين جرحاهم وفي كتاب ( أيام العرب ) ص ١٧٢ .  
مانصه ( وأما اشتكاه النساء فيخبركم أنهن قد عملن الشكاه يريد خزانة

- شِكَاةً يَغْزُونَ بِهَا) والكلام وارد في أخبار (يوم الوقيط) وهو اليوم الذي يروي المؤلف التويري خبره .
- ص ٣٨٠ قول المصحح في تفسير الصَّمَان (جمل أحمر) سهو ظاهر وصوابه جبل أحمر .
- ص ٣٨٢ قول المصحح في تفسير المزادة بالرواية سهو أيضاً وصوابه (الراوية) بتقديم الألف على الواو .
- ص ٣٨٥ سطر ١٥ قوله (مثل خيلنا) بهجزة سهو صوابه مثل بالناء الثلاثة .
- ص ٣٨٦ سطر ١١ قوله (سود المآل) كذا بفتح اللام وهو سهو صوابه (سود المآلي) بالياء في الآخر وهو جمع (مِثْلَاة) وهي الخرقفة تمسكها المرأة حينما تمسح على الميت ويروى (سود الليالي) .
- ص ٣٨٧ سطر ١٤ قوله (فركض حتى يشرف مليجة) بفتح باء يشرف والظاهر أن يكون صوابه حتى يشرف على مليجة) ومليجة اسم موضع . وفي العقد (حتى أشرف على مليجة) .
- ص ٣٨٨ سطر ٥ قوله (ففاقت الطاب) صوابه ففاتت .
- ص ٣٨٨ سطر ١٦ قوله (فوكبت عليهم بنو مالك) صوابه فركبت .
- ص ٣٩٠ سطر ٥ قوله (فأخذ قيس بن عاصم بجيث يكلم الحوفزان) لعل في الكلام كلمة ساقطة ويكون الأصل هكذا (فأخذ قيس يقرب أو يقترّب أو يدنو بجيث يكلم الحوفزان) .
- ص ٣٩٠ سطر ٧ قوله (لا يلحقه) صوابه لا يلحقه .
- ص ٣٩٢ سطر ٢٠ قوله (فلا كشف) ضبطت بفتح الكاف وسكون الشين وصوابه ضمها وهم الذين لا تروس معهم أو ينهزمون . ولا واحد له . وبذلك يستقيم وزن البيت أيضاً .

- ص ٣٩٣ سطر ١ قول الشاعر (نحن الذين هزمتنا يوم صبغنا جيش الزوكرين الخ  
صوابه الزوكرين بالتصغير اسم للجملين وبذلك يستقيم الوزن .
- ص ٣٩٣ سطر ١٠ قوله (ذي الحدتين) صوابه الجددين بالجيم المعجمة .
- ص ٣٩٤ سطر ١٦ قوله (هؤلاء فأرى يا آل تميم) صوابه ثأري أي  
موضع ثأري دعوني أنتقم منهم .
- ص ٣٩٥ سطر ١٢ قوله (ثم أجال في متن ذات النسوع وهي فرس بسطام) .  
أجال بالجيم وصوابه أحال بالحاء المهملة كما مر في ص ٣٨٧ سطر ١٤ من قوله  
(فاذا أحسن بكم أحال على الشقراء) غير ان صاحب (البيستان) يقول مانصه  
(قيل ان كلام العرب حال على ظهر فرسه وأحال في ظهر فرسه) يعني ان فعل  
(حال) الثلاثي يتعدى بحرف الجر (على) وأحال الرباعي يتعدى بحرف (في)  
وهذا خلاف ما جاء في عبارة المؤلف .
- ص ٣٩٦ سطر ١ قوله (فصاحوا بمن في الابل من الحامية والرعاية) صوابه  
والرعاة بالتاء أو الرعاء بالهمزة وكلاهما جمع للراعي . أما الرعاية فصدر ولا يسوغ  
استعماله هنا الا على استنكراه .
- ص ٣٩٦ سطر ٩ قوله (يا أيها المانح دلوي دونكا) صوابه المانح بالتاء  
المنثاة لا النون أو هو المانح بالهمز . والفرق بين المانح والمانح ان المانح يستقي  
ماء الركبية وهو على رأسها والمانح يملأ الدلو وهو في قعرها وسئل الأصمعي  
عن الفرق بينهما فاختصر قائلاً (الفوق للفوق والتحت للتحت) أراد ان المانح  
ينقطنين من فوق هو الاستقاء من فوق البئر . والميخ ينقطنين من تحت هو  
الاستقاء من تحت البئر . ومن أمثال العرب (هو أعرف من المانح باست المانح) .
- ص ٣٩٨ سطر ٢ قوله (فأجشت اي البسوس جتاساً) صوابه فأجشت  
بالحاء المهملة لا الجيم ومعناه هيئت وأغضبت . وجمش غضب .

- ص ٣٩٨ سطر ٩ قوله (والا فخيّر) بالياء المثناة صوابه (فخيّر) بالياء الموحدة .
- ص ٣٩٨ سطر ١٠ قوله (وهو غير زؤان) صوابه (دِفان) يقال ركية أو بئر دِفان إذا كان قد اندفن بعضها . والأحصُ وشبَيْث ما أن من مياء العرب فهو يقول ان (شَبَيْثاً) لم يُدفن منه شيء .
- ص ٣٩٩ سطر ١٤ قوله (فانطلقوا به الى رجالكم) صوابه رجالكم بالخاء المهملة أي مساكنكم او حيث انتم نزول .
- ص ٤٠٠ سطر ٢ قوله (كيف أهدى) كتبت (أهدى) بالياء وصوابه أهدأ بالالف لأن أصله (اهدأ) بالهمز فخفف .
- ص ٤٠٠ سطر ٨ (كنا أنابيهما) كتبت (كنا) بالنون وصوابه (كُنَيْتاً) بالتاء المثناة . والكنته سواد في حجرة وهو لون التمر . وكذا يكون لون عيدان الرماح .
- ص ٤٠٠ سطر ٩ قوله (فتوردها بيضا) صوابه فتوردها بنون الجماعة ثم قال ونصدها .
- ص ٤٠١ سطر ٢ قول المؤلف وهو بعدد اسماء من قُتِل يوم الدنائب (وتيم بن قيس بن ثعلبة وهو أحد الحرقيين) علق المصحح على (الحرقيين) قوله (الحارقة عَصَبَة متصلة بالورك) ولا علاقة لهذا التعليق بكلمة (الحرقيين) وفي كتاب (المقد) طبعته الأخيرة (وتيم بن قيس بن ثعلبة وهو أحد الحرقيين) وضبط بالشكل بفتح الحاء وكسر الراء ثنية حرق وهو تصحيف فضلاً عن الخطأ في تيم وصوابه تيم بن قيس بن ثعلبة وهو أحد (الحرقيين) ثنية (حرق) وزان هَمْزَة . في القاموس وشرحه (والحرقيتان تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة والدتهما حرق بنت النعمان بن المنذر) .
- ص ٤٠٢ سطر ٥ قوله (وقد أشرف في الدماء) صوابه أسرف بالسين المهملة أي أكثر من سفكها .

ص ٤٠٣ سطر ٥ قوله (عن حيالي) ثم قوله سطر ٧ (اليوم حال)  
كلنا الكمتين قافية وكان ينبغي ان تكتب (حيالي) (حيال) من دون ياء .  
والحيال عدم حمل الاثني . وتكتب (حال) صالي بالياء لأنها اتم فاعل  
لفعل صلى النار قامى حرها واحترق بها .

ص ٤٠٤ في تفسير المصحح لعالية الريح بالسنان تسامح . والأقوم ان  
تفسر العالية بصدر الريح حيث يركب السنان .

ص ٤٠٥ سطر ٤ قوله ( وكان الخياء من أدم صوابه (الخباء) بالخاء  
المهملة إذ المراد بالخباء العطاء اي المسهر كما يفهم من سياق القصة . اما الخياء  
بالمعجمة فاليبت من وبسر أو صوف ويقام على عمودين او اكثر وليس مراداً هنا .  
ص ٤٠٦ سطر ١٠ قوله ( ثم طعن في نيطة فمات ) صوابه ( في نَيْطَه )  
بفتح النون وضمير الغائب والنَيْطُ قيل هو نياط القلب وهو علاقته . واذا  
وقع طعن الريح فيه مات صاحبه . ولذا قال هنا معقباتاً ( فمات ) والأكثر  
على ان قول العرب ( طعن ) مبنياً للمعلوم او المجهول ( في نَيْطَه ) تعبير يراد به  
الموت . واختلفوا في أصله . وفي العقد ( ثم طعن في نيطة أي مات )  
فقوله أي مات تفسير لا تفريع وهو يؤيد ما قلنا ومنه قول سيدنا علي ( لَسَوَدٌ  
معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة الا طعن في نَيْطِهِ ) .

ص ٤٠٧ سطر ١ قوله ( انما أذفع الثواب الى فائله ) سقط قبله قوله  
( فقال ) أي سلمة .

ص ٤٠٧ سطر ١٢ قوله ( ولا تأمنون دوران العرب ) الدوران معزوف  
يقال دوران الكواكب ودوران الدم في البدن . أما ( دوران العرب ) فلا يقوله  
البلغاء في مثل هذا المقام وانما يقولون ( ذؤبان العرب ) جمع ذئب اي لصوصهم  
وصعاليكهم والمقام يستدعي هذا المعنى .

- ص ٤٠٧ قول المصحح ( هجر اسم الأرض بالبحرين ) موم غير المراد من كلمة ( هجر ) إذ المراد منها مدينة هجر نفسها كما هو صريح قول المؤلف .
- ص ٤١٠ سطر ١٩ قوله ( اني رجل أحب اللين ) صوابه ( اللين ) بياء موحدة كأنه يقول له استسلم لآخذ فديتك نياقاً ذات لبن فاني أحبه .
- ص ٤١٠ سطر ٢٠ قوله ( حتى جئناه عند الأهم ) صوابه خببناه عند الأهم .
- ص ٤١١ سطر ١٢ قوله ( اني معمل ) صوابه معمل بالخاء المهملة أي أصابني الجمل وهو الجذب . يريد انه في حاجة الى فداء أسيره وقوله بعده ( ولا تطيب نفسي على أسيري ) صوابه ( عن أسيري ) .
- ص ٤١٢ قول المصحح ( كرّي نفسي ) يوم انه يفسر الكرّ بالتنفيس والكرّ في الحرب معروف . وقوله ( نفسي ) انما وقعت في بعض روايات البيت هكذا : ( كأنني لم أركب جواداً ولم أقل خيلتي كرّي نفسي عن رجاليا ) ومعنى ( نفسي عنهم ) بتشديد الفاء خفني كرب الحرب عنهم . أما الرواية الأخرى وهي التي رواها المؤلف فهي ( كرّي قاتلي عن رجاليا ) .
- ص ٤١٢ قول المصحح في تفسير ( بُؤُ بفلان ) اي اذهب به . في قوله هذا تسامح كبير . والأظهر أن يقال : ليكن دمك لدمه بؤاء . أي مساوياً ومماثلاً .
- ص ٤١٣ سطر ٥ قوله ( جسداً لنا ) صوابه حسداً لنا .
- ص ٤١٣ سطر ١٤ قوله ( والخيل تلتحّب ) يرجع معنى اللجب الى التحول وخفة اللحم . ولا يمكن ان يكون مراداً هنا الا على استكراه . والأصوب ان يكون محرفاً عن ( تلهيب ) بالهاء . ففي الأساس ( فرس مئسوب . وقد ألّهب في جريه : اضطرم فيه . وله ألّوب ) والاضطرار فرط اشتعال النار فاستعير لفرط عدو الفرس بحيث يثير الفبار .
- ص ٤١٣ سطر ١٥ قوله ( عليه دلاص ) بتخفيف اللام لا تشديدها . ويستقيم وزن البيت أيضاً .

- ص ٤١٤ سطر ١٠ قوله (والريح عند أذنه) صوابه والريح .
- ص ٤١٤ سطر ١٣ قوله (شان حراً الوجه) صوابه ضم حاء حراً لا فتحها .
- ص ٤١٥ سطر ٥ قوله (فاجتازوها) صوابه فاجتازوها بالخاء المهملة .
- ص ٤١٥ سطر ١٠ قوله (فحل عمارة) صوابه فحل عمارة .
- ص ٤١٧ سطر ٦ قوله (ومعنا شبيخ من يزيد) صوابه شبيخ بن يزيد  
بدليل ما بعده . وشبيخ اسم علم .
- ص ٤١٩ سطر ١١ قوله (يقال لأحدهما اللعاب) كان الأخرى ان  
تشدد العين لا اللام بدليل قوله في الشعر الآتي (وطاب عن اللعاب نفساً)  
وتشديد لام التعريف لا حاجة اليه على انه يوم ان العين مخففة .
- ص ٤١٩ سطر ١٧ قوله (وحزاً فيس) صوابه وحراً اي سقط بعد ان  
أصيب في حلقة ثدييه .
- ص ٤٢٠ سطر ٢ قوله (فقطع احدي ثدييه) صوابه احدي بديه وفي  
العقد (فقطع أحد زنديه) .
- ص ٤٢٠ سطر ٤ قوله (بجفن سيفه) صوابه بجفن سيفه . وجفن السيف عمده .
- ص ٤٢٠ سطر ١٠ قوله (وطاب عن اللعاب نفساً ورمّة) في العقد  
(نفساً وركبه) بجر (الرب) عطفاً على (اللعاب) واللعب اسم الفرس  
يعني ان سالمًا الذي هرب طابت نفسه عن ذلك الفرس وعن ربه أي فارسه وصاحبه .
- ص ٤٢٤ سطر ١ قوله (وقال ابو عبيدة: انما خرّصها خريصية يسيرة)  
هكذا بالخاء المعجمة وبتصغير (خريصية) . ومثله في العقد غير  
ان (خريصة) فيه غير مصغر . والصواب (حريصتها حريصة) بالخاء المهملة  
فيها وتكبير حريصة : ففي اللسان : (والحرص الشق . . . والحارصة والحريصة  
أول الشجاج وهي التي تحرص الجلد اي تشقه قليلاً) . وقد ذكرت الحارصة  
في الحديث كما في النهاية .

ص ٤٢٧ سطر ١٦ قول المؤلف (وكانت العرب تسمى قريشاً سخينة لأكلها السخّين) في هذا التعليل ناسح كبير وكان الأصوب ان يقول (لأكلها السخينة) ففي اللسان (والسخينة طعام متخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء) الى ان قال (وكانت قريش تكثر من أكلها فعُيِّرت بها حتى سموا سخينة) .

ص ٤٢٧ سطر ١٨ قوله (وعبد منانها) صوابه وعبد منافها .

ص ٤٢٨ سطر ٢ قوله (وأخلافها) صوابه (وأحلافها) بالخاء المهملة .

ص ٤٢٨ سطر ٥ قوله (وعلى احدى مخببتينها صوابه مُجَبَّبَتَيْنِيهَا

وَمُجَبَّبَتَيْنَا الجيش ميمته وميسرته .

ص ٤٢٨ سطر ١٧ قوله (منا الذي ترك العوام مجذلا) صوابه مجذلا

ليستقيم الوزن .

ص ٤٢٩ سطر ٧ قوله (أشباك) وقول المصحح في تفسيره (يقال أشباك

لفلان كما يقال حسبك لفلان) - لم أجده وانما وجدت في (العقد)

اشبال وهو جمع شبل ولعلها الصواب . ويكون أشبال صفة لثلاثة الأخوة

المذكورين قبله وهم (هشام) و (ابو عبيد مناف) و (ذو الرحين) وباليت

المصحح عن ما قاله الى مصدره .

ص ٤٣٠ سطر ٤ قوله (لم تغلب ومغلوب) بالفين المعجمة فيها خطأ

وصوابه العين المهملة فيها . وأراد بالسراء التي لم تغلب قناة الريح . ومعنى

انها لم تغلب لم تمنح الى ان يشد عليها بعلياء البعير وهي عَصَبَةٌ تُسْتَسَل

من عنقه وينتفع بها في الشد والحزم . والمعلوب السيف يجوز مقبضه بالعلياء

وهو معطوف على سراء .

ص ٤٣٠ سطر ٨ قوله (الحارث بن كِلْدَة) بكسر الكاف وصوابه فتحها

واختلفوا في تسكين اللام وفتحها .

- ص ٤٣٠ سطر ١٠ قوله ( دَعَسَتْ لُبَانَهُ بِالرَّمْحِ ) صوابه ضم تاء ( دعست ) لأنه ضمير المتكلم . وفتح لام ( لُبَانَهُ ) وهو صدر الفرس .
- ص ٤٣١ سطر ١٤ قوله ( المستودع ) بكسر الدال صوابه فتحها لأن النعمان هو المستودع ( بكسر الدال ) وهانئ هو المستودع ( بفتحها ) .
- ص ٤٣٢ سطر ٧ قوله ( فانا إن ركبنا الغلاة لمتنا عطشاً ) صوابه حذف اللام من جواب الشرط .
- ص ٤٣٤ سطر ٤ قوله ( مِلْنَا بِيضٍ لِمِثْلِ الْهَامِ تَخْتَطِيفٍ ) صوابه كما في بعض النسخ ( فظُلَّ الْهَامُ تُخْتَطِيفٌ ) .
- ص ٤٣٤ سطر ١٣ قوله :
- ( لَعَلَّكَ يَوْمَ الْخَنُوزِ إِذْ صَبَّحْتَهُمْ ) ككتائب لم تعصك بين العواذل ( صوابه كما في ديوان الأعشى :
- ( بعينيك يوم الخنوز إذ صبحتهم ) ككتائب موت لم تعقها العواذل ( ويستقيم الوزن أيضاً .
- هذا وفي الكتاب أغلاط كثيرة أخرى ترجع الى سوء تشكيل اللفظ وضبطه لغةً ونحواً رأينا ترك التنبيه اليها لما بلغنا من أن في نية ( الدار ) الحاق كراسة خاصة يؤتى فيها على ذكر جميع أغلاط هذا الجزء الخامس عشر من نهاية الأرب ولعلمهم فاعلمون .

## مختصر (جمهرة النسب)

هشام بن محمد بن السائب الكلي (المتوفى سنة ٢٠٦ هـ تقريباً) هو امام علم (النسب) بلا منازع وكتابه «الجمهرة» من خير ما ألف في هذا العلم - لا سيما فيما يتعلق منه بأساب العدنانيين - ومن هذا الكتاب قطعة في مكتبة (التحف البريطاني) في لندن ، وقد صورها المجمع العلمي العراقي ، وهي تحتوي على أساب العدنانيين ، قديمة الخط متقنة الضبط - وصفها الدكتور جواد علي في العدد الأول من مجلة المجمع العلمي العراقي .

وفي مكتبة (الاسكوريال) في اسبانية قطعة ظن المستشرقان ليفي بروفسال وليفي دلافندا انها من اصل (الجمهرة) <sup>(١)</sup> وليس الأمر كذلك فقد اطلعت على نسخة مصورة صورتها (دار الكتب المصرية) عن نسخة في التحف البريطاني نقلها مستشرق يدعى (بربون) من نسخة مكتبة الاسكوريال ، فرأيت أسلوب هذه النسخة يفاير أسلوب ابن الكلي في الجمهرة ، ولا يبعد ان تكون من كتبه الأخرى او من مختصرات الجمهرة وهي تحتوي على أساب بني ربيعة ابن نزار (من العدنانيين) وعلى جميع أساب القحطانيين وهذه النسخة التي كتبها المستشرق (بربون) رديئة الخط كثيرة التحريف (انظرها في دار الكتب تحت رقم ٩٩٩٥ ج (تاريخ) باسم نسب معد واليمن الكبير - وفي التحف البريطاني برقم ٢٢٣٧٦ - والأصل في مكتبة الاسكوريال برقم ١٦٩٣ من فهرس الغزيري وهو مخطوط - كما يقول (بربون) سنة ٦١٦ هـ وفي صفحة ٢٩٣ منه حاشية كتبها الشيخ عبد المؤمن الدمياطي (٦١٣ - ٥٧٠٥ هـ) .

(١) انظر مقدمة جمهرة أساب العرب لابن حزم التي وضعا بروفسال (ص ٦

طبعة دار المعارف بمصر) .

اعتنى المتقدمون بكتاب الجمهرة فكان من رواه عن مؤلفه ابو جعفر محمد ابن حبيب البغدادي (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ) ورواه عن ابن حبيب هذا ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري (المتوفى سنة ٢٧٥ هـ) ومن المعروف ان هذين الراويين اما ما أهل الأدب في عصرهما . وفي القرن السابع الهجري اطلع ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) على هذا الكتاب برواية السكري عن ابن حبيب عن ابن السكبي بخط صالح بن محمد بن يزداد<sup>(١)</sup> نقله صالح عن خط السكري فقام ياقوت بنسخه وأكمله في أثناء رحلته الى مصر وهو في موضع يسمى (الزقعة<sup>(٢)</sup>) بين رفح والعريش في سنة ٦١٠ ثم بعد بضع سنوات اختصر هذا الكتاب بكتاب سماه (المقتضب من جمهرة النسب) ونسخة هذا الكتاب - اعني المقتضب - الفريدة المخطوطة في حياة مؤلفه - وقد تكون بقلامه - في دار الكتب المصرية . وفي سنة ٦٤٨ - أي بعد وفاة ياقوت ببضع عشرة سنة - اطلع أحد العلماء على نسخة من كتاب (الجمهرة) برواية السكري عن ابن حبيب عن المؤلف فاختصرها ثم اطلع على نسخة ياقوت من أصل الجمهرة فقابل مختصره بها ولم يكتف بذلك بل رجع الى أكثر من عشرين كتاباً من أمهات كتب اللغة والأدب والتاريخ فنقل منها كثيراً من النقول التي لها صلة بمختصره من تصحيح ، أو ايضاح ، أو استدراك ، ووضع جميع ما نقله في هامش نسخته ، ولم يدبجه في الأصل - واطلع على نسخة<sup>(٣)</sup> ثالثة من الجمهرة عند رضي الدين الصاغاني اللغوي المعروف المتوفى سنة (٦٥٠ هـ) فنقل عنها .

(١) لم أعثر لصالح هذا على ترجمة ولكني رأيت لمحمد بن يزداد الكتاب ولايته عبد الله ولايته احمد بن عبد الله (ال يزداد) ذكراً كثيراً في تاريخ الطبري - حوادث منتصف القرن الثالث الهجري وفي الفهرست لابن النديم وكلهم كتاب ادباء ذوو صلة بالخلفاء العباسيين -

(٢) لم يذكره في المعجم وقد ذكره صاحب صبح الأعشى (ج ١٤ ص ٣٧٨) .

(٣) ذكر ذلك في صفحة ١٥٦ .

وهذا المختصر - وان كان لا يزال مجهول الأب - الا أنه يمتاز على مختصر  
 ياقوت بمميزات ، ويفضله بكثير من الصفات ، وقد اطلع عليه عالم محقق مدقق  
 هو شرف الدين ابو الحسين علي بن محمد بن احمد اليونيني البعلبكي الحنبلبي  
 (٦٢١ - ٧٠١ هـ) فنقله عن خط مؤلفه نقلاً بلغ غاية الدقة والصحة ولم يقف  
 عند هذا الحد بل قابله بنسخة ياقوت التي قابل المختصر بها كتابه وأشار الى  
 اختلاف النسختين ثم لم يكتف بالدقة في النقل وفي المقابلة بل زاد عليها تحرير  
 مواضع في الكتاب رأى انها بحاجة الى التحرير ونبه على بعض أغلاط وقعت فيه .  
 وقد سلمت هذه النسخة من عبث الزمان وعميت الحدّثان حتى وصلت في  
 القرن الحادي عشر الهجري الى خزانة الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي  
 (١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ) مؤلف كتاب (خزانة الأدب) فكتب في طرفها :  
 (هذا كتاب مختصر جمهرة ابن الكبي ولم أعرف مصنفه وقد أنعم الله به  
 على عبده الفقير اليه في جميع حالاته عبد القادر بن عمر البغدادي . . . ثم رأيت  
 في ترجمة بني دارم قد صرح بكنيته وهو ابو جعفر) . كذا قال الشيخ وليس  
 ابو جعفر المؤلف وإنما هو محمد بن حبيب الرازي عن ابن الكبي . وقد نقل  
 البغدادي في الخزانة عن هذا الكتاب في الصفحات (١٤٣٦٨٩٣٦١٤٣٨٢٣٨ ج ٢  
 وفي ٢١٤ - ٢٦٨ ج ٣ وفي ١٦٢ - ١٩٨ ج ٤) كما في اقليد الخزانة  
 للأستاذ الميمني . وصرح البغدادي بانه مختصر ياقوت وهو غيره . لأن بعض  
 ما نقل لا يوجد في مختصر ياقوت (المقتضب) . وقد اطلع على هذه النسخة  
 بعد البغدادي أحد الجهال فرأى في آخر الصفحة الأولى منه اسم كتاب  
 (التبيين في نسب القرشيين) لموفق الدين ابن قدامة فظن ان هذا هو اسم الكتاب  
 فكتبه بخط عريض في أعلى الصفحة - وإنما ورد اسم (التبيين) في سياق  
 الكتب التي نقل عنها المختصر . وقد وصلت هذه النسخة القيمة من هذا المختصر

الى مكتبة (راغب باشا) في اسطنبول فسجلت في فهرسها برقم (٩٩٩) ثم صورها (معهد المخطوطات) التابع للادارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

وصف النسخة : تقع في جزئين أولهما في ١٧٨ صفحة والثاني ١٥٢

- في الصفحة ١٩ سطرأً تبلغ كلمات بعض السطور ٢٥ كلمة - مكتوبة بالخط النسخي الجميل المشكل والعناوين ورموز الكتب التي ينقل منها المؤلف مكتوبة بمداد احمر وقد حليت هوامشها بنقول كثيرة من كتب هذا بيانها من الصفحة الأولى من النسخة (العلامات التي تأتي في حواشي هذا الكتاب :  
 حو : صحاح الجوهري ، ف : معارف ابن قتيبة ، جم : جمهرة اللغة ،  
 جمهرة : جمهرة النسب ، شق : الاشتقاق لابن دريد ، عب : كتاب ابي عبيد  
 في النسب ، عتي : العقد ، مق : مقاتل الفرسان ، نقي : النواقل لابن السكبي ،  
 لك : الكامل للمبرد ، ع : العجالة في النسب ، قض : مناقضات جرير والفرزدق ،  
 ف : الشريف ابن الجواني ، سير : السيرة ، ق : مغازي الواقدي .  
 مغازي : عبارة عما في الواقدية والعائدية وسيرة ابن اسحاق ، ابن هشام :  
 عبارة عما زاده في السيرة عن غير مصنفها ابن اسحاق ، طب : تاريخ الطبري ،  
 تبين : كتاب التبيين في نسب القرشيين تأليف شيخ الاسلام موفق الدين  
 ابي محمد هبة الله بن قدامة المقدمي رضي الله عنه ) هذا نص ماجاء في الصفحة  
 الأولى من الكتاب ، وفي الهوامش نقول عن كتب غير هذه مثل كتاب  
 (أسباب النزول) للواحدي ، وكتاب (تذكرة ابن حمدون) أو (التذكرة  
 الحمدونية) لمحمد بن الحسن بن حمدون البغدادي الكاتب المتوفى سنة (٥٦٦هـ) وغيرهما .  
 أول الكتاب ص ٢ : (بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد  
 النبي وعلى آله وصحبه أجمعين ، أخبرنا محمد بن حبيب عن هشام بن محمد بن السائب  
 عن أبيه عن ابي صالح عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا انتهى

في النسب الى معد بن عدنان أمسك ثم قال : « كذب النسابون » . قال الله جل ثناؤه ( وقروناً بين ذلك كثيراً ) . قال ابن عباس ولو شاء رسول الله ﷺ ان يعلمه لعلمه . وقال بين معد بن عدنان وبين اسماعيل ثلاثون أباً . وحدث وحدث هشام عن أبيه محمد بن السائب قال ولد ادب بن زيد عدنان ونبتاً - ونبت هو الأشعر ابو الأشعرين - وعسراً درج . فولد بنت شقرة - وهم في مهرة بالشححر - وشقحجياً وهم في وحاطة من ذي الكلاع ) .

وآخر الجزء الأول ص ١٧٧ : ( هؤلاء بنو أياد بن نزار . وفي نسخة ياقوت زيادة متصلة بالفصل وهي في الأصل منفصلة منسوبة الى خط ( ص ١٧٨ )

ابي سعيد السكري الذي نقل الأصل من خطه وهي احمد بن ابي دواد بن حريز بن مالك بن عبد الله ابن عباد بن سلام بن مالك بن عبد هند بن لحم بن مالك بن قنص بن منعة بن بوجان بن الدوس بن الدليل بن أمية ابن حنافة بن زهر بن اياد . ويخطه كتاب المسند حروف لا يلتزق ولا يتصل حرف بحرف واذا انفصلت الكلمة علمت علامة عند منقطعها وهي هذه من كتاب ابن خردادبه ( ثم نقل صورتها <sup>(١)</sup> ) . ويخطه عن ابي سعيد السكري توفي محمد بن حبيب يوم الخميس لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس واربعين ومثنيين بسر من رأى . توفي يعقوب بن السكيت يوم الأحد في رجب سنة ثلاث واربعين ومثنيين . توفي المازني سنة ثمان واربعين ومثنيين . توفي الزياتي سنة تسع واربعين ومثنيين . هذا آخر ما علقته من النصف الأول من كتاب الجهرة في بغداد المحروسة من نسخة بالمستنصرية . مقابلة أكثرها بنسخة ياقوت وكان فراغ هذا في المحرم سنة ثمان واربعين وست مئة . والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه . آخر الجزء الأول من

(١) هذه الزيادات التي لا صلة لها بأصل الكتاب موجودة في نسخة للتحف

البريطاني مما يدل على أن أصل المصححين واحد .

كتاب مختصر جهرة النسب الذي هو عن ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلابي . نجز يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان المبارك سنة خمس وستين وست مئة ببلدك حرسها الله تعالى ) .

وأول الجزء الثاني ص ١٨٠ : ( بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . نسب قحطان فيه خلاف وقد ذكر في كتاب الجهرة احد الآراء فيه في اواخر انساب حمير وهو رأي من ينسبه الى اسماعيل . . . . قال ابن الكلابي ولد قحطان بن عابر المرعفي ) .

وأخر الكتاب ص ٣٣٠ : ( هذا آخر ما نقلته من أنساب العرب في الجهرة والذي جاء فيها : قال يحيى حكاية كلام السكري أبي سعيد الحقي ما وجدته مخالفاً لرواية محمد بن حبيب عن الكلابي او زائداً عليها والحمد لله . مما تركته لم أنقله الى هذا المختصر للعجلة قال في خلال ذكر بني القين بن جسر : ان من بني سعد بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مالك بن كنانة بن القين فطنبية بن زيد وهو ابن الخضراء والخضراء فرسه قال عوانة وقد مات بلقنين على معاوية فقال ما كان قطبة بن الخضراء فيكم ؟ قالوا يا أمير المؤمنين سادنا يوماً الى الليل <sup>(١)</sup> . قال فأخبروني عن صخر بن ابي عمرو قالوا كان اذا غاب شتمناه واذا حضر اطعناه قال هذا والله هو الأسود . يعني بها بونه اذا حضر ويحسدونه اذا غاب . كذا في نسخة ياقوت التي نقلت منها هذا اللاحق عند المقابلة بها وما وجدته ذكر في فصل بني القين صخر بن ابي عمرو وانما ذكر فيهم سعد بن ابي عمرو بن صخر بن حذيفة بن غزبة وانه كان سيدهم وبيتهم وابنه الحكم بن سعد ذكره حسان في شعره ولم يقل صخر بن ابي عمرو الا في خلال هذا الخبر . كان في آخر نسخة ياقوت التي قابلت بها ماصورته :

(١) كلمة غير واضحة .

كان على الأصل (ص ٣٣١) ما صورته : قال صالح بن محمد بن يزيد - ومن خطه نقل هذا الكتاب أجمع - الى هنا انتهى ما وجدته بخط السكري وكان ما حكاه عن يحيى بخط نزل في آخر المجلس التاسع وكان قد اندرس فيه مواضع كثيرة واشتبه ذلك وخفي فأثبت ما وجدته بينما من ذلك . وتم الكتاب المعروف بجمهرة النسب عن ابن الكلابي رواية ابن حبيب عنه رواية السكري عنه بالنزل المعروف بالزّعفة من طريق ديار مصر في العشرين من ذي الحجة سنة عشر وستمئة وانا متوجه الى مصر ، وكتب باقوت بن عبد الله مولى عسكر الحموي . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، فرغ من هذا المختصر في المجلدين في أوائل سنة ثمان واربعين وست مئة ببغداد المحروسة والحمد لله وحده والصلاة على محمد وآله . آخر الجزء الثاني من مختصر اختصر من كتاب الجمهرة لابن الكلابي رواية ابي جعفر محمد بن حبيب مولى بني هاشم عنه رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الرحمن السكري عنه . نقلت الجزئين من خط المختصر في مدة آخرها يوم الجمعة لست بقين من ذي الحجة سنة خمس وستين وست مئة . . . . . قابلته بأصل المختصر رحمه الله حرقاً بحرف ) .

من المؤلف ؟ ليس في النسخة ما يشير الى امم المؤلف ولكن يفهم

من تاريخ الفراغ من الاختصار الوارد في صفحتي ( ٢٨ - ٣٣١ ) ومن قول الكاتب : ( قابلته بأصل المختصر رحمه الله ) ان المؤلف توفي بين سنتي ( ٦٤٨ - ٦٦٦ ) ويفهم من تصريحه بانه فرغ من الاختصار في بغداد من نسخة بالمسنصرية انه بغدادي كما يفهم من صلته بالصاغاني وباعتناء اليونيني بنقل كتابه هذا انه ذو مكانة علمية بارزة وتدل حاشية في صفحة ( ١٠ ) على أن المختصر قد اختصر تذكرة ابن حمدون ونص في صفحة ٢٦٩ - في الحاشية - على ان له شيخاً يدعى العز فقال ( في أخذ شيخنا العز على المعري في تفسيره

لقول المتنبي لسيف الدولة : سمعتك مفشداً بيئي زياد نشيداً مثل منشده كريماً .  
قال العزّاء ( الخ ) .

مَنْ الكَاتِب ؟ لم ينص الكاتب باسمه في صلب النسخة ولكنه فيما ظهر لي الحافظ شرف الدين ابو الحسين علي بن محمد بن احمد الخنيلي البعلبكي المعروف باليونيني نسبة لقربة من قرى بعلبك المولود سنة ٦٢١ والمتوفى سنة ٧٠١<sup>(١)</sup> ، فقد جاء في هامش صفحة ١٨٦ ( بلغ مقابلة وتحريراً بأصل ٠٠٠<sup>(٢)</sup> ) الذي يحظ يده وهو يدل على الضبط التام والنباهة والمعرفة بهذه الصناعة قدس الله نفسه ورحم رومه وابانا ٠٠٠<sup>(٣)</sup> يوم الدين كتبه علي بن احمد بن محمد ٠٠٠ ابن عيسى بن احمد بن احمد بن محمد بن محمد ٠٠٠ اليونيني في يوم الخميس سابع شهر رمضان المعظم سنة ٠٠٠ وجدت فيه أشياء حررتها ونهيت عليها فان كان المؤلف رحمه الله لم يقابل فعذور ، وربما يكون الغلط من المستدرك ، جعلنا الله بمن اذا عمل عملاً يكون خالصاً لوجهه الكريم ) . وفي هامش صفحة ٣٣٠ ( جميع ما عليه من الحواشي نقلته من خط مختصر الأصل أيضاً الا ما هو عن الأمير ابن ماكولا رحمه الله ومن كتاب الاكمال للحافظ عبد الغني المقدمي رضي الله عنه . في مدة آخرها يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شهر الله المحرم سنة ست وستين وستمئة ) . وفي بعض الحواشي التي يستدرك بها على المؤلف يصرح باسمه كما في حاشية صفحة ١٢٠ حيث ختمها بقوله ( قاله علي ) .

### مميزات هذا المختصر على مختصر ياقوت :

١ - يقع هذا المختصر في ٣٣٠ صفحة . وتقع هوامشه - لو أفردت -

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة والنهل الصافي ( نسخة دار الكتب الخطية )

وانظر مادة ( مي ون ) من التاج ،

(٢) مكان النقط كلمات غير واضحة .

فما يقرب من ١٥٠ . ومختصر ياقوت تبلغ صفحات النسخة القديمة الموجودة في دار الكتب في ٢٣٢ صفحة .

٢ - في نسخة مختصر ياقوت (المقتضب) مواضع في آخر الصفحات تغيرت كلماتها فصارت لا تقرأ الا بصعوبة وقد لا تقرأ أبداً لانطماس حروفها .  
وأما كتابة هذا المختصر فواضحة جميلة ولكتابته اليوناني لدى علماء الحديث منزلة عالية من ناحية الصحة والضبط في الكتابة وتعتبر نسخته من (صحيح البخاري) من أوثق نسخ ذلك الكتاب (انظر وصفها في مقدمة صحيح البخاري ص ٣ طبعة بولاق سنة ١٣١١) .

٣ - ليس على هامش المقتضب شيء من الحواشي الموجودة على هامش هذا المختصر .  
٤ - في هذا المختصر زيادات عن غير ابن الكابي زادها السكري في صفحة ٦٠ (الربائع - عن غير كتاب ابن الكابي) . وفي صفحة ٤٠ (في أصل كتاب ابن الكابي خلف بن معشر وليس فيه بدر . وبدر من كتاب ابن الأعرابي) .  
وفي صفحة ٤٧ (قال محمد بن زياد سواءه بن الحرث بن سعد) . وابن زياد هذا هو ابن الأعرابي . وفي صفحة ٥٢ (قال الكابي قيل لهم الأسيديون لأنهم كانوا يعبدون فرساً ويقال هي مدينة يقال لها اسيد كان نزلها فنسب اليها . وقال الهيثم بن عدي انما قيل لهم الاسيديون اي الجماع وهم من بني زيد بن عبد الله بن دارم) . هكذا ورد النقل عن الهيثم - وأسئبتبعيد أن ينقل ابن الكابي عنه فقد روي الجاحظ في (البيان والتبيين) وابن النديم في الفهرست وياقوت في معجم الأدباء (ج ١٩ ص ٣٠٤) ان ابن الكابي اذا رأى الهيثم ذاب كما يذوب الرصاص . وفي صفحة ١٤٠ (قبائل فهم عن غير ابن الكابي)

وفي صفحة ٨٢ ( و ذكر من هنا خارج عن كتاب محمد بن حبيب عن ابن السكيتي فكأنه زيادة زادها السكيتي عن غيرهما ) . وقد يوجد بعض هذه الزيادات في المقتضب كما يوجد كثير منها في نسخة المتحف البريطاني من أصل الجبهة المصورة في (المجمع العلمي العراقي) .

٥ - قد نقل المختصر فصولاً كاملة من أصل الجبهة بدون اختصار وصرح بذلك . ففي صفحة ٣ ( الى هنا نقل ما في أول كتاب الجبهة نقل المسطرة وما بعد هذا نقل اختصاراً ) وفي صفحة ١٨٢ ( الى هنا نقلت من الأزدي متواليًا ثم اختصر الآن ) . وفي صفحة ٢٠٨ ( هذه الفصول الثلاثة لم أ حذف منها شيئاً بل هي في الاصل مختصرة كذا ) . وفي صفحة ٢١١ ( لم أختصر من هذا شيئاً بل هو كذا في الأصل ) . وأشار في صفحات أخرى الى عدم الاختصار . وتفيد هذه المواضع التي لم تختصر في تحقيق أصل كتاب الجبهة .

٦ - تعتبر النسخة الاصلية المحفوظة في مكتبة راغب باشا من هذا المختصر أصح المخطوطات العربية وأوثقها وأكثرها دقة وعناية في الضبط بحيث لا يمر بك حرف واحد فيها بدون اشارة الى ضبطه . وكان من أثر كتابة عناوينها ورموز الكتب التي نقل منها المختصر بالمداد الأحمر عدم ظهور ما كتب بذلك المداد في النسخة التي صورها معهد المخطوطات التابع للإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ولذلك فلا بد لمن أراد نشر هذا الكتاب او الاستفادة منه استفادة تامة من الرجوع الى النسخة الاصلية .

وبعد فهل من عالم بجائنه ، يهدي الى الحق ، ويرشد الى اليقين ، في امم مؤلف هذا المختصر النفيس القيم ؟؟ الى العالمين الفاضلين الدكتورين الجوادين (جواد علي ومصطفى جواد) عضوي مجمعنا العلمي العربي يساق هذا الحديث .

يراجع عن (جهرة النسب) لابن الكلبي :

١ - مجلة المشرقين الألمانية :

أ - مقالة المشرق بيكر عن نسخة الاسكوريال في صفحة

٧٩٦ - ٧٩٩ سنة ١٩٠٢

ب - مقالة لمشرق جولد زيهر عن ابن الكلبي وجهرته في المجلد

٦٢ صفحة ١١٧

٢ - مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن .

مقالة ليوسف اسباط في صفحة ٥٠٧ من سنة ١٩٢٥

٣ - نشرت جريدة اللطيم في عددها الصادر في ١٣ رمضان سنة ١٣٤٣ -

٧ ابريل سنة ١٩٢٥ ما هذا نصه « بلغنا اليوم ان القس بولس اسباط

صاحب الخزانة العظيمة الشهيرة عثر على مخطوط قديم يحتوي على

كتابين أحدهما (جهرة الأنساب) لأبي محمد هشام بن السائب الكلبي

المتوفى سنة ٢٠٦ والثاني يدعى (التيجان في أخبار تحطان) لأبي محمد

عبد الملك بن هشام وبها من الكتب المفقودة » .

٤ - كتاب ( بروكلان ) ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢ ) .

٥ - مقدمة كتاب ( الأصنام ) بتحقيق أحمد زكي باشا - المطبوع بمطبعة

دار الكتب المصرية .

٦ - مقدمة (جهرة أنساب العرب) لابن حزم بقلم ليبي بروقتسال - المطبوع

بمطبعة دار المعارف بمصر .

٧ - مقال للدكتور جواد علي عضو المجمع العلمي العربي - نشر في العدد

الأول من مجلة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

حمد الجاسر

الرياض (نجد)

## التأليف في الملوك

بقلم العلامة الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله

كان لكثير من الملوك رغبة في العلم لاشراف نفوسهم الملكية على علو قدره وجماله أمره ، فمنهم من كان يرغب فيه ، ويقرب أهله ويسعى في نشره ، ومنهم من اشتغل به وسعى في تحصيله حتى فاز بحظ وافر منه . ومنهم من زاد على ذلك فألف فيما عني به من العلوم ، غير ان المؤلفين فيهم قليلون ، لمنع شواغل تدبير المملكة ، والقيام بأعباء أمورها في أكثر الأوقات من التفرغ للتأليف . ومن الملوك الذين ألفوا عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن . وفي كثير من خزائن الكتب شيء من مؤلفاته وأغرب مؤلفاته كتاب<sup>(١)</sup> عثرنا عليه في هذه المدة ألفه في صنع الاضطراب بعد أن زاول عمله مدة وأتقنه . وقد أجاد في هذا الكتاب اجادة وافرة بحيث قرب هذه الصناعة على الراغبين فيها ، ولم يستعمل الابهام الموجب للابهام . فأحببنا ان نورد منه ما ذكره في المقدمة لنقف على أسلوب الكتاب والغرض منه قائل : « بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون والثقة يقول العبد الفقير الى الله تعالى عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول غفر الله له . الحمد لله الذي لا يبلغ أداء حمده الحمدون ، وشكراً له على نعمه فوق ما شكره الشاكرون ، فهو الواحد الذي لا تحيط به الظنون ، جعل النجوم دلائل يهتدي بها المهتدون ، فقال سبحانه : « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » . أحمد حمد مقصر ، وأستهديه

---

(١) هو من أسفار خزانة كتب احمد تيمور باشا في القاهرة . وهذه النسخة كانت ملكاً لذاك الملك الجليل .

الى طريق الصواب وأستنصر ، وصلواته على محمد النبي الكريم الذي أثنى عليه في كتابه العزيز الحكيم فقال مادحا له : « وانك لعلی خلق عظیم » . وعلى آله المنتخبين صلوة وسلاما دائماين متلازمين الى يوم الدين ورضي الله عن الصحابة أجمعين .

« وبعد فلما كان الاضطراب أشرف آلة وضعت في علم الفلك ، وطريقه أوضح طريق بيتن في هذا الفن سلك ، أحببت ان أجمع في علمه رسالة موضحة قريبة المسلك بطريقة مصححة ، فما زلت أداخل أصحاب هذا الفن ، واستجلب درهم بالبحث المستحسن ، لتعرف من منهم يورد من فنونه ويبين ، ويصور خلاف غيره ويبرهن ، حتى ايقنت النفس بما مثله ، وعرفت نقل الأصل الذي أصلوه ، فتشجعت بأن كررت التعلم والتجريب والتصوير لاشكاله الموضوعية والتقدير ، الى أن حسنت ما لم يحسنوا من آتاه ، وعرفت ما يختار من عمله وصناعته ، ولم يذكروا في علمهم بالتحقيق ، سوى المقنطرات والبروج والكواكب بالتدقيق ، واستكفوا فيما عداها بحسن الروية من غير تقدير .

« فلم أزل أفكر فيما أهملوه حتى وضعت له المقادير تابعا لما رسمه الأولون من الحساب ، مكتسبا ما أمكنني منه الاكتساب ، فوضعت على غاية ما بلغ الاجتهاد اليه ، ووقع عند التخير الاختيار عليه ، ما بغني الصانع في تبسير المعرفة ، وبكفيه عن كثير من الكتب المصنفة ، وعليه في وضع المقنطرات والكواكب المعول ، والعمدة على وضعها وتحريرها على المصنف الأول ، مع معرفتي بفك حروفها واعدادها ، وابعاد مراكزها وانصاف أقطارها ، ولست بالمدعي في معرفة هذه الصناعة ، ولا بمن يتخذها حرفة وبضاعة ، بل اجتمعت فيها والنمست ، واحتذيت من ضوء سناها واقتبست ، فألفت هذه الرسالة لتكون للصانع أوضح دلالة ، وسميتهما معين الطلاب على عمل الاضطراب ، فن وقف عليها فليتساح عما فرط ، وليكن أول من لعذر بسط ، فان الخليم اذا رأى حسنا تحفيا

أظهره ، واذا رأى قبيحاً منشوراً ستره . ونسأل الله الهداية في الصلاح ،  
 والبلوغ الى أفضل المقاصد والنجاح ، انه العظيم الخنان ، والكريم المنان .  
 اعلم ان الاضطراب يعمل بحالات ، فمنها ما يكون تاماً وعدد مقنطراته  
 تسعون ، ومنها ما يكون ثنائياً وعدد مقنطراته خمسة واربعون ، ومنها ما يكون  
 ثلاثياً وعدد مقنطراته ثلاثون ، ومنها ما يكون خماساً وعدد مقنطراته  
 ثمانية عشر ، ومنها ما يكون سدساً وعدد مقنطراته خمسة عشر ، ومنها  
 ما يعمل عشراً لصفه وضيق مداراته ، وعدد مقنطراته عشرة ، فالتام  
 هو الذي يكون درج بوجهه ومقنطراته مقسومة على درجة درجة ، والنصف  
 ما كان بوجهه ومقنطراته مقسومة على درجتين درجتين ، والثالث ما كان درج  
 بوجهه ومقنطراته مقسومة على ثلاثة ثلاثة ، والخمس ما كان درج مقنطراته  
 وبوجهه مقسومة على خمسة خمسة ، والسادس ما كان درجه ومقنطراته مقسومة  
 على ستة ستة ، والعشر ما كان درج بوجهه ومقنطراته مقسومة على عشرة عشرة .  
 «وأما الرسوم التي لا يقع فيها اختلاف في جميع الاضطرابات ، فهي دوائر  
 المدارات ، أعني مدار السرطان والحمل والجدي ، وخط نصف النهار وخط  
 الاستواء ، فان هذه الخطوط كلها في جميع الاضطرابات لا يقع فيها خلاف  
 البتة ، وانما تختلف دوائر المقنطرات ، وهذا الذي اتصل الى علمنا من أعمال  
 الاضطرابات وأعمال التارجمان ، فانه لا يمتنع ان يكون قد زيد على هذه  
 الأقسام التي ذكرناها ، ولم نطلع عليه ، فليس لنا ان نقطع بأن هذه الأقسام  
 التي ذكرناها هي التي تعمل فقط ، فعلى هذا ما كان صغيراً وقسم على درجة  
 او درجتين او ثلاث تراحت خطوط المقنطرات لا سيما عند المركز ، فلأجل ذلك  
 جعل ما صغر منها على عشر عشر ، وأصغرها ما كانت مقنطراته مقسومة على  
 درجة درجة ، ليتحقق منها الصحة ، لأن ما كبر منها وكان فتحه ذراعاً بالحديد  
 نخلص نصف درجة ، اي تقسم درجته الواحدة بنصفين لسعة ما بينها وبين

المقنطرة الثانية ، وما كان فتح ذراعين حديد خالص عشر دقائق ، أي تقسم درجته الواحدة بستة أقسام كل قسم منها عشر دقائق ، وما كان منه اربعة أذرع او خمسة بالحديد خالص دقيقة اي تقسم الدرجة الواحدة بستين قسماً ، كل قسم منها دقيقة ، لأن كل ما اتسعت الآلة صح تقسيمها ، وبؤدي الى الصواب لاحاطة النظر ، واحاطة الصانع بالصنعة ، والتمكن من قسمة الدقائق بين الدرجات ، لكبر الآلة فيؤدي ذلك الى الضبط والى الصحة . فقد قيل ان الحاكم من خلفاء المصريين عمل ذوات الخلق ، وهي تسع حلقات الحلقة يدخل فيها الفارس راكباً برمح ، فيكون وزن الحلقة الواحدة نفسها التي رطل ، وكانت جوانبها محزوزة مربعة على زوايا قائمة ، حتى اذا ركب بعضها على بعض كانت كصفيحة واحدة فيرصد بها ، وبها حققوا طول مصر وعرضها ، ثم ان التمر لما طلبوا الرصد صنعوا دائرة بناء طول حلقة سعتها عشرون ذراعاً ، فاستخرجوا ربع دائرة من محيطها ، ثم بنوا جداراً طوله مائة ذراع ، ونصبه مائة ذراع مربع ، وضعوا عليه ربع دائرة طول قائمها على زوايا قائمة ستون ذراعاً ، وطول القطر الآخر الممتد على الأرض مثل ذلك ، والقوس تسعون درجة كل درجة ذراع قوسية اي قطعة من قوس هذا الربع ، ودرجوه درجاً كدرج القطر من أسفله الى أعلاه ، ليعملوا اشغالهم لأخذ الارتفاع ، وأنفقوا على ذلك أموالاً طائلة .

وقيل ان هلاون اخذ آلة الحمالين وجعلها على رأسه ليرد عنه الم الحجر ، وحمل حجراً كبيراً فلم يبق احد الا وحمل ، وبهذه الآلة الارتفاعية حصل الارتفاع بدقائقه وربما بثوانيه ، فقوس كل درجة هي ذراع ، فتمكنوا بهذه الآلة ، واستخرجوا بها اعمال الرصد وطوله ، وما أرادوا من باقي الأعمال . وأوردنا هذه الحكاية ليعلم منها فائدة كل ما كبر من الاصطلاحات وزيادتها فائدة في

التحقيق ، ومع ذلك اذا كان الاطرلاب سعته كما قلنا في فتح ذراعين وما فوقه الى خمسة فلا يمك باليد وقت أخذ الارتفاع الكبره وعظمه ، بل يرفعه شخص بيديه وآخر يأخذ به الارتفاع ، فان عظم علق على سببا بقدر ما يتمكن منه الناظر ، وهو معلق بالسببا ، فعند أخذ الارتفاع يرفع الناظر العضادة ويخفضها ، حتى يصح له أخذ ارتفاعه من الشمس او الكواكب ، وأول ما يبتدي به الرامم من العمل يحط خطأ بأي قدر شاء ، ثم يقسمه بتسعين قسماً ، أجزاء صحيحة محكمة ، بقدر الجهد والطاقة ، فان صحة العمل موقوفة على قسمة الخط المذكور ، فتي كان في القسمة خلل لم تصح بها الأعمال ، والخط هو المسطرة المقسومة ، وهذا مثالها (وهنا أورد صورتها) وان كانت هذه المسطرة بخلاف المسطرة الستينية التي ذكرها الفرغاني في كتابه ، فان تلك مقسومة بستين قسماً فاذا أردت عمل هذه المسطره الستينية التي يقاس منها أعمال الاطرلاب فانك تبدأ أولاً بعمل مسطرة صحيحة من خشب صلب .

الى أن قال : « فاذا أردت عمل الاطرلاب كبيراً كان أو صغيراً على أي قدر شئت عمله من الأقدار ، فانما يكون كبره وصغره من حساب هذه المسطرة ، لأنه متى أراد الاطرلاب كبيراً ، كبر في طول المسطرة ليتباعد ما بعد أقسامها ، ومتى أراد الاطرلاب صغيراً صغر المسطرة ليتقارب ما بين أقسامها ، لأن فتح نصف قطر دائرة الاطرلاب ، بقدر الثلث من طول المسطرة المقسومة بتسعين جزءاً ، ويكون قسمة هذه المسطرة اما في مسطرة من خشب صلب كالأبنوس والعاج ، أو ما كان في صلابتهما من الخشب والعاج وما شاكله في الصلابة واللون ، والعاج أجود من الأبنوس ، لكونه أسود لا تيبين فيه أجزاء المسطرة ، وان كانت من نحاس كانت أجود من الجميع ، إذ المراد بالصلابة ان لا ينزل شيء من رأسي البيكار في الخشب فيخل العمل ،

فاذا أراد قسمة الصفائح فانه يبدأ أولاً بفتح البيكار بقدر ما يقب على ظنه انه نصف قطر الصفحة ا ه .

وفي آخر الكتاب شهادتان من أهل هذه الصنعة تشهدان له باتقانها والبراعة فيها وهذه صورة الأولى منها : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي قدر مقادير الكواكب ، وأظهر من مكنونات الغيب أسرار العجائب ، وسير النيرين كتهادي الكواكب ، وأجرى التخميرات بحري القواضب ، وقدر بروجها بين السابق واللاحق والطالع والفارب ، وجعل النجوم السبعة متجربة بالقواعد والمراتب ، فنسبة الشمس كالسلطان ، والقمر كولي العهد والصاحب ، وزحل كالتهمان ، والمشتري كالحاكم ، والمريخ كصاحب الجيوش والكتائب ، والزهرة كالخادم والمطرب ، وعطارد كالوزير والكتائب ، فسبحان خالق هذه المحاسن والغرائب ، ووصفها في كتابه المنزل على سيد الأنبياء والشهداء والأباعد والأقارب ، فقال عز وجل : « انا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب » . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله الكرام وأصحابه الأطياب . وبعد فأقول وانا أقل عباد الله وأصغرهم ابراهيم بن ممدود الحاسب الملكي المظفري الأشرفي : اني لما شاهدت الاضطرابين قسمة السدس من عمل مولانا الملك الأشرف عمر بن مولانا ومالك رقنا السلطان الملك المظفر بوسف بن عمر بن علي ابن رسول خلد الله ملكهما وطول عمرهما من سنة ٦٨٩ وصحة جميع ما عمله بهما من صحة الدوائر والمقنطرات والمراكز وانصاف الأقطار والكواكب والحجرة والصفائح ، سبكاً وضرباً ، قسمة ووضماً ، وصحة قسمة دائرة البروج وصحة العضابد ، وعيار المجموع فيها ، ولم أجد فيها مأخذاً الا ان كان السير من جهة الصانع الخراط ومولانا خلد الله ملكه عارف به وباصلاحه ، فشهدت له بالفضيلة ، وبجودته في صناعة الاضطراب ، ووضعت له خطي هذا شاهداً علي

صحة ذلك ، وأجزت له أن يعمل ما شاء من ذلك أي من الاضطرابات ، بما استقرته من اتقانه ومعرفته ، وذكاؤه وخبرته ، واختياري له في ذلك وامتحاني اياه ، وكذلك في اضطرابين عملها في سنة ٨٩٠ - أحدهما اصغر من الآخر قسمة السدس والأكبر فيها قسمة الثلث ، وأجزته وشهدت له بالصحة في الأربع اضطرابات المذكورة . وكذلك أجزته في عمله لساعات مستوية يستخرجها بترجها بعمله علماً وعملاً ، وان يعمل منها ما شاء لوثوقه بعلمه وعمله ، فيما استقرته من أعماله ، في جميع ما ذكرته عنه نفعه الله بما استفاده ونفعنا بما أفدناه .

وكتب أقل العبيد المظفري الأشرفي ابراهيم بن عمود الجلال الموصل الحاسب في شهور سنة ٦٩٠ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وشرف وعظم . ثم أقول وأنا أقل عباد الله ابراهيم الحاسب الملكي المظفري الأشرفي ان مولانا الملك الأشرف بن مولانا السلطان الأعظم الملك المظفر خلد الله ملكهما ، جدد اضطراباً قسمة السدس سنة ٦٩١ هجرية صحيحة وتحرير بالغ أعظم مما قبله ، مما استدللت به على زيادة فضائله ، فالله تعالى يزيد من فضله ، وينور باطنه بعلمه بمنه وكرمه ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم .

وأقول أيضاً ان مولانا الملك خلد الله ملكه أوقفني على سموت باضطراب قسمة الثلث سنة ٦٩٢ والسموت لعشرات ، فاستقرت الكثير منها أعني من السموت التي عملها بالآلات الصحيحة والحساب ، فوجدتها في غاية الصحة والتناسب ، مما استدللت بصحة يده ، وجودة ذهنه ، وتمكنه في العمل ، فحكمت بصحة ما يعمل من السموت ، وأجزت له أن يعمل بعد ذلك ما شاء من الاضطرابات المسمتة ، وكذلك مما يعمل من الساعات الزمانية والمستوية ، وخطي

الفجر والشفق ، بأي اصطراب شاء وذلك من جمادى الآخرة سنة ٦٩٢  
والحمد لله حق حمده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه كذب ذلك أقل العبيد  
المظفري الأشرفي ابراهيم الحاسب في التاريخ المذكور .

وهذه صورة الشهادة الثانية منها : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً وكذلك يقول العبد الفقير الى الله تعالى  
حسن بن علي الفهري المظفري اني شاهدت الاضطرابات التي أتقن احكامها  
ووضعها ، مولانا ومالكنا ، السيد الأجل العالم الأنبيل الملك الأشرف ممد الدنيا  
والدين عمر بن مولانا ومالكنا السلطان الأجل السيد الأوحد العالم العادل  
الملك المظفر شمس الدنيا والدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول خلد الله مملكتها ،  
فنها اثنان قسمة السدس عملا في سنة تسعين وستائة ، واثنان أحدهما قسمة  
السدس والآخر اكبر منه قسمة الثلث ، عملا في سنة تسع وثمانين وستائة ،  
واضطرابان قسمة السدس ايضاً عملا في سنة احدى وتسعين وستائة . وشاهدت  
جميع ما عمل بها من صحة الدوائر والمقنطرات والمراكز وانصاف الأقطار والقطرين  
التقاطعين على ظهورها ، وامتنحت حروف المضائد المستعملة وقيام الشظايا على  
المضائد ، ومقابلة ثقب الشظايا بعضها لبعض ، على موازاة حروف المضائد  
المستعملة ، واعتبرت كل واحد من ربعي الارتفاع فيها ، وادراجها من الواحد  
الى التسعين ، ومربعات الظل وأصابها الاثني عشر ، واقدم الظل ، واعتبرت  
ارباع الحجر في جميعها وادراجها الثلاث مائة وستين ، وخط وسط السماء مع  
وتد الأرض ، وخط المشرق والمغرب ، وانتهاء اطراف كل واحد من هذين  
القطرين الى محاذاة أرباع الحجر ، ودوائر المقنطرات ، ودائرتي مداري المنقلبين ،  
ودائرة مدار أول الحمل ، وأول الميزان ، وخط العصر ، وخط الفجر ، ومغيب  
الشفق ، والساعات الزمانية ، وفي الاضطراب السداسي الصغير المعمول في سنة

تسع وثمانين وستائة خطوط للساعات المستوية متقاطعة مع خطوط الزمانية ،  
ثم بعد ايام قريبة شاهدت الاطرلاب قسمة الثلث المعمول في سنة تسع وثمانين  
وستائة ، وقد سميت صفائحها الثلث لست عرض وهي : عرض يجر ، وعرض يجره ،  
وعرض يده ، وعرض يدل ، وعرض ٠٠ ، وعرض كاه ، فوجدت سموتها  
متقنة العمل صحيحة محققة قسمتها بعشر قسي عشر قسي من قسي السموت ،  
ووجدت الجميع من الاطرلابات المذكورة بقسمتها وتاريخها كاملة الجودة والتحقيق  
والصحة ، وأجزت له صناعة الاطرلاب ووضعها ، سبكاً وضرباً ورسماً ،  
لما استقرت من اتقانه ومعرفته ، وذكائه وفطنته ، واختباري لأعماله التي أحكمها ،  
وامتناني اياها ، ثم أجزت له أن يعمل ما شاء من الساعات المستوية ، يستخرجها  
بطرحها بحكمه علماً وتحقيقاً ، وشاهدت طرجمارين من احكامه وعمله أحدهما فضة ،  
والثاني نحاس ، فوجدتها في غاية التحقيق فليعمل ما شاء منها ، فقد وثقت  
بما استقرت منه في جميع ما ذكرته في خطي هذا ، ووثقت بثقوب معرفته  
وفطنته ، نفعه الله بالعلم والعمل آمين ، وذلك بتاريخ اليوم الثاني من رجب الأصم  
سنة الثنتين وتسعين وستائة أحسن الله خاتمتها وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله اه .

وفي الكتاب تساهل في كثير من المواضع في اللغة والاعراب ، وهو مما  
يفض عنه في مثل هذه الكتب ، لاسيما ان كان من طبقة الملوك الذين  
لايساعدهم الوقت على التنقيح ، والمهم في مثل هذا هو تعليم الصناعة  
بأي عبارة كانت .

## مقتطفات من كتاب

# الأشباه والنظائر للخالديين

( ٢ )

— ٧ —

[ ص ٣٤ : من شعر جران العود ]

وقال جران العود <sup>(١)</sup> :

- |   |                                |                                |
|---|--------------------------------|--------------------------------|
| ١ | كأنني يوم حثَّ الحاديان بهم    | مرتج من سلاف الحجر معلول       |
| ٢ | يوم ارتحلتُ برحلي قبل برذعني   | والقلبُ مستوهلٌ بالبين مشغولٌ  |
| ٣ | ثم اغترزتُ على كوري لأدفعه     | إئثر الحمول الغواذي وهو معقولٌ |
| ٤ | لم يُبق من كيدي شيئاً أعيش به  | طولُ الصباية والبيض المطايلُ   |
| ٥ | من يجول وشاحها اذا انصرفت      | ولا تجولُ بساقبها الخلاخيلُ    |
| ٦ | يرنو اليها ، ولو كانوا على عجل | بالشعب من مكة الشيب المناكيلُ  |

أما قوله « ثم اغترزت <sup>(٢)</sup> على كوري » البيت فلا يكون في الطيش والدهش  
وشغل القلب بالبين مثله لأنه ذكر أنه جعل رحله على جماله قبل برذعته <sup>(٣)</sup>

- 
- (١) اختيار الأصل ضمن الشذرات بآخر د جريز ٢٠١/٢ - ٢٠٢ والقصيدة  
في د ٣٥ - ٣٨ وفي منتهى الطلب ٩٦/١ أنها « تروى للنجف الحفاجي والحكم الحفري »  
وراجع اليتيم الثاني والثالث في الشعراء ٤٥٢ والحامسة ٤٤٢ والثاني فقط في خ ٤٥٠ .  
(٢) اغترزت أي وضعت رجلي في الفرز وهو الركاب .  
(٣) ما أسخف قول من فسّر بان الشاعر كنى بالبردعة عن الزوجة !

ثم ركبته واثاره وبعثه في السير وهو لا يعلم انه معقول دهشاً لما ناله من فراق من يحب ، والى هذا نظر أبو تمام في قوله <sup>(١)</sup> :

أظلكه البين حتى انه رجلٌ لو مات من شغله بالبين ما علمنا  
على ان جران العود أتى بما يمكن ويقوم في العقل وأتى ابو تمام بما لا يكون  
الا أنه إغراق جيد .

وقوله « يرنو اليها ولو كانوا » البيت [ نهاية في معناه ، فهو ] <sup>(٢)</sup> قد جمع محاسن كثيرة ، لأنه قد « يرنو اليها ولو كانوا على هَجَل » فجعل العجلان وغير العجلان في النظر اليها بمنزلة واحدة ، ثم قال « بالشعب من مكة » أي انهم في الحرم ، ومن كان في الحرم كان خاشع القلب غاض الطرف ، ثم قال « الشيب » والأشيب فلما يلتفت الى شيء من اللهو من جهات ، أما احداها فلما مضى من عمره ، والأخرى ان الأشيب أتقى من الشباب ، وأخرى ان الأشيب يستحي من الغزل أكثر مما يستحي الشباب ، ثم قال « المئاكيل » والمئاكل يشتغل بشكله عن النظر الى الحسن والقيح لا سيما اذا كان أشيب ثا كلا ، فقد بثس من الولد لكبره وعلو سنه ، والأوّل في هذا المعنى قيس بن الخطيم في قوله :

دبار التي كادت ، ونجن على منى ، تحلُّ بنا لولا نجاه الر كائب  
وقد ذكرنا هذا البيت ونظائره في صدر كتابنا هذا ، وبيت جران العود هذا الذي قدّمنا ذكره أجود من كل ما عميل في هذا المعنى وأشدّ إغراقاً <sup>(٣)</sup> .

(١) د ٢٦٨ . أظلكه أي غشبه وفي اوم « أظلكه » .

(٢) سقط من ب .

(٣) اوم « إغراقاً » .

— ٨ —

[ ص ٦٤ ]

بعض الأعراب :

- ١ رُجِحَ فلان من اللواتي بالضعى لذيولهنّ على الطريق غباراً<sup>(١)</sup>
  - ٢ وإذا خرجن يعُدن أهل مصيبة كان الخطأ [إسراعها]<sup>(٢)</sup> الاشبارة
  - ٣ يأنسن عند بعولهنّ إذا خلسوا وإذا هم خرجوا فهنّ خيفار
  - ٤ وكلامهنّ كأنها مرفوعه بجديهنّ إذا التقين سراراً
- من ههنا أخذ أبو تمام قوله<sup>(٣)</sup> :
- فالمشي همس والنداء إشارة خوف انتقامك والحديث سراراً

(١) تأمل قول صاحب المثل السائر ٢٩٤ في معرض الكلام عن عكس الظاهر (أي نفي الشيء بإيجابه وهو من مستطرفات علم البيان) : « ولقد مكثت زماناً أطوف على أقوال الشعراء فصدأ للظفر بأمتة من الشعر جارية هذا الجرى فلم أجد إلا بيتاً لاسرى\* الغيس . . . . . ولي أنا في هذا بيت من الشعر وهو :

أدنّين جلباب الحياء فلن يرى لذيولهنّ على الطريق غباراً

وظاهر هذا الكلام ان هؤلاء النساء يتبين هونا لحياهنّ فلا يظهر لذيولهنّ غبار على الطريق وليس المراد ذلك بل المراد انهنّ لا يتبين على الطريق أصلاً أي انهنّ مخبئات لا يخرجن من بيوتهنّ « وحسبنا ان نقول ان الخالدين لم يقرّوا ما يسمونه التوارد في مثل هذه الأحوال ، وقد قال صاحب المثل السائر نفسه « والذي عندي في السرفات انه متى أورد الآخر شيئاً من ألفاظ الأول في معنى من المعاني ولو لفظة واحدة فانّ ذلك من أدلّ الدليل على سرقة » . ص ٤٦٨ .

(٢) يياض في م وفي ا « لسراعها » .

(٣) د ١٣٠ والمسكري ٢١/١ والرواية « فالقول همس » الا في المتحل ٢٧٥

حيث « فالنسي » كما هنا . وقريب منه قول أعشى نيشل دق ٢٧/١٧ :

ينطقن مخفوض الحديث تهاؤساً . فلبنن ما حاولنّ غير تنادي

- ٩ -

[ ص ٨٠ ]

قال ذو الرمة <sup>(١)</sup> :

١ وليل كجلباب العروس اهتر عنه بأربعة والشخص في العين واحد

٢ أحم عِلافِي <sup>(٢)</sup> وأبيض صارم وأعيس مَهْرِي وأشعب <sup>(٣)</sup> ماجدأخذه البحري <sup>(٤)</sup> فقال :١ يانديبي بالسواجير من ود بن عمرو <sup>(٥)</sup> وبختر بن عتود

٢ اطلبنا ثالثاً سواي فاني رابع العيس والدحج والبيد

وما نعلم أن البحري أخذ لمتقدم معنى أو لحدث الا زاد فيه أو ساواه بكلام

عذب مليح الا هذا المعنى فانه لم يلحقه وقصر عنه ، والله درُّ ذي الرمة

(١) د ١٢٩ والمرقى ١٣/٣ : جلباب العروس أخضر والعرب تجمع بين الحضرة

والسواد ، وجاء في المدة ٤٥/٢ : « زعم الجاحظ انه قول ذي الرمة أراد به

سبوغه لالونه وأكثر الناس على خلاف قوله وأنا أرى أن هذا كقول عوف بن عطية

ابن الجزع التيمي يصف خيلاً :

وجلبان دحج قناع العرو من تدني على حاجبها الحمارا

اذن مسيرتفع الاشكال اذا تدننا ان الأصل « وليل أدعته كجلباب العروس »

أي كما تدور العروس الجلباب ، هذا وقد وجدت ان الجاحظ يبن في الحيوان ٢٤٦/٣

ان العرب يصفون الليل بالحضرة ا

(٢) أ « غدافي » .

(٣) ب « اشقت » وهي الرواية .

(٤) د ٢٠٥/١ وانظر نهج البلاغة ٣٢١/١ وجاء في الصناعتين ١٧٦ ان ابانم

أخذ المعنى من ذي الرمة فقصر وقال :

البيد والعيس والليل التام معا ثلاثة أبدأ بقرن في قرن

وبيت البحري في معناه : اطلبنا ثالثاً . . . الخ أجود من هذا الا انه لم يلحق

بيت ذي الرمة « .

(٥) د « من » بدل « عمرو » .

فلقد طرف كلام بيته [الأول] <sup>(١)</sup> وقد جود قسمة الثاني ، وقد ذكر قوم ولم يصح عندنا ان الجعري رد هذا المعنى في قصيدة أولها <sup>(٢)</sup> :

١ ما لها أولعت بقطع الوداد كل يوم تروعي بالعباد  
وان صح هذا الشعر للجعري فان معنى ذي الرمة أجود كثيراً ، بقول فيها :

٢ عنى الخضر بي فصبرني <sup>(٣)</sup> بعهدك عينا على عبار <sup>(٤)</sup> البلاد

٣ ثاني العيس ثالث الليل والسبير نديم النجوم ترب <sup>(٥)</sup> السهاد

- ١٠ -

[ ص ٩٥ : بمعنى وصف الابتسام ]

أعرابي <sup>(٦)</sup> :

١ هلاية أو من غير بن عامر بذوي المسرح من وادي المياه خيامها

٢ اذا ابتسمت في البيت والبيت مظلم أضاء دجى الليل الهمم ابتسامها

٣ تكشف برق من حبيبي ثلاث تكشف به سمحة <sup>(٧)</sup> الايماض غمها

قد أكثر الشعراء قديماً ومحدثاً في ذكر الابتسام وتشبيهه بالبرق ، وأسهبوا أيضاً في صفات الثغور وتشبيهها بالافحوان والاعريض والبرد والواو وغير ذلك ،

(١) سقط من أوب .

(٢) ١٨٢/١ واليت الثالث مع آخر لآي قام (لم يبتنا في د) في نسخة

البلاغة ٣٢١/١ .

(٣) د «كلمي الخضر لي فصبرني . . .» .

(٤) د «عباد» .

(٥) د «رب» بدل «ترب» .

(٦) الأولان للنايفة الجمدي في المرتضى ١٩٥/١ والرواية هناك :

«عقيلة أو من هلال بن عامر بذوي الرمث . . .» .

(٧) في الأصول «سمحة» وصححت في ب «سمحة» .

م (٥)

ونحن نذكر هنا من ذلك طرفاً وفي غير هذا الموضع أشياء بمشبهة الله وعونه ،  
فمن أحسن ما قيل في الابتسام وأجوده وأملحه قول الشاعر <sup>(١)</sup> :

أحاذر في الظلِّماء أن تستشِفَّني عيونُ الغياري <sup>(٢)</sup> في وبيض المضاحك  
هذا البيت أجود ما قيل في هذا المعنى ، وما نعرف مثله حسن كلام وجوده  
معنى واحكام بناء . من ذلك قول مسلم <sup>(٣)</sup> :

تبَسَّمتْ فاستضحكنا طامسة الدُّجى عن الأفق والظلماء أوجهها طحلُّ  
مثله [ أيضاً لحاتم ] <sup>(٤)</sup> :

يضى بها البيت الظليلُ خصاصه إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما  
ومثله <sup>(٥)</sup> :

كأنَّ ابتسام البرق بيني وبينها إذا لاح من بعض الحديثِ ابتسامها  
وهذان البيتان ، وان كانا للمتقدمين ، فما يقصر بيت مسلم عنها ، بل هو  
أجود لولا استكراه في لفظه ، وأما البيت الثاني الذي قدّمناه فما لمسلم  
ولا لغير مسلم عن أبتنا بشره أو نأتي ، مثله ، ولا آخر في هذا المعنى <sup>(٦)</sup> :  
يستبرق الأفقُ الغربيُّ ما ابتَسَمَت بَرَقَ السيوفِ سوى اغمادها القُضْبِ <sup>(٧)</sup>

(١) النويري ٦٧/٢ والراغب ١٣٦/٢ .

(٢) ا « العذاري » وفي النويري « العباري » .

(٣) دق ١٠/٤٥ والراغب ١٣٦/٢ من غير عزو .

(٤) زيادة في م والبيت لحاتم في د ص ٢٥ والعسكري ٢٤٣/١ وغ ٢٠٥/٨ .

ومختارات ابن السجري ١١ .

(٥) البيت باختلاف في الرواية للسهمري في اللائي ١٧٨ والنويري ٦٧/٢

والبحرية ١٧٦ وفي المصدر الأخير نفسه ١٧٣ لأنني العميل [ تصحيف « أني الدليل »

كتبة السهمري ؟ - انظر غ ٥١/٢١ ] وقد ثبت في د حاتم الطائي ص ٥٣ عن

قواعد الشعر للعلب وهو من غير عزو في خ ٤٨٣/٣ والراغب ١٣٦/٢ .

(٦) أبيت باختلاف في الرواية في اللسان ( برق ) .

(٧) في الأصول « برى » والتصحيح عن اللسان .

ومثله الجميل :

١ ونبتسم عن لمع البروق منصَّب  
أغر الذرى يُزجي<sup>(١)</sup> صَبِيْرًا<sup>(٢)</sup> منضدا  
٢ كشمس تجلّت عن فُروج غمامة  
وقد وافقت طلقا<sup>(٣)</sup> من النجم أسعدا  
والبجيري<sup>(٤)</sup> :

فيرجع الليل مبيضا إذا ضحكت  
عن أبيض خَصِر<sup>(٥)</sup> السطّين وضاح  
ومثله لذي الرمة<sup>(٦)</sup> :

إذا ما التقين من ثلاث وأربع  
تبتسن أياض الغمام المكائل  
وقال [آخر]<sup>(٧)</sup> :

إذا ما ابتسن حسبت البروق بدت لك في الليلة المظلمة  
قد ذكرنا هنا طرفا ما ذكر به الابتسام ، ونحن نأتي بما بقي في مواضع  
آخر من كتابنا هذا .

### - ١١ -

[ ص ١٢٢ : معنى مشي النساء والرجال ]

وقال ابن مقبل<sup>(٨)</sup> :

١ يَهزُزنَ للمشي أعطافا مُنَعَمَةً هزّ الرياح ضحى أغصان يَبْرِينَا

(١) اوب « رحي » م « مدحى » .

(٢) اوم « صبرا » ب « درا » والصبير : السحاب الأبيض .

(٣) اوب « طلما » وهو تصحيف ، انظر قول ذي الرمة « لها سنة كالشمس

في يوم طلقة » اللسان ( طلق ) .

(٤) د ١١٣/١ والعسكري ٢٣٨/١ والنويري ٦٦/٢ .

(٥) في السكري : « خضل » لأن قلة الريق تورث تغير الفم .

(٦) د ٥٠٧ .

(٧) زيادة في م .

(٨) في م « آخر » بدل « ابن مقبل » وهو نعيم بن أبي بن مقبل والبيتان

من قصيدته في المحبرة ١٦٠ - ١٦٣ مع أن الأول سقط منها هناك وهو موجود في

الغالي ٢٢٩/١ والشمره ٢٧٨ والاسان ( ذوق ) والنويري ١٠٧/٢ .

٢ بمشيه مثل<sup>(١)</sup> النِّقْمَا مالت جوانبُه ينهال<sup>(٢)</sup> حيناً وبينها الشَّرى<sup>(٣)</sup> حيناً  
 هذا من جيد ما قيل في المشي وقد ذكرنا قطعة من هذا النوع فيما تقدّم ،  
 ونحن نذكر هنا أشياء أخر لم نذكرها قبل هذا الوقت ، بل نذكر أموراً شتى  
 من أمور مشي النساء والرجال على ضروب مختلفة مثل مشي السكران وغيره ،  
 إذ كان قصدنا أن نمدّد في هذا الكتاب قطعة في كل نوع من أنواع الشعر ،  
 فن أحسن ما نعرف ، وهو أحقّ بالتقديم لجودة ألفاظه ورقة معانيه واحكام  
 ببنيته ، آيات لمسلم بن الوليد بذكر فيها مشي امرأة ، ولا نعرف في هذا  
 المعنى أحسن من هذه الآيات ، وهي<sup>(٤)</sup> :

- |                                       |  |
|---------------------------------------|--|
| ١ مريضة أثناء الهادي كأنما            | تخافُ على أحشائها أن تقطّما              |
| ٢ نسيبُ النسياب الأيمُ أخصرهُ الندى   | فرفع <sup>(٥)</sup> من أعطافه ماترَ فمما |
| ٣ تأملتها مغبرة <sup>(٦)</sup> وكأنما | رأيتُ بها من سِنَّةِ البدر مطنلعا        |
| ٤ إذا ما ملأت العين منها ملأتها       | من الدَّمعِ حتى تنزفَ الدمعَ أجمعا       |

لولا أنا شرطنا أن لا نقدم في هذا الكتاب الا أشعار المتقدمين ثم تأتي  
 بعد ذلك بالنظائر للمحدثين والمتقدمين ، لكان سبيلنا أن نجعل هذه الآيات

(١) كذا في أوبكا في الجمهرة ، وفي م « مبل » والرواية « هيل » .

(٢) ب و م « ينالك » .

(٣) كذا في ب وهي الرواية المشهورة ( انظر أيضاً العمدة ٢/٢٠٧ ) وفي م  
 « المرى » ا « المدي » ويمكن أن تكون « الندى » كما في البصرية ١٤٧ وبعدها :  
 من رمل عرفان أو من رمل أسنمة جمد الثرى بات في الأمطار مدجونا

(٤) لا توجد الآيات في د مسلم وقد ورد الأولان والأخيران بطريقتين  
 غير منسويتين في الحماسة ٥٦٥ و ٥٦٦ والأولان في الراغب ٢/١٣٩ للسدي  
 والأربعة نفس رواية النص في البصرية ١٩٥ .

(٥) ا « يرفع » .

(٦) رواية الحماسة « مفتره » أي على غرة منها وفي البصرية « مفتره »

وصحت « مفتره » .

الامام في هذا المعنى لجودة الفاظها وصحة معانيها وانها واسطة القلادة في هذا المعنى ؛ والمعاني في صفة المشي كثيرة التصرف ، فمن الشعراء من شبه المشي بتحرك الأغصان ، ومنهم من ذكر ذلك بانسياب الحية ، ومنهم من وصفه بمرور السحاب ، الى أشياء من التشبيهات <sup>(١)</sup> كثيرة ، ونحن نذكر من كل هذه الصفات والتشبيهات ما بعن لنا بحول الله وقوته .

المرجبي <sup>(٢)</sup> :

يمشي كما حرّكت ریحٌ یمانیة غُصْنًا من البان [رطبًا] <sup>(٣)</sup> طَلَّه الرِّهْمُ  
والى هنا نظر البحري في قوله <sup>(٤)</sup> :  
تهتز مثل اهتزاز الغصن أنْعَبَبَه <sup>(٥)</sup> مرور غيث من الوسمي - سحاح <sup>(٦)</sup>  
وقال ذو الرمة <sup>(٧)</sup> :

مشین كما اهتزت رماحٌ فسفت <sup>(٨)</sup> أعاليها مرضى الرياح النواعم  
آخر :

تأودنَ لما أتت تهادين نخونا كما حرّكت ریحُ العشيّاتِ خروعا

(١) اوم « الشبهات » .

(٢) بهامش ا « هو عبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان بن عفان سمي المرجبي لانه كان يسكن عرّج الطائف » واليت من كلمة له في غ ٣٨٨/١ والرواية هناك « أمتي » ( بدل « يمتي » ) يصف الشاعر مثيه هو الى الحُور اللاتي بعث اليه ان اينتنا ، وقد عهدنا مثل هذا التصرف عن الخالديين .

(٣) سقط من اوب .

(٤) د ١١٣/١ .

(٥) ب « ايتمه » .

(٦) في ا « هناك » مع ايات « سحاح » بالهامش .

(٧) د ٦١٦ وقد وردت رواية النسّ على انها هي الصحيحة في الكامل ٣١٣

الا ان هناك « النواعم » بدل « النواعم » .

(٨) كذا و « تسفدت » أيضاً عمل متعمد انظر اللسان ٣٩٣/١٧ .

آخر (١) :

يمشين مشي قطا البطاح تأودا قبَّ البطون رواجيح الأكنفال  
 وأول من شبه مشي المرأة بمشي السكران امرؤ القيس بقوله (٢) :  
 وإذ هي تمشي كمشي التزيفِ بصرعُه بالكثيب البهتر  
 وشبه المنخّل اليشكري بمشي القطة فقال (٣) :  
 ودفعها فتدافت مشي القطة الى الغدير  
 وقال ابن ميادة (٤) :

١ إذ الطوالُ سدّون المشي في خطّك قامت تزريك<sup>(٥)</sup> قواماً غير ذي أود

(١) نسب البيت الى « الكميّ بن زيد في رواية الزبيدي » في المرزبانى ٣٤٨  
 كذا في غ ١٩/١٥ والحيوان ١١٧/٥ وهو ضمن كلمة لـ « الكميّ بن معروف الأسدي »  
 في البصرية ١٤٧ وبعده :

وإذا اردن زيارة فكأننا ينقان ارجلن من اوحال  
 [وفي الباب ٢٧١ من غير عزو :

وكأنهن اذا اردن زيارة يُزلّ الجال دلجن بالأحال]

والبيت من غير عزو في غ ٢٢٧/٨ والنوري ١١٤/٢ .  
 (٢) العقد الثمين ق ١٠/١٩ وانظر الباب ٣٧ والراغب ١٣٩/٢ - وتبعه  
 كثير بقوله ، د ١٩٦/١ :

إذا ما مشت بين البيوت تحزكت ومالك كما يمال التزيف المُرّنج

(٣) من الأصحبة ٣٢ وانظر الحماسة ٢٦٤ .

(٤) البيتان له في الحيوان ٥٧٦/٥ .

(٥) كذا في ب « تزيك » من الزوك : مشي الغراب وهو الخطو المنقارب مع  
 تحرك جسد الانسان الماشي بتخترا ( انظر اللسان ) وهذا المعنى هو مقصود الشاعر ،  
 فإرن قول رثوية : « تزيك جسا في الثياب عبرا » ( عاصم الأراجيز ٢٧/٩ ) ،  
 وفي اوم « تزبل » وهو صحيح أيضاً قريب من معنى الزوك بل ربما وقع اللبس  
 بين المادتين ( انظر اللسان « زول » ) ، أما « تزيك » كما في الحيوان فأراه تصحيحاً  
 بلفظ البيت جماله ويفوت على الشاعر غرضه .

٢ تمشي ككدرية<sup>(١)</sup> في الجوف واردة<sup>(٢)</sup> تهدي مرروب قطايسرين للشمدة<sup>(٣)</sup>

آخز [ وهو جران العود ]<sup>(٤)</sup> :

فلما رأين الصبح بادرن ضوءه رسم قطا البطحاء أوهن اقطف

آخر<sup>(٥)</sup> :

وكأنهن إذا أردن خطا بقلن أرجلهن من رحل

البحري<sup>(٦)</sup> :

لماشين بندي الأراك تشابهت أعطاف قضبان به وقدود

آخر<sup>(٧)</sup> :

ويض تطلسى بالعبر كأنما بطان، ولو أعنتن في جددي، وحنلا

هذا بيت جيد في هذا المعنى لأنه لم يرض ان يجعلها تمشي في الجدد ،

وهو السهل المستوي من الأرض ، حتى قال : كأنها تطأ الوحل ، وان هي

أمرعت في مشيها .

(١) « تمشي كدرية » .

(٢) كذا في ب « في الجوف واردة » وفي اوم « في الجوف واردة » كما في معظم

نسخ الحيوان وفي نسخة منه « في الجوف فاردة » لعل النسخ خلطوا بين « ... ف » و « ... » .

(٣) في الحيوان « يشرب بالتمد » وروايتنا أحسن لأن الشاعر مثنى بالبر آل

الماء لا بالشرب .

(٤) زيادة في ب والبيت له في د .

(٥) البيت من كلمة لصالح بن عبد القدوس في الوحشيات ( نسخة الدار رقم ٢٢٩٧

أدب ) ١٦٨ وهو لابن عائشة في النوري ١٠٦/٢ وللوسوي في الراغب ١٣٩/٢ ، وما أقرب هذا البيت من قول الكمي الذي نقلناه آنفاً :

وإذا أردن زيارة فكأنما يتقلن أرجلهن من أوحال

(٦) د ١٢٧/١ والراغب ١٣٩/٢ .

(٧) الراغب ١٣٩/٢ ومثله قول من بن أوس ، د ص ١٩ .

أوانس يركضن المروط كأنها بطان إذا استوسدن في جددي وحنلا

آخر :

خرجت تَاطَّرَ في الثياب كأنها أئيم يسيب على كَثِيبٍ أهْبِيل  
وصفها [ بالثني والتمننية لا تكون إلا ]<sup>(١)</sup> بطيئة المشي ، والتأطَّر :  
التنثني ، يقال أطرَّتُ العِصنُ أي ثَنَيْتُهُ ، قال كثير<sup>(٢)</sup> :  
تَاطَّرَنَ حتى فات : لَسَنُ<sup>(٣)</sup> بوارحاً وذُبُنُ كاذب السديف<sup>(٤)</sup> المُسَرَّهَدُ  
آخر<sup>(٥)</sup> :

يزجبن بكرأ يُنْسِج<sup>(٦)</sup> الرِّيط مشيها كما مارَ ثعبان الغضا المتدافعُ  
فأما اول من شبه المشي بمشي السكران للثني والانعطاف فامرؤ القيس في قوله<sup>(٧)</sup> :  
وإذ هي تمشي كمشي التزيفِ يصرعه بالكثيب البهْرُ  
أخذه مضرس الفقعي فقال :  
نَحَاكَرُ سلمى من سجيية مشيها وما سكر سلمى من طلاء ولا خَمْرُ  
وقال الشماخ<sup>(٨)</sup> :

تَخَامَصُ عن برد الوشاح إذا مشتْ تخامُصُ حاً في الخيل في الأعر الورجي

(١) ب « بالتالي في الشبة أي تكون » .

(٢) د ١١٥/١ ونسبة البيت الى عمر بن أبي ربيعة ( د ق ٣٧٠ ) أكثر واقوى .  
هذا وجاء في اللسان ( أطر ) : تَاطَّرَتِ المرأة أي لزمت بيتها . وقال سحيم ،  
د ب/ ٤٦ :

تَاطَّرَنَ حتى فات لسن بوارحاً ولا لاحقات الحى الا سواريا  
(٣) م « ليس » .

(٤) اوب « التزيف » .

(٥) من كلمة محمد بن عبد الله السلامي في نقد الشعر ٩ .

(٦) كذا في ب وفي ا « يبيج » وفي نقد الشعر « يبير » .

(٧) أنى عمر بن أبي ربيعة منه فقال :

تمشي الهوبنا اذا مشت ففضلاً مشي التزيف المخمور في الصمد

د ص ٢٢٢ .

(٨) د ٧ والشعراء ١٧٨ واللسان ( خمص ) .

أخذه جرير فقال (١) :

إذا مامشت لم تبتسهر وتأودت كما انشأد من خيل وج غير متعل  
 وشبه عبد بني الحسحاس مشي النساء بتدافع السيل فقال (٢) :

تهادي سيل جاء من رأس تلعة إذا ماعلا صندأ تفرع واديا  
 اخذه حميد بن ثور فقال :

نجوات تهادي مشية مرجحة تهادي سيل قد مضى ونصرما  
 وقال مسلم في صفة مشي السكران (٣) :

١ دارت عليه فزادت في شمائله لبن القضب ولحظ الشادين القرد

٢ مشيته لما تمشت في مفاصله (٤) لعب الرياح بغصن الباقه الخضيد

اخذه خالد الكاتب فقال :

وولى وفعل السكر في حركانه (٥) كفعل نسيم الريح في الغصن الغض

فأما وصف مشية السكران على غير هذا المذهب (٦) فمثل قول الشاعر :

١ استغني بالكبير ، ياسعد ، حتى أحسب الناس كأنهم لي عيدا

٢ وأراني ، إذا مشيت ، كأنني أعدل الأرض خشية أن تميدا

اخذه الآخر فقال :

وما زلت أشرب حتى اعتمدت على الأرض أعدائها أن تميلا

(١) د ٦٢/٢ .

(٢) د ب/١٥ .

(٣) لا يوجد البيتان في د ولعلها سقطا من القصيدة ٨ .

(٤) ا « تفاسله » .

(٥) ا « لحظاته » .

(٦) يذكر لمسلم أيضاً قوله :

إذا ماعلت منا ذؤابة شارب

تمشيت به مشي المقيتد في الوحل

الظر العمدة ٤٧/٢ ( د ق ٣٠/٣ ) .

- ومن جيد ما قيل في هذا المعنى قول الآخر <sup>(١)</sup>
١. سقاني هذبل من شراب كأنه دم الجوف يستدعي الحليم إلى الجسهل  
 ٢. فما زلت أسقى شربة بعد شربة لعمر ك حتى رحت متهم العقبل  
 ٣. أخرجت أجوب الأرض أركل منسها إذا هي مالت بي فيعد لها ركلي  
 ٤. بقدمي طوراً أمامي قاصداً وبر كض مشي القهري مرة رجلي  
 ٥. نرى عيني الحيطان حولي كأنها تدور ولو كلفتني قلت: ذو خيل <sup>(٢)</sup>  
 ٦. فلا العين تهديني، وبالرجل ما بها <sup>(٣)</sup> فلا يا بلائي ما بلغت إلى أهلي

آخر :

وذي غيّد <sup>(٤)</sup> لم يدري ما انخر قبلها سقيناها حتى صار قيدا له السكير  
 قد ذكرنا شيئاً من ضروب المشي ، وانما ذكرنا من كل شيء سيراً كما شرطنا ،  
 ولو أردنا أن نأتي بما قيل في جميع الفنون بأمره لطال ذلك واتسع  
 ولكن في شعر الجعدي وحده ما يقع في كتاب مفرد ، ولا بد بعد هذا  
 أن نذكر منه شيئاً آخر ان شاء الله .

الدكتور محمد يوسف (القاهرة)



(١) الأبيات بحذف الرابع وإضافة بيتين آخرين في المرزباني ٢٨٢ لهي بن أبي كثير  
 مولى بني أسد وقيل بل مولى بني تيم اللات بن ثعلبة ، شاعر مكثّر صاحب شراب  
 وقوة . . . . . استنكبه أبو بيجر الأسدي عند تولده الأهواز للنعصور . . . . .  
 والثلاثة الأول من ستة بدون عزو في نوادر الغالي ٢٢٠ .  
 (٢) اوم « سعل » .  
 (٣) اوم « وبالرجل تأميا » ب « ولا الرجل تأميا » والتصحيح عن المرزباني .  
 (٤) كذا في ب « ذي غيد » بدل في ا « رعه » م « رعية » وأفضل  
 « ذي رعدة » .

## مقدمة المرزوقي

### في شرحه لحماسة أبي تمام

«... يبين فيها الفرق بين النثر والنظم، والكاتب والمؤلف، وبين اختيار أبي تمام شعر غيره واختياره شعر نفسه، وأسباب ذلك...»

وقفت على مقدمة المرزوقي هذه في شرحه لحماسة أبي تمام، وهي مقدمة نقدية بارعة قل أن نظفر في الخزانة العربية، في باب النقد، بثقل دقتها وتحديدها، ولعلمها وحدها هي التي عالجت عمود الشعر ووضعت معاييرها. وقد آثرت تحقيقها ونشرها واعتمدت النسخ الأربعة<sup>(١)</sup> التالية:

### ١- نسخة دار الكتب المصرية

يصف فهرس الدار هذه النسخة (٣٠٦ أدب) فيقول: «بها ترقيع ونقطيع وتلويف وأكل أرضة» وهي في ٣٤٧ ورقة (قياس ٢٨ × ١٩) والمكتوب منها (٢٣ و ١٤ × ٥) تشمل نصف ديوان الحماسة، وتنقطع عند أبيات من باب المرآة (الأبيات الدالية). كأني وصيفياً خليلي... ديوان الحماسة مطبعة التوفيق ١٣٢٢ هـ ج ١ ص ٢٦٧).

(١) يشير الأستاذ بروكلمان إلى نسخ أخرى كثيرة من شرح ديوان الحماسة موزعة بين برلين ولندن وليدن والآستانة والموصل وطهران. وقد كنت أرجو أن يتاح لي الاطلاع عليها جميعاً، ولكنني وجدتني مضطراً أن أقتصر على ما اقتصر عليه.

والمقدمة منها تستغرق عشر صفحات من ظهر الورقة الثالثة والورقات التي تليها حتى بعض وجه الثامنة ، وهي مكتوبة بخطين وورقين مختلفين ، قديم وحديث ، ويبدو أنه كان من فعل الأيام بها أن ضاع بعضها الأول فعمد أحد النساخ أو الممتلكين إلى تعويض هذا الذي ضاع فكتب صفحتين ونصف الصفحة بخط وورقي يخالفان خط النسخة الأصلية وورقها ، حتى إذا بلغ منقطع النص جرى قلمه ببعض الكلمات (فإذا كان الأمر على هذا فالواجب أن يتبين ما هو) توثيقاً للصلة بين الجزئين : الجزء الباقي والجزء المفقود الموعوض ، ثم ترك بقية الصفحة فارغة<sup>(١)</sup> .

وتحديد تاريخ هذه النسخة عسير ، لأنه ليس في صفحاتها الأولى ولا الأخيرة ما يساعد على ذلك من ذكر تاريخ النسخ مثلاً أو اسم الناسخ أو اسم ممتلك معروف ، بل انه ليس في صفحاتها الأخيرة ما يدل على انتهاء الجزء ، فإذا كان هنالك مكان للترجيح فان قلم النسخة وورقها يرجحان أنها كتبت في زمن لا يرقى الى القرن السابع ولكنه يدور حوله .

والنسخة بعد ، حسنة الخط ، مشكولة ، في حواشها توضيح بعض الكلمات التي تعسر قراءتها ، باعادة كتابتها ، ولعلها أن تكون في جزئها الثاني القديم أفضل النسخ وأدناها الى الصواب ، ولكن الذي لا شك فيه أنها أقدمها .  
وقد رمزت الى هذه النسخة عند التحقيق بالحرف (١) .

## ٢ - نسخة جامعة فؤاد الأول

ذكر فهرس خزانة الجامعة هذه النسخة تحت رقم ٢٢٩٦٩ دون أن يصفها بشيء . وهي نسخة فوتوغرافية مأخوذة عن إحدى خزائن الأستانة ، في ٢٥١ لوحة ، تتضمن الجزء الأول الذي ينتهي بشرح آيات مسجح بن سباع (الآيات الميمية : وأي فتى ودعت ٠٠٠ الحماسة مطبعة التوفيق ١٣٢٢ هـ ج ١

(١) انظر هنا من ٨٢ سطر ٣ .

ص ٢٩٠ دون ذكر لصاحب الأبيات ) ، ثم تنقطع النسخة عند أول الجزء الثاني فنذكر الأبيات الثلاثة الأولى فقط من أبيات حراز بن عمرو يرثي زيد الفوارس .

والمقدمة منها تنتهي في اللوحة السادسة ، وعلى النسخة خاتم وقف والده السلطان عبد الحميد ، غير أنه ليس في صفحاتها كذلك ما يسهل تجديد تاريخها والمرجح أنها كتبت حوالي القرن الثامن .

وهي مكتوبة بخط عادي جميل ومشكولة شكلاً كاملاً لا يتخلو أحياناً من خطأ ، وميزتها أنها نسخة متقنة ، وان المقدمة والكتاب ، كليهما ، من خط واحد منسق ، على حين كان جزء كبير من المقدمة في النسخة السابقة مكتوباً بخط حديث . ويبدو أثر ذلك في التصحيحات التي أفدتها منها وبخاصة في القسم الأول من المقدمة .

وقد رمزت الى هذه النسخة عند المعارضة بالحرف ( ب ) .

### ٣ - نسخة الأستاذ الشنقيطي ( دار الكتب المصرية )<sup>(١)</sup>

تقتصر هذه النسخة على مقدمة المرزوقي ، وقد جاءت في فهرس الدار ضمن مجموع رقمه ( ٦٤ ش نحو ) وعدد صفحاته ٢٩٢ ( قياس ٢٦ × ١٧٥٥ ) والمكتوب منها ( ١٨٥٥ × ١٣ ) . مضمومة الى رسالة « شرح الأبيات المشككة الاعراب لأبي نصر التنجي » .

ويبدو أن الأستاذ الشنقيطي رحمه الله ، استنسخها من إحدى خزائن الأستانة ، ثم ألحقها أو ألحقت عند التجليد بالكتاب المذكور .

(١) أنا مدين بالاطلاع على هذه النسخة إلى الأستاذ الصديق محمد بن تاويت الطنجي ، وفي هذه الإشارة اشادة بفضلته .

وهي تبدأ بالصفحة ٢٧٣ من هذا المجموع وتنتهي مع نهايته ، وفي الأسطر الأولى كتب الشنقيطي رحمه الله تعريفه بهذه الرسالة وهو التعريف الذي ساقه أصحاب فهرس الدار .

وفي ختامها أن الكتاب تمَّ في الواحد والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وستائة ( ٦٢٣ ) وأنه كمل رسم خط هذه النسخة في اليوم السابع عشر من ذي القعدة الذي هو من شهور القرن الرابع عشر من هجرته صلى الله عليه وسلم .

والمجموع كما ترى من تاريخه حديث ، ولكن ميزته تأتي من هذه النواحي الثلاث : من ناحية الناسخ فقد كان متقناً دقيقاً ، ومن ناحية الأصل إذ يرتد الى أوائل القرن السابع ، ومن ناحية الأستاذ الشنقيطي - وتلك أم النواحي - فقد راجع النسخة وقرأها وصحح بعض كلماتها .

وقد أشرت الى هذه النسخة عند المقابلة بالحرف ( ش ) .

#### ٤ - نسخة خزانة طلعت

ذُكرت هذه النسخة في فهرس خزانة طلعت ( احدي الخزان الخاصة في دار الكتب ) تحت رقم ٤٩٦٢ وهي بمجلد واحد في ٣٤٨ ورقة ( قياسها ٢٣٥٥ x ١٥٥٥ والمكتوب منها ١٤ x ١٠٥٥ ) تستغرق المقدمة منها خمس أوراق ( من الورقة الخامسة ) يبدأ بعدها الشرح ويستمر في جزئين في خط عادي غير مشكول ، إلا في الأقل ، وبعض الكراريس مختلف خطها عن سائر أخواتها ، وعلى هامش بعض الصفحات تعليقات تكثر ونقل ، وهي بخط أحدث من خط النسخة نفسها ، وقد ذكر ناسخها أن فراغه منها كان في شعبان من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ( ٧٣٣ ) .

وقد أشرت الى هذه النسخة بالحرف ( ط ) .

وتلخيص النظر في هذه النسخ من حيث قيمتها وتاريخها ينتهي بنا الى أن نسخة دار الكتب أقدم هذه النسخ وأقربها الى الضبط لولا أن جزءاً من مقدمتها حديث - ونسخة جامعة فؤاد الأول متأخرة عنها في الزمن ولكنها تفوقها في الضبط - ونسخة الشنقيطي أقرب الأربيع الى الضبط لولا حداثة خطها ولولا أنا لا نعرف ما صحح الشنقيطي مما كان صحيحاً في الأصل - ونسخة خزانة طلعت أكمل النسخ ولكنها أكثرها خطأً رغم الهوامش التي حلاها بها صاحبها ورغم الاشارات المبثوثة في أطرافها ذالّة على مراجعتها .

\*  
\*\*

وقد تحرّبت الضبط ما استطعت في نشر هذه المقدمة الطيبة ، ولكنني لم أثبت هذه الوجوه الهينة البسيرة من الخلاف التي ترجع الى طبيعة النسخ وعاداته التي درج عليها من مثل تخفيف الهزمة أو تحقيقها ، وإهمال الحروف أو إجماعها ، وتأنيث الضمائر أو تكبيرها حين يكون ذلك جائزاً ؛ وإنما قصدت إلى إبراز النص واضحاً نبيراً ، وأرجو أن أكون قد وفقت . ومن الله العون .

## النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الحمد لله رب العالمين (٢) خالق الانسان متميزاً بما علمته من التبيين (٣)

والبيان، وصلى الله على أفضل من ضدع بأمره وزجره داعياً (٤) وناهياً، وعلى  
الطاهرين من آله وسلم .

وبعد فانك جاذبني (\*) - أظال الله بقاءك (٥) في أشمل سعادة وأكمل سلامة -

- لما وجدتي (٦) أقصر ما استفضله من وقتي (٧) وأستخلصه من وكدي على

عمل شرح للاختيار (٨) المنسوب الى ابي تمام حبيب بن أوس الطائي المعروف

بكتاب الحماسة - أمر الشعر (٩) وفنونه، وما نال (١٠) الشعراء في الجاهلية

وما بعدها وفي أوائل أيام الدولتين وأواخرها من الرفعة به إذ كان الله (١١)

عز وجل قد أقامه للعرب مقام (١٢) الكتب لغيرها من الأمم فهو مستودع

آدابها ومستحفَظ أنسابها وديوان حججها (١٣) يوم (١٤) الخصاص، ثم سألتني

(١) في ( ط ) وبه نستعين .

(٢) لم تذكر « رب العالمين » في ( ش ) و ( ط ) و ( ب ) .

(٣) ( ش ، ط ) التبيين . (٤) في ( ا ) وداعياً .

(\*) النسخ جيداً على أنها ( جاريتي ) والوجه في هذا التصحيح للأستاذ محمد احمد

خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة فاروق ، يرى في ذلك اتساق الكلمة مع قول المؤلف

بعد صفحات ( انظر ص ٨٢ سطر ٤ ) آمناً من المجاذيب والمدافين .

(٥) في ( را ، ب ) بقاءك ، على التسهيل . (٦) في ( ب ، ط ، ش ) رأيتني .

(٧) في ( ط ) ما استفضله من وقتي واستخلصه من دقتي واستخلصه من

فكرتي على عمل . (٨) الاختيار في ( ط ) .

(٩) في ( ط ) في أمر الشعر وفي ( ا ) أمر بالشعر .

(١٠) في ( ا ) نال . (١١) في ( ش ) تعالى عز وجل .

(١٢) في ( ط ) كالكتب . (١٣) في ( ا ) حججها .

(١٤) في ( ب ) و ( ط ) عند .

عن شرائط الاختيار فيه وعمما يتميز به النظم عن النثر وما يحمد او يذم من الغلو فيه أو القصد، وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها حتى نصير جوانبها محفوظة من الوهن وأركانها محروسة من الوهن<sup>(١)</sup> إذ كان لا يحكم للشاعر أو<sup>(٢)</sup> عليه، بالإساءة أو بالاحسان، إلا بالفحص عنها وتأمل ماأخذه<sup>(٣)</sup> منها ومدى شأوه فيها وتمييز المصنوع مما يحوكه من<sup>(٤)</sup> المطبوع والأتني المستهمل من الأبي المستنكر<sup>(٥)</sup> . . . وقضيت<sup>(٦)</sup> العجب كيف وقع الاجماع من النقاد على أنه لم يتفق<sup>(٧)</sup> في اختيار المقطعات أتقى مما جمعه ولا في اختيار المقصودات أوفى مما دونه المفضل ونقده، وقلت إن أبا تمام معروف المذهب فيما يقرضه مألوف المسلك لما بنظمه<sup>(٨)</sup> نازع في الابداع الى كل غاية، حامل في الاستعارات كل مشقة، متوصل الى الظفر بطوبه من الصنعة أين اعتسف وبماذا عثر، متقلقل الى توغير اللفظ وتغميض المعنى أتقى له وقدر، وهو عادل فيما انتخبه في هذا المجموع عن سلوك معاطف ميدانه، ومرئض مالم يكن فيما يصوغه من أمره وشأنه، فقد فليته<sup>(٩)</sup> فلم أجد فيه ما يوافق ذلك الأسلوب إلا البسير ومعلوم أن طبع كل امرئ، إذا ملك زمام الاختيار، يجذبه الى ما يستلذه ويهواه ويصرفه عما ينفر منه فلا يرضاه .

(١) في (ب) الوهن . (٢) في (أ) وعليه .

(٣) في (ب، ش) مأخذه .

(٤) أول الصفحة الثانية من (ش) على اعتبار ان الصفحة الأولى أول المقدمة (البسلة) .

(٥) في (أ، ط) المستنكره . (٦) في (ط) وقضيه .

(٧) في (أ) يتفق .

(٨) في (ب، ش، ط) هذه الرواية وفي (أ) لما ينظمه قلما ينظمه . ولعله

أراد فيما ينظمه وهي أقرب الى صحة العبارة .

(٩) في هامش (ط) التفسير اللغوي التالي : فليت الشعر اذا تدبرته واستخرجت

معانيه: وغريبه .

وَزَعَمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْمَعُ أَنَّكَ (١) مَعَ طَوْلِ مَجَالِسَتِكَ لِحَابِذَةِ الشُّعْرِ وَالْعُلَمَاءِ  
جَمَالِيَّةٍ وَالْمَبْرُزِينَ (٢) فِي انْتِقَادِهِ لَمْ تَقِفْ مِنْ جِهَتِهِمْ عَلَى حَدِّ بُؤْدِيكَ (٣) إِلَى  
الْمَعْرِفَةِ بِجَيْدِهِ وَمَتَوَسُّطِهِ وَرَدِيَّتِهِ (٤) حَتَّى تَجْرِدَ الشَّهَادَةَ فِي شَيْءٍ مِنْهُ وَتَبْتَ  
الْحُكْمَ (٥) عَلَيْهِ أَوْ لَهُ ، أَمَّا مِنَ الْمُجَادِبِينَ وَالْمُدَافِعِينَ ، بَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا  
يَسْتَحْجِزُهُ زَيْدٌ بِجُوزِ أَنْ لَا يُطَابِقَهُ عَلَيْهِ عَمْرُو وَإِنَّهُ قَدْ يُسْتَحْسِنُ الْبَيْتُ وَيُنْتَنَى  
عَلَيْهِ ثُمَّ يَسْتَمُجِنُ نَظِيرَهُ فِي الشَّبْهِ لَفْظًا وَمَعْنَى حَتَّى لِاخْتِالْفَةِ (٦) فَيَعْرِضُ عَنْهُ  
إِذْ كَانَ ذَلِكَ مَوْقُوفًا (٧) عَلَى اسْتِحْلَاءِ الْمُسْتَحْلِي وَاجْتِوَاءِ الْمَحْتَوِي (٨) وَأَنَّهُ كَمَا  
يُرْزَقُ الْوَاحِدُ فِي مَجَالِسِ الْكِبَارِ مِنَ الْأَصْفَاءِ إِلَيْهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ مَا (٩) يُجْرِمُ  
صَنُوهُ وَشَبِيبِهِ (١٠) مَعَ أَنَّهُ لَا فَضِيلَةَ لِدَلِكِ (١١) وَلَا تَقِيصَةَ لِهَذَا إِلَّا مَا فَازَ (١٢)  
بِهِ مِنَ الْجِدِّ عِنْدَ الْأَصْفَاءِ وَالْقَسَمِ .

وَقَلْتُ أَيْضًا إِنِّي أَمْتَمْتُ أَنْ أَعْرِفَ السَّبَبَ فِي تَأْخُرِ الشُّعْرَاءِ عَنِ رَتْبَةِ الْكُتُبِ

(١) سَقَطَتْ (أَنْكَ) فِي (١) .

(٢) بَرَّزَتْ الشَّيْءَ تَبْرِيْزًا أَيْ أَظْهَرْتَهُ وَبَيَّنْتَهُ ، وَبَرَّزَ الرَّجُلُ أَيْضًا فَاقَ عَلَى أَصْحَابِهِ  
وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ إِذَا سَبَقَ وَامْرَأَةٌ بَرَزَتْ أَيْ جَلِيْلَةٌ تَبْرُزُ وَتَجْلِسُ لِلنَّاسِ . وَقَدْ  
جَاءَ هَذَا الشَّرْحُ فِي هَامِشِ ( ط ) كَثِيرٌ النِّقْصُ شَدِيدُ الْاضْطِرَابِ فَأَثْبَتَهُ  
مُسْتَفِيدًا مِنَ الصَّحَاحِ .

(٣) النَّسْخَ عَلَى تَسْهِيلِ الْهَمْزَةِ .

(٤) النَّسْخَ عَلَى تَسْهِيلِ الْهَمْزَةِ (رَدِيَّة) إِلَّا (ش) .

(٥) كَذَا فِي (١ ، ط) وَ تَبْتَ لِتَحْكَمَ فِي (ب ، ش) .

(٦) مَطْلَعُ الصَّفْحَةِ الثَّانِيَةِ فِي نَسْخَةِ (١) عَلَى اعْتِبَارِ الصَّفْحَةِ الْأُولَى أَوَّلِ الْمَقْدَمَةِ (بِالسَّمَلَةِ) .

(٧) « « « « « (ب) « « « « «

(٨) فِي (ط ، ١) احْتِوَاءِ الْمَحْتَوِي بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ .

(٩) فِي (ط) مِمَّا .

(١٠) فِي (١) وَشَبِيبِهِ وَفِي (ط) تَبْدُو الْكَلِمَةُ بَيْنَ بَيْنَ .

(١١) فِي (١) لِذَلِكَ وَفِي (ط) فِي ذَلِكَ . (١٢) فِي (ط) مَا كَانَ .

البلغاء والعدر<sup>(١)</sup> في قلة المترسلين وكثرة المفلقين<sup>(٢)</sup> والعللة في نباهة<sup>(٣)</sup> أولئك<sup>(٤)</sup> وخمول هؤلاء، ولماذا كان أكثر المترسلين لا يُفلقون في قرض الشعر، وأكثر الشعراء لا يبرعون في انشاء الكتب حتى 'خص' بالذكر عدد يسير منهم مثل ابراهيم بن العباس الصولي والبي<sup>(٥)</sup> علي البصير<sup>(٦)</sup> والعتابي في جمعهم بين الفنين واغترازهم<sup>(٧)</sup> ركاب الظهين، هذا ونظام البلاغة يتساوى في أكثره<sup>(٨)</sup> المنظوم والمنثور<sup>(٩)</sup>.

وأنا إن شاء الله وبه الحول والقوة أورد في كل فصل من هذه الفصول ما يحتمله هذا الموضوع ويمكن الاكتفاء به إذ<sup>(١٠)</sup> كان لتقصي<sup>(١٠)</sup> المقال فيه موضع آخر من غير أن أنصب<sup>(١١)</sup>، لما<sup>(١١)</sup> تصوره<sup>(١٢)</sup> النعوت<sup>(١٢)</sup>، الأمثلة تغادياً<sup>(١٣)</sup>

- (١) سقطت هذه الكلمة (والعذر) في (ط) لأن الأسطر الأخيرة من الصفحة الأولى كتبت بخط حديث، لاهتمامي فيها. والصفحة الثانية تبدأ بكلمة (في قلة).
- (٢) في هامش (ط) الفليقي بالكسر الداهية والامر المعب، تقول منه أفلق الرجل وافلتق وشاعر 'مفلق' قد جاء بالفلق.
- (٣) في (ط) والعلق ونباهة وهو تحريف يبين.
- (٤) على التسهيل (أوليك) في (ط) والتسهيل والهمز في (ب) (أوليك).
- (٥) في (أ) وأبو، على سقوط كلمة مثل: عدد يسير، منهم ابراهيم وأبو علي.
- (٦) سقطت الواو في (ط). (٧) الكلمة كلها مهملة في (ط).
- وفي للمعجم اغترز الراكب رجليه في الفرز (ركاب الرحل) جعلها فيه.
- (٨) في (أ) أكثرهم. (٩) في (ط) المنثور والمنظوم.
- (١٠) في (ط) إذا كان لتقصي. (١١) في (ط) بما.
- (١٢) سقطت الهاء في (ط). وجاء بعدها في أول سطر جديد (والنعوت) زيادة الواو، ولا شك في أن الواو الزيادة هنا في أول السطر هي الهاء الساقطة من آخر السطر السابق مجتلبةً هنا على أنها واو خطأً.
- (١٣) في هامش (ط): تنادى فلان من كذا إذا تحاماه وأزوى عنه (صحاح). وقد جاء هذا الشرح اللغوي مضطرباً في كتابته فصحته بمقابلته على الصحاح.

من الاطالة لأنه (١) اذا وضع السبيل (٢) وقعت الهداية بأيسر دليل ، والله عز وجل (٣) ، الموفق للصواب وهو (٤) حسبنا ونعم الوكيل .

\* \* \*

اعلم ان مذاهب نقاد الكلام (٥) في شرائط الاختيار مختلفة وطرائق ذوي المعارف بأعطافها واردافها مفترقة ، وذلك لتفاوت أقدار منادحها على اتساعها (٦) وتنازع (٧) أقطار مظانها ومعالمها . ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمثلة (٨) في المنشور اتسع مجال الطبع فيها ومسرحه ، وتشعب مراد الفكر فيها (٩) و (١٠) مطرحه .

فمن البلغاء من يقول (١١) : فقر الألفاظ وغررها كجواهر العقود ودررها فاذا وسم أعفأها (\*) بتعدين (١٢) نظومها وحلتي أعظأها بتركيب (١٣) شذورها فراق مسموعها ومضبوطها وزان مفهومها ومحفوظها وجاء ما حرت منها (١٤) مصفتى من كدر العي (١٥) والخطل ، مقوماً (١٦) من أود اللحن والخطأ ، سالمًا من جنف (١٧) التأليف ، موزونًا بميزان الصواب ، يوج في حواشيه رونق الصفاء لفظاً

(١) في ( ط ) ولأنه .

(٢) في ( ش ) السبل وهو لا يساعد على سجع العبارة .

(٣) لم ترد ( عز وجل ) في ( ش ) . (٤) أول الصفحة الرابعة في ( ش ) .

(٥) في ( ط ) مذاهب النقاد في شرائط .

(٦) في ( ا ) لتفاوت اقتدارها على اتساعها .

(٧) في ( ط ) تبايح . (٨) في ( ط ) هي الأمثلة .

(٩) في ( ب ، ط ) لها . (١٠) سقطت الواو في ( ط ) .

(١١) سقطت ( من يقول ) في ( ط ) . (١٢) في ( ا ) بحسن .

(\*) مفردة 'غفل' وهو من التذاح والدواب وغيرها ما لا علامة فيه .

(١٣) في ( ا ) بتركيب بترك وهي زيادة خاطئة .

(١٤) سقطت في ( ط ) . (١٥) في ( ط ) التي .

(١٦) في ( ط ) معوماً ، .

(١٧) وردت على صور مختلفة باختلاف النقط في النسخ الأربع .

وتركيباً - قبله الفهم والتذء به السمع ، واذا ورد على ضد هذه الصفة صدى الفهم منه وتأذى السمع به تأذى الحواس بما يخالفها .

ومنهم من لم يرض بالوقوف على هذا الحد فجاوزه (١) والتزم من الزيادة عليه تميم المقطع وتلطيف المطلع ، وعطف الأواخر على الأوائل ، ودلالة الموارد على المصادر ، وتناسب الفصول والوصول ، وتعادل الأقسام والأوزان ، والكشف (٢) عن قناع المعنى بلفظ هو في الاختيار أولى حتى يطابق المعنى اللفظ ويسابق فيه الفهم السمع . قال ولا غاية وراء هذا .

ومنهم من ترقى الى ما هو أشق وأصعب فلم تقنعه (٣) هذه التكاليف في البلاغة حتى طلب البديع من الترصيع والتسجيع والتطبيق والتجنيس وعكس البناء في النظم ، وتوشيح العبارة بالفاظ مستعمارة ، الى وجوه أخر (٤) تنطق بها الكتب المؤلفة في البديع فإنني لم أذكر هذا القدر إلا دلائل على أمثالها ولكل مما ذكرته وما لم أذكره رسم من النفوذ (٥) والاعتلاء ، بازائه ما (٦) يضاذه ، فيسلم للكوص والاستقال .

فأكثر (٧) هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ اذ كانت للمعاني (٨) بمنزلة المعارض (٩) للحواري (١٠) فأرادوا أن يثلث السمع بما يدرك منه ولا يجه (١١) ويتلقاه بالإصغاء اليه والاذن (١٢) له فلا يجبه (١٣) .

(١) في (ط) فيجاوزه . (٢) أول الصفحة الخامسة في (ش) .

(٣) في (ش) يقنعه وفي (ط) من غير نقط .

(٤) في (ط) آخر . (٥) في (ط) النقود .

(٦) في (أ) مما (٧) في (أ) وأكثر .

(٨) في (ب) ، (ط) المعاني . والكلمة مطلع الصفحة الثالثة في (ب) .

(٩) ج معروض : الثوب تجلي فيه الجارية ايلة العرس .

(١٠) في (أ) للحواري . (١١) في (ط) تمجه .

(١٢) في (ش) والاذن (بالشكل) بمعنى الاستماع (والاذن بمعنى الاباحة) .

(١٣) في (أ) محجه .

وقد قال ابو الحسن بن (١) طباطبا (٢) في الشعر : هو ما ان عري من معنى  
 بديع لم (٣) يعر من حسن الديباجة . وما خالف هذا فليس بشعر (٤) .  
 ومن البلقاء من قصد فيما جاش به خاطره (٥) إلى أن تكون استفادة (٦)  
 المتأمل له والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار  
 قوله أو مثله (٧) وهم أصحاب المعاني ، فطلبوا المعاني (٨) المعجبة (٩) من خواص  
 أما كتبها وانتزعوها جزلة عذبة حكيمة طريفة (١٠) ، أو رائقة (١١) بارعة  
 فاضلة (١٢) كاملة ، أو (١٣) لطيفة شريفة زاهرة فاخرة ، وجملوا رسومها (١٤) أن  
 تكون (١٥) قريبة التشبيه لائق الاستعارة صادقة الأوصاف لأئمة الأوضح (١٦)  
 خلافة (١٧) في الاستطاف ، عطافة لدى الاستنفار (١٨) مستوفية لحظوظها  
 عند الاستتمام من أبواب التصريح والتعريض والاطناب والتقصير والجد والهزل  
 والخشونة والليان والإياء والاسماح ، من غير تفاوت يظهر في خلال أطباقها  
 ولا قصور ينبع من أثناء أعماقها ، متنسمة من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف (١٩)

(١) سقطت ( بن ) في ط .

(٢) في ( ط ) رحمه الله .

(٣) مطلع الصفحة الثالثة في ( ط ) .

(٤) في ( ب ) بالشعر .

(٥) في ( ط ) صدره .

(٦) في ( ط ) استعادة .

(٧) في ( ط ) والسبب واضح .

(٨) سقطت ( فطلبوا المعاني ) في ( ط ) والسبب واضح .

(٩) في ( ا ) المعجبة .

(١٠) في ( ب ) و ( ش ) بالطاء المعجبة ( طريفة ) .

(١١) في ( ا ) رائقة .

(١٢) مطلع الصفحة الثالثة في ( ا ) و ( كاملة ) مطلع الصفحة السادسة في ( ش ) .

(١٣) سقطت في ( ش ، ب ) وجاءت ( و ) في ( ط ) .

(١٤) في ( ا ) وسومها .

(١٥) في ( ط ) يكون .

(١٦) في ( ا ) الأوضح .

(١٧) في ( ط ) خلافة .

(١٨) في ( ط ) الاستنار .

(١٩) في ( ا ) الاشتفاف ولا معنى له هنا .

محتجبة في غموض الصبان لدى الامتحان (١) تعطيك مرادك إن رفقت (٢) بها وتمتلك جانبها (٣) إن عنفت معها .

فهذه مناسبات المعاني لطلابها وتلك مناصب الألفاظ لأربابها . وفي اعتراف اللفظ والمعنى فيما تصوب (٤) به (٥) العقول فتعانقا ، وتلاوبا (٦) . متظاهرين في الاشتراك (٧) وتوافقا ، فهناك بلتقي (٨) ترويا (٩) البلاغة فيمُطر روضها وينتشر وشيها ، ويتجلى البيان فصيح اللسان نجيح البرهان ، وترى رائدي (١٠) الفهم والطبع متباشرين ، لها من المسموع والمعقول بالمرح الحصب والمكرع (١١) العذب .

فاذا (١٢) كان النثر ، بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى والنظم ، اتسع نطاق الاختيار فيه على ما بيّناه بحسب اتساع جوانبها وموادها (١٣) وتكاثر أسبابها وموارثها (\*) وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك (١٤) وشاركه ، ثم تفرد عنه وتميز بأن كان حده لفظ موزون مقفى يدل على معنى ، فازدادت (١٥) صفاته التي أحاط الحد بها بما (١٦) انضم من الوزن والتقنية إليها - ازدادت الكلفة (١٧) في شرائط الاختيار فيه ، لأن للوزن والتقنية أحكاما تماثل ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف أو تقارب ، وهما يقتضيان من مراعاة الشاعر والمنتقد (١٨) مثل

- (١) في (١) سقطت لدى الامتحان وفي (ط) الذي .  
 (٢) في (ط) رفقت .  
 (٣) في (ط) جانبها .  
 (٤) في (ب ، ط) يصوب .  
 (٥) سقطت (ب) من (ط) .  
 (٦) في (ط) معنا تماوت لابسا .  
 (٧) في (ب ، ش) الاشتراف وفي (ط) الاعتراف .  
 (٨) في (ب ، ش) تلتقي .  
 (٩) في (١) ترويا .  
 (١٠) في (ط) وروى رايد .  
 (١١) في (١) المشرع .  
 (١٢) في (ط) واذا .  
 (١٣) في (ط) ومواردها .  
 (\*) ج مائة وهي الوسيلة .  
 (١٤) رأس الصفحة السابعة في (ش) .  
 (١٥) في (ش) فان زادت .  
 (١٦) سقطت (جما) في (ط) .  
 (١٧) في (ط) . ازداد التكلفة .  
 (١٨) في (١) الشعر المنتقد وفي (ط) الشاعر والمستعد .

ما يقتضيه (١) تلك من مراعاة الكاتب والمتصفح ، لتلا يجنل لها أصل (٢) من أصولها أو يعتل فرع من فروعها .

وإذا (٣) كان الأمر على هذا فالواجب أن يتبين ما هو (\*) عمود الشعر المعروف عند العرب ليميز تليد الصنعة من الطريف وقديم نظام القريض من الحديث ولتعرف مواطئ أقدام (٤) المختارين فيما اختاروه ، ومرامهم أقلام (٥) المزيفين على ما زيفوه ، ويُعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع وفضيلة الأبيّ السمع على الأبيّ (٦) الصعب ، فنقول وبالله التوفيق .

انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف - ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت ضوائر الأمثال وشوارد الأبيات - والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتشامها على تخير (٧) من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار (٨) له ، ومشاكله اللفظ للمعنى وشدة اقتضاها (٩) للقافية حتى لا منافرة بينها .

فهذه (١٠) سبعة أبواب هي عمود الشعر . ولكل باب منها معيار .

فميار (١١) المعنى ان يُعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب فاذا (١٢)

(١) في ( ب ، ش ) يقتضيه وفي ( ط ) بلا تنط .

(٢) سقطت لها في ( ا ) وسقطت ( لها أصل ) في ( ط ) .

(٣) في ( ش ) فاذا . والكلمة رأس الصفحة الرابعة في ( ا ) .

(\*) تنقطع الصفحة الثالثة في منتصفها عند هذه الكلمة في النسخة ( ا ) ويتصل ما بين الجزئين القديم والحديث من هذه المقدمة بتكرار الجملة ( واذا .. ما هو ) .

(٤) في ( ب ) إقدام . (٥) في ( ط ) . وهو اسم إقدام .

(٦) سقطت في ( ط ) الكلمات ( السمع على الأبيّ ) .

(٧) في ( ط ) متخير .

(٨) سقطت في ( ط ) الكلمات ( منه للمستعار ) . وللمستعار رأس الصفحة

الثامنة في ( ش ) . (٩) في ( ط ) وشدة اقتضاها .

(١٠) ( وهو ) بدل ( فهذه ) في ( ط ) . والكلمة رأس الصفحة الرابعة في ( ب ) .

(١١) في ( ط ) فميار . (١٢) في ( ط ) فإن .

انعطف عليه جَمَبَتًا (١) القبول والاصطفاء مستأنسا بقرائنه (٢) خرج وافيا وإلا انتقص بمقدار شوبه ووحشته (٣) .

وعيار (٤) اللفظ الطبعُ والرواية والاستعمال فماسلم بما يعجته عند العرض عليها فهو المختار المستقيم ، وهذا في مفرداته وجملته (٥) مراعى ، لأن اللفظة تُسْتَنَكَم بانفرادها فإذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هيئتا .

وعيار (٦) الاصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز ، فما وجداه صادقا في العلوقة ، ممازجا في اللصوق ، بتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه ، فذاك سبأ (٧) الاصابة فيه . ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال في زهير كان لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال . فتأمل هذا الكلام فان تفسيره ما ذكرناه .

وعيار (٨) المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير ، فأصدقه ما لا ينتقض عند العكس ، وأحسنه ما أوقع بين شيئين ، اشتراكها في الصفات أكثر من انفرادهما ، ليبين (٩) وجه التشبيه بينهما (١٠) بلا كلفة إلا ان يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه به وأملكها له لأنه حينئذ يدل على نفسه (١١) ويحميه من الغموض والالتباس . وقد قيل أقسام الشعر ثلاثة (١٢) مثل سائر ، وتشبيه نادر ، واستعارة قريبة .

(١) في ( ط ) الكلمة محرفة ومنونة ( خبسا ) .

(٢) رأس الصفحة الرابعة في ( ط ) . (٣) في ( ط ) ووحشه .

(٤) في ( ط ) ومميار .

(٥) في ( ط ، ا ) وجهه ويبدو أنه الأصح .

(٦) في ( ط ) ومميار . (٧) في ( ا ، ط ) على حذف الهزلة .

(٨) في ( ط ) ومميار . (٩) في ( ط ) نس .

(١٠) لم ترد بينهما في ( ا ، ب ، ش ) وإنما أضفناها من ( ط ) .

(١١) رأس الصفحة التاسعة في ( ش ) .

(١٢) في هامش ( ط ) أقسام الشعر ثلاثة .

وعيار (١) التحام أجزاء النظم والثثامه على تحبير (٢) من لذيد الوزن الطبع  
واللسان فما (٣) لم يتعثر الطبع بأبيته وعقوده (٤) ولم يتجدس اللسان في  
فصوله ووصله، بل استترا (٥) فيه وامتهلاه بلا ملال ولا كلال، فذاك يوشك  
أن تكون (٦) القصيدة منه كالبيت والبيت كالكلمة تسالماً لاجزائه وتقارناً (٧)  
والأ (٨) يكون كما قيل فيه :

وشعر كعبر الكعبش فرق بينه لسان دعوى في القريض دخيل (٩)  
وكما قال خلف :

وبعض فريض الشعر أولاد علة بكل (١٠) لسان الناطق المتخفظ  
وكما قال (١١) رؤبة لابنه عقبه، وقد عرض عليه شيئاً مما قاله، فقال :  
قد قلت لو كان له قبران

وإنما قلنا على تحبير من لذيد الوزن لأن لذيد الطبع يطرب الطبع لايقاعه  
ويمازجه بصفاائه، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه . ولذلك قال  
حسان رضي الله عنه (١٢) :

تفنن في كل شعر أنت قائله ان الغناء لهذا الشعر مضمار

- 
- (١) في ( ط ) ومميار .  
(٢) في ( ط ) تحبير وقد سرر بنا من قبل في نفس النسخة متخبر .  
(٣) في ( ط ) مما .  
(٤) في ( ط ) بأبته وعقوده وفي ( ا ) بأبته وعقوده .  
(٥) في ( ط ) سقطت الألف . (٦) في ( ش ، ط ) يكون .  
(٧) في ( ا ، ط ) تقارباً . (٨) في ( ط ) وألا وفي ( ا ) ولا .  
(٩) في ( ط ) بمد (دخيل) هذه الكلمة (احس) (اجني) والبيت مكتوب كما يكتب النثر .  
(١٠) في ( ش ) يَكْتَدُّ .  
(١١) في ( ا ، ط ) وقد قال . والكلمة رأس الصفحة الخامسة من النسخة (١) .  
(١٢) زيادة ( رضي الله عنه ) في ( ا ) فقط ولم ترد في النسخ الأخرى الثلاث .

وعيار (١) الاستعارة الذهنُ والفظنة ، وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبّه به ثم يكتمل فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان (٢) له في الوضع الى المستعار له (٣) .

وعيار (٤) مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية طولُ الدربة ودوام المدارس ، فاذا حكما بحسن التباس (٥) بعضها (٦) ببعض ، لا جفاء في خلالها ولا نُبو ولا زيادة فيه (٧) ولا قصور ، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جعل (٨) الأخص للأخص والأخص للأخص - فهو البريء من العيب .  
وأما (٩) القافية فيجب أن تكون (١٠) كالوعود به (١١) المنتظر ، يتشوفه (١٢) المعنى بحقه واللفظ بقسطه والا كانت (١٣) فلقه في مقرها ، مجتلبة لمستغن (١٤) عنها .  
فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب . فمن لزها بحقها وبني شعره عليها فهو عندهم المفلح المعظم والحسن المقدم ، ومن لم يجمعها كلها فبيقدر شأنه منها يكون نصيبه من التقدم والاحسان .

وهذا إجماع مأخوذ به ومُتَّبِع نهجه حتى الآن .

واعلم ان لهذه الخصال وسائل وأطرافاً فيها ظهر صدق الواصف (١٥) وغلو الغالي واقتصاد المقتصد (١٦) وقد اقتفروا (١٧) اختيار الناقدين فمنهم من قال

(١) في (ط) ومييار . (٢) في (ب ، ش) كما كان .

(٣) سقطت في (ط) .

(٤) في (ط) ومييار . والكلمة رأس الصفحة العاشرة في (ش) .

(٥) سقطت في (ط) . (٦) في (أ) بقصها .

(٧) لم ترد (فيه) في (أ) . (٨) في (ط) وقد حصل .

(٩) في (ط ، أ) فأما . (١٠) في (أ) يكون في (ط) بغير نقط .

(١١) لم ترد (به) في (ش ، ب) . (١٢) في (أ) يتشوفها .

(١٣) في (ط) كان . (١٤) في (أ ، ش) بمستن .

(١٥) رأس الصفحة الخامسة في (ب) و (ط) .

(١٦) في (ط) للتصد .

(١٧) في (ط) اقتفروا والتاء مهلة . واقتفروا الآخر لقبه .

أحسن الشعر أصدقه . قال : لأن تجويد قائله فيه مع كونه في إيسار الصدق يدل على الاقتدار والحذق . ومنهم من اختار الغلو حتى قيل أحسن الشعر أكذبه لأن قائله (١) إذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتدّ فيما يأتيه إلى أعلى الرتبة وظهر قوته في (٢) الصياغة وتمهره في الصناعة ، واتسعت موارجه ومخارجة (٣) فتصرف في الوصف كيف يشاء لأن العمل عنده على المبالغة والتبجيل لا المصادقة والتحقيق . وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال : أحسن الشعر أفصده (٤) لأن على الشاعر أن يبلغ فيما يصير به القول شعراً فقط ، فما (٥) استوفى أقسام البراعة والتجويد أو جلتها من غير غلو في القول ولا إحالة في المعنى ولم يخرج الموصوف إلى أن لا يؤمن بشيء (٦) من أوصافه لظهور السرف في آياته وشمول التزديد لأقواله كان بالابتنار أولى .

ويتبع هذا الاختلاف ميل بعضهم إلى المطبوع وبعضهم إلى المصنوع ، والفرق بينهما أن الدواعي إذا قامت في النفوس وحرّكت القرائح أعمت (٧) القلوب وإذا جاشت العقول (٨) جاشت العقول (٩) بمكنون ودائعها ونظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها نبتت المعاني ودرت أخلافها وافتقرت خفيات الحواطر إلى جليات (١٠) الألفاظ ، فتمت رفض التكلف والتعمل وخيلي (١١) الطبع ، المهذب (١٢) بالرواية

- |                                  |                                  |
|----------------------------------|----------------------------------|
| (١) في ( ط ) لأن القائل .        | (٢) رأس الصفحة ١١ في (ش) .       |
| (٣) في (ش) و(ب) مخارجة وموارجه . | (٤) في ( ط ) أصدقه .             |
| (٥) في ( ب ، ش ) فاستوفى .       | (٦) في ( ب ) لشيء .              |
| (٧) في ( ا ) عملت .              | (٨) في ( ا ، ط ) فاذا .          |
| (٩) في ( ط ) للمفعل .            | (١٠) في ( ط ) حليات .            |
| (١١) في ( ب ، ش ) حلي .          | (١٢) رأس الصفحة السادسة في (ا) . |

المُدْرَب في الدراسة ، لاختياره فاسترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل إليه - أَدَى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صنفاً بلا كدر وعفواً بلا جهد وذلك هو الذي يُسَمَّى المطبوع . ومتى جعل زمام الاختيار بيد العمل والتكلف (١) عاد (٢) الطبع مستخدماً (٣) مُتَمَلِّكاً وأقبلت الأفكار (٤) تستعمله أنقلها وتردده في قبول ما يؤديه إليها (٥) مطالبة له بالاغراب (٦) في الصنعة وتجاوز المألوف الى البدعة ، فجاء (٧) مؤداه وأثر التكلف يلوغ على صفحاته ؛ وذلك هو المصنوع . وقد كان يتفق في أبيات قصائدهم ، من غير قصد منهم إليه ، البسير النزر ، فلما انتهى قرض الشعر الى المحدثين ورأوا استغراب الناس للبديع على افتنائهم فيه أولعوا (٨) بتورده إظهاراً للافتتار وذهاباً الى الاغراب (٩) فمن مفرط ومقتصد ، ومحمود فيما يأتيه ومذموم ، وذلك على حسب نهوض الطبع بما يُحتمل ومدى قواه فيما يطالب منه ويكلف .

فمن مال إلى الأول فلأنه أشبه بطرائق الاعراب (١٠) لسلامته في السبك واستوائه عند الفحص ، ومن مال الى الثاني فلدلالته على كمال البراعة والالتذاذ بالغرابة (١١) .

وأما تمجيك من ابي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن ميدان شعره ومفارقته ما بهواه لنفسه واجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق في قصده (١٢) فالقول فيه :

- |  |                                  |
|--|----------------------------------|
| (٢) في ( ط ) المتكلف والعمل .                            | (٢) في ( ط ) وعاد .              |
| (٣) رأس الصفحة ١٢ في ( ش ) .                             | (٤) في ( ط ) الأذكار .           |
| (٥) في ( ط ) إليه .                                      |                                  |
| (٦) في ( ا ) بالاغراب وفي ( ط ) جاءت الكلمة غير منقوطة . |                                  |
| (٧) في ( ط ) فجاءه .                                     | (٨) في ( ط ) وأولعوا .           |
| (٩) في ( ط ) الاعراب .                                   | (١٠) في ( ش ) الاغراب .          |
| (١١) في ( ا ، ب ) بالندابة .                             | (١٢) سقطت ( في قصده ) في ( ا ) . |

ان أبا تمام كان يختار ما يختار (١) لجودته لا غير ، ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته ، والفرق (٢) بين ما يشتهي وبين ما يستجاد ظاهره بدلالة أن العارف بالبرز قد يشتهي (لبس ما لا يستجده ويستجيد ما لا يشتهي (٣) لبسه وعلى ذلك حال (٤) جميع أعراض الدنيا مع (٥) العقلاء العارفين بها في الاستجادة والاشتفاء . وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشهورين منهم دون الأغفال ولا (٦) من الشعر إلى المتردد في الأفواه و (٧) الحبيب لكل داع فكان (٨) أمره أقرب ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم (٩) وإسلاميهم ومولدهم ، فاختطف منها الأرواح دون الأشباح واخترت (١٠) الأثمار دون الأكام وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ، لأن ضرور الاختيار لم تحف عليه وطرق الاحسان والاستحسان لم تستر عنه حتى (١١) انك (١٢) تراه بنتهي إلى البيت الجيد فيه لفظه تشينه فيجبر تقيضه من عنده ويبدل الكلمة باختها في تقدمه ، وهذا يبين (١٣) لمن رجع إلى دواوينهم (١٤) فقابل ما في اختياره بها . ولو أن نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس .

- (١) في (١) ما يختارونه . (٢) مطلع الصفحة السادسة في (ط) .  
 (٣) سقط ما بين الناصتين في (ط) والملة ظاهرة .  
 (٤) سقطت كلمة حال في (١) . (٥) في (ش ، ب) من .  
 (٦) مطلع الصفحة ١٣ في (ش) . (٧) رأس الصفحة السادسة في (ب) .  
 (٧) سقطت الواو في (ط ، ب) . (٨) في (ط ، ا) وكان .  
 (٩) في (١) مخضرمهم .  
 (١٠) في (ط) واحترف .  
 (١١) تكرر بعد كلمة حتى في نسخة (ط) من قوله (ما يوافق) في السطر السابق إلى قوله (لم تحف) .  
 (١٢) سقطت (انك) في (ش ، ب) .  
 (١٣) في (ط) يتن . (١٤) في (ط) دواوينهم .

وبكشف هذا أنه قد يميز (١) الشعر من لا (يقوله ويقول الشعر الجيد من) (٢) لا يعرف (٣) تقدمه ، على ذلك كان المجتري لأنه فيما حكى عنه كان لا يعجب من الشعر إلا بما يوافق (٤) طبعه ومعناه ولهظه .

وحكى الصولي أنه سمع المبرد يقول سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت أحداً (٥) قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام . وحكى عنه أنه مر (٦) بشعر ابن أبي (٧) عيينة فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال : وهذا كله مختار . هذا وشعره أبعد الأشياء (٨) من شعره وهذا واضح .

وأما ما غلب على (٩) ظنك من أن اختيار الشعر موقوف على الشهور إذ ما كان يختاره (١٠) زيد يجوز أن يزيغه عمرو وأن سبيلها سبيل الصور في العيون إلى غير ذلك مما ذكرته ، فليس الأمر كذلك ، لأن من عرف مستور المعنى ومكشوفه ومرفوض اللفظ ومألوفه ومميز البديع الذي لم تقسمه (١١) المعارض ولم تعسفه الخواطر ونظر وتجر ودار في أساليب الأدب فتخير (١٢) وطالت مجازته في التذاكر والابتحاث والتداول والابتعاث ويات له القليل النائب (١٣) عن الكثير والليحظ الدال على الضمير ودري تراتيب الكلام وأمرارها كما درى تعاليق المعاني وأسبابها إلى غير ذلك مما يكتمل الآلة

(١) في (ط) ميمز .

(٢) سقطت هذه الجملة بين القوسين في (ط) . والسبب في سقوطها يثن .

(٣) في (ط) لم يعرف .

(٤) في (ط) وافق . (٥) رأس الصفحة السابقة في (أ) .

(٦) سقطت في (ط) . (٧) سقطت في (ط) .

(٨) رأس الصفحة (١٤) من (ش) . (٩) في (أ ، ط) في .

(١٠) في (ط) إذا كان ما يختاره . (١١) في (أ) يقسمه .

(١٢) في (أ) فتخير بالمهمة .

(١٣) في (أ ، ب) بتسهيل الهزرة (النائب) .

ويشاهد القرينة تراه لا ينظر إلا بعين البصيرة ولا يسمع إلا بأذن النصف  
ولا ينتقد إلا بيد (١) المعدلة، فحكمه الحكم الذي لا يُبدل وتقدمه النقد  
الذي لا يُغيّر .

واعلم أنه قد (٢) يعرف الجيد من يجمل الرديء، والواجب أن تعرف المقايح (٣)  
المسخرطة . كما عرفت الحاسن المرئضة . وجماعها ، إذا أجمت ، أنها أضداد ما بيناه  
من عمد البلاغة وخصال البراعة في النظم والنثر .

وفي التفصيل كأن يكون اللفظ وحشياً أو غير مستقيم أو لا يكون  
مستعملاً في المعنى المطلوب فقد قال عمر رضي الله عنه في زهير : لا يتبع  
الوحشي ولا يعاقل (٤) في الكلام ، أو تكون (٥) فيه زيادة تفسد المعنى  
أو نقصان ، أو لا يكون بين أجزاء البيت النثام ، أو تكون القافية قلقة في مقرأها  
أو معيبة في نفسها ، أو يكون في القسم أو في (٦) التقابل أو في التفسير فساد  
أو في المعنى تناقض أو خروج إلى ما ليس في العادة والطبع ، أو يكون الوصف  
غير لائق بالموصوف ، أو (٧) يكون في البيت حشو لا طائل فيه ، إلى غير ذلك  
ما يحصل لك تأملك جمل الحاسن وتفصيلها وتبعك ما يضاهاها و (٨) يتأفها  
وهذا هي قريب .

وانما قلت هذا لأن ما يختاره الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سئل عن  
سبب اختياره إياه وعن الدلالة عليه لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول : هكذا  
فضية طبعي ، أو أرجع (٩) إلى غيري من له في الدربة والعلم بمثله فإنه يحكم

(١) في (١) بعين .

(٢) سقطت في (ب) .

(٣) في (ط) المفاتيح للتسخرط .

(٤) رأس الصفحة (١٥) في (ش) .

(٥) في (ط، ش، ب) يكون .

(٦) سقطت في (ش) .

(٧) مطلع الصفحة السابقة في (ط) .

(٨) في (١) ما يضاهاها أو .

(٩) في (ب) أرجع بالشكل وفي (ط، ش) من غير شكل وهو فعل أمر .

يمثل حكمي ، وليس كذلك ما يسترذله النقد أو ينفيه- الاختيار لأنه لاشيء من ذلك إلا ويمكن التنبية على الخلال فيه واقامة (١) البرهان على رداءه فاعلمه .  
 وأما (٢) تمتييك معرفة السبب (٣) في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب البلغاء والعدز في قلة المترسلين وكثرة المفلقين ، والعلة في نباهة أولئك وخمول هؤلاء .  
 ولماذا كان أكثر المفلقين لا يدعون في انشاء الكتب وأكثر المترسلين لا يُفلقون في فرض الشعر فأني أقول في كل ذلك ما (٤) يحضر (٥) والله ولي توفيقى وهو حسي وعليه توكلى .

اعلم ان تأخر الشعراء (٦) عن رتبة البلغاء موجه تأخر (٧) المنظوم عن رتبة المنثور (٨) عند العرب لأمرين :

أحدهما أن ملوكهم قبل الاسلام وبعده كانوا يتبحرون بالخطابة والافتنان فيها وبعدها أكل أسباب الرياسة وأفضل آلات الزمامة فإذا وقف أحدهم بين السماطين لحصول تنافر أو تضامن أو نظام أو تشاجر فأحسن الاقتضاب عند البداهة وأنجع في الاسهاب وقت الاطالة أو اعتلى في ذروة منبر فتصرف في ضروب من تخشين القول و (٩) تليينه داعيا الى طاعة أو مستصالحا لرعية أو غير ذلك مما تدعو (١٠) الحاجة اليه (١١) كان ذلك أبلغ عندهم من انفاق مال عظيم وتجهيز (١٢) جيش كبير (١٣) .

- (١) مطلع الصفحة السابقة في (ب) .  
 (٢) في (ب) وانما ، وهو تحريف . وكذلك كانت في (ش) ثم صححت .  
 (٣) في (ط) وأما يمينك السبب .  
 (٤) مطلع الصفحة (١٦) في (ش) .  
 (٥) في (ب) بما وكذلك في (ش) . وفي (ظ) لما يحضر .  
 (٦) في (أ) الشعر .  
 (٧) رأس الصفحة الثامنة في (أ) .  
 (٨) هذه الجملة مكتوبة بخط حديث في (أ) .  
 (٩) في (ب ، ش) أو .  
 (١٠) في (ب ، ش) يدعو .  
 (١١) سقطت اليه في (أ) .  
 (١٢) في (ب) وتجهيز .  
 (١٣) في (أ ، ط) كثير .  
 (٧) م

وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر وبعده ملوكهم دناوة وقد كان  
لامرئ القيس في الجاهلية مع أبيه حجر بن عمرو حين تعاطى قول الشعر فنهاه  
عنه وقتاً بعد وقت وحالاً بعد حال ما أخرجه إلى أن أمر<sup>(١)</sup> بقتله ، وقصته  
مشهورة . فهذا<sup>(٢)</sup> واحد .

والثاني انهم اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة وتوصلوا به إلى السوق<sup>(٣)</sup> كما  
توصلوا به إلى العلية وتعرضوا لأعراض الناس فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه  
بصفة الكريم ، والكريم<sup>(٤)</sup> عند تأخر صلته بصفة اللئيم ، حتى قيل : الشعر أدنى  
مرؤة<sup>(٥)</sup> السري وأمرئ مرؤة<sup>(٥)</sup> الدني . فهذا<sup>(٦)</sup> الباب أمره ظاهر .  
وإذا<sup>(٧)</sup> كان شرف الصانع بمقدار شرف صناعته وكان النظم متأخراً عن  
رتبة النثر وجب أن يكون الشاعر أيضاً<sup>(٨)</sup> متخلفاً عن غاية البلوغ .

ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم أن الاعجاز من الله تعالى جده  
والتحدي من الرسول عليه السلام وقعا فيه دون النظم ، يكشف<sup>(٩)</sup> ذلك أن  
معجزات<sup>(١٠)</sup> الأنبياء عليهم السلام<sup>(١١)</sup> في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت

(١) في (١) سرّ . (٢) في (١) وهذا .

(٣) السوق ( بالضم ) الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث أو قد يجمع  
سوقاً كضرد ( القاموس ) . وفي ( التاج ) السوق بالضم خلاف الملك وم الرعية  
التي تسوسها الملوك ، سوا سوقة لأن الملوك يسوقونهم فيساقون لهم ( للواحد والجمع  
والمذكر والمؤنث ) أو قد يجمع سوقاً كضرد ومنه قول زهير ...

(٤) مطلع الصفحة ( ١٧ ) في ( ش ) .

(٥) في ( ش ) بالكسر في كلا الموضعين ، على أن ما قبلها أفضل التفضيل .  
وسياق الجملة يبيح الفتح على أن ما قبلها فعل ماض .

(٦) في ( ب ، ط ) وهذا . (٧) ولهذا في ( ط ) .

(٨) سقطت في ( ط ) . (٩) في ( ب ، ش ) فيكشف .

(١٠) في ( ب ) معجز وكذلك كانت في ( ش ) ثم أضيفت الألف والتاء

بخط غير خط النسخة .

(١١) في ( ط ) صلوات الله عليهم .

أهمهم بولعون به في حينهم ويغلب على طبائهم وبأشرف ذلك الجنس ، على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن (١) السحر والسحرة فصارت (٢) من ذلك الجنس وبأشرفه .

وكذلك كان حال عيسى عليه السلام (٣) لأن زمنه كان زمن الطب فكانت معجزته وهي إحياء الموتى من ذلك الجنس وبأشرفه .

فلما كان زمن النبي صلى الله عليه وسلم زمن الفصاحة والبيان جعل الله معجزته من جنس ما كانوا بولعون به (٤) وبأشرفه فتحدّاهم بالقرآن كلاماً منشوراً لا شعراً منظوماً (٥) وقد قال الله عز وجل في تنزيه (٦) النبي صلى الله عليه (٧) : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وقال أيضاً : « والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد (٨) يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون » .

ولما كان الأمر على ما بيناه وجب أن يكون النثر أرفع شأنًا وأعلى سمكًا وبناء من النظم وأن يكون مزاوله كذلك ، اعتباراً بسائر الصناعات وبمزاويلها . وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المفلقين وعن من جمع بين النوعين مبدّراً فيها فهو أن مبنى الترسل على أن يكون واضح المنهج سهل المعنى عند (٩) الباع واسع النطاق ، تدل (١٠) لوائحه على حقائقه وظواهره (١١) على بواطنه اذ (١٢)

(١) في (١) من .

(٢) هذه الكلمة سقطت في (ط) أو هي متأكدة لأن جملة (وزمنه زمن

عيسى عليه السلام) التالية كتبت في الهامش .

(٣) في (ط) بعد ذلك : (لأنها ظهرت عليه وزمن زمن الطب) .

(٤) سقطت به في (١) . (٥) رأس الصفحة الثامنة في (ط) .

(٦) في (ب) في تنويه .

(٧) زيادة (وسلم) في (ط) . وفي (ب) و (ش) عليه السلام .

(٨) رأس الصفحة (١٨) في (ش) .

(٩) في (ب) منقسم . (١٠) في (ط) بدل وفي (١) بدل .

(١١) في (ط) وظواهره . (١٢) في (ط) إذا .

كان مودده على أسماع مفترقة من خاضي وعامي وأفهام مختلفة (١) من ذكي وغبي فني كان متهماً متناوفاً ومتسلسلاً متجاوباً تساوت (٢) الآذان حيف تلقينه والأفهام في درابته والألسن في روايته ، فيسمع شارده إذا استدعي، ويستمع عجل وافده (٣) إذا استدعي ، وإن تطاول أنفاس وضوله وتباعد أطراف حزنه وسهوله . ومبني الشعر على العكس من جميع ذلك (٤) لأنه مبني على أوزان مقدرة (٥) وحدود مقسمة وقواف يساق ما قبلها اليها مهيأة ، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر الى غيره إلا أن يكون (٦) مضمناً بأخيه وهو عيب فيه .

فلما كان مداه لا يمتد بأكثر من مقدار (٧) عروضه وضربه وكلاهما قليل وكان (٨) الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً ، وكل بيت يتقاضاه بالانجاء ، وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى وأن يبلغ (٩) الشاعر حيفه تلطيفه (١٠) والأخذ من حواشيه حتى يتسع له اللفظ فيؤديه على غموضه وخفائه حدّاً يضير المدرك له (١١) والمشرف عليه كالفائز بذخيرة اغنمها والظافر بدفينة استخراجها وفي مثل ذلك يحسن انحاء الأثر وتباطؤ المطلوب على المنتظر فكل ما يُخمد في الترسل ويختار يدم في الشعر ويرفض .

(١) رأس الصفحة التاسعة في (١) .

(٢) رأس الصفحة الثامنة في (ب) .

(٣) في (١) واقده .

(٤) في (ط) من ذلك . وفي (ش) من جميع ذلك .

(٥) في (١) مقددة .

(٦) في (١) إلا ما يكون ، وكذلك في (ب) .

(٧) في (١) إلا بمقدار .

(٨) في (ش) فكان ، وكذلك في (ب) .

(٩) في (ط) تبلغ وفي (ش) يبالغ .

(١٠) مطلع الصفحة (١٩) في (ش) .

(١١) سقطت في (ط) .

فلما اختلف المبتدیان كما بيّنا (١) وكان المتولي لكل واحد منهما يختار أبعد الغايات لنفسه فيه اختلفت (٢) فيها (٣) الاصابتان للباين طرفيها وتفاوت (٤) قطريها فبتعد (٥) على القرائح الجمع بينهما .

يكشف ذلك أن الرجز وان خالف القصيد مخالفة قريبة (٦) ترجع (٧) إلى تقطيع شأو اللفظ فيه وتزاحم (٨) السجع عليه قل عدد الجامعين بينهما لتقاصر الطباع عن الاحاطة بها .

فاذا كان الرجز والقصيد ، مع أنهما من واد واحد ، أفضت الحال بتعاطيها إلى ما قلتُ على خلافٍ يسير بينهما ، فالنثر والنظم - وهما في طرفين ضدّين وعلى حالتين متباينتين - أولى وأخص (٩) .

وأما السبب في قلة البلقاء وكثرة الشعراء ونباهة أولئك ونحول هؤلاء فهو أن المترسل محتاج إلى مراعاة أمور كثيرة إن (١٠) أهملها أو أهمل شيئاً منها رجعت النقيصة إليه وتوجهت اللائمة عليه (١١) .

معناها تبين (١٢) مقادير من يكتب عنه واليه حتى لا يرفع وضيعاً ولا يضع ربيعاً .

(١) في (١) خطأ في الشكل : المبتدیان كما بيّنا .

(٢) في (ط) اختلف .

(٣) سقطت في (١) .

(٤) في (ب ، ش) تقارب ، وهو تحريف .

(٥) في (ب ، ش) وبعد .

(٦) في (ط) قوية .

(٧) في (١ ، ط) يرجع .

(٨) في (ب) تزاحم .

(٩) في (١ ، ط) وأحق .

(١٠) في (ب) وان وفي (ش) وإن . وهو خطأ . وقد ذكر الناسخ بعد ذلك

(أهملها) ثم صححها (أهملها) .

(١١) سقطت في (١) .

(١٢) كذا في (١ ، ط) وفي (ب ، ش) يبين .

ومنها وزن الألفاظ التي يستعملها في تصاريفه حتى تجيء لائقة بمن يخاطب بها مفتخمة لحضرة سلطانه (١) التي يصدر عنها .  
ومنها أن يعرف أحوال الزمان وعوارض الحدثنان فيتصرف معها على مقاديرها (٢) في النقض والابرام والبسط والانقباض .

ومنها أن يعلم أوقات الاسهاب والتطويل ، والايجاز والتخفيف ، فقد يتفق ما يحتاج فيه (٣) إلى الاكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة ، ويتفق أيضاً ما تعني فيه الاشارة وما يجري مجرى الوحي في الدلالة .

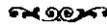
ومنها (٤) أن يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به (٥) على سواء السبيل فلا يشتط في الحكومة ولا يعدل ، فيما يخط ، عن الحجية فهو انما (٦) يرسل في عهد الولاية والقضاة وتأكيد البيعة والأيمان وعمارة (٧) البلدان واصلاح فساد وتحريض على جهاد وسد نفور ورتق فتوق واحتجاج على فئة أو مجادلة ملّة أو دعاء إلى ألفة أو نهي عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ماشاكل ذلك من جلائل الخطوب وعظام الشؤون التي يحتاج فيها الى أدوات كثيرة ومعرفة مفتتة .

- 
- (١) كذا في النسخ الثلاث وفي (١) سلطانها .
  - (٢) . مطلع الصفحة التاسعة في ( ط ) .
  - (٣) سقطت فيه في (١) .
  - (٤) رأس الصفحة (٢٠) في ( ش ) .
  - (٥) سقطت في (١ ، ش) .
  - (٦) في ( ط ) وإتاما .
  - (٧) رأس الصفحة (١٠) في (١) .

فلما كان الأمر على هذا صار وجود المضطلمين بجمّودة النثر أعزّزَ وعدهم أنزر، وقد وسمتهم الكتابة بشرفها وبوأتمهم منزلة رئاستها، فأخطارهم عالية بحسب علو صناعتهم ومعاقد رئاستهم وشدة الفاقة الى كفايتهم .

والشعراء إنما أغراضهم التي يسدّدون<sup>(١)</sup> نحوها وغاياتهم التي ينزعون اليها وصف الديار والآثار والحنين الى المعاهد والأوطان والتشبيب<sup>(٢)</sup> بالنساء والتلطيف في الاجتهاد<sup>(٣)</sup> والتفنن<sup>(٤)</sup> في المديح<sup>(٥)</sup> والهجاء، والمبالغة في التشبيه والأوصاف، فاذا<sup>(٦)</sup> كان كذلك لم يتدأّنوا في المضمار ولا تقاربوا في الأقدار . واذ قد أتينا بما أردنا ووفينا بما وعدنا فإننا نشغل بما هو القصد من شرح الاختيار والله الموفق للصواب والصلاة والسلام على رسوله<sup>(٧)</sup> وآله الأخيار .

### الركنور شكري فيصل



- 
- (١) في ( ط ) يشددون .  
 (٢) رأس الصفحة ( ٩ ) في ( ب ) .  
 (٣) في ( ط ) والتشبيب .  
 (٤) في ( ط ) في الاجتهاد .  
 (٥) في ( ط ) والمعين .  
 (٦) في ( ب ، ش ، ط ) واذا .  
 (٧) زيادة ( مجد ) في ( ش ) .

## التعريف والنقد

آراء وأحاديث في القومية العربية

وآراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع

ومحاضرات في نشوء الفكرة القومية

هذه رسائل ثلاث ، أمها الأستاذ ابو خلدون ساطع الحصري . تقع الرسالة الأولى في مئة وعشر صفحات . والثانية في مئتين وست وعشرين صفحة . والثالثة في مئتين وأربعين صفحة .

بسط الأستاذ ابو خلدون في رسالته الأولى أو في الكتيب الأول آراءه في القومية العربية ، ثم علق على ذلك بمناقشات وتوضيحات ، ذكر فيها : « أسباب انفصال الولايات المتحدة الأمريكية عن انكلتره ، حجة اختلاف المصالح الاقتصادية بين البلاد العربية ، ما الفائدة من أن أكون عربياً ، مواقف المصريين من قضية العروبة ، بين النزعة الفرعونية وبين القومية العربية » .

ويبحث في الكتيب الثاني - وهو في أكثره مجموعة مقالات - هذه الموضوعات : « بين القديم والجديد ، تعليم التاريخ والعلاقات الدولية ، تأثير الحملة الفرنسية في النهضة المصرية ، النهضة الأدبية في لبنان ، مسألة تاريخية ، العرب في مقدمة ابن خلدون ، هل الشقاق طبع في العرب ، وتعليقات على ذلك ، قصة سامراء ، الضلال والتضليل في الأبحاث التاريخية ، الغرور والخيلاء في كتابه التاريخ ، و . و . » .

والكتيب الثالث ست محاضرات ، ألقاها صاحبها « في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة ، بدعوة من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول » في مطلع

سنة ١٩٤٨. عالج فيها نشوء الفكرة القومية في أوروبا ، وما نجم عنها من انقلابات ، ونشوء هذه الفكرة في ألمانيا ، وتصادم النظريتين الفرنسية والألمانية في تعريفها وتحديدتها ، ونشؤها في بلاد البلقان ، ثم عند الترك ، إلى أن يصل إلى موضوعه : وهو نشوء الفكرة القومية في البلاد العربية .

والأستاذ الحصري من القليلين المؤمنين بالقضية العربية إيماناً عملياً ، مبنياً على العلم ، وعلى وقائع التاريخ ، يستشهد لأرائه وأحاديثه بما وقع من حوادث في الشرق والغرب عند مختلف الأمم والشعوب ، كل ذلك بعبارة سهلة رصينة ، وحيج فاطمة ، بعيدة عن الاستعلاء بالبحث ، والتهكم بالخصوم والمناظرين . قدم ابوخلدون لما كتبه ، بكلمة قال فيها : « ما أسعد الأمم التي حققت وحدتها القومية ، واستمكنت شخصيتها السياسية ، فاستطاعت ان تجعل حدودها الدولية منطبقة على حدودها القومية !

ذلك لأن مفهوم الوطن عند أمثال هذه الأمم يكون واضح المعالم ومستقر الشكل : الأمة تكون دولة مستقلة موحدة ؛ فتتعين حدود الوطن عندها بمحدود الدولة القائمة ، التي تجمع شمل الأمة بأجمعها تحت راية واحدة . ولكن .. ما أتعس الأمم التي ظلت بعيدة عن تحقيق وحدتها القومية ، واستكمال شخصيتها السياسية ، فلم تستطع ان تجعل حدودها الدولية منطبقة على حدودها القومية ! » .

ثم يأخذ الأستاذ الحصري على « الجامعة العربية » تقصيرها في العمل على تقوية « القومية العربية » .

ويختتم مقدمته بدعوة : « جميع المؤمنين بالقومية العربية الى مضاعفة الجهود في خدمة الشعوب العربية ... لأنها أصبحت في حاجة الى الخدمات الجديدة أكثر من أي وقت مضى ... »

ويستهل المؤلف كلامه بعد المقدمة بـ « كلمة حول كارثة فلسطين » فيقول :  
سمعت بعض الشبان ينسأولون : - كيف خسرو العرب معركة فلسطين ضد  
امرائيل ، مع أنهم كانوا سبع دول ؟  
فيجيب الأستاذ الحصري :

إن العرب خسروا معركة فلسطين لأنهم كانوا سبع دول « وهي كلمة حق .  
وفي هذه الكتيبات بعض أغلاط لغوية ونحوية ، لا بد ان تصحح بين  
طبعات قادمة نرجوها لها في مستقبل الأيام .  
وبعد فانا نشكر لأبي خلدون هذه الدراسات القيمة ، يملأها عليه اخلاصه  
لقومه العرب .



## الوجيز في الحقوق الادارية

تأليف الدكتور مصطفى البارودي

هذا الكتاب : « محاضرات ألقيت على طلاب السنة الثانية في كلية الحقوق  
بدمشق خلال العام الدراسي - ١٩٥٠ - ١٩٥١ » وهو يقع في ما يزيد على  
ثلاث مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير ، طبعته مطبعة الجامعة السورية  
طبعاً متقناً على ورق صقيل .

مهد المؤلف لموضوعه بمقدمة تناول فيها :

١ - القواعد الحقوقية في الجماعة .

٢ - تقسيم الحقوق .

٣ - تعريف الحقوق الادارية وصفاتها العامة :

٤ - مصادر الحقوق الادارية ، والطابع المميز لها في سورية .

٥ - مراجع الحقوق الادارية .

وقد وفتق الدكتور في مقدمته ، فوفسى بجوئه حقها ، وسلسلها تسلسلاً مترابطاً واضحاً ، ووصف وضع سورية من وجهتيه : الاداريه والسياسية ، في عهد الانتداب الفرنسي ، وأثبت بطلان تصرفات الدولة المنتدبة من الناحية القانونية .

والكتاب أبواب ، والباب فصول . بحث فيها المؤلف السلطات الثلاث ، والصالح العام ، واحداث المصالح العامة لسداد الحاجات العامة ، والأشخاص الادارية ، والتقسيمات الادارية أيام الانتداب ، وفي عهد الاستقلال ، والموظفين العاملين : تعيينهم وترفيعهم ، وانهاء خدمتهم ، وتسريحهم ، ومحاكمتهم ، وعزلهم ، وطردهم ، واستقالتيهم ، وتبعاتهم ، والمستخدمين العاملين ، والنشاط الاداري ، والعقود ، والاستملاك ، والمصادرة ، والاشغال العامة ، والتبعة الادارية ، والقضاء الاداري : مجلس الشورى والمحكمة العليا .

وهذه الموضوعات عززها الأستاذ المؤلف بالنصوص التي أقرتها ، من قوانين ومراسيم وقرارات ، فجاء الكتاب وافياً جامعاً .

وكان جميلاً بالمؤلف على ما فيه من نزعة قومية ، ان يذكر بعض ما يتصل بموضوعه مما عرفه العرب فجزوا عليه في ادارتهم ، ولا سيما تبعة العامل ، فلقد بلغوا من ذلك ما لم تبلغه أرقى القوانين المعاصرة .

واسنا نوافق الدكتور في القول الذي أخذ به من أن : « الحقوق المدنية قديمة عريقة القدم في تاريخ البشرية . احتاج اليها الناس منذ فجر حياتهم الاجتماعية . . . في حين ان الحقوق الادارية حقوق جديدة . . . » نقول :

« ان الحقوق كلها الادارية كالمدينة ، احتاج اليها الناس منذ فجر حياتهم الاجتماعية ، نشأت منذ عرف الناس الاجتماع - أولية فطرية ، ثم جعلت تترقى شيئاً فشيئاً ، فليس من جديد فيها الا التدوين والتوسيع على قدر ما اقتضته سنة الارتقاء والعمران وتقدم الأزمان .

ويقول المؤلف : « ان المدرسة الحديثة ترى ان الانسان يسير سيراً طبيعياً الى « المجموعة العالمية » بعد ان قطع صالة الحقوق بالسماء ليربطها بالأرض . . . » الى ان يقول : « وبهذا يخرج أنصار المدرسة الجديدة على ما تعارفنا عليه في شرقنا الروحي الذي بأنف من الشكل المادي الذي صارت اليه روح العالم الغربي . فالشرق ما يزال يؤمن بقواعد انسانية ثابتة على مرّ الزمن لا تحور ولا تزول ، وهي القواعد التي رضيها الله للناس فأزلها على أنبيائه . . . » وان : « دولتنا السورية الناشئة . . . قد قامت منذ ثلاثين عاماً على أسس متنازعة فيما بينها ، فنرى القائم على التشريع فيها يخالف الدين تارة ، ويرجع اليه أخرى . فهو يزعم حيناً ان ليس في القواعد الحقوقية ما يحمل صفة الديمومة والثبات فيغير في طريقة عين ما قبله الناس في مئات من السنين ، ثم يعلن حيناً آخر : ان الدولة تعلن احتساباً كلها بالاسلام ومثله العليا<sup>(١)</sup> ، وان الفقه الاضلاحي هو مصدر رئيسي للتشريع<sup>(٢)</sup> . . . » .

« وهكذا جاءت قواعدنا الحقوقية في دولتنا السورية الناشئة مزيجاً من الأحكام السابوية في بعض الشؤون والأحكام الخالفة لها في كثير من الشؤون ، حتى ليحار الباحث الحقوقي المتجرد حين ينسب حقوق بلاده انبساطاً للفكرة الدينية ، أم ينسبها للفكرة التي اعتنقها المذاهب الجديدة ، أم يجعلها بين هذه وتلك ! » .

(١) مقدمة الدستور الجديد الذي أقرته الجمعية التأسيسية عام ١٩٥٠

(٢) المادة الثالثة من الدستور الجديد .

وهذا رأيي خليقي أن يصدر عن أجنبي يريد أن يتهم سورية بالتخلف عن مسايرة الزمن ، وبالرجوع الى أحكام الدين في أمور الدنيا . وهو غير الواقع . فسورية تسير - خطأً أم صواباً - في ركب « المدرسة الحديثة » . وهذه قوانينها التي أصدرتها في مختلف فروع الحقوق من مدنية وجزائية وتجارية وادارية - وهي موضوع بحثنا هذا - أي شيء فيها من الفكرة الدينية ، أو الأحكام السماوية ؟

أما ما جاء في الدستور ، استشهد به المؤلف ، فخري أن يجوز على من يأخذ بظاهر النص من غير تدبير للعلل والأسباب (١) .

ولسنا من رأي المؤلف في ان : « التشريع البيزنطي ناهل من المسيحية » فالمسيحية لم يؤخذ عنها اشتراع ديني ولا دنيوي ، بل حصرت جهودها ودعاياتها في ملكوت السموات .

وكنا نود توسع المؤلف بعض التوسع في أوضاع الولايات في العهد العثماني ، ففي ذلك احياء لذكرى تلك الروابط التي كانت بين العرب ، وبعث للوحدة التي كانت قائمة بين بعض الأقطار ، فقطعها الاستعمار ، وصيّر البلد الواحد

(١) قام فريق من النواب السوريين يدعون الى نص في الدستور الجديد ، على أن دين الدولة هو الاسلام ، وقالوا انهم يريدون من ذلك شيئاً رمزياً ، وفي الحقيقة أرادوا الدعاية والاعلان ، فلما حمد لهم آخرون عن ايمان وهددوا بأن يتسحبوا من المجلس ، تراجم أصحاب الدعاية الدينية وعمدوا الى هذه النصوص يسترون بها ، وهي نصوص لا تقدم في الموضوع ولا تؤخر ، ولا سيما مع صراحة المادة الـ ٧ من الدستور التي جمعت السوريين - مهما تباينت عناصرهم وأدينتهم - متساوين أمام القانون في الحقوق والواجبات .

ولعل من أغرب المفارقات بين المسلمين والفريرين : ان المسلمين يتساهلون عملياً تساهلاً دينياً كريماً وبعانون التنصب ، والفريرين يتعصبون تعصباً دينياً ذمياً ويمتلنون التساع . والناس ، يأخذون بالظاهر فيحكمون على المسلمين بالتنصب ، ويزعمون لتبريم التساهل .

دولاً ، ثم جاء الإستقلال فأقر سياسة الاستثمار جريباً وراء الإستقلال والمنافع الشخصية . ان «الوحدة العربية» او «المجموعة العربية» تكون تمهيداً من قبل العرب «للمجموعة العالمية» التي «يسير الانسان - على ما نقل المؤلف ونقلنا عنه - سيراً طبيعياً اليها . . .» .

وكان خليفاً بالأستاذ البارودي أن يعالج التقسيمات الادارية ، ولا سيما الحلقات الثلاث : المدير والقائم مقام والمحافظ (المتصرف أو الوالي) التي لا تزال قائمة في سورية دون سائر الأجزاء التي انفصلت عن الدولة العثمانية ، فاقترنت على حلقتين . وان يتوسط في البحث في صلاحيات المحافظين وتبعاتهم أكثر مما فعل فعلم الادارة في الدولة الناشئة عمل عظيم لا يقاس غيره به ، وليست تستقيم أمور الدولة من الوجهة الادارية مع النصوص الضيقة ، والتطبيقات الحرفية . وأحسن المؤلف في تأييده النص الذي يحرم على الموظف أن يكون حزبياً ، غير انه يجب ان يؤكد عليه ان يكون قومياً بعامل لقومه ويخلص لوطنه ، لأن يكفني له بالولاء للدولة .

وكان من الأصح ان نستعمل الألفاظ الادارية المشهورة في كل عهد ، في الكلام على ذلك العهد . فقوله «ولاية دمشق» في غير محله فالولاية كانت «ولاية سورية» لا «ولاية دمشق» واستعمال «السنجق» في الكلام على «لبنان» و«القدس» لا وجه له مادام الاستعمال الغالب عليها ، حتى عند الترك «المتصرفية» ولا معنى للعدول عن اللفظ العربي المشهور المأنوس ، الى لفظ غير مشهور وغير عربي .

هذه ملاحظات عاجلة على هذا الكتاب القيم الذي أحسن مؤلفه تأليفه وتقسيمه وتبويبه ، وأخرجه في حلة عربية ناصحة لا يؤخذ عليه فيها إلا بعض الألفاظ سبق أن أشرنا الى بعضها في كلامنا على كتابه «مفهوم الدولة» .

## المحاضرات العامة

للسنة الجامعية ١٩٤٩ - ١٩٥٠

طبعت هذه المحاضرات في مطبعة الجامعة السورية ، طبعاً أنيقاً على ورق صقيل ،  
فجاءت في حلة قشبية ، خليقة بهذه المحاضرات النفيسة .

وهي ثلاث عشرة محاضرة .

الأولى : «مظاهر الحربة عند العرب» للأستاذ شفيق جبيري عميد كلية الآداب .

والثانية : «الرحلة النجمية» للأستاذ وجيه السمان عميد كلية الهندسة .

والثالثة : «تاريخ اللغة البرتغالية» للأستاذ جورج ليمان .

والرابعة : «نحو كيان انساني جديد» للدكتور عنزة مریدن .

والخامسة والسادسة : «البحر الميت» للدكتور مجدي الشوا .

والسابعة : «رئاسة الوزراء في الفقه الدستوري المقارن» للدكتور منير العجلاني .

والثامنة : «دور التربية في توثيق الروابط بين العرب» للأستاذ أحمد شكري مهران .

والتاسعة : «تطور المثل الأعلى» للدكتور عادل العوا .

والعاشرة : «الرياضيات أو العلوم الصحيحة» للأستاذ تادر النابلسي .

والحادية عشرة : «أحكام المنازعات القانونية» لععيد كليه الحقوق

الدكتور سامي الميداني .

والثانية عشرة : (فرنسية) «القواعد الأساسية لدستور ديموقراطي»

Les bases fondamentales d'une constitution démocratique

• للأستاذ روبر بالو Robert Pelloux

والثالثة عشرة : (فرنسية) «المشروعات ذات النفع العام»

Les entreprises d'intérêt general

• للأستاذ فرانسوا ترايو François Trevox

قدم هذه المحاضرات الأستاذ قسطنطين زريق رئيس الجامعة السورية بتوطئة قال فيها :

« والجامعة بتنظيمها هذه المحاضرات إنما تقوم بواجب مستمد من ضمير مهمتها .  
فهمتها نحو طلابها لا تقتصر على تلقينهم الدروس النظامية ، بل تعدى هذا الى  
تثنية مواهبهم ، وتوسيع أفقهم بما تزودهم به من ثقافة شاملة منيرة ، وما يهيئهم لهم  
من أسباب النشاط الحر في مختلف ميادين العلم والاجتماع .  
ثم ان مهنة الجامعة لا تقف عند حدود طلابها ، بل تعداهم الى المجتمع  
الواسع ، وعليها - اذا أرادت تأدية وظيفتها حق التأدية - أن تكون في محيطها  
مركز اشعاع للفكر الجاد الى الحقيقة ، الخالص لها ، المنكب على اكتسابها  
ونشرها بين الناس » .

وفي الحق ، ان هذه المحاضرات : العربية والفرنسية : العلمية منها والأدبية ،  
محاضرات مفيدة حربية بأن تلقى . فتسمع ، وأن تنشر فتقرأ . ليفيد منها  
المستمعون والقارؤون أدباً وعلماً . وبذلك تكون الجامعة السورية قد أدت رسالتها  
الثقافية على الوجه الصحيح . وكان علينا أن نتناول هذه المحاضرات واحدة واحدة  
بتفصيل نذكر ما لها وما عليها . غير أن ذلك يدعو الى تطويل لا تنسج له  
صفحات مجلتنا . وليس جميلاً أن نذكر بعضها ونهمل بعضها الآخر ؛ فنقف  
عند كلبتنا الموجزة هذه .

## عبد الله بن المعتز (أدبه وعلمه)

تأليف عبد العزيز سيّد الأهل

المفتش بوزارة المعارف المصرية والمنتدب للتدريس في الكلية العاملة ببيروت  
أخرجت هذا الكتاب القيم «دار العلم للملايين» ببيروت ، اخراجاً حسناً  
طبعاً ورتيباً فجمعت بذلك حسنات الطبع الى حسنات الوضع .  
وكان للمؤلف هوى في ابن المعتز ، فهو قد سبق له ان ألف فيه كتاباً  
سماه «يوم وليلة» ثم عاد فألف فيه كتابه هذا بعد أن «نقّاه - علي ما قال -  
من سيرته وتاريخه الأ فيما يتصل بانتاجه العلمي والأدي» . وقد تناول الأستاذ  
في كتابه : «ابن المعتز» : - ١ - العصر العباسي المتوسط . - ٢ - مذهبه  
الشعري . - ٣ - فنون شعر . - ٤ - الأراجيز . - ٥ - النقد والبلاغة .  
- ٦ - أنواع نثره . - ٧ - صفته وأخلاقه .  
وقد وفق الأستاذ في بحوثه الممتعة ، وفي بسط آرائه القيمة ، توفيقاً  
كبيراً ، حتى ليخيل الى القاريء وهو يقرأ هذه الفصول ، انه قد انتقل الى  
عصر المؤلف نفسه : يحضر مجالسه ، ويستمع الى محاضراته ومسامراته ، والى  
أدبه وبيانه ونقده .

ويحدثك المؤلف عن أسلوب ابن المعتز فيقول :

«... وابن المعتز يباليغ في السهولة ، فيدنو بألفاظه من ألفاظ الناس  
وادراكاتهم ، مع الاحتفاظ به متماسكاً في معظم الأحيان ، قوباً في بعضها ،  
دائماً قريباً أحياناً ، ولا يصف لك هذا الادناء والتقريب في شعره ، حتى لتكاد  
تجسبه نائراً الأ مثل قوله :

كأنني بك قد قلت وأطبت وأكثرنا

وهونت وعظمت وأسرفت وأفرطنا م (٨)

وقربت وبعثت وطوّأت وعرضنا  
 ووليت وأقبلت وقدمت وأخرنا  
 فدع عقلك هذا <sup>(١)</sup> فبالعقل تبرعنا

الآن أن ابن المعتز لا يستطيع أن يجد شعره في الطراد الفاظاً قريبة ،  
 فيضطر الى الاغراب في أراجيزه وطردياته . .

وكذلك يتوخى الوضوح والسهولة في الأسلوب ، فلا يعقد ولا يقدم ولا يؤخر ،  
 ولا يصعب ويصعب ، وهو في كل ذلك ، انما يساير طبعه الرقيق ، ومزاجه  
 اللطيف ، ويسلك مسالك اولاد الملوك ، فهو لا يتجاشى الخشونة والقرابة عن  
 صنعة واحتيال ، بل لطبع مخلوق ، - ومزاج موروث .

ويراود ابن المعتز المعاني مترفة كريمة ، فتطاوعه قوبة قريبة ، ويلبسها أسلوبه  
 الرشيق ، فيتجانس لفظه ومعناه أتم تجانس وبتماثلان . وكأنما لسانه وقلبه قد  
 قرب أحدهما من الآخر واتفقا وتقابلا ، فانعكست صور قلبه انعكاساً واضحاً  
 صادقاً على مرآة لسانه ، وعلى هيئتها وحقيقتها ، وقد صفا ابن المعتز ورق  
 كضحضاح الماء الثمير يظهر سطحه وقراره لأول لحظة من ناظر ، وبين اهتزاز  
 وسكونه لأدنى ادراك من لائح ، فما بنوي عملاً او يتحرك في نفسه خاطر ،  
 أو يهمس بين جنبيه هامس ، إلا ظهر على لسانه مصوراً في كلامه . وكأنما  
 خلق ابن المعتز وليس له سر ، فهو ينقل دائماً ما في قلبه للناس : غير متغير  
 ولا منقوص « .

هذه العبارات التي نقلها بحرفها تصف لنا المؤلف والمؤلف والمؤلف عنه  
 أصدق وصف أسلوباً وبياناً . وقد عزز الأستاذ سيّد الأهل أقواله بقطع مختارة  
 من شعر ابن المعتز ونثره . أكثرها آية من آيات الأدب والفن .

(١) كذا وردت ولعل الصواب : فدع عقلك يا هذا ، لينستقيم الوزن .

ولغة الكتاب كما رأيت لغة صحيحة صافية لولا تساهل في بعض ألفاظ  
وتراكيب ، لا تنسجم كثيراً هي وبيان المؤلف الفصيح ، وأسلوبه العربي الصحيح .  
ولا نرى بدأ بامم العلم والأدب ، من شكر سيّد الأهل ، على كتاب  
بعد من عيون كتب الأدب .

•••••

## هداية القرآن لبني الانسان

موجز منتخب لتفسير القرآن

تأليف يحيى احمد الدرديري

الدكتور في الحقوق ولسانسيه في العلوم السياسية

يقع هذا الكتاب في مئتين وستين صفحة وهو «المجلد الأول : يتضمن  
تفسير سورتي الفاتحة والبقرة وهو الجزء الأول والثاني وبعض الثالث من  
كتاب الله الحكيم» .

يقول المؤلف في مقدمة كتابه : «وقد وضعنا هذا التفسير الموجز بعد ،  
وهو منتخب من تفاسير علمائنا الأعلام ، وفقهائنا الكرام ، وقد اقتصرنا فيه  
على هداية القرآن التي هي الغرض الأول ، وتركنا ما عداه من نحو وصرف  
وبلاغة وبيان ، حتى لا نصرف ذهن القاري عن الهدف المقصود من الهداية» .  
وفي هذه المقدمة كثير من الآراء الصائبة والصيحات الداوية ، يريد بها  
الدكتور أن ينبه أبناء دينه الى ما لهم وما عليهم . فهو يقول لهم في جملة ما يقوله :  
«أمرنا الله في صريح العبارة بأن ندفع عن أنفسنا العدوان ، ونبتل المال  
والنفس في صيانة حقوقنا ، والاحتفاظ بجزئتنا ومبادئنا ، وحذرنا من التهاون والمخمل  
لأنهما طريقا للذل والاستعباد والتهلكة ...»

فالإسلام يدعو بصريح العبارة الى الكرامة والذود عنها ، والقتال في سبيلها ، ويعلمنا جلياً : ان الحياة ما هي الا معركة دائمة لا يبق فيها الا الأُصلح والأقوى . فهو يدعو كل مسلم لأن يكون مصلحاً ، ولأن يكون فويماً . . . فلا بد للمسلم الصادق من :

(١) التخلق بالفضيلة : الصدق في القول ، والاخلاص في العمل ، وانجاز الوعد ، وكتان السر ، وحسن المعاشرة والمعاملة .  
(٢) البذل والتضحية في النفس والمال في سبيل احقاق الحق وازهاق الباطل ، وان يجارب كل فساد وتدمير ، ويعمل على كل اصلاح وتعمير ، ويعمل على تحقيق كل خير لصلاح المجتمع .

(٣) الاعتصام بالله وبكتابه وهديه ، فيجمل حلاله ، ويحرم حرامه . . . بهذه الصفات والأخلاق ساد المسلمون في الصدر الأول ، واستخلفهم الله في الأرض ، فكانوا خير الخلفاء ، وأحسن الناس سيرة وأقومهم عدلاً . . . و يعود فيصف ما هم عليه المسلمون اليوم فيقول :

« . . . يضحى الأفراد بالمبادي السامية في سبيل المال والجاه ، والشهوة الجارحة ، وارواء النفس بأحط الشهوات .

أين هي الكرامة يامعشر المسلمين وقد غلبتم على أمركم وضاعت بلادكم واستعبدتكم شهواتكم ، وأنتم تعاملون في كافة أنحاء الدنيا معاملة الخسف والهوان ؟ » . . . ويستشهد المؤلف في هذه المقدمة ، كما يستشهد في خاتمة كتابه بأقوال فريق من جلة العلماء الغربيين : فرنسيين والمانيين وانكليزيين ، والعرب المسيحيين ، نوهوا بمظمة الاسلام وصلاحه من الوجهتين : الدينية والزمنية ، وبالرسالة الانسانية العليا التي حملها ( ﷺ ) فأداها الى الناس .

هذا شيء مما جاء في مقدمة الكتاب ، أما ما اختاره في التفسير فهذا شيء منه . . .

قال في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة : « وما رزقناهم بنفقون »  
 الرزق : ما انتفع به . والاتفاق « الصرف » هنا يشمل النفقة الواجبة على  
 الأهل والولد<sup>(١)</sup> بالعدل والقسطاس ، وصلة ذوي القربى ، وصدقة التطوع ، وهذه  
 تكون للفقراء والمساكين ، أو لمصلحة من مصالح المسلمين ، ومنفعة من منافعهم  
 العامة كبناء المدارس لمحاربة الجهل ، والمستشفيات لمحاربة المرض ، وانشاء مهات  
 تعاونية ، ومؤسسات اقتصادية لمحاربة الفقر . . . »  
 ومنها في قوله :

« ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف وللرجال عليهم درجة » .  
 « وهذه الآية قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق  
 إلاً أمراً واحداً عبر عنه بقوله : ( وللرجال عليهم درجة ) وليس المراد بالمثل : المثل  
 بأعيان الأشياء وأشخاصها ، وإنما المراد ان الحقوق بينهما متبادلة ، وانها اكفاء .  
 فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلاً وللرجل عمل يقابله لها ، ان لم يكن مثله  
 في شخصه ، فهو مثله في جنسه . . . وجعل لهم عليهم ، مثل ما جعل لهم عليهم .  
 وقرن أسماءهن بأسمائهم في آيات كثيرة ، وبابح النبي المؤمنات كما بابح المؤمنين ،  
 وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم . . . »  
 والآية تدل على اعتبار العرف في حقوق كل من الزوجين على الآخر  
 - ما لم يحل العرف حراماً أو يجرم حلالاً مما عرف بالنص - والعرف يختلف  
 باختلاف الناس والأزمنة . . .

ويختم الدكتور الدرديري كتابه بكلمة يصف بها سورة البقرة : مكانتها  
 وأهدافها وأثرها ، وبكلمة ثانية في القرآن لمصطفى صادق الرافعي رحمه الله .  
 هذه صورة من هذا التفسير الموجز الواضح ؛ حري بالتأديبين أن يرجعوا اليه ،  
 ويعتمدوا عليه .

عارف النكدي

www. . .

(١) لعله يزيد النفقة على الأهل والولد . . . لا الواجبة عليهم ، إذ هي واجبة لهم لا عليهم .

## كتاب التشبيهات لابن أبي العون

عني بتصحيحه محمد عبد المعين خان  
طبع في مطبعة جامعة كبرديج

أثبت ابن أبي عون في كتابه : التشبيهات ، آياتاً من تشبيهات الشعراء الواقعة وبدائعهم فيها الظرفية وفي رأيه ان الشعر مقسوم على ثلاثة أنحاء ، منه المثل السائر ومنه الاستعارة الغريبة ومنه التشبيه الواقع النادر وما خرج من هذه الأقسام الثلاثة فكلام وسط أو ذون لا طائل فيه ولا فائدة معه وابن أبي عون يرى أن أجلّ هذه الأنحاء وأصعبها على صانعها إنما هو التشبيه وذلك انه لا يقع إلا لمن طال تأمله ولطف حسه وميَّز بين الأشياء بلطف فكره وهو يعتقد ان التشبيهات التي أثبتها في كتابه فيها حظ ومنعة وتأدب ورياسة .

هذه مقدمة الكتاب التي شرح فيها المؤلف غابته ثم ابتدأ بتشبيهات الخالق ثم ذكر أدوات التشبيه وبعد هذا كله أتى على ذكر جملة من تشبيهات الشعراء من أيام الجاهلية وقد قسم هذه التشبيهات أقساماً فمنها ما يتعلق ببعض مشاهد الطبيعة كالثرثريا والصبح والبرق والسراب والمزن والروض والمياه والجداول وغير ذلك ومنها ما يتصل بالنساء وبعض مظاهرهن كالقنص والوجه والحديث والثدي ومنها ما يدخل في أمور نفسية كغناء الناس والخوف والدهش والجود وبعض العيوب ومنها ما يدخل في أمور مادية كالحرب وبعض أدواتها ، وفي الكتاب تشبيهات من موضوعات ثانية قد يطول ذكرها .

حقاً ان الكتاب يشتمل على متعة على نحو ما ذكر ذلك صاحبه فقد نجد فيه مشي بعض الشعراء على آثار بعض في تشبيهاتهم ، من هذا النحو قول أبي قيس ابن الاسد :

وقد لاح في الصبح الثرياً لمن يرى كمنقود ملاحية حين نوراً

تبعه ابراهيم بن المهدي فوصف أرضاً قطعها فقال :  
 خَطَّرْتُمْهَا وَثَرِيَا النِّجْمِ خَاضِعَةً كَأَنَّهَا فِي أَدِيمِ اللَّيْلِ عِنُقُودُ !  
 وقد نجد اختلاف الشعراء وتفننهم في التشبيهات ، من ذلك قول كعب  
 الغنوي في الجوزاء :

وقد مالت الجوزاء حتى كأنها فساطيط ركب في الفلاة نزول  
 وقول ابن المعتز في الجوزاء أيضاً :

كأَنَّهَا الْجُوزَاءُ فِي أَعْلَى الْأَفْقِ أَغْصَانُ نَوَّارٍ أَوْ شَاحٍ مِنْ وَرَقٍ !  
 تكررت في هذا الكتاب اللطيف تشبيهات للمحدثين مثل أبي نواس وبشار  
 ومسلم والطائي والبحتري وابن الرديمي وابن المعتز وأضرابهم ووازن صاحب الكتاب  
 بين تشبيهات المتقدمين والمحدثين فهو يرى أن المتقدمين قد افتتحوا القول وفتحوا  
 للمحدثين الباب ونهجوا لهم الطريق فكان لهم فضل السبق واستثناف المعاني وصعوبة  
 الابتداء إلا أن المحدثين قد أحسنوا التأمل وأصابوا التشبيه وولدوا المعاني  
 وزادوا على ما نقلوا وأغربوا في ما أبدعوا .

لا شك في أن التشبيه إنما هو روح الشعر لأن اللغة المجردة التي لا تشمل  
 على شيء من الصور المحسوسة الناطقة إنما هي لغة الفلسفة ونحوها وهذا هو الفرق  
 بين الفلسفة والشعر فالفلسفة تخاطب العقل والشعر يخاطب القلب والحياة إذا كانت  
 كلها عقلاً كانت جامدة جافية فلا بدء من شيء يهون من أمر هذا الجمود  
 وهذا الجفاء ولغة الشعر هي الشيء الموهون والتشبيه من جملة أدوات هذه اللغة  
 ولكن التشبيه لا يعمل عمله في القلوب إلا إذا كان مصقولاً قريباً من واقع  
 الحياة ولهذا كان شعر الشعراء الذين غلوا في تشبيهاتهم وبعيدوا عن واقع الحياة  
 ضعيفاً غير مهذب .

شفيق جبري

## مختارات

من الأدب العامي الحضرمي

جمها السيد روبرت سارجنت ، طبعت في لندن سنة ١٩٥٠ م

عدد صفحاتها ١٨٤ صفحة

أقام جامع هذه المختارات السيد ( R. B. Serjeant ) في بلاد حضرموت حيناً من الدهر يخدم سياسة بلاده ويرعى مصالحها . ومن جملة مصالح انكثرت أن تعرف روحية الشعب العربي الحضرمي . وتقف على خلائقه ومختلف طبائمه ولا يتسنى هذا إلا لمن خالط الشعب وأكثر من معاشرته على اختلاف طبقاته ولا سيما طبقة الأدياء والشعراء وهواة النكت والنوادر العامية . وهو ما فعله الفاضل المشار إليه . فقد شافه أدياء حضرموت وشعراءها الشعبيين وتلقى عنهم آثارهم وعنى بضبطها وتحقيق ألفاظها جد العناية حتى استكتب ( كليشيات ) لها بخط فاضلين من خريجي مدرسة الخطوط الملكية المصرية ، وطبع الكتاب كله على تلك ( الكليشيات ) . فأصبحت المختارات تُقرأ بسهولة ومن دون جهد وتفكير . ولكن ما الفائدة من ذلك كله إذا كانت تلك المختارات الحضرمية لا يفهمها إلا الحضارة مادامت مكتوبة نثرًا ونظماً بلغتهم العامية ولهجتهم الدارجة ؟ ومن قرأ المختارات أدرك لأول وهلة مقدار فضل الله على العرب مذج جمع كلمتهم بلغة القرآن الفصحى التي يلجأون إليها في التفاهم حين الحاجة ولولاها لقام في كل قطر عربي لغة جديدة لا يفهمها إلا أهلها . ولذا كان من مبدئنا مقاومة فكرة إحياء اللهجات والعناية بنشرها والكتابة بها . أما المستعمرون فيهمهم أمرها . وتمتين عراها . فيبلغون ما يريدون من أصحابها المتكلمين بها .

وجامع المختارات عدا عنايته بهذا الكتاب من جهة الخط والطبع وثخانة الورق فإنه قدم لكتابه مقدمة باللغة الانكليزية غابرة في الفائدة على ما يظهر من حيث

التعريف بمحضر موت وأدبائها وطرائقهم في إنتاج ما ينتجونه من الآثار في لهجة وطنهم وقد بلغت تلك المقدمة ٨٧ صفحة .

وصنّف تلك الآثار جامعا الى قسمين القسم الأول الآثار المنشورة والقسم الثاني الآثار المنظومة .

وافتح القسم الأول بقوله :

( كتاب الحبوب والثار . وما كان بينهم من النظم والأشعار . تأليف من هو سراجي من ربه الخيرات والبركات أحمد بن عبد الله يركات . دفين بلد شبام في ١١ محرم سنة ١٣٤٨ ) هـ .

وهذا الأثر الشعبي الذي سُمي كتابا ليس هو سوى رسالة أو مقامة بلغت ١٤ صفحة وقع فيها حوار بين الرزّ والبُرّ أيها أفضل ؟ وأتبع هذه المقامة كاتبها أو جامعها بما سماه ( قراآت أو ملحوظات ) علقَ فيها على تلك الألفاظ تفسيراً وتحليلاً واختلاف روايات ، وهكذا في سائر ما جمعه من تلك الآثار المعاصرة سواء أكانت نظماً أو نثراً . ولولا أن فائدتها بالنسبة الى قراء مجلّتنا قليلة لكننا اقتبسنا طائفةً منها . على أن الأسلوب في هذه الآثار الحضرمية يتخلّطه أحيانا ألفاظ فصيحة . وجمل صحيحة . لكن الروح الغالبة عليه ما لا يفهم من اللهجة العامية الغربية عنا . وإليك أيها القارئ مطلع هذه القصيدة بعنوان ( قصيدة في ملقاة التخم ما بين يافع وآل كثير لعمر بن محمد باعطوه ) :

( يا الله يارباه يا خول العطي بارافع السبع السماء ونجومها )

( ثم قال باعطوه تزعل مرقدى تنسّمي يا نفسي المهمومه ) الخ

ومها يكن فالفائدة من هذا الكتاب مرجوة لعلماء اللهجات العربية . ويشكر المجمع لمن أهدى إليه هذه المختارات وجامعها الفاضل .

بشكر المجمع لمن أهدى إليه هذه المختارات وجامعها الفاضل .

## معجميات

عربية - سامية

مؤلفه الأب سرسرجي . طبع في مطبعة المرسلين في جونية (لبنان) سنة ١٩٥٠  
عدد صفحاته ٢٤٠ صفحة

موضوع هذا الكتاب كموضوع كتابين سبقاه للمؤلف أحدهما باسم (المعجزة العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية) والآخر بعنوان (هل العربية منطقية أبحاث ثنائية ألسنية) وها هو ذا أخوهما الثالث بعنوان (معجميات عربية سامية) وكنا كتبنا تقریظاً ونقداً للكتاب الثاني (المعجمية العربية) في مجلة المجمع العلمي (سنة ٢٣ صفحة ٤٤١) أشرنا فيه الى صعوبة فهم المراد على القراء - من أسماء هذه الكتب فضلاً عن صعوبة فهم موضوعاتها . ومن أراد معرفة رأينا في ذلك فليرجع الى ما قلناه في التقریظ بل النقد المذكور .

وخلاصة الموضوع ان الأب يقول ان الأسماء والأفعال في اللغة العربية ترجع في أصولها الى حرفين فقط فهي ثنائية الأصول لا ثلاثيتها كما هو المقرر الثابت عند علماء اللغة العربية . ومن أمثله في الاستشهاد على رأيه كلمة (بلد) فهي مشتقة من مادة (لبد) . و (لبد) مشتقة من (لب) ومادة (لب) تفيد معنى (بلد) و (لبد) فاذا قلنا له ان (لب) ثلاثة أحرف : لام وباء آن مشددتان أي مدغومة احداها في الأخرى فهي ثلاثة أحرف بقول: كلا بل هي حرفان ، فاذا احتججنا عليه بلفظنا المسموع مذ نقول (ل ب ب) فالباء المشددة حرفان في الواقع ونفس الأمر ، أحالنا على علماء (الألسنية السامية) أي علماء اللغات السامية فنضطر ان نسكت ثم لانعلم ان كان زملاؤنا في المجمع اللغوي المصري سكتوا سكوتنا مذ ألقى حضرة الأب كلمة في هذا الموضوع عليهم في خلال الصيف الماضي أو انهم سلموا له رأيه تسليماً أو ناقشوه فيه تزييفاً

على أننا معاً عارضنا زميلنا في رأيه فإنا نعارض كل من حاول تفنيده أو إسكاته عن غير طريق العلم . فللعلم حريته . وللرأي استقلاله .  
ولم يقتصر الأب في كتابه هذا (المعجمات) على بسط الموضوع المذكور بل بسط رأيه في مواضيع وألفاظ أخرى ومعظمها مما سرده غبطة بطريك السريان في حصص في كتابه الذي سماه (الألفاظ السريانية في المعجم العربية) فالأب أنكروا عليه كل الإنكار جعله ألفاظاً عربيةً صحيحةً من أصل سرياني .  
وقد أصاب في ما قال .

وإنا نرجو لصديقنا الأب مرمحي التوفيق في ما قصد إليه من خدمة اللغة العربية الذي يهواها ويعد من أكبر أنصارها .  
المصري



### تهذيب الإيضاح

شرح حديث لكتاب الإيضاح الذي ألفه الجلال القزويني ثم دمشق قاضي دمشق وخطيب جامها المتوفى سنة ٧٣٩ هـ . هذبه ورتبه وشرحه الأستاذ عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي وأستاذ العلوم العربية بكلية الآداب السورية .

### الجزء الأول - فن البديع

عهدت الجامعة السورية بتدريس العلوم العربية بكلية الآداب إلى صديقنا الأستاذ عز الدين التنوخي ، فقام بتدريس علم البلاغة فيها خير قيام ، وأثر في ترتيب فنونه الابتداء بفن البديع فالبيان فالمعاني ، وكتاب البديع هذا بلغ بفهارسه المنوعة ما يقرب من أربعائة صفحة ، استهله بعد المقدمة ، وترجم المؤلف صاحب تلخيص المفتاح ، وشرحه الإيضاح ، بفصل في تاريخ البديع ، ثم عقد نحو خمسين باباً في التخصينات اللفظية والمعنوية ، وشرحها بما لا يقل عن مثلها ، وختم كل باب بأيراد شواهد ونصوص عليه ، ليتم به تطبيق العلم على العمل ، وهذه

النصوص والشواهد آيات من التنزيل الحكيم مشار إلى سورها وأرقامها ، وأحاديث نبوية معزوة أكثرها إلى الصحيحين والسنن ، وشعر ونثر لبلغاء الشعراء والكتاب مع الدلالة على دواوينها وكتبها ، وقد فعل مثل ذلك في ما أورده «الإيضاح» من النصوص والشواهد أيضاً ، فذلل من الكتاب الصعاب بما شرح من مسأله ، وبما يستشر الطلاب الآداب من مصادر يرجعون إليها ، ويستوفون المباحث منها .

وكانت قدمت للأستاذ التنوخي كتاب «التيان في المعاني والبيان» للطبي ، وهو الذي كنت نسخته أيام الطلب والتحصيل ، وقرأته على أستاذنا القاسمي (رحمه الله تعالى) فنقل الأستاذ عنه ، وأشار إليه في مواضع من مؤلفه ، وقال (ص ١٤٥) : «وهو بخط صديقنا (محمد بهجة) وقد وعدته بفسره يوم أعارني مخطوطته ، وذلك إن أعان الرحمن وسمح الزمان» ونحن نسأل الله تعالى أن يحقق ذلك على يديه بمنه وتوفيقه . هذا وقد تصفحنا «التصحیحات» في آخر الكتاب فرأينا أن نضيف إليها ما سبها فلم الأستاذ التنوخي عنه .

فن ذلك أنه كتب على غلاف الأجزاء الثلاثة عن الخطيب القزويني ما نصه : «المتوفى سنة ٧٢٦ من الهجرة» مع أنه قال في ترجمته ص ١١ : وبعد أن أعيد من القاهرة إلى قضاء الشام أقام بها قليلاً وتعلل ، وأصابه فالج فمات منه في منتصف جمادى الأولى سنة ٧٣٩ للهجرة ٥١٠ . وفي الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٥) : مات الجلال القزويني في منتصف ج ١ سنة ٧٣٩ ومثله في الشذرات (ج ٦ ص ١٢٣) . فليصح ما كتب على الأجزاء الثلاثة . وقال في ترجمة المؤلف : وذكرنا بأنه أخذ الأصلين أي التفسير والحديث عن الأبي ، وهو الشمس أبو عبد الله محمد الأبي الشافعي ، كان فقيهاً صوفياً ، وإماماً في الأصلين ، وشرح مختصر ابن الحاجب (٥٦٩٧ هـ) .

أقول : أما تفسيره الأصلين بالتفسير والحديث - ويقصد القرآن والحديث -

فهو صحيح في نفسه لغة وشرعاً - ولكنهم يريدون بالأصلين : أصول الدين وأصول الفقه ، ( أي أصول العقائد وأصول التشريع ) ، وفي كليات أبي البقاء : والأصل في الدين هو التوحيد ، ومختصر ابن الحاجب الذي شرحه الأبي ، هو مختصر كتابه ( منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل ) وأوله : لما كانت علم أصول الفقه من الأمر الجلل ٠٠٠٠ الخ وهو مطبوع بمصر : في الإيضاح ص ٢٨٣ . وقيل السجع غير مختص بالثر ( أي : بل يتعداه إلى الشعر ) قال : ومثاله من الشعر قول أبي تمام من قصيدة يدح بها نصر بن منصور : تجلّسى به رشدي ، وأثرت به يدي وفاض به ثمدي ، وأوزى به زندي والشاهد في اتفاق فواصل البيت في حرف الدال الأخير .

وقد كتب الأستاذ في تهذيبه : عبارة المصنف مقلوبة ، والصواب أن يقال : ( الثر غير مختص بالسجع ) لأن معنى اختصاص السجع بالثر ألا يكون شيء من الثر إلا مسجعاً ، وهذا لا يقوله أحد ومعنى اختصاص الثر بالسجع ألا يكون السجع إلا ثرياً ، وهو المقصود .

قلت : وهو من الصديق سهو أو سبق قلم ، لأن الشاهد في ( السجع ) والكلام فيه ، وأنه كما يقع منشوراً يقع منظوماً ، وقد أورد الشواهد الشعرية عليه ، وليس الشاهد في الثر ، وأنه يكون مسجوعاً وغير مسجوع ، لأن هذا لا خلاف فيه ، وعبارة المؤلف ظاهرة في المراد ، أما عبارة التصحيح « الثر غير مختص بالسجع » ففادها أن الثر كما يقع مسجعاً ، يكون غير مسجع أيضاً ، ومن يخالف في هذا ؟ وجملة المؤلف لم تردده ولم تشير إليه ، بل أرادت هذا المحسن اللفظي - وهو السجع - وأوردت له الشواهد ثراً ونظماً ، وهي صحيحة في معناها .

## مجاز اللغة والأسماء والصفات

شرح الأستاذ التنوخي في تهذيبه ، ما أورده المصنف من أسماء الله تعالى وصفاته ، ناقلاً عن الزمخشري ما فسرهما به في كشافه ، وهذه أمثلة منها :  
 في باب المشاكلة ( ص ٦٠ ) : « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك »  
 تطلق النفس على الروح والقلب ، فلا يجوز إطلاقها على الله ، إلا على سبيل  
 المشاكلة ، ونقل عن الكشاف ما هو بمعناه ، وقال : ورد في الكتاب المبين  
 كثير من آيات المشاكلة ، ( قال ) : وبمعرفة المشاكلة يزول الإشكل في  
 تفسيرها ، ومن التفسير ما يوجب التكفير ، وفي بحث « التورية » يقول الكشاف :  
 وجعلوا العرش كناية عن الملك ، أي في الآية الكريمة : « الرحمن على العرش  
 استوى » ( ص ٩٠ ) وقال السكاكي : أكثر منشبهات القرآن من التورية  
 ( ص ٩٤ ) وقال الزمخشري : ولا أنفع ولا أعون على تأويل المنشبهات من  
 كلام الله وكلام رسوله وكلام صحابته منها ( ص ٩٦ ) منه .  
 وقد وصف الأستاذ التنوخي المفسر الزمخشري بأنه بليغ العلماء والمفسرين ،  
 واعتمد تفسيره في تهذيبه ، قلت : لا ريب أن تفسير الكشاف مؤسس على بلاغة  
 القرآن ، ومبني على علمي المعاني والبيان ، فهو قد حقق كثيراً من فرائد الكتاب  
 العزيز ، وكشف عن كثير من مخدرات معانيه الحسان ، فبرزت بأروع صورة ،  
 وأجلى بيان .

ومن مزاياه أنه يوقف على مواضع من حقيقة القرآن ومجازه ، ويجلي للنظر  
 مطالع من إيجازه وإعجازه ، لكن يؤخذ على هذا التفسير ما يؤخذ على مذهب  
 مؤلفه المعتزلي ، وهو أنه منح العقل سلطة لا تجد بحد تقل ولا عقل ، وحلق  
 في جو لا يبلغه حس ولا علم ، فنفي ما أثبتته الله لنفسه من صفات كاله ، ونعوت  
 جلاله ، كالنفس والوجه واليد والاستواء وغيرها ، مما يختلف تمام الاختلاف

عن محسوسنا وملسوسنا ، بل عن جميع ما تنصوّره أو تصوّره عقولنا وأفهامنا ، والمعترلة قد فهموا بل زعموا أن ليس لهذه الصفات من المعاني إلا ما هو في المخلوق ، ثم زهوا ربهم عنها إذ « ليس كمثل شيء » ثم أثبتوا لهذه الألفاظ معاني مجازية ، ثم حكموا وجزموا بأنها هي المرادة لله تعالى ، وأنت تعلم أن هذه المزاعم الأربعة لا يقوم على واحد منها دليل ، وليس هنا موضع التفصيل . ( في ص ٦٢ ) : نقص آية « قولوا آمنا بالله » جملة « وما أنزل إلينا » . ولعل الأستاذ الكريم يشير في مقدمة الطبعة الثانية من « التهذيب » إلى ما رأى الاستغناء عنه من مباحث « الايضاح » كما فعل في حذف « الاستنباح » وهو الوصف بشيء يستتبع وصفاً آخر ، واكتفى ( بالادماج ) الذي عدّه المصنف أعم منه ، وأشار إليه في ( ص ١٩٤ ) . ولعله يستوفي أيضاً ضبط جميع ما يشكّل على القراء من الشواهد وأصحابها ، وتاريخ وفياتهم ، وعزو الأحاديث ، ولم يفته من ذلك كله الا القليل .

أثاب الله الأستاذ التنوخي على شديده عنايته ونصبه ، وشكر له إخراج كتاب « الايضاح » مزديناً بجمل شروحه وتهذيبه ، حتى صار عمدة الدارسين والمدرسين ، في أرقى الجامعات الدينية والمدنية .



### الجزء الثاني - فن البيان

كنا كتبنا على الجزء الأول من هذا الكتاب النفيس في فن البديع ، وأما الآن الجزء الثاني في فن البيان ، وهو كسابقه تحقيقاً وتدقيقاً ، وشرحاً وتفصيلاً ، وإكثاراً من إيراد الشواهد الشعرية البليغة ، ودلالة على المصادر الكثيرة ، بل وإرشاداً إلى صفحات المباحث المطلوبة منها أيضاً ، وختماً لكل باب بنصوص من آي الذكر الحكيم ، وحدث النبي الكريم ، وشعر العرب

التليد والطريف ، تطبيقاً للعلم على العمل ، وإنشاءً للملكة البيان في نفوس الطلاب والطالبات الجامعيين وغيرهم ، وقد وضفت الجزء الأول بما يعني عن الاعداد والتكرار .  
 وما امتاز به هذا الجزء البياني على غيره ، هو أن الأستاذ التنوخي قد عاد به إلى أصله ، ولا يخفى أن الجلال القزويني قد لخص « المفتاح » للسكاكي في علوم البلاغة ، ثم شرح تلخيصه « بالإيضاح » ؛ ومؤلفا المفتاح والإيضاح قد لخصا كثيراً من مباحثها من كتابي : « دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة » لإمام هذه الفنون البلاغية الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقد وقع في هذه التلخيصات كثير من الإيهام والغموض ، حتى في معاني الشواهد التي أوردها عن « الأسرار » طبع المنار ، فجاء التنوخي في شرحه ، يرد كل فرع إلى أصله ، فإشارة بنقل عبارة الجرجاني بتامها ، فتوضح الغامض ، وتحل المشكل ، وتبحث في نفس القارئ المهمة والشوق إلى دراسة هذين المصنفين العظيمين « الدلائل والإعجاز » وهما أعلى لغة ، وأعذب أسلوباً ، وأوضح دلالة من المفتاح والإيضاح ، وإن كان هذان طريقاً إلى الأولين ، وإشارة يرشد المهذب إلى صفحات الشواهد المنقولة عن الأسرار ، ويرغب الطلاب في العودة إليها ، واستيفاء معاني الشعر منها ، ولعمري إن صياغة عبد القاهر الأدبية في كتابيه ، هي السحر الخلال لقصاده ، والماء الزلال لورآده .

ومن إيضاحات « التهذيب » أيضاً تلك الجداول البيانية ، التي سطر فيها خلاصة المباحث ، وملخص مذاهب علماء البيان فيما اقررت أنظارهم فيه ، كما نرى في بحث الاستعارة على مذهب السكاكي (ص ٢٤٢) ففيه إنكار تقسيمها إلى أصلية وتبعية ، وقد ردت التسمية إلى قرينة المكنية ، كما في (نطق الحال) فقال : إن الحال استعارة مكنية ، و (نطق) قرينتها ، ورد عليه بأن قرينة المكنية عنده استعارة مصرية ، والاستعارة في الفعل - أي كينطق - لا تكون إلا تبعية .

وعما أخذنا على المؤلف والمهذب معاً في فصل ( المجاز بالحذف والزيادة ) تأويل  
 الأول لآية : « وجاء ربك » قال : أي : أمر ربك ، وعلل المهذب ذلك  
 بقوله : لاستحالة المجيء على الرب ، أما إسناد المجيء إلى أمره فهو جائز اه (ص ٢٣٩) .  
 وأرى أن أزيد هنا على ما استدركته على ( ج ١ فن البديع ) في مبحث الحقيقة  
 والمجاز : أن مجيئه سبحانه لبس بمسحله ، فنُضطرَّ إلى هذا التأويل ، ولو جعلناه  
 مجازاً بالحذف كما في قوله « وأسأل القرية » أي أهلها ، لشبهناه تعالى بالجنادات  
 التي لا يسند إليها المجيء ، كالقرية التي لا يتوجه إليها السؤال ، على أن إسناد  
 المجيء إلى « الأمر » في قولنا « وجاء أمر ربك » مجاز أيضاً ، لأن الأمر  
 « شيء ذهني لا يتأتى منه المجيء » ، وإن قلنا إنه استعارة وقد حذف المشبه به  
 وهو « الأمر » ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو « المجيء » على طريقة الاستعارة  
 المكثية الأصلية ، فقد شبهنا أصل الموجودات ، وهو خالق الأرض والسماوات ،  
 بالمعقول أو المعدوم ، وهو أمر ربك ، لا سيما على مذهب المعطلة الذين لا يثبتون  
 له تعالى كلاماً لفظياً ولا نفسياً ، فتبين أن كلا الأمرين - المجاز بالحذف والاستعارة -  
 محال على الله عز وجل .

والصواب أن المجيء كالقوة والرحمة والعلم والحكمة وكسفة الكلام ، كلها  
 من صفات الكمال ، الثابتة عقلاً ونقلاً لذي الجلال ، فن نقاها عنه فراراً من  
 تشبيهه بالأحياء من المخلوقات ، فقد شبهه بالجنادات والمعدومات ؛ والآلة التي  
 تري المتكلم الآن حاضراً عندنا ( Télévision ) وهو لم يبرح مكانه ، تهدبنا  
 إلى فهم المجيء والنزول بلا انتقال ، والله المثل الأعلى ، فوصفه بما وصف به  
 نفسه حقيقي غير مجازي ، وهو لا يحتاج إلى تأويل بكنة التعطيل ، فراراً من  
 شبهة التشبيه ، فإن تشبيهه من « ليس كمثل شيء » بالمخلوق غير وارد من أصله .  
 وإني مضيف إلى التصويب ما سها عنه قلم المصحح ، ففي ص ١١ غلط بالأرقام  
 ظاهر فليصح ، و ( ص ١٣ س ٣ ) : هو ازن ، و ( ص ١٢ س ١ ) : إحداها ،

و (ص ١٣١ س ١٢) : أن تقوم فيه ، و (س ١٣) المطهرين ، و (ص ١٣٢ س ٨) : بمثل ، و (ص ١٨٧ س ١٠) ، هذا ما وعدت ، و (ص ٢٦١ س ٥) : بفتح الصاد ، و (ص ٢٨٨ س ٧) : ذاك الغنى ، و (ص ٢٩٠ س ١٢) : لم تنتطق ، و (ص ٣٠٠ س ٩) : مواهب الفتح .  
 وقد بلغ هذا الجزء بفهارسه للموضوعات ، ومراجع البحث ، والشعراء ، والأعلام أكثر من ثلاثمائة صفحة .  
 شكر الله اصديقنا المؤلف حسن صنيعه وبارك في عمله .



### الجزء الثالث - فن المعاني

بدأ الأستاذ التنوخي في تهذيبه وشرحه للإيضاح في علوم البلاغة بفن البديع وختمه بالمعاني ، انتقالاً بالطالب من السهل الى الصعب ، ووفقاً لما جرى عليه عرف العلماء في الغرب ، فقد ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته أن أهل المغرب اختصوا من أصنافه علم البديع خاصة ، وجملوه من جملة علوم الأدب الشعرية ، وفرعوا له ألقاباً ، وعدادوا أبواباً ، ونوعوا أنواعاً (قال) : « وانما حملهم على ذلك الولوج بتزيين الألفاظ وأن علم البديع سهل المأخذ » قلت : فما أجل هذه الوحدة الثقافية العربية ، في أقطارها الشرقية والغربية .  
 وهذا الجزء الثالث كسابقيه ترتيباً وتهذيباً ، وشرحاً وإيضاحاً ، واكثاراً من الشواهد ، وتمريباً على القواعد ، واعراباً بيانياً ، ولقد قرأت بعمله هذا كتابي المفتاح والإيضاح لطلابها ، وحببت الى القراء مطالعة أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز بما نقله عنها ، وهدى إلى المراجع الكثيرة من أمهات كتب النثر والشعر ليسهل الرجوع إليها ، والاستفادة منها .  
 وكتابه هذا أجل الأجزاء الثلاثة ، فقد بلغت صفحاته أكثر من أربعمائة وخمسين صفحة ، عدا فهارس الموضوعات ، ومراجع البحث ، ودليل الكتاب المرتب على حروف الهجاء ، والتصحيحات ، وإني مضيف الى هذه التصحيحات

ما لم أره فيها ، مقدماً الآيات الكريمة : ص ١٠٥ س ٤ : « بدا أبي لهب » ،  
 ص ١٣٧ س ٤ : « أو إياكم » ، ص ١٩٠ س ٩ : فإنها ، ص ٢٣٥ :  
 « لئن أشركت » ، ص ٢٧١ في الحاشية س ٢ : « حور » ، ص ٣٣٣ س ٦ :  
 « في جنب الله » ، ص ٤٢٤ في الحاشية س ١ « وإذ استسقى » و س ٢ :  
 « أناس » ، ص ٤٣٢ س ٣ « حافظوا » . ومن غير الآيات ص ٢١٦ في الحاشية  
 ٩ « ومن بك أمسى » بتقديم ( بك ) على ( أمسى ) ، وتأخيرها سهو مطبعي .  
 وقد أورد الجلال القزويني وغيره في بحث المجاز العقلي للصلتان العبدى الشاعر  
 الحامى قوله :

أشاب الصغير وأنى الكبير كز الغداة ومر العشي

أسند: أشاب وأنى الى الكر والمر: ولم يسندهما إلى الله عز وجل ، وقال  
 الجلال القزويني ( ص ٧٢ ) : ولهذا لم يحمل على المجاز ما لم يُعلم أو يُظن أن  
 قائله لم يرد ظاهره ، ولكنه عاد الى الاستشهاد بالبيت فقال ( ص ٧٨ ) :  
 وكصدور الكلام من الموحّد في مثل قوله ( أشاب الصغير ٠٠٠٠ ) البيت ،  
 وعلق عليه الأسناذ التنوخي بقوله : « فان القرينة الدالة على المجاز معنوية ، وهي  
 نسبة الإشابة والإفناء الى ( كر الغداة ومر العشي ) ا هـ . قلت : ويظهر من  
 كلام الجلال السيوطي في شرحه لا رجوزته ( عقود الجمان ) أن القرينة لفظية  
 كما في قول أبي النجم « أفناء قيل الله للشمس اطلعي » بعد قوله :

ميتر عنه فنزعاً عن فنزع جذب الليالي أبطيء أو أمرعي

فقد قال السيوطي ص ١٣ : وقد وقفت على القصيدة التي منها ( أشاب الصغير ٠٠٠٠ )

البيت ومن جملة آياتها :

فلتنا أنسا المسلمو ن على دين صدبقنا والنبي

كذا أورده المبرد في الكامل ، وعنا القصيدة إلى الصلتان العبدى فعلم بذلك  
 حمله على المجاز ( أي اللفظي ) والله أعلم .

محمد بهجة البيطار

*Bishr Farès - Une miniature religieuse de l'école arabe de Bagdad, (Mémoires de l'Institut Français d'Egypte, T.LI. Le Caire 1948) .*

(منمنمة دينية تمثل الرسول، من أسلوب التصوير العربي البغدادي)  
 كتاب باللغة الافرنسية عدد صفحاته ( ١٠٦ ) صفحة بالقطع الكبير  
 و ( ٣٢ ) لوحاً مصوراً يتلوها ملحق عربي في ( ٣٧ ) صفحة لخص فيه المؤلف  
 بحثه الافرنسي وزاد عليه بياناً ضمنه الاصطلاحات الخاصة بالنقش التي استعملها  
 لهذه الترجمة . طبع في عام ١٩٤٨ في مطبعة المعهد الافرنسي للآثار الشرقية  
 في القاهرة .

اهتمدي الأستاذ بشر فارس في دار الكتب المصرية الى نسخة خطية من الجزء  
 الحادي عشر من كتاب الأغاني كتبها محمد بن ابي طالب البدري سنة ٦١٤ هـ .  
 وعثر المؤلف ضمن هذا الجزء على صورة ملونة - أو منمنمة حسب اصطلاحه -  
 زين بها الكاتب أو الرسام وجه الورقة الثانية التي كتب على ظهرها مطلع  
 الفصل الأول وهو : « خبر أساقفة نجران مع النبي صلى الله عليه وسلم » . وهذا يشير  
 الى أن موضوع الصورة هو من مشاهد الخبر الآنف الذكر . وقد أدرك الأستاذ  
 البجائة قدر ما عثر عليه فأظهره الى الوجود وعرف عنه بقوله : « قدم هذا الأثر  
 الجديد في عمر التصوير الديني الاسلامي قرناً ( من بداية الثامن الى بداية السابع )  
 ويقوم مقام شهادة عربية عظيمة الشأن في مسألة كثر فيها النقاش ، وهي التصوير  
 الديني في الاسلام » .

لقد أضاف المؤلف بنشره هذه الصورة وثيقة جديدة الى دراسة فن التصوير  
 عند العرب . ولهذه الصورة مغزاها في مبلغ عنابة المسلمين بالتصوير الى جانب  
 عنابتهم بالزخرف وأضراب التجميل في عصورهم الزاهرة ، وما هذه البقية الباقية

من الصور التي حفظتها عنابة القدر وسلمت من عبث الجاهلين وتلف المخربين  
 الا شهادة حق على فساد مزاعم من رموا المسلمين بالتعصب الديني لأنهم أهملوا  
 النحت والتصوير وتجنّبوهما . وقد حان الوقت لاعادة النظر في قضية تحريم التصوير  
 في الاسلام ودحض التأولات أو التفاسير الخاطئة في هذا الشأن بعد أن زود  
 المجاعة بمئات الوثائق المصورة التي يرجع عهد بعضها الى صدر الاسلام .  
 ومن المؤسف ان تغفل كتب التراجم سير أكثر النساخ ولذلك أهملت  
 سيرة صاحبنا محمد بن ابي طالب ، غير انه يمكننا أن نجزم بأنه شيعي المذهب  
 كما يستدل ذلك من العبارة التي اختتم بها ما استنسخه (لوح ٢) وهي : « الحمد لله  
 حق حمده وصلواته على سيدنا محمد وعلى وصيه وآله الطاهرين وسلامه » . وهذا  
 يدعم ما ذهب اليه المؤلف من نسبة هذه الصورة لأسلوب التصوير العربي البغدادي  
 لأن انتشار المذهب الشيعي وقتئذ كان بأوسع مداه في العراق بخلاف ما كان  
 عليه في بلاد الشام .

ورغم الطابع البغدادي الظاهر على هذه الصورة فانها لا تخلو من معالم تأثير  
 الفن المسيحي السوري ، ولا يستنكر ذلك لأن الفن المسيحي الذي احتفظت به  
 بلاد الشام قد نقله منها فنانون بغداد في عهد العباسيين وطوروه من دون ان  
 يتحروا من أصاليه حتى امتزج الطابعان وتشابها .  
 وأما الملحق العربي فهو أبعد من أن يحيط بما في الأصل من فوائد الأبحاث ،  
 ولكن كان الغرض منه كما قال المؤلف : « ان تجري الثقافة العربية الى المشاركة  
 في التأليف العلمي حتى نستوي فتمتكن فتذبح ..... ولا يحسن الناظر المتعقب  
 الا ان يعتمد الكتاب لا الموجز » . وقوله هو خير تعريف .  
 وأما الاصطلاحات الفنية التي اعتمدها المؤلف فيصدر بحثها على حدة لأهميتها  
 وعظيم فائدتها .

## الموسوعة الاجتماعية

تصدرها باللغة العربية لجنة نشر الثقافة الاجتماعية بمصر

مطبعة مصر في ٩٦ صفحة من القطع الكبير

بنصرف العالم الآن بعد حربين طاحنتين الى الدراسات الاجتماعية الحديثة لعلها تقدم للأمراض الاجتماعية والاصلاح الاجتماعي دواءً ناجحاً . وتوجهت الأنظار الى علماء الاجتماع يرجون على يديهم الشفاء ، فصدرت لذلك مؤلفات وكتب كثيرة في أوروبا وأميركا راجت رواجاً عظيماً في العالمين . ولكن العالم الجديد قطع في هذا الميدان شوطاً واسعاً فقام باانشاء موسوعة للعلوم الاجتماعية يجررها بالانكليزية أئمة علماء الاجتماع في العالم تحت رعاية عشرة مجامع علمية أميركية . وقد اشترك صفوة الكتاب في هذه الموسوعة وعاونهم عدد من المستشارين لمراجعتها ونقدها ، واستمر العمل في تأليفها خمسة عشر عاماً ، فاحتلت موقع الصدارة بين الآثار العلمية الحديثة في أوروبا وأميركا .

ويكاد أكثر الشرقيين والعرب يجهلون ما لهذه الموسوعة من مقام رفيع وأثر فعال في تطور الجماعات عندنا وتدرج الحياة في بلادنا ؛ لذلك قامت في القاهرة لجنة من صفوة المثقفين فأنشأت جمعية لترجمة هذه الموسوعة إلى اللغة العربية ودعتها « لجنة نشر الثقافة الاجتماعية » ويشرف على تحرير هذه اللجنة الأستاذان علي حسني و ابراهيم زكي خورشيد ، ويقوم على ادارتها الأستاذ احمد الشنتاوي ، وبدير التحرير فيها الأستاذ محمود محمد شاكر . ولكل من هؤلاء الأساتذة جهده المشكور وأثره المذكور في ميدان التأليف والترجمة . والقراء بذلكون ترجمة دائرة المعارف الاسلامية وغيرها من الكتب التي نشرها أو ترجمها هؤلاء الأساتذة .

هذه هي الخطوة المباركة التي خطتها اللجنة في ترجمة هذه الموسوعة ترجمة دقيقة في سلاسة ويسر ، وعبارة منسجمة مع أسلوب البحث ، فالمفردات العربية دقينة في قلب معجاناتنا ، والمفردات الغربية غريبة على مصطلحاتنا . وقد بوبت اللجنة هذه المباحث ورتبتها على حروف الهجاء العربي ف جعلتها كأنها وضعت للعرب حين وضعت . وربما وقع في حرف الألف بالترجمة العربية ما موقعه الحرف الخامس عشر من الأصل الانكليزي .

وقد ذكرت اللجنة في ختام كل مقال المصادر التي اعتمد عليها المؤلفون ذكراً كاملاً باللغات الأصلية . ويحتوي هذا المجلد الأول على بعض حرف الألف: كالائتلاف والآثار وآداب المجتمع والمهنة والابعاد السيامي والايقورية والاتحاد والاتحادية والاتفاقات والمعاهدات إلى جانب الأعلام المبدوءة بالألف من شرفيين وغريبين وفهم ابن نيمية وابن رشد وابن خلدون وابن حنبل ومسكويه وابن ميمون وابسن وغيرهم .

وفي هذه الموسوعة من الجهد ما يقصر عنه كثير من المؤلفين والمترجمين وفقت فيه اللجنة . وإذا كنا نأخذ عليها شيئاً فإنما نأخذ عليها الخطأ المطبعي في رسم بعض المصادر الألمانية والفرنسية مما يحتاج الى دقة بالغة في التصحيح والمراجعة . ونطمح كذلك أن تزيد اللجنة في الأعلام العربية من ذكر مصادر أغفلتها الموسوعة كجادة ابن نيمية مثلاً فقد ألف فيه المستشرق هانري لاووست كتاباً يزيد على سبعمائة صفحة ونشره في مصر بين ظهرائي الأستاذة المترجمين (1) ، وقد فعل ذلك بعض أعضاء اللجنة حين ترجموا دائرة المعارف الاسلامية فذكروا ما أغفل المستشرقون ، وصححوا فيه وأضافوا اليه .



(1) Henri Laoust, *Essai sur les doctrines sociales et politiques de Taki - D - Din Ahmad -B. Tainiya*, Le Caire 1939, 755 pages, in-8°.

## ألوان شتى — مجموعة شعر

لطالب الحيدري

١٥٩ صنعة من القظم للتوسط — مطابع دار الكشاف في بيروت

هذا ديوان فيه صورة جديدة لشعر الشباب وألوان جديدة من ألوان الشعر المعاصر قد انطبع بطابع العصر وتلون بلون الزمان فليس من شعر المناسبات الذي انقضى عليه ربع القرن الماضي بولادة مولود ووفاة شيخ أو زيارة زعيم أو تتويج ملك . وليس في شعر الغزل الصرف يعج كلكه بالصدر والعطر ، والجسد والمادة . ولكنه صورة الشباب المتوثب الذي يتقد وطنية فيثور على نظام الطبقات ، وينصر للفقير والبائس ، وينتظم في صفوف الشعب المناضل . والشاعر طالب الحيدري عمراقي ، نشر ديوانه وهو في الثانية والعشرين ونظمه وهو في العشرين ، وقد ذكر في ديوانه (ص ٨٧) أنه قد احتفل سنة ١٩٤٧ ببلوغه عشرين عاماً وقال حينذاك :

أيتها اللهو لا أرى لك عوداً	كيف ألهو وقد خطبت الكلالا
سوف أقفوا «الشريف» فضلاً ونيلاً	وأكون «الوليد» سحرأً حلالا
ليس من بقطع الحياة خمولاً	مثل من بقطع الحياة نضالا
ان عمر الفتي صحائف أعمال	فسجّل لنفسك الأعمالا
لا يُنال الخلود إلاّ بآثار	تمز الأجيال فالأجيالا

ويقول في جده وقد استشهد في «القرنة» سنة ١٩١٤ ذائداً عن وطنه (ص ٧٨) :

قد مات في الميدان بعد جهاده	إنّ الفتي من مات في الميدان
قد كان «جدي» في الشهادة أولاً	وسعادتي في أن أكون الثاني

ويقول :

همني تنسف الجبال وعزمي	لا يرى في الأمور أمراً محالا
قد خطبتُ العلي فغالبت بالمهر	ومن يخطب الجميلة غالي

وهو ينظر الى قول فارس الحمدانيين :

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر  
ولعل الشاعر وقد أحب وطنه ودعا الى الامتسهاد في سبيله قد تلفت الى التاريخ  
فجلا منه صوراً عزيزة فيها صور النبي الكريم وعلي بن أبي طالب وابنه الحسين<sup>(١)</sup> ،  
وقد عاج خلال ذلك الى نفسه فوصف حياته بقوله ( ص ١٠٠ ) :

يحيا حياة كلها غصص ويعيش عيشاً ماحلاً مرّاً

وهو على هذا البؤس والألم يصف الطبيعة وبحالها وفتنتها وبجرها ، ويصف  
المرأة بما وصفها به الشعراء ، فطرق أبواب الشعر المعروفة . وقد كنا نود أن يخلو  
هذا الديوان الوطني من صفحات التشبيب الماديّ فالداوين المعاصرة تُعني عنه ،  
ولكنه بسط العذر لنفسه فقال :

هناك لهوت مع الالهيات كما يشتهي عنفوان الصبا

والديوان يجملته في أسلوب سلس سهل . فنحن مع الأستاذ محمد رضا الشبيبي  
الذي قدم الديوان فرأى في قصة هذا الشاعر المتألم « قصة الشباب العراقي بأمره  
بل هي قصة الشباب في كل بلد عربي مغلوب على أمره » ، ونحن مع الأستاذ الشبيبي  
في الدعاء لهذا الشاعر الشاب بالتوفيق .

الدكتور سامي الدهان



(١) وكنا نود أن يبرى هذا الديوان من القذف في الخلفاء ( ص ١١١ ) لأن هذه  
النيمة بطلت ولا تلتقي بلين المصر أن يردد حديثاً سخيفاً أكل البهر عليه . (المجمع)

# آراء وأنباء

## أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م

١	الأستاذ محمد كرد علي (رئيس المجمع) دمشق	٢٢	الاستاذ عمر ابوريشة حلب
٢	الدكتور اسعد الحكيم	٢٣	الشيخ محمد زين العابدين
٣	الأمير جعفر الحسني	٢٤	الطبيب كمار اغناطيوس أفرام حصص
٤	الدكتور جميل صليبا	٢٥	الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدرمي الجبل) اللاذقية
٥	حسني سبيع	٢٦	الشيخ سعيد العرفي دير الزور
٦	الأستاذ خليل مردم بك (أمين السر العام)	٢٧	الاستاذ أنيس المقدمي بيروت
٧	سليم الجندي	٢٨	بشارة الخوري
٨	شفيق جبيري	٢٩	الدكتور صبحي الحمصاني
٩	عارف النكدوي	٣٠	عمر فروخ
١٠	الشيخ عبدالقادر المغربي (نائب الرئيس)	٣١	الشيخ فؤاد الخطيب
١١	الاستاذ عز الدين التنوخي	٣٢	الفيكونت فيليب دي طرازي
١٢	فارس الخوري	٣٣	الدكتور نقولا فياض
١٣	السيد محسن الأمين	٣٤	الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف زحلة
١٤	الاستاذ محمد البرز	٣٥	الشيخ احمد رضا جبل عامل
١٥	الشيخ محمد بهجة البيطار	٣٦	الشيخ سليمان ظاهر
١٦	الدكتور مرشد خاطر	٣٧	الأب اس. مرمجي الدومنيكي القدس
١٧	الأمير مصطفى الشهابي	٣٨	محمد الشربقي باشا عمان
١٨	الدكتور منير العجلاني	٣٩	الشيخ رضا الشبيبي بغداد
١٩	الاستاذ هنري لاومت	٤٠	طه باشا الهاشمي
٢٠	الشيخ عبد الحميد الكيالي حلب	٤١	الاستاذ عباس العزاوي
٢١	الدكتور عبد الرحمن الكيالي		

٦٦	الاستاذ عباس إقبال	طهران	٤٢	الشيخ كاظم الدجيلي	بغداد
٦٧	عبدالمعز الميني الراجكوتي عليكر	فرنسا	٤٣	محمد بهجة الاثري	بغداد
٦٨	أ. كي	باريس	٤٤	الدكتور مصطفى جواد	بغداد
٦٩	ماسه	باريس	٤٥	الاستاذ احمد حامد الصراف	بغداد
٧٠	دوسو	باريس	٤٦	كور كبش عواد	بغداد
٧١	كولان	باريس	٤٧	الدكتور داود الجلي	الموصل
٧٢	ماسينيون	باريس	٤٨	احمد امين بك	القاهرة
٧٣	هيش سويسرا - زوريج	باريس	٤٩	الاستاذ احمد حسن الزيات	القاهرة
٧٤	كرينكو	باريس	٥٠	الدكتور احمد زكي بك	القاهرة
٧٥	أ. ج. اريري	باريس	٥١	احمد لطفي السيد باشا	القاهرة
٧٦	أ. ه. ر. جيب (او كنفورد)	باريس	٥٢	الاستاذ خليل ثابت	القاهرة
٧٧	الفرد غليوم	لندن	٥٣	الاستاذ خير الدين الزركلي	القاهرة
٧٨	اميليو غارسيا غومز مدريد	باريس	٥٤	الدكتور طه حسين باشا	القاهرة
٧٩	فرنسيسكو جبرآلي روما	باريس	٥٥	الاستاذ عباس محمود العقاد	القاهرة
٨٠	بروكلين	المانية	٥٦	الدكتور عبد الوهاب عنزام	القاهرة
٨١	هارتمان (ريشار) برلين	المانية	٥٧	الشيخ محمد الخضر حسين	القاهرة
٨٢	أ. ه. ريتز	فرنكفورت	٥٨	الاستاذ محمد لطفي جمعة	القاهرة
٨٣	سترستين السويد - اوبسالا	فرنكفورت	٥٩	الأمير يوسف كمال	القاهرة
٨٤	استروب كوبنهاغن - الدانمارك	فرنكفورت	٦٠	الأستاذ عبد الحميد العبادي الاسكندرية	القاهرة
٨٥	بدرسن	فرنكفورت	٦١	حمد الجاسر الرياض	القاهرة
٨٦	موجيك	فيينا	٦٢	حسن حسني عبدالوهاب باشا تونس	القاهرة
٨٧	ماهلر	بودابست	٦٣	الاستاذ مارسه	القاهرة
٨٨	كريميكو كانغازولو - فنلاند	بودابست	٦٤	عبد الحفي الكتاني فاس	القاهرة
٨٩	فيليب حتي اميركة - برنستون	بودابست	٦٥	محمد الحجوي مراکش	القاهرة
٩٠	سعيد ابو جرة سانباولو - البرازيل	بودابست			

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

بيروت	٢٥	الاستاذ حسن بيهم	دمشق	١	الشيخ طاهر الجزائري
"	٢٦	الأب لويس شيخو	"	٢	سليم البخاري
"	٢٧	الشيخ عبد الله البستاني	"	٣	الاستاذ مسعود الكواكبي
"	٢٨	الاستاذ جبر ضومط	"	٤	الياس قديمي
"	٢٩	عبد الباسط فتح الله	"	٥	أنيس سلوم
"	٣٠	الشيخ عبد الرحمن سلام	"	٦	جميل العظم
"	٣١	مصطفى الغلابي	"	٧	مانجو
"	٣٢	الاستاذ عمر الفاخوري	"	٨	سليم عنخوري
"	٣٣	بولص الخولي	"	٩	عبد الله رعد
لبنان	٣٤	امين الريحاني	"	١٠	رشد بقدونس
"	٣٥	الامير شكيب ارسلان	"	١١	اديب التقي
"	٣٦	الشيخ ابراهيم منذر	"	١٢	الشيخ عبد القادر المبارك
طرابلس الشام	٣٧	الاستاذ جرجي بني	"	١٣	الاستاذ معروف الأرنؤوط
القدس	٣٨	نجلة زريق	حلب	١٤	الأب جرجس شلحت
"	٣٩	الشيخ خليل الخالدي	"	١٥	جرجس منش
"	٤٠	الاستاذ عبد الله مخلص	"	١٦	الاستاذ قسطنطين الحمصي
"	٤١	محمد اسعاف النشاشيبي	"	١٧	الشيخ كامل الغزي
طولكرم	٤٢	الشيخ سعيد الكرمني	"	١٨	الاستاذ ميخائيل الصقال
بغداد	٤٣	الاستاذ محمود شكري الآلومي	"	١٩	الشيخ بدر الدين النعساني
"	٤٤	جميل صدقي الزهاوي	"	٢٠	راغب الطباخ
"	٤٥	معروف الرصافي	"	٢١	عبد الحميد الجابري
"	٤٦	طه الراوي	حماة	٢٢	الدكتور صالح قنباز
"	٤٧	الاب انتاس ماري الكرمني	اللاذقية	٢٣	الشيخ سليمان احمد
القاهرة	٤٨	الشيخ احمد الاسكندردي	"	٢٤	الاستاذ ادوار مرقص

باريس	٢٥	الاستاذ فران	القاهرة	٤٩	احمد زكي باشا
"	٢٦	كليمان هوار	"	٥٠	احمد شوقي بك
"	٢٧	بوقا	"	٥١	حافظ ابراهيم بك
ايطاليا	٢٨	جويدي	"	٥٢	الاستاذ اسعد خليل داغر
"	٢٩	نلينيو	"	٥٣	السيد محمد رشيد رضا
المانيا	٨٠	هومل	"	٥٤	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي
"	٨١	ساخاو	"	٥٥	احمد كمال باشا
"	٨٢	هوروفيتز	"	٥٦	احمد تيمور باشا
"	٨٣	مارتين هارتمان	"	٥٧	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
"	٨٤	ميتفوخ	"	٥٨	الدكتور يعقوب صروف
سويسرا	٨٥	موتيه	"	٥٩	الاستاذ اوجينيو غريفييني
هولاندة	٨٦	سنوك هوغزنيه	"	٦٠	رفيق العظم
"	٨٧	اراندونك	"	٦١	داود بركات
"	٨٨	هوتسما	"	٦٢	الدكتور امين المعلوف
انكلترا	٨٩	مرجليوث	"	٦٣	الشيخ عبد العزيز البشري
"	٩٠	بفن	"	٦٤	الدكتور احمد عيسى بك
"	٩١	براون	"	٦٥	الشيخ مصطفى عبد الرازق
"	٩٢	بوهل	"	٦٦	انطون الجميل باشا
"	٩٣	اغناطيوس غولدسبير	"	٦٧	خليل مطران بك
"	٩٤	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	"	٦٨	الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
"	٩٥	الاستاذ ماكدونالد	"	٦٩	الأمير عمر طوسون الاسكندرية
"	٩٦	هرزفلد	"	٧٠	الشيخ محمد بن ابي شنب الجزائر
"	٩٧	آسين بلاسيوس	"	٧١	الاستاذ رينه باسه
"	٩٨	لويس	"	٧٢	ميشو بلير طنجة
"	٩٩	موزل	"	٧٣	زكي مغامر الاستانة
"	١٠٠	كوفالسكي	"	٧٤	الحكيم محمد أجمل خان الهند
"	١٠١	كراتشكوفسكي	"		

## ديوان ابن حيوس

جزءان في ٦٩٥/٥٠ صفحة (مطبوعات المجمع العلمي العربي سنة ١٣٧١)  
 قام المجمع العلمي العربي بطبع ديوان الشاعر الأمير ، مصطفى الدولة  
 ابي الفتيان ، محمد بن سلطان المعروف بابن حيوس ، الغنوي ، الدمشقي ، المولود  
 سنة ٣٩٤ هـ والمتوفى سنة ٤٧٣ هـ - بعد أن حققه العلامة السيد خليل مردم بك  
 تحقيقاً علمياً - فوضع له مقدمة ضافية ، تناول فيها البحث عن حياة الشاعر ،  
 وعلومه وأدبه ، ثم شعره فبين خصائصه ، وذكر منزلته من شعراء وقته ، ثم وصف  
 النسخ التي عول عليها ، أو رجع إليها عند الطبع - فجاءت هذه المقدمة حاوية  
 لكل ما يتعلق بذلك الشاعر من دراسة وتحقيق . ووقع الديوان في بضع واربعين  
 وسبعمائة صفحة مطبوعاً طبعاً حسناً بجرروف واضحة مشكولة ، على ورق صقيل ،  
 تقع المقدمة في خمسين صفحة ، وفهارس الأعلام والبلدان والأمكنة والقوافي  
 والمراجع في عشرين .

ظهر أثر التحقيق في كل صفحة من صفحات الديوان ، ظهوراً دل على بعض  
 ما انصف به الأستاذ الناشر من اطلاع واسع ، وصبر ، وجلد ، على كثرة مراجعة  
 أمهات كتب الأدب واللغة والتاريخ ، التي عد منها ثمانية وستين كتاباً  
 بين مخطوط ومطبوع .

ونشر المخطوطات القديمة نشرأ علمياً صحيحاً لا يدرك مشقته ، ولا يعلم صعوبته ،  
 الا من زاوله ، وعرف ما مئيتت به تلك المؤلفات من كثرة التصحيف  
 والتحريف . وللأستاذ في هذا المجال جولات حالنها التوفيق ، كتحقيقه لديوان  
 الشاعرين ، علي بن الجهم ، وابن عنين . وقد علمت بأنه يقوم بتحقيق ديوان  
 ابن ابي حُصَيْنَةَ السلمى المعري ، وهو شاعر عاصر ابا العلاء المعري وعاش بعده ،  
 حتى رئاه بمرثاة ذكر بعضها ابن الوردي في تاريخه . وشرح المعري ديوانه شرحاً

مماثلاً لشرحه ديوان البختري ( عبث الوليد ) ويوجد بعض هذا الشرح في مكتبة ( الأتار ) في بغداد ، وصفتها في أحد أعداد مجلة المجمع العلمي سنة ١٣٦٨ .  
ويملك المجمع العلمي نسخة أخرى من شعر هذا الشاعر صورت في مكتبة ( الاسكوريال ) في اسبانيا .

ولقد أمضيت برهة قصيرة في مطالعة ذلك الديوان ، خرجت منها مطمئن النفس باحياء تراثنا العلمي العظيم ، الذي خلفه لنا سلفنا الصالح ، في جميع ضروب العلم وفنونه ولم نعدم بعد من يقدر ذلك التراث حتى قدره ، وبعبيره من الاهتمام والعناية ما يجعل الانتفاع به سهلاً مبسوراً .

ولقد مررت أثناء قراءتي الديوان بكلمات جنى عليها التطبيع ( الخطأ المطبعي ) فأعجبها ، وأخرى ظهر لي من وجه صوابها خلاف ما ظهر لأستاذنا مردم بك ، فأحيت الاشارة الى بعض تلك الكلمات .

١- في الصفحات ( ٣٢١ ، ٥٣٥ ، ٥٥٧ ، ٦٠٤ ، ٦٢٨ ) رَضْوَى جبل بالمدينة . مع ان المعروف ان هذا الجبل بعيد عن المدينة وواقع بقرب بلدة ينبع ( بينها وبين ينبع النخل ) ويشاهده مَنْ في البلدين عن كَثْب ، كما يشاهده المارُّ في البحر عندما يجازي ينبع عن قرب ، ولعل من الطريف ما وقع لي حينما كنت مدرساً في مدرسة ينبع فقد كنت أشرح للطلبة قول أبي العلاء المعري :  
تهم الليالي بعض ما أنا مضمر . ويتقل رضوى دون ما أنا حامل

فقلت ( اعتماداً على قول بعض المتقدمين ، وكنت أجهل ذلك الجبل ، لحدوث عهدي بالقدوم الى تلك البلدة ) : رضوى جبل قريب من المدينة ، سهل المرتقى ، ترقاه الابل . فقال الطلبة بلسان واحد : ها هو جبل رضوى من هذه النافذة ، وهو صعب المرتقى ، بعيد عن المدينة بمسيرة خمسة أيام للابل تقريباً !

٢- وفي ( صفحتي ٥٤٣ ، ٥٥٨ ) : يلحلم جبل على ليلتين من الطائف .

والصواب في رأي ما في صفحتي (٥٧٦، ٦٠٤) : يلحلم جبل على مرحلتين من مكة . والكلمتان اتفقتا ووضعا ولم تختلفا صوتاً (انظر صفة جزيرة العرب للهمداني ص ١٧٥، ٢٦٤) . ولا يزال هذا الجبل معروفاً بهذا الاسم يرببه القادمون من اليمن بطريق تهامة الى مكة ويحرمون للحج والعمرة منه ، وهو الميقات الذي وقته رسول الله ﷺ لهم .

٣ - وفي (ص ٦٥٤) : وجرة بينها وبين البصرة نحو أربعين ميلاً وليس فيها منزل فهي مربة للوحش . ولقد ذكرت حينما قرأت هذا التعريف قول الشريف الرضي :

سهم أصاب - وراميه بذني سلم - من بالعراق . لقد أبرعت مراكب !  
ولعل هذا من بلايا التطبيع حيث سقطت كلمة (طريق) قبل كلمة (البصرة) اذ بين وجرة وبين البصرة مئات الأميال - فهي تقع عن يسار طريق حجاج البصرة قبل وصولهم الى ذات عرق (محل ميقاتهم وهي الحد الفاصل بين نجد وبين الحجاز عند متقدمي المؤرخين) قبل وصولهم بمرحلة واحدة . قال ابو علي الحسن بن عبد الله الاصبهاني (في كتاب بلاد العرب ص ٤٧ - نسختي الخطية) : ثم تجوز مَرَّان ، فترد الشبكة ، وهي ماء عليه تجار ، ثم ليس دون وجرة إلا مُتَعَشَّى يقال له بُسْيان ، فيه من ماء السماء ، ثم أوطاس ، أشرفت على غور تهامة ، وعلى رأس الشرف مسجد يقال له مسجد النخف ، ثم أشرفت على ذات عرق . . . وقال ابو جعفر : أهل الكوفة يحرمون بغمرة ، وأهل البصرة بوجرة وهو منهل من مناهل طريق البصرة ، وهما يتراآن ، وبينها نحو من ثلاثة فراسخ . . . وقال . . . اذا خرجت من غمرة أو وجرة فأردت أن تجعل الى مكة مرحلتين فالمرحلة الأولى الغمير ، ومن جعلها ثلاثاً فمرحلة ذات عرق ، ثم البُستان ، ثم مكة . وقال الهمداني في (صفة الجزيرة ص ١٤٢، ١٤٣) : غمرة عن يسارها وجرة ، على طريق البصرة المارة بفلج

والموحدة ولبس بها ماء ثم خرمان ثم ذات عرق . وقال (ص ١٨٥) : فمن مكة الى البستان تسعة وعشرون ميلاً وعرض البستان أحد وعشرون جزءاً وربيع ومنه الى ذات عرق أربعة وعشرون ميلاً ، وعرض ذات عرق أحد وعشرون جزءاً وثلاثاً جزءاً ، ومنها الى الغمرة عشرون ميلاً ، وعرض الغمرة اثنتان وعشرون جزءاً ، وقال (ص ١٤٣) : ثم ترجع على الطريق البصري فنشرب بوجرة وهي بئر وبركة مَعْصَصَة ، ثم تهبط السَّيِّ وهي بلد مغلطة ، ثم أسفل منه بسَيَّانُ وأسفل من بسَيَّان الثَّراوات . كذا قال وبسَيَّان والثفراوات (بالفاء كما في كثير من كتب الأدب ومعاجم الأمكنة) لا تزال معروفة بأسمائها في عهدنا ، أما اسم (وجرة) فمجهول وقد أطلق عليها وعلى ما يجاورها من الأرض الفسيحة البراح الخالية من الجبال اسم (ركبة) وهو اسم قديم لقسم من تلك الأرض ورد في المعاجم القديمة فشمّل في هذا العهد كل المواضع التي يطلق عليها قديماً (وجرة ، وغمرة ، والسَّيِّ ، واوطاس) . ونسبت هذه الأسماء وجعل تحديده تلك المواضع ، ولا تزال ركبة مَرَبَّيًّا للوحش (انظر لتجديد ركبة كتاب «في بلاد عسير» ص ١٨ الى ٢٤ تأليف فؤاد حمزة) .

٤ - وفي (ص ٥٢٦) :

بأرض أنبتت كرمًا وبأسمًا جناه العز لا نشمًا ورغلا

وقد علق عليه الأستاذ قائلًا : في الأصل (لا يَسَمًا ورغلا) وهو تصحيف غير يسير تصحيحه . والنشم شجر القسي يقال : معه زوراء من نَشَمِه . والرغل بالضم نبت ، وقيل السَّرمق ، وهو نبت القطف معرب والقطف شجر جبلي خشبه ممتين انتهى . وأقول لعل الصواب (لا يَنَّا ورغلا) . والينم - بالياء المثناة التحتية بعدها نون فيم - واحده ينمة نبت بريٍّ وسَمْعِيٌّ ببيت سيف السهلة (الأرض الرملية) ذو ورق دقاق طوال ، أغيث اللون ، وله سنبل يشبه سنبل

الكراث ، فيه حبيبات صغيرة حلوة الطعم معروف بهذا الاسم عند بعض أهل نجد ( أهل سُدَيْر لا يعرفونه الا بهذا الاسم ) ويسميه بعضهم ( ربله ) براء مكسورة بعدها باء موحدة فلام . وورد اسمه في بعض كتب متأخري فقهاء الحنابلة ( بزر قطونا ) يذكرونه في باب ما لا تجب فيه الزكاة من الحبوب . وكثيراً ما يقرن الشعراء هذين الاسمين ( الينم والرغل ) كقول المتنبي :

تخدِّي الركاب بنا ييضاً مشافرها خضراً فراسينها في الرُّغْل واليَنَم

أما الرغل فلا يزال معروفاً بين أهل نجد بهذا الاسم وهو من النباتات الصيفية التي لا تنبت الا في الرياض ( القيعان ) له أغصان قصيرة ، منفرشة على الأرض ، يبلغ طولها شبراً ، وله ورق مؤثِّل الأطراف ، صغير ، شبيه بورق الحجاز ، ولونه أشهب ، تحمض الابل برعيه ، وليس شجراً جبلياً ، ذا خشب مثن .

٥ - وفي ( ص ٥٣٦ ) : قبائل قيس العرب العدنانية - في شرح قول الشاعر :

وأنشرت في قحطان أوساً وحاقماً وأنشرت في قيس زياداً وجرولاً  
ومن المعروف ان العرب العدنانية لا يطلق على جميعها اسم ( قيس ) اذ أصولها أربعة : مضر ، وربيعة ، وأنمار ، وايباد ، ثم مضر أصلان : الياس ، وعيلان ، أو خندف ، وقيس ، وقيس هم من عيلان ( انظر طرفة الأصحاب في أصول الأنساب ص ٥٧ طبعة المجمع العلمي العربي سنة ١٣٦٩ ) .

٦ - وفي ( ص ١٠٦ ) ورد هذا البيت بهذه الصفة :

بأبناء مرداس - وحسبك نصرهم - تعمّر جوداً كان قدماً تجاهها ؟  
وفد تبادر الى ذهني ان صحة البيت :

بأبناء مرداس - وحسبك نصرهم - تَعَمَّرَ جَوْدٌ كان قدماً تَجَهَّمَا

( تعمّر ) أي قوي وجاد غيشه . و ( الجوه ) السحاب الغزير المطر . و ( الجهم ) الغيم الذي لا يطر . وأهل نجد يقولون ( تعمّر السحاب - وتعمّر الحيايل ) ويقصدون اجتماع الغيم وقوي حتى تحقق نزول مطره ، وبديل على هذا المعنى البيت الثاني :

وزاد الى أن طبق الوهد سنيته ولم يرض احقاف الرثبي فنسنا  
٧ - وفي (ص ٦٢١) :

فعل الصليحي بالجيشان مزدلفاً برايتيك فما زلت به قدم  
وعلق الأستاذ قائلًا (الصليحي هو ابو الحسن علي بن محمد الصليحي القائم  
في اليمن بدعوة المستنصر - انظر وفيات الأعيان (ج ١ ص ٤٦٥) ، جيشان  
مخلاف باليمن) . وأقول لعل الصواب : فعل الصليحي بالجيشان - جمع حبشي -  
اذ الصليحي قضى على دولة الحبشان التي قامت بعد الدولة الزيدانية ، تحكمت زبيد ،  
ونواحيها من تهامة ، وهم موالي لآل زياد استولوا على البلاد بخدم ومن مشاهيرهم  
(الحسين بن سلامة) وله مآثر في اصلاح طريق الحج من تهامة وحفر الآبار  
وتعميد الطرق . ومن أولئك نجاح وجياش وسعيد الأحول (انظر أخبار هؤلاء  
في المسجد المسبوك - الباب الرابع - لأبي الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢  
نسخة مكتبة البلدية في الاسكندرية - وفي مكتبة الحرم المكي بمكة - وفي مكتبة  
السلطان محمود في المدينة - وقد ذكرهم عمارة اليمني في تاريخه وابن الديبع في بغية المستفيد  
في أخبار زبيد - وغيرهما) . ويؤيد هذا المعنى البيت الذي قبل هذا وهو :  
وما أراك بما قد كان مقتنعاً حتى يبسد الهلايثون كهم  
والبيت الذي بعده وهو :

لما سقى الأرض غيثاً من دماهم لا تسمعي مثله في سحها الدائم  
أما كلمة (الجيشان) فهي تصحيف لكلمة (الحبشان) جمع حبشي ، ورد في الشعر القديم :  
وكل القوم يسأل عن نفيل كأن عليّ للحبشان ديننا  
(انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤ طبعة الأستاذ محيي الدين عبد الحميد  
بمصر سنة ١٣٥٦ - ١٩٣٧) .

٨ - وفي (ص ١٨٦) : أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن حمير . والذي  
أعزفه عن نسب أدد غير هذا فابن هشام (في السيرة ج ١ ص ٥) والحمداني

(في الاكليل ج ١ ص ١١ نسختي الخطية) وياقوت الحموي (في المقتضب من جمهرة النسب ورقة ٧٦ نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة سنة ٦١٦) وصاحب طرفة الأصحاب (ص ١٨، ٣٧) كلهم ذكروا أن سباً - أحد أجداد أدد - هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . كما ذكروا أن حمير هو ابن كهلان فيكون أحقاً لسبباً لا أباً له .

وفي (ص ١٩١) : بنو قريظة قبيلة من يهود خيبر . ولعل كلمة (خيبر) سبق قلم ، اذ هم من يهود المدينة . وقد أمر الرسول ﷺ بقتلهم فقتلوا لما غدروا بالمسلمين وخانوا عهدهم .

١٠ - أما ما جاء في المقدمة (ص ٥) عن منازل غني قبيلة الشاعر من أنها (مجاورة لطية) فالعل صوابه (قريبة من طية) . اذ يفصل بين منازل القبيلتين قبيلة بني أسد ، وقسم من بني عامر ، تقع منازل مجاورة لغني من الجهة الجنوبية ، وهؤلاء يجاورون أسداً ، وأسد تجاور طيناً (انظر في تفصيل منازل هذه القبائل كتاب «بلاد العرب» للحسن بن عبد الله الاصمغاني المعروف بلغة ص ١٣ من نسختنا الخطية التي وصفناها في مجلة «التمدن الاسلامي» الدمشقية في عدد ذي الحجة سنة ١٣٦٨ وقد وصف الكتاب العلامة السيد محمد رضا الشيباني في العدد الأول من مجلة «المجمع العلمي العراقي» .

هذه ملاحظات عابرة عنت لي أثناء مطالعة ديوان ابن حيوس ولست على ثقة من صحتها كلها وإنما ذكرتها من قبيل المذاكرة - لينظر اليها - كما يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته (بعين الانتقاد لا بعين الرضا) .

وأما التطبيق في تشكيل الحروف فما بدرك بدون تنبيه أو اشارة اليه ، وهو قليل في الديوان ، لما بذله محققه من عناية بالغة ، واهتمام عظيم ، استوجب بها شكر الباحثين ، وتقدير الغير على آداب اللغة العربية .

(الرياض) محمد الجاسر

## حول ديوان الوأواء الدمشقي

للدكتور سامي الدهان

من الخير الأمة العربية الناشئة ان تعنى بأثارها المخطوطة وأن تسنّ القوانين لمبايتها والحفاظ عليها وأن تقوم على حصرها ووصفها كما فعل الغربيون بمخطوطاتهم وغير مخطوطاتهم . وقد أصاب المخطوطات العربية في الغرب حظ غير قليل ، فقد خصت بفهارس منظمة ، وحفظت في أماكن حصينة . وأما البلاد العربية فما تزال مقصرة في هذا الميدان ، فهي لا تُعنى بإحصاء المخطوط ولا تلتفت الى وصف هذا المخطوط ، وقد سبقت مصر الى هذا ، ولحقت بها الشام ، وسارت في إثرها العراق ؛ أما مخطوطات البلاد العربية السعودية فنحن نجمل ثروتها وقيمتها إلا ما جاء في كناشات العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، وما وصفه الأستاذ محمد كرد علي . ولعل أخواننا علماء هذه البلاد عاملون لهذا الغرض ساعون في هذه السبيل .

وقد سافرتنا الى هذه المقدمة كلمة للأستاذ حمد الجاسر نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي ( نيسان ١٩٥١ الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين ) . وقد تفضل الأستاذ في كلمته فعرض على القراء نسخة خطية لديوان الوأواء الدمشقي وجدها في مكتبة الأُمير مساعد بن عبد الرحمن بن فيصل آل السعود في الرياض . وذكر أن النسخة تقع في ٦٨ صفحة وأن تاريخ كتابتها ١٢٦٢ هـ . وزاد على ذلك أنها كثيرة التخریف والتصحيف . ثم قال : « فوجدتُ في المخطوطة خمسة أبيات ليست في المطبوعة فأُوبتُ عرضها ليري القراء رأيهم فيها ، ولكي يطلع عليها الأستاذ المحقق الدهان » .

وقبل أن أجلو الأمر في هذه الآيات أحب أن أعلن شكري للأستاذ المحقق حمد الجاسر على جميل بده فقد مرّني عن نفسي هذا الغم الذي كنت أحسّ . وقد قرأ في مقدمتي لديوان الوأواء أني سعيت الى بغداد في سبيل مخطوطاته وسافرت الى النجف فاجتلبت نسختين خطيتين وجدتهما في مكتبتين خاصتين أولاهما للأستاذ محمد السماوي وثانيتها للأستاذ صادق كمونه ، وقرأ كذلك أني رحلتُ الى مصر فوجدتُ فيها خمس نسخ خطية كذلك ، ورأى أني استجلبت من لتفرد ما أعانني على اكمال الديوان على الوجه الذي نشرت . ولكن المهم الذي ساورني هو جهلي بما في البلاد العربية السعودية من نسخه الخطية ، وقد ذكرتُ أن أربع نسخ منه في مصر ترجع في كتابتها الى القرن الثالث عشر الهجري ، وان أقدم هذه النسخ كتبت سنة ١٢٩٧ هـ ، وأن الفضل في وجود هذا الديوان بمصر يعود الى البلاد المباركة المقدسة . ولكنني لم أقع على ذكر لوجود نسخة خطية في هذا القطر تعينني في طبعي .

فلما تفضل الأستاذ بيانه مرّني عن نفسي فأعلمني بوجود هذه النسخة وأنها كتبت كذلك في القرن الثالث عشر ، وأنها شبيهة بأخواتها النسخ المصرية في عدد الأوراق والآيات وفي كثرة التجريف والتصحيف . وزاد في سروري أن الأستاذ عارض المخطوطة كلها على طبعتنا فرأى خمسة آيات في مخطوطة الرياض رواها في مقطعتين ؛ ونبه الى أنه لم يرها في الطبعة وظن أنها لم تقع لنا . والواقع أن هاتين المقطعتين قد وقعتا في طبعتنا وروبتنا على شكل حسن يدفع التصحيف الذي وقعت فيه مخطوطة الرياض . وقد سها الأستاذ عن مكان وجودهما عندنا في المتن وموقع ذكرهما في الفهارس .

أما المقطوعة الأولى فقد جاءت في الصفحة ١٤٥ تحت رقم ١٨٠

على الرواية التالية :

١ تقولُ وقد بانَتْ حيايَ لبينِها أنطمعُ أن تشكروا إليَّ وأسمعا؟

٢ فلو كان حقاً ما تقولُ لما انثنتُ بذاك وقد عانتني بها معا!

وقد ذكرتُ في حاشية هذه الصفحة اختلاف الروايات ، فبينت أن النسخ المصرية تزويها بالكاف : « وأسمعك . . . معك . . . » ، وأني اعتمدت نسخة مدريد وهي أقدم منها جميعاً وأثبت رواية وأنوم للمعنى الصحيح الذي طرقة الوأواه في مواقع أخرى من ديوانه .

وأما المقطوعة الثانية - التي ذكر أنها لم تقع في المطبوعة كما تفضل - فقد جاءت في الصفحة ٥٦ تحت رقم ٤٩ على الرواية التالية :

١ كأن دمي يوم الفراق مروا به وقد سفكوه باحثاث الركائب

٢ أظنهم لو فثشوا في رحالم إذا وجدوا آثاره في الحقائق

٣ إذا أنا دافعتُ الخطوب بذكركم نسبتُ الذي بيني وبين النوائب

والمقطوعتان مذكورتان كذلك في الفهرس الأخير للطبعة في الصفحتين

٣٥١ ٦ ٣٤٨ ، ولو تفضل الأستاذ فعاج ثانية الى الطبعة ، لأرى معنا بأن

المقطعتين موجودتان وأنها في رواية تصحح رواية الرياض .

وبذلك ثبت أن نسخته لا تزيد على ما عندنا ولا تضيف رواية صحيحة

وانما تبعت على الظلمة بان هذه النسخة صورة لما حصلنا عليه في مصر ،

فكاننا استخدمناها في طبعتنا ، والفضل في ذلك كله يعود للأستاذ الجامر .

الدكتور سامي الدهان

## نظرة عابرة في « ذيل طبقات الحنابلة »

للمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق بد مشكورة في نشر المخطوطات العربية الإسلامية ، والعناية بها عناية فائقة .

و« ذيل طبقات الحنابلة » للحافظ ابن رجب ، الذي نشره المعهد حديثاً فظهر منه الجزء الأول في أبهى حلة وأجمل عرض وتجبير ، قد وقع فيه فرطات وفتت عليها في نظرة عابرة ، وأردت أن يشار إليها (للتصحيح) في الجزء الثاني إذا كانت خطأ كما رأيتها .

١ - نقل الناشران في المقدمة بـص ١٥ عند حديثها عن حياة المؤلف ابن رجب أن ابن حجر ترجم له في كتابه (إنباء الغمر) . وجاء (إنباء الغمر) بالهاء غير مرة في كلامها ، مما دل على أنه بهذا الضبط مقصود للناشرين . والذي أعلمه في اسم كتاب ابن حجر (إنباء الغمر) بالهمزة بعد الألف ، مصدر (أنبا) . وقد جاء اسمه في مخطوطة العثمانية بـجلب (إنباء الغمر) بأنباء الغمر) . وهو كذلك بالهمزة في نسخة المؤلف التي اطلع عليها الأستاذ محمد زاهد الكوثري ونقل عنها وعزا إليها كما صرح بذلك في ص ١٨٢ و ٢٠٢ و ٣٦٧ من تعليقه على « ذبول تذكرة الحفاظ » .

وكذلك جاء اسم هذا الكتاب بالهمزة في عبارة كل من نقل عنه من متقدم ولاحق . وأذكر منهم الآن الشيخ أحمد رافع الطهطاوي ، فقد أكثر النقل عنه كثيراً في كتابه « التنبية والابقاظ » وفي جميع المواطن يذكره باسم (إنباء الغمر) .

وذكره قبلها صاحب « مفتاح السعادة » و « شذرات الذهب » و « كشف الظنون » في كتبهم المذكورة ، وسموه (إنباء الغمر) بالهمزة بعد الألف . فتسميته (إنباء الغمر) بالهاء خطأ محض وإن كان يصح المعنى من حيث اللغة .

على أن الشطر الثاني من اسم الكتاب يعين المهمة في الشطر الأول ، وهو (إبناء الغمر بأبناء العمر) فالتوافق بين السجعتين في الوزن والحرف واجب صناعة ، وهو المقصود للمؤلف ابن حجر كما هو ظاهر المتأمل بأيسر نظرة .

٢ - وجاء في حديث الناشرين عن سماع ابن رجب ورحلاته به ص ١٧ (أنه لازم مجالس الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الى أن مات ، وأن ابن النقيب والنووي أجزاءه) ١٠١ .

أما ابن النقيب الذي أجاز ابن رجب فهو : شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن لؤلؤ القاهري الشافعي المعروف بابن النقيب المتوفى سنة ٧٦٩ عن ٦٧ سنة كما أفاده الطهطاوي في «التنبيه والإيقاظ» به ص ١٠٢ ، فتكون ولادته سنة ٧٠٢ ، ويكون هو أكبر من ابن رجب المولود سنة ٧٣٦ ، فيصح أن يكون أستاذاً له ويميزه .

أما النووي - وهو محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - فولادته سنة ٦٣١ ، وتوفي سنة ٦٧٦ قبل ولادة ابن رجب بستين سنة ، فلا يتصور أن يكون منه إجازة لابن رجب قطعاً . فما لاشك فيه أن لفظ (النووي) هنا تحريف إلا أن يكون المراد به نووياً آخر غير المشهور<sup>(١)</sup> .

٣ - وينقل الناشران به ص ١٧ أيضاً عن ابن حجر أنه قال فيه : « وقد مهر في فنون الحديث اسماً ورجالاً وعللاً وطرفاً » ١٠١ . وفي هذا النقل تحريف صوابه : « أسماء - بلفظ الجمع - ورجالاً » الخ . كما جاء في مخطوطة (إبناء الغمر) التي كانت في مكتبة المدرسة العثمانية بحلب ، ورقها ٢٣٨ وآلت الآن كسائر مخطوطات حلب الى مكتبة الأوقاف الاسلامية العامة بحلب ، وتقع ترجمة ابن رجب فيها في الجزء الأول به ص ٢١٧ .

(١) وقد وقع في هذا الخطأ ناشر كتاب «تحقيق كلمة الاخلاص» لابن رجب .

بقي هناك بعض فرطات أكثرها مطبعية ، فمنها ما جاء بـ ص ٢٥ في السطر الخامس من المقدمة : ( كتاب طبقات فقهاء أصحاب الإمام أحمد القاضي ) صوابها : ( للقاضي ) ، وبـ ص ٣١ في السطر ٢٤ ( مخطوطة المنهج الأحمدي ) صوابها : ( المنهج الأحمدي ) ، وبـ ص ١٦١ في السطر ٨ ( ان هنا رجل ) صوابه ( رجلاً ) ، وبـ ص ١٩٢ في السطر ١٣ ( جنى على إجرامه ) صوابه : ( على إجرامه ) بالحاء المهمل ، وبـ ص ١٩٣ في السطر ٤ ( بُرّة بْبُرْتَيْن ) صوابه ( بُرّة بْبُرْتَيْن ) .

وما يصح أن يلحق بما بعد خطأ ما جاء في مطلع التمهيد من قول الناشرين : ( . . . دل على انضوج العقلية الاسلامية ) وليس في اللغة ( انضوج ) وإنما فيها ( انضج ) . ويقرب من هذا الاستعمال قولها بـ ص ٢٣ : ( ولن نستطيع هنا الإفاضة في وصف المخطوط من هذه الكتب ، وتحليل المطبوع منها ) فقد خفي علي معنى التحليل للمطبوع هنا ؟

وأحب أن أشير الى أن بعض مؤلفات ابن رجب ذكر على أنه لا يزال مخطوطاً وهو مطبوع . من ذلك :

- ١- الاستخراج لأحكام الخراج طبع في مصر سنة ١٣٥٢ .
  - ٢- الكلام على لا إله إلا الله طبع في مصر أيضاً سنة ١٣٦٩ .
  - ٣- نور الاقتباس طبع في مكة ثم طبع في مصر سنة ١٣٦٨ .
- وعند الأستاذ أحمد عبيد نسخة مخطوطة منه لكنها تامة لا كالتي طبعت في مكة ومصر فإن فيها نقصاً كبيراً .

وفي الختام أشكر للناشرين الأمينين جهودهما المشرفة في إحياء هذا الأثر الإسلامي العالي ، وفي كل أثر سبق لها نشره ، وأتمنى أن يحظى كل كتاب عربي بما حظي به منها هذا الكتاب .

محمد عبد الفتاح أبو غمرة ( حلب )

## ملاحظات (١)

ورد الى رئاسة المجمع كتاب من الأستاذ عبد الله كنون أحد فضلاء المغرب الأقصى جاء فيه ما يلي :

أقدم الى محبتكم هذه الملاحظات الصغيرة على مقال الأستاذ المغربي ، المنشور بصفحة ( ١٥١ ) في موضوع ( جمع سيد على أسياد ) وقد بناء على توهم أصلية الحرف واني كنت أعتقد أن العرب عدلت عما يستحقه البعض في مثل ( قيل من الجمع هي أقوال ) لدفع التوهم وانه جمع قول وكذا جمع ربح على أرياح لئلا يلتبس بجمع الرّوح . وعندنا في العامية شيء من هذا . فمثلاً تقول العامة قدم وفد الزيّار بعنون جمع الزائر ولا يقولون الزوّار لئلا يلتبس عندهم بالزور كثير قول الزور أو شهادة الزور . وبما ان العامة في كلا اللغطين لا تحرك الحرف الأول بل تنطق به ساكناً فانه ليس عندها ما تفرق به الا ابدال الواو ياء . وكذا في جمع قائد على قيّاد ولا تقول قواد خوف اللبس . هذه ملاحظة على هامش الموضوع كانت تنقدح في ذهني قبل قراءة بحث الأستاذ المغربي ولم تتح لي قط درس الموضوع . ولا شك أن صاحب البحث عنده ما يشفي الغليل في هذا الباب . وأما الملاحظة الأساسية فهي على ما كتبه في استعمال المغاربة للفظة ( سيد ) فحقيقة أننا نقول سيدي بكسر السين مثل سيدي خليل وسيدي ( زروق ) لا ابن زروق وسيدي ( ابن عاصر ) لا ابن عاشور . وهذا الاستعمال يكون في غير الأشراف للتعظيم كما في استعماله لهؤلاء الأعلام . ولغير الأشراف نستعمل لفظة ( السي ) Si فقط ولا يجوز استعمالها في حق الأشراف لأن ذلك مؤذن بالظعن في نسبهم .

(١) راجع مقال « جمع سيد على أسياد » في مجلة المجمع مع (٢٦) صفحة ١٥١

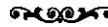
وأما لفظة مولاي فليست خاصة بذوي المناصب كما قال الأستاذ الفاضل بل هي أيضاً خاصة بالأشراف ، ولا تستعمل لتعظيم غيرهم . فمثلاً لا نقول مولاي خليل ولا مولاي زروق كما ان ذوي المناصب مها كبر شأنهم لا يقال لأحدم مولاي فمثلاً الوزير المغربي لا يقول له أحد مولاي محمد المغربي . وعلى كل حال فلفظة مولاي هي وان كانت خاصة بالأشراف فاستعمالها لا يحتاج الى حذر كبير . ففي الأسماء الأعلام غير محمد مثل احمد وعلي والعباس وما بدى بعبد كعبد الله وعبد الحفيظ وعبد الرحمن يجوز استعمال لفظة مولاي . ولذلك يقال للسلطان السابق مولاي عبد الحفيظ والأسبق مولاي عبد العزيز ولوالدهما السلطان مولاي الحسن ويقال لولي العهد اليوم مولاي الحسن ولأخيه الأمير مولاي عبد الله ولأخي السلطان الأمير مولاي ادريس ولا يقال لجلالة الملك مولاي محمد مع أنه صاحب أكبر منصب في المغرب وله فضل على النهضة العلمية والسياسية . ويجبه المغاربة حب تقديس . لماذا ذلك ؟؟ . لأن لفظة مولاي محمد أو مولانا محمد خاصة عند المغاربة بالنبي ﷺ ، فلا يشركون معه فيها غيره . وإذا ما قيل للسلطان - مولاي - فانما يكون ذلك بالانفراد عن اسمه . ولا أنكر أنه في بعض أحوال المبالغة يقال مولاي محمد . فوجب تحرير هذا لأنه في مثل مجلة المجمع لا يقر غلط مثله . وقد نسيت ان أقول انه ربما جمع بين اللفظتين معاً فقول سيدي مولاي فكان وهذا كله في أحوال نادرة من المبالغة والتعظيم وخاصة للأولياء والأشراف .

عبد الله كنون

(طنجة)

(استدراك)

جاء في هذا الجزء - السابع والعشرين الصفحة ال ١٠٩ - : كنا نود  
توسع المؤلف ، وصوابه : كنا نود لو توسع المؤلف .  
وفي الصفحة ال ١١٠ أن يبسط ، الصواب : أن يبسط .



(استدراك ثانٍ)

قلنا - في الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع - تقول  
العرب : « فعله من نفسه أو من ذات نفسه » ولم يرد في ما اطلعنا عليه من المعاجم  
القديمة « فعله من تلقاء نفسه » ونساء لنا عما اذا كانت هذا الاستعمال صحيحاً  
وعليه نص في التقديم المعتمد من معاجم اللغة ؟

وقد نهبنا أحد الأدباء على أن الاستعمال وارد بنصه في القرآن الكريم  
في سورة يونس الآية ال ١٦ : « قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي » .  
وفي الصفحة ال ٦٠٨ من الجزء نفسه :

أما رفائيل على ما أوردها الدويهي فلم تسحح سواءً أضيفت الى «عين» أم «عند» .  
والصواب : « سواء أضيفت إليها «عين» أم «عند» .  
وفي الصفحة ال ٦١٢ :

فلما ان أمكنت الحال في سورية . . . قالت  
والصواب : « فلما ان أمكنت الحال حكومة سورية . . . » وقالت .  
وفي الصفحة ال ٦١٣ :

فهو فعل صادر عنه لأعليه ، والصواب : فهو فعل لازم لا متعدي .



## فهرس الجزء الأول من المجلد السابع والعشرين

	صفحة
عالمان عربي وغربي . . . . . للأستاذ محمد كرد علي	٣
مقدمة المقدم الفريد . . . . . » شفيق جبيري	١٧
تصحيح نهاية الأرب ( جزؤه الخامس عشر ) ( ٢ ) » عبد القادر المغربي	٢٧
مختصر جمهرة النسب . . . . . » حمد الجاسر	٤١
التأليف في الملوك . . . . . » طاهر الجزائري	٥٢
مقتطفات من كتاب الأشباه والنظائر للخالد بن ( ٢ ) للدكتور محمد يوسف	٦١
مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام . . . . . » شكري فيصل	٧٥

### التعريف والنقد

آراء وأحاديث في القومية العربية -	١٠٤ - ١٠٦
الوجيز في الحقوق الإدارية - المحاضرات العامة - عبد الله بن المتمر - بداية القرآن لبني الإنسان	١١١ - ١١٣ - ١١٥
للأستاذ عارف النكدي	
كتاب التشبيات لابن أبي العون . . . . . » شفيق جبيري	١١٨
مختارات من الأدب العالمي الحضري - معجميات » عبد القادر المغربي	١٢٠ - ١٢٢
تهذيب الأيضاح . . . . . » محمد بهجة البيطار	١٢٣
منمنمة دينية تمثل الرسول . . . . . للأمير جعفر الحسي	١٣٢
الموسوعة الاجتماعية - ألوان حتى ( مجموعة شعر )	١٣٤ - ١٣٦
للدكتور سامي الدهان	

### آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م	١٣٨
أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون	١٤٠
ديوان ابن خيوس . . . . . للأستاذ حمد الجاسر	١٤٢
حول ديوان الوأواء الدمشقي . . . . . للدكتور سامي الدهان	١٤٩
نظرة عابرة في « ذيل طبقات الحنابلة » . . . . . للأستاذ عبد الفتاح أبو غدة	١٥٢
ملاحظات . . . . . » عبد الله كنون	١٥٥
استدراك . . . . . » عارف النكدي	١٥٧

## مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٥ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٦ - تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٧ - المستجاد من فعات الأجواد للقاضي أبي علي الحسين التنوخي : بتحقيق  
الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - غوطة دمشق : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي .  
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٢ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٣ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع نكلمته الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان ابن حبّوس بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .
- ١٥ - ديوان الواواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ١٦ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلد الأول) بتحقيق الأستاذ  
صلاح الدين المنجد .
- ١٧ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

١٨ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الأول ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسيني

١٩ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسيني .

٢٠ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي ( الجزء الأول ) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢١ - ( الجزء الثاني ) // // // //

٢٢ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن

يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. مترسنتين

٢٣ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق الأستاذ  
صلاح الدين النجد

٢٤ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٢٥ - التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا

٢٦ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه  
الأستاذ يوسف العش

٢٧ - المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي

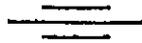
٢٨ - تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي

٢٩ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي

٣٠ - الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي

٣١ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم

٣٢ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني



تباع مطبوعات المجمع العالمي العربي

في المكتبة العربية لأصحابها عبيد اخوان بدمشق

# مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٢

٧ شهر رجب سنة ١٣٧١

## الأب لويس شيخو

ولد في ٥ شباط ١٨٥٩ في ماردين بالجزيرة  
وتوفي في مدينة بيروت سنة ١٩٢٧

اتصل الأب شيخو بالأبباء اليسوعيين منذ نعومة أظفاره ودرس في مدرستهم في قرية غزير من جبل لبنان العلوم الدينية والمدنية وأخذ العربية والفرنسية واللاتينية وغيرها ثم انتظم في سلك الرهبانية اليسوعية ، متجرداً من متاع المعاش والأسرة ، عازفاً عن بهارج الدنيا ، مأخوذاً بما أخذ به من خدمة الدين والعلم . وتنقل في فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا وغيرها من مراكز العلم في الغرب فدرس طريقة الغريبيين في البحث والتأليف ، واطلع على ما في خزائنها من كتب العرب واستنسخ لحساب جمعته امهاتها النادرة وحضر بعض المؤتمرات التي عقدها علماء المشرقيات في بلاد الغرب وساح في بعض بلاد الشرق .

انصرف شيخو لأول أمره الى تعليم الآداب العربية في كلية القديس يوسف في بيروت ونشر خلال ذلك عدة كتب مدرسية ودينية أهمها «مخاني الأدب»

في عشرة أجزاء ، استخرجها من كتب العرب وشرحها شروحا لغوية أدبية .  
 وقد أصبحت معتمدة في جميع المدارس الطائفية والتبشيرية في الشام وغير الشام .  
 ونشر مقالات علم الأدب وكتابا في الانشاء والعروض والخطابة . وأحيا بالطبع  
 كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني وفقه اللغة للثعالي وذلك لجذب الآيات  
 الكريمة والأحاديث الشريفة . فلاحظ عليه العارفون من علماء المشرقيات  
 المستعربين فاضطر بعدد إلى الرجوع عن هذه الطريقة في الكتب التي أحياها  
 من أسفار العرب .

وأهم ما نشر من كتب المتقدمين والمتأخرين كتاب الهمز وكتاب المطر  
 للأصاري ، وكتاب الكتاب لابن درستويه وتهذيب الألفاظ ومختصره  
 لابن السكيت ، وحماسة الجعفري ، وطبقات الأمم لصاعد ، وديوان الخنساء ،  
 وديوان أبي العتاهية ، وديوان الخرنق أخت طرفة ، وديوان السمؤال ، وديوان  
 المتلمس ، ورواية جديدة من كليلة ودمنة ، وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى ،  
 وتاريخ شاكر بن الراهب القبلي ، وتاريخ سعيد بن بطريق وملحقه لسعيد بن يحيى  
 الانطاكي ، وتاريخ محبوب النجفي ، وفضائل الكلاب لابن المرزبان ،  
 وآصف نامه ، ومقالة في الضوء لأرسطو ، والآلات المنعمة لمورستس ، والآلات  
 المزمرية لبني موسى ، والمكحلة لأبي محمد الصقلي ، وشواعر العرب ، ومجموعة  
 أربع رسائل لفلاسفة اليونان وغيرهم . يضاف إلى ذلك عدة رسائل في الفلسفة  
 والدين مما خلفه القدماء نشرها بالاشتراك مع بعض أفاضل الآباء من أهل  
 رسالته . وقد خدم بهذه الكتب الآداب العربية أجل خدمة وزاد بها مجاميعنا  
 المطبوعة وأحسن بما علق عليها من الفوائد وخدمها به من الشروح .

وعما ألفه مباشرة « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » و « معرض المخطوط »  
 و « شعراء النصرانية في الجاهلية » و « شعراء النصرانية بعد الاسلام » ، ورسائله

وكتبه في تزييف الماسونية والمحلة على رجالها ، وكتابه في المدارس العلمانية اللادينية ، وتاريخ الرهبانية اليسوعية ، وتاريخ الطائفة المارونية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وبيروت وآثارها وتاريخها ، وغير ذلك من رسائله ومقالاته الدينية والأدبية والعلمية في مجلة المشرق ، عدا خطبه الدينية ومواعظه الروحية . وقد كتب هذه المجلة منذ انشائها فأصدر منها بقلعه خمسة وعشرين مجلداً ، نشر فيها أولاً أهمات تأليفه ثم استخرجها منها . وراعى في كتبه نظام رهبانيته فجاءت كتاباته الا قليلاً أشبه بالدعوات المذهبية منها بكتب علمية مشتركة ، تنشق ربح دينه في كل ما كتب ونشر . ولو خلت بعض أسفاره وبخاصة « شعراء النصرانية قبل الاسلام وبعده » و « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » وبعده ، من هذه النزعة لكأنت في الغاية من جودة التأليف ، لكثرة مادته وحسن تنسيقه .

لم يبرزق الفقيه ذوقاً عالياً في الأدب العربي ، وظلت كتابته الى أخريات أيامه كما كانت لأول عهده نمطاً واحداً لا تناسب مقدرته على التأليف ووقوفه على أدب العرب والافرنج وبعض علوم العصر . أي أن الانشاء العربي لم يسلس له قياده على ما كان يجب . وغريب عن عاش بين كتب الفصحاء من العرب أن يظل بعد درس خمسين سنة ضعيفاً في الانشاء على كثرة ماقرأ وكتب ، وان تبقى ملكته الأولى في الأداء تتناوشه أحياناً ولا يتطال الا الى الأخذ من الينبوع الأول الذي استقى منه في مدرسته الاولى . وهكذا يقال في ذوقه في الشعر فقد نشر في مجلته قصائد لأدعياء القريض كانت الأولى أن تطوى على غرّها . وألف كتاب « أطرب الشعر وأطرب النثر » مجموعاً من أدب من حاول تجليد ذكركم على حين هم فيما يخطون أحط بما بنظم أو يكتب اليوم تلاميذ المدارس في مصر والشام . وما أدري ان كان يقصد من ذلك

التنويه بن نوه بهم فقط أو انه مقتنع بان شعرهم وثبرهم حقيقة من أطيب الشعر  
والنثر يجب تحليله في بطون الصحف حرصاً على بلاغته وفصاحته .

وقضت عليه البيئة على ما يظهر أن يعطى حق العرب في مدنيهم وكانت  
على الأغلب بنظر اليها من الوجه الذي لا يستحسن ، ولذا بعد شعوبياً وشديداً  
الشعوبية بأفكاره . لاصلة بينه وبين العرب الا بما نشره من آثار علمهم  
وحذق من آداب لسانهم . وآخر أثر له من هذا القبيل أنه ذكر جملة من  
أدباء المسلمين - وهو مولع في التفريق بين المسلمين والمسيحيين - في الربع  
الأول من القرن العشرين لم يتجاوز في عدم العشرات في الأمة العربية مع  
ان من وضعوا المصنفات والتأليف الجيدة ولم مكانة في الشعر والأدب لعهدنا هذا  
لا يقلون عن ثلاثمائة رجل واعتذر بجهله اسماءهم مع ان من اشتهر بين قراء  
العربية بمصنفاته وفيها المتع لا يصعب السؤال عنهم ويستغرب ان لا يطلع مثله  
على أعمالهم .

محمد كرد علي

## دراسة العقد الفريد

وضَّح صاحب العقد الفريد نهجه في وضع كتابه ، فقد تطلَّب نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادير الأمثال وقصد من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهرًا وأظهرها رونقًا وألطفها معنى وأجزلها لفظًا وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة وجعل كتابه جامعًا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة وتدور على السنة المملوك والسوقة .

فالذي يتبيَّن لنا من تضاعيف هذا الكلام ان الغاية التي يرمى اليها ابن عبد ربه في تأليف كتابه انما هي الثقافة الأدبية على تعبير هذا العصر وقد كانت آفاق هذه الثقافة على نحو ما أشار اليه : الحكم والأمثال والأخبار والآثار وكانت خصائص صيغها شرف الجوهر وظهور الرونق ولطف المعنى وجزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة .

ولكن هل ننظر الى كتابه في عصرنا هذا نظرته اليه .

لما وضع أبو الفرج الأصبهاني كتاب الأغاني قال في صدر المقدمة :  
« هذا كتاب أُلِّفه علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالأصبهاني وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية قديمها وحديثها ونسب كل ما ذكره منها الى قائل شعره وصانع لحنه وطريقته من ابقائه وأصبعه التي ينسب اليها من طريقته واشتراك ان كان بين المعنيين على شرح لذلك وتلخيص وتفسير للمشكل من غريبه وما لا غنى عن علمه من علل إعرابه وأعاريض شعره التي توصل الى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه .

ولكننا لما درسنا كتاب الأغاني لم ننظر الى الأغاني العربية ، قديمها وحديثها التي جمعها أبو الفرج على قدر نظرنا الى موضوعات ثمانية يشتمل عليها الكتاب وأدحتها الينا روح العصر الذي نميش فيه وهو عصر التحليل والتنسيق والمقابلات ونحو ذلك ، فقد وقعنا في كتاب الأغاني على أشياء كثيرة من أخبار العامة والكتاتيب والملاهي والدور والموائد والأواني والفرش والثياب والمطاعم والخانات واهندينا الى طائفة من خصائص الحجاز والشام والعراق وعرفنا عادات المتقدمين في أفراسهم وأحزانهم وانكشفت لنا حرية المرأة في الزواج والطلاق والحجاب والسفور وحرية الناس في مقامات الخلفاء والأسماء والعمال وحريةهم في المعتقدات والاستخفاف بمقدسات الأمور وفي التريبة والقضاء كما انكشفت لنا عبوديتهم وأحطنا بشيء من اللهو والتبذير والغناء ومواكب الحج ، وعلى الرغم من كثرة هذه الموضوعات التي ظفرنا بها في كتاب الأغاني فقد يجوز ان الذي فاتنا انما هو أكثر من الذي حصلنا عليه ، ولكن الذي حصلنا عليه فهو غير يسير فقد أحطنا بطراز من الحياة الاجتماعية من أكثر نواحيها .

من هذا كله يتبين لنا اختلاف العصور في أذواق أهلها ومناهج بحثهم وتنقيحهم وغير ذلك ، فحين لا ننظر الى العقد الفريد في زمننا هذا نظرة صاحبه اليه ، اننا نمرُّ بنظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادير الأمثال التي تطايرت وتتمهل في الأخبار والآثار الشتملة على شرف الجوهر وظهور الرونق ولطف المعنى وجزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة فننتفع بهذا كله ونروض أذواقنا ونصقل أفهامنا ولكننا لا تقتصر في دراسة العقد الفريد على هذا الترويض وحده وعلى هذا الصقل وحده .

كيف ندرس العقد الفريد .

بتضمن العقد الفريد خمسة وعشرين كتاباً فإذا أحببنا أن ندرس العقد الفريد  
لزمنا ان ننظر في كل كتاب منها نظرة عامة حتى نعرف محاسن هذا الكتاب  
أو مساوئه ولكني الآن لا أستطيع أن أنظر هذه النظرة وإنما أقصر على أمثال  
من الدراسة .

سمى ابن عبد ربه كتابه الأول : كتاب اللؤلؤة في السلطان .

لابأس بأن أشير قبل الكلام على هذا الكتاب الى ما نسميه في يومنا هذا :  
تطور الألفاظ ، فقد استعمل ابن عبد ربه طائفة من الألفاظ كانت مستعملة  
في عصره وقبل عصره تدلُّ على جملة من المعاني لا تدل عليها اليوم ، من هذه  
الألفاظ : السلطان والإمام والرعية ، فهو يريد بالسلطان ما نسميه اليوم الحكومة  
ويريد بالإمام الحاكم على لغة هذا العصر ويعني بالرعية الشعب أو الأمة على مصطلحنا ،  
نجد في هذا كله ان الألفاظ لا تثبت على معنى واحد في العصور كلها وإنما معانيها  
تختلف على اختلاف هذه العصور ، فرة تضيق ومرة تنسع ، وحيناً تنخص  
وحيناً تعم ونحو ذلك ، وهذه إشارة لغوية لا بد منها قبل كلامنا على كتاب  
اللؤلؤة في السلطان .

كيف يبحث ابن عبد ربه في السلطان ، هل نسق بجننه تنسيقاً وقسمه  
أقساماً وأفرد لكل قسم منها باباً أم عاقل بين مباحثه حتى ركب بعضها بعضاً  
فبيننا نراه يبحث عن عدل الحكومات إذ نراه يبحث عن واجباتها دون شيء  
من الصلة بين البحثين .

بدأ ابن عبد ربه بتعريف السلطان فقال :

السلطان زمام الأمور ونظام الحقوق وقوام الحدود والقطب الذي عليه  
مدار الدنيا وهو حى الله في بلاده وظلّه الممدود على عباده به يمتنع حرهم  
ويبتصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويأمن خائفهم .

هذا تعريف ابن عبد ربه للسلطان أي للحكومة وكما رأينا ان الألفاظ تتطور على مرّ العصور فكذلك نرى ان التعريفات تدخل في مثل هذا التطور فلو اطلع رجل من رجال الحقوق على هذا التعريف لتبيّن له ان تعريف الحكومة في هذا العصر يختلف عن تعريفها في عصر ابن عبد ربه .

وبعد أن فرغ صاحب العقيد الفريد من تعريف الحكومة انتقل فجأة الى الكلام على عدل الحاكم فروى قول الحكماء في هذا المعنى : إمام عادل خير من مطر وابل وإمام غشوم خير من فتنة تدوم ولما يَزَعُ اللهُ بالسلطان أكثرُ مما يَزَعُ بالقرآن .

ثم رجع فذكر واجبات الحكومة فقال :

فحق على من قلّده الله أزمته حكمه وملّكه أمور خلقه واختصّه باحسانه ومكّن له في سلطانه ان يكون من الاهتمام بمصالح رعيته والاعتناء بمرافق أهل طاعته بحيث وضعه الله عزّ وجلّ من الكرامة وأجرى له من أسباب السعادة ، قال الله عزّ وجلّ : «الذين ان مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهّوا عن المنكر والله عاقبة الأمور» .

وانه ليخصي واجبات الحكومة إذ نراه يعود الى الكلام على عدل الحاكم : قال النبي ﷺ عدل ساعتر في حكومة خير من عبادة ستين سنة ، وقال ﷺ : كلّكم راعٍ وكل راعٍ مسؤول عن رعيته .

ثم نراه بعد ذلك يتصدّى لوصف أخلاق الرعية فيقول :

ومن شأن الرعية قائّة الرضا عن الأئمة وتحجّر العذر عليهم وإلزام اللائمة لهم وربّ ملوم لا ذنب له ولا سبيل الى السلامة من السنة العامة اذ كان رضا جملتها وموافقة جماعتها من المعجز الذي لا يدرك والممتنع الذي لا يُملك ولكل حصته من العدل وهنزلته من الحكم .

ثم بندق في بيانه واجبات الرعية فيقول :

فن حق الإمام على رعيته أن تقضي عليه بالأغلب من فعله والأعم من حكمه  
ومن حق الرعية على إمامها حسن القبول لظاهر طاعتها وإضرابه صفتها عن مكاشفتها .  
هذه نماذج من بحث ابن عبدربه عن السلطان في ورقتين من كتابه  
ولو مضينا في عرض هذه النماذج لوصلنا الى نتيجة واحدة ، فان ابن عبدربه  
لم ينسق بيته عن السلطان ولا وضع له نهجاً فيجده ينتقل فجأة من فكر  
من الأفكار الى فكر آخر دون صلة ، أو اذا كانت الصلة بين الفكرين  
مقاربة كالصلة بين واجبات الحكومة والشعب أو السلطان والرعية فان منطق  
التسلسل بينهما مفقود ، لأن ابن عبدربه يحشر بين الفكرين فكراً آخر  
على سبيل الاستطراد لا صلة له بها .

هذا النوع من اختلال التأليف بين الأفكار المتقاربة نجده في ورقتين من  
الكتاب واذا تتبعنا أوراق الكتاب كلها وجدنا الاختلاف ذاته .

بيننا نجده يبحث عما يصحب به السلطان فيبين الأمور التي يجب على الانسان  
أن يتمسك بها في صحبة السلطان فيذكر قول ابن المقفع في هذا الباب :

لا تكن صحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم ، فان  
كنت حافظاً اذا ولّرك حذراً اذا قربوك أميناً اذا ائتمنوك ذليلاً اذا حرموك  
راضياً اذا أسخطوك نعليهم وكأنك تتعلم منهم وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم  
وتشكرهم ولا تكفهم الشكر والأفالع منهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر .  
بيننا نجده يبحث عن هذه الأمور ويستكثر من الاستشهادات في هذا الباب

اذ نجده يروي قصة معاوية مع عمر بن الخطاب ، قال يزيد :

حدثني أبي ان عمر بن الخطاب لما قدم الشام قدم على حمار ومعه عبد الرحمن  
ابن عوف على حمار فتلقاهما معاوية في موكب ثقيل فجاوز عمر معاوية حتى أخذ به

فرجع اليه فلما قُرب منه نزل اليه فأعرض عنه فجعل يمشي الى جنبه راجلاً فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل فأقبل عليه عمر فقال : يا معاوية ! انت صاحب الموكب آنفاً مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ولمَ ذاك ، قال : لأننا في بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ولا بدء لم مما يرهيبهم من هيئة السلطان ، فان أمرتني بذلك أقت عليه وان نهيتني عنه انتهيت فقال : لئن كان الذي تقول حقاً فانه رأي أريب وإن كان باطلاً فانها خدعة أديب وما أمرت بك به ولا أنهلك عنه ، فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسن ما صدر به هذا الفتي عمّا أوردته فيه ، فقال : لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه !

فاذا دلّت هذه الحكاية على شيء فانها تدل على عقل معاوية فأني معنى لحشرها في جملة الأمور التي يُصحب بها السلطان .

هذه أمور نَجدها في كل كتاب من كتب العقد الفريد ، لاشك في ان مقدمة العقد تدل على شيء من الترتيب والتنسيق فان صاحبها لما قال : فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادير الأمثال قال : ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه فجعلته باباً على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره في كل باب .

معنى هذا انه جعل في كل باب موضوعات متشابهة فأمر الحروب محصورة في كتاب الحروب وأمور المواعظ والزهد محصورة في كتاب المواعظ والزهد ولكن ابن عبدربه لما جاء الى كل باب من أبواب الكتاب عاظل بين الموضوعات دون شيء من التنسيق على نحو ما ظهر لنا هذا التعاظل في الذي استشهدنا به . وهذا عيب لا ينسب الى ابن عبدربه وحده ولكنه ينسب الى أكثر أدبائنا في القديم فكان وحدة الموضوع كانت مفقودة وأريد بوحدة الموضوع معالجة

فكر من الأفكار من أكثر نواحيه أو من أقل نواحيه على قدر استعداد الكاتب دون أن تتخلل هذه المعالجة استطرادات تدخل الضيم على تنسيق الفكر ، أكثر كتب أدبنا في الماضي هذا هو عيبها وإذا تفحصنا هذه الكتب في جزالة اللفظ وحسن الديباجة وكثرة الطلاوة والحلاوة وأمثال هذا كله فلم نفعنا في حسن التفكير وتنسيق الفكر ، فقد نظفر في بطون هذه الكتب بأروع الحكم والأمثال والأخبار والآثار والأدب ولكننا قليلاً ما نظفر فيها بأفكار عاجلها أصحابها بشيء من المنطق وأريد بالنطق في مثل هذا المقام معالجة الفكر من جهات معينة لا استطراد يخلُّ بها ولا معازلة تفسدها وقد نجد مثل هذا العيب في شعرنا نفسه فإن أكثر شعرنا في الماضي لا وحدة للموضوع فيه فالقصيدة تشتمل على عدة موضوعات لا نظام يجمعها ولست أدري سرَّ هذا العيب فينا فكأننا ننظر الى الأمور من سطوحها لا من أعماقها والذين استطاعوا من شعرائنا أن يجعلوا في شعرهم موضوعاً واحداً مرصوحاً ومن كتبنا أن يجعلوا في كتاباتهم مثل هذا الموضوع المتصلة أجزاؤه بعضها ببعض اتصالاً منطقياً كانوا ولا ريب في ذلك أئمة الانقلاب في الشعر والتفكير ، من ذلك مقامات البديع والحريري فإنها وحدة تامة نستطيع ان ننظر في أجزائها وأن ندرس هذه الأجزاء دون أن يمتدح دراستنا استطراد أو معازلة أو ما شابه ذلك ، ومن ذلك كثير من موضوعات رجال الفكر فينا كابن خلدون مثلاً في مقدمته ، وعملنا في هذا العصر إنما هو تنسيق هذا الأدب المنتشت وهو عمل غير يسير يستلزم كثيراً من الجهد والصبر والبال الطويل .

كيف يكون تفكيرنا لو كانت كتب أدبنا في الماضي تشتمل على موضوعات مستقلة ، لا يركب بعضها بعضاً ، اني أضرب مثلاً لذلك ، نجد في كتاب اللؤلؤة في السطان الخبر الآتي :

وقال الربيع بن زياد الحارثي : كنت عاملاً لأبي مومى الأشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمره بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا من هو من ثقافتهم حتى يرجعوا فلما قدمنا أتيت يرفاً فقلت : يا يرفاً ! اني سائل مسترشد أخبرني أيُّ الهيات أحبُّ الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأوماً الى الخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولتت رأسي بعمامة دكناء ثم دخلنا على عمر فصقمنا بين يديه وصعدت فينا نظره وصوب فلم تأخذ عينه أحداً غيري فدعاني فقال : من أنت ؟ قلت : الربيع بن زياد الحارثي قال : وما تتولى من أعمالنا قلت : البحرين قال : فكم تزرق ؟ قلت : خمسة دراهم في كل يوم قال : كثير ! فما تصنع بها ، قلت : أتقوت منها شيئاً وأعود بياقيها على أقارب لي فما فضل منها فلي فقراء المسلمين فقال : لا بأس : ارجع الى موضعك ، فرجعت الى موضعي من الصف ثم صعدت فينا وصوب فلم تقع عينه الاً عليّ فدعاني فقال : كم سنوك ؟ فقلت : ثلاث وأربعون سنة ، قال : الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثو عهد بلبين العيش وقد تجوعت له فأتى بخبز يابس وأكسار بعير فجعل أصحابي يمافون ذلك وجعلت آكل فأجيد الأكل فنظرت فاذا به يلحظني من بينهم ثم صبت في كلمة تميت أني سخرت في الأرض ولم ألفظ بها فقلت : يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام هو ألين من هذا فزجرني وقال : كيف قلت ! قلت : أقول : لو نظرت يا أمير المؤمنين الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل إرادتك إياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز ليناً وباللحم غريصاً فسكن من غريبه وقال : هذا قصدت ، قلت : نعم ، قال : يا ربيع ، انتا لو نشاء للملأنا هذه الرحاب من صلاحك وسبائك وصناب ولكني رأيت الله تعالى نبي على قوم شهواتهم فقال : «أذهبتم

طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها» ثم أمر أبا موسى أن يقرئني على عملي وأن يستبدل بأصحابي !

وقبل هذا الخبر نجد الخبر الذي قرأناه وهو قدوم عمر على معاوية بالشام فالخبران قد قرنا بأخبار ما يصحب به السلطان ولا بأس بذلك فكان ابن عبد ربه بدلنا على أخلاق عمر بن الخطاب في ميله الى الخشونة في الطعام والبساطة في الحكم ، كأنه يقول لنا ان عمر بن الخطاب 'يصحب بالزهد في ليلن العيش وثقل المواكب قد يتفمنا الخبران في بحثنا عن أخلاق عمر بن الخطاب في هذا المعنى ولكن نفمها أعظم من ذلك انا اذا كنا نبحث عن تطور مظاهر الحكم في العرب والاسلام، نجد في هذين الخبرين مادة خصبة لنا، في حديث عمر بن الخطاب مع الربيع بن زياد الحارثي نجد ميل الخلفاء الراشدين الى بساطة هذه المظاهر ، فالبساطة في صدر الاسلام كانت غالبية على كل شيء ، على الحكم من جهة وعلى الفن من جهة ثانية ولو قابلنا بين خطب أولئك الخلفاء وبين طراز مظاهر حكمهم لوجدنا نسبة شديدة بينها من حيث البساطة وفي الخبر المتعلق بقدوم عمر على معاوية بالشام نجد «تطور» هذه المظاهر فقد انتقلت من البساطة الى الأبهة وهذا شيء له شأن في تنسيق تاريخنا ، معنى هذا أن معاوية في الشام مشى على آثار البيزنطيين في ايثاره المواكب الثقيلة ، ومن هذا يتبين لنا تأثير البيئة في الحياة الاجتماعية وقد «تطورت» هذه الأبهة على مر العصور حتى أفضت في بعض عهد بني أمية وكثير من عهد بني العباس الى اللهو والتبذير وما شا كلهما .

فلو رتب ابن عبد ربه مختاراته على هذا الشكل ، فجاء بخبر يدل على ميل عمر بن الخطاب الى الخشونة ثم جاء بالخبر الذي يدل على ميل معاوية الى الأبهة والعظمة لمهد لنا سبيلاً الى التمكن من تتبع مظاهر الحكم في العرب والاسلام فاستطعنا بهذا التتبع أن نقابل بين هذه المظاهر على توالي العصور وأن نجد أثر

كل عصرٍ في ذلك ولا شك في أن عملاً من هذا النوع ينسّق تفكيرنا وبقوَي هذا التفكير إلا أن ابن عبد ربه قد رتّب أبواب كتابه ولكنه جعل كل باب دون شيء من الترتيب فلم يؤلف بين الموضوعات المتشابهة في كل باب ، فبينا نجده يختار كلاماً يتعلق بحقوق الرعية اذ يرجع فيبحث عن عدل الإمام وعلى هذا النحو من الترتيب يشتت تفكيرنا فلا يستطيع فكرنا أن يتتبع موضوعاً واحداً فلا ينتقل الى موضوع آخر قبل الفراغ من الموضوع الذي ينظر فيه ، وأظن أنا اذا كنا نشكو في هذا العصر ضعف أدبنا الرياضي فمن جملة أسباب هذا الضعف كتب أدبنا غير المنسقة ، فأكثرنا يدخل في موضوع فلا يعرف كيف يبدأ ولا كيف ينتهي وأكثرنا يلقى كلمة من الشرق وكلمة من الغرب .

واذا كنا ندرس العقد الفريد فانا ندرسه لنتفّع بهذه الأمور الفنية التي أشار اليها صاحبه في مقدمته وندرسه لنستخرج من وراء هذه الأمور موضوعات فكرية نجهد في تنسيقها وتأليفها كما استخرجنا من وراء الخبرين اللذين مرّا بنا مظهرأ من مظاهر الحكم في العرب والاسلام .

شفيق مبري

## (١) شيخ الإسلام ابن تيمية

لبس في وسعي أن أحيط وصفًا بمواهب علامة الشرق الامام أحمد المعروف بابن نيمية الحراني<sup>١</sup> الدمشقي ، فقد طبق الأرض بعصره علمًا وإصلاحًا ، وملاؤ الكون صدقًا بالحق وجهادًا ، وسارت بعلمه الركبان ، وعطر أريج شمائله وأعماله الأرجاء .

في أرض دمشق غرست شجرة الإصلاح بيد ابن نيمية فأثمرت ونضجت ، ومن سمائها سطعت شمس السنة الغراء فأضاءت وعمت ، وفي أجوائها علت صيحة الحق ففزعت جيوش البدع والأوهام ؛ وليس من غرضي أن أذكر كل ما قيل في ترجمة هذا النابغة الكبير ، فهو كما قال الذهبي ، أعظم من أن تصفه كلي ، أو بنه علي شأره قلبي ، فان سيرته وعلومه ، ومعارفه ومجده ، وتنقلاته ، يحتمل ان توضع في مجلدين : وإنما القصد أن نقتبس من نور خدمته العلمية ما ينير لنا طريق الحياة في سيرتنا العلمي .

### مولده ومنشؤه وتحصيله ومؤلفاته

قال العلامة الأتومي صاحب جلاء العينين ( ص ٤ ) : في تاريخ مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي ، وتاريخ الحافظ ابن حجر العسقلاني شارح البخاري ، وتاريخ الحافظ ابن كثير ، وتاريخ فوات الوفيات للكتبي ، وشذرات الذهب لابن العماد ، وتاريخ ابن الوردي ، وغيرهم : هو شيخ الاسلام ، وحافظ الأنام ، المجتهد في الأحكام ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله

---

(١) محاضرة أقيمت في قاعة المجمع العلمي ولم تنشر ، ثم نعت وأضيف إليها صفحات في تاريخ هذا الامام العظيم ، رحمه الله .  
محمد بهجة البيطار

ابن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي ، وفي تاريخ اربل ان جده  
سئل عن امم ( تيمية ) فأجاب ان جده حج وكانت امرأته حاملاً فلما كانت  
بنياء - بلدة قرب تبوك - رأى جارية حسنة الوجه وقد خرجت من خباء ،  
فلما رجع وجد امرأته قد وضعت جارية فلما رفعوها اليه قال : يا تيمية ، يا تيمية ،  
يعني أنها تشبه التي رآها بنياء ، فسمي بها انتهى . وفي فوات الوفيات وقال  
ابن النجار : ذكر لنا أن محمداً هذا ( أي الجد الأعلى لابن تيمية ) كانت أمه  
تسمى تيمية وكانت واعظة فقتل اليها وعرف بها ١٠٠٠ ولد بجران <sup>(١)</sup> يوم الاثنين  
عاشر ربيع الأول سنة احدى وستين وستائة . وقدم به والده وأخويه عند  
استيلاء التتار على البلاد الى دمشق سنة سبع وستين وستائة ، فأخذ الفقه  
والأصول عن والده . وسمع عن خلق كثيرين منهم الشيخ شمس الدين ، والشيخ  
زين الدين بن المنجا ، والمجد ابن عساكر ، وقرأ العربية على ابن عبد القوي  
ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه ، وعني بالحديث وسمع الكتب الستة والمسند  
مرات ، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه ، وأحكم أصول الفقه والفرائض  
والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من العلوم ، ونظر في الكلام والفلسفة وبرز  
في ذلك على أهله ، ورد على رؤسائهم وأكابرهم ، وتأهل للفتوى والتدريس  
وله دون العشرين سنة ، ونزل في علم الحديث وحفظه حتى قالوا : ان كل  
حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث ، وأمد الله تعالى بكثرة الكتب  
ومرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم ، وبطاء النسيان ، حتى قال غير واحد  
انه لم يكن يحفظ شيئاً فينساها ، وألف في أغلب العلوم التأليفات العديدة ،  
في التفسير والفقه والأصول والحديث والكلام والرود على المبتدعة ،  
وله الفتاوى المفصلة ، وحل المسائل المعضلة ، وقد ذكر طائفة من مؤلفاته وعد  
(١) حران : بلد قرب الرها ( أورفة ) من أرض الجزيرة بين دجلة والفرات ،  
وهي من بلاد الأناضول .

منها كتاب بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول أربع مجلدات ، وإثبات  
المعاد ، وكتاب ثبوت النبوات عقلاً وتقالاً ، وكتاب الرد على الحلولية والاتحادية ،  
وكتاب الدررة المضية في فتاوى ابن تيمية ، وكتاب اصلاح الراعي والرعية ،  
ثم قال الذهبي : وما أبعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلداه وقال الحافظ  
الذهبي : انه نشأ في تصوُّن تام وعفاف ، وتأله وتعبد ، واقتصاد في اللبس  
والمأكل ، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، وبنظر وبفهم الكبار ،  
وبأقني بما يجار منه أعيان البلد في العلم ، فأفنى وله تسع عشرة سنة بل أقل ،  
وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت ، وأكب على الاشتغال ، ومات والده  
وكان من كبار أئمة الحنابلة ، فخلفه في وظائفه وله احدى وعشرون سنة ،  
واشتهر أمره وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع  
من حفظه ، فكان يورد المجلس ولا يتعلم ذلك بتؤدة وصوت جهوري  
فصيح ، وكان آية في الذكاء وسرعة الإدراك ، رأساً في معرفة الكتاب  
والسنة والاختلاف ، بجزاً في النقليات ، فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاء ،  
وأمرأً بالمعروف ونهيأً عن المنكر ، وكثرة تصانيف ، وقرأ وحصل وبرع في  
الحديث والفقه وتأهل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة ، وتقدم في  
علم التفسير والأصول ، وجمع علوم الاسلام أصولها وفروعها ودقيقها وجليلها ،  
(الى أن قال) وكان له باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين ،  
وقل أن يتكلم في مسألة الا ويذكر فيها أقوال المذاهب الأربعة .

### ثناء الأئمة عليه

قال العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي في كتابه (الكواكب الدرية) <sup>(١)</sup>  
الذي ألفه في مناقب الإمام ابن تيمية : قد أكثر أئمة الاسلام ، من الثناء على

(١) من « مجموع الرد الوافر » وما معه من الرسائل طبع مصر سنة ١٣٢٩ هـ .

هذا الإمام ، كالحافظ المزي وابن دقيق العيد وابي حيان النحوي والحافظ ابن سيد الناس والحافظ الزمكاني والحافظ الذهبي وغيرهم من أئمة العلماء .

وقال الحافظ المزي : ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه . وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه .

وقال القاضي ابو الفتح بن دقيق العيد : لما اجتمعت بابن نيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه بأخذ ما يريد ويدع ما يريد . وقلت له ما كنت أظن ان الله بقي يخلق مثلك ! وقال الشيخ ابراهيم الرقي : ان تقي الدين يؤخذ عنه ويقلد في العلوم فان طال عمره ملاً الأرض علماً وهو على الحق ، ولا بد من ان يعاديه الناس لأنه وارث علم النبوة ، وقال قاضي القضاة ابن الحريري : ان لم يكن ابن نيمية شيخ الاسلام فن هو ؟ . وقال فيه شيخ النجاة ابو حيان لما اجتمع به : ما رأيت عيناى مثله ، ثم مدحه أبو حيان على البديهة في المجلس وقال :

لما أتينا تقي الدين لاح لنا داع الى الله فرداً ماله وزر  
على عيانه من صبا الأولى صحبوا خير البرية نور دونه القمر  
حبر تسربل منه دهرنا حبراً بجز تقاذف من أمواجه الدرر  
قام ابن نيمية في نصر شرعتنا مقام سيند قيم اذ عصت مضر  
وأظهر الحق اذ آثاره درست وأحمد الشر اذ طارت له شرر  
كنا نحدث عن حبر يجي . فيها أنت الامام الذي قد كان ينتظر

وقال الحافظ الزمكاني : لقد أعطي ابن نيمية اليد الطولى في حسن التصنيف ، وجودة العبارة والترتيب ، والتقسيم والتبيين ، وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد . كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرأي والسامع انه لا يعرف غير ذلك الفن . وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله ( الى ان قال ) :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جللت عن الحصر

هو حجة الله فاهرة هو بيتنا أعجوبة الدهر

هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر

وقال عماد الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم الواسطي عنه : ان وذج الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، الذين غابت عن القلوب سيرهم ، ونسيت الأمة حذوهم وسيلهم ، فكان في دارس نهجهم سالكاً ، ولأعنة قواعدهم مالكا : وقال في ذيل الصفحة الرابعة من كتاب القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي : وما وجد في كتاب كتبه قاضي القضاة ابو الحسن السبكي الى الحافظ الذهبي في الشيخ تقي الدين ماصورته : وأما قول سيدي في الشيخ فالمملوك متحقق كبر قدره ، وزخارة بجره ، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية ، وفرط ذكائه واجتهاده ، وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف ، والمملوك يقول ذلك دائماً ، وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجل ، مع ما جمع الله له من الورع والزهادة والديانة ونصرة الحق ، والقيام فيه لا لغرض سواه ، وجريه على سنن السلف ، وأخذه من ذلك بالأخذ الأوفى ، وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان انتهى .

### زهده وإيثاره

قال ابن فضل الله العمري كان يجيئه من المال في كل سنة ما لا يكاد يحصى ، فينفقه جميعه آفاقاً ومئين لا يلبس منه درهما بيده ، ولا ينفقه في حاجته ، بل كان اذا لم يقدر بمعد الى شيء من لباسه فيدفعه الى السائل ، وهذا مشهور عند الناس من حاله .

حكى من يوثق به قال : كنت يوماً جالساً بمحضرة شيخ الاسلام ابن تيمية فجاء انسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجاً الى ما يعتم به فتزع الشيخ عمامته من غير أن يسأله الرجل فقطعها نصفين واعتم بنصفها ودفع النصف الآخر لذلك الرجل

ولم يحتمس للحاضرين عنده : وحدث من يوثق به ان الشيخ كان ماراً في بعض الأزقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه ، فترع ثوباً على جلده ودفعه اليه وقال به بما تيسر وأنفق ، واعتذر اليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة .

### شجاعة الامام وغيرته على الدين والوطن

أراد ملك الكرج أن يفتك بسكان دمشق من المسلمين ، ويسبي ذرارهم ونساءهم ، فبذل للسلطان غازان - وهو أول من أسلم من ملوك المغول - أموالاً طائلة على أن يمكنه منهم ، فلما اتصل الخبر بالامام قام من فوره وانتدب رجالاً من الوجوه والكبراء وذوي الأحمال الرجيمة واليك خلاصة ما جرى بإخبار من كان حاضراً ولا يثبتك مثل خبير :

قال في الكواكب الدرية : قال الشيخ كمال الدين بن النجاشي : كنت حاضراً مع الشيخ فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره ، ويرفع صوته على السلطان ، ويقرب منه في أثناء حديثه . حتى لقد قرب أن تلاحق ركبته ركلة السلطان ، والسلطان مع ذلك مقبل عليه بكهيته ، مصغ لما يقول ، شاخص اليه لا يعرض عنه وان السلطان مع شدة ما أوقع الله له في قلبه من المحبة والهبة سأل من هذا الشيخ فاني لم أر مثله ولا أثبت قلباً منه ، ولا أوقع من حديثه في قلبي ، ولا رأيتني أعظم انقياداً لأحد منه ، فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل ، فقال الشيخ للترجمان قل لغازان : أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا ، ففزوننا ، وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت : عاهداً فوقياً وأنت عاهدت ففقدت ، وقلت فما وفيت وجرت ، ثم خرج من بين يديه مكرماً معزداً . بذل نفسه في طلب

حقن دماء المسلمين فبلغه الله تعالى ما أرادته . وكان أيضاً سبباً لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم ، وردهم على أهلهم ، وحفظ حريمهم ، وكان يقول :  
 لن يخاف الرجل غير الله الا لمرض في قلبه .

وأخبر قاضي القضاة ابو العباس انهم لما حضروا مجلس غازان قدم لهم طعام فأكلوا منه إلا ابن تيمية فقيل : لم تأكل ؟ فقال : كيف آكل من طعامك وكله مما نهبتم من أغنام الناس طيختموه بما قطعتم من أشجار الناس . ثم ان غازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه : اللهم ان كنت تعلم انه انما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وجاهد في سبيلك أن تؤيده وتنصره ، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر أن تفعل به وتصنع . وقد ذكر الكتبي من شجاعة الامام انه شكأ اليه انسان من قتلوك الكبير وظلمه له وكان فيه جبروت وأخذ أموال الناس واغتصابها - وحكاياته في ذلك مشهورة - فدخل عليه الشيخ وتكلم معه فقال له قتلوك : انا كنت أريد أن أجيء اليك لأنك عالم زاهد . يعني يسهزى به ، فقال له : موسى كان خيراً مني وفرعون كان شرّاً منك . وكان موسى يجيء الى باب فرعون كل يوم ثلاث مرات ويعرض عليه الايمان . ومن مساعيه المشكورة في خدمة أبناء الملل السماوية سعيه في اطلاق أمرى المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء ، وإصراره على ذلك ، ولم يرض باطلاق أسارى المسلمين فقط ؛ وانما فعل ذلك عملاً بقواعد دينه العام ، الذي يوجب المساواة في الحقوق والأحكام ، بين جميع من يظلمهم سلطان الاسلام ، واليك شذرة مما كتبه في الرسالة القبرصية خطاباً لسرجوان ملك قبرص ، قال (١) :  
 ونحن قوم نحب الخير لكل أحد ، ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا

(١) ( ص ١٢ ) والرسالة مطبوعة بـ مطبعة اللؤيد بمصر سنة ١٣١٩ هجرية .

والآخرة ، فان أعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه ، وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين ، ولا نصيحة أعظم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه ، فانه لا بد للعبد من لقاء الله ، ولا بد أن الله يحاسب عبده كما قال تعالى : « فلنسلأن » الذين أرسل اليهم ولنسلأن المرسلين » ( الى أن قال ) :

وقد عرف النصارى كلهم أنني لما خاطبت النصارى في إطلاق الأسمى ، وأطلقهم غازان وقطاوشاه ، وخاطبت مولاي فيهم فسمح باطلاق المسلمين قال لي : لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس ، فهو لاء لا يطلقون ، فقلت له : بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا فاننا نفتكهم ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة ، وأطلقنا من النصارى من شاء الله .

فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله .

وكذلك السبي الذي بين أيدينا من النصارى يعلم كل أحد إحساننا ورحمتنا ورافتنا بهم كما أوصانا خاتم النبيين اه .

ومن شجاعته ما حكاه في الكواكب قال : لما وشوا به الى السلطان الأعظم الملك الناصر لدين الله وأحضره بين يديه قال من جملة كلامه انني أخبرت أنك قد أطاعك الناس ، وان في نفسك أخذ الملك ، فلم يكترث به ، بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت ، وصوت عال سمعه كثير ممن حضر : أنا أفعل ذلك ؟ والله ان ملكك وملك المغل لا يساوي عندي فلماً ، فتبسم السلطان لذلك ، وأجابه في مقابله بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة : إنك والله لصادق وان الذي وشى بك الي لكاذب ، واستقر له في قلبه من الحجة الدينية مالولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل من كثرة ما يلقي اليه في حقه من أقوال الزور والبهتان ، من ظاهر حاله العدالة ، وباطنه مشحون بالفسق والجهالة .

## مَحَنُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ : وَنَبْذَةُ مِنْ عَقِيدَتِهِ الْحَمَوِيَّةِ

قال العلامة الشيخ مرعي في الكواكب (١) : قل من يسلم من أهل الفضل والدين في هذه الدنيا بلا محنة وابتلاء وخوض فيه لأنه لم يداهن الناس ويصانعهم ، ولذا قل صديقه على حد قوله ( ما ترك الحق من صديق لعمر ) وقال سفيان الثوري : اذا رأيت الرجل يثني عليه جيرانه فاعلم انه مدهان .

( قال ) وما وقع من المحنة للأئمة كأبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد والبخاري مشهور كما بيته في كتابنا تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين ( ثم قال ) هذا وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله امتحن بحن ، وخاض فيه أقوام ، ونسبوه للبدع والتجسيم وهو من ذلك بري . فأول محنة كما نقله الثقات في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثمانئة بسبب عقيدته الحموية الكبرى ، وهي جواب سؤال ورد من حماة فوضعها ما بين الظهر والعصر في ست كراريس بقطع نصف البلدي ، فجرى له بسبب تأليفها أمور ومحن لترجيحه مذهب السلف على مذهب المتكلمين وتشنيعه عليهم ( فمن بعض قوله في مقدمتها ) ما قاله الله سبحانه ورسوله ﷺ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره . ومن المحال أن يكون خير أمة وأفضل قرونها قصرها في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه ، ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة قرن الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين . قال : ظنوا ان طريقة السلف هي مجرد الايمان بالنفاذ القرآن والحديث من غير فقه لذلك ، بمنزلة الأئمين . وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات .

(١) ص ١٦٧ من « المجموع للطبوع » .

وقال : فهذا الظن الفاسد أوجب اعتقاد انهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتحرروا في حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا لدقيق العلم الإلهي ، وان الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله كيف يكون هؤلاء المتأخرون لاسيما والاشارة بالخلف الى ضرب من المتكلمين الذين كثروا في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله سبحانه ، وأخبر الواقف على نهاية اقدامهم ، بما انتهى اليه من مراسمهم ، يقول الامام فخر الدين الرازي :

لعمرى لقد طفت الماهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم  
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقنٍ أو فارغاً سن نادماً  
وأقروا على أنفسهم بما قالوه ممثلين به ، ومنشئين له فيما صفوه من كتبهم ،  
مثل قول بعض رؤسائهم :

نهاية اقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال  
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا  
ويقول آخر منهم : لقد تأمات الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها  
تشفى عيلاً . ولا تروى غليلاً . ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في  
الانبيات : اليه يصعد الكلم الطيب : الرحمن على العرش استوى « وقرأ في النبي :  
ليس كئله شيء » ولا يحيطون به علماً « ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل  
معرفتي . ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الاسلام  
وعلمهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن ان لم يتداركني ربي برحمته  
فالويل لفلان وما انا (ذا) أموت على عقيدة أمي اه .

مناظرته رحمه الله

كان شيخ الاسلام يرجح في أمر المعتقد مذهب السلف الصالح وبعض عليه  
بالتواجد ، ويجادل ارجاع الناس اليه بكل الوسائل ، ويرى رأي امام دار الهجرة

مالك بن انس من انه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، وهو رأي كل حكيم علم ببدء الأمة ودوائها قديماً وحديثاً وكان شديد الانتصار لمذهب السلف والدفاع عنه بالحجج العقلية والنقلية ، وقد عقدت له عدة مناظرات في مصر والشام ؛ كان معظمها يحوم حول هذه القضية ؛ وقد كان سئل ان يكتب المناظرات الثلاث التي جرت له في الشام فكتبها . واني أنقل منها - المناظرة الثانية من كتاب ( غاية الأمان ) للعلامة أبي المعالي السلامي لتكون مثلاً من مناظراته قال : أما بعد فقد سئلت غير مرة ان أكتب ما حضرني ذكره مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة في أمر الاعتقاد بمقتضى ما ورد من كتاب ذي السلطان من الديار المصرية الى نائبه أمير البلاد ، لما سعى اليه قوم من الجهمية والاتحادية والرافضة وغيرهم من ذوي الأحقاد ، فأمر الأمير بجمع القضاة الأربعة قضاة المذاهب الأربعة . وغيرهم من نوابهم والمتين والمشايخ من له حرمة وبه اعتداد ، وهم لا يدرون ما قصد بجمعهم في هذا الميعاد ، وذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك عام خمس وسبعائة . فقال لي هذا المجلس عقد لك . فقد ورد مرسوم السلطان بأن أسألك عن اعتقادك ، وعمّا كتبت به الى الديار المصرية من الكتب التي تدعو بها الناس الى الاعتقاد ، وأظنه قال : وأن أجمع القضاة والفقهاء يتباحثون في ذلك ، فقلت : أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عن من هو أكبر مني بل يؤخذ عن الله ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة ، فما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم ، وأما الكتب فما كتبت الى أحد ابتداء أدعو به الى شيء من ذلك ولكني كتبت أجوبة أجبت بها من سألتني من أهل الديار المصرية وغيرهم وكان قد بلغني انه زور عليّ كتاب الى الأمير ركن الدين الجاشنكير أستاذ ذي السلطان يتضمن ذكر عقيدة محرفة ولم أعلم بحقيقتها لكن علمت انه مكذوب .

وكان يرد عليّ من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد فأجيبته بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فقال : نريد أن نكتب لنا عقيدتك فقلت اكتبوا فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب فكتب له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات والقدر ومسائل الايمان والوعيد والامامة والتفضيل . وهو ان اعتقاد أهل السنة والجماعة الايمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكيف ولا تمثيل ، وان القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، والايمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها ، ونهى عن المصيبة وكرها ، والعبد فاعل حقيقة ، والله خالق فعله ، وان الايمان والدين قول ، وعمل ، يزيد وينقص ، وأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بالذنوب ، ولا نخذل في النار من أهل الايمان أحداً ، وان الخلفاء بعد رسول الله ﷺ ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي (ثم قلت) للأمر والحاضرين أنا أعلم أن أقواماً يكذبون عليّ كما قد كذبوا غير مرة ؛ وإن أملت الاعتقاد من حفظي ربما يقولون كتم بعضه أو داهن أو دارى فأنا أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين قبل أن يجيء التتر الى الشام ، وقلت قبل حضورها كلاماً قد بعد عهدي به وغضبت غضباً شديداً لكني أذكر اني قلت انا اعلم ان اقواماً كذبوا عليّ وقالوا للسلطان شيئاً وتكلمت بكلام احتجت اليه . مثل ان قلت من قام بالاسلام أوقات الحاجة غيري ؟ ومن الذي أوضح دلائله وبينه وجاهد أعداءه وأقامه لما مال ، حين تخلى عنه كل أحد ، ولا أحد ينطق بحجته ، ولا أحد يجاهد عنه ، وقت مظهراً الحجة ، مجاهداً عنه مرغباً فيه ، فاذا (كان) هؤلاء يطعمون في الكلام في . فكيف يصنعون بغيري ، ولو أن يهودياً طلب من السلطان الانصاف لوجب عليه ان ينصفه ، وانا قد اعفوا عن حقي

وقد لا اعفوا بل أطلب الانصاف منه وان يحضر هؤلاء الذين يكذبون ليكافأوا على افتراءهم ، وقلت كلاماً أطول من هذا الجنس لكن بعد عهدي به .  
فأشار الأمير الى كاتب الدرّج محيي الدين أن يكتب في ذلك وقلت أيضاً :  
كل من خالفني في شيء مما كتبه فأنا أعلم بمذهبه منه : ثم قرئت العقيدة في  
الجلسة فاعترض بعضهم على مسائل منها ، فأجاب الشيخ عنها . وكتبت هذه  
المنظرة الأولى بنحو ثمان صفحات ، ثم قال شيخ الاسلام :

### فصل

فلما كان المجلس الثاني يوم الجمعة في اثني عشر رجب ، وقد أحضروا أكبر  
شيوخهم ممن لم يكن حاضراً ذلك المجلس ، وأحضروا معهم زيادة : ( صفي الدين  
الهندي ) وقالوا : هذا أفضل الجماعة وشيخهم في علم الكلام ، وبجشوا فيما بينهم ،  
واتفقوا وتعاطوا وحضروا بقوة واستعداد للمخاطب الذي هو المسؤول والمجيب  
والمنظر ، فلما اجتمعنا وقد أحضرت ما كتبه من الجواب عن أسئلتهم المتقدمة  
الذي طلبوا تأخيره الى اليوم حمدت الله بخطبة الحاجة خطبة ابن مسعود  
( رضي الله عنه ) ( ثم قلت ) ان الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف ونهانا عن  
الفرقة والاختلاف وقال لنا في القرآن : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »  
( وقال ) : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » وقال :  
« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات » ربنا واحد ،  
وكتابتنا واحد ، ونديننا واحد ، وأصول الدين لا تحتل التفرق والاختلاف ،  
وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين ، وهو متفق عليه بين السلف ، فإن  
وافق الجماعة فالحمد لله ، والا فن خالفني بعد ذلك كشفت الأمرار ، وهتكت  
الأستار ، وبيئت المذاهب الفاسدة التي أفسدت الملل والدول ، وأنا أذهب الى  
سلطان الوقت على البريد ، وأعرفه من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس فان السلم

كلاماً ، وللحرب كلاماً (وقلت) : لاشك ان الناس يتنازعون بقول هذا أنا حنبلي ، ويقول هذا أنا اشعري ، ويجري بينهم تفرق وفتن واختلاف على أمور لا يعرفون حقيقتها ، وأنا قد أحضرت ما بين اتفاق المذاهب فيما ذكرته ، وأحضرت كتاب تبين كذب المفترى <sup>(١)</sup> . فيما ينسب الى الشيخ ابي الحسن الأشعري تأليف الحافظ ابي القاسم بن عساكر (رحمه الله) (وقلت) لم يصنف في أخبار الأشعري المحمودة كتاب مثل هذا وقد ذكر فيه لفظه الذي ذكره في كتابه الإبانة فلما انتهيت الى ذكر المعتزلة سألت الأمير عن معنى المعتزلة . فقلت : كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق المي وهو أول اختلاف حدث في الملة : هل هو كافر أو مؤمن فقالت الخوارج انه كافر ، وقالت الجماعة انه مؤمن ، وقالت طائفة نقول هو فاسق لا مؤمن ولا كافر ، ننزله منزلة بين المنزلتين وخلده في النار ، واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه (رحمه الله تعالى) فسماوا معتزلة (وقال الشيخ الكبير) يجيبته وردائه : ليس كما قلت ، ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون مسألة الكلام وسمي المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم في ذلك ، وكان أول من قالها عمرو بن عبيد ، ثم خلف بعد موته عطاء بن واصل ، وبعد أن رد الامام عليه خطأه قال (قلت) الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون وبعدها في أواخر المائة الثانية ، (وأما المعتزلة) فقد كانوا قبل ذلك بكثير من زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانية . ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام ولا تنازعوا فيها ؛ وإنما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الأسماء والأحكام والوعيد (فقال) هذا ذكره الشهرستاني في الملل والنحل فقلت : الشهرستاني ذكره في اسم المتكلمين لم سموا متكلمين ، لم يذكره في اسم المعتزلة ، والأمير إنما سأل عن اسم

(١) 'عني بذميره القدسي بدمشق سنة ١٣٤٧ هـ .

المعتزلة ؛ وأنكر الحاضرون عليه ، وقالوا غلطت ، وقلت في ضمن كلام : أنا أعلم كل بدعة حدثت في الاسلام وأول من ابتدعها وما كان سبب ابتداعها ؛ وأيضاً فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في امم المنكحمين . فإن المتكلمين كانوا يستون بهذا الاسم قبل منازعتهم في مسألة الكلام ، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء انه منكلم ويصفونه بالكلام ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام وقلت انا وغيري انما هو واصل بن عطاء أي لا عطاء بن واصل كما ذكره المعترض ( قات ) : وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد وانما كان قريبه وقد روى ان واصلاً تكلم مرة بكلام ، فقال عمرو بن عبيد : لو بعث نبيك ما كان يتكلم بأحسن من هذا ، وفصاحته مشهورة حتى قيل انه أشغ وكان يجتري عن الراء حتى قيل له أمر الأمير ان يحفر بئر فقال أوعز القائد أن يقاب قلب .

ولما انتهى الكلام الى ما قاله الأشعري قال الشيخ المقدم فيهم لاربت ان الامام احمد امام عظيم القدر من أكبر أئمة الاسلام لكن قد انتسب اليه أناس ابتدعوا أشياء ( فقلت ) أما هذا فحقي وليس هذا من خصائص احمد بل ما من إمام إلا وقد انتسب اليه أقوام هو منهم بريء وقد انتسب الى مالك أناس مالك بريء منهم ، وانتسب الى الشافعي أناس هو بريء منهم ، وانتسب الى ابي حنيفة أناس هو بريء منهم ، وقد انتسب الى موسى عليه السلام أناس هو بريء منهم ، وانتسب الى عيسى ( عليه السلام ) أناس هو منهم بريء ، وقد انتسب الى علي بن ابي طالب أناس هو بريء منهم ، ونبينا ﷺ قد انتسب اليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف الملحدة والمنافقين من هو بريء منهم ( قال ) وذكر في كلامه انه انتسب الى احمد من الحشوية والمشيبة ونحو هذا الكلام ( فقلت ) المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الامام احمد أكثر منهم فيهم ؛ وبعد أن عد اصنافهم من غير الحنابلة ( قال ) وتكلمت على لفظ الحشوية ما أدري جواباً عن سؤال الأمير او غيره او غير جواب . فقلت هذا اللفظ اول من

ابتدعه المعتزلة فانهم يسمون الجماعة والسواد الأعظم (الحشو) (قال) وحشو الناس هم عموم الناس وجمهورهم . وهم غير الأعيان المتميزين بقولون هذا من حشو الناس كما يقال هذا من جمهورهم . وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد قال اي عمرو وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه حشوباً .

(وقلت) لا ادري في المجلس الأول او الثاني : اول من قال ان الله جسم هشام بن الحكم الرافضي (قلت) لهذا الشيخ من في اصحاب الامام احمد حشوي بالمعنى الذي تريده : الأثرم ، ابو داود ، المروزي ، الخلال ، ابو بكر ، عبد العزيز ، ابو الحسن التيمي ، ابن حامد ، القاضي ابو يعلى ، ابو الخطاب ، ابن عقيل ، ورفعت صوتي وقلت سمهم قل لي من هم ؟ من هم ؟ ؟ أبكذب ابن الخطيب واقترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين ، كما نقل هو وغيره عنهم انهم يقولون ان القرآن القديم هو أصوات القارئين ومداد الكاتبين وان الصوت والمداد قديم أزلي ؟

من قال هذا ؟ وفي أي كتاب وجد هذا عنهم ؟ قل لي ، وكما نقل عنهم ان الله لا يرى في الآخرة بالضرورة الذي ادعاه واقدمه التي نقلها . وأخذت اذكر ما يستحقه هذا الشيخ من انه كبير الجماعة وشيخهم وان فيه من العقل والدين ما يستحق ان يعامل بموجبه ، وأمرت بقراءة العقيدة جميعها عليه فانه لم يكن حاضراً في المجلس الأول وانما احضروه في الثاني انتصاراً . وحدثني الثقة عنه بعد خروجه من المجلس انه اجتمع به وقال له اخبرني عن هذا المجلس ، فقال : ما للفلان ذنب ولا لي : فان الأمير سأل عن شيء فأجابته عنه . فظننته سأل عن شيء آخر . وقال قلت انتم ما لكم على الرجل اعتراض فانه نصر ترك التأويل ، وانتم تنصرون قول التأويل وهما قولان للأشعري . وقال : انا اختار قول ترك التأويل وأخرج وصيته التي اوصى بها : وفيها : قولني ترك التأويل

( قال الخاكي له ) فقلت له بلغني عنك انك قلت في آخر المجلس لما اشهد الجماعة على انفسهم بالموافقة : لا تكتبوا عني نقياً ولا اثباتاً فلم ذلك ؟ قال : لوجهين ( احدهما ) اني لم احضر قراءة جميع العقيدة في المجلس الأول . والثاني لأن أصحابي طلبوني لينصروا بي فما كان بليق ان اظهر مخالفتهم فسكت عن الطائفتين اه باختصار قليل .

### اعتقال شيخ الاسلام في مصر والشام وسببه

نقل صاحب الكواكب الدرية عن الشيخ علم الدين انه في شهر ربيع الأول سنة ٦٩٨ وقع بدمشق محنة للشيخ الإمام تقي الدين بن تيمية . وكان الشروع فيها من أول الشهر ، وكان سببها ترجيحه مذهب السلف في الصفات على مذهب المتكلمين ، وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر النجيين ، ثم عقدت له عدة مجالس للمناظرة في مصر والشام ، وحبس في القطرين ، وقد ذكرنا في الفصل السابق احدى تلك المناظرات . ونقل صاحب جلاء العينين عن الحافظ ابن كثير قال وأكثر ما نالوا منه ( أي اعداؤه ) الحبس مع انه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ، ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وانما أخذوه وحبسوه بالجاه ، كما سيأتي اه . قيل ومن جملة أسباب حبه خوفهم انه ربما بدعي ويطلب الإمارة فلقي أعداؤه عليه طريقاً من ذلك ، فحسبوا للأمرء حبه لسد تلك المسالك اه .

### حاله في معتقله ، ووفاته في قلعة دمشق

ذكر صاحب الكواكب الدرية : ان الشيخ لما سجن في مصر بحبس القضاة بجارة الديلم صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدين خيراً من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس . وصار خلق من الحمايس اذا أطلقوا يجتارون الإقامة عنده . وكثير المترددون اليه حتى صار السجن يملأ منهم .

ولما ورد أمر بسجنه بقلعة دمشق أظهر السرور بذلك وقال اني كنت منتظراً ذلك وهذا فيه خير عظيم . ونقل عنه وارث علومه العلامة ابن قيم الجوزية الذي حبس بقلعة دمشق معه في كتابه ( الحكم الطيب والعمل الصالح ) انه قال : ما يصنع أعدائي بي ، أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحمت في معي لا تفارقني . انا حبسي خلوة ، وقلي شهادة ، واخراجي من بلدي ضيافة ؛ وكان يقول في مجلسه في القلعة : لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة . أو قال : ما جزيتهم على ما تسببوا اليّ فيه من الخير ونحو هذا . وكان يقول في سجوده وهو محبوس اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ماشاء الله وقال لي مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه . والمأسور من أسره هواه . ولما أدخل ووصل الى القلعة وصار داخل سورها انظر اليه وقال : «نضرب بينهم بسور له باب . باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب» وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط . مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها . ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف . وهو مع ذلك أطيب الناس عيشاً ، وأشمرحهم صدرأ ، وأقوام قلباً ، وأمرئهم نفساً ، تلوح نضرة النعيم على وجهه ؛ وكنا اذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون ، وضاعت بنا الأرض ، اتيناها فما هو إلا ان نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله ، فينقلب انشراحاً وقوةً ويقيناً وطأئنة . فسيحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم ابوابها في دار العمل ، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسايرة اليها ، وكان بعض العارفين يقول . لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف اه وكان دخوله قلعة دمشق سادس شعبان سنة ٧٢٦ وما زال مقبلاً في قاعتها الى أن كانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ .

## الاحتفال بالصلاة على شيخ الاسلام ودفنه

دخلت جنازة الإمام جامع بني أمية . وصلي عليه عقب صلاة الظهر ولم يبق في دمشق من يستطيع المجيء للصلاة عليه إلا حضر لذلك حتى غلقت الأسواق بدمشق ، وعطلت معاشها حينئذ ، وحصل للناس بمصابه امر شغلهم عن غالب امورهم واسبابهم . وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء ، والفقهاء ، والأترار والأجناد ، والرجال والنساء ، والصبيان من الخواص والعوام ، قال بعض من حضر ولم يتخلف فيما اعلم الا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعادته فاختفوا من الناس خوفاً على انفسهم بحيث غلب على ظنهم انهم متى خرجوا رجمهم الناس .

واتفق جماعة من حضر وشاهد الناس والمصلين عليه انهم يزيدون على نحو من خمسمائة الف وحضرها نساء كثير بحيث حزرت بجمسة عشر الفا . قال اهل التاريخ لم يسمع بجنازة تمثل هذا الجمع الا جنازة الامام احمد بن حنبل . قال الدارقطني : سمعت ابا سهل بن زياد القطان يقول : سمعت عبد الله بن احمد ابن حنبل يقول سمعت ابي يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم الجناز . قال ابو عبد الرحمن السلمي انه حزر الحزارون المصلين على جنازة احمد ، فبلغ العدد بحزرم الف الف وسبعمائة الف سوى الذين كانوا في السفن . ثم حملت جنازة الشيخ الى قبره في مقبرة الصوفية فوضع . وقد جاء الملك شمس الدين الوزير ولم يكن حاضراً قبل ذلك فصلى عليه أيضاً ومن معه من الأمراء والكبراء ومن شاء الله من الناس . ثم دفن وقت العصر الى جانب أخيه الشيخ جمال الاسلام شرف الدين . انتهى من الكواكب باختصار .

## خلاصة أعماله رحمه الله

نقل عن فوات الوفيات <sup>(١)</sup> ، خلاصة أعماله التي طار بها ذكره في البلاد ، وهو قد نقلها من كتاب (تذكرة الحفاظ) للحافظ ابن عبد الهادي . وقد آثرت

نقلها لتكون فهرساً لأعمال شيخ الاسلام من سنة ٦٩٨ الى سنة ٧٢٨ وهي سنة وفاته .

قال ابن عبد الهادي قلت : أملئ شيخنا المسألة المعروفة بالحموية سنة ٩٨ في قعدة بين الظهر والعصر وهو جواب سؤال ورد من حماة في الصفات ، وجرى له بسبب ذلك محنة ، ونصره الله وأذل أعداءه ، وما حصل له بعد ذلك الى حين وفاته من الأمور والحنن والتنقلات يحتاج الى عدة مجلدات ، وذلك كقيامه في نوبة غازان سنة ٦٩٩ وقيامه باعباء الأمر بنفسه ، واجتماعه هو بنائبه قطلو شاه وبولآي ، واقدامه وجرأته على المغول ، وعظيم جهاده ، وفعله الخير ، من انفاق الأموال ، واطعام الطعام ، ودفن الموتى ، ثم توجه بعد ذلك بعام الى الديار المصرية ، وسوقه على البريد اليها في جمعة لما قدم التتار الى أطراف البلاد ، واشتد الأمر بالبلاد الشامية . واجتماعه بأركان الدولة واستصراخه بهم ، وحضهم على الجهاد ، واختباره لهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب ، وابدائهم له العذر في رجوعهم ، وتمظيمهم له ، وتردد الأعيان الى زيارته ، واجتماع ابن دقيق العيد به ، وسماعه كلامه ، وثنائه عليه الثناء العظيم . ثم توجه بعد أيام الى دمشق واشتغاله بالاهتمام لجهاد التتار ، وتحريضه الأمراء على ذلك الى ورود الخبر بانصرافهم ، وقيامه في وقعة شقحب المشهورة سنة ٧٠٢ واجتماعه بالخليفة والسلطان وأرباب الحل والعقد وأعيان الأمراء ، وتحريضه لهم على الجهاد ، وموعظته لهم ، وما ظهر في هذه الوقعة من كراماته واجابة دعائه ، وعظيم جهاده ، وقوة ايمانه ، وشدة نصحه للإسلام ، وفرط شجاعته ، ثم توجه بعد ذلك في آخر سنة أربع لقتال الكسروانيين وجهادهم واستئصال شأفتهم ، ثم مناظرته للمخالفين سنة ( ٥ ) في المجالس التي عقدت له بمحضرة نائب السلطنة الأقرم ، وظهوره عليهم بالحجة والبيان ، ورجوعهم الى قوله طائعين ومكرهين ، ثم توجه بعد ذلك في السنة المذكورة الى الديار المصرية في صحبة قاضي الشافعية ، وعقد له

مجلس حين وصوله بحضور القضاة وأكابر الدولة ، ثم حبسه بالجب بقلعة الجبل ومعه اخواه سنة ونصفاً ، ثم خروجه بعد ذلك وعقد مجلس له لخصومتهم ، وظهره عليهم ، ثم اقرائه للعلم وبثه ونشره ؛ ثم عقد مجلس له في شهر شوال سنة (٧) لكلامه في الاتحادية وطعنه (عليهم) ، ثم الأمر بتسفيره الى الشام على البريد؛ ثم الأمر برده من مرحلة وتجنجه بجبس القضاة سنة ونصفاً ، وتعليمه أهل الجبس ما يحتاجون اليه من أمور الدين ، ثم اخراجه منه وتوجهه الى الاسكندرية وجعله في برج حبس فيه ثمانية أشهر يدخل اليه من شاء ، ثم توجهه الى مصر واجتماعه بالسلطان في مجلس حفل فيه القضاة وأعيان الأمراء وإكرامه له إكراماً عظيماً ، ومشاورته له في قتل بعض أعدائه وامتناع الشيخ من ذلك ، وجعله كلاً من آذاه في حل ، ثم سكناه بالقاهرة وعوده الى نشر العلوم ونفع الخلق ، وما جرى بعد ذلك من قضية البكري وغيرها ، ثم توجهه بعد ذلك الى الشام صحبة الجيش المنصور فاصداً العراق بعد غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع ، وتوجهه في طريقه الى بيت المقدس ، ثم ملازمته بعد ذلك بدمشق لنشر العلوم وتصنيف الكتب وإفتاء الخلق ، الى أن تكلم في مسألة الحلف بالطلاق فأشار عليه بعض القضاة بترك الافناء بها في سنة ثمان عشرة ، فقبل اشارته ، ثم ورد كتاب السلطان بعد أيام بالمنع من الفتوى فيها ؛ ثم عاد الشيخ الى الافناء بها وقال لا يسعني كتمان العلم ، وبقي كذلك مدة الى أن حبسوه بالقلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم أخرج ورجع الى عادته من الاشتغال والتعليم ؛ ولم يزل كذلك الى أن ظفروا له بجواب يشعلق بمسألة شد الرجال الى قبور الأنبياء والصالحين كان قد أجاب به من نحو عشرين سنة فشتعوا عليه بسبب ذلك ، وكبرت القضية وورد مرسوم السلطان في شعبان من سنة ست وعشرين يجعله في القلعة ، فأخليت له قاعة حسنة وأجري اليها الماء ، وأقام فيها ومعه أخوه يخدمه ، وأقبل في هذه المدة على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب والرد على المخالفين ، وكتب على تفسير

القرآن العظيم جملة كبيرة تشتمل على نفائس جليلة ، ونكت دقيقة ، ومعان لطيفة ، وأوضح مواضع كثيرة التبت على خلق من المفسرين ، وكتب في المسألة التي حبس بسببها مجلدات عديدة ، وظهر بعض ما كتبه واشتهر ، وآل الأمر الى أن منع من الكتابة والمطالعة ، وأخرجوا ما عنده من الكتب ، ولم ينزكوا دواة ولا قلماً ولا ورقة ، وكتب عقيب ذلك بفهم يقول : ان اخراج الكتب من عنده من أعظم النقم ، وبقي أشهراً على ذلك ، وأقبل على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين .

### بعض تلاميذ شيخ الاسلام الأعلام

ذكر صاحب جلاء العينين تراجم طائفة من تلاميذ شيخ الاسلام الأعلام ، الذين كانوا من بعده من أشهر رجال الإسلام ، بما خلفوا من الآثار ، التي طار ذكرها في الأمصار ، وانتفع بها أبناء الأعصار ( فمنهم ) أشهر تلاميذه ، ووارث علومه ، العالم الرباني ، شيخ الاسلام الثاني ، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية ، صاحب الآثار الكثيرة المحررة ، الذي حبس مع الشيخ في قلعة دمشق ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ . وقد قال عنه القاضي برهان الدين الزرعي : ماتحت أديم السماء أوسع علماً منه .

( ومنهم ) الإمام الحافظ مؤرخ الاسلام شمس الدين ابو عبد الله محمد الذهبي صاحب ميزان الاعتدال في نقد الرجال وغيره . قال عنه العلامة الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى : كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ، ثم أخذ يجيز عنها اخبار من حضرها .

( ومنهم ) الحافظ الكبير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي ، قال عنه ابن حبيب : انتمت اليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير ، ومن تصانيفه التاريخ المسعى البداية والنهاية . وطبقات الشافعية وغيرهما .

(ومنها) الحافظ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي المقدسي؛  
عده الذهبي في طبقات الحفاظ، وقد عد له ابن رجب في طبقاته ما يزيد على  
سبعين مصنفاً وتوفي وعمره أربعون سنة أو أقل .

(ومنها) قاضي القضاة شرف الدين ابو العباس احمد بن الحسين المشهور بقاضي  
الجليل . قرأ على الشيخ تقي الدين ابن تيمية - عدة تصنيفات في علوم شتى ،  
وأذن له في الافتاء في شببته قال الذهبي فيه : هو مفتي الفرق ، سيف المناظرين ؛  
وبالغ ابن رافع وابن حبيب في مدحه وله اختيارات في المذهب ، ومن شعره  
اللطيف قوله :

الصالحية جنة والصالحون بها أقاموا

فعلى الديار وأهلها مني التحية والسلام

(ومنها) زين الدين عمر الشهير بابن الوردي . له تصانيف في النحو والأدب  
والتصوف والتاريخ . وقد أظن في ترجمة شيخ الاسلام في تاريخه . ومن نظمه :

سبحان من منح لي حاسدي يحدث لي في غيبي ذكرا

لا أكره الغيبة من حاسد يفيدني الشهرة والأجرا

(ومنها) زين الدين ابو حفص عمر الحراني . ولي نيابة الحكم وقال لم أقض  
قضية الا وأعددت لها الجواب بين يدي الله تعالى .

(ومنها) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن مفلح : قال أبو البقا السبكي :  
ما رأيت عينا أفقه منه . وقال ابن القيم : ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام  
أحمد من ابن مفلح . وقال ابن كثير : وله مصنفات كثيرة منها على المقتنع نحو ثلاثين  
مجلداً وعلى المنتقى وكتاب الفروع أربع مجلدات . وله كتاب في أصول الفقه  
والآداب الشرعية الكبرى والوسطى والصغرى .

محمد بهجة البيطار

بسم الله الرحمن الرحيم

(يتبع)

# التشريع اللبناني واحكام الوصية العامة

## لمحة في التشريع اللبناني

من المعلوم ان لبنان كان جزءاً من الامبراطورية العثمانية ، وكان بهذه الصفة خاضعاً للقوانين العثمانية .

ومن المعلوم أيضاً ان الدولة العثمانية أصدرت في القرن التاسع عشر كثيراً من المدونات القانونية ، وقد تأثرت بعض هذه المدونات بالقوانين الأجنبية ، فكان معظمها مقتبساً عن هذه القوانين بتبويبه ونصوصه وروحه . ومن هذه المدونات قانون التجارة ، وقانون الجزاء ، وقانون أصول المحاكمات ، وغيرها . ويستثنى من ذلك مدونة القانون المدني ، التي نشرت عام ١٨٧٦ بارادة سنية سلطانية باسم مجلة الأحكام العدلية . وهذه المدونة مأخوذة بوجه عام عن كتب ظاهر ازواية في المذهب الحنفي ، اذ كان هذا المذهب مذهب الدولة الرسمي في القضاء والفتيا .

ولم تبحث المجلة في الأحوال الشخصية ، من زواج وطلاق وبنوة ونسب وولاية ووصاية وحضانة ونفقة وما إليها ، إلا ما جاء في الكتاب التاسع عن الحبر وفي الكتاب الثالث عشر وغيره عن مرض الموت . وكذلك لم تبحث المجلة في أحكام الإرث والوصية والمفقود والأوقاف . والسبب في ذلك هو الخلاف الكبير الواقع في بعض هذه المسائل ، وتعدد العناصر والأديان في المملكة

العثمانية ، وسياسة التسامح التي اتبعتها الدولة في ذلك الوقت مع غير المسلمين ، وتركها لم الحرية في أمورهم المذهبية وأحوالهم الشخصية .

وقد بقي الأمر كذلك حتى سنة ١٩١٢ ، حين سنت الدولة العثمانية قانوناً للزواج ، والفرقة ، صدر باسم قانون العائلة . وهذا القانون ، وإن كان في الأصل على مذهب الدولة الحنفي ، إلا أنه في كثير من المسائل أخذ عن باقي المذاهب الاسلامية . مثاله : أخذ عن المذهب الشافعي الحكم بفساد زواج المكره وبطلان طلاق السكران أو المكره ، وأخذ عن المذهب المالكي أحكام تفريق الزوجين عند الشقاق والنزاع .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى ، وضع لبنان تحت الانتداب الفرنسي . ثم أعني الانتداب أثناء الحرب العالمية الثانية . فأصبح لبنان منذ ذلك الحين دولة مستقلة تضم قرابة المليون والثلاثمائة نسمة ، نصفهم أو يزيد من الطوائف المسيحية ، والنصف الآخر من الطوائف الاسلامية . وهؤلاء جميعاً يعيشون في جمهوريتهم الصغيرة في وئام وتوفيق ، ويخضعون لدستور واحد وقضاء واحد . ولا يستثنى من ذلك إلا بعض مسائل الأحوال الشخصية ، اذ تخضع فيها كل طائفة لأحكامها الخاصة ، ولحاكمها الشرعية أو الروحية أو المذهبية . وعلى الرغم من ذلك ، كان المذهب الحنفي يطبق على الجميع في بعض المسائل ، ومنها الأوقاف والموارث والنفقات والحجر وما أشبه . ويطبق هذا المذهب أيضاً على السنين في مسائل الفنيا وفي القضاء الشرعي المتعلق بالأحوال الشخصية . أما من ناحية الشريعة المدني ، فقد أصدر لبنان مدونات جديدة قامت مقام المدونات العثمانية . وأهمها قانون الملكية ، وقانون الموجبات والعقود ، وقانون اصول المحاكمات المدنية ، وقانون العقوبات ، وقانون التجارة ، وقانون اصول المحاكمات الجزائية ، وقانون التجارة البحرية ، وغيرها .

وأما المنازعات في مسائل الأحوال الشخصية ، فان المرسوم الاشتراعي ذا الرقم ( ٦ ) الصادر في ٣ شباط سنة ١٩٣٠ قد جعلها من اختصاص القضاء المدني ، باستثناء بعض المسائل التي أبقاها من اختصاص المحاكم المذهبية ، وباستثناء محاكم الأحوال الشخصية للطوائف المحمدية .

ثم في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤٢ صدر نظام المحاكم الشرعية الجديد ( بالمرسوم الاشتراعي رقم ٢٤١ المعدل بقانون ٤ كانون الأول سنة ١٩٤٦ ) . فنظم المحاكم الشرعية الاسلامية السنية والجعفرية . وأوجب العمل في المحاكم السنية بقانون العائلة العثماني وبأرجح الأقوال من مذهب أبي حنيفة . وأوجب العمل أيضاً في المحاكم الجعفرية بالمذهب الجعفري وبما يتلاءم وهذا المذهب من قانون العائلة .

وبتاريخ ٢ نيسان سنة ١٩٥١ ، صدر قانون جديد وسع اختصاص المحاكم المذهبية والروحية للطوائف غير المحمدية . وقد أثار هذا القانون احتجاج نقابة المحامين في بيروت ، وكان السبب في اعلانها الاضراب عن المرافعات . وعلى كل ، فان الحكومة اللبنانية أعدت مؤخراً مشروع قانون للموارث وبعض الأحوال الشخصية . وهو لا يزال قيد الدرس والتدقيق .

وهكذا ، نحن نرى ان التشريع اللبناني اليوم مزيج من القوانين العثمانية والأوروبية والأحكام الشرعية الاسلامية . ونحن في هذا المقال نبحث في مثل واحد منها ، وهو الوصية . ونحصر بحثنا في التعديل الذي طرأ على أحكام الوصية في لبنان ، وفي تأثير هذا التعديل في القواعد الشرعية العامة .

### مبادئ الوصية

الوصية ، بتعريف الفقهاء ، « تملك مضاف الى ما بعد الموت بطريق التبرع » ( الزبلي ج ٦ ص ١٨٢ ) .

- ويشترط لانعقادها وصحتها ونفاذها الشروط العامة المطلوبة لباقي العقود . وهي الرضى أي الايجاب والقبول ، والعاقدان أي الموصي والموصى له ، وأهليتهما ، والموضوع أي الموصى به . ولا تعرض ههنا لتفصيل هذه الأمور وضوابطها . وهي معروفة في كتب الفقه جميعاً .

ومن قواعد الوصية الأساسية انه لا وصية قبل وفاة الديون . فهذه القاعدة متبعة في جميع الشرائع والمذاهب ، وهي لا تزال متبعة في لبنان عند جميع الطوائف وأمام جميع المحاكم . فوصية المدين الذي استغرت ديونه جميع أمواله تعتبر موقوفة على اجازة الغرماء . فاذا أجازوها صحت ونفذت ، والا كانت باطلة . وتطبق هذه القاعدة بطريق القياس على تصرفات المريض بمرض الموت ومن ألحق به ، بحيث تعتبر تصرفات هذا المريض في تبرعه باطلة اذا كانت التركة مستغرقة بالدين ، وبحيث تقدم ديون الصحة على ديون المرض أي الديون الثابتة باقرار حاصل في مرض الموت ( المادة ١٦٠٢ من المحلّة ) .

- ومن قواعد الوصية ايضاً في المذهب الحنفي قواعد ثلاث وهي :
  - اولاً : ان الوصية عقد رضائي لا يستوجب لانعقاده شكلاً معيناً .
  - ثانياً : لا وصية لو ارث الا ان تجيزها الورثة .
  - ثالثاً : لا وصية لأجنبي بأكثر من الثلث الا باجازة الورثة .
- وهذه القواعد لا تزال تطبق على أهل السنة في لبنان ، ولكن بعضها تعدل في الطوائف الأخرى . ونحن نبين ههنا وجوه هذا التعديل .

### شكل الوصية

الوصية في الشرع الاسلامي من العقود الرضائية ، التي يكفي الرضى وحده لانعقادها ، من دون شكل خاص . فلذا ، تصح وصية المسلم ، سواء أكانت شفوية ام خطية . ويمكن اثباتها بالبينة عند انكار الورثة .

أما قانون الوصية اللبناني الصادر في السابع من آذار سنة ١٩٢٩ ، فقد جعل وصية غير المحمدين من العقود الشكلية ، التي يجب لانقضاءها اتباع الشكل المفروض قانوناً . فهذا القانون لا يطبق على الطوائف الاسلامية ، التي تبقى خاضعة لأحكام الشريعة الاسلامية ، وللتقاليد المختصة بكل طائفة منها والمعامل بها من قديم الزمن ( المادة السابعة ) .

وقد نص هذا القانون على ان الوصية الخطية المنظمة وفاقاً لأحكامه هي وحدها النافذة . فاذن تعتبر جميع شروط القانون الشكلية ضرورية ، بحيث اذا فقد أحدها اعتبرت الوصية باطلة . ولا يمكن اثباتها بالبينة الشخصية ، أي بشهادة الشهود ، حتى ولو وجد في القضية بدء بينة خطية . وعلى هذا سار واستمر اجتهاد القضاء اللبناني . ومنه احكام محكمة الاستئناف الأخيرة ( الغرفة الأولى رقم ٢٤٨ تاريخ ٢٥ آب سنة ١٩٤٢ ، والغرفة الثالثة رقم ٤٦ و ٦٥ تاريخ ٧ و ٢٢ شباط سنة ١٩٤٥ ) .

أما شروط تنظيم الوصية ، فتتعلق بالمأمور المختص ، وبالتسجيل ، وبحضور الموصي والشهود ، وبالتوقيع والتصديق . وفيما يلي توضيح وجيز لكل من هذه الشروط .

أولاً - المأمور المختص .

يصادق على الوصية في داخل الجمهورية اللبنانية كاتب العدل أو رئيس أية محكمة نظامية ، أو مطران الطائفة المنسوب اليها الموصي . ويستثنى من ذلك رجال الدين ، اذ ان وصيتهم لا يجوز المصادقة عليها الاً أمام الرئيس الروحي ( المادة الحادية عشرة من قانون ٢ نيسان سنة ١٩٥١ ) .

أما في خارج الجمهورية اللبنانية ، فان وصية اللبناني يُصدق عليها وفاقاً لأحكام قانون الوصية اللبناني ، أو للأصول المستعملة للتصديق على الصكوك الرسمية في البلاد التي تنظم فيها الوصية ( قانون ١٨ شباط سنة ١٩٤٦ ) .

ثانياً - تسجيل الوصية .

للموصي الذي يعرف القراءة والكتابة ان يطلب التصديق على وصيته من دون ان يُطلع أحداً عليها . وله تسجيل وصيته بحرفها . أما الأُمِّي ، فيجب تسجيل وصيته حرفياً .

ثالثاً - حضور الموصي والشهود .

من الموصي أن يكون حاضراً مع أربعة شهود من اللبنانيين الراشدين الذين لا منفعة لهم من الوصية .

رابعاً - الامضاء والتصديق .

تتلى الوصية المسجلة بحرفها على الموصي قبل توقيعها أمام الشهود . ثم يوقعها الموصي امام المأمور والشهود بوضع توقيعهم . واذا كان يجبل التوقيع ، فان الرسوم الاشتراعي رقم ٣١٥ الصادر في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٤٣ يقضي أن يضع طابع اصبعه ، وفقاً لأحكام قانون كتاب العدل . ثم يوقع الشهود ويصدق المأمور على الامضاء بعبارة مخصوصة وردت في قانون الوصية (المادة الخامسة) . أما اذا كانت الوصية مستورة ، فلا لزوم لتسجيل الوصية بحرفها ، بل تكتب عليها عبارة التصديق المخصوصة ، بعد أن يستنبت المأمور إلام الموصي بالقراءة والكتابة وبعد ان يقرر أمامه أن له تمام المعرفة بمحتوياتها .

### نصاب الوصية

نصاب الوصية هو المقدار الشرعي أو القانوني الذي يجوز الايضاء به . ولأجل تحديده بحسب المذهب الحنفي يجب التفريق بين حالات أربع وهي :  
وصية غير الملي ، وصية الملي الذي لا وارث له غير الموصي له ، وصية الملي لأحد الورثة ، وصية الملي للأجنبي .

أولاً - وصية غير الملية .

قلنا سابقاً ان المديون الذي استغرقت ديونه جميع أمواله لا تصح وصيته الا بابراء ذمته من قبل الغرماء أو باجازتهم الوصية . أما اذا كانت الديون لا تستغرق جميع أمواله ، فان الوصية تنفذ مما يبقى بعد وفاء الديون .

ثانياً - وصية الملية الذي لا وارث له غير الموصى له .

اذا كان الموصي ملياتاً ؛ أي لا تستغرق ديونه جميع أمواله ، ولم يكن له وارث أو كان الموصى له هو الوارث الوحيد ، فان وصيته تصح بماله كله أو بعضه لمن يشاء ومن دون حاجة لإجازة بيت المال .

ثالثاً - وصية الملية لأحد الورثة .

نطبق في هذه الحالة القاعدة الشرعية المبينة على الحديث الشريف : « لا وصية لوارث الا ان يُجيز الورثة »<sup>(١)</sup> . فالوصية تعتبر موقوفة على اجازة الورثة ، فاذا أجازوها صححت ونفذت ، والا بطلت واعتبرت كأنها لم تكن . ويشترط أن تصد الإجازة بعد وفاة الموصي في المذهب الحنفي . ولا عبء للإجازة الصادرة قبل ذلك . وبعثد بصفة الوارث وقت موت الموصي لا وقت الوصية . أما اذا أجاز الوصية بعض الورثة وردها الآخرون ، فانها تنفذ بقدر حصة المميزين فقط .

رابعاً - وصية الملية للأجنبي .

وبقصد بالأجنبي هنا غير الوارث . فهذه الوصية تصح وتنفذ فقط من ثلث التركة بعد وفاء الديون . وهذا هو نصاب الايضاء في الشريعة الاسلامية .

(١) روي هذا الحديث بألفاظ أخرى . مثاله : « ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » ، « لا تجوز وصية لوارث إلا أن يشاء الورثة » . الخ . انظر البخاري بشرح الميني ( ج ١٤ ص ٣٧ و ٣٨ ) ونيل الأوطار للشوكاني ( ج ٦ ص ٣٤ نقلاً عن الدارقطني وكتب الحديث الستة ) .

ولكن يجوز للورثة بعد وفاة الموصي أن يميزوا الوصية بما يزيد على هذا النصاب .  
فتنفذ الوصية عندئذ بكاملها أو بقدر حصة من أجازها من الورثة .  
هذه هي القواعد الشرعية في المذهب الحنفي . وهي لا تزال نافذة على المسلمين  
السنيين في لبنان . أما الطوائف الأخرى ، فإنها اتبعت أحكاماً تختلف عن  
هذه الأحكام بعض الاختلاف .

ففي المذهب الجعفري ( الشيعة الامامية ) ، تصح الوصية للوارث وللأجنبي  
ضمن نصاب الثلث . وتصح بالزيادة بإجازة الورثة . وبهذا أخذ قانون الوصية  
المصري الجديد الصادر في ٢٤ حزيران سنة ١٩٤٦ ( في المادة ٣٧ ) ، وذلك  
استناداً الى الآية الكريمة « الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » ( سورة  
البقرة ، ١٨٠ ) . وتصح الإجازة في المذهب الجعفري بعد موت الموصي أو قبله  
( العروة الوثقى ج ٢ ص ٤٠٨ ) .

أما في المذهب الدرزي ، فيجوز الوصية من دون قيد ولا شرط ، وذلك  
وفقاً لقانون الأحوال الشخصية للطائفة الدرزية الصادر ٢٤ شباط سنة ١٩٤٨  
( المادة ١٤٨ ) .

أما عند الطوائف غير المحمدية ، فيطبق قانون الوصية اللبناني الصادر في  
٧ آذار سنة ١٩٣٩ . وهو ينص على جواز الوصية لوارث أو لغير وارث ،  
بشرط أن لا تزيد قيمتها على الحصة المحفوظة لبعض الورثة .

فهذا القانون نص على أنه : « لكل لبناني راشد أن يوصي بجميع موجوداته  
من منقول وغير منقول لمن يشاء ، وراثياً كان أو غير وارث ، إلا إذا توفي  
عن أب أو أم أو زوج أو زوجة أو أولاد ، ذكوراً كانوا أم إناثاً . فان  
لهؤلاء المذكورين ، ولكل منهم منفرداً ، حقاً ارثياً لا يمكن الموصي أن يحرمهم  
إياه ، وهم أحياء بعد موته » ( المادة الأولى ) .

وقد فرق هذا القانون في نصاب الايضاء بين أربعة أحوال وهي :

أولاً - عدم وجود أولاد ولا احد الزوجين او احد الوالدين . فعندئذ يحق للموصي ان يتصرف في وصيته من دون قيد ولا شرط ولمصلحة أي شخص كان .

ثانياً - عدم وجود أولاد مع وجود احد الزوجين او الوالدين . فعندئذ يخصص من تركة الموصي قبل تنفيذ الوصية ، عشرون في المائة لأحد الزوجين ، وخمسة عشر في المائة لكل من الوالدين الحيين بعد موته .

ثالثاً - وجود أولاد مع عدم وجود احد الزوجين او الوالدين . فعندئذ يخصص من تركة الموصي قبل تنفيذ الوصية خمسون في المائة ، توزع على الأولاد بالنسوي بين الذكور والإناث ، أو تعطى بكاملها لمن كان حياً منهم عند موت الموصي .

رابعاً - وجود اولاد مع احد الزوجين او الوالدين . فتكون الحصة المحفوظة في هذه الحالة عشرة بالمائة ، لأحد الزوجين ، وخمسة بالمائة لكل من الوالدين ، وثلاثين بالمائة للأولاد توزع بينهم كما في الحالة السابقة .

### الخلاصة

هذا مثل من مسائل الأحوال الشخصية في لبنان . وهو يدل على اختلاف الطوائف في هذه المسائل ، وعلى صعوبة الفوص في تفاصيلها . وليس هذا بالمثل الوحيد . فمسائل الزواج والطلاق والفرقة أشد تشعباً واختلافاً .

ولكن على الرغم من ذلك ، فإن هذا الاختلاف لم يؤثر في وحدة صفوف اللبنانيين ، ولا في تعاونهم وتضامنهم . ونحن نرى ان توحيد التشريع ممكن في كثير من مسائل الأحوال الشخصية ، لا سيما وأن الشريعة الاسلامية ليست مذهباً واحداً ، وان الاجتهاد فيها واجب لامراء فيه ، وان القاعدة الكلية في هذه الشريعة وفي غيرها من الشرائع الراقية هي انه : « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » .

صبي محصاني

# ذكري ابي الشناء

## شهاب الدين محمود الألوسي

### حياته الخاصة

في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٧٠ هـ = ٢٧ آب سنة ١٩٥١ م مضى مائة حول على وفاة عالم العراق وأديبه ومؤرخه . ولد في منتصف شعبان سنة ١٢١٧ هـ وتوفي ولم يتجاوز الخمسين سنة الا قليلاً . ظهر في عهد المماليك في العراق وكانت حكومتهم بدأت سنة ١١٦٣ هـ وانقرضت سنة ١٢٤٧ وعاش الى ما بعد انقراضها فأدرك حكم الدولة العثمانية المباشر ورأى جملة من الولاة .

أدرك الألوسي قسماً كبيراً من ايام المماليك الذين عملوا على بث العلم والآداب ليثبتوا حكمهم باكتساب رضا الأهلين فأسسوا المدارس والمعاهد الخيرية . وقد ظهر في أيامهم علماء أكابر وبيوت انصرفت الى العلم واشتهرت به كآل السويدي ومنهم : الشيخ عبد الله السويدي الذي كان قبل المماليك بمدة وأدرك عهدهم ثم توالى بعده أولاده ، وصيغة الله الحيدري ، والسيد عبد الله الألوسي (والد الأستاذ المترجم) الذي ولي التدريس في مدرسة الامام الأعظم اربعين سنة ، كما ظهر غير هؤلاء جماعة من العلماء ، منهم من هو من اساتذة الألوسي ذكروهم في مختلف مؤلفاته ، ومنهم من لم يتعرض لذكره كعلماء من الأكراد وغيرهم .

ويرجع الفضل في ثقافة العصر الى المدارس التي قامت في ايام المماليك وانتقلت من عهد العباسيين فمن بعدهم . ومن اشهر هذه المدارس الجديدة

المدرسة العلية والمدرسة السليمانية والمدرسة الأحمدية فضلاً عن انه كان لكل جامع مدرسة خاصة . وتعد هذه المدارس بالعشرات تفردت بغداد عاصمة العراق بها . واكثر المدارس شأنًا ما أنشأه داود باشا او عمره من المدارس القديمة . أخذ الأستاذ الألوامي العلم من هذه المدارس كما أخذ من ابيه وجماعة غيره . آخرهم الشيخ علي علاء الدين الموصلبي بن صلاح الدين يوسف بن رمضان من أسرة معروفة بآل الرمضاني أقامت في بغداد مدة ولا تزال بقاياها حتى اليوم . وابنه الشيخ اسماعيل كان معروفًا بالعلم وهو استاذ اولاد الألوامي واحفاده . ويتميز الأستاذ علي علاء الدين علي غيره بالأدب ، هذه الصناعة التي تغلبت في العادة على علماء العرب .

عرضنا لذكر العلماء عندنا في (التاريخ العلمي) ومن رجع الى ثبت اسمائهم ايام داود باشا هاله العدد . ويعجب كل العجب من سمع عثمان بن سند يتحدث عن العلماء الذين تلقوا (مذهب السلف) من محمد بك الشاوي المتوفى قبل الألوامي . ولا تهمننا الأعداد ولا المفاخرة والمبالغة في اثرها ، وانما نقول انه جاء علماء اكابر في عهد المالك تولوا الثقافة وكانوا يعنون في مدارسهم بتخريج من يرغبون في العلم .

واشتهر قبل الألوامي ادباء كثيرون وشعراء منهم الشيخ حسين العشاري جد الأستاذ لأمه . وآل السويدي وغاليمهم من اهل الأدب ، والسيد عبد الله الفخري اديب في العربية والتركية ، وابنه سعد كذلك وآخرون ممن ذكرناهم في التاريخ الأدبي . وكان اكثرهم متأثرًا بالتراث الخالد الذي انتقل من مختلفات العصور الماضية .

ولا عجب أن يظهر استاذنا في هذا الوسط . ويخطئ من يظن ان هذا العهد (عهد ظلمة) ، وانما اهملت بعده العناية بالأدب لذا كان البغداديون يترحمون

على داود باشا وبألمون لضياح قدر العلم ، ويجزونون لذكرى تلك الايام . ومن اجازات العلماء تجلت لنا الرغبة الاكيدة في الحرص على العلم ونشره .  
 ظهر الأستاذ الأومسي في هذا العصر من عصور الثقافة ، وليس من السهل الظهور فيه ، فتراه سما الى أوج لم يستطع العروج اليه كل طالب ، وهنا تبين القدرة . لم تكن الثقافة مشوشة فنظمتها ، أو دراسة فرغب فيها . وكان سموه سمو حكيم : أخذ العلم في وقت مبكر جداً من أيام حياته ، وكان على مواهب طبيعية نادرة . ويحكى عنه انه قال : « ما أستودعت ذهني شيئاً فخافني » .  
 وبهذه الموهبة كتب له الظهور في العلم ، وفي آثاره ما بني بسمه ثقافته وأدبه الجم .  
 ومن أشهر هذه الآثار :

- ١ - روح المعاني في التفسير .
- ٢ - الأجوبة العراقية عن الأسئلة الايرانية .
- ٣ - الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية .
- ٤ - السبع المثاني .
- ٥ - نشوة الشحول في السفر الى اسلامبول .
- ٦ - نشوة المدام في العودة الى مدينة السلام .
- ٧ - غرائب الاغتراب .
- ٨ - مقامات الأومسي .
- ٩ - الفيض الوارد في أحوال المولى خالد .
- ١٠ - كشف الطرة عن الغرة .
- ١١ - حاشية على شرح القطر .
- ١٢ - شرح سلم المنطق .
- ١٣ - بلوغ المرام : حاشية على عصام الاسنعمارة . مخطوطة عندي بخطه .

- ١٤ - الرسالة اللاهوتية .
- ١٥ - البرهان في اطاعة السطان .
- ١٦ - شهى النغم . عندي بخطه .
- ١٧ - النغات القدسية .
- ١٨ - سجع القمرية في ربع العمرية .
- ١٩ - سفرة الزاد لسفرة الجهاد .

وهذه الكتب منها ما كتبه أيام طلبه العلم ومنها ما كتبه بعد أن ولي التدريس على عهد المالك ومنها ما كتبه بعد سقوط بغداد أو بعد سفره الى اسلامبول . أجازته الأستاذ الشيخ علي علاء الدين الموصلى في غرة ذي الحجة سنة ١٢٤١ هـ وتخرج من مدرسة عاتكة خاتون الكيلانية بالأستاذ الموصلى وجرى له احتفال عظيم بدعوة من الواقعة صاحبة المدرسة ثم عارضه العلماء معارضة قوية فتدخل في الأمر عبد الغنى آل جميل من مشاهير علماء بغداد وراجع الوالى وناصره الكتبخدا . وفي غضون ذلك أنشأ له نعمان چلبى الباجهجي مدرسة وسّده اليه التدريس فيها سنة ١٢٤٢ هـ . ودام ذلك حتى انتزعت بغداد سنة ١٢٤٧ هـ من المالك وولى الوزير علي رضا باشا اللاز .

وكان أهم أدوار حياته بعد سقوط بغداد سنة ١٢٤٧ هـ ، وقد ولي الافتاء السيد محمد سعيد الطبقجلى وهو أول مفت في بغداد بعد المالك وكان الوزير بكتاشي الطريقة ، فلم يرض عن هذا المفت ، وكان الأستاذ عبد الغنى الجميل في الشام فاستدعاه لتولي الافتاء ، فصار ثاني مفت ، والأستاذ المترجم له أمين فتواه . ثم نكس هذا المفت في فتنة علي رضا باشا اللاز وأحرقت كتبه وكانت خزائنه أجل خزانة كتب ببغداد أضعافها العراق .

وفي سنة ١٢٤٩ هـ ولي الأستاذ الأوسى الافتاء ، وفي هذا المنصب ظهرت

مواهبه واتصل بالأدباء والعلماء على طبقاتهم . اتصل بالشيعة وبالكشفية وبالبايية فكتب فيهم ما كتب ، وكان أصدق من كتب . وأمسى بيته نادي علم وأدب . وهذا ما لفت أنظار الحساد فتوصلوا الى الوقيعة به حتى عزل من الافتاء في ٢٧ شوال سنة ١٢٦٣ هـ فصار الى عوز وضيق ورحل الى اسلامبول في غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٦٧ هـ وعاد الى بغداد في ٥ من شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٩ هـ فكتب رحلاته الثلاث ( نشوة الشمول ) ، و ( نشوة المدام ) ، و ( غرائب الاغتراب ) وكتب ( شهى النعم ) وقدمه الى شيخ الاسلام عارف حكمة الا انه لم ينل مطلباً في اسلامبول ، وعاد عليلًا ولازمه المرض حتى توفي في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـ .

### حياته التاريخية

لعل حياة الأتومي في الطلب والتدريس والعلم لا شأن لها كشأنها في التاريخ وطريقة تدوينه . ومن الصعب ان ندرك الحالة التاريخية عندنا ان لم نتعرض للأستاذ المترجم له . فقد كان الاشتغال بالتاريخ فردياً يقوم على اعتبار شخصي عاطفي لا يتجرى الحقيقة المجردة العلمية ، لذلك انعدمت الفائدة منه لأن المؤرخ المحقق يجب ان يكون حيادياً لا ينساق مع التيارات المتنازعة ، يتحلى بالروح العلمية الصحيحة . وقد تحرر الأستاذ الأتومي من هذه النزعات فجاء نهجه التاريخي واضحاً علمياً كما يظهر من مجلداته العديدة .

نشط للتاريخ وكتب فيه لجمعه خالصاً مما وقع فيه من قبله ، ثم انتقلت فكرته هذه الى اولاده وأحفاده حتى استمر تدوين التاريخ في سلوك هذا النهج القويم رغمًا عن أولئك الذين يتعرضون له بجهل أو غايه شخصية . ومن هنا ندرك ان الاشتغال بهذا العلم قد تكامل في أيام ابي الثناء وهو أول مؤرخ في عهده بدأ عمله العلمي بنفسه ، ثم درّب تلامذته فاختلفوا طريقته واتبعوا نصحه وارشاده . وقد كان عصره عصر اضطراب وخلل أعقب انقراض

المالِك فشهد فيه الأُلومي هذا الاضطراب وشهد معه اثر الطاعون وسوء الادارة .  
 هذه العوامل المتكاثفة أهدت الشقة بين الأهلين والحكم الجديد ، ولولا ابي النشاء  
 وآثاره ، والعصبة الأدبية التي التفّت حوله من تلامذته وغيرهم لندر وجود  
 المؤرخين المعاصرين .

ولئن نشأ في أيام الأُلومي بعد عهد المالِك مؤرخون في التاريخ السيامي  
 والتاريخ الأدبي والعلمي الا ان من بين هؤلاء نقرأ استخدمتهم السلطة الحاكمة  
 ووافقوا آراءها ودونوا لها ما أرادت وقد انتشرت نواحيخ ايرانية وتركية بلغاتها  
 فوقنا عليها وطلعننا ما فيها ، كما ان من بين هؤلاء المؤرخين أيضاً نقرأ كانت  
 رغبتهم في التاريخ خالصة وقد تركوا لنا ما يصور هذه التطورات والحوادث .  
 كل هذه الاتجاهات هي التي ألهمت الأستاذ الأُلومي وتلامذته الى الاتجاه  
 التاريخي الصادق فذكروا ما وقع من حوادث أدبية وأثبتوا لنا ما نطق به الأدباء  
 وبيّنوا الصلات الأدبية آنذاك ، حتى احتلوا مكانة سامية في التدوين ومضوا  
 في تأسيس هذا الاتجاه الجديد لا يلتفتون الى ما انقضى وان كانوا يضررون  
 لتاريخهم القديم وما ورثوه من مدونات وكتب ومجاميع احتراماً واجلالاً .

لقد كان قبلهم من المؤرخين ( الغراي ) و ( السويديون ) و ( ابن سئند )  
 وأدباء آخرون نشطوا للعمل فألهمت مؤلفاتهم من وليهم نهجاً جديداً وولدت  
 آراء في التدوين ، وقد أعمالوا فكرهم فحسوا الأوضاع ولم يقفوا عند المصادر  
 او النقل المجرد . واذا كانت رحلة السويدي ألهمت رحلات الأُلومي في بيان  
 العلاقات العلمية والتدوينات الأخرى و ( تاريخ الغراي ) ولد ( كشن خلفا )  
 و ( دوحه الزراء ) ، وابن سئند . فان حديقة الزوراء وسائر المجاميع الأدبية  
 الأخرى ألهمت ( حديقة الورود ) وذبولها ، و ( الروض الجميل ) ، و ( عنوان  
 المجد ) ، و ( المجد التالذ ) . الى آخر هذه التأثيرات التي يطول ذكرها .

وخلاصة القول أنه تولدت في عصر الأتومي حركة تاريخية امتدت واطردت بعده ، وسارت في اتجاهاتها الحرة ، وتكونت كتلة أدبية من علماء الأدب نخافت الدولة منها وفرقت الجماعة فمزلت الأتومي عن الاقواء فلم يعد يستطيع أن يستعيد موقفه ولم يفده سفره الى استانبول ولا التعاقب بسبب من شيخ الاسلام عارف حكمة ولا غيره من رجال الدولة فانصرف على سنته في حرية التدوين . أما المعاهد والمدارس فقد كانت مصانع تاريخية يلقن اساتذتها العلوم ويوجهون ويدربون ، يستفيدون مما خلفه لهم من سبقهم من كتب . وقد كانت مؤلفات الأتومي ظاهرة من ظواهر عمله يظهر فيها الطريقة الصحيحة لتدوين التاريخ كما كان هو على اتصال دائم بالأدباء والعلماء المعاصرين دع من سلكوا سبيله في هذا المضمار من تلامذته ، فنجبهم الى الثقافة التاريخية والأدبية ونجح في مهمته من طريق غير مباشر ، من طريق المدارس والاتصال بالعلماء لا من طريق ( المعارف ) .

ولنا أن نقول ان عصر الأتومي يقابله عند الترك العثمانيين ( عصر التنظيمات ) ، هذه التنظيمات التي عدت مبدأ للعصر الجديد يفصله عن الماضي القديم . وعلى هذا المقياس يبدأ ( عهدنا الحديث ) بسنة ١٢٤٧ هـ أي بعد انقراض المماليك ويصح ان يسمى ( بعصر الأتومي ) ولم ينقطع بوفاته بل امتد مائة سنة بعد وفاته وهذا هو العهد الذي أردنا ان نعيد الى النفوس ذكره . والعراق في عهد الأتومي وما بعده لم يكنف بثقافته الخاصة بل اقتبس من الترك ما كتبه عن الحوادث السياسية التي تتعلق بالعراق وسياسة الأتراك ، كما أن بعض العرب ألفوا لخواءنا مؤلفاتهم مضطربة غير منسقة ولا مرتبة ولا توضح من حالتهم آنذاك الا النذر القليل . ومن الآثار الجليلة المفيدة التي تمس بحوادث العراق مادونه المؤرخ التركي العراقي الأستاذ سليمان فاتق ابن الحلج طالب كعبة ، وفي مؤلفاته مناقشات تاريخية مهمة تستوقف النظر ،

اذ كان متصلاً بالألوسي فذكره في رحلاته . وقد استفاد العراق أيضاً مما وصل اليه من تأليف الايرانيين والهنود وما كتبوه في التاريخ ، والعراق حينئذ كان على مفترق الطرق يطلع على ذلك كله ولا تخفى عليه خافية إلا أنه كان يعوزه التنظيم والتنسيق . ويحسن بنا هنا أن نشير أيضاً الى أثر الصحافة في استنبول وفي الأقطار العربية فقد كانت عامل فائدة في بابها .

فالألوسي اذن بتوجيه الظاهر في كتبه وسيرة تلامذته الى جنب ظهور الوسائل الأخرى للثقافة التاريخية كان العامل الأكبر في بث الفكرة التاريخية وخلصها من الأغراض الشخصية . ولا ينكر ان هناك مؤرخين عديدين ظهوروا في العراق ولم تكن لهم علاقة بالألوسي أو طلابه وانما كان مهم ان يبينوا ما أغفله الأستاذ أو يعارضوه .

ومن المؤلفات في التاريخ الأدبي :

١ - حديقة الورود في حياة الشهاب محمود . لا تزال مخطوطة . كتبها أحد الأدباء من تلامذة الأستاذ وهو عبد الفتاح الشواف . واختصرها أخوه عبد السلام الشواف وكان من العلماء الأفاضل . وعندي مخطوطة منها .

٢ - ذيلها للمؤلف . وتوفي قبل الأستاذ الألوسي .

٣ - تكلمتها . للأستاذ نعمان خير الدين الألوسي ابن المرحوم الأستاذ أبي التناء . مضى بها الى تاريخ وفاة أبي التناء .

وهذه كلها في حياة الأستاذ وعلاقاته بالعلماء والأدباء . واتجاهها أدبي تاريخي . وتعد من أجل الصفحات في تاريخ عصر الألوسي .

٤ - مؤلفات الأستاذ . وقد مرَّ بيانها . وتحتاج الى تحليل علمي .

٥ - الروض الجميل في آل جميل . كتب على غرار الهديقة الا انه يحوي

ما قيل في هذه الأمرة من مدح . كتبه السيد عبد الله الألومي

ابن المترجم .

٦ - ديوان عبد الباقي العمري .

٧ - ديوان الأخرس .

٨ - مجموعة الأخرس في شعر عبد الغني جميل .

٩ - المجد الثالث في الشيخ خالد للسيد ابراهيم فصيح الحيدري .

١٠ - عنوان المجد في تاريخ بغداد والبصرة ونجد .

وهي مؤلفات تعد من أجل الصفحات في تاريخ عصر الألومي تبحث في حياة الأستاذ وعلاقاته بالعلماء والأدباء والتجاهها أدبي تاريخي . وكل هذه كتبت في عصر الألومي أو بعده بقليل . ثم جاءت كتب الأستاذ السيد محمود شكري والسيد نعمان خير الدين الألومي ، والتاريخ الأدبي ( الدر المنتثر ) للأستاذ علي علاء الدين الألومي .

وفي هذه التآليف يظهر أثر الأستاذ المترجم ، ثم كثرت المؤلفات وأتى عهد الدستور وبرزت علاقات عالية لا تخلو من تأثير كبير في ثقافة العصر حتى مفى على وفاة أستاذنا مائة سنة . ولا بد ان يريد دراسة مؤلفاته القيمة من وقت طویل ليوفيهما حقها من التاريخ الأدبي والتاريخ العلمي لأنه كان وحده مدرسة أدب وتاريخ .

عباس الغزالي

## طلّاع الثنائية في القديم

ان سكت غيري فأنا غير ساكت ، نصراً للغة العربية ، ونشداً للضالة العلمية . واذ كنت وما أزال مجاهراً بأني على أتم الاستعداد لمبادلة الأفكار في شأن النظريات اللغوية قديمها وحديثها ، فلم أتمالك من المبادرة الى الجواب على كلمة الأستاذ الشيخ المغربي<sup>(١)</sup> . وبما انه هو وغيره من المحافظين بنادون بالاستناد الى مذاهب الأقدمين ، فما أنا ذا ناقل طوائف من أقوال هؤلاء الأئمة ، قصد تمحيصها . وكنت في العام الماضي قد أتمت ستة أشهر في القاهرة تمكنت في غضونهما من الوقوف ، في دار الكتب المصرية ، حيث كنت أشتغل يومياً ، على قديم الأسفار اللغوية ، التي لم تزل جملة منها مخطوطة . وقد وقعت في غير واحد من هذه الأمهات على نصوص مهمة ثمينة ، تتم على ميل هؤلاء الأقدمين الى افتراض الثنائية قبل الثلاثية .

جاء في معجم « التهنيد » للأزهري نقلاً عن الخليل بن احمد ، قال  
( في الصفحات الأول من مخطوطة دار الكتب المصرية ) : « كلام العرب مبني على أربعة أصناف : على الثنائي ، والثلاثي ، والرابعي ، والخامسي . فأما الثنائي فما كان على حرفين . نحو : قدّم ، بلّم ، لمّم ، هلّم ، ومثلها من الأدوات . والثلاثي ، نحو قولك : ضربّم ، خرجّم ، مبني على ثلاثة أحرف . والرابعي ، نحو قولك : دحرجّم ، هملجّم ، قرطسّم . مبني على أربعة أحرف . والخامسي ، نحو قولك : اسخنلكّم ، اقشعرّم ، اسخنفرّم ، مبني على خمسة احرف . »

(١) تراجع هذه المجلة . مجلد ٢٧ ، جزء ١ ، ص ١٢٢ ي .

ثم قال : « فاذا صيرت الثنائي مثل « قَدَد ، وهَلَل ، وَلَوَّ » اسماء ، أدخلت عليها التشديد ، فقلت : هذه « لَوَّ » مكتوبة . هذه « قَدَد » حسنة الكتابة . وأنشد :

ليت شعري وأين مني ليت ان « لَبَيْتًا » وان « لَوَّا » عناء  
فشدَّ « لَوَّا » حين جملة اسمًا <sup>(١)</sup> .

ثم قال : « وأما الحكاية المضاعفة فانها بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما أشبهها . فيتوهمون في حسن الحركة ما يتوهمون في جرس الصوت . يضاعفون لتسمر الحكاية على وجه التصريف .

والمضاعف من البناء في الحكايات وغيرها ما كان حرفا معجزه مثل حرفي صدره . وذلك بناء تستحسنه العرب وتستلذه . . . « وينسب الى الثنائي ، لأنه يضاعفه » . ألا ترى ان الحاكِي يحكي صلصلة اللجام ، فيقول : صلصل اللجام . فيقال : « صلَّ » يخفف . فان شاء اكتفى بها مرة . وان شاء أعادها مرتين ، أو أكثر من ذلك . قال « صلَّ ، صلَّ ، صلَّ » فيتكلف من ذلك ما يبداه له . ثم قال : « والعرب نشق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء « الثنائي المتقل » بجر في التضعيف . ألا ترى أنهم قالوا « صلَّ اللجام » . فان حكيت ذلك قلت « صلَّ » تمدَّ اللام وثقلها . وقد خففتها في الصلصلة . وهما جميعاً صوت اللجام . فالثقل « مدَّ » ، والتضعيف ترجيع وتخفيف سيفي إعادة . لأنه على حرفين ، فلا ينقاد للتصريف حتى يضاعف أو ينقل . نحو قولك « صرَّ الجندب صريراً ، أو صرصر الأخطب صرصرة » . كأنهم توهموا في صوت الجندب مداً ؛ وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعاً . وجاء في

(١) وكذا اذا جعلت « أو ، وم ، ومع » اسماءً ، قلت : « الأوَّ والبمَّ ، والممَّ » . وقال بعض العرب : « لا تقول له : « أفأ وأفأ » يحمله كالإسم .

المزهر نقلاً عن مختصر كتاب العين لازبيدي : « وعدة الثنائي الخفيف ،  
والضربين من المضاعف ، على نحو ما ألقناه في الكتاب ( التاج ٧/١ ) .  
أما ابن فارس ، صاحب معجم مقاييس اللغة <sup>(١)</sup> ، فيقسم الأصول الى ثلاثة  
أقسام : الأول : الثنائي ، في المضاعف ، والمطابق ، أي الثنائي المكرر .  
الثاني : الثلاثي . الثالث : الذي جاء على أكثر من ثلاثة أحرف ، أي الرباعي  
والخماسي . وهذا الصنف الأخير لا يعتبره المؤلف أصلياً مجرداً . فينوعه ثلاثة  
أنواع . الأول : ثلاثي مزيد فيه حرف . فيكون من قبيل الملحق بالرباعي .  
نحو : صلفع رأسه . والفاء فيه زائدة . وهو من الصلح . ( مقاييس ٣/٣٥٠ )  
الثاني : رباعي منحوت من ثلاثين . نحو : صلّقم . وهو الشديد العض .  
وهي منحوتة من كلمتين . من صلّق ولقم . ( مقاييس ٣/٣٥٠ ) الثالث : ما وضع وضعاً ،  
وليس قياسه ظاهراً ، ولا يرد الى ثلاثي . مثلاً : السلقع : المكان الحزن .  
والسلفع : المرأة الصخابة . ( مقاييس ٣/١٦٠ ) .

أما في شأن الذي يسميه ، تارة « ثنائياً » وتارة « مضاعفاً » <sup>(٢)</sup> فضلاً  
عن التسمية ، تراه يذكر ، في رأس المادة ، الرّسّ الثنائي ، أي حرفين فقط ،  
كما أنه عند بسطه اشتقاقها ، لا يسمي سوى حرفين ليس الا . دونك مثلاً  
هذا الوارد مجذافيره : « زع » - الزاء والعين أصل يدل على اهتزاز وحركة -  
« رف » - الزاء والفاء أصل يدل على خفة في كل شيء » ( مقاييس ٤/٣ - ٥ ) .

(١) معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . نشر منه بالطبع حتى  
اليوم خمسة أجزاء ، وقریباً يلحقها السادس والأخير الحاوي مختلف الفهارس .  
بتحقيق عبد السلام محمد هارون : الأستاذ المساعد بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول .  
القاهرة ١٣٧٠ هـ .

(٢) يراجع مقاييس اللغة ٣٧٢/٢ باب الراء وما معها في « الثنائي » وللمطابق ٣٤٣/٢  
باب الذال وما معها في « الثنائي » وللمطابق ١٢١/٥ . باب الكاف وما بعدها في  
« الثنائي » وللمطابق ٣/٣ . باب ما جاء من كلام العرب أوله زاء في للمضاعف  
وللمطابق ١٦٥/٣ في المضاعف والمطابق .

فأذا في شأن «زَع» أو زَع - عَ و «رَف» أو «رَف - ف» (وكذا القول في «لَب» أو «لَب - ب» الوارد في كلمة الشيخ المغربي) ، يجدر بنا القول ان «الرَس» هو الثنائي الخفيف ، أي «زَع» ، و«رَف» ، و«لَب» .  
وأما تضعيفه أو تشديده ، فهو توسع في هذا الثنائي الخفيف ، أي نقله من «الرَس» أو الأُس» ( La base ) الى الأصل ( La racinne ) حسب المصطلح اللغوي الحديث .

وقد جاء قولنا هذا طبقاً لما ورد أعلاه في المنقول في «تهذيب الأزهرى» عن الخليل ، وهو أن الثنائي الخفيف «صَل» ، يُمدّ أو يُنقل ، فيصبح «صَل» ، أي ثنائياً مضاعفاً ، أو يكرر ، فيضحى «صَل - صَل» أو «صلصل» . وهو «الثنائي المكرر أو المطابق» حسب تعبير ابن فارس .

ولهذا التشديد أو التضعيف نظير في السريانية . فان الأسماء الثنائية لها صيغتان ، الأولى تقابل «الثنائي الخفيف» في العربية . والثانية تماثل «الثنائي المضاعف» فالأولى مبنية من متحرك فساكن . والثانية بحرك فيها الساكن فيشدد ثم تتبعه الف الاطلاق . فيقال : أبٌ أو أباً - أحٌ أو أحاً - إمٌ أو إمّاً - رَبٌ أو رَبّاً - كَفٌ أو كَفّاً . أما الأفعال المدعوة مضاعفة فكلها «ثنائية خفيفة» ، او «ثنائية مكررة» مثلاً : «بَل» ، بلبَل - دَل» ، دلَدَل - زَل» ، زلزل - زَم» ، زمزم - حَر» ، حر حر - حَم» ، حمم - بَق» ، بقبق - صَر» ، صرصر - صل» ، صلصل . وكذا الشأن في العبرية . فان ماضي المضاعف «ثنائي» نحو «طَل» : ندى . «سَب» : أحاط . «رَب» : زاد . والأسماء أيضاً ثنائية . مثلاً «كَن» : قاعدة . «رَب» : زائد ، كثير . «كَس» : عرش . «كَف» : راحة . وفيها أيضاً الثنائي المكرر ، أو المطابق . نحو «شَلشَل» : طهر . «مَلَمَل» : تتم . «عَرَعَر» : غرغر .

فأذاً يوجد في اللغة «ثنائي خفيف» أي كلمة ذات حرفين محرك فساكن .  
 مثلاً : «بَهْ ، صَهْ ، مَهْ ، بَخْ ، غَسْ ، ضَعْ ، كَهْ» . ومن هذه  
 الثنائيات الخفيفة ، يشتق «ثنائيات مضاعفة» بصيغة فعلية ، مثل «صَهْ ، مَهْ ،  
 بَخْ ، غَسْ ، ضَعْ ، كَهْ ، مَدَّ ، لَبَّ» . أو ثنائيات مكررة  
 أو مطابقة نحو : «بَهْبَهْ ، صَهْصَهْ ، بَخْبَخْ ، مَهْمَهْ ، قَلَقَلْ ، عَدَّعَدَّ ،  
 مَسَلَّ ، بَسَلَّ» .

وما نقوله في المضاعف يمكن قوله في الأجوف ، والناقص والمثال . فانها  
 كلها توسع في الثنائي . اذ ان «قام» اصله «قَم» توسع باطالة حركة حرفه  
 الأول . وعلامة ذلك في الكتابة الألف . و «رمي» اصله «رَم» توسع  
 بحريك حرفه الثاني بفتحة مشبعة علامتها في الكتابة الألف المقصورة . وبعد  
 التوسع بإشباع الحركة ، جرى النشوء والتطور باقحام حرف . كما في «عور»  
 و«عورص» ، وحول « وازيادة حرف ايضاً في الآخر ، كما في «رقي وعمي» .  
 وهذا التذييل بحرف اصبح قاعدة مطردة في الحبشية .

هكذا وفي آراء الأقدمين من الأئمة بعض التأييد لما قرناه . قال ابن جني  
 في «خصائصه» (مخطوطة دار الكتب المصرية ، ص ٦٢) : « في مراتب  
 الأشياء ، وتزويلها تقديراً أو حكماً ، لازماناً ووقتاً . وذلك كقولنا : الأصل  
 في «قام قَوْم» ، وفي باع بيع ، وفي شد شدد » فهذا يوم ان هذه الألفاظ  
 قد كانت على ما ندعيه ، ثم غيَّرت . وليس الأمر كذلك . وانما نعي انه  
 لو جاء محيي الصحيح ولم يعلل ، لكان على ما ذكرناه . واما ان يكون قد  
 استعمل وقتاً من الزمان كذلك ، ثم عدل عنه فيما بعد الى هذا اللفظ ، فلا . . .  
 ومما يدل على ان ما ندعيه أصلاً مفروض ، وانا لا نعتقد انه كان مستعملاً ،  
 ثم صار مهملًا ، ما توجه «الصنعة» ( أي تنظيم المصرفين وأفتراساتهم ) فيه  
 من تقدير ما لم يمكن النطق به لتعذرهم . نحو قولنا في شرح الممدود غير المهوز .

نحو : « سماءَ وفضاءَ » ، ان اصله « سماء وفضاي » . فلما وقعت الواو والياء طرفين بعد الف زائدة ، قلبتا الفين . فلما التقى الفان حركت الثانية فانقلبت همزة . فصار الى « سماءَ وفضاءَ » . فالتقاء الألفين لا يمكن النطق به إلا . يعترض المحافظون قائلين : ان الأصول لا تكون الا اسما وافعالاً ثلاثية . فالجواب هو ان الأسماء والأفعال اصول في مجال التصريف . بيد ان هذه الأصول يسبقها قبل طور التصريف « رساس او إحاس ثنائية » . وهي كلمات ذوات معان ، منها اسما الأفعال ، وحروف المباني ، وحكايات الأصوات ، والفاظ الزجر والدعاء وغير ذلك . فمن هذه الرساس يصاغ افعال واسماء . وهذه الكلمات او الحروف الثنائية منتظمة ، كالأفعال والأسماء المتصرفة ، في عداد اقسام الكلام . ولا فرق بينها وبين تلك من جهة التقدم بالزمان . دونك ماورد في الخصاص ايضاً ( ص ١٠٦ ي من المخطوطة المصرية ) قال ابن جني : « اعلم ان ابا علي كان يذهب الى ان هذه اللغة ، ما سبق منها ثم لحق به ما بعده ، انما وقع كل صدر منها في زمان . وان كان تقدم منها شيء على صاحبه ، فليس من الواجب ان يكون المتقدم على الفعل الاسم . ولا ان يكون المتقدم على الحرف الفعل . وان كانت رتبة الاسم مقدمة في النفس . ومن جهة القوة والضعف ان يكون الاسم والفعل قبل الحرف . وانما يعني القوم بقولهم : ان الاسم سبق من الفعل انه أقوى في النفس واسبق في الاعتقاد من الفعل ، لافي الزمان . وانما في الزمان ، فيجوز ان يكونوا قدموا ، عند التواضع ، الاسم قبل الفعل . ويجوز ان يكونوا قدموا الفعل ، وكذلك الحرف ، وذلك انهم وزنوا حينئذ احوالهم وعرفوا مصاير أمورهم ، فعلموا أنهم محتاجون الى العبارات عن المعاني ، وانها لا بد لها من الأسماء والأفعال والحروف . فلا عليهم بأبيها بدأوا . لأنهم أوجبوا على أنفسهم ان يأتوا بها مجتمع .

اذ المعاني لا تستغني عن واحد منهن . هذا مذهب ابي علي ، وبه كان يفتي . «  
الى ان قال : «ويتبع من تقدم الأسماء في الزمان - وان كانت أسبق رتبة  
في الاعتقاد - أشياء ، منها : وجودك اسماء مشتقة من الأفعال . نحو : قائم  
من قام . ومنطلق من انطلق . ألا تراه يصح لصحته ويعتل لاعتلاله . نحو :  
ضرب ، فهو ضارب ، ونام فهو نائم . « ورتبة المشتق من الشيء أن يكون بعد » .  
وأيضاً ، فان المصدر مشتق من الجوهر ، كالنبات من التبت ، وكالاجحجار  
من الحجر . وكلاهما اسم . وأيضاً ؛ فان المضارع يعتل لاعتلال الماضي ،  
وان كان أكثر الناس على أن المضارع أسبق من الماضي . وأيضاً فان كثيراً  
من الأفعال مشتق من « الحروف » . نحو قولهم : سألتك حاجة ، « فلألتيت » لي ،  
اي قلت لي « لا » . وسألتك حاجة « فلألوتيت » لي ، أي قلت « لولا »  
واشتقوا أيضاً المصدر ، وهو اسم ، من الحرف . نحو « الألاءة واللولة » .  
وكذلك قالوا « سوفت » الرجل ، أي قلت له « سوف » .

نضيف نحن الى ذلك ما أوردناه أعلاه من ان الأسماء تصاغ من الحروف ،  
نحو : « لسو ، هل ، كتم ، مع » يشتق منها بطريق التشديد ، الأسماء  
الآتية وهي : « اللو ، الهل ، الكم ، المع » . كما انه ، من اسماء الأفعال ،  
ومن حكايات الأصوات ، والفاظ الزجر ، يشتق أفعال بطريق النقل من  
الثنائي الخفيف الى الثنائي المضاعف ، والثنائي المكرر او المطابق ، اي الى الثلاثي ،  
والرباعي ، الداخلين في نظام التصريف (١) .

وهنا تتبادر الى الفكر عفواً هذه الملاحظة وهي : ان الأستاذ المغربي يصب  
رأبي وعملي حين « انكاره كل الانكار على غبطة البطريرك برصوم .

(١) من أحب الاستزادة في هذا الشأن فله مراجعة تأليفنا الثلاثة ، ولا سيما ما ورد في  
الأخير منها وهو « معجمات عربية - سامية » من صفحة ٩٦ الى ١٠٨ .

صاحب «الألفاظ السريانية في المعاجم العربية» لجملة ألفاظاً عربية صحيحة من أصل سرياني ، بيد أنه بلوح لي في كلام الأستاذ شيء من التناقض ، اذ انه ، من الجهة الواحدة ، يجذ متصوباً نتائج تفصيلاتي ، ومن الجهة الأخرى ، يستنكر الوسيلة التي أستعملها لاستخراج هذه النتائج ، برفضه قبول صوابية «نظرية الثنائية» . والحال اني ، بالثنائية ، وبالثنائية وحدها - توصلت الى اثبات الأصلية العربية لأغلب الكلمات المسفورة ، وانكار سريانيتها . انه تحقق حضرته ذلك ، لو كلف خاطره مراجعاً بدقة وانعام نظر ، في تأليفي الأخير «معجميات» الذي وصفه وتقده ، الأبواب المبحوث فيها تأصيل المفردات التاليسية «تليذ ، ختن ، أجيم ، بعير ، عرش ، صنم ، لبيك ، نهر الخ» . فهذه وغيرها ، إن حاول المؤصل اثبات عربيتهما ، حسب مبادئ الثلاثية ، لذهب سعيه أدراج الرياح . فاذاً ان صوابية «الثنائية» ، فضلاً عن البراهين التي تعززها ، ترى متجليةً بما يتجم عنها من النتائج الصريحة والفوائد الجمّة . مها يكن من أمر ، فاني شاكر الأستاذ المغربي اللغوي البارِع ، علي حسن ظنه بهذا العاجز الذي يعتد نفسه أصغر خدمة اللغة العربية الجليلة .

أما المجمع اللغوي المصري الموقر الذي تفضل حضرة صاحب المعالي رئيسه العلامة لطفي السيد باشا فدعاني لإلقاء كلمة على مسامع حضرات أعضائه الأجلاء ، في الصيف الغابر ، فالأمل أن مؤتمره السنوي قد عقد في أوانه ، وأن الأستاذ المغربي تمكن ، حين حضوره جلساته ، من استطلاع رأي هؤلاء الأئمة الأفاضل في ما بسطته امامهم من النظريات الثنائية والألسنية السامية .

علي أني من جهني فد حفظت الطيب الذكريات من رحلتي العلمية الى مصر المحروسة . وقد افدت كثيراً من مطالعاتي اليومية في دار الكتب المصرية العاصرة . وقد توفرت لي أنجع الوسائل بفضل القائمين بالادارة والعمل فيها .

يبد أنه فوق هذا كله وبنوع خاص ، قد انطبع في نفسي أبلغ الأثر وأجمله لما تبين نخوي من العطف واللفظ من قبل معالي رئيس المجمع العلامة ، ومن أمين سره الفهامة ، صاحب السعادة منصور فهي باشا ، ومن لفياف اعضائه المصريين الكرام . وهل يستغرب اللفظ في معدنه ، والكرم في منبعه ؟

وفقنا الله جميعاً لمسيرة قافلة البشرية في طريق الرقي ، رقي العلوم العصرية ، ولا سيما العلوم اللغوية ؛ والاستمرار ، أبننا وجدنا ، على التألف والتآخي ، والتكاتف والتآزر ، في خدمة اللغة الكريمة ، والأوطان العربية العزيزة .

ولا بأس في تبين آرائنا ، وتضارب نظرياتنا . فان «للعلم حريته» وللرأي استقلاله» ، حسب قول الأستاذ المغربي الصائب .

وليسمح لي حضرة الزميل الصديق أن اجعل مسكاً لختام هذه الكلمة تمثلي بقول القديس أوغسطينس ، والله دره من قائل : «ليكن شعارنا في المؤكيدات الوحدة ، وفي المبعثات الحربة ، وفي كلهن الألفة والمودة» .

الأب مرمجي الروماني

(القدس)

# أرجوزة في محاسن دمشق

نظمها أبو خديرة بردي

تمهيد

شغلت محاسن دمشق الشعراء منذ القديم ، وما قيل في هذا الباب يؤلف ديواناً كبيراً من الشعر . وقد ترك المؤلفون تواليف جمعوا فيها ما قيل من شعر ونثر في محاسن دمشق ، من أشهرها كتاب : « نزهة الأنام في محاسن الشام <sup>(١)</sup> » ، لأبي البقاء عبد الله بن محمد البدري المتوفى سنة ٩٠٩ هـ ومؤلف « سحر العيون » . وكتاب « البرق المتألق في محاسن جلق » <sup>(٢)</sup> لمحمد بن مصطفى بن خديرة بردي ، المتوفى سنة ١١٩٥ هـ .

والأرجوزة التي نشرها تقع في ( ١٨٥ ) بيتاً ، وقد خصت كلها بمحاسن دمشق . وقد جمع فيها ناظمها ما في دمشق وضاحتها من محاسن ومنتزهات ، وأزهار ، وأنهار ، وأودية ، وعيون .  
أما ناظمها فهو مؤلف كتاب البرق المتألق . عاش في القرن الثاني عشر . لم يترجم له المرادي في سلك الدرر ، وذكر كتابه هذا صاحب الذيل على كشف الظنون فقال :

---

(١) طبع طبعة سقيمة في القاهرة سنة ١٣٤١ . وقد وقع لي نسخة مخطوطة منه ، فرأيت في المطبوع نقصاً ، وتحريفاً . انظر عن هذا الكتاب بروكسن ، الذيل الثاني ص ١٦٣ .  
(٢) لم أجد له ذكراً عند بروكسن .

« البرق المتألق في محاسن جلق ، أعني محاسن الشام ، لمحمد بن مصطفي بن خداويردي الشهير بابن الراعي . فرغ منه سنة ١١٧١ هـ . »<sup>(١)</sup>

\*  
\*\*

عُثرت على هذه الأرجوزة أول مرة في خزانة والدي . وهي في أربع عشرة ورقة<sup>(٢)</sup> كُتبت على الورقة الأولى : « أرجوزة في محاسن دمشق ، لابن الراعي » . وصادف أن وقعت لي نسخة من كتاب البرق المتألق في محاسن جلق ، فإذا بي أجد هذه الأرجوزة في أول الكتاب ، وإذا بابن خداويردي المشهور بابن الراعي يقول :

« . . . وجمعت من محاسنها « يعني دمشق » ما هو لسماء الأدب نجوم ، ولجيد البلاغة عقد بفرائد الدرر منظوم ، فجاء بحمده تعالى سفرأ يقطر منه ماء الأدب . . . وها أنا امتع الطرف والأسماع بربيع ألمي الظلال أحوى التلاع ، مبتدئاً بالأرجوزة الغرا ، إذ جعلتها العروس الأقاليم مهراً . . . »<sup>(٣)</sup>

وبعد الأرجوزة يبدأ الكتاب بباب « ذكر الشام وفضائلها . . . » . وقد تبين لي أن هذه الأرجوزة تحوي كل ما في دمشق وغوطتها وضاحيتها من محاسن وأن لها شأنًا في جمعها ذلك كله ؛ ودلالة على ما كان في دمشق من محاسن في القرن الثاني عشر الهجري . ثم هي نموذج من « الأدب الجغرافي » الذي بدأ الغربيون يعنون به في آدابهم وبدرسونه .

وهاكم الأرجوزة :

(١) إيضاح المسكون في الذيل على كشف الظنون (استامبول ١٣٦٤ هـ) ١: ١٧٦

(٢) بقياس ١٧٥٥ × ١٢٥٥ . في الورقة ٢٢ سطرأ . بخط نسخي جميل .

كُتبت سنة ١٢٦٥ هـ . ولا ذكر لاسم الناسخ .

(٣) لا تختلف الأرجوزتان في شيء ، وأرجوزتنا أصح من أرجوزة الكتاب .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الحمد لله مفيض النعم مول لمن شاء صنوف الكرم  
مكون الأكواف بالاتقان صنع حكيم مبدع مبتغان  
بلا مثال سابق قد صوراً هذا الوجود ، كن بدا معتبرا  
ففيه أكبر شاهد التوحيد ولقوة الايمان كالشبيد (?)  
فكم بقاع خصها بالشرف وأختها قضى لها بالسخف  
وبلدة حوت رياضاً وزهر وورود بانعات ونهر (?)  
وبلدة من عاصفات الحر ظمأى وسقيا أرضها من بئر  
وقرية ربت من الأمطار نسقى بماء الديمة المدرار  
مشبهة قد شاءها الرحمن بكفته الاعطاء والحرمان

\* \* \*

هذي دمشق الشام دارُ اللهو فاسند حديثي عن ربها وارو  
حاكت جنان الخلد عند العرض بل قيل عنها جنة في الأرض  
بل شامة الدنيا وعين الملك وتعرف الدينار عند السبك  
أنهارها عند النجوم الزهر وليس إلا في رياض تجري  
وكل روض في مثال الجنة واقٍ لإخوان الصفا كالجنة  
فإن تروم تفصيل ذاك ف واستمع سهّل القريض أخا الركاء المنع (?)

\* \* \*

(١) كان يودّ المجمع ان تنشر هذه الأرجوزة مصححة العبارة مستقيمة الوزن لو اتفق للأستاذ للنجد الظفر بنسخة أخرى غير نسخته . أما وهو لم يظهر فقد رأى المجمع من الفائدة نشرها للقراء على ما هي عليه ليقنى لمن يعثر على نسخ ثانية ان يقابلها على نسخة الأستاذ للنجد ثم يعيد نشرها مصححة . (المجمع)

هاك استمع مني حديث الشام - دارِ النصابي والنعيم السامح  
 قد خصتها الرحمنُ بالأنهار - وطيب الأرواح والأزهار  
 وخصتها المولى بذاك الجبل - وقل أن يخلو مكان من ولي  
 فكم نبي ضمته (قسيون) <sup>(١)</sup> - وكم ولي عنده مدفون  
 وكم صحابي بها استشهدا - وفي خبايا أرضها قد لحدا  
 (وديرمتران) <sup>(٢)</sup> على قسيون - كأنه في ملك أفريدوت  
 وتحتته تلك الرياض الغضة - وبينها الأمواه مثل الفضة  
 غنبت بها الأطيوار في الأفنان - ثمالت الأغصان كالنشوان  
 كذا (الحوالكير) <sup>(٣)</sup> التي ينساب - فيها (يزيد) السلسل المطياب  
 كم أن دولاب عليه وشكا - وشاقه عهد الرياض فبكي  
 وقطر الدموع في الحياض - وباح بالأمرار للرياض  
 (وقربة النخل) مكان الصلحاء - فكم بها قصد نزبل نجح  
 (بالصالحية) <sup>(٤)</sup> سميت يا صاح - بل مندى اللذات والأفراح  
 تحفها القصور والجواسق - كأنها بين الربا سرادق  
 تظلتها الأدواح كالأعلام - تزورها الأرواح للسلام  
 وكل طير أخذ في معنى - وكل حزب منهم في معنى (?)

(١) يريد جبل قاسيون .

(٢) محلة في السفح الواقع أسفل قبة سيار وأعلى بستان الدواسة ، يطل منه على الربوة . انظر عنه مقدمة الفلاند الجهورية ص ٧ ، وأديار دمشق وبرهاللزبات ، ومجمع البلدان لياقوت ٢ : ٦٩٩ ، ومجمع ما استجمع ص ٣٦٢ ، ومسالك الأبصار ص ٣٥٣ .

(٣) قال البدري : « هي كالحدائق في سفح قاسيون » . انظر نزهة الأنام في محاسن الشام ص ١٠٢ .

(٤) انظر سبب تسميتها بالصالحية ، في الفلاند الجهورية ص ٢٤ ، والمروج السندية لابن كنان .

وموكبُ الأزهار<sup>(١)</sup> في المكافحةُ وناقضاتُ الطيب منها نافحة  
فلو ترى الریحانَ بين الآسِ وأصفرَ الخيري كالبراسِ  
كذلك المنثورُ والسوسانُ وعندَه خشخاشه ألوانُ  
وحلقةُ المحبوبِ بين الزهرِ حاكتُ سنا الياقوتِ فوق النجرِ  
وفاقَ عَرَفَ الطيبِ عَرَفَ الدبِكِ له مقامُ السبقِ كالتليكَ  
للإسامين الغضِ عطرُ زَاكِي يحكي ضياءَ الزهرِ في الأفلاكِ  
وعنده النسرینُ ثم الغاغيةُ قد أشبهها في الطيبِ نفعُ الغالية<sup>(٢)</sup>  
شقائق النعمانِ في الأزهارِ كجلائنارِ فاحِ في الأشجارِ  
وسنبلِ في اللونِ كالغبيرِ وزجِ وزنقُ يزهرُ بوجهِ أبلجِ  
ونرجسُ بالطلِّ عینُ سكری باتت تناجينا بعینِ سهرِ  
وغايةُ الآمالِ زهرُ المضعفِ وفعله في الروضِ فعلُ القرقفِ  
وأطيبُ الأزهارِ بعدُ الوردِ زهرُ الأقاحي حُقَّةٌ من تبرِ  
وعند زهرِ البانِ لندةُ القصفِ وطاب لي فيه التنا والوصفِ  
وكم منادي الشوقِ فينا لعلمُ لدى زهورٍ سميت باللمعِ  
كذلك البلسانِ زَاكِي العطرِ بالتيك انعم ياله من زهرِ  
ان البنفسجِ فضله لا يُنكرُ وعرفه الزاكي كذا النيلوفرُ<sup>(?)</sup>  
وزهرُ آذريونِ في الأزهارِ يحكي عيبرَ المسكِ في الأشجارِ  
وعند مرزنجوشِ طاب النشرِ فلا تقل دارين لا والشجرِ  
ومهم الأسماءُ زهورِ شتى ولم أقل في وصفِ شيءٍ حتى

(١) انظر عن أزهار الصالحة والغوطة لزمة الأنام ص ١٠٣ - ١٨٦ ، وغوطة

دمشق الأستاذ كرد علي الفهرس الخامس .

(٢) يتلو هذا البيت صدر ليس له مجز :

كذلك زهر الارغوان الباهي

## ذكر منتزهاتها

وانظر الى (السهمين)<sup>(١)</sup> (والميطور)<sup>(٢)</sup> . . . . .  
 (والنيرب الأعلى) <sup>(٣)</sup> محل الأنس كذلك (الأدنى) حياة النفس  
 ونزهة الدنيا أراضى (سطرا) <sup>(٤)</sup> لم تلق الا روضة أو نهرا  
 وفي (نصيب) <sup>(٥)</sup> جحفل الأطيّار ومجمع الأزهار والأنهار  
 تمشي بها الأمواه مشي الصيلِّ وحليها الزهر ونقش الظلِّ  
 وفرشها الياقوت والزمرد وفوقها شجورُها بفردُ  
 فكلم بها روض وكلم من معنى طير التصابي في رباها غنّى  
 وفي رياض (السفح) (واللوان)<sup>(٦)</sup> هبت رياحُ الشبح والحوذان  
 (والجبهة) <sup>(٧)</sup> الغرّاء محل البسط ومرحةُ الوادي مكان الشط

- (١) السهم الأعلى ، والسهم الأدنى . ويمتدان من الجسر الأبيض الى الشرق حتى الشلية . انظر المروج السندية ص ٣٥ . وانظر موضهما في مخطط الصالحية . وانظر نزهة الأنام ص ٣١٧ .
- (٢) قرية كانت بسفح قاسيون تحت حي الاكراد ، شرق قرية مقرى . انظر القلائد الجوهريّة ص ٢٠ ، والمروج ص ٣٥ ، ومخطط الصالحية .
- (٣) النيران مكان يلي الربوة لجهة الصالحية ودمشق . والنيرب الأعلى هو بين نهري يزيد وثورا ، والأدنى بين ثورا وبردى . انظر القلائد ص ١٥ ومخطط الصالحية .
- (٤) قرية كانت بالقرب من العناية اليوم . انظر مخطط الصالحية . وكانت مقرى منتزهاً وتذكر مع سطرا . انظر نزهة الأنام ص ٢٧٣ .
- (٥) في البرق للمتألق « وارضى نصيب هي بالقرب من الصالحية بل معدودة من جناتها البهية ، بالقرب من السهمين » ورقة ٤٤٤ آ .
- (٦) السفح سفح قاسيون ، واللوان بن المزة وكفرسوسية ، ويقولون : أرض المزة واللوان . انظر عنهما نزهة الأنام ص ٢١٢ .
- (٧) انظر في وصفها نزهة الأنام ص ٧٧ .

واذ كر رياض (القصر) (والخلخال) <sup>(١)</sup> (والمرجة الخضراء) <sup>(٢)</sup> والسيدسال  
 مسارح الأرام والغزلان معاهد للهور والولدان  
 محاسن الدنيا رياض (الغوطه) لما غدت في حسنها مغبوطه  
 تشقها الأنهار والخلجان وكل نهر منهم سيجان (?)  
 فأين منها الشعب يابوان وما حوى الخابور والميدان  
 وجمع الأمواه (جسر الفيضة) <sup>(٣)</sup> وحيثا تمت تلقى روضه  
 ملتفة الأغصان بالأغصان ومرنع الأطيوار والغزلان  
 ومنتدى الأفراح (وادي الربوه) <sup>(٤)</sup> واد جباه ربه بالحظوه  
 تجري به الأنهار كالكواكب لكنها تمشي على المراتب  
 قد ساقها حكيمها المهندس وخطها فهو الرئيس الأكيس  
 وكلهم قد جاوروا الرياضا وبره عليها قد أفاض  
 فقسّموا من بعضها أقساما وخصّصوها للقرى سهاما

### تفصيل أنهارها

أولها أصل النهور (بردا) <sup>(٥)</sup> كم شوق محرور له به بردا  
 وعند (نوراه) <sup>(٦)</sup> بثور الوجد غداؤه القيصوم ثم الرند

- (١) يعني قصر الامارة . وكان محله مكان التكية ، ومحلة القصر ما يحيط بها ويجاورها . وانظر عن الخخال نزهة الأنام ص ٧٦ .
- (٢) معروفه ، انظر عنها نزهة الأنام ص ٧٣ .
- (٣) جسر كبير بين الهدية وجسرين على بردى . انظر غوطه دمشق ص ٥١ والفيضة هي غيضة السلطان ، وحورها كان لا يستطيع الانسان ان يدخل فيه لانضمامه نزهة الأنام ٢٥٤ .
- (٤) انظر عن الروة وواديها نزهة الأنام ص ٨٢ وما بعدها .
- (٥) انظر خطط دمشق ص ٢٣ في بحث انهار دمشق والمصادر المذكورة هناك .
- (٦) انظر للمصدر السابق ص ٩٢ .
- (٦) انظر للمصدر السابق ص ٢٩ .

كذا ( يزيد )<sup>(١)</sup> أطيب الأنهارِ  
 إذ جَرَّ يه في داخلِ الأبحارِ  
 باطيبَ ماء ( القنواتِ )<sup>(٢)</sup> العذبِ  
 إذ خصَّصوه أهلها للشربِ  
 وصنوه في فعله ( باناس )<sup>(٣)</sup>  
 نهر زها في حسنه باناسُ  
 يتلوه نهر اسمه ( الداراني )<sup>(٤)</sup>  
 يمشي كمشي الواله الخيراتِ  
 وجدولٌ مسمي ( قناة المزه )<sup>(٥)</sup>  
 مقامه فيها مقام العزه  
 هذي النهورُ السبعةُ الأصولُ  
 اسمعُ فذلك النفسُ ما أقولُ  
 أما أبو الأنهارِ زاهي البهجةُ  
 يشق جوف الأرض نحو ( المرجة )  
 ( المرجة الخضراء ) ذات الشرفِ  
 وقد زهت أكنافها بالشرفِ  
 يمر مثل السهم كالجتازِ  
 حتى يُرى قد شق ( صدر الباز )<sup>(٦)</sup>  
 وقد جرى في ذلك الميدانِ  
 كأنه سابور في الابوانِ  
 تضمه قناطر من جلمد  
 ثرنو كالحاظ الغزال الأغيذِ  
 هناك يلقي جدولاً قد غربا  
 سماء أهل الشام ( نهر عقربا )<sup>(٧)</sup>  
 وبعده من النصابي داعية  
 سموه من أنهارها ( بداعية )<sup>(٨)</sup>  
 ثم ( الميحي )<sup>(٩)</sup> جدولٌ كبيرُ  
 كأنه من بينهم أميرُ ( ؟ )

- (١) انظر خطط دمشق ص ٢٤ .  
 (٢) » المصدر السابق ص ٣٣ .  
 (٣) » المصدر السابق ص ٣٤ .  
 (٤) » المصدر السابق ص ٣٢ .  
 (٥) » المصدر السابق ص ٣٤ .  
 (٦) منتهى المرجة من ناحية الغرب يسمى صدر الباز . انظر زهرة الأنام ص ٧٤ .  
 (٧) هو نهر الجدول . انظر خطط دمشق ص ٣٦ .  
 (٨) هو الداعياتي نسبة الى قرية داعية وقد بقي اسمها وزالت . انظر خطط دمشق  
 ص ٣٦ وياقوت ٢ : ٣٣٨ .  
 (٩) ويسمى الميحي نسبة الى المليحة وهي في غرب زبدین ايضاً . انظر خطط دمشق  
 ص ٣٧ ، دوستو ٣٠٥ ، Porter, I. 375 .

يسير بين الورد والنسرين	كذلك نهر <sup>١</sup> اسمه (الزبدني) <sup>(١)</sup>
(ومقسم الغربي) نهر <sup>٢</sup> ثنائي	وتسم <sup>٣</sup> نهر <sup>٤</sup> اسمه (الوسطاني)
كم ذا بأشراك الهوى ترمينا	ياجمع الأحياب يا (درمينا) <sup>(٢)</sup>
(والحاجي) نهر سما في الساميه	ويا حياة النفس (نهر الماصيه)
يسير سير الآبق الوهاني	ولست أنسى (الجدول البالاني) <sup>(٣)</sup>
كذلك (نهر الملك) <sup>(٥)</sup> المصون	يمشي رويداً صنوه (الزابون) <sup>(٤)</sup>
(ونهر تل الذهب) الساماني	كذا خليج اسمه (الشيداني) <sup>(٦)</sup>
وجداول يسقي أراضي (حزوما) <sup>(٨)</sup>	وبيت نايم <sup>(٧)</sup> نهرها قد عظما
يمشي كخود شيق مهفهفه	وجداول يسعى الى (الغريفه) <sup>(٩)</sup>
يمشي اليها كالحكيم المتقن	وآخر يسقي رياض (المتبن) <sup>(١٠)</sup>
يمشي الى حمائها مهرولا (?)	و (البلاية) <sup>(١١)</sup> خصوا جدولاً
يسعى كسعي الحية المرتاده	وما بقي يجري الى العباده

- (١) نسبة الى قرية زبدين بالقرب من المليحة. انظر خطط دمشق ص ٣٧ ، دوسو ص ٣١٣ .
- (٢) درمينا نهر يتفرع من نهر زبدين . انظر وقفية سعد الدين باشا المعظم (مخطوط) ، وخطط دمشق ص ٣٧ .
- (٣) نهر يسقي بالا ، وهي في شرق زبدين ، ونسب اليها . انظر غوطة دمشق ص ٩٩ ، دوسو ٢٩٤ .
- (٤) انظر خطط دمشق ص ٣٨ ، وغوطة دمشق ص ٩٩ .
- (٥) المصدر السابق ص ٣٨ ، وغوطة دمشق ص ٩٩ .
- (٦) المصدر السابق ص ٣٨ ، وغوطة دمشق ص ٩٩ .
- (٧) قرية في شرق جبرين . انظر دوسو ص ٢٩٥ ومخطط الغوطة .
- (٨) قرية في شرق بيت نايم . انظر دوسو ص ٣٠٢ ومخطط الغوطة .
- (٩) في غرب المتبنة . انظر دوسو ص ٣٠١ .
- (١٠) بالقرب من حريستا القنطرة . ويسمى اليوم حوش المتبن .
- (١١) في شرق تل الصالحية . دوسو ٢٩٤ .

## الذي ينقسم من نهري المنيحي والداعيانى

الجامعي نهر بها قد عرفنا وراق حسناً ماؤه فوق الصفا  
 وجدول يُسمى ( بنهر البيره ) يا حسن روضات به معموره  
 وجدول ( المزاز ) ثم ( الشق ) غنت عليهم صادحات الورق  
 وراق ماء ( الجدول السلطاني ) كم سار من روض الى بستان  
 وفاق في الحسن ( نهر الزلف ) قد أتجفت أدواحه بالطرف (؟)  
 وجدول يسمى الى ( الخياره ) وجريه في رونق الاماره  
 ولا تدع يا صاح ( نهر الشبعا )<sup>(١)</sup> كذا ( البلاطي ) جدول كالأنفى  
 كذا ( كليبا ) جدول معروف و ( عين ثرما )<sup>(٢)</sup> نهرها موصوف  
 الى ( كفر بطنا )<sup>(٣)</sup> خليج يجري و ( نهر جسرين )<sup>(٤)</sup> كذا وب القطر  
 وجدول يجري الى ( حموريا )<sup>(٥)</sup> سقياً لاوقات مضت فيه ليا  
 و ( نهر سقبا )<sup>(٦)</sup> في صفا اللجين كأنه الاسفنت<sup>(٧)</sup> في الدنين  
 و ( الافتريس )<sup>(٨)</sup> القرية المصطاف يجري اليها جدول خطاف  
 الزهر والأدواح في ( بيت سوا )<sup>(٩)</sup> لها خليج كالحباب اذا التوى  
 هذا الذي قد قسموا من بردا فاسمع وكن في قولنا معتمدا

(١) من قرى اقليم بيت الآبار . معجم البلدان ٣ : ٢٥٤ .

(٢) في شرق دمشق ، وغرب كفر بطنا ، انظر ياقوت ٣ : ٧٥٩ ، ومخطط النوطة

(٣) في شرق عين ثرما . انظر ياقوت ٤ / ٢٨٦ ، ومخطط النوطة .

(٤) في شرق كفر بطنا . انظر ياقوت ٢ / ٨٢ ، ومخطط النوطة .

(٥) في الجنوب الشرقي من عرسل . وانظر ياقوت ٢ / ٣٤٠ ، ومخطط النوطة .

(٦) في جنوب حمورية . انظر ياقوت ومخطط النوطة .

(٧) الاسفنت بالكسر وتفتح الفاء للمطيب من عصير العنب ، او اعلى الجر... (القاموس) .

(٨) في شرق سقبا انظر مخطط النوطة .

(٩) قرية لا تزال عامرة انظر دوسو ص ٢٩٦ ، وللفنسي ص ١٩٠ . ومخطط النوطة .

### الذي ينقسم من الداراني

أما الذي قسمته يا دارا يا من تحيرت النيا في دارا  
 (نهر العرا)<sup>(١)</sup> و(الذيب) و(الشراك)<sup>(٢)</sup> كذلك (نهر الملقوت) الزاكي  
 و ( الحجر الدائر ) شعب خامسه وجدول قد خص بالكفارسه  
 فقسموه عندهم يا صاح يا من سناه في ضيا المصباح  
 (نهر الكرمي) ثم (نهر الغربي) أبو عيار جدول كالفضب  
 و (جدول الاشعاب) نهر طامي يخذ وجه الأرض كالصمام

### الذي ينقسم من قنوات

وقسمت (قنوات) يا مسرور (نهر القصير)<sup>(٣)</sup> حظه النصفير

### الذي ينقسم من تورا

و (نهر تورا) قسموه فاسمع نظماً حلا في الدهن ثم المسمع  
 أولها (الأصار)<sup>(٤)</sup> نهر طافح يجري ونشر الزهر منه فإيج  
 و (نهر بشر) جدول سلسال<sup>(٥)</sup> والماء فيه قرف جريال  
 و (غالب) نهر سليم القلب وماؤه عذب لذيد الشرب  
 كذلك (نهر بالحلات) اشتهر وصنوه (السرداب) نهر معتبر  
 كذلك (الشباك) نهر زاخر كذا (الفراديس) الزكي العاطر

(١) ورد في وقفية لالا مصطفى باشا باسم (نهر العرا) ص ١٤٧ .

(٢) في وقفية لالا مصطفى باشا انه بارض اللوان من أراضي المزة ص ١٤٨ .

(٣) انظر فروع هذا النهر في خطط دمشق .

(٤) انظر في مخطط الصالحية ادمان « ماصية بشر » .

(٥) انظر في مخطط الصالحية « ماصية بشر » .

و (نهر قلبين) و (نهر الزينبي) و (نهر باب الثالث) عذب المشرب  
كذلك (علينا) خليج منه حديث عطر الروض يروى عنه

### الذي ينقسم من يزيد

ومن (يزيد) جدول (الشجرية) و (نهر مهدي) فرقة فضيه

\* \* \*

فهذه الأصول بالأقسام وكلها تجري على الدوام  
مواهب الله العلي الأعلى نالها جلتنا فكانت أهلا (?)

### ذكر أوديتها

ولنشرع الآن بذكر الأودية اللاتي لأمراض القلوب أوديه (?)  
اذ كلهم في دوحة معطار بالطيب يحكي جونة العطار  
تخاله يختال كالعرائس في حلل الديباج والأطالس  
وكلهم في حسنة تياه تحفته الأزهار والأموه  
أولهم يا صاح (وادي بردا) <sup>(١)</sup> واد ترى للأنس فيه مددا  
تجري عليه بالدموع (الأعين) اذ قصرت عما حواه الألسن  
(وادي المكرم) عنده (كيوان) <sup>(٢)</sup> كلاهما في حسنة غمدان  
بالقرب منهم (وادي الجنادله) دع عنك في أوصافه الجادله  
(وادي السفرجل) <sup>(٣)</sup> منظر فتان أنهاره في وسطه غدران

(١) انظر عن وادي بردا ، دوسو ص ٢٨٧ .

(٢) موقع مشهور نزه ، قبيل الرنة من ناحية دمشق .

(٣) واد أول النوطة عند باب الشرقي وهو مشهور بزهر السفرجل منذ القديم ووصفه الشعراء .

(وادي الحصاص) صديق الروح كم ذا يقفي طيره للدوح (٩)  
 واذا كرم محل الشطح (وادي الشقرا) فأين وادي آس أين الزهرا  
 يطله (الشرفان) من طرفيه يفاخر المريح في شرفيه  
 (وادي الصغيرا) (١١) موسم اللذات أوقاته من أطيب الأوقات  
 وأشرف الوديان (وادي برزه) (١٢) فيه بقاع الفضل حتى (ارزه) (١٣)  
 (حرنه وادي) (١٤) و(وادي معربا) (١٥) كلاهما عن حسنه قد أعربا  
 و(وادي التل) (١٦) الرفيع القدر يوضع بشراً من عبير الزهر  
 (وادي منين) (١٧) انصر الوديان أطياره تشدو على العيدان  
 (وادي الدريج) (١٨) الطيب الأرواح قد غصن بالأمواء في الأدواح  
 و(وادي حلبون) (١٩) سقاء القطر على غناء الطير فاح العطر  
 ونزهة الدنيا بدبع السبا (وادي) (النصايي والمانا) (بسيا) (١٠)

- (١) بالتصغير واد قرب الميطور ، قبيل برزة . انظر المروج السندية من ٢٢ .  
 ومخطط دهان .  
 (٢) برزة قرية مشهورة في شرق الصالحية .  
 (٣) أرزة قرية حل محلها اليوم حي الشهداء في طرق الصالحية . انظر ضرب الحوطة .  
 ومخطط دهان .  
 (٤) حرنه في الشمال الشرقي من معربا . وانظر دوسو من ٢٨٧ .  
 (٥) معربا قرية في الجنوب الغربي من حرنه . انظر دوسو ٢٨٧ .  
 (٦) التل قرية مشهورة .  
 (٧) منين قرية مشهورة شمال التل وينسب اليها الجوز المنيني . انظر دوسو ٢٨٧ ،  
 بأقوت ٦٧٤/٤ .  
 (٨) الدريج قرية في وادي حلبون نفسه انظر دوسو ٢٨٧ .  
 (٩) عن وادي حلبون وشأنه في الماضي انظر Porter, Fives yars.. I, P. 330  
 (١٠) بسيسة قرية معروفة . وهذه الأودية التي سينذكرها الآن هي في وادي بردى  
 من بعد الفيحة .

(وادي الخضراء) <sup>(١)</sup> محط الرحل كم ذا شددنا نحوه من رحل  
 يا صاحبي نار شوقي هيبا وعرجا بي نحو (وادي الفيحاء) <sup>(٢)</sup>  
 وأطربا سمعي بذكر الوادي واد سما يا صاح بالعواد  
 ونهره الطامي البهي المنظر وليس مرأى العين مثل الخبر  
 ووادي الشرقي عروس الدنيا اذ بينهم بالحسن نال العليا

### ذكر الأعين

وتتبع الذكرى بذكر الأعين وقاها رب الشام شر الأعين  
 أشهرها في الحسن (عين صاحب) تفوق بالنشور نثر صاحب  
 وفي صفا الراوق (عين الخضراء) ماء كذوب الدر حاز الفخرا  
 كذلك عين اسمها (سيافه) وماؤها في غاية اللطافه  
 واجل صدا قلبي (بعين منين) بين الربا والتين والزيتون  
 يا عين ذاك الروض يافتانه يا من دعوك عندم (مرجانه)  
 ولا تسلم عن لطف (عين الكرش) ماء قراح لؤلؤي الفرش  
 وكم جمعنا الشمل في (الوراقه) عين تراها بالصفاء يرافه  
 يا عين من (بالزيبنيه) عرفت من لي بأوقاتٍ لديكِ حَلَقَتِ  
 وعند (عين الشرش) روض زاهي تأوي اليه زمر الملاهي  
 وانعم بعين اللذة الفضيئه قد سميت يا صاح (بالقيه)  
 (عين قرقور) سقى عهدي بها كم للتصابي بعث غايات النعي  
 (وعين اقلابا) حكت بالرصف ضياء مرآة يروض القصف

(١) يقصد وادي عين الخضراء .

(٢) النيجة قرية مشهورة .

(عين حروش) كالزلال الصافي  
فهذه العيون ذات القدر  
فالبعض منها قارب المدينة  
وما سواها صاح ليست تحصى  
فانقض وثمر للتصايف باعا  
فهذه الدنيا وهذا العيش  
الأ مناط العز والتكفين  
وادر حباه الله بالتشريف  
وعنده الأوزار حقا تطرح  
وبلدة المختار عين الملك  
قد صعت الأقوال عند السنه  
ونالت العليا بخير الخلق  
وصنوه الفاروق محيي الدين  
هو اطل الرضوان فيها تهبي

قد أحرزت محاسن الأوصاف  
اذ سقيها الرياض سقي النهر  
والبعض منها للقري معونه  
ولا تروم العبد والاستقصا  
قد خُصَّ بالحرمان من أضعاف  
وغير ذكر الشام عندي طيش  
ومهبط القرآن والتبيين  
وخصه بالسعي والتعريف  
وفيه للغفوان نعم المطمح  
حامي حمى الاسلام ملهى الشرك  
في أن فيها من رياض الجنة  
وخيركم بعدي خدين الصدق  
وثالث الخلقاء ذو النورين  
وبالرضا والنفوس أرجو ختمي

صلاح الدين المنجد

# تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى العصر الحاضر، مع نقد وتعليق

- ١ -

معنى المعجزة لغة والإعجاز اصطلاحاً وتاريخ استعمال كلتي معجزة وإعجاز

معنى المعجزة لغة الضعف . وأصله لغة التأخر عن الشيء . وهو ضدّ القدرة . وأعجزه الشيء فانه . وأعجزت فلاناً وعجزته وعجزته جملة عاجزاً ، وجاء في القرآن الكريم : « وما أنتم بمعجزين في الأرض » . ومصدر أعجز الإعجاز ، ومنه اشتقت كلمة معجزة . وهي اسم الفاعل منه لحقته ناء التأنيث ، وواحدة معجزات الأنبياء التي تؤيد بها نبوتهم . وقد صار لها هذا المعنى في زمن متأخر عن الرسالة ، فأطلقها العلماء عليه اصطلاحاً كما أطلقوا المصدر « الإعجاز » على اتصاف الشيء بها أي بأنه أمر خارق للعادة ، مقرون بالتجدي ، سالم من المعارضة » .

ولم يرد في القرآن لفظ معجزة أو إعجاز وإنما جاء فيه ألقاب آية وبرهان وسلطان . وهذه الكلمات لا ترادف كلمة معجزة ، ولا تشمل معنى الإعجاز المفهوم منها . وإنما تدلّ على جزء من معناها الذي يشمل أكثر من معنى جزئي واحد . وهذا الجزء يقابل كلمة الدليل أو الحجّة ، بمعنى أن حادثة من الحوادث هي دليل نبوة أحد الأنبياء أو دليل الألوهية ، ولا يبدل على أكثر من ذلك . أما كلمة معجزة فتدلّ على أمر خارق للعادة يكون دليلاً على نبوة أحد الأنبياء دون غيره ، وبمعجز غيره من الخلق عن الإتيان بمثله . ومن الصعب جداً

أن نجد الزمن أو المكان أو الأثر الذي استعملت فيه كلمة معجزة أو إعجاز أول مرة بهذا المعنى الدلبي الاصطلاحي الفني . وعلى الرغم من أن الجدل في أمر النبوة بدأ في عهد النبي ، أثاره أرباب الديانات الأخرى الذين ناقشوا المسلمين في أمور الديانات منذ القرن الأول من الهجرة ، فإن كلمة معجزة لم تظهر بظهوره وليست قديمة قدمه . بدلنا على ذلك ان علي بن رين الطبري الذي ألّف كتاب « الأسلوب والبلاغة » في الربع الثاني من القرن الثالث الهجري ، لم يستعمل في كتابه كلمة معجزة أو كلمة أخرى مشتقة منها ، بل استخدم في المناسبات التي تدعو الى استخدامها كلمة آية التي كانت لا تزال مستعملة في عصره لمعناها . ولا نستطيع أن نستنتج من هذا أن كلمة معجزة لم تستعمل حتى ذلك الوقت ، وإنما نستطيع أن نؤكد أنها لم تكن شائعة الاستعمال ، وأنها لم تكن من القوة بحيث تكسح مرادفاتنا القريبة منها كالآية والبرهان والسلطان . . . كما فعلت بعد . ويؤيد هذا أن احمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ يستعمل كلمة معجزة لما استعملت له بعده كلمة « كرامة » بالنسبة الى الأولياء ، وذلك الى جانب استعماله اياها بمعنى الأمر الخارق المؤيد للنبوات . وأول كتاب عنون باسم « إعجاز القرآن » فيما نعلم هو كتاب محمد ابن يزيد الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦ هـ ، ومن الواضح أنه ألف في أواخر القرن الثالث من الهجرة أو في مطلع القرن الرابع ، وقد وردت فيه كلمة معجزة . ثم أخذت كلمات آية وبرهان وسلطان تقل بعد ذلك في الاستعمال وتحل محلها كلمة معجزة في بحث مسألة النبوة وقضية الإعجاز . ومن أصعب الأمور الآن أن نيتين الأطوار والمراحل التي مرّت بها كلمتا معجزة وإعجاز ، ولكن من الواضح البدهي أنها استمدتا معنيهما الاصلاحيتين الحاليتين من تتابع استعمالها وكثرة المناقشة فيها مع مرور الزمن ومن الاسترسال في فهم أقصى ما تدل عليه كلمة معجزة من معانٍ .

ونحن نعلم أن نبوة الرسول العربي كانت موضوع مناقشة بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى ، وأن هذه المناقشة بدأت في الشام قبل وضع علم الكلام وكانت تتناول فكرة تحدي القرآن للعرب وعجزهم عن معارضته في جملة ما تتناول من فكر ، وأن المسلمين يميلون للقرآن ، وهو الوحي الذي أنزل على النبي ، برهاناً على نبوته ، ويرون أنه كلام ليس في طاقة الجن والإانس أن يأتوا بمثله ، ونرى القرآن نفسه يصف أعداءه الذين لا يؤمنون به من العرب بأنهم « لا يأتون بمثله » . فاذا وضعنا مرادفاً لهذه الجملة كما فعل ابن جرير الطبري حين فسرها في القرآن قلنا « يعجزون عنه » ونكون قد استعملنا صيغة « أعجز » للدلالة على عدم قدرة الإانس على الإتيان بمثل القرآن . وهكذا تصور استعمال الكلمة لهذا المعنى أول مرة . ونرجح أن مصدرها « الإعجاز » قد تلاها في الاستعمال للمعنى نفسه ثم انتقلا معاً الى طور آخر وهو الدلالة على أن القرآن بمثابة معجزات الأنبياء الخارقة لاعلى أنه معجز لمن يريد معارضته فقط . وحينئذ وضعت لهذا المعنى الشامل كلمة « معجزة » الجديدة . وهي مؤنث اسم الفاعل من أعجز<sup>(١)</sup> .

ويعترف علماء الكلام المعجزة في كتبهم بأنها : « أمر خارق للمادة مقرون بالتجدي ، سالم من المعارضة » ويملاًون صفحات في مناقشة مدلولها وشروطها ، ويكفي أن نضرب مثلاً على ذلك القرطبي في كتابه « الجامع لأحكام القرآن » فهو يذكر شروطاً خمسة لا يصح من دونها لحادث أن يسمى معجزة وهي :

- ١ - هذا الحادث ينبغي أن يكون مما لا يستطيعه الا الله .
- ٢ - يجب أن يخرج على قوانين الطبيعة .
- ٣ - وينبغي أن ينبيء عنه الحكيم قبل أن يقع بأن كذا وكذا سيحصل .

(١) راجع مستهل مقال الأستاذ عبد العظيم الهندي في مجلة :

- ٤ - ويجب أن يكون الحادث الواقع موافقاً لما قال قبل .  
 ٥ - والآ يكون في استطاعة أحد أن يجري مثل هذا الأمر .  
 وهذا بالتلخيص ما يريد المتكلمون بكلمة «عجزة» .  
 يتضح مما سبق المراد من قولنا «عجز القرآن» فهو كونه أمراً خارقاً  
 للعادة لم يسقط أحد معارضته برغم تحدي الناس إليها .  
 وقد كانت هذه الفكرة مجالاً لبعوث وكتب كثيرة قام بها علماء مختلفة  
 نزعاتهم . ولما كانت قد نشأت من تحدي القرآن للعرب أن يأتوا بمثله أو يثب  
 سورة منه كان لا بد من الكلام عن المعركة الفكرية الكلامية بينه وبينهم  
 في حياة النبي قبل الحديث عن أطوار الفكرة المتعاقبة في البيئات والعصور  
 المختلفة بعد وفاته .

\* \* \*

### المعركة الفكرية الكلامية بين القرآن وبين العرب

جاء الوحي النبي وللعرب مساوي تضعف أمرهم وتفرق صفوفهم ، ولم فضائل  
 يمكن اذا وجهت وجهة حسنة أن تكون منهم أمة عظيمة . وكانت غاية  
 الوحي صلاح دنياهم ودينهم ، فاشتغل على مبادئ دينية اجتماعية أخلاقية غايتها  
 إنسانية بحتة . وكان يرمي أيضاً الى أغراض سياسية قومية تجعل من العرب  
 حماة لهذا الدين ، وتؤلف بين قلوبهم ، ففعلهم أمة واحدة وصفها القرآن بأنها  
 «خير أمة أخرجت للناس» . وكانت هذه الدعوة ثلاثية والبيئة التي استجاب لها  
 لأنها تشريع مستمد من روحها تمليه شخصيتها ويتطلبه ارتقاؤها العقلي والروحي  
 وتقدمها النسبي في اجتماعها ولغتها وبيئاتها .

ويتجلى الاستعداد النفسي العام للاستجابة الى هذا الإصلاح فيما ظهر قبل  
 الإسلام فيها من حركة أدبية كان من مظاهرها تباري الشعراء في الأسواق

الأديبة التجارية ، وتفكير شعراء وخطباء كطرفة وزهير وقس بن ساعدة في مسائل دينية ، كما يتجلى في هذه الحيرة الدينية العامة التي أدت بعضهم الى التعلل بمذاهب الصابئة واليهودية والمسيحية والتألهة الحرثة ، وفي حركة حلف الفضول المباركة التي تدل على تقدم اجتماعي بما تحمل من فكرة انسانية غابتها حماية الضعيف وإغاثة الملهوف ، وهي في حقيقتها وسيلة لمحاربة فكرة العصبية القبلية في رجالات قريش ، ومقدمة للقضاء عليها في نفوس العرب جميعهم بسعي النبي وبعض خلفائه فيما بعد .

ولم يظهر النبي بصفة مصلح اجتماعي يضع القوانين من عنده ويقدمها لقومه على أنها قوانين وضعية بل جاءهم مرسلًا من الله ليخرج الناس من الظلمات الى النور . ولما كانت طبيعة هذه الرسالة ليست من الأمور المألوفة في حياة الناس العادية ، وكان اتصال الله بالنبي عن طريق الوحي مما لا يجري لكل الناس ولم يألفه العرب ، ولما لم يكن لديهم عن النبوة الا تصور مبهم مما كانوا يتداولونه عن ابراهيم واسماعيل وما كان يبلغهم عنها ممن يخالطونهم من أهل الكتاب ، فقد استغربوا هذا الأمر من النبي وأنكروه بشدة ووقفوا منه موقف المتردد الخائر ، لما عرفوا من استقامته في سابق حياته ، واشتهاره فيما بينهم بالصدق والأمانة ، لاسيما وأن هذا القرآن الذي جاء به أسمى تأليفاً وأجمل أسلوباً من كلامهم ، سواء المنظوم منه والمنثور ، فقد كذبوه واستعذبوه في وقت واحد . ولو قيل لهم إن القرآن من عند النبي نفسه لا من عند الله لما وجدوا في هذه الدعوة الى الاصلاح غرابة . وذلك لأن طبيعة البيئة إذ ذاك كانت تتطلب هذه الاصلاحات التي جاءت بها الرسالة . على أن الاختلاف في الاستجابة لها لم يكن يبدو في غير الصورة التي ظهر بها في الراجح . وذلك لأن الناس في هذه الحركة الإصلاحية جانبان : جانب الضعفاء الذين وجدوا فيها فائدة لهم ،

وإخلاقاً من ظلم الأقبوياء ، وتحقيق جربة مفقودة ، وبنضم اليهم من جيل نفوسهم على الخير العام ، وجذب الأقبوياء الذين يعاكسون هذه الحركة الجديدة ، لأنهم يرون أن فائدتهم الخاصة تستقر وتقوى باستقرار النظام القديم ، ولأن سلطان التقاليد على نفوسهم عظيم ، فيستصعبون أن يغيروا من أنفسهم ما اعتادوه ووجدوا عليه آباءهم . وبنضم هؤلاء ذوو التفكير المادي الواقعي الذين لا يؤمنون بإمكان اتصال الله بالبشر . ورجال هذا الجانب هم الذين شاكسوا النبي ووقفوا في وجهه حتى جاءه النصر . وكان من الطبيعي أمام هذا أن يبرهن النبي على صحة رسالته وصدق مدعاه في الوحي - وهو أمر كما قلت غير مألوف لديهم - بمعجزات تؤيده ، وتكون غير عادية ولا مألوفاً في حياتهم . وعلى ذلك جرت سنة النبوات في تأييدها ، فكان لموسى عصاه ، ولإبراهيم ناره ، ولعيسى إيراؤه الأكمة والأبرص وإحياء الموتى ، كما كان لغيرهم من الرسل غيرها من المعجزات . وقد ذكر القرآن كثيراً من أخبارها .

وكانت معجزات هؤلاء الرسل كما نرى حسية . ولكن العرب لما طالبوا النبي بمثل هذه المعجزات سخر منهم القرآن ، وفند آراءهم وطلباتهم ، فائلاً بأنه لو أنهم بها لم يؤمنوا بما آمن به غيرهم من شرح الله صدرهم لهذا الدين ، كما لم يؤمن من قبلهم من الكافرين بتلك المعجزات الحسية ، وإنما يهدي الله من يشاء . ويسجل القرآن طلبهم هذه المعجزات كما يسجل رفضه إجابتهم اليها . قال تعالى : « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين » . وقال في موضع آخر : « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » . وقال في سورة الفرقان : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً ، أو يلقى إليه كثر أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً » . وقال في سورة الإمبراء : « وقالوا إن نؤمن لك حتى

تفجر لنا من الأرض بنوعاً ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو نسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، أو ترقى في السماء ، وإن تؤمن لرفيق حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه . قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً» . وقال في سورة الأنبياء : « بل قالوا أضغاث أحلام ، بل افتراء ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون . ما آمنت قبلهم من قربة أهلكتها فهم يؤمنون » .

وقال في بيان أن المعجزات لن تفيد في هدايتهم شيئاً : « ولو نزلنا عليهم كتاباً في قرطاس فلنسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » . وقال أيضاً : « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا ، بل نحن قوم مسحورون » .

واحتج علماء الاسلام لصاحب الدعوة الاسلامية في عدم إتيانه بالمعجزات بما احتج به القرآن من أنه لو أتاهم بها لما آمنوا ولقالوا إنها سحر . واحتجوا بأن هذه المعجزات الحسية إنما تحمل الى ذوي العقول الجامدة والنفوس الخاملة من الأمم غير الأمة العربية . أما العرب فهم في رأي هؤلاء العلماء يمتازون بالدكاء والعقول الراجحة ولذلك كانت معجزتهم معنوية بيانية ، وهي القرآن<sup>(١)</sup> . وقالوا أيضاً بأن المعجزات الحسية تزول بزوال مشاهديها زمن النبي . وأما المعجزة البيانية فهي باقية أبد الدهر ، واحتجوا بقول القرآن : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وعال أكثر العلماء ذلك بما نسميه نحن أثر البيئة ومقتضياتها . فقالوا إن معجزة كل نبي كانت من جنس الفن الذي اشتهر في قومه الى عهده . ولذلك كانت معجزة مومى من جنس السحر ، ومعجزة عيسى من جنس الطب ؛ لأنها

(١) ابن العربي : الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٩٨ .

الفنان الدائم في عهديهما . وجاءت معجزة النبي من جنس الفن الذي اشتهر به العرب وبلغوا به الذروة وكانوا يتفاخرون به ويسامي بعضهم بعضاً وهو فن البيان . ولا شك في أن العرب كانوا قد بلغوا في ذلك الحين من الفصاحة والبيان غاية كبيرة ، واستقامت تعابيرهم أفراداً وتركيباً ، وتمت لهم أدوات الفصاحة على ما يقضي به قانون الارتقاء والنشوء في بيئتهم . وبدل على نضج بيانهم أدب المعلقات . ولا شك في أن قريشاً كانت من بين جميع القبائل أكثرها فصاحة ، وأحسنها نظاماً ، وأرجحها أحلاماً ، وأكثرها مالاً ، لما أهلها له بيئتها وموقعها الجغرافي ومكانتها الدينية . فوقعها بين الشمال والجنوب ، وحملها التجارة من طرف إلى آخر ، وحمايتها للبيت الحرام ، كان منه اختلاطها بالقبائل العربية كلها من عدنانية وقحطانية ( وبالأولى من شمالية وجنوبية ) . فرفع هذا الاختلاط والتأثر من مستواها العقلي والاجتماعي ، وحملها على تنقية لغتها ، وتهذيب أساليبها ، وانتقاء أحسن ما في لهجات القبائل الأخرى من ألفاظ ومعان وأساليب .

ولكن هل صحيح أنهم - كما صورهم بعض العلماء - كانوا قد بلغوا القمة في البلاغة والبيان ، وأن من جاء بعدهم في العصور الإسلامية كان عالة عليهم ودونهم بياناً وقدرة على التعبير ، أو أن الأمر على العكس من ذلك فكانوا مرحلة تمهيدية لمن جاء بعدهم من الكتاب والشعراء والخطباء في العصرين الأموي والعباسي وبخاصة الأخير الذي كان أديباً أكثر منهم مرونة وجولاناً في ميادين الفكر والبيان ؟ .

أظن أن القول الأخير هو الأصح . وهو لا يقدر في فكرة إعجاز القرآن ، لأن العلماء قالوا بأنه معجز أبد الدهر وبأن فضله يظهر على كل نص أدبي متقدم أو متأخر حين يقارن به ، ولا يعارض هذا بأي حال فكرة النشوء والتقدم في تطور الأدب العربي ، وإنما يقضي فقط على فكرة المعتقدين بأن الأدب الجاهلي هو أكل مثال في تاريخ الأدب العربي .

وَمَا يَدُلُّ فِي رَأْيِي عَلَى أَنَّ الْأَدبَ الْجَاهِلِيَّ كَانَ بِثَابِتَةٍ تَمَيِّدٌ لِلْعَصْرِ الْأَدْبِيَّةِ  
الَّتِي بَعْدَهُ أَنَّهُ كَانَ يَنْقُصُهُ فَنِّ أَدْبِيٍّ كَانَ لَا يَزَالُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي بَدءِ تَكْوِينِهِ  
وَهُوَ النَّثْرُ الْفَنِّي ، وَأَنَّ الْخُطَابَةَ كَانَتْ لَا تَزَالُ فِي بَيْتِهِمْ طِفْلاً فِي الْمَهْدِ لَمْ تَنْمُهَا  
تِلْكَ الْمُهْرَاتُ الْأَجْتِمَاعِيَّةُ وَالسِّيَاسِيَّةُ الْعَنِيفَةُ الَّتِي حَدَّثَتْ فِي طُفُولَةِ الْإِسْلَامِ وَشِبَابِهِ ،  
وَأَنَّ أَكْمَلَ الْفُنُونِ الْأَدْبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ هُوَ الشُّعْرُ ، وَلَا يُسَاوِي عَلَى التَّحْقِيقِ شُعْرَ  
الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِ إِذَا قُسِنَا مَاهَا بِمَقَائِيسِ فَنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ .

وَلتَخْلَفُ الْعَرَبُ فِي فَنِّي الْخُطَابَةِ وَالنُّثْرِ الْفَنِّيِّ كَانَتْ دَهْشَتُهُمْ مِنْ بَيَانِ الْقُرْآنِ وَأَسْلُوبِهِ  
عَظِيمَةً جَدًّا ، دُونَهَا دَهْشَةٌ وَتَقْدِيرُ الْأَدْبَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ الْفُجُولِ الَّذِينَ تَجَرَّأَ بَعْضُهُمْ  
- أَوْ أَتَمُّ بِأَنَّهُ تَجَرَّأَ - عَلَى مَعَارِضَةِ الْقُرْآنِ . بَلْ ادَّعَى كَثِيرُونَ مِنْ يَقُولُونَ  
بِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ أَنفُسَهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ مَعْجَزًا مِنْ حَيْثُ بَيَانِهِ ، بَلْ بِأُمُورٍ أُخْرَى كَالصَّرْفَةِ  
أَوْ الْإِخْبَارِ بِالْغَيْبِ . وَإِنِّي لَا أَتَفِي بِهَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَفَاخَرُونَ بِالْبَيَانِ وَيَحْتَفِلُونَ  
بِنَبُوغِ شَاعِرٍ أَوْ خُطِيبٍ ، وَلَكِنِّي لَا أَرَى أَنَّ الزَّمَانَ قَدْ رَجَعَ فِي الْبَيَانِ الْعَرَبِيِّ  
الْقَهْرِيِّ فِي عَهْدِ عِزِّ الْعَرَبِ الْإِسْلَامِيِّ .

وَرَبَّمَا فَهَمُّ مِنْ هَذَا مِنْ لَا يَقُولُ بِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ مِنْ الْوَجْهِ الْبَيَانِيِّ ، أَوْ مِنْ بِنْيِ  
الْفِكْرَةِ مِنْ أُسَاسِهَا ، أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ إِلَّا طَوْرًا مِنْ أَطْوَارِ النَّثْرِ الْعَرَبِيِّ ، وَأَنَّهُ  
فَوْقَ النَّثْرِ الْجَاهِلِيِّ وَدُونَ النَّثْرِ الْعَبَّاسِيِّ مِنْ حَيْثُ الْفَنُّ وَالْمُرُونَةُ وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْإِدَاءِ .  
وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ وَلَا أَقْصَدَهُ . ذَلِكَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ فِي تَارِيخِ الْأَدْبِ الْعَرَبِيِّ قَائِمٌ  
بِنَفْسِهِ ، لِأَنَّهُ فَنٌّ فِي بَيَانِهِ . وَيَكْفِي لِإِدْرَاكِ تَفَوُّقِهِ أَنْ يَكُونَ النَّاقِدُ قَدْ  
اسْتَوْفَى حِظَّهُ مِنَ الذُّوقِ الْأَدْبِيِّ النَّثْرِيِّ ، فَيُقَارَنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَصِّ أَدْبِيٍّ آخَرَ لِيُشْعَرَ  
بِالْفَرْقِ الْحَسُّوسِ بَيْنَهُمَا ، ذَلِكَ الْفَرْقُ الَّذِي جَمَلُهُ مَعْجَزًا رَائِعًا ، وَالَّذِي يَرْجِعُ  
إِلَى أَسْبَابِ مَا ذَكَرَهَا فِي حِينِهَا .

وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ وَالْأَدْبَاءُ الْقَائِلُونَ بِالْإِعْجَازِ ، حَتَّى الَّذِينَ لَمْ يَقُولُوا مِنْهُمْ بِإِعْجَازِ

القرآن من الناحية البيانية ، على أنه جاء من الفصاحة بالدرجة التي لا تبارى .  
وأضاف القائلون بإعجازه البياني الى ذلك أنه كان بهذا معجزة الرسول الخالدة .  
ويضيف أكثر هؤلاء الى ذلك بأنه معجزة لكل الأمم ولكل العصور . وحجتهم  
على ذلك أن العرب يومئذ قد ملكوا ناصية البيان فإذا كانوا عاجزين عن المحيي  
بمثله فغيرهم أعجز .

وقد أشرت الى هذا الرأي القائل بأن العصر الجاهلي هو أكثر عصور الأدب العربي  
ازدهاراً ولم آخذ به . وبهذا تسقط هذه الحجة الأخيرة برغم أن الرأي الذي  
تريد دعمه صحيح عندي ، ويؤيده مقارنته بما في أديبنا من نصوص أدبية .  
والحقيقة الزاهنة في تاريخ القرآن أن أحداً لم يوفق إلى مغارضته مغارضة  
ناجحة . ومن حاول ذلك لم يستطع المحيي بمثله بياناً ، وسخّنه العلماء والأدباء ،  
ووجدوا أنه جاء بالمدفوع الساقط الذي لا يمكن أن يقاس بالقرآن فضلاً عن  
أن يجاريه .

وإذا تركنا الإيمان الديني جانباً ، وأردنا أن نعلل ذلك بالمنطق ، رأينا أن  
ذلك كان لضعف الشعور النفسي لدى الأدباء بالقياس الى الشعور النفسي لدى  
النبي وبدلنا على شدة هذا الاحساس في نفسه ما كان يعاينه حين هبوط الوحي  
على نفسه الشاعرة المتعمقة من الدهول عن الناس وتصبب العرق والتعب .

وإذا رجعنا الى الاعتبار الديني كان فيض هذا الشعور النفسي الديني لدى النبي  
أمثل وأقوى في أذهاننا ، سواءً أكنامع القائلين من علماء المسلمين بأن معاني  
القرآن منزلة وأن اللفظ من النبي ، أو مع القائلين بأن القرآن بمعناه ولفظه وحى  
من الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقد اتفق كل من كتبوا في الإعجاز - الذين سنرى آراءهم بالتفصيل - على  
أن القرآن معجزة وأنه دليل النبوة ، بل قال الباقلاني - وسنرى ذلك - أن

الذهاب عنها كالذهاب عن الضروريات والشك في المشاهدات ، ولكنهم اختلفوا في أسباب اعجازه .

لم يفتتح العلماء القول بأن القرآن معجز ، فإن آيات التحدي التي فيه تثبت أن دعوى الإعجاز كانت تساير نزول الوحي ، وسيأتي ذكر هذه الآيات . وإلى جانب آيات التحدي هذه نجد القرآن يصف نفسه بأنه برهان النبوة ودليلاً في عدة مواضع . منها قوله في سورة العنكبوت : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذن لا يردك المبطلون » فجعل أمية النبي مع إتيانه بالقرآن دليلاً على النبوة . وقوله في سورة البقرة : « وكذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » . وقوله في سورة الحج : « وكذلك أنزلناه آياتٍ بينات وإن الله يهدي من يريد » . وقوله في موضع آخر : « أو لم يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » .

فانضح أن هذه الآية قد عدت القرآن معجزة للنبي بمنزلة معجزات غيره من الأنبياء .

وذكر السيوطي (الانفان ج ٢ ص ١٩٧) أن النبي (ﷺ) قال : « ما من الأنبياء نبي أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » - أخرجه البخاري .

ويقول العلماء ان القرآن وحده معجز دون غيره من الكتب السماوية ، لأنها لا تدل على أنفسها إلا بأمر زائد ووصف مضاف إليها ، لأن نظمها ليس معجزاً ، وإن كان ما يتضمنه من الإخبار عن الغيوب معجزاً ، وليس كذلك القرآن لأنه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها في أن نظمه معجز . (البانلاني ، إعجاز القرآن ص ١٧) .

ولا ريب في أن القرآن أدهش العرب لما سمعوه . وذلك لما وجدوه فيه

من سحر البلاغة والتأثير في النفوس ، سواءً المنكرة له أو المؤمنة به . ولهذا حار المشركون في وصفه وخافوا من أن يستميل اليه قلوب مستمعيه منهم ، فصاروا يصدّون عنه وبتأون عنه ، ويصفونه مرة بأنه شعر ، ومرة بأنه سحر ، ولم يستطع فصحاؤهم إنكار روعته في النفوس وتغلغله في القلوب .

ذكر السيوطي في الإيقان [ أن الحاكم أخرج عن ابن عباس أنه قال : « جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي (ﷺ) فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له . فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : يا عم ! إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاّ ليعطوكه ، لئلا تأتي محمداً لتعرض لما قاله . قال : قد علمت قريش أنني من أكثرها مالاّ . قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له . قال وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلادة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لثمر أعلاه مغدق أسفله ، وأنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وإنه ليطعم ماتحته . قال : لا يرضى عنك قومك حتى نقول فيه . قال : فدعني حتى أفكر ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر - يؤثره على غيره - .

وقد ذكر القرآن هذه القصة في سورة المدثر فقال : « ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالاّ ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ، كلاّ إنه كان لآياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا . إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدير واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ، مأسليه سقر » . ونرى في القرآن أيضاً ما يدل على ثقته بأثره البالغ في نفوس سامعيه من المشركين والمؤمنين فقد قال : « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » . وقال حكاية عن المشركين أنهم قالوا : « لا تسمعوا

لهذا القرآن والشعور فيه لعلمكم تغلبون» . وقال : «الله نزل أحسن الحديث ، كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلتين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله» . وقال أيضاً : «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأبته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» . ويظهر أن زعماء المشركين لما رأوا شدة تأثير القرآن في نفوس سامعيه أخذوا يتجافون عن سماعه ، ويمنعون ضعفاءهم وضعفاءهم من الإصغاء اليه ، وبمعتونه بصفات مختلفة ، غرضهم منها أن يبينوا أنه ليس من عند الله وإنما هو من صنع البشر ، إنكاراً لفكرة الرسالة . فقالوا «إنه أساطير الأولين اكتبها فهي تتلى عليه بكبر وأصيلاً» . وقالوا : «إنما يطمعه بشر» . وقالوا : «إنه افتراء وأعاناه عليه قوم آخرون» . وقالوا «أضغاث أحلام» . وقالوا «ما هو الا بشر مثلكم يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم» . وقالوا «ما أنزل الله على بشر من شيء» . وقالوا : «إن النبي مجنون» . وسجل القرآن بكل أقوالهم هذه في كثير من سوره ، ودافع عن هذه التهم فقال في تهمة الشعر : «وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من كان حياً ويحقي القول على الكافرين» وقال في تهمة الافتراء : «أم يقولون افتراء ، قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً ، هو أعلم بما تفيضون فيه ، كفى به شهيداً بيني وبينكم ، وهو الغفور الرحيم» .

فلما نبى عليهم ضعف عقولهم ، واسترسالهم في أهوائهم ، قالوا : «إن ما أتى به مشبه لما يأتي به شعراؤنا وخطباؤنا فأتى بالقرآن تفصيلاً بحسب المناسبات مثلهم فلم لا تأتي بالقرآن جملة واحدة : «وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلاً ، ولا بأقونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً» . وظلوا منه أيضاً أن يخبر القرآن

أو يبدله : « وقال الذين كفروا أنتَ بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصبت ربي عذاب يوم عظيم » .

ولم يكونوا يقصدون من كل هذه الحملات على الرسول والقرآن إلا إنكار الرسالة ومناهضة النبي . فلما لفتهم إلى مواطن الخير الذي يدعو إليه القرآن ، وإلى تذكور روعته التي لم يستطيعوا إخفاء أثرها فيهم ، قالوا نحن قادرون على مثله . وفي ذلك يقول القرآن : « وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قالوا قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين » .

وأمام هذا التحدي منهم كان لا بد للقرآن من أن يعيدهم علانية وبقوة ، ليبيّن أنه معجزة النبي الصم . فأبات التحدي كانت مناسبتها وأسباب نزولها هذه الحملة منهم على القرآن وتكذيبهم للرسول . ذكر ذلك الألوسي أثناء تفسيره آيات التحدي في سورة الإسراء ، وسورة هود ، وسورة البقرة . فقد قال في سبب نزول سورة الإسراء : « فقد روي أن طائفة من الأولين قالوا : أخبرنا يا محمد بهذا الحق الذي جئت به ، أمحق من عند الله تعالى ؟ فإننا لا نراه متناسقاً كتناسق التوراة . فقال ( ﷺ ) لهم : أما والله إنكم لتعرفونه أنه من عند الله تعالى . قالوا : إنا نجيثك بمثل ما تأتي به فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقبل هذه الرواية يقول الألوسي إن في هذه الآية ردّاً لليهود أو قريش في زعمهم الإتيان بمثله . ويقول في رواية أخرى إن جماعة من قريش قالوا له ( عليه الصلاة والسلام ) جئنا بأية غريبة غير القرآن فإننا نحن نقدر على المحي . بمثله ، فنزلت . وقال لعلّ مرادهم بهذه الآية الغريبة ما تضمنه من الآيات . بعد وهي قوله تعالى : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . . الخ » .

وأما سبب نزول آية سورة هود فقد ذكر في القرآن في الآية التي قبلها :

« فلعلك تارك بعض ما يوحي اليك وضائق به صدرك ، أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، إنما أنت نذير ، والله على كل شيء وكيل . أم يقولون افتراه » وقال الألويسي : وقيل القائل لكل عبد الله بن أمية المخزومي . وقال في آية سورة البقرة : « سبب النزول كما روى ابن عباس رضي الله عنهما أنهم قالوا : هذا الذي بآئتنا به محمد لا يشبهه الوحي وإنما لي شك منه » . وقد وقع التحدي في عدة آيات من القرآن : آية وردت في سورة يونس وهي : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأنهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » .

وآية في سورة هود وهي : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ، إن كنتم صادقين » . وآية في سورة البقرة وهي : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ، إن كنتم صادقين » . وآية في سورة الطور وهي : « أم يقولون تقوله ، بل لا يؤقنون ، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » .

وآية في سورة الإسراء وهي : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » . أما ترتيب هذه الآيات من حيث النزول فقد اختلف فيه . وأكثر علماء التفسير والبلاغة يجمعون على أن القرآن تحداهم أولاً في أن يأتوا بمثل القرآن ، وذلك في آية سورة الطور ، فلما عجزوا تحداهم في أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وذلك في سورة هود . فلما عجزوا تحداهم بسورة مثله في سورة يونس . ثم كرر نفس التحدي بنفس المقدار في سورة البقرة حيث جزم بأنهم لن يستطيعوا .

ثم سدت عليهم منافذ القول في آية سورة الإسراء حيث قال : « قل لئن اجتمعت  
الإنس والجن ٠٠٠ الخ » . وذكر هذا الترتيب السيوطي ( في الاتقان ج ٢  
ص ١٩٨ ) والفخر الرازي ( في التفسير الكبير ) والرافعي . وقال صاحب الطراز  
( ج ٣ ، ص ٣٢٠ ) : « إن التحدّي وقع على ثلاث درجات ، الأولى بمثل  
القرآن كله في سورة الطور والإسراء ، والثانية بعشر سور في سورة هود ،  
والثالثة بسورة واحدة في سورتي البقرة ويونس » .

وقال الألومي إن الكثير على أن التحدّي بعشر سور وقع قبل التحدّي بسورة ،  
ولم يذكر مواقع الآيات الأخر في ترتيب آيات التحدّي . وكذلك فعل صاحب  
الكشاف . وذكر الألومي أيضاً قول ابن عباس في أن القرآن حينما تحدام  
تخدام بعشر سور معينة هي العشر الأولى الموجودة في ترتيب القرآن الحالي ،  
وذكر اعتراض أبي حيان في أن هذه السورة مكية فكيف نصح الحوالة على  
ما لم ينزل بعد وقولته : إن هذا لا يصح عن ابن عباس .

وذكر الألومي ذهاب ابن عطية والمبرد إلى أن التحدّي بسورة وقع قبل التحدّي  
بعشر سور أي أن آية سورة يونس وآية سورة البقرة نزلتا أولاً ثم نزلت آية  
سورة هود . وذكر في تبرير ذلك ما قاله ابن الضريس نقلاً عن ابن عباس  
في أنه تحدام بسورة مثله في البلاغة والاشتمال على الغيب والأحكام ، فلما عجزوا  
تخدام بعشر سور مثله في النظم . وقال إن صاحب الكشاف ضعف هذا الرأي  
وإنه لا يطرد في كل سورة من سور القرآن . وهب أن السورة متقدمة  
النزول إلا أنها لما نزلت على التدرج جاز أن تتأخر تلك الآيات عن هذه ولو  
تقدمت سورتها وأبد الشهاب رأي المبرد في أن التحدّي كان أولاً بسورة ثم بعشر .  
ونحن إذا رجعنا إلى ترتيب السور التي فيها التحدّي في القرآن كما جاء به  
السيوطي ( ص ١٥ ج ١ من الاتقان ) رأينا أن سورة الإسراء نزلت أولاً

ويتلوها سورة هود ثم سورة الطور ثم البقرة، والثلاث الأولى مكية. ثم يذكر في استثناءات الآيات المدنية من السور المكية رأياً مآله أن آية التحدي في سورة الإسراء مدنية. وبهذا تكون آية سورة هود وفيها التحدي بعشر سور قد نزلت قبل آية الطور وفيها التحدي بمثل القرآن. وهذا يخالف ترتيب الجمهور الذي ذكره هو في الجزء الثاني من الإيقان وأثبت به آتفاً.

وإذا رجعنا إلى ترتيب السور لدى صاحب الكشاف نجد عنده نفس ترتيب السور لدى صاحب الإيقان، إلا أنه لا يذكر أن آية سورة الإسراء مستثناة. وبهذا يكون التحدي بحسب صاحب الكشاف قد وقع أولاً بمثل القرآن، ثم بعشر سور، ثم بمثل القرآن، ثم بسورة.

وإذا رجعنا إلى ترتيب تولد السور نجدها عنده على الترتيب التالي: سورة الطور ثم الإسراء ثم هود ثم البقرة، ولم يذكر استثناءات الآيات المدنية من المكية. فإذا اعتبرنا استثناء آية التحدي من سورة الإسراء المكية صحيحاً فجعلناها مدنية وأخرناها في الترتيب عن آية سورة البقرة وصلنا إلى رأي الجمهور في الترتيب بحيث يكون التحدي وقع أولاً بمثل القرآن في سورة الطور ثم بعشر سور في هود ثم بسورة واحدة في يونس والبقرة، ثم يقطع أمل الأئمة والجن في التحدي في سورة الإسراء.

ولا شأن لهذا الاختلاف في ترتيب آيات التحدي إلا إثبات أن القرآن قد تحدى العرب بما يستدعيه المنطق من التحدي بالأصعب فالأسهل. فإذا أخذنا في تفسير بعض الآيات بما يقول به بعضهم من أن المقصود من ذكر المقدار ليس التحديد والعدد وإنما هو مجرد الإتيان بمثله، لم يكن لهذا الترتيب قيمة منطقية أو عملية. والواقع أن هذا التحدي قد وقع فعلاً، وأن مسألة الكم لم تكن مقصودة، لأن مقتضى الحال لم يكن يستدعي هذا التحديد في المقدار.

ومن قال بهذا الرأي الشهاب الخفاجي . ويؤيده أن آية سورة الإسراء ، وهي آخر هذه الآيات في الترتيب لم تذكر بها مسألة الكم بل قيل فيها : « على أن يأتوا بمثل هذا القرآن » والمثل هنا ينطبق على القليل والكثير منه وعليه كآته .

فإذا أخذنا بهذا الاعتبار ، وهو أن الكم لم يقصد في هذا التحدي ، وإنما قصد الكيف ، جنبنا أنفسنا عناء البحث في الترتيب الصحيح الدقيق لهذه الآيات ، ولا سببا إذا لاحظنا أن ترتيب الآيات في سورها ليس دقيقاً ومرتبباً بحسب تاريخ النزول على الصحيح فقد روي أن النبي كان إذا نزلت الآية يقول لأصحابه ضعوها في مكانها من سورة كذا .

وبعض المدني يحتوي المكسي وبالعكس . فالمسألة لا تعتمد على العقل ، وإنما مآلها النقل . ولا يمكن الاعتماد عليه الى حد كبير . فقد كثر الاختلاف فيه كما قلت فيه الدقة . وكذلك لا يمكن أن نستدل من قصر الآيات وطولها وأسلوبها على هذا الترتيب ، لأن بعض الآيات المكية أسلوبها مدني وبعض الآيات المدنية أسلوبها مكّي ، ولأن قصر الآيات وطولها يتبع الفكرة وتأنجج العاطفة لا مكان النزول وتاريخه .

هذا وقد أدت بحث العلماء في التدرج في التحدي من حيث الكم في القرآن الى مقدار المعجز منه ، واختلفوا في ذلك . والجمهور على أنه مقدار أصغر سورة وهي سورة الكوثر . واعترض عليهم بعض الباحثين في ذلك . وذكرت في المسألة أقوال كثيرة لا مجال لذكرها هنا . وأوجهها أن مقدار المعجز - ان صح - أن له مقداراً ولم يقصد به الروح العامة المنبثقة في القرآن دون نظر الى الكم - هو مقدار ما يؤدي فكرة كاملة . فربما نقص عن مقدار سورة الكوثر كآية : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » وربما زاد عنها كثيراً ، أو كان آية واحدة كآية الدين .

وقد اختلفوا في عصر التدوين أيضاً فيما هو المحجز من القرآن وذهبوا فيه مذاهب شتى سيأتي الكلام عليها . والصحيح أن النبي أطلق التحدي ولم يعينه كما لم تفسره الاحاديث النبوية . وأقوم الوجوه في بيان هذا التحدي هو ما يمكن أن يفهمه العربي في تلك البيئة التي أوحى فيها القرآن وما كان متناسباً مع مقتضى حال النبي معهم . وهو أن يأتوا بما هو مثل القرآن في كل شيء كما يستفاد من لفظ المائلة ويشمل ما في القرآن من بيان وأسلوب وفكرة وعاطفة متأججة وخيال وحسن معرفة في مخاطبة النفس - حتى لكان الروح تخاطب الروح - وما فيه من علم وأخبار عن الماضي والمستقبل . وهذا كله مما تعجز مؤهلاتهم وثقافتهم عن مثله .

هذا وقد وقع التحدي اليهم مبكراً . وظل النبي بين ظهرانيهم يدعوهم الى الاسلام ثلاثاً وعشرين سنة . ونزلت آيات التحدي في فواصل زمنية متباعدة . فلا يمكن أن يكون لم يبلغهم كما زعم بعض من أنكروا إعجاز القرآن ، كما لا يتأتى ألا يفهم العرب ما هو وجه التحدي المقصود كما زعم آخرون ، لأن النبي كان بينهم وكان في استطاعتهم أن يسألوه عما غمض عنهم ثم يتحدثوه إن استطاعوا .

وأجمع المؤلفون على أن العرب كانوا من الحمية والألفة بحيث لا يقبلون مثل هذا التحدي ، وأن أسبابهم من حيث الفصاحة والبيان والرغبة المناهضة كانت كافية لأن يجدوا في القول سعة لو استطاعوا . واعتقاد بعض المؤلفين أن العرب قد ملكوا أعنة القول البليغ ولم فيه القدرح المعلنى جعلهم يقولون بالصرفة أي بأن الله أقدمهم القدرة على المعارضة أو سلبهم العلوم التي يمكن أن تعينهم على نظم كلام مضارع للقرآن . ورد آخرون من العلماء على أن ذلك ليس في طوقهم لأنه ليس في كلامهم السابق للقرآن واللاحق له ما يصح معارضته

بالقرآن من حيث خصائصه ومميزاته المعنوية والفنية ولو وجد لرأيناه في أشعارهم .  
 وقال بعضهم بأن هذه المعارضة ربما وجدت ولكن المسلمين أهملوها وأخفوها .  
 وأجيبوا بأنه لو وجدت معارضة يصح أن تساوي القرآن وتقاربه لاشتهر أمرها ،  
 ولقضت على سلطان القرآن ، وأثبتت كذب صاحب الدعوة في تلقيه الوحي ،  
 ولكان لها من القيمة أضعاف ما للقرآن . والأقرب للصواب أن يكون  
 العرب قد حاولوا معارضة القرآن فما استطاعوا وجاؤوا بما هو دونه بمراحل .  
 وفي تاريخ السيرة النبوية ذكر بعض من ادعوا النبوة وحاولوا مناهضة النبي  
 في السلطة والسياسة والوصول الى ما وصل اليه ، في حياته وبعد وفاته ، وأن  
 بعضهم حاول نظم قرآن شبيه بالقرآن ليشرع فيه للناس ما يرى تعديله من  
 شريعة النبي وليؤيد نبوته بمعارضة القرآن .

منهم مسيلمة بن حبيب الكذاب . تنبأ بالجماعة في بني حنيفة على عهد الرسول  
 بعد أن وفد عليه وأسلم . وكتب اليه في سنة عشر من الهجرة : « أما بعد  
 فأني قد شوركت في الأرض معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها  
 لكن قریشاً قوم يعتدون » وقد ادعى مسيلمة أن له قرآناً من السماء يأتيه  
 من ملك يسمى « رحمان » ومن قرآنه الذي رواه له المؤلفون قوله : « والمبذرات  
 زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحنماً ، والماجنات  
 عجيناً ، والمخايزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاقيات لقيماً ، إهالةً ومسمناً ، لقد  
 فضلتكم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر آووه ،  
 والباغي فناوئوه » . ومنه أيضاً : « إنا أعطيتك الجماهر ، فصل لربك وجاهر ،  
 ولا تطع كل ساحر » . ومنه : « والشاء وألوانها ، وأعجبها السود والبانها ،  
 والشاة السوداء ، واللبن الأبيض ، إنه لعجب محض ، وقد حرم المذق ، فما لكم  
 لا تتمعنون » . وقوله أيضاً : « الفيل ما الفيل ، وما أدراك ما الفيل ، له ذنب

وييل ، وخرطوم طويل » . وقوله : « يا ضفدع يا بنت ضفدعين ، نقي ما تنقنين ، نصفك في الماء ونصفك في الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين » . ومنهم طليحة بن خويلد الأسدي . تنبأ زمن النبي بعد أن وفد عليه وأسلم . وكان يزعم أن ذا النون يأتيه بالوحي -- وقيل بل يزعمه جبريل -- ولكنه لم يدع لنفسه قرآناً بل كلات يزعم أنها أنزلت عليه . قال الرافي : « ولم نظفر منها بغير هذه الكلمة رأيناها في معجم البلدان لياقوت وهي قوله : « إن الله لا يضيع بتعفير وجوهكم وقبح أديباركم شيئاً ، فاذكروا الله قياماً ، فان الرجوة فوق الصريح » .

وذكر الرافي ( هامش ص ١٨٢ من كتابه الإعجاز ) أن عيينة قال لطليحة أثناء حربه مع خالد بن الوليد : ما قيل لك ؟ قال : « إن لك رحي كرحاه وأمرأ لا تنسأه » فقال عيينة : « قد علم الله أن لك أمرأ لا تنسأه ، يا بني فزارة ! هذا كذاب ما بورك لنا وله فيما يطلب » . وفي معجم ياقوت أن عيينة قال له : « هل جاءك ذو النون بشيء » قال نعم قد جاءني وقال لي : « إن لك يوماً ستلقاه لبس لك أوله ولكن لك أخراه ورحى كرحاه وحديثاً لا تنسأه » ، وانهمزم طليحة ولحق بنواحي الشام وأسلم بعد ذلك وكان له في وقعة القادسية بلاء حسن .

ومنهم مجاح بنت الحارث التميمية . وتنبأت بعد وفاة الرسول . وتزوجت مسيلمة . ولم تدع قرآناً . وإنما كانت تزعم أنه يوحى إليها فتأمر وتسجع ، كقولها حين توجهت نحو مسيلمة : « عليكم باليامة ، ودفقوا دفيق الحمامة ، فإنها غزوة صرامة ، لا بلحقكم بعدها ملامة » .

وفي رواية صاحب الأغاني أنه كان فيما ادعت أنه أنزل عليها : « يا أيها المؤمنون المتقون ، لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً قوم يبغون » . وهي كلمة ذكرت لمسيلمة أيضاً وقد مرت آنفاً .

وممنهم عهيلة بن كعب ، الملقب بالأُسود العنسي . تنبأ باليمن قبل وفاة الرسول .  
 وليس له قرآن . وقتل بعد وفاة الرسول .  
 ومنهم النضر بن الحارث . ولم يدع النبوة ولا الوحي . ولكنه زعم أنه  
 يعارض القرآن . فلُفَّق شيئاً من أخبار الفرس وملوك العجم وبالغ بها فجعلها  
 خوارق ، لأنه جاء بأخبار يبطلها العرب . ولم يبطل الأدباء والمؤرخون  
 كثيراً بأخباره .

وإذا تأملنا هذا القرآن الذي جاء به مسيلمة والأُسود العنسي وجدناه ركيكاً  
 ساقطاً ، ووجدنا بعضه قرآن معدة كما يقول الرافعي . ولا ندرى أكان كل  
 هذا القرآن كذلك أم كان فيه أجود منه ونسي أو تنومى ، كما لا ندرى  
 إذا كان لها حقيقة ولم يكن مفترى عليها . فمن المحتمل أن يكون بعض  
 المسلمين قد وضعوه للتندرّ والتهمك ، كما وضعوا حديث اجتماع مسيلمة مع  
 منباج حين زواجه بها وما قاله من الأشعار في حلفه معها وزواجه منها .  
 وعلى كل حال فمن المرجح ، إذا لم يكن من المؤكد ، أن هذه المعارضة  
 الصالحة لو وجدت لفضت على مكانة القرآن وزعزعت مراكز النبي السيامي والذبي ،  
 ولاشتمرت اشتمار القرآن أو كانت هي الأشهر ، ولتداول المشركون الحديث  
 عنها خلفاً عن سلف . فلم يكن هنالك إذن من معارضة قيمة حقيقية .

أما ما لقيه أولئك المتنبئون من تأييد قبائلهم فراجع الى طموح هؤلاء المنبئين  
 السيامي وطموح قبائلهم وعصبيتها ، ومناقشتها قريشاً كما يظهر من أقوالهم السابقة ،  
 أو مناقشتها الأنصار ، رهط النبي ، لأن السلطة آلت زمن انتصاره في أواخر  
 حياته الى هذين الفريقين : قريش والأنصار . والعامل في حركاتهم الطمع  
 المادي الاقتصادي .

فالأرجح إذن أن يكون القرآن قد سدَّ بيلاغته على العرب مجال التفكير

في هذه المعارضة ، فأدركوا في سريرتهم عجزهم ، وأسروا هذا العجز ، ورجعوا الى نعمة الحملة على القرآن بأنه محض اقتراء ، وأن صاحب الرسالة كذاب ، ليخفوا وراء هذا الكلام عجزهم ، وانصرفوا - كما يقول العلماء - عن الحرب الكلامية الى حرب السيف والرمح ، واعتذروا عن عدم اتباع آراء النبي في الدين بالمحافظة على عاداتهم وديانتهم القديمة ، فقالوا : «أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون» و « ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين » وانتهت هذه المعركة بين العرب والقرآن بأن سجل هزيمتهم النهائية في باب البيان فقال في سورة الإسراء : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

يلخص الجاحظ هذه المعركة الكلامية بقوله ( دلائل الإعجاز الجرجاني ص ٢٩٨ ) « ولو أن رجلاً قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها ، ولو تحدى بها أبلغ العرب لا يظهر عجزه لغاً ولفظاً » وبقوله الذي ذكره صاحب الإيقان ( ج ٢ ص ٢٠٠ ) : « بعث الله محمداً عليه الصلاة والسلام أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً وأحكم ما كانت لغةً وأشد ما كانت عُدَّةً ، فدعا أقصاها وأدناها الى توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة . فلما قطع العذر وأزال الشبهة ، وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية ، دون الجهل والخيرة ، حملهم على حطهم بالسيف وهو في ذلك يحنج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباحاً ومساءً الى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة أو آيات يسيرة . فكلما ازداد تحدياً لهم بها وتقرباً لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستوراً ، وظهر منه ما كان خفياً . فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف ، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال فها توها مفتريات .

فلم يرم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولا طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عنه ويكابر فيه ويؤمن أنه قد عارض وقابل وناقض .

فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستجابة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمتهم ، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله وأفسد لأمره وأبلغ في تكذيبه وأمرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وإنفاق الأموال . وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات . ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار المعجزة ، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنشور ، ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن ظهر عجز أدناهم . فحال أكرمك الله أن يجمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقربع بالنقص والتوقيف على العجز ، وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيّد عملهم وقد احتاجوا إليه ، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض ، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة . وكما أنه محال أن يطبقوه ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة ، فكذلك محال أن يتركوه وهم يرفرونه ويمجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه .

\* \* \*

نعيم الحمصي

( يتبع )



## التعريف والنقد

العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين

تأليف محمد المنوفي

أخرج هذا الكتاب «معهد مولاي الحسن» وطبع في المطبعة المهدية بتطوان .

وهو يقع في ما يزيد على ثلاث مئة صفحة . جيد الورق ، حسن الطبع .

قدّم الكتاب الأستاذ عبد الله جنون بمقدمة قال فيها : «عجبت الأستاذ

المنوفي على موضوعه ، ولم يتناوله من ذبوله ولا من أطرافه . بل قصد الى اللب

والصميم . وترك اللف والدوران . وان كان قد قدم بين يديه مقدمات فانها

ما يرتبط بمادته تمام الارتباط . ثم هو قد رتبته ترتيباً طبيعياً فتناول العلوم

ثم الآداب ثم الفنون . وهذه أيضاً تناولها بالنظام الكامل ، والترتيب الواجب

اتباعه في كل منها . فالسلسلة متتابعة الحلقات ، والأفكار متسلسلة لا يجد

القاري أدنى عنت في الربط بينها ، انها في ذلك النظام والترتيب لغزبه بالمطالعة

والاسترسال في القراءة حتى يفرغ من كل بحث وقد أحاط به .»

وهذه كلمة صادقة ، في هذا الكتاب القيم ، تصفه أحسن وصف .

يتناول المؤلف في كتابه «طابع دولة الموحدين ، والمؤثرات التي أثرت في

نهضة المعارف على عهد الموحدين ، وازدهار المعارف بالمغرب . ومعاهد التعليم

وأصوله : المدارس - الجوامع - التعليم الاجباري - كتب الدراسة . ثم الجامعات

العلمية : مجامع الخلفاء - مجامع الأمراء .»

ووصف قيام دولة الموحدين فقال : «كأن حالة العالم الاسلامي في الوقت

الذي قامت فيه دولة الموحدين لا تبعث على الاطمئنان . فالدولة العباسية بالعراق ؛

ودولة الفاطميين بمصر بلغنا الى طور الحرم المزم الذي لا يقام بعده . ودولة المرابطين بالمغرب ، كانت كافرة بحسبة في نظر المهدي بن تومرت : مؤسس دولة الموحدين . . . .

وكان ابن تومرت هذا قد ساح في الشرق وأخذ عن الغزالي ، وابي بكر الشاشي ، وابن عبد الجبار ببغداد ، وعن ابي بكر الطرطوشي بمصر . وفي المغرب حيث قرأ على ابن حمدين بقرطبة من الأندلس . وعابن حضارة هذه البلاد التي ساح فيها وتشبع بأفكار أهلها عامة ، وبخاصة أساتذته ، وبصفة أخص الغزالي . وأدرك خطر الحالة التي عليها العالم الاسلامي ، وقدر ان علاجها ليس في تأسيس امارة او مملكة ، بل في انشاء خلافة اسلامية عامة ، تضم تحت لوائها العالم الاسلامي بكامل حدوده ، وتتولى زعامتها الدولة الموحدية ، ولأجل أن تؤدي هذه الدولة مهمتها احق تأدية أراد ابن تومرت ، ومؤسسوها من بعده : ان تكون حضارتها مطبوعة بطابع العظمة والدين والتجديد في سائر مظاهرها . . . .

ويعني المؤلف فيبين عمل دولة الموحدين في هذه النواحي الثلاث ، بالوقائع يسردها ، والأمثال يضررها . من تأسيس المستشفيات والمدارس ودور الكتب العامة ودار الضيافة ، وما كان لهم من عمل في الحرب والادارة ، وما انتشر على عهدهم من العلوم والآداب والفنون ، وما استقدموا من أجل ذلك من علماء ، ألفوا الكتب ، وعقدوا مجالس المناظرات والمحاضرات . واجزلوا للمشتغلين والمجاهدين الجوائز والأعطيات . فاجتمع في دولتهم من رجال العلم في مختلف فروعه : من فقه ولغة وطب وهندسة ، ما قل أن اجتمع لغيرهم مثله . وكانت لهم مدرسة لتخريج العمال ومدرسة لتعليم فن الملاحة . . . .

يقول : « وكانت العادة ان لا ينتصب للتدريس في الجامعات الكبار الا من انتهت اليه المهارة في العلم والدين في وقته . . . . وكان التلاميذ يمرتون على انواع الرياضات . . . . تأثروا بالغزالي : شيخ امامهم ابن تومرت ، في شيء

غير قليل من تلك الأنظمة ، فانهم قلده في ادماج الرياضة في مناهج التعليم ، هذه المسئلة التي أهملت بأوروبا في القرون الوسطى ، وأحيائها الموحدون تبعاً للغزالي الذي يقول في الاحياء : - ويعود الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل . . . . . وينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعباً جميلاً يستريح اليه من تعب المكتب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فان مننع الصبي من اللعب ، وارهاقه الى التعليم دائماً يمت قلبه ، ويبطل ذكائه ، وينغصص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً - وانهم كانوا يرمون بهذا الى قرن الخدمة العسكرية والتمرين في فنون الحرب بالتعليم ، ذلك انهم كانوا ينجشون ان يؤدي الانقطاع للعلم والدرس ، الى اضعاف الهمم وفتور الحماسة الحربية . . . » .

ثم يذكر المؤلف : ما كان للموحدين من اثر في تعليم النساء ، وبعده الشهيرات منهن ، وبأبي بقطع من شعرهن ونثرهن .  
ثم يعود الى العلوم : الدينية ، واللسانية ، والعقلية ، والتاريخ ، والجغرافية ، وما يتعلق بها ، ويتصل اليها بسبب ، فيتكلم عليها ، ويذكر ما كان من ارتقائها وتقدمها في عهد الموحدين .

ثم ينتقل الى الآداب فينوتها بنهضتها ومميزاتها ، وبعده اسماء بعض النابهين في ذلك العهد . ويعزز بحجته بطائفة من بليغ التوقيعات والخطب والمراسلات والمنظومات . ويختم بحوثه بـ « الفنون ونهضتها والصناعات والذخائر والآثار والبناء من قصور وجوامع ودور وحمامات وخانات ، ومصانع للسفن والسلاح والورق والمعادن الى أمثال هذه الأمور الحيوية ، والموضوعات القيمة التي لا يستغني عن الوقوف عليها معني<sup>١</sup> بالعرب والاسلام وتاريخهم ، ولا سيما تاريخ المغرب .  
والكتاب صحيح العبارة سهلها .

فدشكر المؤلف جهده ، ولعهد مولاي الحسن عنايته بالعرب وحضارتهم وتاريخهم .

## محنة في الفردوس كشمير

تأليف نور الدين داود

طُبِعَ هذا الكتاب في مطبعة المعارف ببغداد، واهداه مؤلفه السيد نور الدين داود «إلى المظلومين الذين افتقدوا حق تقرير المصير، إلى المجاهدين في سبيل الحرية والعدالة وحق الإنسان وكرامته ٠٠» والكتاب يتناول قضية كشمير، وما يعانيه أهلها «المضطهدون المظلومون بحكمهم غرباء عن جنسهم أعداء ثقافتهم وعقائدهم وتقاليدهم ومقدساتهم» .

ويبدأ المؤلف كتابه بـ «الموضع الجغرافي» فيصف كشمير، ومناخها، وسكانها، وأصلهم، وتقسيماتها الإدارية، ومواصلاتها، وزراعتها، وصلتها بالعالم الخارجي . وفي هذا البحث يذكر علاقة كشمير بالعرب، «وان أول غزوة قاموا بها إلى الهند أبلغت العرب تخوم كشمير ٠٠٠ وان حميد بن سامد أول من أنشأ المساجد في كشمير ونشر الاسلام فيعتبر أول مسلم بدخل كشمير وذلك بين سنة ٨٦ و ٩٦ هـ (٧٠٥ - ٧١٥ م) .

ويقول الدكتور صوفي في كتابه «كاشير» ان قبائل «البامباس» التي تقطن على الضفة اليمنى من نهر «جيلوم» في كشمير تدعي بأنها منحدرة من سلالات أموية ٠٠» .

وبنتقل المؤلف من هذا الفصل إلى فصل عنوانه «كشمير في التاريخ» يبحث فيه عن «كشمير قبل اسلام أهلها» وعن سلالاتها الحاكمة ثم «كشمير في عهد اسلام أهلها» وكيف انتشر الاسلام، ومن هم العاملون على انتشاره، وأسباب هذا الانتشار . والسلالات الاسلامية الحاكمة، وما كان في عهد كثير من سلاطينها من صناعات وفنون وأدب وفتوحات وتسامح في الدين، ويقارن بين ما «يلقاه المسلمون في الهند اليوم من خسروب التقتيل والتشريد والتعذيب والنهب

والسلب وتخريب الممتلكات ، في عهد الأمم المتحدة ، وحقوق الإنسان ، وفلسفة غاندي المسالمة ، ودعوة نهرو العلمانية وبين ما كان عليه الوضع في زمن السلطان زين العابدين الكشميري ( ٨٢٣ - ٨٧٤ هـ = ١٤٢٠ - ١٤٧٠ م ) الذي أنقذ تمثالاً ذهبياً لبوذا ٠٠ والذي أصدر قانوناً خاصاً لمعاملة الهنودوكيين بمقتضى شريعتهم ، وحرّم تعصب رجال الأديان المختلفة على بعضهم ٠٠٠ وقد بلغ به التسامح مع الهنودوكيين إلى حد أنه لم يستحسن قيام المسلمين بنجر البقر ، ولقاء ما منح الهنودوكيين من امتيازات اكتفى بان يتعهد له الرؤساء الروحانيون بعدم تجاوز حدود ما ورد في كتبهم المقدسة . وعاش المسلمون والهنودوكيون في ذلك العصر سوياً متحابين ، وإذا ما حصل بينهما خلاف فإن السلطان اعتاد أن يجمع مجلساً برياسته مؤلفاً من ممثلي الطرفين فينهي الخلاف بطريقة ودية مسالمة وهذا ما لم يتوصل إليه المستر نهرو بدليل حوادث اضطهاد المسلمين التي تنقلها إلينا البرقيات كل يوم ٠٠ «

ويجيء بعد ذلك فصل عنوانه « كشمير في عهد المغول » من سنة ١٥٨٦ - ١٧٥٢ م . ثم « كشمير في عهد الأفغانيين » من ١٧٥٢ - ١٨١٩ م . ثم « كشمير في عهد الاحتلال البريطاني » فيصف كيف احتال الإنكليز باسم « شركة الهند الشرقية » فحصلوا على امتيازات من أباطرة المغول لتأسيس مستوطنات تجارية في مختلف مواني الهند . وفي سنة ١٦٠١ أصدرت الملكة إليزابيث ملكة انكلترة مرسوماً ملكياً جاء فيه : « ان لشركة تجار لندن التي تتعامل مع الهند الشرقية أن تصالح وأن تجارب أي أمير غير مسيحي » وقد منح هذا المرسوم الشركة حقاً تمارسه عن الحكومة البريطانية في توسيع نطاق استثمارها بالقوة تارة ، وبالصلح تارة أخرى ٠٠٠ وبعد ان ضعفت سيطرة الإمبراطورية المغولية ٠٠ وبدأت تظهر رغبة الانفصال والاستقلال في كل جهة ، وأخذ الحكام من بلوك

وأمرء يجارون بعضهم بعضاً ويستجدون بالمستعمرين الأوربيين . . أخذت  
الشركة نخل الهند شيئاً فشيئاً ولاية بعد ولاية . . .» .

ويصف المؤلف ما فعل الانكليز بالمسلمين فيقول : « وقام البريطانيون خلال  
قرن من احتلالهم بنغال « كانت تحكم حكماً اسلامياً » بالتعاون مع الهنود في سبيل  
قتل الروح الاسلامية والقضاء على كيان المسلمين . . فأحلوا الهنود كمين محل  
المسلمين في الأرض . وسدت في وجوه المسلمين أبواب التوظيف في الحكومة  
والجيش . وبعزز قوله هذا ، بقول السير ويليام هنتر من موظفي الانكليز المدنيين  
في بنغال في كتابه « مسلو الهند » : « بندر وجود دائرة في كلكتوته بأمل المسلم  
أن يجد فيها مجال الاستخدام في أي عمل أكثر من أن يكون بواباً او مراسلاً  
أو مالي محابر أو مصلح أفلام » . ويقول ايچ . مي . بون في كتابه « المحمدية  
في الهند » : « لقد أصبحت معرفتهم - يريد المسلمين - بالأمر الشرعية باطلة  
لأنه أبطل العمل بالتعاليم الاسلامية ، وبعد ان كانت المحاماة محتكرة لهم في  
الحاكم العليا حتى سنة ١٨٥١ نرى انه لم يسمح بالمحاماة بين ١٨٥٢ - ١٨٦٩  
لغير مسلم واحد من ٢٤٠ سمح لهم بالمحاماة في هذه المدة » وأبطل تدريس العربية  
والفارسية في المدارس . وفي سنة ١٨٧٢ لم يكن بين ٣٠٠ طالب من طلاب  
كلية « هوكلي » التي كانت تديرها شركة الهند الشرقية بأموال أوقاف المسلمين  
سوى ثلاثة من المسلمين .

ويعود المؤلف الى كتاب السير ويليام هنتر فينقل عنه ما يأتي :

« لا فائدة من صم آذاننا ازاء حقيقة ما يتهمنا به المسلمون ، وهذه التهمة  
هي من أخطر ما بوجه ضد أي حكومة ، انهم يتهمونا بسدنا جميع الأبواب  
الشريفة بوجه مرشدي دينهم ، انهم يتهمونا باليجاد أسلوب للتعليم يحرم مجتمعهم  
من التعليم ، ويتركهم في حالة الاستجداء المزري ، انهم يتهمونا بالتسبب سيف

نكبة ألوف الأمر بإلقاء حكاهم الشرعيين الذين كانوا يقومون بعقد النكاح ،  
انهم يتهمونا بتخطيهم بنكراننا عليهم وسائل أداء فروض دينهم . وانهم يتهمونا  
فوق كل ذلك بالاخلال بأسس دينهم بمصادرتنا بمقياس واسع أمواهم المرصدة  
لأغراض التعليم . خلاصة القول : ان مسلمي الهند يشكون من الحكومة  
البريطانية عدم عطفها عليهم ، ويشكون فقدها الشهامة ، ويشكون سوء تصرفها  
بأمواهم ، ويشكون مساوي تكررت مئة سنة .

ويخلص من هذا الى التحدث عن « المؤتمر الهندي » و « عصبة عموم مسلمي الهند »  
ثم الى ما كان من قيام دولتي الهند والباكستان سنة ١٩٤٧ ، ثم ما قام بينها  
من تنازع على كشمير ، وما لاف كشمير من مظالم الهند ، مما حمل المؤلف  
على ان أصدر هذا الكتاب ، وهو صرخة موجهة صادرة من أعماق نفسه .  
ولكن من يسمع ؟ ! . . .

ويجئ سمي المؤلف كتابه محبة في الفردوس . وقد وثقه بالتقارير الرسمية ،  
والأسانيد الحكومية . فله الشكر على جهوده الصادقة في خدمة الحق والعدل ،  
وطنه المضطهد ، واخوانه المظلومين .



## خزان الكتب العربية في الخلفين

بقلم الفيكونت فيليب الطرازي

قل في الأمة العربية عامة ، وفي لبنان خاصة من يعنى بالكتب وخزائنها ،  
وبالطباعة والصحافة ومقوماتها ، عناية الأستاذ المؤلف الفيكونت طرازي ،  
فقد وقف حياته وجهوده ومساعدته ، وكثيراً من ماله على هذه الشؤون الأدبية  
والعلمية . وكان من آثاره الغر ، وأياديه البيض على لبنان أن أنشأ في بيروت  
دار الكتب اللبنانية ، فجاءت منقزة من مفاخر الوطن ، وكان عمله عملاً جباراً  
عجزت عنه الحكومة اللبنانية بموازنتها ، فقام به رجل فرد .

والكتاب الذي نصفه هو المجلد الرابع من المجموعة القيمة التي أخرجها الفيكونت للعرب ولبنان . طبعت هذا الجزء اللجنة التي ألفت لتكريم المؤلف . وفي هذا الكتاب وصف رائع دقيق لدار الكتب ، ولعمل منشئها ، ولرحلاته الى الشرق واوروبا ، في شراء الكتب العربية والأجنبية ، وفي استهدائها وجمعها وتصنيفها . وما لاقاه في سبيل ذلك كله من متاعب ومصاعب ، وكيف قوبل عمله بنكران الجميل .

وهذا الكتاب ، على ما فيه من اسباب وتفصيل ، يقصر عن ان يعطيك الصورة الحقيقية لعمل الفيكونت ومساعاه ، وانما تعطيك هذه الصورة الحقيقية الحية اذا أنت زرت هذه الدار نفسها ، ورأيت ما فيها من بدائع ونفائس ، كانت بيروت ، لولاها فائدة أجمل صورة من صور الأدب والعلم والمعرفة . وفي الكتاب اشارات الى أشياء أساءت الى المؤلف ، وقد أكثر من ذكرها اكثرأ وددنا لو أنه اغضى عنه وترفع ، ومن أوتي ما أوتيته الفيكونت من دأب على العمل واخلاص فيه ، فنعمة من الله عليه ، وكل ذي نعمة محمود . فلا ضير على صديقنا أن يحسد ، وقديماً كان في الناس الحسد . وكثيراً ما غمط فضل أصحاب الفضل ، والفيكونت بعلمه وادبه منهم .



### ثقافة الهند

مجلة عربية تقع في مئة وستين صفحة جيدة الطبع والورق « يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية اربع مرات في السنة » وهذا هو الجزء الثاني من المجلد الأول ، ومن موضوعاته : « ثقافة الهند وجهاتها الروحية والأخلاقية والاجتماعية » . « شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن » . « العلاقات التجارية بين العرب والهند » . « العرب المسلمون الذين قدموا الى الهند في القرن الأول » . « تقديم الكتب » . « اخبار الهند الثقافية » .

وصُدِّرَ هذا الجزء بحديث عن الاجتماع الثاني الذي عقده «مجلس الهند للروابط الثقافية» وعن هدف المجلس ودستوره ، والقرارات التي اتخذها . وعمّا أُلقيَ في الاجتماع من كلمات . وقد جاء في كلمة وزير «شيلي» قوله : « . . ان ثقافة بلاده هي في الواقع مزيج من الثقافة العربية الاسلامية التي اتى بها المهاجرون الاسبان من شيلي ، ومن الثقافة الأوروبية » .

ويقول مولانا السيد سليمان الندوي في جملة ما يقوله في حديثه عن «العلاقات التجارية بين العرب والهند» : « . . وهكذا يقول «آرتي ميدوس» الذي عاش قبل مئة سنة من الميلاد : « ان اهل مسبا يشترن البضائع التجارية من جيرانهم ، ويبيعونها لغيرهم ، فتصل من بد الى بد حتى الشام وبلاد الجزيرة » .

وكذلك يتقرر من شهادات اخرى ان تجارة العرب لم تقف بتاتاً في ذلك العصر بل ظلت حية يجنب التجارة اليونانية . . . وان الطريق بين الهند وادربه مازال ولا يزال ذا شأن كبير . وموجباً لانتقالات تاريخية خطيرة . كان هذا الطريق بيد العرب ، ثم استولى عليه اليونان عند احتلالهم مصر بنحو ثلاث مئة سنة قبل الميلاد . ولما ظهر الاسلام بعد ستة قرون للمسيح وعلا نجم العرب ، اصبح يدوم العليا من مصر الى اسبانيا ، وامتلكوا البحر المتوسط ، واستولوا على جزائره المهمة كككريت وقبرص وغيرهما . . . » ٥١ .

يبين هذا الذي نقلناه ، قيمة هذه المجلة موضوعاً وأسلوباً ، اخذ الله بيد القائمين عليها لتم رسالتها الثقافية .

مباحث في فن الطبخ عند العرب

للسيد م. رودنسون

*Recherches sur les documents arabes*

Par M. Rodinson

هذه رسالة بالفرنسية تقع في قرابة ستين صفحة من القطع الكبير . مستحصلة من مجلة الدراسات الاسلامية سنة ١٩٤٩ .

عثر السيد رودنسون على نسخ من كتاب « الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب » تأليف جمال الدين يحيى بن عبد العظيم المشهور بالجزار (المتوفى سنة ٦٦٩ هـ ١٢٧٠ م أو سنة ٦٧٩ هـ ١٢٨١ م) وهو كتاب يصف فيه صاحبه الطيب والطعام والمشروب . أو كما قال في مقدمة كتابه : « لما كان معظم اللذات الدنيوية والأخروية في تناول شهى المآكل والمشروبات ، وكانت تطيب الثياب والبدن مما يقرب الى الأحباب والحبايب ، واقتضى ذلك سلوك تطيبها للأنس والآكل والشارب . . . فلماذا جمعت هذا الكتاب وسميته ( كتاب الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب ) . ولم أضع فيه شيئاً إلا بعد ان ركبته مراراً ، وتناولته مداراً ، واستخلصته لنفسي ، وباشرته بذوقي ولمسي . . . »

وقد صدر السيد رودنسون هذا الكتاب بفصل ذكر فيه أدب الطبخ عند العرب وآداب الطعام ، ومن ألف فيه من المتقدمين والمتأخرين ، ووصف كتبهم ، ثم تقل كتاب الجزار بما فيه من وصف الطيب والشراب والطعام وأعداده وتحضيره . ثم علق على ذلك بفصل ثالث فيه وصف للطعام الأميري (أو الملوكي بلغة اليوم) الذي عرفه العرب في القرنين السادس والسابع للهجرة . فذكر للمترجم المؤلف جهده الذي بذله في اخراج هذا السفر النفيس ، وتعريف الجمهور بتأخيه من نواحي الحياة الاجتماعية عند العرب .

## أمواج الروح

لرفائيل بابواستحق

ككتيب يقع في ما يزيد على مئة صفحة . وهو مجموعة بحوث « أدبية اجتماعية أخلاقية » أملتها روح وطنية . لا تعترف للغرب بتفوق طبيعي على الشرق . وإنما هي وسائل حررها الشرقي ، وممتنع بها الغربي : « فالغربي متقدم لأنه ترعرع في جو طاق وعاش ليكون حراً . وأما الشرقي فتأخر لأنه ولد في جو مقيد وعاش ليكون خاضعاً طائماً » . وعبارة الأستاذ بابواستحق سهلة سائقة . فنشكر المؤلف هذه الروح التي بعثت بهذه الأمواج الساخطة . فلعل في مثل هذه الصيحات ما يحرك الهمم . ويدفع الى التحرر والعمل .

عازف النكدي



## دراسة الأغاني

تأليف الأستاذ شفيق جبري — ٣٢٧ صفحة من القطع المتوسط  
مطبعة الجامعة السورية ١٣٧١ هـ ( ١٩٥١ م )

للقائد الفرنسي اميل فاكبه تفريق شهير بين تاريخ الأدب والنقد الأدبي . فتاريخ الأدب — بحسب هذا التفريق — يعتمد الى ما يتصدى لدراسته من حوادث ، فيأخذ في معالجته بفكر « موضوعي » مجرد عن العاطفة الشخصية . وبعد ان يكشف عن العوامل في نشأة أثر من الآثار ، ويحدد التأثير الفاعلة في تطور تيار من التيارات ، ينتهي في حق ما يدرسه الى تقرير قوانين تحتذي — في ثباتها وعموميتها — قوانين العلم . على حين أن الناقد الأدبي يضرب صفحاً عن كل ذلك ، فلا يعبا إلا بالانطباع « الذاتي » الذي يتركه في نفسه

أثر من آثار الأدب . ولذلك بينما يضاف رجال مثل تين ، وبيروتيير ، وسانت بوف الى الزمرة الأولى لأن دراستهم مسوحة بجنوة العلماء ؛ ترى رجالاً آخرين مثل جول لوميتير ، وأناطول فرانس ، (وربما اميل هنريو ، وروبير كامب ، وأندره بيلتي ، وجان بلازا من المعاصرين) أَدْخَلَ فِي الزمرة الثانية لكونهم أدنى الى طرارة الأدب وغضارة الفنون الرفيعة .

والأستاذ العميد شفيق جبيري من أساطين من يمثل هذا الاتجاه الأخير في الأمة العربية . ولئن كان المعروف أنه قلما اجتمع الشعر والنقد لفحل واحد ، فمجزته أنه خرج على هذه القاعدة ، فكان الناقد الدواقة الكبير على الرغم من كونه الشاعر الملمم الكبير . شهدت لذلك دراساته السابقة لأبي الطيب «المتني» ولأبي عثمان «الجاحظ» ويشهد له ما نحن بسبيل التعليق عليه من «دراسة الأغاني» .

تغلي النزعة الذاتية في هذه الدراسة من خلال الأحكام الطريقة التي يصدرها بصدر واحدٍ واحدٍ مما يخوض فيه من شؤون . وأنت لا تتكاد تمضي مع الأستاذ في تفحص ما يجذبك الى استعراضه معه من امر ، حتى تأنس أذتك ويستريح قلبك الى ما يطالعك به من شيق الرأي البارع . ونحب في هذا التحليل السريع أن نلقي نظرة على جملة من هذه الآراء التي تستهويننا في جانبها الشخصي المحض . شرع الأستاذ جبيري في بيان رأي المتقدمين في «الأغاني» فأورد آراء للصاحب بن عباد ، وعضد الدولة ، والوزير المهلي ، وياقوت الحموي . ولكنه بدلاً عن ان يجتري للقاري بتقرير حادثة ايجابية جافة مؤداها ان الكتاب عندهم «مصدر كبير من مصادر الأدب» ، أو «ديوان العرب» كما يقول ابن خلدون ، لم يشأ أن يأخذ في موضوع آخر قبل أن يلتفت الى ملاحظة لم يسبقه أحد اليها فيما نعلم ، وهي «ان الكتاب مصدر لتصوير حياة مجذافيرها» .

فالأستاذ جبيري بعد ان استخرج من أقوال المتقدمين جملة رأيهم ، لم يهجم ان يحال هذه الحادثة ، فيبحث عن عواملها ، وبين السر في اكتفاء أئمة الأدب بهذا القدر من التقدير ؟ ولا أن يخوض في نتائجها وارتكاساتها على دنيا أدبنا القومي رابطاً كل ذلك بقانون عام يحصر خصائص الذوق العربي ؛ بل ان الذي أثار اهتمام الأستاذ انما هو اجتلاء مظاهر تلك الحياة الزاهرة ، والدلالة على ألوانها الزاهية وصورها الأخاذة على نحو ما فعلت في نفسه . فصنيعه أشبه بصنيع المصور المِغْنَن الذي ينتزع من الطبيعة ألواناً شجية ، فيأخذ في مزج هذه الألوان وفاق نواميس حسه المرهف ، حتى يخرج منها على الناس في ألواح رائعة لا يعنيه منها أن تنطبق على الأصل (فهذا شأن الآلة المصورة) بل أن تحمل الى المتأمل تلك الرعشة النابضة التي هي أثر من آثار الانفعال الشخصي الخالص . على هذا النحو شرع الأستاذ في دراسة مقدمة الكتاب ، ففقد لذلك فصلاً مستقلاً لكي يتعرف الى الخطة التي ألف على حسبها . الا أنه في دراسته تلك لم يبالي نصحج ابي الفرج بان عرضه جمع الأغاني العربية قديماً وحديثها ، ونسبة كل منها الى قائل شعره وصانع لحنه ، وطريقته من ابقاعه واصبعه . . . على شرح لذلك وتلخيص ، وتفسير للمشكل من غريبه وما لا غنى عن علمه من علل اعرابه وأعاريض شعره التي توصل الى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه ؛ ولا حفل الأستاذ بطبيعة مادة الكتاب من جمع أخبار العرب المأثورة ، وأيامهم المشهورة ، وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام ؛ ولا وقف عند صحة أخباره وترتيب طبقات الشعراء والمغنين فيه ، بل انه يادر الى مطالعتنا بما يمتلكه من مشاعر تلقاه صنيع ابي الفرج هذا فقال : «نضجر في كتاب الأغاني في عصرنا هذا من الشيء الذي يستأنس به صاحبه . نحن نرى أن الكتاب لو رتبت فيه طبقات الشعراء والمغنين لكان اشد مناسبة لروح العصر ، لأن أسلوب

التأليف قد اختلف عما كان عليه في العصور المتقدمة . وما نجهد هذا الجهد في قراءة كتاب الأغاني ودراسته الا للوقوف على هذه الأشياء المبعثرة في أضعافه حتى نستطيع ان نؤلف بين الأخبار المتشاكلة . فاذا وجدنا الى هذا التأليف شيئاً ، أخطنا بأنواع الحياة التي صورها ابو الفرج . فلو صنف كتابه أبواباً ، لمت لنا هذه الاخطاة دون شيء من التبع . وذهاباً من هذا ، مضى الأستاذ يركب تصاوير متصلة باهرة ( من نوع ال Fresque ) عن العصر الأموي والعباسي . فقد تناولت تصاويره تلك رجال هذين العصرين بهيئاتهم ، وملابسهم ، وآكلهم ، ومشاربهم ، ومثلت على هيئة بارزة قصور الخلفاء بما فيها من جوار ، وقيان ، ومقنيات ، وبما يجري فيها من أعياد ولهو وغناء وترف وتبذير . كما ألفت أضواءً وظلالاً على ملامحي العامة ، وأنديتهم ، وكتاتيبها ، ومطاعمها ، وحناناتها ، وحناناتها ، وقصاصيها ، ومصورها . كل ذلك ضمن جوشي يلف تلك الحياة من مجامع أطرافها فتراه يعرض الى عادات القوم وتقاليدهم ، في أفراسهم وأتراسهم ، وجدهم ، وهزلهم ، وحريرتهم ، وعبوديتهم . ولا يغفل عن دلالتنا على حقيقة حياتهم في عصرهم ، حتى نراها بأعيننا ، ونسمعها بأذناننا ، ونلمسها بأيدينا .

ومما تجلي به هذه النزعة الذاتية التي نتكلم عنها عند الأستاذ الناقد ، الأسلوب الذي جرى عليه في انكار قضيتين تتصلان بشخصية ابي الفرج الأصفهاني . فقد كان المعروف عن مؤلف « الأغاني » -- وهو صاحب « مقاتل الطالبين » -- أنه متشيع<sup>(١)</sup> وربما نسبت اليه الشعوية . ولكن الأستاذ العميد لا يعنيه ان يفوض على أضل هذين الرأيين ، ولا ان يتعقب مصادرهما ، ويلتمس التعاليل لاستفاضتها .

(١) قال الأستاذ الرئيس كرد علي : « ما رأيت مؤلفاً من القدامى إلا قال بتشيعه » . (راجع حاشية الصفحة ١٦١ من الطبعة الأولى لكتابه « كنوز الأجداد ») .  
 راجع كذلك ابن شاذان في « عيون الدوايح » ، وابن الأثير في كتاب « الكامل » .

ولهذا رجح الانصراف عن كل أولئك الى شأن اخطر في عينيه : أعني مسألة صحتهما او بطلانهما . والأمر البديهي ان السبيل السوية الى القطع في هذا هو استشارة النصوص واستخراج ما تنطوي عليه . بيد ان البراعة كل البراعة قائمة في تخيير تلك النصوص ومعرفة قراءة ما بين اسطرها . ولقد دل الأستاذ العميد - فيما وفق اللاتيان به من ذلك ، وفيما كشف عنه من أسرار ما اهتدى اليه من ثنايا الروايات - على مبلغ طاقته بالآفة الذكية التي طالما فانت من جدد عند حرفية النصوص من مؤرخي الأدب المدرسين .

وبعد ، فان هنالك قضية يتوقف على حلها تحديد حقيقة النهج الذي اتخذته استاذنا صاحب الدراسة . ونظن ان الشكل الذي جنح اليه في معالجة تلك القضية ينهض شاهداً آخر على ما زعمنا نسبتة اليه من طريقة « شخصية ذاتية » . ذلك ان القاري العادي لكتاب الأغاني لا يرى للمؤلف وجوداً الا من خلال رواياته : فهو ينقل عن المهلي ، وعن الأخفش ، وعن المدائني ، وغيرهم من الرواة . ولعل هذا ما دفع بعض أجلة الأساتذة الى القول بأن ابا الفرج « حَقَّظَ » ، وأنه « سجاعة » قل أن يأتي بشيء من عنده . فاذا كان واقع الأمر هكذا ارتفع البحث عن « لغة صاحب الأغاني وفنه » ، وعاد هذا الباب غير وارد من حيث الأصل . ومعنى هذا انك ان كنت كذلك القاري العادي ، لم يصح عندك التصدي لموضوع الحكم على لغة الأغاني من اسامه - لأنها لغة غير متجانسة اجتمعت من كلام الرواة ومن كلام من رووا لهم أو عنهم - ولجأتك الدهشة حينئذ من تقويم الأستاذ العميد لخصائص تلك اللغة من الناحية الفنية ، على الرغم مما يلزم هذا التقويم من احكام تقارب العصمة سداداً وسلامة ذوق . غير ان الأستاذ الكبير - وهذا ما يصور أبلغ تصوير مبلغ استقلاله في الرأي - فارق السالكين جميعاً في الجادة التي سلكوها . فهو حين تكلم على انشاء الأخبار عند ابي الفرج ،

نقى أن يكون قد درج على ذكرها بألفاظها — اللهم الا في المواطن التي نبه فيها ان اللفظ لصاحب الرواية ، او انه نسخ من كتب فلان او فلان — هذا مع تأكيده حرص الاصفهاني على الضبط والصدق والأمانة في ايراد الأخبار على حقيقتها . فأنت ترى ان الأستاذ الناقد انما تلتف لتخرج المعضلة على مثل هذا الوجه ، فتبها له — بسائق ما فعل — الخوض في موضوع كانت تستحيل معالجته لو انه اصطنع طريقة غير الطريقة الذاتية .

وتلك في رأينا جرثومة الابتكار والاصالة في « دراسة الأغاني » .

المركتور حكمة هاشم

## أبو الفرج الأصبهاني وكتابه الأغاني

تأليف محمد عبد الجواد الأصمعي

طبعته ونشرته دار المعارف بمصر

- تكلم المؤلف في مقدمة كتابه على بدء ظهور كتاب الأغاني في عالم المطبوعات وأتى على ذكر نسخه المختلفة ثم قسم كتابه أقساماً وجعله أبواباً .
- في الباب الأول أشار الى الحياة العلمية والأدبية من عصر الإسلام الى عصر أبي الفرج الأصبهاني وقد تضمن هذا الباب تسعة فصول .
- وفي الباب الثاني ذكر أئمة اللغة والأدب المعاصرين لأبي الفرج وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول .
- وفي الباب الثالث أحصى آراء القدماء والمحدثين في أبي الفرج وقد احتوى هذا الباب فصلين .
- وفي الباب الرابع صور حياة أبي الفرج وقد جمع هذا الباب اثني عشر فصلاً .
- وفي الباب الخامس دون آراء القدماء والمحدثين في كتاب الأغاني وفي هذا الباب فصلان .

وفي الباب السادس أشار الى تصوير كتاب الأغانى لبعض مظاهر الحياة الأدبية والاجتماعية وفيه ستة فصول .

وفي الباب السابع يبين شأن كتاب الأغانى في دراسة اللغة والأدب العربي وفيه ثلاثة فصول .

ثم ختم المؤلف هذه الأبواب كلها بفهرس اسماء المراجع التي اعتمد عليها في تأليف كتابه وفهرس موضوعات الكتاب .

\*  
\*\*

أبرز شيء في هذا الموضوع ، موضوع كتاب الأغانى أن عصرنا قد شرع في قدره حق قدره وقد يختلف المؤلفون في النظر الى هذا الكتاب الجليل وفي تعريف قيمته العظيمة فمنهم من ينفذ الكتاب نفذاً فيغوص على أسراره وبواطنه فيكشف الغطاء عن هذه الأسرار والبواطن حتى يعرف القارئ ما هو كتاب الأغانى وما هي قيمته وحتى تتصور له حياة الدولتين الأموية والعباسية في أجلي مظاهرها ومنهم من ينبش المخطوطات والمطبوعات من مدافنها حتى يهتدي الى آراء القدماء والمحدثين في أبي الفرج الأصبهاني اولاً وفي كتابه ثانياً فيلبي الضياء على هذا الكتاب ويزيد في تعريفه وقد يكون المؤلف الفاضل من الفريق الثاني على انه اراد ان تكون له آثار خاصة في هذا التعريف فتكلم على أشياء متفرقة من مذهب أبي الفرج وأسلوبه في النقد الأدبي ثم تكلم على بعض نواحيه الخلقية فذكر مساوي هذه النواحي ولست أدري لماذا أغفل سماحه الله الاشارة الى بعض محاسن هذه النواحي التي يمكن استخراجها من كتاب الأغانى نفسه من ذلك انصاف أخلاق أبي الفرج في النقد على نحو ما نتجت هذه الأخلاق في الكلام على أبي تمام والأحوص وفي الدفاع عن ابن المعتز .

ومها يختلف الكتاب في الكلام على كتاب الأغاني وسواء أكان تأليفهم من باب جمع المعلومات حتى يلقوا ضياءً على هذا الكتاب أم كان تأليفهم من باب الانفراد بأرائهم الخاصة وآثارهم الشخصية فما ينبغي لنا أن نغفل عن أمر واحد وهو أن كتاب الأغاني قد دلنا على حقيقة الحياة في دولتي بني أمية وبني العباس حتى رأيناها بأعيننا وسمعناها بأذاننا ولسانها بأيدينا .

### شرح ديوان الحماسة

لأبي علي بن محمد بن الحسن المرزوقي ( ٤٢١ )

نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون ( القسم الأول )

ذكر الأستاذ أحمد أمين في تصدير هذا الشرح رأيه في أبي تمام من حيث مختاراته وفي المرزوقي من حيث شرحه ، أما أبو تمام فقد بقراً القصيدة الطويلة فيعجبه منها معنى أو ممتيان فيختارهما من بين القصيدة الطويلة وإذا لم يكن بينهما رابط ربط بينهما وإذا كانت هنالك حكمة نائية غيرها يجيز منها فكان مختاراً ومنقحاً في وقت واحد ، وكان له أيضاً فضل تبويب الشعر ، وأما المرزوقي فقد وفى الكلام حقه لغةً ونحواً وصرفاً ومعنى ونقداً فهو إمام عظيم لا يهرب في الشرح من المشاكل ولكنه يصدى لها فالتبريزي باعه في النحو واللغة أطول منه في الأدب والنقد وشرح المرزوقي يتم نقص شرح التبريزي وفي رأي الأستاذ أحمد أمين ان مقدمة المرزوقي في النقد لا مثيل لها في اللغة العربية .

وفصل الأستاذ عبد السلام هارون في تقديم شرح المرزوقي الكلام على هذا الشرح فأتى على ذكر كتب الاختيار ثم بين السبب الذي من أجله سمى ديوان الحماسة ثم أشار الى تاريخ الحماسة ثم وضع عمل أبي تمام في الحماسة ثم ذكر زيادات الحماسة وشرح الحماسة ، ثم وازن بين شرحي المرزوقي والتبريزي فوفى

هذه الموازنة حقها ثم ذكر ترجمة المرزوقي وأشار الى النسخ المعتمد عليها في تحقيق الشرح .

وصاحب الفضل الأول في اخراج هذا الشرح انما هو الأستاذ أحمد أمين فهو الذي اقترح أن ينشر شرح المرزوقي وأقرأه اخراجه في لجنة الترجمة والتأليف .

\*  
\*\*

لا شك في ان شرح النصوص في عصرنا هذا قد اختلف عما كان عليه في العصور المتقدمة ففي هذا العصر يمتنون في الشرح قبل كل شيء بترتيب الأفكار والحجج وتفاصيل الوصف وما شابه ذلك ثم يرجعون الى النص فيستخرجون منه عبارةً عبارةً ويشرحونها وفي هذا الشرح تظهر خصائص كل أستاذ من المفسرين واحد يغلب عليه النحو وواحد يغلب عليه البديع وهذا يهتم بالأفكار والعواطف وهذا يهتم بالأسلوب والفن ولهذا يجدر بالطلاب أن يسمعوا جملة مفسرين واذا فسروا النص من حيث اللغة انصرفوا الى البحث عن ألفاظه فنظروا : هل هي حقيقية أم مجازية وعلى هذا الشكل يدرّبون الطلاب على وزن الأسماء والصفات والأفعال والظروف وتقديرها أما إذا فسروا النص من حيث الأسلوب فانهم يرون أن الطلاب على تحليل أنواع البديع واذا فرغوا من هذا كله علموا كيف يستخرجون من النص نتيجة في النقد أو الفلسفة أو الأخلاق .

هذه هي بوجه التقريب قواعد الشرح والتفسير في هذا العصر على أن شرح المتقدمين لا يتجاوز من كثير من القوائد فان الألفاظ التي تفسرها المعاجم لا توضح في أكثر أوقاتها معانيها كل التوضيح فاللفظ لا يفسر إلا في موضعه من الكلام والعبارة فلكل لفظ معنى معين بحسب موضعه أو بحسب ذهن مستعمله أو بحسب عصر استعماله وهذا النوع من شرح المتقدمين لا يبعد عن الدلالة على خوافي المعاني فضلاً عن دلالة على معاني الألفاظ في مواضع استعمالها فقد كنت أعتقد لما كنت أسنهد بقول بعض شعراء بلعبر :

لو كنت من مازن لم تستبح الي بنو القبيطة من ذهل بن شيبانا  
ان الشاعر يستصغر قومه ويستعظم بني مازن الا ان المرزوقي قد ردني الى  
الصواب بقوله : وقصد الشاعر في هذه الأبيات عندي الى بعث قومه على  
الانتقام له من أعدائه ومهتضميه وتمييجهم وهزمهم لا ذمهم ثم أتى بالشواهد على  
ذلك من بعض شعر العرب :

ومثل هذه الدقائق كثير في شرحه على ان الاشارة الى خصائص شرحه  
تمت في كني التصدير والتقديم في أول الشرح والخلاصة ان الرجوع الى شرح  
المرزوقي وأضرابه انما هو السبيل الأرشد الى فهم اللغة والاهتداء الى أسرار  
الألفاظ ومعانيها .

### ردّ العامي الى الفصيح

لمؤلفه أحمد رضا العاملي

الناشر : دار العرفان في صيدا

جمع الأستاذ أحمد رضا العاملي أكثر من ألف وأربعمائة مادة عامية فردّها  
الى أصلها الصحيح او الى ما تحتمله من الوجوه وأتى بمرادفاتها من الفصح .  
مرة يرد اللفظ العامي الى أصله الفصح مبيّنًا رأيه الخاص في المعنيين : العامي  
والفصح ، من ذلك تدوينه لمادة الخطرة فهو يقول في هذه المادة : خطرة  
من الخطرات ذهبت الى المكان الفلاني ، أي مرة من المرات ، وذهبت اليه  
خطرة واحدة ، وتطلق الخطرة في اللغة على الحين وفي مجاز الأساس : مالتيته  
إلا خطرة وما ذكرته إلا خطرة بعد خطرة تريد الأحيان ، وبعد أن يثبت  
معنى هذه المادة العامية ويرد هذا المعنى الى أصله الفصح يقول : وهي من قولهم  
خطر بيالي وعلى بالي كذا . . اذا وقع في وهمك فالخطرة يراد بها مقدار خطرة  
أي الخطور على البال .

الآن الذي نعرفه في دمشق ان الخطرة يراد بها ما جاء في مجاز الأساس وهو الحين فقولنا ذهب اليه خطرة واحدة اي مرّة واحدة ، فعني المرة والحين في هذه المادة أقرب من معنى الخطور .

وضرّة بردّ المادة العامية الى أصلها الفصحح خائضاً في شيء من فلسفة اللغة ، من هذا التجو تدوينه لمادة الخريطة واللخطة فهو يقول في هذه المادة : وهي أمّا من باب خربق العمل اذا أفسده والقاف والطاء يتعاقبان في الفصحح مثل أحاط به العذاب وحاق به أو من : خببت الإبل الحوض اذا هدمته بأخفافها وخريطة النظام إفساده أو من خبط الشيطان فلاناً وتخبّطة اذا مسّه بأذى فأفسده وخبله .

فالخريطة معناها الإفساد ولا شك في ذلك ولكن الذي نعرفه في دمشق ان الخريقة انما هي غير الخريطة فاننا اذا قلنا : خربقها برأسه أردنا ألبسه ايها والخريقة نريد بها في بعض الأحيان الدخول في ما لا يعنيننا فنقول : ايش هذه الخريقة . . هذه نماذج من ردّ الأستاذ طائفة من الألفاظ العامية الى أصلها الفصحح ولا شك في ان هذا العمل انما هو عمل جليل فان الذين عنوانا بالتقاط الألفاظ العامية وردّها الى الأصل الفصحح يدركون لذة هذا العمل فليس بقليل ان نلتقط من أفواه العامة لفظاً مرّ عليه الف سنة او اكثر وأن نذكر أصله الفصحح فقد يكون لهذا اللفظ من التأثير في الأذهان ما ليس لنظيره من الألفاظ فان مخاطبة الجماهير بلغتهم التي يدركونها أعمل في قلوبهم وعقولهم من مخاطبتهم بلغة لا يمتدّون الى أسرارها وخصائصها فضلاً عن ان ردّ اللفظ العامي الى أصله الفصحح يعيننا على ادراك الأتوار التي تمرّ بها اللغة فالألفاظ عادة لا تثبت معانيها على خالٍ من الأحوال فقد تنتقل هذه المعاني من وجه الى وجه كما جرى ذلك في الألفاظ الاسلامية فقد أطلقت هذه الألفاظ في الاسلام على المعاني التي لا تعرفها في الجاهلية وقد تضيق معاني الألفاظ حيناً وتنسع حيناً أو تخصّ مرّة

وتعمُّ مرّةً ، انا نمرُّ في بعض أخبار الأغاني بأن اسحق الموصلي أصابه ضيق فخرج بتفرّجٍ مما هو فيه فالفرجة في الأصل معناها التفصي من ألمٍ ولكنها على الأيام عمّت بعد ان كانت خاصة فهي تطلق في عصرنا على حضور كل مشهد من المشاهد التي تؤثر في الأنظار فنقول : خرجنا لتفرّج على موكب الملك أو على جنازة فلان أو على مشنوق أو مقتول أو غير ذلك ، فهذه المادة انتقل معناها من وجه الى وجه دون ان تنقطع صلته بأصله .

فالذين يعنون بردّ الألفاظ العامية الى أصلها الفصيح لم فضل كبير في اللغة فهم يدلون الناس على الأطوار التي دخلت فيها لغتهم فيشهدون ميلاد الناطق وحياتها وموتها أو انتقال معانيها من أفق الى أفق الآتهم اذا استطاعوا ان يستعينوا في مباحثهم باستشهادات من بعض كلام العرب في القديم كان يحثهم أشدّ تأثيراً فان ذكر الألفاظ المجرّدة من مواضع استعمالها يكون عادةً جافاً اما اذا جئنا بلفظ عامي في عصرنا هذا ورددناه الى أصله الفصيح وجئنا بعبارة من عبارات الشعراء والكتاب المتقدمين استعمل فيها هذا اللفظ كان يحثنا أشدّ تأثيراً .

ومها يكن الأمر فان عمل الأستاذ احمد رضا العاملي في رده العامي الى الأصل الفصيح انما هو عمل عظيم وسواء أوجد رجال اللغة لم مجالاً في الاعتراض على بعض التحقيقات والتدقيقات في كتاب : «رد العامي الى الفصيح» ام لم يجدوا اننا لا ينبغي لنا ان نفعل عن التنويه بفضل الأستاذ في هذا الكتاب .

## لكل زهرة عبير

شعر شفيق معلوف

ما أكثر الشعر وما أقله ، انك لتبحث عن شعر فيه خيال مصقول وحسن دقيق وذوق سليم ولغة صالحة فلا تكاد تظفر به ، وانك لتتمتع بشعر فيه خيال جامع غير مهذب وحسن كاذب وذوق نابٍ ولغة لا تندري ما هي فيجد من هذا الشعر شيئاً كثيراً .

واذا عجبت لشيء فاني أعجب لهذا الشعر الذي انتقل اصحابه من ديارنا الى ما وراء البحار فخالطوا أمماً لا عهد لهم بها ومازجوا آدابها وثقافتها فاقبسوا عنها وحافظوا على روح لغتهم وعبقريتها على قدر الإمكان فزادوا في ثروتنا وميراثنا ، من هذه الطبقة من الشعراء شفيق معلوف صاحب : « لكل زهرة عبير » ، فانك لتقرأ شعره فلا تحس فيه بما تحس في شعر غيره من غرابة الصور وتناثر الألفاظ وشذوذ الذوق حتى تسأل نفسك : ماذا تقرأ ، أقرأ شعراً غريباً أم شرقياً أم تقرأ شعراً لا غريباً ولا شرقياً .

لقد ضرب شفيق معلوف بعينيه في كثير من مشاهد الحياة فقيّد نظري في شعره هذا المعطف منه على الانسانية ، فهو يعطف على الفلاح :

عرق الجهاد همى على عينيه فانطبقت جفونه

وهو يعطف على صاعى البريد فيقول له :

لو تعلم الناس يوماً أنها سلخت أيامها البيض من ليلتك السود

وهو يعطف على الضعيف :

كن بسمه بقم الضعيف ولا تزدد ناله أتراحاً على أتراحه

وليس بقليل أن يعرف الشاعر بنزعة خاصة في شعره كما عرف فحول شعرائنا المتقدمين يمثل هذه النزعة ، فالأستاذ شفيق معلوف انساني في شعره يرثي للضعيف

ويجنو على الفقير ويكي على البأس ويستقطع الضاري ، واذا انتقل من هذه النزعة الى نزعات ثانية فانك لتمرّ في أضعاف شعره بصورٍ خفيفة الظل تقرأ شعرها فتأنس به وتشارك صاحبها في ذوقه وعاطفته ولا تنفر من لغة هذه الصور كما تنفر من لغة الذين يجمعون بين لفظتين بينهما من التباعد مثل ما بين الأرض والسماء .  
قد يجوز أن يفرق شفيق معلوف في بعض الأحيان في التشبيهات فيخرج بها عن حدّها المألوف كما فعل في قوله :

بدا فهزّ عقود الغيد مقدمه هزّ النسيم لحبات العناقيد

الضمير فيّ بدأ يرجع الى ساعي البريد ، لما بدأ هذا الساعي هزّ قدمه عقود الغيد كما هزّ النسيم حبات العناقيد ، لاشك في ان وجه الشبه بين العقود وبين الحبات قريب جداً ولكن الذي هو غير قريب هزّ النسيم لحبات العناقيد فقد جلت في كثير من الكروم وكان هبّ النسيم عليّ في أفيائها فلست أذكر ان هذا النسيم هزّ حبات العناقيد في يوم من الأيام فقد كان هزّ الورق أما الحبات فانها مخبوءة تحت الورق ، ثقيلة لا يقوى عليها النسيم .

وقد يخرج شفيق معلوف في قليل من شعره عن ذوق الموسيقى كما فعل في قوله :

طائر الثرى يبرئن تحسبه يطبع نجيماً كلما مسّ الثرى

وهو أمر من وطنه وأظن ان الأذن لا تستخف هذا الأمر .

على انا اذا جاوزنا هذه الهنات وصلنا في شعره الى شعر يشتمل على الوصف

الديق الذي يدل على الشاعرية من هذا القبيل قصيدته في أطلال بعلبك :

لمن الدمي في ساحتها نازت غير الزمان ولن يكفّ نزاهها

خلدت بألّه القرون كأنما تلك القرون مررن وهي عيالها

وتدلّ شاحخة على أخلافها فكأنما حقّ لها إدلالها

رصدت مخاليق فتبا فكفها مفتاحها وبكفنا أفعالها

## من الأدب

قدري العمر (الجزء الثاني)

يبحث المؤلف في هذا الجزء مباحث تتصل بالابتكار من حيث طفولته والعمل له ومن حيث رياضة الحواس والبيان الحسن ، وتتصل بالعصر العباسي الثاني من حيث حياة العقل والسياسة والخلق والأدب فيه ثم نصدى للكلام على البحتري فأشار الى شخصيته وبيئته وأثرها في شعره ، والى شعره والوصف في هذا الشعر وتكلم على ابن الرومي فوصف شخصيته وشعره وتشخيصه وسحره الفني وعلى ابن المعتز فذكر شخصيته وشعره ايضاً .

هذه هي موضوعات الجزء الثاني من كتاب : «من الأدب» للأستاذ قدري العمر وقد جرى هذا الكتاب برامج مدارس الحكومة ليكون الطلاب في امتحاناتهم العامة اذا قرأوه على معرفة بالأدب مضافة الى ما يعرفون .

\*  
\*\*

تختلف برامج المدارس التجهيزية في الأدب عن برامج كليات الآداب في الكليات يدرّب الأساتذة طلابهم على الاختصاص ويولدون فيهم طريقة البحث وفي المدارس التجهيزية يعلم الأساتذة طلابهم طائفة من كل شيء : طائفة من شعر الشاعر او كتابة الكاتب او خطبة الخطيب او خصائص العصر فلا يحتاج طالب التجهيز الى الإلمام بكل شيء من نواحي الشاعر او الكاتب او الخطيب أو العصر وعلى هذا النحو درّب الأستاذ قدري العمر قراء كتابه على الاحاطة بطائفة من خصائص الشعراء الذين تكلم عليهم ف شعر البحتري في رأيه قليل الغريب واضح لا تعقيد فيه خالص من الشركه والابهام قد عرف ما تطبق ألفاظه من الصور والمعاني فالأستاذ يدلّ القراء بعد هذه الأحكام على خصائص هذا الشعر على قدر ما يسمح به كتابه الصغير ولا يستطيع التوسع في هذا الموضوع لأن التوسع يجري عادة في الكليات .

المهم في امثال هذه الكتب ترويض الطلاب على ذوق لذة الأفكار وارشادهم الى مواطن الحسن والقيح في الكلام وتدريبهم على الفطنة الى خصائص الالفاظ وأمرارها والى مطابقة الصفات للموصوفات وغير ذلك أو اذا كان الأستاذ يدل الطلاب على وصف في الشعر لزمه أن يدلهم على الحواس التي اشتركت في هذا الوصف على الترتيب الآتي : البصر والسمع والشم والذوق واللمس واذا كان كتاب الأستاذ قدرى العمر لا يتسع للخوض في هذه الأمور من جميع نواحيها فهو لم يقصر في الخوض فيها من بعض النواحي والذي تفتقر اليه المدارس التجهيزية انما هي الكتب المشتملة على نصوص مفسرة بحسب روح هذا العصر لأن التفسير الحديث هو الذي يرشد الطلاب الى ما يحسن بهم معرفته من الأفكار وترتيبها والأسلوب وخصائصه واللغة وأسرارها .

### شعر كعب بن زهير

نشر المجمع العلمي البولوني ديوان كعب بن زهير ، وقد طبع الديوان في قراقو سنة ١٩٥٠ م عمل مقدمة له باللغة الانكليزية « فريدريك كرنكو » أشار فيها الى مختلف النسخ المخطوطة التي اعتمد عليها وذكر تواريخ هذه النسخ ثم دون بعد المقدمة ترجمة كعب ووضح فيها بعض اشارات جاءت في شعره وقد أشرف على نشر الديوان « كوثالسكي » .

أما شعر كعب بن زهير فقد شرحه ابو علي احمد بن جعفر الدينوري ، فكان مرة يفسر بعض الالفاظ الغامضة ومرة يوضح بعض الحوادث التي جاءت اشارة اليها في شعر كعب أو يذكر تاريخ بعض الأمثال التي اشتمل عليها هذا الشعر نظير المثل الآتي : « مواعيد عرقوب » .

شفيق جبري

## الاسلام بين السنة والشيعة

لمؤلفيه الأستاذين هاشم المدني ومجد علي الزعي

أصدرته دار الانصاف بيروت سنة ١٩٥٠ م في نحو ١٣٥ صفحة

كان الأجدد بالمؤلفين الفاضلين ان يسعيا كتابها باسم (الاسلام بين جميع اهل الأديان والمذاهب) الذين تضمهم الانسانية الى احضانها - لا الاسلام بين السنة والشيعة وحدهما: فالمؤلفان - في كتابها هذا وكذب اخرى قالوا انهم الفاهما وسيؤلفانها - يرميان الى رأي جديد بل مشروع جديد في التأليف بين ابناء البشر المختلفين في اديانهم ومذاهبهم . وعمدتهم في تحقيق هذه الفكرة الصالحة ان الأديان السماوية مبنية على الوحي الإلهي والوحي الإلهي وحدة لا تتجزأ: فأتباع هذا الوحي او بالأحرى أتباع الأديان السماوية ذوو وحدة دينية غير مجزأة في أصلها وروحها . والقائلون بخلاف هذا يجهلون استمرار دينهم وانما صرفوا عنه بالطيفليات وكانهم يعنون بالطيفليات ما علق بنصوص الوحي الإلهي من آراء الرجال وزبوف نزعاتهم - وهؤلاء لبسوا من الشيوخ بل من اعشار الشيوخ وكانهم يعنون بالاعشار ان الواحد من هؤلاء الواهمين غير الفاهمين عشر شيخ لاشيخ كامل كما نقول: من أشباه الرجال لا من الرجال .

وإذا كان هذا رأي المؤلفين الفاضلين في معنى وحدة الأديان ووجوب السعي الى تحقيقها من طريق عقيدة وحدة الوحي الإلهي - سهل على القارى فهم ما أراد المؤلفان من قولها في اسم كتابها انه (الاسلام بين السنة والشيعة) اللذين هما اخوان بحكم وحدة الوحي بل بحكم وحدة القرآن .

فأبناء الأديان والمذاهب وخاصة المسلمين والشيعة أبناء دين واحد فلا (طيفليات) يحسن ان تفسدهم ولا (اعشار شيوخ) ينبغي أن تفرق بينهم . وكان التفريق يقع بينهم في اول الأمر بسبب دسائس (الروافض) والروافض

على رأي المؤلفين الفاضلين هم الفرق الاسلامية الهدامة التي تقول يحلول الألوهية في بعض البشر ورئيسهم عبد الله بن سبأ : ففرقته السبئية واخواتها التي خلفتها كالكنيسانية والخرميمة هذه الفرق هي الرافضة الذين تعمدوا هدم الاسلام واندسوا في صفوف المسلمين وتجليبوا بجلباب ( النشيع ) تارة و ( التسنن ) تارة أخرى وخفي امرهم على الفرقتين فكان من امر تنكر احدهما للأخرى ما كان .  
فالموحدون ( الدرور ) والحصبييون والاماميون الجعفريون و ( العلويون ) أو ( النصيرية ) وما أشبهها من الفرق الاسلامية كلهم من اشبه امرهم بهؤلاء الروافض وليسوا منهم في شيء وانما هم مع اخوانهم السنة والشيعة بل واليهود والنصارى مسلمون أبناء دين سماوي واحد هو الاسلام .

أليس الاسلام دين ابراهيم وابراهيم ابو الجميع ؟ فهم اخوة موحدون وما عاد يخشى عليهم من التفرقة وذلك لفقدان ( الروافض ) الذين أهلكتهم الله وأباد خضراءهم .  
فلنسع اذن الى لم الشعث ولنستعن بالدول العظمى !!! على تحقيق هذه الفكرة في التوحيد بين أهل الأديان .

هذه هي خلاصة ما في الكتاب ومؤلفاه الفاضلان لم بدعا باباً الا طرقاه ولا فجأ في تأييد رأبها واثبات دعواهما الا صلكاه واستشهدا على ذلك بكل ما وقع اليها من أقوال المتقدمين والمتأخرين والكتاب المعاصرين . ولعمري ان دعوتهم هذه من أفضل الدعوات وأكرمها لولا أنها تخالف سنة الله التي أشار اليها في كتابه من ان مشيئته الأزلية اقتضت ان لا يكون البشرية واحدة .  
وبمثل دعوتهم الصالحة هذه كانت قام منذ خمسين سنة القس جبارة الدمشقي فدعا الى توحيد الأديان في سورية لكنه خاف صولة العهد الحميدي فلجأ الى مصر وأعلن دعوته . فكان مما قيل في مناقشته ان دعوتك اذا نتجت انما نتجح في جماعة من الناس تتكون بهم طائفة دينية أو مذهبية جديدة وتضطر هذه الطائفة في الدفاع عن نفسها الى مقاومة الفرق القديمة فيقوم الشقاق على قدم وساق ( كما هو الحال اليوم

في قيام القاديانية ثم الداهشية وأضرابها) فتكون أيها القس قد ضاعفت العلة •  
وزدت في الطين بلة • وهكذا يقال للمؤانين الفاضلين في مادعوا اليه •

وعندنا ان الرجاء في اصلاح البشر انما يكون من طريق نشر العلم العصري بينهم  
وعناية كل فرقة دينية باحسان تربية أبنائها على أساس ترك البغض لأبناء الملل الأخرى •  
وكأن العلامة السيد محسن الأمين لاحظ ملاحظتنا هذه فقال في تقرير الكتاب  
الذي نحن بصدده مانصه : ( وعندنا ان أفضل عمل يجهد في سبيله هو السعي  
لتأليف القلوب وازالة الأضغان بين أهل المذاهب أو تخفيفها اذ هي مبنية على  
أمور لا حقيقة لها ) •

وأذكر بمناسبة هذه الدعوة التي أعلنها المؤلفان الفاضلان انني في سنة ١٩٠٥م  
اجتمعت في مصر بالبهائي الكبير ( ميرزا ابو الفضل ) وهو داعي الدعوة في المذهب  
البهائي الباني بل هو أعظم رجل فيهم بعد الباب والبهاء • فجري بيني وبينه حديث ديني  
أدى بالطبع الى قيام فرقتهما ونشوء دعوتهم • فأظهرت حسن الظن بها وقلت  
انما هي فرقة اسلامية تدعو الى الاصلاح في دين الاسلام • فأجاني متمضاً (كلاً)  
نحن أبناء دين جديد) فأشحت بوجهي عنه من يومئذ وتحققت ان الدعوة الى  
توحيد الفرق عبث وانما الأجدى لنا ولم دعوتهم الى مكارم الأخلاق وحضهم  
على الوئام والسلام •

ويظهر من ثنايا الكتاب انه ألف بعجلة زائدة فلم يتمكن المؤلفان من  
تهذيب عبارته وتنقية أغلاطه • ولئن شأنه هذا فلقد زانه الصدق في النية  
والاخلاص في النصيح •

## سلسلة مطبوعات دار العروبة في باكستان

كنت نشرت في مجلة المجمع العلمي كلمة عن النهضة المباركة لهذه الدار ، ووصفت ثلاث رسائل من مطبوعاتها النافعة ، وأعود الآن فأكتب عن ثلاث منها أيضاً ، فالأولى ( ذات الرقم ٧ ) سميت ( نظام الحياة في الإسلام ) وهي مجموعة خمسة أحاديث ألقاها الأستاذ المودودي أمير الجماعة الإسلامية من إذاعة باكستان في لاهور ، وتكلم فيها عن النظام الخلقي ، والنظام السياسي ، والنظام الاجتماعي ، والنظام الاقتصادي ، والنظام الروحاني في الإسلام . وحاصل النظام الخلقي أنه إذا تعين ابتغاء وجه الرب ونيل رضاه غاية منشودة للإنسان ، ومرعى لمسامحه وجهوده ، فقد ظفرت الأخلاق البشرية بغاية سامية ، تمكّنها من الارتقاء الخلقي الى ما لا نهاية له من معارج النمو والرقى ، والإسلام بما ثبت من عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر في قلب الإنسان ، كأنه يلقي في روعه حارساً من الشرطة الخلقية ، يدفعه الى العمل ، وهذا الحارس الداخلي هو الذي يشد عضد قانون الإسلام الخلقي ويجعله نافذاً بين الناس في حقيقة الأمر . وهو الذي يضمن هداية الفرد المسلم والأمة المسلمة الى سواء الطريق .

وخلاصة القول في النظام السياسي أن الجمهورية الغربية تستخدم قواها حسب ماشاءت وشاء هواها ، وأن الجمهورية الإسلامية عبودية لله ، مقيدة بمبادئ شريعته ، لا تستعمل قواها وتفوذها الا في ضمن الحدود التي أقامها ، والذي هم الإسلام في هذا المقام هو حرمة الدم البشري ، فإنه محرم في كل حين ، ولا يجوز سفكه إلا بالحق ، ولا يجوز في شريعته الاعتداء على النساء والأطفال والعجزة والمرضى والجرحى في أي حال .

والنظام الاجتماعي الذي سنه الإسلام هو أن الإنسان جزء وفرد في هذا المجتمع ، سواء أكان ينتسب الى السلالة السامية أو الآرية ، أم كان أسود اللون أو أبيض ، أم كان يتنطق بالسنسكربتية أو العربية .

وأما النظام الاقتصادي فما خلق الله في الأرض من المتاع فهو لمصلحة عامة الناس وانتفاعهم ، فلا يجوز أن يهمل ويعطل ، والاسلام لا يقول بالمساواة في الرزق نفسه ، وإنما يقول بها في فُرَصِ الجِدِّ والسعي في اكتساب المعاش والناس الرزق ، والغاية التي بقصدها الإسلام ألا يبقى في المجتمع البشري حواجز وعقبات قانونية أو تقليدية تعوق الإنسان وتعمده عن بذل جهده واستطاعته في سبيل اكتساب الرزق ، كما يريد أن تنعدم عنه الامتيازات والفوارق التي تضمن لبعض الطبقات أو السلالات أو البيوتات سعادتها المتوارثة ، وتحوطها بسياج من التخفظ القانوني . والذين يريدون أن يسووا بين العباد حتى في وسائل السعي ونتائج إكراهها وقهرها ، لا يعارضهم الإسلام ، بل يخالفهم كل المخالفة ، فإنهم يريدون أن يجعلوا التباين الفطري الى المساواة غير الفطرية ، وأقرب نظام الى الفطرة هو الذي ينسئ فيه لكل فرد من أفراد البشر أن يبدأ سعيه في حلبة المعاش من المقام والمحل الذي أعده الله له ، والحالة التي فطره عليها .

وأما النظام الروحاني ، فالفكرة التي مازالت مسيطرة في الفلسفة والديانات ، أن الروح والجسد تقيضان لا يجتمعان معاً ، فهذا في وادٍ وذاك في وادٍ ، فمن المستحيل إذا رقيها وازدهارهما جنباً بجنب ، فكان من النتيجة اللازمة لهذه الفكرة أن تبددت طرق الروحانية والمادية ، وتفرقت بينها السبل والمناهج ، فالذين آثروا المادة ، انغمسوا في عبوديتها كل الانغماس ، وانسلخت مجتمعاتهم ومدنيتهم وسياساتهم ومعيشتهم وسائر أركان حياتهم الدنيوية من الروحانية ، وتجردت من معالمها حتى امتلأت الأرض ظلاماً وعدواناً ، والذي يراه الإسلام في هذا الباب مختلف عما تراه النظم الدينية والفلسفية الأخرى في العالم ، فالحق ان الروح لم تؤت هذا الجسد إلا لتستخدمه في ما وهب الله لها من التصرف . ولتؤدي به ما عليها من الواجبات ، فالجسد ليس بسجن للروح بل هو معمل لها ، وهذه الدنيا ليست بدارٍ للألم أو تعذيب النفس قد ارتطمت في أحوالها الروح

بسبب من الأسباب ، بل الأمر أنها ميدان للعمل ، ومضمار للسعي والكفاح والجد ، قد بعث الله الروح البشرية اليه ، لتقوم بواجبها فيه ، وفي هذه الرسالة فوائد كثيرة ، فالتعبير بالكلم الوجيز عنها ، أو نقل نماذج منها لا يغني عن مطالعتها كلها .

### الجهاد في سبيل الله ( رقم : ٨ )

فسرت هذه الرسالة الجهاد في سبيل الله وأوضحت المراد منه ، ذلك أن سبيل الله في المصطلح الإسلامي أرحب وأوسع بكثير مما يتصورون ، وأسمى غاية ، وأبعد مراماً مما يظنون بها ويزعمون ، فكل عمل تقوم به للمصالح العامة وسعادة المجتمع ابتغاء لمرضاة الله ، لا تريد به مغناً أو مكسباً في الحياة العاجلة فهو في سبيل الله في نظر الإسلام ، وما قيد الشارع «الجهاد» بهذا الشرط ( في سبيل الله ) إلا للدلالة على هذا المعنى ؛ وذكر كيف شوه الغزاة الفاتحون لبلاد العروبة والإسلام من الإفترنج وجوه هذه الحقيقة الناصحة ، وقد كان من لباقتهم ، وسحر بيانهم ، أنه كلما قرع سمع الناس صوت هذه الكلمة ( الجهاد ) تمثلت أمام أعينهم صورة مواكب من الهمج الحثثدة ، مصلته سيوفها ، متقدة صدورها بنار التعصب والغضب ، متطائراً من عيونها شرر الفتك والنهب ثم ذكر الحاجة الى الجهاد وغايته ، وأتى بشواهد منه ، والذي وجه النظر العام اليه وكشف عنه في هذه الرسالة ، هو أن الإسلام ليس بمجرد مجموعة من العقيدة الكلامية ، وجملة من المناسك والشعائر كما يفهم من معنى الدين في هذه الأيام ، بل الحق أنه نظام كلي شامل يريد أن يقضي على سائر النظم الباطلة الجارية في العالم ، ويقطع دابرها ، ويستبدل بها نظاماً صالحاً ، ومنهاجاً معتدلاً ، يرى أنه خير للإنسانية من النظم الأخرى ، وأن فيه نجاة للجنس البشري من أدواء الشر والظنيان ، وسعادة له ، وفلاحاً في العاجلة والآجلة معاً .

## الجماعة الإسلامية (رقم ٩)

دعوتها وأهدافها ومنهاج عملها

عرف الإسلام في هذا المقام ، بأنه نظام الحياة البشرية ، ومنهاجها المحيط بجميع أطرافها ونواحيها في كل فرع من فروع الحياة وشعبة من شعبها ، من الأمور الفردية ، إلى الشؤون العائلية والمدنية والسياسة وساحة الحرب ومؤتمرات الصلح للدولة ، قال : فهذا هو معنى الدين الحقيقي ، وما هو من قبيل الفكرة المجردة والعقيدة المحضة ، ثم ذكر الجماعة الإسلامية ، وأنها أسست في سنة ١٣٦٠ لتحقيق هذه الغاية العظمى والمطلب الأسمى .

والجماعة الإسلامية لها فروع منبثة في معظم مدن باكستان ، وكثير من قرأها ، ولكل فرع من الفروع المنتشرة أمير محلي ، ومكتبة لتوزيع كتب الدعوة ، ومؤسسة مالية يدخر فيها ما يؤدي أعضاء الجماعة وأنصارها من زكاة أموالهم السنوية ، وما يتبرعون به من ذات بداهم ، حسب ما تقتضيه الحاجة ، وهذه الفروع الكثيرة موزعة إلى أقسام ، وصرا كز فرعية حسب التقسيم الإداري ، ويشرف على الجميع مركز الجماعة العام في مدينة لاهور ، وفيها أمير الجماعة العام ، وبيت مالها ، ومكتبتها الكبيرة ، وإدارة تنظيمها العامة ، ثم تكلم على منشورات الجماعة فقال : « نشرت الجماعة إلى الآن من كتبها ومنشوراتها ما يربو عدده على خمسين كتاباً بين صغير وكبير ، وهي تعالج الحياة البشرية ، ومشاكلها الدقيقة والخطيرة ، وتبين تعاليم الإسلام في كل فرع من فروعها ، من العبادات والأخلاق والاجتماع والسياسة والاقتصاد » قال : والذي يعرفه القاصي والداني ويعترف به أعدى أعداء الجماعة أنها أحدثت انقلاباً فكرياً وعملياً في بلاد الهند وباكستان ولا فخر ، فإن الحمد والمنة لله وحده « ويمجد القارىء بعد انتهاء هذه الرسالة فهرساً موجزاً لأهم منشورات الجماعة ، وكذلك نشرت الجماعة عدة رسائل وكتب باللغة الانكليزية ، وللجماعة وأعضائها وأنصارها صحف يومية وأسبوعية ومجلات شهرية سائرة باللغة الأردية وغيرها من اللغات الهندية .

## نقض المنطق

تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ( ٦٦١ - ٧٢٨ هـ )

بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة وتعليقاته . وتصحيح الشيخ سليمان

ابن عبد الرحمن الصديقم واستدراكاته . طبع بمطبعة السنة المحمدية ،

ووقف على طبعه وصححه الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقي

سنة ١٣٧٠ هـ و ١٩٥١ م

سمي هذا الكتاب بنقض المنطق ، وأصله جواب لسؤال ورد على شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، فبنى عليه جوابه الذي بلغ مائتين وعشر صفحات ، وقدم له الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل بمقدمة أبانت كنهه فلسفة ذلك الإمام العبقري المجدد الذي دافع فيها عن حقائق الإسلام كتاباً وستةً ونصراً للمذهب السلف الصالح ، وردت مقالات الفرق الزائفة التي وُصِفَتْ بأنها جهالات وضلالات ، وأثبت لنا منطقاً مستقلاً سبقنا به فلاسفة الغرب بمئات السنين . وتسميته الكتاب بنقض المنطق تسمية بالمعنى الأعم الشامل لنقض أقوال المخرفين عن هدي القرآن كالقدرية والمعتزلة والجيزية والجهمية ودعاة الملل والاتحاد ، وغيرهم كثير ، كعلماء الكلام المؤولة والمعطلة ؛ ومعظم الكلام معهم يدور حول الصفات والقدَر ، ولشيخ الإسلام قاعدة في ذلك تسمى «تحقيق الإثبات» للأسماء والصفات» و «حقيقة الجمع بين القدر والشرع» وهي المعروفة بالتدسرية (المطبوعة في مجموع سنة ١٣٢٥ هـ) وله قواعد كثيرة في الرد على هذه الأضناف ، منها قاعدة في أن كل آية يجتج بها مبتدع ففيها دليل على فساد قوله ، وقاعدة في أن كل دليل عقلي يجتج به مبتدع ففيه دليل على بطلان قوله . وقد بسط في كتبه لاسيما كتاب العقل والنقل أن الدليلين السمي والعقلي القطعيين لا يتعارضان أصلاً ، وإذا تعارضا كان أحدهما قطعياً والآخر ظاهرياً ، والقطعي منها هو المقدم . وله قاعدة في بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية ،

وما بينها وبين الطريقة الكلامية والطريقة الصوفية ، وله في الكلام على مسائل العلو والاستواء والصفات الخيرية ، وما يتعلق بذلك من الرد على الجهمية والقدرية والخيرية وغيرهم ، - وفي الرد على الفلاسفة أيضاً - مجلدات وقواعد أملاها مفردة غير ما تضمنته كتبه ( منها ) إبطال قولهم بآبآت الجواهر العقلية ، ( ومنها ) إبطال قولهم بقدم العالم ، وإبطال ما احتجوا به و ( منها ) إبطال قولهم في أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد . ولو عدت رسائله ومسائله وقواعده وأجوبته المستقلة التي أجملها تلميذه الحافظ ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي ( - ٧٤٤ هـ ) في كتابه « العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام احمد بن نبيية » بلغت مئات ، عدا الكتب والمصنفات والفتاوى ، قال الحافظ الذهبي : وما أبعد أن تصانيفه الآن ، تبلغ خمسمائة مجلدة . قال في « العقود » ص ٣٦ : وله كتاب في الرد على المنطق مجلد كبير ، وله مصنفان آخران في الرد على المنطق . قلت : أحدها كتاب « الرد على المنطقيين » وقد طبع في بمباي سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م في نحو خمسمائة وخمسين صفحة ، والثاني « نقض المنطق » وهو هذا ، ولم أمتد الى الثالث ، ولعله كتاب الموافقة بين المعقول والمنقول وهو الكتاب المسمى : « بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » المطبوع على هامش كتاب منهاج السنة النبوية ، بالمطبعة الكبرى الأميرية بمصر سنة ١٣٢١ هـ في أربعة اجزاء كبار ، وهو كتاب حافل عظيم المقدار ، ردد في الامام على الفلاسفة والمتكلمين .

إن جواب الامام في ترجيح مذهب السلف في الاعتقاد على مذهب المتأخرين ، وفي بيان أن أهل الحديث هم أولى بالصواب ، قد استغرق نحو ثلاثة ارباع الكتاب ، وفيه دفع ما يورده حذاق علماء الكلام في هذه المسائل ، ونقض قواعدهم وأقوالهم . والرابع الأخير منه في نقض أصول المنطق الأرسطي وإبطال الأقيسة الفاسدة التي يحنج بها أتباع فلاسفة اليونان ، مما لا تؤيده فطرة سليمة ، ولا ميزان مستقيم ، ولا عقل صحيح ، ولا نقل صحيح ، ويجمع ذلك كله الانحراف

عما نزلت به الكتب السماوية ، وجاءت به الرسل ، واهتدى به السلف .  
وقد أوضح شيخ الاسلام في هذا الكتاب وغيره طريقته في إثبات الأسماء  
والصفات ، وفي بيان منشأ غلط المعطلة والنفاة ، وخلصتها أن لهذه الصفات  
وجوداً علمياً ذهنياً ، ووجوداً خارجياً عينياً ، فوجودها الذهني هو العلمي المطلق  
المجرد عن جميع الخصائص والإضافات كالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر  
والكلام ، وكون الموصوف حياً علمياً قديراً ، سميماً بصيراً متكبلاً ، وهذا القدر  
مشترك بين الموجودات كافة يطلق عليها بالاشتراك الاسمي أو اللفظي ، كما هو  
ثابت لها في الوجود العلمي والذهني ، ولكن شيئاً من ذلك لا يقتضي المشاركة  
في الأعيان الخارجية ، بل الدهن يأخذ معنى مشتركاً كلياً هو مُسَمَّى الاسم  
المطلق ، والعقل يفهم من المطلق قدراً مشتركاً بين المسمين ، وعند الاختصاص  
يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق ، والمخلوق عن الخالق ، ولا بد من  
هذا في جميع أسماء الله وصفاته ، يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق ،  
وما دل عليه بالاضافة والاختصاص ، المانعين من مشاركة المخلوق للخالق في شيء  
من خصائصه سبحانه وتعالى .

### (ترجمة القرآن)

أوضح الامام في معرض الكلام على القياس العقلي أنه إن وافق القرآن فهو  
حق ، وإن خالفه ففي القرآن بيان بطلانه بالأمثال المضروبة « ٢٥ : ٣٣ »  
ولا باتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً » ثم قال - بعد أن عرض  
لأرسطو وأتباعه ، ومن اتبعهم من الآخرين ، وأن في كلامهم الحق والباطل -  
قبل الحق ( اى منهم ) ورد الباطل ، وقال : فالأمر في هذا موقوف على معرفة  
القرآن ومعانيه وتفسيره وترجمته ، والترجمة والتفسير ثلاث طبقات : أحدها  
ترجمة مجرد اللفظ ، مثل نقل اللفظ بلفظ مرادف .

والثاني: ترجمة المعنى وبيانه ، بأن يصور المعنى للمخاطب ، فتصوير المعنى له وتفسيحه إياه قدر زائد على ترجمة اللفظ .

الدرجة الثالثة: بيان صحة ذلك وتحقيقه بذكر الدليل والقياس الذي يحقق ذلك المعنى (ثم قال رحمه الله) : ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن لفظه ومعناه ، كما أمر بذلك الرسول ، ولا يكون تبليغ رسالة الله إلا كذلك ، وان تبليغه الى العجم قد يحتاج الى ترجمة لهم ، فيترجم لهم بحسب الامكان ، والترجمة قد تحتاج إلى ضرب أمثال لتصوير المعاني ، فيكون ذلك من تمام الترجمة . ( قال ) : وإذا كان المعلوم أن أكثر المسلمين ، بل أكثر المنسبين منهم الى العلم لا يقومون بترجمة القرآن وتفسيره وبيانه ، فلأن يعجز غيرهم عن ترجمة ما عنده وبيانه أولى بذلك » ١ ه باختصار ص ٩٧ - ٩٨ .

أقول : إن الدرجة الأولى - وهي ترجمة مجرد اللفظ - أي مثل نقل اللفظ بلفظ مرادف هو ما يُسَمَّى بالترجمة الحرفية للقرآن ، وهي دون ترجمة نظم القرآن وأسلوبه كما لا يخفى ، ومع ذلك فهي متعذرة في كثير من كلماته ، لاسيما أسماء الله تعالى وصفاته . وقد ذكر الغزالي في كتاب « الجامع العوام عن علم الكلام » أن من الألفاظ العربية مالا يوجد لها فارسية تطابقها . ( ومثل غيرها من اللغات ) ولو جاز ترجمة الوحي المعجز ترجمة حرفية لكان لكل قوم من أهله قرآن بلغتهم ، وإذا لمزق أهل الاسلام كل ممزق ، ولتناقضت كتبهم وتراجهم التي تحمل كلام المترجمين وما فيه من خطأ في النقل أو الفهم ، دون الكتاب الذي أنزل آية ومهجة ببلاغته وهدايته . وإذا استغنى الأعاجم عن لغة القرآن بترجمة الى لغاتهم بطل التعبد بتلاوته ، والأخذ بهدايته ، وأذكار الصلاة والحج وغيرها بلغته ، وماذا يبقى لهم من الاسلام يا ترى ؟ وما لارب فيه أن الدرجتين الثانية والثالثة من الترجمة للقرآن اللتين وردتا في كلام شيخ الاسلام هما ترجمة تفسيرية لآيه وسوره ، لا ترجمة لفظية لها ، بدليل قوله : والثاني ترجمة المعنى وبيانه . .

الدرجة الثالثة : بيان صحة ذلك وتحقيقه بذكر الدليل والقياس الذي يحقق ذلك المعنى ، وذكر الدليل والقياس هو علاوة على ترجمة المعاني بتصويرها للمخاطبين وإيضاحها لهم .

والمعقول أن تبلغ دعوة الاسلام لكل أمة بلغتها ، فاذا أمرت بها قلوبهم ، تعلم عامتهم بالعربية ما نصح به عبادتهم ، وتدرس الخاصة القرآن والعلوم الدينية والفنون العربية والأدبية بلغة العرب .

وقد انتشرت العربية - في القرن الأول وما بعده - تبعاً للإسلام في قارات الأرض الثلاث (آسية وأفريقية وأوربا) ودخلت أمة كثيرة في العروبة والاسلام ، فصاروا عرباً ديناً ولفظاً ، وعبادةً ومعاملةً ، وصار لفظ العرب يطلق على جميع المسلمين من جميع الأجناس ، والاسلام هو الذي جعلهم أمة واحدة كما جاء في الكتاب المبين : « إن أمتكم هذه أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » « فهل كان هذا إلا خيراً عظيماً تأخت فيه شعوب كثيرة ، وتعاونت على مدنية كانت زينة الأرض وضياءً ونوراً لأهلها » ؟

طبع هذا الكتاب النفيس على نسخة الأستاذ الصديق محمد نصيف ، وزاد الكتاب صحةً وإتقاناً بتعليقات أصدقائنا الأساتذة المارّة ذكرهم فقد خرجوا ما لم يخرجوا من أحاديثه وترجموا الكثير من رجاله ، وأوضحوا ما رأوا من مشكلاته .

وهذا هو القسم الثاني من مقدمة الأستاذ الوكيل الحافلة

التي وصفناها في طليعة المقال :

القسم الثاني : نقد المنطق ، في هذا نتجلى العظمة الفكرية ، في الامام ابن نبيمة رحمه الله . ويجيب الباحثون على الحق والحقيقة حين ينسبون

الى «يكون»<sup>(١)</sup> و «جون ستيوارث مل»<sup>(٢)</sup> وأضرابها من مفكري الغرب وفلاسفته الفضل الأول والأخير في تقويم المنطق الأرسطي ، وضبط منطق الاستقراء ، أو في الموازنة بين المنطق الصوري والمنطق المادي ، بسلمبها يعرج العقل الانساني الى قدس الحقيقة ، نعم هاجم هؤلاء المنطق الأرسطي ، متهمين إياه بالآلية والتعقيد ، وفرض عنايته بناحية الصورة لا بالملاحظة والتجربة ، وهي الوسيلة الناجعة لفهم ظواهر الكون ، وبالقياس لا بالاستقراء الذي هو أقوم سبيل لكسب المعلومات والوصول الى المعرفة ، لكن ابن نيمية كان أسبق منهم جميعاً ، إذ نقد المنطق الأرسطي ، في عصر كان فيه ذلك المنطق صنم الفكر المعبود ، نقده تقدماً صحيحاً زلزل من هيكله ، وهتك قناع القداسة الزائف عن وجهه ، ليبدو في صورته الحقيقية ، ولكن كان لييكون ، ولعل من يجتني بها ، فذاع لها ذلك الصيت البعيد .

أما ابن نيمية فكان بين معجب لم يعن يبحث مناحي العظمة الفكرية للامام ابن نيمية ، بل عني يبحث الجانب الاعتقادي ، ونشره ، والدياد عنه ، وبين حاقده مونتور ، يحاول طمس معالم هذه العظمة ، وتلك العبقريّة .

كان الحال - بعد ابن نيمية - كما يقول مؤلف كتاب العقيدة والشريعة : « كانت المؤلفات الكلامية التي صنفها العلماء بعد وفاته مباشرة تدور حول فكرة

(١) فرنسيس بيكون للتوفى سنة ١٦٢٦ ، فيلسوف انكليزي ، من زعماء الفلسفة الحديثة ، سبقه راموس وبعض رجال عصر النهضة في التنديد بالمنطق الأرسطي ، ثم جاء هو يتم ما بدأوه ، فحمل حملة شعواء عليه ، وعارضه ممانضة شديدة ، حتى ألف كتاباً سماه : « الارغانون الجديد » ليمارض به كتاب أرسطو الذي سماه : « إرغانون » ولكنه كان دنيء الطبع ، لثيم النفس .

(٢) فيلسوف انكليزي توفي سنة ١٨٧٢ من زعماء المذهب الحسي . للذي كان له خطرته في الفكر والأخلاق ، وقد ردد في منطقته كثيراً من آراء الرواقيين وبعض الشكك القدماء ، وجدّ في ضبط قوانين الاستقراء ، وأنكر الكليات ، والمعماني العامة ، غير مترقب إلا بالوقائيم الجزئية والظواهر الفردية ، والاستقراء الذي يمتد به نوع من التشمل .

واحدة ، وهي معرفة ما إذا كان ابن نبيمة زنديقاً أو منافحاً أميناً عن السنة» (١) .  
غير أننا نستبشر خيراً بما بدأت المطبعة تنشر من دفائن كنوز هذا الفكر  
الاسلامي الجبار ، ومن بحوث تدرر حول تجلية مناجي العظمة الفكرية لهذا  
الامام العظيم .

منطق أرسطو وموقف المسلمين منه : عرف أرسطو بمنطقه قبل أن  
يعرف بشيء آخر من آثاره الفلسفية ؛ وكان لمنطقه السيادة المطلقة في العصرين :  
القديم والوسيط ، فلم ينازعه السيادة منطق آخر ، وأنتى تكون ؟ وليس ثمة  
سواه : فالجدل «الأفلاطوني» (٢) أقرب الى المناقشة والحوار منه الى المنطق ،  
أما قانون «أبيقور» (٣) فهو لا يرمى الى وضع (قانون تعصم مراعاته الذهن عن  
الخطأ في الفكر) بل ينصب على المعرفة أولاً وطريق كسب المعلومات ، نعم  
قسم الأبيقوريون الفلسفة الى ثلاثة أقسام : منطق ، طبيعة ، أخلاق ؛ غير أن  
هذا التقسيم صوري تقليدي ، تأثروا فيه غالباً بأفلاطون ، لذا كانت غايتهم  
بدراسة المنطق هزيلة .

أما «الرواقيون» (٤) فنقدوا المنطق الأرسطي ، ووجهوا اليه اعتراضات مهمة ،  
وكانوا لا يؤمنون بفكرة (الكلي) فكان طبيعياً أن يرفضوا ما يبي عليها من  
قواعد المنطق وقوانينه ، وحاووا تأليف منهج استقرائي ، يدنو الى مناهج البحث  
العلمي الحديث .

- (١) ص ٢٧٦ من كتاب العقيدة والشريعة في الاسلام لجولدزير .
- (٢) افلاطون : فيلسوف يوناني ولد عام ٤٢٧ ق.م وهو صاحب نظرية المثل للثورة  
التي كانت مصدراً كبيراً لصوفية الأديان كلها في أساطيرها .
- (٢) فيلسوف يوناني ولد سنة ٣٤١ ق.م . في ساهوس ، كانت الأخلاق عنده محور  
الفلسفة وغايتها ، ومذهبه في الأخلاق مذهب اللذة ، فغاية الحياة عنده : هي اللذة .
- (٤) الرواقية : معاصرة للأبيقورية وممارضة لها ، وضع أصولها « زينون » وأتمها من  
بعده تايمان له ، ومذهبه في الأخلاق ، أن يعيش الانسان وفق الطبيعة والعقل ،  
ويكاد يكون مذهبها حلوياً .

وكذلك عارض «الشكك»<sup>(١)</sup> منطق أرسطو ، إلا أن هذه المعارضات كلها ، جرفها أمامه سلطان منطق أرسطو القاهر .  
وقد دخل المنطق الأرسطي العالم الاسلامي في وقت مبكر<sup>(٢)</sup> فعرفوه وعرفوا معه تلك الشروح التي أضافها اليه شراحه اليونانيون ، وعرفوا أيضاً نقد الرواية والشكك للمنطق الأرسطي . وكان لمفكري الاسلام وفلاسفته ومتكلمييه وأصولييه وفقهائه مواقف متباينة أمام هذا المنطق .

أما الفلاسفة : فقد تلقوه بالاعجاب ، وأحاطوه بهالة من القدسية ، وأما المتكلمون والأصوليون ، فجنحوا الى الرواية ، رافضين المنطق الأرسطي ، غير أن الغزالي كان أول أمره بقدس منطق أرسطو ، حتى ليقول : « إن من لا يحيط به فلا ثقة بعلومه » وبالبحر حتى جعله ميزاناً يزن به العلوم الدينية وسواها ، فيقول في كتابه القسطاس عن قوانين المنطق : « لا أدعي أنني أزن بها المعارف الدينية فقط ، بل أزن بها العلوم الحسابة والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية ، وكل علم حقيقي غير وضعي ، فإنني أميز حقه عن باطله بهذه الموازين ، وكيف لا ؟ وهو القسطاس المستقيم » .

غير أن الغزالي رفض المنطق الأرسطي في نهاية أمره ، وأنكر أن يكون سبيل الوصول الى المعرفة ، ثم مضى يتلمسها عن طريق التجربة الباطنية ، أو أسطورة الكشف الصوفي ، كما صرح بذلك في كتابه : « المقصد من الضلال » .  
أما ما سوى هؤلاء من فقهاء المسلمين ، فكان موقفهم عدائياً تاماً ، غير أنهم تباينوا ، ففريق كان مظهر عدائه فتاوى يصدرها ، محرماً بها الاشتغال بالمنطق ، كابن الصلاح ومن تابعه ، وفريق كان موقفه الناقد بالبرهان ، وإمام هؤلاء جميعاً : الامام ابن تيمية .

(١) جماعة رأوا تناقض الآراء وتناقضها ، ففقدوا الايمان بالحق والخير ، وإمامهم « بيرون » المعروف بكونه صاحب مذهب : للنكر للعلم واليقين .  
(٢) قيل في عهد خالد بن يزيد ، وقيل : في عهد أبي جعفر المنصور ، ولسنا بصدد تحقيق تاريخي هنا .

نقد ابن تيمية للمنطق : لسنا بصدده دراسة شاملة لهذه الناحية عند الامام ابن تيمية ، وحسبنا استنباط مظاهر نقده للمنطق من هذا الكتاب الذي نسمعه بتقديمه الى القراء .

عرض لأوجه النقد في الكتاب : في الكتاب يتحدث عن المنطق ، ويزيف زعم غلاته ؛ أنه فرض كفاية ، ثم يذكر ذم علماء المسلمين له ، وعدم كفاية المنطق في الوصول الى الحق ، وأنه لا يفيد أربابه الايمان الواجب ، وبالطالما كان المنطقي زنديقاً ، وقد يجمع بين الايمان والنفاق . ثم يتحدث عن القياس ، وأنه يعتقد بالفطرة ، دون حاجة الى تعلم المنطق ، وبذلك أنه خدع بالمنطق ثم تجلّى له عدم فائدته . ثم يعرج على نقد المتكلمين للمنطق ، متحدثاً عن أنواع الأقيسة ومفاهيمها عند المناطقة ، وعن الشهورات ، وعن صلة القياس بالبدئية والفطرة ، ثم ينقد مناهضة الفلاسفة والمتكلمين واليهود والنصارى في موقفهم من القياس . ثم يتحدث عن قياس التمثيل ، وعلم ما بعد الطبيعة ، وصلة المنطق بالمعلوم وعدم الحاجة اليه في الأمور العملية .

واستطرد - كعادته - مبيّناً تلازم الأصول الثلاثة « التوحيد ، الإيمان بالرسول ، الإيمان باليوم الآخر » ذاكراً : أن السعادة لا يحصلها منطق ولا حكمة ، ولا فلسفة المناطقة والحكماء والفلاسفة ، وبرهن على أن غير العلم الإلهي ليس فيه يقين ، وليس سبيلاً للنجاة ، ثم بين أن كلام المناطقة إنما ينحصر في الحدود التي تفيد التصورات ، وفي الأقيسة التي تفيد التصديقات ، وأن غالب كلامهم في هذا : فيه تكلف في العلم ، وفي القول ، وجله لغو لا فائدة فيه .

نقد الحد : يزعم المناطقة : « أن التصور الذي ليس يبدئي لا ينال إلا بالحد » هذا مقام سالب جال فيه الامام وصال ، هادماً لهذه القضية ، مثبتاً فسادها بستة عشر وجهاً ، فزاد خمسة أوجه عما ذكره في كتاب « الرد على منطق اليونانيين »

وكاننا نود تلخيص هذه الحجج العقلية الرائعة ، بيد أنا تترك للقاري الكريم أعمال فكره ، ليستمتع بنفسه بذلك الحجاج الفكري الرائع ، الذي يسموبه ابن تيمية الى الذروة ، من دقة التفكير وقوة الملاحظة ، وبصر الادراك ، ولعان الذهن ، وفضاز البصيرة . ثم يستطرد فيبين أن العرب والمسلمين منهم هم أعظم الناس إدراكاً للفروق بين الصفات الذاتية ، وأدقهم في التمييز بين المشتركات .

ثم بين فضل منطق متكلمي الاسلام على سواه من منطق الفلاسفة ومتكلمي الروم . ثم بين رأيه في الحد عند المناطقة ، فيرميه بأنه حشو لكلام كثير ، وأنه يعقد السهل ، ويحبل الوضوح غموضاً .

نقد القياس : وينقد ابن تيمية القياس ، مبيناً أن صورة القياس فطرية ، تمنع دون حاجة الى تعلم ، وأن باطل القياس المنطقي أكثر من حقه ، والحق الذي فيه فطري لا يحتاج الى هذا القياس فيه .

ثم بدأ يستدل على فساد القياس بحجج متعددة ، تجلت فيها المواهب الفكرية الرائعة النادرة للامام ، تجليه لنا علماً يسامي قصي النجم ، فوق قمة الفكر الانساني العليا . وحق ما يقول الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق : « ولو أن الدراسات المنطقية سارت منذ عهد ابن تيمية على منهاجه في النقد ، بدل الشرح والتفريع والتعمق لبلقنا بهذه الدراسات من التجديد والرفي مبلغاً عظيماً » (١) . هذا ما أردنا إثباته من مقدمة الأستاذ « الوكيل » في وصف هذا المؤلف الجليل .

محمد بهجة البيطار



## مجموعة غرفة تجارة حلب

نشرت غرفة تجارة حلب مجموعتها الاقتصادية لعام ١٩٥١ ، كمعادتها ، وفيها احصاء دقيق ، وآراء اقتصادية حسنة جديدة بالدرس والتنفيذ ، وقد قال محافظ حلب ( آنئذ ) الأستاذ هاني السباعي في كتابه للغرفة التي جعلته مقدمة ثانية لمجموعتها : « واذا ما استطاع رجال الاقتصاد والمال في هذا البلد الكرم ان يؤمنوا تفوق الصادرات على الواردات في ميزاننا التجاري ، وأن يسيروا قدماً في هذا المضمار ، فانما يكونون قد حققوا للبلاد السورية بصورة عامة ، وللشعب بشكل خاص ما نرجوه من رخاء وازدهار وتقدم ، وما تستهدفه من رفعة ومجد وسودد » .

هذه كلمة حقيقية لا ريب فيها ، لأن ما يتوقع أن تنتجه سورية ، أعظم مما تنتجه اليوم بكثير .

ثم جاء الأستاذ محمد سعيد الزعيم ، نائب رئيس الغرفة بتقرير ضاف عن اقتصاديات البلاد ، وحال فيه بيان وزير المالية السورية في البرلمان يوم ١٨ تموز سنة ١٩٥١ فكان موفقاً في تقريره .

وجاء في المجموعة بحث عن أهم المشاريع الانشائية الزراعية في سورية وهو بحث مهم ، ترجو ان توفق الحكومة الى تنفيذه .

واستعرضت المجموعة أيضاً أسماء الشركات والتجار والصارفة ، وبينت ما قدر من الأقطان المستهلكة ، ونشرت محاضرة للسيد ليون مراد عن تاريخ القطن والقطن السوري وتنظيم إنتاجه . وهناك ايضاحات وافية عن مؤتمر الغرف التجارية والزراعية العربية ومقرراته .

ويجث بعدئذ عن أسعار البضائع التجارية الرئيسة ، وعن الموازنة السورية ، ثم نشرت قائمة بعدد خريجي الجامعة السورية ، والمدارس الأخرى ، وهناك قوائم أخرى

عن انتاج الاسمنت والتبغ السوري والقوة الكهربائية في سورية ، وتقلبات  
السكة الحديدية وموازنتها ، والميزانية الموحدة لأهم المصارف في سورية ، والنقد  
المتداول ، والأسعار المحلية .

ودرج في المجموعة نص الاتفاقية التجارية بين سورية والمملكة العربية السعودية ،  
وهي نافذة لتجار البلدين . وهناك دراسات عامة عن تطور سورية الاقتصادي ،  
وتطور العلاقات التجارية بين دول الجامعة العربية ، ومقادير غلات حلب ، منذ  
ستين عاماً ، وهي أبحاث دقيقة .

وفي المجموعة مقال للأستاذ سعيد حمادة عن التحالف الاقتصادي في الديار  
العربية ، وقد انتقد بعض حالاتها الاقتصادية الراهنة ، ومقالات أيضاً لكتاب  
آخرين جديدة بالمطالعة ، كما أن هناك دراسة عن شرق الأردن ، ودراسة  
عن صنع الورق في سورية ، وتقريراً سنوياً لغرفة تجارة حلب عن سنة ١٩٥٠ ،  
ثم بحث عن المغتربين السوريين في زيارة حلب ( في تموز سنة ١٩٥١ ) وختمت  
النشرة بإحصاء صادرات ومستوردات سورية ، منذ ١٤/٣/٩٥٠ حتى غاية السنة ،  
ومنها يبين ان قيمة المصدر من سورية بلغت ٢٠٧٥٨٦٥٥٤٤٩ ليرة سورية ،  
وقيمة المستورد في تلك المدة بلغت ١٩٧٥٥٩٨٥٩٩١ ليرة سورية .

ولهذه المجموعة السنوية فائدة ملوسة ، سدت فراغاً في الميدان الاقتصادي  
السوري فنشكر جهود غرفة التجارة بحلب ، على نشاطها المتواصل .

صبر الشريف

## آراء وأنباء

من رسالة للأمير شكيب أرسلان رحمه الله

ان قضية الحضارة العالمية وموقف الأمة العربية منها أصبحت بحثاً عالمياً وعلمياً مقصوداً طالما شغل الألباب واستوقف الأنظار وانقسم الناس فيه الى طبقاتٍ وذهبوا مذاهب شتى . فمنهم من ذهب الى أن العرب لم يزيدوا على أن ينقلوا الى اللغة العربية فلسفة يونان وبعض حكم فارس والهند ، وأن كل ما أثروه في الأرض ان هو الا نقل وتقليد واستعانة بالغير ، ومنهم من ذهب الى أن مدينة العرب قديمة أصيلة أصلية سواء قبل الاسلام أو بعده وهي ذات طابع عربي خاص بها لم تأخذه عن أمة أخرى وانما اقتبس العرب من جيرانهم ما لا تخلو أمة متحضرة من مثله في كل عصر اذ كان العلم ولا يزال مشاعاً بين الجميع وقل أن وجدت أمة في الدنيا آخذة من الحضارة بنصيب لم تأخذ عن غيرها ما تجده موافقاً لمشربها . ومنهم من سلك في هذه المسألة طريقاً وسطاً فلا أفرط بالاعجاب بالعرب ومدنيتهم ولا فرط في اعطائهم حقهم . والمذهب الأول هو سبيل الشعوبية الذين - سواء في القديم أو في عصرنا هذا - يولي عليهم الهوى أكثر مما يولي عليهم التحقيق . ومن هذه الفئة من يجب أن يخالف ليُعرف . وأما المذهب الثاني فهو مذهب أهل الجدل الذين لا يزال عددهم ينمو بالتسارع مناهج البحث واكتشاف غوامض العلم وتكاثر الطبقة التي تقصد الحقيقة لذاتها لا تريد أن تجعلها مطية للسياسة ولا يتكأءدها أن تصرح بالحق ولو على نفسها . وأما المذهب الثالث فهو الذي عليه جمهور الأوربيين الذين أنشأهم آباؤهم على مبادئ بعيدة عن إنصاف العرب فشبوا وشابوا عليها ، وكانت السياسة

مما يزيدهم تأثراً بها فهو لاء لا يريدون أن يعترفوا للعرب وللإسلام بما يجعل منارهما عالياً في الأرض ويرغّب الخلق فيها ولكنهم يحاذرون أن يغطوا من فضل العرب الى الحد الذي يجعلهم مكابرين في المحسوس منتقدين في نظر رواد الحقائق من قومهم فلذلك تراهم يشيرون الى بعض مآثر العرب والإسلام دون اسراف واذا مروا بالحسنة نقصوا منها وعلى كل حال لم يحمسوا في وصفهم واذا عثروا على السيئة استقبلوها بترحاب وانشرحت صدورهم كأنما جاءهم التاريخ بهدية نفيسة وهو مذهب فيه من الدنابة أكثر مما فيه من حب الحقيقة .

\*\*\*

### (ثنائية الأب مرمرجي)

يرى القارىء في هذا العدد (ص ٢١٦) مقالاً مسهباً في موضوع (الثنائية) التي قال بها وعمل على تأييدها ونشر قصتها زميلنا الفاضل الأب مرمرجي . ومعنى ثنائته أن أصول الأفعال مطلقاً هي حرفان اثنان لثلاثة أحرف كما يزعم علماء اللغة . وقد تكرر مني القول على صفحات هذه المجلة باستنكار ما قاله حضرته حتى جاء مقاله الأخير الذي أشرنا اليه فرأيناه فيه بعد السير الى تأييد رأيه والاستشهاد عليه بما ورد عن بعض علماء اللغة مما لا يصلح شاهداً ولم تكن كلمة (الثنائية) في قولهم بالمعنى الذي أرادوه . ويحتاج الى إثبات عدم صلاحية هذه الشواهد الى تطويل في القول واصهاب في الشرح وربما اضطررنا الى إعادة ما كنا قلناه من قبل . وان قلنا إن أطاق ذلك فلا نظن أن صدور القراء تطيقه . وأقرب ما نقوله في التعليق على مقاله هو اقتصارنا على ما أشار اليه في صدر المقال من أن (الثنائية) مفترضة افتراضاً . وهذا ما جعلني أقول انه لا أسهل عليّ من موافقتي على ثنائته هذه : إذ قد يفترض الحال . بل ليس في الافتراض جدال . ألم نفرض الأصوات مصدراً لطائفة كبيرة من ألفاظ اللغة العربية بل للغات

الأخرى : فحلجلة الرعد اشتقت من صوته وصلصلة الحديد كذلك وأزير القدر من صوتها وزئير الأسد من صوته وهكذا غيرها . بيد أن الافتراض شيء والواقع شيء آخر . وأعني بالواقع ما تحصل في جميع معاجم اللغة تحقيقاً وفعلاً لافتراضاً ورأياً . والذي في هذه المعاجم هو : ان كل فعل بل كل اسم مرّؤه الى ثلاثة أحرف . هذا في الأفعال الثلاثية ومزیداتها وسمته بعضهم في الأفعال الرباعية المضاعفة فززل من ( زل ) وغمغم من ( غم ) وهكذا . والمتعمقون في أسرار اللغة كابن جني تخطئ به الى الأفعال الرباعية غير المضاعفة كفعل ( دحرج ) مثلاً فإنه لا مانع يمنع من أن يكون أصله فعلين ثلاثيين نُحِتَ منها فعل رباعي واحد فأصل ( دحرج ) : ( دحر ) الحجر حتى ( جرى ) ففتحوا من فعليّ دحر وجرى فعل دحرج الرباعي .

وربما كان هذا الرأي افتراضاً كافتراض ثنائية الأب مرمرجي . والذي أراه أن الرجوع الى دعوى الثنائية في ألفاظ اللغة لبس من رقيتها في شيء وانما هو مؤد الى بلبتها واضطراب أمرها والساوك بها في مهامه لا تنتهي عند حد . ولا يغرب هذا عن ذهن الأب المحترم كما لا يغرب عن باله أن علم الصرف مبني على ( ثلاثية ) ألفاظ اللغة فالقول بثنائيتها بقوّة علم الصرف من أساسه ويضطر حضرة الأب الى أن يقوم مقام البصريين والكوفيين في وضع علم جديد في ( الصرف ) يقوم مقام القديم ويرتكز على الأجرومية السريانية لا يذكر الأب فيه ان فعل الأمر من قام مثلاً لبس ( أقنوم ) بل كذا وكذا مما لا يفهمه إلا هو وحده . والسلام عليه وعلى كل محب للفتنة العربية مثله .

المغربي

## حول ما كتبه الأستاذ الفاضل حمد الجاسر

على المقدمة التي وضعها الأستاذ الفاضل صلاح الدين النجد  
لكتاب طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب

قال بعد أن ذكر الكتب التي سردها الأستاذ النجد ولم يبين مؤلفيها :  
ومن الكتب المؤلفة في الأنساب مما لم يذكره الأستاذ النجد :  
كتاب مشبه النسبة لعبد الغني بن سعيد الأزدي ( ٤٠٩ ) في الظاهرية  
تحت رقم ٥٤٧ ( حديث ) .

أقول الذي نعرفه ويعرفه الكثير أن علم الأنساب علم يعرف به نسب  
الشخص إلى آبائه وأجداده وتعرف بها القبائل ومن أين تفجّر وتسلل وتنشعب .  
وكتاب مشبه النسبة لا يمت إلى كتب الأنساب بصلة . فلا يحسن أن يعدّ  
بينها بل هو كتاب لغة يقصد منه ضبط أسماء وألقاب وكفى المحدثين لترتفع  
الشبهة في رسمها وشكلها . ويترتب على ذلك أمور عند علماء الحديث .  
ولذا وضعت المكتبة الظاهرية في قسم الحديث كما ترى بل حقها أن تضعه  
في قسم المصطلح لأن معرفة ذلك نوع من أنواع المصطلح وتراه في كل كتاب منه .  
وكتاب مشبه النسبة المتقدم لم يبق في عداد المخطوطات . بل هو مطبوع  
في الهند سنة ١٣٣٧ طبعه حجرية . ومع كتاب المؤلف والمختلف في أسماء نقلة  
الحديث للحافظ عبد الغني بن سعيد نفسه . والكتابان عندي والله الحمد ومعها  
التاريخ الصغير للإمام البخاري . وكتاب الضعفاء له . وكتاب الضعفاء للنسائي .

ما المقصود بالمؤتلف والمختلف في هذا الفن

قال الحافظ ابن حجر في شرح تحفته : وإن انفقت الأسماء خطأ واختلفت  
لفظاً سواء كان مرجع الاختلاف النقط أم الشكل فهو المؤلف والمختلف ومعرفة  
من مهات هذا الفن حتى قال علي بن المديني : أشد التصحيف ما يقع في الأسماء .

• ووجه بعضهم انه شيء لا يدخله القياس • ولا قبله شيء • يدل عليه ولا بعده •  
 • وقد صنف فيه أبو احمد العسكري لكنه أضافه الى كتاب التصحيف •  
 ثم أفرده بالتأليف عبد الغني بن سعيد فجمع فيه كتابين : كتاب في مثبته  
 الأسماء ، وكتاب في مثبته النسبة • وجمع شيخه الدارقطني في ذلك كتاباً حافلاً •  
 ثم جمع الخطيب (البغدادي) ذبلاً • ثم جمع الجميع أبو نصر بن ماكولا في كتابه  
 الاكمل واستدرك عليهم في كتاب آخر جمع فيه أوهامهم وبينها • وكتابه من  
 أجمع ما جمع ذلك • وهو عمدة كل محدث بعده • وقد استدرك عليه أبو بكر  
 ابن نقطة ما فاته أو تجدد بعده في مجلد ضخيم • ثم ذيل عليه منصور بن سليم  
 (بفتح السين) في مجلد لطيف • وكذلك أبو حامد بن الصابوني • وجمع الذهبي  
 في ذلك كتاباً مختصراً جداً اعتمد فيه على الضبط بالقلم • فكثرت فيه الغلط والتصحيف  
 المبين لموضوع الكتاب <sup>(١)</sup> ، وقد يسر الله تعالى لي بتوضيحه في كتاب سميت  
 المنتبه بتحزير المشبه وهو مجلد واحد فضبطته بالحروف على الطريقة المرضية  
 وزدت عليه شيئاً كثيراً مما أهمله ولم يقف عليه اه <sup>(٢)</sup> •

والحافظ ابن حجر لم يستقص بما ذكره كتب هذا النوع •

والذي استقصى كتبه أو كاد هو شيخنا ومجربنا العلامة الامام السيد محمد بن  
 جعفر الكتاني رحمه الله تعالى في كتابه : (الرسالة المستطرفة في كتب السنة  
 المشرفة) فقد عدد في كتب هذا النوع من ص ٨٦ الى ص ٩١ •

وها نحن نذكر نماذج من كتابي الحافظ عبد الغني بن سعيد يتجلى أن المقصود  
 ضبط أسماء الناس وألقابهم وكنامهم وضبط نسبتهم الى بلادهم أو حرفتهم •

(١) اسمه مثبته النسبة طبع في ليدن سنة ١٨٦٧ منه نسخة في دار الكتب الوطنية ببلج.  
 (٢) منه نسخة نفيسة في الأحمدي ببلج محررة سنة ٨٥٩ أي بعد وفاة المؤلف بسبع سنين  
 ونسخة في المتحف البريطاني • وأخرى في المكتبة الرامغورية في الهند • وأخرى  
 في المكتبة الأصفية بميدان آباد الدكن • ذكر الفاضل الجاسر نسخة في دار الكتب  
 للصرية تحت رقم ٢ (مصطلح) ورأيت في ذيل دليل الفالحين شرح رياض  
 الصالحين لابن علان ما يفيد التحويل على طبعه من قبل لجنة • وأظن أنه لم يطبع بعد •

قال في كتاب المؤلف والمختلف .

### باب الألف

أسيد . وأسيد . وأسيد

فأما أسيد بفتح الألف وكسر السين . أسيد بن رافع . وعدد كثيرين  
وأما أسيد بالضم أسيد بن خضير . وذكر غيره  
وأما أسيد بالتشديد وضم الألف . فهو أسيد بن عمرو الخ .

### باب أفلح . وأفلح

أفلح بالفاء جماعة . وأفلح بالقاف واحد . وهو عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح .  
وهكذا إلى حرف الياء . والكتاب في ١٣٠ صفحة .

وقال في خطبة كتاب مشبه النسبة : أما بعد فإني لما صنعت كتابي في مؤلف  
أسماء المحدثين ومختلفها نظرت فإذا من ينسب منهم إلى قبيلة أو بلدة أو صنعة  
قد يقع فيها من التصحيف والتحريف مثل ما يقع في الأسماء والكنى التي حواها  
كتاب المؤلف والمختلف الذي تقدم تصنيفي إياه قبل هذا الكتاب وغيره  
فاستغرت الله تعالى وألفت كتاباً في المنسوب منهم إلى قبيلة أو بلدة أو صنعة  
يشبه انتسابه في الخط ويفترق في اللفظ والمعنى على من ليس له بذلك علم  
ولأله به دربة . ثم قال :

### باب الأبيدي والأبيلي

فأما من يقال له الأبيلي بالياء المعجمة بواحدة من أهل الأبيلة فشياب  
ابن فروخ الأبيلي . وعمر بن يحيى الأبيلي . وذكر غيرهما .  
وأما الأبيلي بالياء المعجمة باثنتين من تحتها من أهل أيلة فحسين بن رستم  
الأبيلي . ويونس بن يزيد الأبيلي . الخ .  
باب الأزدي والأردني .  
باب الأسدي . والأسدي .

باب البصري . والنضري . والنضري . والنضري .

وهنا يذكر من هو الأزدي . والأردني . وهكذا .

وهذا الكتاب في ٨٠ صفحة .

وذبول هذين الكتابين التي ذكرناها وغيرها من الكتب المؤلفة في هذا الفن كلها على هذا النمط .

ثم ذكر الأستاذ الجامر كتاب المؤلف والمختلف لمحمد بن طاهر المقدسي ، وقال انه موضوع في الظاهرية في كتب التصوف . فوضعه فيها لأراء صواباً إلا اذا كان معه عدة كتب هي في فن التصوف .

ثم ذكر كتاب التوضيح لكتاب المشبه . وتوضيح المشبه لابراهيم بن محمد الحنبلي . وذيل الاكال للحافظ محمد بن عبد الغني . فهذه كلها داخلة في فن المصطلح فوضعها في المكاتب بينها ، وعددها من هذا الفن هو الصواب ولا يحسن أن تعد في جملة كتب الانساب .

ورأيت الأستاذ غلطة هي من نوع ما نحن فيه . وهي : النور الجلي في النسب الشريف النبوي لحسن بن عبد الله النجاشي . هكذا بالنون والجم . والصواب النجاشي بالياء الموحدة المفتوحة والخاء المعجمة الساكنة والثنين المكسورة وهو من علماء حلب وترجمته الحافلة في تاريخي (أعلام النبلاء) منقولة عن سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للعلامة المرادي .

محمد راغب الطباخ

## ديوان الوأواء الدمشقي

قرأت في الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع العلمي العربي تعليقا للأستاذ حمد الجاسر على ديوان الشاعر الوأواء الدمشقي نشر الأستاذ سامي الدهان مستفاداً من مقابلته النسخة المطبوعة على نسخة مخطوطة بمكتبة الأمير مساعد آل سعود وانه وجد فيها خمسة أبيات ليست في المطبوعة وذكر هذه الأبيات التي سلت منها .

ولما كنت أملك نسخة مخطوطة من الديوان موشاة الهوامش ومذيلة بمقطوعات عشر عليها بعد كتابتها سنة ١٣٣٣ هـ ولما لم أكن أملك النسخة المطبوعة بتحقيق الأستاذ الدهان لأقابل بين المخطوطة والمطبوعة اقتصرت على مراجعة الأبيات الخمسة التي استدرکها الأستاذ الجاسر وقلت منها المطبوعة فرأيت في صلب النسخة المخطوطة المقطوعة الأولى كما أوردها والمقطوعة الثانية إلا ان في عجز البيت الأول : (سفسكوا) بدل (سروا) ، و صدر البيت الثالث : (بذكرم) بدل (بذكرم) ، وأما رواية عجز البيت في نسخة الأمير مساعد :

(والحلف بالمين ليس بالمين)

فهي برواية المخطوطة :

(والحلف بالله ليس بالعين)

وأما البيت الذي هو مفتتح القصيدة الميمية في مدح الشريف العقيلي بدء الصفحة الثانية من نسخة الأمير مساعد فهي في نسختي مبتدأ تصائد حرف الميم ومقطوعاته وأما الأبيات المختتمة بها نسخة الأمير مساعد فقد رويت في نسختي بشيء من الاختلاف وهذا نصها :

إذا بعدت فاني قائم فلقى علي ثوبان ثوب الضر والسقم

وقد ندمت على ما كان من زلل وأنت أعظم من يرجى من الأمم  
 فاغفر لعبدك يا مولاي زلته أولا فحكك فينا غير محتكم  
 وفي نسختي بعد القصيدة الممدوح بها الشريف العقيقي إحدى وعشرون  
 قصيدة ومقطوعة على حرف الميم وبعد نعمة الديوان وآخرها ما هو على حرف الهاء  
 أورد ملحقات منها ما هو على روي الواو والباء والضاد والعين والفاء والقاف  
 وأخرى على حرف النون ومنها قصيدة طويلة . ومقطوعة على حرف التاء مع  
 الهاء وفي الأخير مقصورة تبلغ خمسة وعشرين بيتا ما عدا ما وشي به هامش  
 هذا الديوان من المقاطيع .

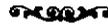
سليمان ظاهر

النبطية - لبنان



## هدية للظاهرية

تسليت دار الكتب الظاهرية من آل المرجوم الأستاذ الطيب محمد جميل الخاني  
 مجموعة من كتبه البالغ عدد مجلداتها ٣٩٤ مطبوعاً و ٨ مخطوطات فنشكر  
 آله على تنفيذ وصيته ونسأل الله عز وجل أن يشتمه برحمته وإحسانه .



## فهرس الجزء الثاني من المجلد السابع والعشرين

صفحة

للأستاذ محمد كرد علي	الأب لويس شيخو	١٦١
» شفيق جبيري	دراسة العقد الفريد	١٦٥
» محمد بهجة البيطار	شيخ الاسلام ابن تيمية (١)	١٧٥
الدكتور عمر فروخ	التشريع اللبناني	١٩٨
للأستاذ عباس المزوي	ذكرى أبي التاء محمود الأوسي	٢٠٧
للأب مرمحي الدومنيكي	طلائع الثاية في التقديم	٢١٦
للأستاذ صلاح الدين المنجد	أرجوزة في محاسن دمشق	٢٢٥
» نعم المحصي	تاريخ فكرة إعجاز القرآن (١)	٢٤٠

### التعريف والنقد

	العلوم والآداب والفنون على عهد	٢٦٤ - ٢٦٧
	الموحدين - محمدي الفردوس كشير-	٢٧٠ - ٢٧١
للأستاذ عارف النكدي	خزائن الكتب العربية في الخافين -	٢٧٣ - ٢٧٤
	ثقافة الهند - مباحث في فن الطبخ عند	
	العرب - أمواج الروح	
الدكتور حكمة هاشم	دراسة للأغاني	٢٧٤
	أبوالدرج الاصبهاني وكتابه الأغاني -	٢٧٩ - ٢٨١
	شرح ديوان الحماسة - رد العامي	٢٨٣ - ٢٨٦
للأستاذ شفيق جبيري	الى الفصيح - لكل زهرة عير -	٢٨٨ - ٢٨٩
	من الأدب - شعر كعب بن زهير	
للأستاذ عبد القادر المغربي	الاسلام بين السنة والشية	٢٩٠
	مسلة مطبوعات دار العروبة في	٢٩٣ - ٢٩٧
» محمد بهجة البيطار	باكستان - نقض المنطق	
» منير الشريف	مجموعة غرفة تجارة حلب	٣٠٧

### آراء وأبناء

	من رسالة للأمير شكيب أرسلان رحمه الله	٣٠٩
للأستاذ عبد القادر المغربي	ثناية الأب مرمحي	٣١٠
» محمد راغب الطباخ	حول ما كتبه الأستاذ حمد الجاسر	٣١٢
» سليمان ظاهر	ديوان الواواء الدمشقي	٣١٦
	هدية لظاهرية	٣١٧

## مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٥ - المهرجان الأنبي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٦ - تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٧ - المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي الحسين التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - غوطة دمشق : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي . قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٢ - ديوان ابن عتير : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٣ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكلمته الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان ابن حيسوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .
- ١٥ - // // // // // (الجزء الثاني) .
- ١٦ - ديوان الواواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ١٧ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلد الأول) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المجدد .
- ١٨ - عشرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

١٤ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الأول ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢٠ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني .

٢١ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٢ - ( الجزء الثاني ) = = = =

٢٣ - الموفى في النجوم الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرح  
وتعليق الأستاذ محمد بهجة البيطار .

٢٤ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين

٢٥ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق الأستاذ  
صلاح الدين المنجد

٢٦ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٢٧ - التبصر بالتجارة للباحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا

٢٨ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه  
الدكتور يوسف العث

٢٩ - المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي

٣٠ - تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي

٣١ - بحوالعوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخنيلي الحلبي

٣٣ - الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي

٣٤ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم

٣٤ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

تباع مطبوعات المجمع العلمي العربي  
في المكتبة العربية لأصحابها عبيد اخوان بدمشق

# مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٢

٩ شوال سنة ١٣٧١

## نظرية الخير عند ابن سينا

من عادة مؤرخي الفلسفة ، إذا بحثوا في مذهب من المذاهب ، أن يجللوا هذا المذهب ، ويبينوا علاقته بالوسط الاجتماعي الذي ظهر فيه . والسبب في ذلك أن حياة الفيلسوف تأثراً عميقاً في مذهبه ، فإذا كانت حياته مقترنة بالآفات ، والشدائد والآلام ، جاء مذهبه في الغالب مفعماً بالتشاؤم ، وإذا كانت حياته ، على العكس من ذلك ، مقترنة بالسعادة والرفاهة ، جاء مذهبه مشبعاً بروح التفاؤل . فإن الحياة المحبوبة ، التي معها صحة البدن ، واعتدال المزاج ، توحى بالأطمئنان والرجاء ، وتبث على الاعتقاد أن الخير عام في الوجود . وقتلها وجدت فيلسوفاً ريبياً لم يكن عبسه مضطرباً ، ولا فيلسوفاً وثوقياً أو عقلياً لم يستمد وثوقه وإيمانه من تربيته ونشأته . وإذا كان الأمر على ما وصفنا فلبس بعجيب ان يكون مذهب الفيلسوف صورة صادقة لمزاجه وسجيته ، وان تكون مبادئه وغاياته موافقة للتيارات الاجتماعية التي أحاطت إليه ، ولكن العجيب أن يجيء مذهب الفيلسوف مبايناً لحياته ، وان لا يكون بينه وبين الوسط الذي عاش فيه

تجاوب وتفاعل . ففي التاريخ أمثلة كثيرة تدل على أن نشوء بعض المذاهب لا يمكن أن يعزل بتأثير الحياة ، والتربية ، والوراثة . وكثيراً ما رأينا بعض المذاهب الفلسفية مباينة تماماً لمزاج أصحابها وحياتهم ، فيكون الفيلسوف محباً للدعة والسكون ، ويكون مذهبه مبنياً على فكرة القوة والحركة . ويكون أيضاً محباً للشهوة ، والعبث والمجازفة ، ويكون مذهبه مبنياً على العقل ، والنظام والفضيلة . لقد كان ( نيتشه ) ودعباً كالحمل ، إلا أن المذهب الذي جاءنا به كان مذهب القوة ، لا بل مذهب الثورة على الأخلاق الوديمة . وربما كان مذهب ( ابن سينا ) أيضاً أبعد المذاهب عن تصوير حياته ، لأنه كان في عيشه كثير الاضطراب ، محباً للمغامرات ، مخلطاً في الشهوات ، ساعياً وراء اللذات ، لا يهدأ ولا يفتقر ، إلا أن مذهبه الفلسفي كان ، على العكس من ذلك ، مشتتلاً على فكرة الخير ، والنظام ، والعقل والكمال . لقد كانت يفضل كما يقول الحياة العريضة القصيرة على الحياة الطويلة الضيقة ، وبمعنى بالحياة القصيرة العريضة ، الحياة الكثيرة النشاط والانتاج ، التي لا يقنع المرء فيها بما أدركه من الجاه ، فيعتد بنفسه ، وبغالب أزمان ، ويطلب مراتب الرفعة . وهو كلما أدرك حالة بدل بها غيرها ، وكلما بلغ حدّاً لم يقف عنده . كأن حياته الغنيمة الواسعة أشبه شيء يبحر متلاطم الأمواج ، يوحى اليك بفكرة اللانهاية . أما العالم الذي نصوره ، فقد كان عالماً متناهيًا ، لا بل عالماً مغلقاً . كل شيء فيه بقدر ، وكل أمر فيه مقيد . وبكاد يكون هذا التضاد بين حياته النفسية والاجتماعية ، وبين مذهبه الفلسفي تماماً . فحياته حياة اللذة ، والحركة اللانهاية ، والخلق الدائم ، ومذهبه مذهب العقل ، والمعقولات ، والصور المحددة ، والفيض ، والكمال ، والخير .

تصور أنها القاري ، بهواً مغلق الأبواب ، فرش بأفخر الرياش ، وزيتن بأجل الصور ، وأضيء بمصباح ، وضع في مشكاة ، كأنه كوكب دري ،

يرسل نوره الى مصابيح أخرى ، معلقة في الفضاء ، لا يزيد عددها على عشرة ، تحلل هذا النور ، وتمكسه على الجدران بألوان مختلفة . ان هذا البهو صورة مطابقة للعالم الذي تصوره ( ابن سينا ) ، فهو محدود متناه ، وهو مغلق الأبواب ، إلا أنه منظم مرتب ، كل صورة من صورة وضعت في المكان اللائق بها . وهذه الصور تتلأأ بما يفيض عليها من النور ، لا بل هي نفسها نور يفيض عن المصباح ، ويصبغ الأشياء بألوانه . ولولا هذا الفيض لما ظهرت هذه الأشياء ، ولما وجدت تلك الصور . فكأن النور الذي يضيء هذا البهو علة وجود الصور ، لا بل علة وجود البهو نفسه ، وعلة ما فيه من صور وأجسام . والفرق بين هذا البهو ، وبين عالم ( ابن سينا ) ، أن العالم كبير ، وهذا البهو صغير ، وأن ابداعه قديم ، وهذا البهو حادث ، وان المصباح الأول الذي يفيض عنه النور ليس داخل البهو ، وإنما هو مستقل عنه ، خارج عن الزمان والمكان .

لنخرج الآن من بهونا الصغير ، ولنتأمل العالم نفسه . ان هذا العالم مؤلف من موجودات مختلفة المراتب ، وهي الجواهر المفارقة ، والصور ، والأجسام ، والهيولى ، والعرض . فالمرتبة الأولى في الوجود هي مرتبة الجواهر المفارقة ، والمرتبة الثانية هي مرتبة الصورة ، والثالثة مرتبة الجسم ، والرابعة مرتبة المادة ، والخامسة مرتبة العرض . « وفي كل طبقة من هذه الطبقات جملة موجودات تتفاوت في الوجود »<sup>(١)</sup> . فالجواهر أو العقول المفارقة متفاوتة المراتب ، أعلاها العقل الأول ، أو المعلول الأول ، وأدناها العقل العاشر ، أو العقل الفعال المحيط بعالم الكون والفساد . والأدنى يفيض عن الأعلى . فالعقل الأول يفيض عن الواجب الوجود بذاته ، والثاني يفيض عن الأول ، وتحت كل عقل عقل ، حتى تصل الى العقل العاشر ، وعنده ينتهي قبض العقول المفارقة<sup>(٢)</sup> . والأمور

(١) النجاة ، ص ٢٠٨ ، طبعة محي الدين صبري الكردي ، القاهرة ص ١٩٣٨

(٢) النجاة ص ٢٧٣

السموية تؤلف سلسلة محدودة الحلقات ، في كل حلقة منها ثلاثة أشياء ، هي : العقل ، والنفس ، والجسم . فالإله عقل محض بعقل ذاته ، فيصدر عن عقله لذاته عقل أول ، وهذا العقل الأول واحد بالعدد ، لأنه لا يصدر عن الواحد الا واحد . وهو بعقل ذاته وبالعقل الاله ، فيصدر عن عقله للإله عقل ثانٍ تحته ، ويصدر عن عقله لذاته شيئان هما نفس الفلك الأقصى وجرمه ، لأن جوهر العقل الأول واجب بالاله ، ممكن بذاته . فالنفس تصدر عن عقله لذاته واجبة الوجود بالإله ، والجسم يصدر عن طبيعة الإمكان المندرجة في عقله لذاته . وهكذا يلزم عن العقل الأول عقل ثانٍ ، ونفس ، وجسم . ويلزم عن العقل الثاني أيضاً عقل ثالث ، ونفس ، وجسم ، حتى ينتهي الفيض عند فلك القمر وكرة الهواء المحيطة بالأرض .

فأنت ترى ان العقول المفارقة محدودة العدد كما يصحح التي أشرنا اليها عند وصف بيونا الصغير . وهي تستمد من الله قوة ابداعها ، كما تستمد المصاييح نورها من المصباح الذي في المشكاة . وهذا المصباح الأول ، هو المبدأ الأول ، الواجب الوجود بذاته . وهو عقل ، وعقل ، ومعقول ، وعاشق ، ومعشوق ، ولذيد ، وملتذ ، وهو خير محض ، وكال محض . «والخير بالجملة هو ما يتشوقه كل شيء ويتم به وجوده»<sup>(١)</sup> . فالوجود خيرية ، وكال الوجود خيرية الوجود . والوجود الذي لا يقارنه عدم هو خير محض ، وحق محض ، لا بل هو مفيد كل وجود ، وكل كمال في الوجود . ولما كان العالم كله يفيض عنه بواسطة العقول المفارقة ، كان كل خير وكال في الوجود مستمداً منه . والوجود انما ابتدأ من الأشراف ، فالأشراف ، حتى انتهى الى الهبوط والاعراض . فالهوى أخس من الجسم ، والجسم أخس من الصورة ، والصورة أقرب الموجودات الى الجواهر المفارقة . وكما صعدت من الأدنى الى الأعلى في مراتب الوجود

ازدادت الخيرية ونقص الشر . فالصورة أكثر خيرية من الجسم ، والجواهر  
المفارقة أكثر خيرية من الصورة ، ولا تزال هذه الخيرية تتزايد صاعدة من  
جواهر مفارق الى آخر ، حتى تصل الى الخير بذاته ، أي الى الله تعالى .  
وهو كما يقول ( ابن سينا ) « سبب لكل خير »<sup>(١)</sup> ، لا بل هو خير مطلق ،  
وعشق مطلق ، وهو لوجوده وكرمه يجب أن يتجلى لكل عاشق ، فاذا احتجب جماله عن  
بعض الموجودات ، فذلك لبس لنقص في جوده ، بل لنقص في تلك الموجودات نفسها .  
وهذا النقص الذي نجد في الكائنات انما يرجع الى طبيعة الامكان المندرجة  
فيها ، لا الى وجوب وجودها المستمد من الله . فالوجوب والخيرية متناسبان ،  
والامكان والشر متساويان . واذا قلَّ الوجوب ازداد الامكان ، والعكس  
بالعكس . ان الخير معروف المكان محدد ، أما الامكان فلا يلمح إلا من  
وراء حجاب . وقد رأيناه مندرجاً في طبيعة العقل الأول ، ثم رأيناه أيضاً في  
طبيعة العقول المفارقة كلها ، حتى اذا ما هبطنا الى عالم الكون والفساد رأيناه  
في القوة الملائسة لطبيعة المادة . ولكن هذه المادة مقارنة للصورة في جميع  
الأجسام ، لا توجد بالفعل الا مع الصورة ، ولا تتجرد عنها ، بل تفيض الصورة  
عليها دائماً من العقل الفعال عند تهيئتها لقبولها . كلما حصل فيها استعداد معين  
قبلت صورة معينة ، فتعاقب الصور عليها كما تتعاقب الأعراض على الأجسام<sup>(٢)</sup> ،

(١) تسم رسائل في الحكمة والطبيعات .

(٢) هذا الرأي قريب من رأي المتكلمين الذين يقولون ان الجواهر لا تنفك  
عن الاعراض ، وانه لا بقاء للاعراض بنفسها ، وان الله هو الذي يخلقها في  
الجواهر ويعقبها بعضها بعد بعض . والفرق بين ( ابن سينا ) والمتكلمين ان المرض  
عند المتكلمين لا يبقى زمانين في حين ان الصورة عند ( ابن سينا ) لا تفارق  
للادة الا اذا حصل في اللادة استعداد جديد هيأها لقبول صورة جديدة . وهذا  
الاستعداد الجديد لا يحدث في اللادة الا اذا كان هناك خصصات ومعدّات ،  
ولمعدّ هو الذي يحدث منه في المستعد أمر يصير مناسبته لهذه الصورة أولى من  
مناسبتها لغيرها .

وهذه الصور تنقل المادة من حالة الامكان البسيط الى حالة الوجود الفعلي .  
ولو فرضنا ان المادة عمرت من الصورة لعادت الى العدم المظلم ، الا انها كما  
رأينا مقارنة للصورة في الوجود ، كما حصل فيها استعداد جديد أشرفت عليها  
صورة جديدة ؛ وألبستها ثوباً من الجمال والخير ، لأن المادة كما يقول ( ابن سينا )  
شبيهة بالمرأة القبيحة ، كما بدا وجهها للناظرين غطت ذماتها . فالصورة هي  
اذن اشراق الخير والكمال ، لا بل هي نقطة الاتصال بين الطبيعة والعقل ،  
ولا خير في المادة الا بما يفيض عليها من واهب الصور ، وهي تعشق الصورة  
كما تعشق المرأة القبيحة قناعها ، ولولا عشقها لها لما فاض عليها الكمال ، ولولا  
ملاستها لها لعريت من الخير ، ولغارت في أعماق العدم .

ومن تصفح كتاب الشفاء والاشارات وجد نظرية الاشراق فيها أوضح مما  
هي عليه عند ( الفارابي ) . فالصور العقلية عند ( الفارابي ) موجودة بالقوة في  
العقل الفعال ، اما عند ( ابن سينا ) فهي موجودة فيه بالفعل . بل العقل الفعال  
يجمع في جوهره جميع الصور الفائضة عليه من المبادئ العلوية ، ثم يرسلها  
الى عالم الكون والفساد ، وبكسوها المادة . فالصورة موجودة في العقل الفعال  
من حيث هي فاعلة ، أما في عالم الكون والفساد فهي لا توجد إلا من جهة الانفعال .  
وكما يفيض العقل الفعال الصورة على المادة ، فكذلك يفيض المعقولات على  
النفوس الانسانية ، وما النفس التي يصف ( ابن سينا ) هبوطها في قصيدته  
الصينية الا صورة كغيرها من الصور فاضت عن المبدأ الفارق ، واتحدت بالجسم  
عند استعداده لها . وهذا شأن جميع الصور . فالمعرفة هي الاتصال بالمعقولات ،  
والاشراق هو اتحاد العقل بجوهر الكون ، لأن الصور التي تفيض على العقل  
تجني . متفقه مع الصور التي تفيض على المادة . ان المبدأ الكلي الذي يهب  
الوجود للنفوس والأجسام ، يخلق الأجناس والأنواع ، ثم يتمكس بمد ذلك  
على الانسان فملاًه نوراً تغريبه المادة وتضطبع بألوانه . ولبس في هذا النمط

من الوجود صبغة هي أجل ولا أكمل ولا أكثر خيرية من هذه الصبغة .  
 فالصورة اذن خير ، ومن طبيعة الخير ان يكون معشوقاً ، وان يكون علة  
 غائية ، لأنه يطالب لذاته ، وسائر الاشياء تطالب لأجله . ولو طالب الخير  
 لشيء آخر غير ذاته لكان نافعاً ومفيداً ، لا خيراً حقيقياً .

ان هذا الخير يفيض عن الاله على العقول المفارقة ، ثم يفيض عن العقول  
 المفارقة على عالم الكون والفساد . وهذا يدل على ان الله ابن سيناء كاله  
 اخوان الصفاء ، مبدع الوجود ، ومفيض الجود ، وهو متجمل لجميع الموجودات ،  
 ولولا تجليه لم يكن وجود ، ولم يكن خير ، وهو راض عن فيضان الكل عنه ،  
 عاقل لنظام الخير في الوجود .

والفرق بين معنى الجود والخير عند ابن سيناء ، ان الشيء الواخذ الحاصل  
 في قابل اذا نسب الى المنفعل كان خيراً ، واذا نسب الى الفاعل كان جوداً ،  
 لأن قابل الشيء لا يسمى جواداً له ، ومن أفاد غيره فائدة ليستعيب عنها  
 بدلاً لم يكن جواداً ، بل معاملاً<sup>(١)</sup> ، ومن جاد ليشرف أو ليعمد أو ليثاب  
 فهو مستعيب ، ليس بجواد ، وفاعل الخير لا يفعل به بوجه ، لأن الخير أمر  
 وجودي حاصل للشيء ، فاذا أفاضه الفاعل عليه لم يكن فيضه لغرض ولا لغرض ،  
 وانما هو كمال مناسب حصل له بحسب استعداده ، فاذا استعد الجود لهذا  
 الكمال المناسب نزع اليه ، وعشقه كما يشق الانسان خيره الخاص به ، فكان  
 في الوجود تيارين متضادين : أحدهما متجه من فوق الى تحت ، وهو تيار الجود ،  
 والآخر متجه من تحت الى فوق ، وهو تيار العشق . فالتيار الأول يتناقص بهبوطه  
 من الملاء الأعلى الى الأرض ، والثاني يتزايد بصعوده من الأرض الى السماء .  
 وعلة الجود علة فاعلة ، أما علة العشق فعلة غائية . ان من طبيعة الجود أن

(١) الشفاء ، الالهيات ، شرح صدر الدين الشيرازي ، ص ٢٦١ ، من

يفيض على الوجود فيضاً ضرورياً معقولاً ، كما أن من طبيعة العشق ان يتجه الى مبدأ الكمال والخير اتجاهًا غائيًا . ذلك لأن كل هوية من الهويات تنشوق الكمال ، وكل موجود من الموجودات له عشق غريزي وشوق طبيعي هما سبب وجوده ، ولولا هذا العشق لما حصل على شيء من الكمال ، بل الكمال يفيض عليه من الكامل بذاته . وقد اقتضت حكمة الله أن يفرز في كل موجود عشقًا كليًا يستخفظ به ما ناله من الكمال <sup>(١)</sup> ، كما خلق فيه نزوعًا الى اكتساب الكمال عند خلوه منه . فمن الضروري إذن أن يوجد العشق في جميع الكائنات ، أي في البسائط غير الحية ، وفي الصور النباتية ، والنفوس الحيوانية ، والنفوس الناطقة . فهي كلها تنزع الى مبادئها القريبة لنفيض عليها كالاتها ، وقد تنزع النفوس الناطقة أيضًا الى أعلى من مبادئها القريبة حتى تتصل بالآله .

ان هذا العشق هو مبدأ كل حركة في الوجود ، فهو يعمل ملاسبة المادة للصورة ، وميل النبات الى الغذاء والنمو ، وميل الحيوان الى بعض المحسوسات دون بعض ، كما يعمل أفعال النفوس الانسانية ، وحركات الأجسام السماوية . ان النفوس السماوية مثلاً لا تحرك أجسامها الفلكية الا لتنال من وراء ذلك كمالًا . فلولا عشقها الكمال لما حركت أجسامها ، ولولا رغبتها في الخير لما جهدت في الدوران . ذلك لأن الخير بذاته معشوق ، والخير عاشق للخير . «وكما ازدادت الخيرية ، زاد استحقاق المشوقية ، وازادت العاشقية للخير» <sup>(٢)</sup> . فالآله أكثر استحقاقًا للمشوقية من العقل الأول ، لأنه خير أعلى وكمال مطلق ، والعقل الأول أكثر استحقاقًا للمشوقية من العقل الثاني ، وهكذا دواليك . ولكن هل تتصف العقول المفارقة بالعشق كما تتصف بها النفس ، والصورة والمادة ، والجوهر ، والعرض ؟

(١) رسالة المشق ، الفصل الأول في ذكر سر بيان قوة المشق في كل واحد من الهويات ، ص ٧٠ من كتاب جامع البدائم .  
(٢) رسالة المشق ص ٧١ .

ان لهذه العقول كجالات مناسبة لطبيعتها ، فهي تشارك المبدأ الأول في الكمال ، وفي إفاضة الجود ، وهي تملك منذ القدم أعلى درجات السعادة . ومن حصل على ما تقتضيه طبيعته من الكمال لا يشاق الى اكتساب كمال آخر . ومع ذلك فإن هذه العقول تعشق المبدأ الأول ، لأن طبيعتها كما بيننا لا تخلو من الامكان والقوة . ولأنها تشبته بالمبدأ الأول في عشقه لذاته <sup>(١)</sup> .

فالعشق عام اذن في الوجود ، ولولاه لما لا بست المادة صورتهما ، ولا طلب النبات غذاءه ، ولا تزع الحيوان الى الانتقام والتغلب والفرار من الدل والاستكانة ، ولا رغب الظرفاء والفتيان في الأوجه الحسان ، ولا أمّ العقل قصداً ، ولا طلب كمالاً وخيراً .

وإذا كان العشق عاماً في الوجود كان الخير غالباً على الشر . لأن الشر بذاته هو العدم ، والشر المطلق هو العدم المطلق . ولو كان الشر أكثر من الخير لانعدم الوجود كله .

وهذا كله يدل على تفاؤل ابن سينا ، لأنه بمتقد أن الموجودات كلها ساجدة في بحر من الخير . كل منها يتال من الخير ما هو لائق به ، وموافق لطبيعته . ان هذا النظام الذي في الكون هو أحسن نظام يمكن أن يكون عليه الوجود ، وهذا العالم هو أحسن العوالم التي يمكن أن يتصورها العقل . وليس معنى ذلك ان العالم خالٍ من الشر ، بل الشر موجود في العالم ، ملابس للموجودات كلها . أليس من الشر أن تحرق النار ثوب الفقير المعدم ؟ أليس من الشر أن يموت الطفل وليس لأمه ولد غيره ؟ . أليس من الشر أن يحرم الانسان ما يليق به من الكمال ؟ لا مجال اذن لإنكار الشر في هذا العالم ، وابن سينا لا يتعمى عنه ، الا انه يقول ، كما رأيت : « ليس الشر هو الغالب في الوجود ، لأن الخير مقتضى بالذات ، أما الشر فمقتضى بالعرض » <sup>(٢)</sup> . ومعنى ذلك ان الله لا يريد

(١) Louis Gardet, La pensée Religieuse d'Avicenne. Paris 1951 P. 169-170

(٢) النجاة ، فصل في العناية وبيان دخول الشر في القضاء الالهي ، ص ٣٨٩ .

الا الخير ، وهو يرش على العالم من نوره ، ويريد ان تعم صورة الخير جميع الموجودات .

ولكن كيف وجد الشر في هذا العالم ، وما هي حكمة الله من وجوده ؟ وكيف صدر الشر عن الإله وهو خير مطلق ، وكال مطلق ؟ . هل تتولد الظلمة من النور ، أم ينشأ القبح والنقص عن الجمال والكمال ؟

السبب في حدوث الشر ان في طبيعة الوجود امكاناً وقوة ، ولولا هذا الامكان الوجودي المتدرج في طبائع الأشياء لما تولدت الكثرة من الوحدة . اتنا نعلم ان الإله واحد بسيط ، وهو فعل محض وكال محض ، ليس في ذاته شر ، فلا يمكن ان يفيض عنه لذاته الا الخير . ولكن فيض الجود عنه يستلزم الانتقال من الوحدة الى الكثرة ، ومن الجوب الى الامكان ، ولو كان العالم كله واجب الوجود بذاته ، لكان جوهرأ واحداً مطلقاً ، كالجوهر الذي تكلم عنه (اسينوزا) ، لا يشتمل على واحد من انحاء النقص . الا ان الأخذ بمذهب الفيض دعا ابن سينا الى افتراض الكثرة في العقل الأول ، وهذه الكثرة هي اشتغال حقيقته على معنيين : أحدهما وجوبه بالإله ، والثاني امكانه بذاته ، ولولا هذا الامكان المتدرج في حقيقة العقل الأول لما تولد الشر . فالامكان هو أصل الشر في الوجود ، وهو امكان قديم ، متدرج في الوجود تحت الخير . فكان في حقيقة الوجود ثنائية عميقة ، سداها الجوب والحمية الامكان ، فالجوب خيرية ، وكال ، ونور ، والامكان شر ، ونقص ، وظلام ، كلما ازداد الامكان نقص الخير ، وازداد الشر ، وهو يزداد بازداد النفوس والكرات السماوية ، ثم ينصب منها على عالم الكون والفساد المؤلف من الصورة والمادة . ذلك هو السبب الأول في وجود الشر . الشر هو عدم الوجود ، والشر المطلق هو العدم المطلق . وكل شر جزئي ، انما هو لخير كلي ، فاذا ازداد الامكان ، وتكثر الوجود ، ازداد الشر ، واذا ازداد الجوب ، ازداد الجود ، والكمال ، والخير .

ثم ان هذا الشر على انواع ، فيقال شر لعدم ، ويقال شر لنقصان كل شيء ، عن كماله مثل الجهل والضعف والتشويه في الخلقة ، ويقال شر للألم والغم ويقال شر للأفعال المذمومة ولبإدائها من الأخلاق<sup>(١)</sup> . وكل موجود ليس في طبيعته قوة فلا يلحقه الشر ، لأن الشر انما يلحق المادة من حيث هي قوة وإمكان . ولكن لماذا وجد الشر ، ألم يكن في وسع الاله أن يوجد خيراً مبرراً من الشر ؟ ألم يكن في وسع الواجب الوجود ان يبذل اللذة ولا يخلق الألم ، أن يبذل النور ولا يخلق الظلمة ؟ بلى ، ان ذلك ممكن ، ولكن في غير هذا النمط من الوجود . ان الموجود المطلق هو الخير المطلق . أما الموجود الممكن ، فلا يتصف بالخيرية الا عن طريق الجود الذي يفيض عليه . فاذا كان العالم مؤلفاً من وجوب ، وإمكان ، وصورة ومادة ، وفعل وقوة ، كان لا بد من وجود الشر فيه . وليس ذلك يباعث على التشاؤم ، لأن الشر أقل ذبوعاً من الخير ، لا بل هو جزئي عرضي . ان طبيعته العامة سليمة ، أما طبيعة الخير فهي ايجابية . واذا كان الشر ايجابياً في بعض الأحوال فهو يتفقر أمام الجود الالهي ، كما يتفقر الظلمة أمام النور . نعم ان النار محرقة ، وقد تصيب ثوب فقير فحرقه ، الا ان هذه الآفات الجزئية التي تتولد من النار ليست من الخطورة بحيث تستلزم بطلان النار ، لأن فيها خيرات كثيرة ومنافع دائمة . وليس من الحكمة ان تترك الخيرات الثابتة الدائمة لأجل شرور في أمور جزئية غير دائمة . وهذا كله يدل على ان الخير في الوجود أكثر من الشر . ولو كان شرشيء من الأشياء أكثر من خيره لامتنع وجود ذلك الشيء ، أي لو كان ضرر النار أكثر من نفعها ، لما وجدت النار ، لأن الخير من طبيعة الوجود ، والشر من طبيعة العدم . نعم ان النار قد يعرض لها أن تولد شرراً ، الا ان وجودها بصورة عامة خير ،

ولا يمكن ان تبلغ النار غايتها ، وتصل الى نهايتها الا اذا كانت محرقة .  
فالخير الكلي يقتضي وجود الشر الجزئي ، ولا معنى للخير بدون الشر ، كما انه  
لا معنى للنور بدون الظلمة .

ولكن لماذا كان العالم على هذا النمط من الوجود . أليس من الممكن  
أن يكون الوجود خيراً كله ، أليس من الممكن أن يكون الخير مطلقاً  
خالصاً من الشر ؟

لا محل لهذا السؤال في فلسفة ( ابن سينا ) لأنه لم يقل بجوهر واحد مطلق ،  
بل قال بجواهر كثيرة تفيض عن المبدأ الأول ، وتحتاج في تكثرها  
الى افتراض الامكان مندرجاً في طبائعها . ومع ان مذهب ابن سينا يقربنا  
من مذهب وحدة الوجود فإن لغة الامكان التي سدي بها الفيض لم تحفظ  
لهذه الوحدة حتميتها المطلقة .

نعم ان العالم في نظر ابن سينا يدخل في مقولة الممكن وعلاقته بمبدعه  
كعلاقة الممكن بالضروري الا ان هذا الامكان لم يحدث في زمان معين ،  
وانما هو امكان أزلي . فابن سينا يفرق اذن بين مفهوم الأزلية ومفهوم الوجوب ،  
ويجمع بين الأزلية والامكان . وكون العالم ممكناً لا يعني أنه خاضع للبحث  
والاتفاق ، بل يعني ان حتميته اضافية مستمدة من الواجب الوجود بذاته ،  
اننا لا نجد في الطبيعة شجرة تمر الثين والزيتون معاً ، ولا أنواعاً نباتية أخرى  
مختلطة بعضها ببعض . ففي الطبيعة اذن سببية فاعلة ، وفيها أيضاً غائية ، ومن  
غايتها أن لا يستقر الامكان الا اذا صيغ في قوالب الكمال والخير . أضف  
الى ذلك ان ابن سينا يقول في الوقت نفسه بعجز الانسان عن ادراك حكمة  
الخالق . قال : « لو كان أمر الله تعالى كأمرك ، وصوابه كصوابك ، وجميله  
كجميلك ، وفيجهه كفيجحك ، لما خلق أباً الأشبال أعص الأنياب ، أحنج

البرائن لا يفتدوه العشب»<sup>(١)</sup> . فالإله لا يراعي في قدره ما نراعيه نحن حين حياتنا من الاعتبارات النفعية الضيقة ، بل ينظر الى الوجود الكلي ، ونحن لا ننظر الا الى الوجود الجزئي . ان عنايته تحيط بالكل «وبالواجب ان يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن نظام»<sup>(٢)</sup> ، وعلمه «بكيفية الصواب في ترتيب وجود الكل منبع لفيضان الخير في الكل»<sup>(٣)</sup> . وهذا يدل على ان ابن سينا يستسلم في ذلك لقضاء الله وقدره ، ويتفاهل بالخير .

أما الانسان فانه لا ينال الخير والسعادة الا اذا عمل على ادراك حقيقة الوجود ، وتطلع الى الأفق الأعلى . وهو قادر بعقله على تمييز الحق من الباطل . واذا اقلب عقله الهيولاني الى عقل مستفاد ، ثم الى عقل قديمي ، أدرك من اليهجة والسعادة ما لا يدركه الجاهل . ان سعادة الانسان ليست في اتباع اللذة ، بل هي في ادراك الكمال . فن اشتاقت نفسه الى الخير الأعلى لم يجده في اللذات الرخيصة ما بدعوه الى الانعاس فيها ، لانه لا قيمة لهذه اللذات بالنسبة الى اللذات العالية . نعم اننا في عالم المادة المظلم ، نتمتعنا بحجاب الحس من بلوغ المثل العليا التي نتطلع اليها ونحن اليها ، ولكننا اذا خلطنا ربة الشهوة والغضب ، وطالما شيئاً من اللذات العالية تشوقنا الكمال واتجهنا اليه . وكثيراً ما نستخف بالشهوات الخسيسة لعلنا انما تصدنا عن الكمال . فالنفس البشرية الخالصة من كدورة المادة تتشوق الخير المطلق ، وتززع اليه ، وترتقي من مبدئها القريب الى المبادي العالية ، حتى تصل الى الله . ولكن دون أن تتجدد به وتنفى فيه . ومعنى ارتقى العارف من درجة الازادة الى درجة الرياضة ، ومن درجة الرياضة الى درجة التبلد أصبح صره مرآة مجلوة يجاذي بها شطر الحق . وفي هذه المرحلة تدر عليه اللذات العالية ، ويفرح بنفسه لما بها من أثر الحق ، والصور التي تفيض عليه

(١) رسالة القضاء والتقدر .

(٢) الاشارات ، ص ١٨٥ ، طبعة لندن ، ١٨٩٢ .

(٣) الاشارات ، ص ١٨٥ .

تكون في العقل الفعال فاعلة ، وفي نفسه منفعة . ويظهر من وصف ابن سينا المراحل الارتقاء ان للنفس عند الوصول حالتين ، في الحالة الأولى ينظر العارف الى نفسه تارة ، وينظر الى الله تارة أخرى ، ويبقى على هذه الصورة متردداً بين الجهتين ، وفي الحالة الثانية ينسى نفسه ، ولا يرى الا نور الحق . « وان لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي بزبنتها » (١) لقد كانت نفسه قبل هذا المعراج محلاً لفيض المعقولات عن العقل الفعال ، فأصبحت الآن مرآة صقيلة تعكس نور الله . فهو ينسى نفسه ويغيب عنها ولكنه لا يفتي ، وهو بملأ نفسه من النور الذي يفضاء فلا يرى الا الله ، ولكن نفسه لا تنجل انحلالاً تاماً في منبع النور ، لأن الرائي يبقى عنده غير المرئي ، والعالم غير المعلوم . وهكذا يرتقي العارف من نطاق الطبيعة الضيق الى فضاء العالم الواسع ، وينال أوقاتاً من السعادة الحقيقية ، بما يفيض عليه من النور . « ان لربكم في أيام دهركم نفحات من رحمته ، ألا تفرضوا لها » .

\* \* \*

تلك هي آراء ابن سينا في الخير والسعادة ، وهي كما ترى آراء أفلاطونية صيغت في قوالب مشائية ، أو قل اذا شئت ، لبنات يونانية صبغت بصيغة اسلامية . فابن سينا وأفلاطون يتشابهان في قولها ان الخير أساس كل شيء ، وان مبدأ الوجود لا يمكن أن يتوخى الا الخير بالضرورة ، لأنه عاقل ، وخير ، وعادل ، وكامل . وهما أيضاً متفقان في قولها ان العشق هو المحرك الأساسي لجميع الكائنات ، فما قاله أفلاطون في كتاب المائدة : ان ما يعطي قيمة لهذه الحياة إنما هو مشاهدة الجمال السرمدي نقياً لا تشوبه شائبة ، بسيطاً لا تغطيه أشكال وأوان مضيرها الى الفناء . والعشق عنده أول ما يتجه الى جمال الأجسام والأشكال ثم يتجه بعد ذلك الى جمال النفوس ، ثم يصعد من جمال النفوس الى جمال الفنون والعلوم ، ولا يزال يصعد من علم الى علم حتى يبلغ الجمال المطلق .

وهذا الحدل الصاعد نجد عند ابن سينا في كلامه على سريان العشق في كل واحد من الموجودات ، وعن وجوده في النفوس النباتية ، والنفوس الحيوانية ، والنفوس الناطقة ، وعن ازدياده في الوجود بازدياد الخبرة والوجود . ففي نظرية الخير كما ترى أثر من أفلاطون واضح ، ولا يبعد أن يكون ذلك مستمداً من كتب أفلاطون مباشرة ، لا من كتاب الاثولوجيا وحده ، على ان الأفلاطونية المشائية والأفلاطونية الحديثة لا تكفي وحدها لتوضيح كل ما اشتملت عليه نظرية الخير من مبادي وغايات ، ففي هذه النظرية كما يبدو لنا أثر من علماء الكلام ، كما ان فيها أثراً من المانوية والاسماعيلية<sup>(١)</sup> . وليس أدل على ذلك من تفسير العمدة الأولى الذي يقول فيه ابن سينا ان الله فائق لظلمة العدم بنور الوجود ، وان ذلك من لوازم خبريته المطلقة ، الفائضة عن هويته ، وانه ليس فيه شر أصلاً إلا ما صار مخفياً تحت سطوع النور الأول ، وأن الشر لا ينشأ الا عن الأجسام . وفرق هنا بين القضاء والقدر ، فقال ان الأجسام هي من قدره تعالى لان قضاؤه . فالانفلاق هو افاضة نور الوجود على الماهيات الممكنة ، والفائق لظلمة العدم بنور الوجود هو الله . وهذا الانفلاق هو عالم القضاء ، وهو متقدم على صقيع القدر ، والشر لا يلزم عن الفائق الا بقصد ثانوي . فلا يلحق الوجود الا في قدر الله لافي قضاؤه ، وعدم حصول الموجود على

(١) راجع ابن تيمية ، كتاب الرد على المنطقيين . طبعة بمباي ١٩٤٩ ، قال ابن تيمية : « ابن سينا تكلم في أشياء من الالهيات ، والتبويات ، والمعاد ، والشرائع لم يتكلم فيها سلفه ، ولا وصلت اليها عقولهم ، ولا بلغت علومهم . فانه استفادها من للسدين . وان كان انما أخذ عن الملاحدة للتبسين الى للسدين كلالساعيلية ، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم من أتباع الحاكم البيهدي » ص ١٤٢ ، وقال أيضاً : « وأما الالهيات فكلام ارسطو واصحابه فيها قليل جداً ، ومع قلته فكثير منه ، بل أكثره خطأ . ولكن ابن سينا أخذ ما ذكره وضم اليه أموراً أخرى من أصول للتكلمين ، وأخذ يقول ما ذكره على بعض الفاظ الشرع ، وكان هو وأهل بيته من الملاحدة الباطنية ، أتباع الحاكم وغيره من البيهدين الاسماعيلية » ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

الكالات لا يرجع الى مفيض الخيزات ، بل يرجع الى قابلها . فالخيز كل الخيز في انفلاق الوجود ، والشئ كل الشئ في انقطاع الجود .  
فأنت ترى ان ابن سينا استعمل في هذا التفسير أصولاً ومبادئ مقتبسة من آرائه الفلسفية ، ولا غرو فقد كان من عادته وعادة الاماعيلية أن يستعملوا التأويل الباطني في تفسير أمور الشريعة . وكثير من المتصوفين كابن عربي وابن سبعين والتلمساني وغيرهم يوافقونهم في أصولهم هذه ، لكنهم يغيرون العبارات . ويبدلون الاصطلاحات .

وليس المقصود هنا أن نبين ما أخذه ابن سينا عن الاسلاميين والخرائين واليونانيين ، وما استمدّه من فلسفة الهند والحوس والنصارى ، وانما المقصود ان نبين ان مذهبه الفني بنفسه منسق الألوان ، منسجم الأحكام ، جمع فيه حكمة الشرق الى فلسفة اليونان ، وعلوم الأوائل الى عقيدة الاسلام . وليس ذلك بقادح فيه ، لأن الفلاسفة قد يبنون بالعناصر نفسها مذاهب مختلفة ، وقد ينبع نهران من جبل واحد ، ويسير كل منها في اتجاه مضاد للآخر . وليس المهم في تاريخ الأفكار ان تكشف عن الينابيع التي استقيت منها ، وانما المهم ان نبين اتجاهات المذاهب وغاياتها . والذي ينبغي ان يعلم الآن ان العالم الذي تصوره ابن سينا عالم جميل رائع الألوان ، منسق الصور ، لكل موجود من موجوداته مرتبة من الكمال خاصة به ، ودرجة من الخيرية مناسبة له . وهو عالم محدود ضيق ، الا انه منظم مرتب ، يستطيع الانسان ان يطعن له ، ويتفق بنظامه الحسي ، لأنه محاط بمنابة الله .

لنترك الآن هذا العالم الذي طال طوافنا فيه ، ولنرجع الى عالمنا الحسي ، ففي العالم الحسي من الصور والألوان ما يعني عن ذلك العالم . ولا غرو فعالم ابن سينا من نسيج الخيال ، وعالمنا الحسي من نسيج الواقع والتجربة . وكثيراً ما يفضل الانسان سراجاً في يده على عشرات من المصابيح ساطعة في الفضاء .

## (١) الأحمدان المصريان القديمان

كانت طريقة من دونوا التاريخ في الدول العربية أن ينقلوا الحوادث بالرواية ويعرضوا لذكر روايتها ويصححوا سندها جارين على المثال الذي سار عليه المحدثون في نقل الأحاديث النبوية ، وكذلك كانت ترجمتهم من ترجموا لهم من الرجال . دامت هذه الطريقة شائعة الى القرن الرابع وبعدئذ توسعوا في أسلوب التأليف وربطوا بين الحوادث بنظرون الى الرجل من بعض نواحيه التي تهتمهم فقط وينقلون عن النواحي التي لها الأثر العظيم في نشأته .

ودخل تعديل كبير في سرد الحوادث السياسية وأصبحوا يغالونها ويربطون أولها بأخرها وما دخل تعديل بذكر في تراجم الرجال مجتزئين ببعض ما يعرف عنهم وأغفلوا في الأكثر ذكر بيوتهم ووالديهم وموالدهم ومناشئهم وبيئاتهم وأساتذتهم وكل ما يهمننا اليوم الاطلاع عليه .

والأرجح ان هذه الطريقة في التعرف الى الرجال هي من مبتكرات العصور الحديثة ، وقد برز فيها أدياء الافرنج كثيراً وهم اقتدينا في هذه السبيل ، وثرانا اذا ضاقت بنا وجوه الحيلة في معرفة عظماء رجالنا مما دون عنهم نعلم الى التعرف اليهم مما كتبوه ودونوه أو نقل عنهم فنسنبط منه أموراً نستدل بها على حالتهم ، وان كان الاستنباط كثيراً ما يخطئ ، والاستنتاج قد لا يطابق الواقع كل المطابقة ، اذا لم يدعمه استقراء صحيح ووثائق لا مجال لتزييفها .

(١) مما حضرت به في الجامعة الأميركية في القاهرة .

أليس من الغريب أن لا نعرف عن عشرة عظماء من رجال البلاغة في القرون الثاني والثالث والرابع الا أموراً لم تصور لنا حياتهم التصوير الذي نتطال اليه . فمنهم من لم نعرف مشايخهم الذين أخذوا عنهم العلم مع أنهم من المشهود لهم في فروع امتازوا بها على من عاصروهم ، ومنهم من لم نعرف مولدهم ولا أعمارهم ولا إديانهم ولا بداياتهم بل ولا نوع دراساتهم ، وهذا محمد بن عبد الملك الزيات الذي تولى الوزارة لثلاثة من خلفاء بني العباس أربع عشرة سنة بدون انقطاع وكان يعد من أئمة النجوم واللغة كما هو امام في البلاغة لم نعرف مولده ولا شيوخه ولا نوع دراسته التي أخذتته حتى جاء منه بليغ بيئذ البلغاء . وهذا ابن المقفع لم نعرف مشايخه ولا موطنه الأول ولا عمره الا بشيء من الفرضيات والاستنتاجات ، ومثل ذلك يقال في عبد الحميد بن يحيى الكاتب كاتب أمير المؤمنين مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية في الشرق وواضع أساس الكتابة العربية . وكذلك يقال في عمرو بن مسعدة وسهل بن هريرة وابراهيم بن العباس الصولي واحمد بن يوسف الكاتب وغيرهم من عظماء الكتاب الذين ساسوا الممالك ووؤزروا لأعظم خلفاء بني العباس .

قدّمت هذه المقدمة أمام الكلام على عظيمين امتازا ببلوغها لأخرج منها الى الاعتذار عن نقص وقع في الترجمة لها فأنبجو من تبعة التقصير ، ولا أقول ان القليل مما أبقته الأيام من كلامهم قد وقفنا على شيء لا يذكر من حياتهم . وهو الى الضعف أقرب ، ولكن ما العمل في أدب أمة ضاع أكثره ، وأنا معها بالغنا في تقدير ما سلم من تراث الأجداد لا نرى الباقي منه أكثر من واحد من عشرين وبالأسف ، ذهبت الأيام بالباقي ، وتعاورت على تعفية أثره مصائب الأرض وبلواء السماء . فن كتبهم ما ضاع في الفتن والحروب وفي الحريق والغريق ، ومنها ما دثر للجهل الذي ضرب مُرادقه قروناً على العرب

بفعل العجم ، فكان مصير الكتب المخطوطة القليلة مصير كل شيء في عالم الكون والفساد يتحول وينقل وينقرض ويبيد ويبلى . ولنا ان ندعي بعد ان رأينا ما حلّ بجزائن كتبنا من النكبات أن فن الطباعة في العصور الأخيرة كان أعظم اختراع خدم العلم وأكبر نعمة على الانسان والانسانية .

وأحدثكم الآن في هذه المسامرة عن رجلين عظيمين كانت لها صلة نسب بهذه الأرض الطيبة أرض مصر العزيزة ، عثبت بها احمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون ، وصيته احمد بن يوسف المعروف بابن الداية مؤرخ بني طولون العظيم . وأبدأ بأحمد بن يوسف الأول لتقدمه في الميلاد ، ولأنه لمع كثيراً في قصر الخليفة العباسي ، وأجمع البلاغ على الاعتراف له بالتقدم في صناعة الكتابة وفي سياسة الملك ، وأرجو ان لا تطالبوني بزيد على ماتسمعون فان الكلام اذا خلا عما يؤيده من حجج صحيحة يركن اليها يكون أشبه بالقصص الخيالية ، ولا يقوم حق ، ولا تقرر حقيقة ، مع خيال ، وفرض محال .

وبعد فان غاية ما عرف من ترجمة احمد بن يوسف انه احمد بن يوسف ابن القاسم بن صبيح مولى بني عجل من قرية من قرى الكوفة تعرف بريتا . وكان صبيح مولى اسلام اشتراه السري بن بشر العجلي فأعتقه ، وكان صبيح قبطياً من أقباط مصر . أي أن جد احمد كان من موالي مصر فاسترق وحمل الى العراق فأسلم ، وكان من أولاد أولاده هذا الرجل العظيم .

كان احمد وأخوه القاسم شاعرين أدبيين وأولادهما جميعاً أهل أدب يقرضون الشعر ويعانون البلاغة ، وكان القاسم جد احمد كاتباً ، وهو على ديوان الغرب أيام بني العباس ، وفي آخر أيام بني أمية . ثم كتب القاسم لعبد الله بن علي عم المنصور وكتب يوسف ابنه له أيضاً ، ثم كتب يوسف ليعقوب بن داود وزير المهدي . فأحمد الذي ترجم له كان إذاً عريقاً في

الكتابة وكانت لأبيه وجده يد بأسطة فيها ، وكتبا لمثل يعقوب بن داود  
وكان هذا كاتباً مبرزاً ، ومثله لا يرتضي الكتابته الا من كان في صناعته  
آية ، فأحمد والأمر على ما ذكر عربي النشأة ، بغدادي الدار ، مصري  
الأصل والتبعية .

وعرف عن احمد أنه كان كاتباً بليغاً يقول الشعر ويجيده ، ومن أظهر صفاته  
شدة عارضته وقوة بديهته ، وانشأوه من السهل الممتنع لا تعمل فيه ، وكان  
متمكناً من الشريعة وأصول الدين ، وذكروا انه كان يحب الطرب وبأنس الى  
القيان ، مفتوناً بالجمال مستهتراً بلذائذه . أي انه كان رجل جدّ ساعة الجدّ ،  
ورجل طرب ومرح ساعة الفراغ والخلوة ، ولم يؤلف كتاباً ، ولم يذكروا له  
غير ديوان رسائله ، وقالوا ان له رسالة الخميس ، وأنها من المجمع على جودته .  
لما قتل الأمين أراد طاهر بن الحسين متولي كُتُب تلك الفئنة العظيمة أن  
يكتب الى المأمون فيما انجلت عنه تلك الغمرة ، فأطال الكتاب ما اقترح عليهم  
انشاءه ، فلم يرقه ما كتبوا ، وكان هو من عطاء الكتاب ، فقال أريد أخصر  
من هذا ، فوصف له احمد بن يوسف وموضعه من البلاغة فأحضره لذلك ،  
فكتب كتاباً دلّ على بعد غوره في السياسة والبلاغة . وقيل ان ذلك كان  
باقتراح من الفضل بن سهل ، وانه كتب عدة من الكتاب في هذه المسألة  
فلم ترضه كتابتهم ، فلما كتب احمد رجّع الفضل نظره فيما كتب ثم قال له :  
ما أنصفناك ، وأمر له بصلات وقال له : اذا كان غداً فاقعد في الديوان ،  
وليقعد جميع الكتاب بين يديك ، واكتب الى الآفاق . وبذلك بدأت شهرة  
احمد في ديوان الخلافة .

هذه أول مرحلة قطعها مترجمنا في طريقه الى المجد ، والمرحلة الثانية وصوله  
الى المأمون وانضمامه الى رجاله حتى وسدت اليه الوزارة . قالوا ان احمد بن

ابي خالد الوزير كثيراً ما كان يصف احمد بن يوسف للمأمون ويحمله على منادته ، وكان طاهر بن الحسين يريد به ويزين أمره ، وابراهيم بن المهدي بطربه وبقرظه ، فأمر المأمون احمد بن ابي خالد باحضاره فلما وقف بين يديه تكلم بكلام أعجبه فقال له المأمون : أحسنت وبورك عليك ناطقاً وصامتاً ، ثم قال بعد أن أبلاه واختبره : يا عجبا لأحمد بن يوسف كيف استطاع أن يكتفم نفسه .

ومات كاتب المأمون احمد بن ابي خالد فسأل المأمون الحسن بن سهل عن رجل كفؤ يخلفه ، فذكر له أبا جعفر احمد بن يوسف وأبا عباد ثابت بن يحيى الرازي قائلاً انها أعلم الناس بأخلاق أمير المؤمنين وخدمته وما يرضيه فقال له : اختر لي أحدهما فقال الحسن : ان صبر احمد على الخدمة وجفا لذته قليلاً فهو أحبها اليّ ، لأنه أعرق في الكتابة وأحسنها بلاغة وأكثر علماً ، فاستكتبه المأمون أي استوزره .

وغدا احمد يعرض الكتب ويوقع . ويخلفه ابو عباد اذا غاب عن دار المأمون . وكان المأمون اذا حضر أمر يحتاج فيه الى كتاب يُشهر أمره يستكتب احمد . وولى المأمون القائم أخا احمد خراج السواد فجباه فضلاً مما جباه غيره في سائر أيام المأمون ، فكان المأمون يقول لأحمد : يا احمد القائم يجمع ونحن نفرق . أخذت الدنيا تنهال على احمد ويزيد كل يوم قدره في عين الخليفة . وقد أهدى للمأمون في يوم مهرجان هدية بألف ألف درهم وكتب اليه :

على العبد حق فهو لاشك فاعله      وان عظم المولى وجلت فضائله  
ألم ترنا نهدي الى الله ماله      وان كان عنه ذا غنى فهو قابله  
ولو كان يهدى للمليك بقدره      لقصر علّ البحر عنه وناهله  
ولكننا نهدي الى من نجلته      وان لم يكن في وسعنا ما يشاكله

وأهدى اليه في عيد وكتب اليه : « هذا يوم جرت فيه العادة ، بإهداء

العبيد للسادة ، وقد أهديت لأمر المؤمنين قليلاً من كثيره عندي « فقال المأمون :  
عاقل أهدى حسناً .

قلنا ان احمد امتاز بشدة عارضته ، وقوة بديهته . جلس يوماً وهو وزير  
بقراً الكتب بين يدي المأمون فمرت قصة أصحاب الصدقات فقال المأمون لأحمد :  
أنظر في أمرهم قد كثر ضييعهم فقال : قد نظرت في أمرهم وفورته ولكنهم  
أهل تعد وظلم ، وبالباب منهم جماعة ، فقال المأمون : أدخلوهم اليّ فدخلوا ،  
فناظروه فأتجّمت الحجة عليهم ، فقال احمد : هؤلاء ظلّموا رسول الله كيف  
يرضون بعده . قال الله عز وجل : « ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا  
منها رضوا وان لم يُعطوا منها اذا هم يسخطون » فعجب المأمون من حسن  
انتزاعه ، وحضور مراده في وقته ، وقال : صدقت يا احمد ، وأمر باخراجهم .  
وكثر طلاب الصدقات بباب المأمون مرة فكتب اليه احمد : « داعي نذاك  
يا أمير المؤمنين ، ومنادي جدواك ، جمعا الوفود بياك ، يرجون نوالك المعهود ،  
فمنهم من يت بجرمة ، ومنهم من يُدِلُّ بخدمة ، وقد أجبهم المقام ،  
وطالت عليهم الأيام ، فان رأى أمير المؤمنين ان ينهشهم بسنّيه ، ويحقق  
حسن ظنهم بطوّله ، فعل ان شاء الله تعالى » . فوقع المأمون : الخير متبع  
وأبواب الملوك مئان لطالبي الحاجات ومواطن لهم ، ولذلك قال الشاعر :  
يسقط الطير حيث يلتقط الحبّ ويفشى منازل الكرماء  
فاكتب اسماء من يبائنا منهم ، واحك مراتبهم ، ليصل الى كل رجل قدر  
استحقاقه ، ولا تكدر معروفنا عندهم بطول الحجاب ، وتأخير الثواب ،  
فقد قال الشاعر :

فانك ان ترى طرداً لحر كالبصاق به طرف الموان  
وهؤلاء الذين أخذوا صدقات المأمون هم غير الفريق الذي كان ردهم أجمي ،

لأن الحجّة قامت عليهم وثبت انهم مبطون لما ناظرهم المأمون ، ولكل مسألة حل ، ولكل معضلة شكل .

\* \* \*

ويجدر بنا هنا أن نأتي بنموذجات نستدل بها على أدب احمد بن يوسف ، وعلى تميزه ببلاغته ، فمنها توقيع وقع به الى عامل آخر حمل المال : « قد استبطأك الاغفال ، وأبترك الاهمال ، فما تُصعب قولك فعلاً ، ولا تتبع وعدك انجازاً ، وقد دافعت ببال 'نجم' لزمك حمله ، حتى وجب عليك مثله ، فاحمل ثلاثة أنجم ليكون ما يتعجل منك أداءً ما أخر عنك ان شاء الله » .

وكتب الى اسحق بن ابراهيم الموصلي وقد زاره ابراهيم بن المهدي : « عندي من انا عنده ، وجمتنا عليك اعلامنا لك والسلام » .

وكتب الى ابي داف القاسم بن عيسى وكانت بينهما مودة ، وكانا يتهاديان ويشكاتبان ، ثم ولي ابو دلف الجبل كله ، وأعرض فيما يظهر عن احمد فكتب اليه :  
ما على ذا كنا افترقنا بشيراز ولا هكذا عقدنا الاخاء  
لم أكن أحسب الأمانة يزدا دهبها ذو الوفاء الا صفاء  
تطعن الناس بالثغفة السمير على غدوهم وتنسى الوفاء  
وقال :

نفسى على حسراتها موقوفة فوددت لو خرجت من الحسرات  
لو في يدي حساب أياحي اذا ألقيته متطلباً لوفاتي  
لم أبك حبا للحياة وانما أبكي مخافة أن تطول حياتي  
ولأحمد بن يوسف أخبار كثيرة وأشعار وكتب ، وبما قاله في تجاربة له  
وقد عتب عليها في شيء سأله الا يفعله ثم فعلت مثله .

وعامل بالفجور بأمر بالبر كهناد يقود في الظلم  
أو كطبيب قد شفاه سقم وهو يداوي من ذلك السقم

يا واعظ الناس غير متمظ ثوبك طهر أو لا فلا تلم  
ومن شعره :

يزين الشعر أفواهاً اذا نطقت بالشعر يوماً وقد يزري بأفواه  
قد يرزق المرء لا من حسن حيلته ويُصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهي  
ما مضى من غنى يوماً ولا عدم الا وقولي عليه الحمد لله  
وقال :

اذا قلت في شيء نعم فأتمه فان نعم دين على الحر واجب  
والا فقل لا فاسترح وأرح بها لكيلا بقول الناس انك كاذب  
وقال :

اذا المرء أثنى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق  
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي استودعته السر أضيق  
هذه مقاطع قليلة من شعره ونموذجات ضئيلة من نثره . ومن أراد التوسع  
في كلامه فليرجع الى كتابنا (امراء البيان) يجد كلاماً أوسع ومقتبسات أطول .

\* \* \*

سيداتي سادتي .

اليكم حال الوزير احمد بن يوسف الكاتب البغدادي أخذنا منها ما يعرفنا  
اليه اجمالاً بقي أن نتكلم عن صنوه وسميه احمد بن يوسف الكاتب المصري .  
أما بعد فان احمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية لم يشتهر الشهرة  
التي يستحقها ، ولم يجر له ذكر الا في بعض كتب الرجال وعلى صورة ضئيلة .  
ومعظم كتب الأدب حتى ما ألفه المصريون منها ، خصوصاً في عهد دولة المماليك ،  
لم تنقل شيئاً من كلامه الا على النادرة ، مع ان التأليف في ذلك العهد لم يكن  
غير نقل أقوال المتقدمين في الجملة ، ذلك لأن تأليفه ضاعت . وقد يما سددت  
الأيام القناع على كثير من العظماء عقبى رحيلهم من الأرض ، اما لقد ما كتبوا ،

وأما لقلّة أنصارهم ولوأم أعدائهم ، ومنهم من تضاعفت شهرتهم عند مماتهم أكثر من حياتهم ، لسكوت حسادهم عنهم بعد الموت ، ومغالة أحبابهم فيما صنّفوه ودونوه .  
ومن عجائب الدهر الا بعد جهاذة الأدب أحمد بن يوسف في جملة أعلامه ،  
والأ يضعوه موضع التكرمة في الصف الأول من رعييل قدماء البلغاء ، واهل  
انتقال والده من بغداد الى القسطنطينية ونشأته في مصر - في زمن غضب فيه خلفاء  
بني العباس على مصر وعلى أميرها أحمد بن طولون وأبنائه - كان من الدواعي  
في ضوولة شهرته ، ومصر أيضاً حتى في عهد الطولونيين وفيه نبغ ابن الداية ،  
لاتسامي العراق بمنزلتها العلمية ، ولا يتأتى أن يشتهر ابناؤها اشتهار البغداديين ،  
والى الحضرة في بغداد يحمل كل جميل ، وينعتها الناس بكل حسن ، فتجدت  
لرجالها شهرة لكثرة ما تردد أسماءهم على الألسن ، وكيف يتيسر ذلك لأحمد  
في دولة تعد في عرف السياسة ولاية من ولايات العباسيين ، وولاية خارجة  
عنهم ، ماهدأ بالهم من ناحيتها حتى قرضوا دولة المتغلبين عليها .

كان يوسف بن ابراهيم والد مترجمنا ولد داية ابن المهدي العباسي فاشتهر  
بابن الداية ، وهو رضيع ابراهيم بن المهدي وصاحبه ، وكان من أهل الأدب  
والفضل ، معدوداً من جلة الكتاب . صنف في أخبار ابراهيم بن المهدي كتاباً  
كما صنف في أخبار المتغلبين وغير ذلك ، وذكر أسماء من روى عنهم ورووا عنه  
ومن روى عنهم من غير المسلمين جبرائيل بن يحيى الطيب وعيسى بن حكيم  
الطيب . وانتقل يوسف من بغداد الى مصر وما عرفت سنة انتقاله ولا سبب  
هجرته ، وجاء دمشق في سنة ٢٢٥ ، ولعله في هذه السنة كان رحيله من العراق  
الى الديار المصرية ، وكان من أهل المروآت التامة والعصبيات العظيمة ، يجري  
على عشرات من أهل الستر والأشراف في مدينة القسطنطينية .

ولما حبسه أحمد بن طولون ( في بعض داره وكان اعتقال الرجل في داره  
بؤيس من خلاصه فكاد ستره بنهتك لخوف شمله عليه ) جاء جماعة من أبناء

الستر الى احمد بن طولون وطلبوا اليه ان يقتلهم اذا كان معترفاً على قتله وقالوا ان لم نلأثنين سنة ما فاكروا في ابتياع شيء مما احتاجوا اليه ولا وقفوا بباب غيره . وكان ذلك سبب رضا احمد بن طولون عن يوسف بن ابراهيم (راجع سيرة احمد بن طولون للبلوي) .

وفي الساعة التي توفي فيها يوسف بن ابراهيم بعث احمد بن طولون أيضاً بخدم فهاجموا الدار وطلبوا بكتبه (مقدرين ان يجدوا كتاباً من أحد ممن ينفذاد) فحملوا صندوقين وقبضوا على احمد وعلى أخيه وصاروا بها الى داره فأدخلوهما اليه وهو جالس وبين يديه رجل من أشرف الطالبين فأمر بفتح احد الصندوقين وأدخل خادم يده فوقع على دفتر جرايات على الأشرف وغيرهم فأخذ الدفتر بيده ونصفحه وكان جيد الاستخراج فوجد اسم الطالب في الجراية فقال له واحمد يسمع : كانت عليك جراية ليوسف بن ابراهيم . فقال له : نعم أيها الأمير ! دخلت هذه المدينة وأنا مملق فأجرى علي في كل سنة مائتي دينار أسوة بابن الأرقط والعقيقي وغيرهما ، ثم امتلأت بديا بطول الأمير فاستعفيت منها .

ذاك الأب النجيب أنشأ هذا الولد النجيب احمد بن يوسف ، فهو نجيب وابن نجيب ، نشأ في بيت خير ومروءة وأدب ، وجاء كاتباً بليغاً ، وشاعراً مجيداً ، ومؤرخاً عظيماً ، وطبيباً نظامياً ، وعالماً بالرياضيات والنجوم ، حتى عرف بالعراق بالمهندس المصري ، كما عرف في مصر بالكاتب ، ووصفوه (مجسطي أقليدسي) وما عرفنا أي نوع من الكتابة كان يتولاه للدولة الطولونية ، ثم انا لم نعرف شيوخه ولا سنة ولادته ولا أصل أمه ولا زمن اتصاله بأحمد بن طولون ، وما نظن الا انه كان شاباً مدرّكاً في آخر ولايته وحجبتنا ان ابن طولون لما بعث بخدمه في الساعة التي توفي فيها يوسف بن ابراهيم وقبضوا على احمد وعلى أخيه وصاروا بها الى داره ، ان احمد كان شاباً يوم وفاة والده ، ولو كان

طفلاً تركوه وشأنه بلبع مع الصبيان ولما حملوه الى ابن طولون ، وكان هذا  
أبداً يتخوف من يوسف بن ابراهيم لأنه كان يقدر ان هواه بالضرورة مع  
بني العباس ، وقد لا يستنكف من نقل أخبار ابن طولون الى أصحاب الدولة  
في بغداد ، وكان من أمم ما يخشاه ابن طولون أن يعرف العباسيون أخباره  
وأمراره ، ولذلك أحاط البلاد المصرية في أيامه بشبكة من الرقباء لتخوفه من  
كل غريب يهبط مصر ، فكيف لا يحسب حساباً لتمام رجل بين ظهرايه هو  
من أعظم صنائع العباسيين ، ومن سمو المدارك بحيث لا تفوته حركة من حر كاته  
ولا سكنة من سكناته .

كانت الفسطاط ثم القطائع على عهد بني طولون ثاني بغداد في المرتبة العلمية  
والاجتماعية ، قصدها من الآفاق كثير من أهل العلم لما عرفوا ان احمد بن طولون  
« كان متديناً يحب العلماء وأهل الدين » وانه على جانب من العلم والأدب ،  
وانصل احمد بن يوسف به او بأولاده ، واحمد على كل حال كان فتى في  
أيام مؤسس الدولة الطولونية . وقد مات ابن طولون سنة سبعين ومائتين ومات  
احمد بن يوسف في سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة . وظن ابن عساكر ان وفاته  
كانت في سنة أربعين وثلاثمائة ، ولا يعقل ان يكون احمد بن يوسف تام  
الأدوات في أيام احمد بن طولون بحيث يصلح للدخول في زمرة رجاله ، وعلى كل  
حال عرفه في أخبار أيامه ثم اختلط برجاله وقواده وثقاته ونقل عنهم أخباره  
وهو في مقتبل أيامه ، فدونها كما دون سيرة ابنه ابي الجيش خمارويه وسيرة هارون  
ابن ابي الجيش وأخبار غلان بني طولون أي القائمين بأمر دولتهم . والغالب ان  
هذه الكتب فقد أكثرها في نكبة الطولونيين كما فقد كتابه الثمرة الذي  
فسره احمد وأصله لبطلميوس ، وضاع كتابه مختصر المنطق الذي ألفه لعلي  
ابن عيسى عظيم وزراء بني العباس في عصره ، وكذلك كتاب ترجمته وكتاب  
أخبار المنجمين وكتاب الطيخ وغيره ورأينا بعض المؤلفين كالبليوي مؤلف سيرة

آل طولون ينقل عن سيرة احمد بن طولون لأحمد بن يوسف الكاتب ورأينا غيره ينقل عنه أيضاً .

ضاعت معظم هذه الكتب ، وربما كانت لتكبة الطولونيين صلة بضائعها ، لأن فيها ولا شك طائفة عظيمة من محاسنهم ، ومحاسنهم مما يشق على العباسيين نشره وتخليده ، ولم يصل إلينا من ثلاثة وعشرين مصنفًا من تأليف ابن الداية سوى قطعة من سيرة احمد بن طولون كتبها ابن الداية الا انها مختصرة مبتورة سطت عليها يد المسخ فحقيقتها واختلطت ولم يظهر فيها حقيقة تأليفه ، هذا الى ما حامت من أغلاط شائنة بطول الأيام وتعاور أيدي النساخ على كلامه ، والمؤلفين الذين جوزوا اختصاره على هواهم . وما أبتت الأيام عليه أيضاً قطعة من كتاب السياسة لأفلاطون استخراجها احمد بن يوسف فاصداً فيها الرد على رجل متعصب للفرس بفضلمهم على اليونانيين ، وأهم ما أبتت الأيام عليه من كل ما خطته أنامل احمد بن يوسف من الكتب والأسفار والرسائل ككتيب او رسالة اسمها كتاب (المكافأة) وهو بأسلوبه ورشاقته ألفاظه وبديع نسجه من أبلغ ما كتبت العرب في القصص ، يسلك مع ابن المقفع في سلك واحد ، ولولا هذه الورقات التي عثر عليها من كتاب (المكافأة) لما استدللنا على أنه أبلغ كاتب نشأ في وادي النيل في الدهر الغابر ، وحكنا هذا مبني على من وصل إلينا خبره وأثره .

ومن المكافأة أدركنا كثيرة امتزاج احمد بزجال الدولة الطولونية وعلمائهم ومهندسيهم ورياضيهم وقوادم ، وبه تمثلنا صورة ضئيلة من مصر في أيامه ، وسياسة ابن طولون وإدارته ، وبه وقفنا على أشياء قد لا يتعرض لها من ترجماله .

فقد قال في علي المطيب المعروف بالديبان انه « كان حسن المعرفة لكتب أفلاطون ورموزه ومبرزاً في الطب » وحدث عن هارون بن ملول غير مرة والغالب أنه كان من أعيان البلاد . ونقل عن احمد بن دعيم قال وهذا « كان من خاصة قواد احمد بن طولون بعد أن ترك الديوان وحسن انقطاعه

الى الله» وعن موسى بن مصلح المعروف بأبي مصلح «وكان هذا من الثقات عند احمد بن طولون» وعن ابي عبد الله الواسطي كاتب احمد بن طولون وعن محمد بن يزيد «وكان حسن التقشف شديد الرأي» وعن احمد بن محمد المعروف بابن ابي عصمة كاتب احمد بن طغان وعن احمد بن ايمن كاتب احمد بن طولون ، وعن احمد بن ابي عمران الفقيه وعن عمر بن يزيد البرقي «وكان جميل المذهب» وعن ابي كامل شجاع بن اسلم الحاسب . ومعظم هؤلاء الرواة لا ذكر لهم فيما بين أبتدنا من كتب الرجال . روى احمد بن يوسف في كتابه المكافأة ما سمعه من تقدمه وما شاهده في عصره وساق ثنتين وخمسين قصة في المكافأة على القبيح والمكافأة على الحسن «رجاء أن يكون ذلك عوناً للاستكثار من مواصلة الخير وتطلب العارفة في الحسن ، وزجر النفس عن متابعة الشر ، وإعادها عن سورة الانتقام في القبيح ، وقد قالوا : الخير بالخير والبادي أخير ، والشر بالشر والبادي أظلم» .

ولما دخل محمد بن سليمان مصر في سنة ٢٩٢ للقضاء على الدولة الطولونية كان احمد بن يوسف الكاتب يجاذره ويخشى بأسه وكان يستدعي «الواحد بعد الآخر من أسباب الطولونية ويستصفي ماله بالسوط وعظيم الاخافة» وهذا بعد ان كان هو وابوه يوسف بن ابراهيم في حياة احمد بن طولون من المشبه بهم لأن هوامم مع بني العباس وما ندرى وهو الذي جمع سيرة الدولة الطولونية ورجلها ان كانوا بعد راضين عما كتب أم غير راضين . وكان احمد بن يوسف صاحب مزارع انتقلت اليه من أبيه ومنها ما كان على مقربة من المحلة الكبرى كما فهم ذلك من كتاب المكافأة .

وهاكم الآن قصتين تبيان عن أدب ابن الداية وعن حاله وحالة مصر في زمنه والقصة الأولى «ولما استفحل أمر ابن الخليلج الخازن عنه جيش مصر الى الاسكندرية» وخطا الفسطاط منهم ، وكنت بمدبنة أهناس ، واضطربت النواحي ، وانجحت

الى مشاهدة القسطنطينية ، فمخفرت بأربعة نفر من القيسية ، دفعت اليهم عشرين ديناراً ، وخرجت معهم فأحسنوا العشرة ، وأجملوا الصعبة . وكنا لا نجتاز بحبي ولا جماعة الا كفونا مؤنة كلامهم وصدفوا عنا بأسهم ، ولم نزل كذلك دأبنا حتى بلغنا قصر الجيزة . فأقبلت رجلة من الأعراب قد رتها برأي العين خمسين فارساً كانت من غير حيمهم ، فصمحت نخونا براحها ، وعملت على نهينا وقتلنا ، ورأيت الموت في أنسنتهم ، وأحسن الأربعة الذين تخفرونا بهم لقاءها والتضرع اليهم ، وناشدوهم ألا يخفروا ذمتهم ، وأجملوا التآقي حتى انصرفوا . وجددنا في السير حتى انتهينا الى حيّ المخفرين لنا . فقال المخفرون : قد بلغت الى من تأمنه فحط رحالك ، فما تستقل دوابك الزيادة على هذا السير . فنزلت وتقدمت الى الغلمان في اطعامهم ، ولم أجد للطعام مسانغاً من فرط ما لحقتني من الروع ، وعملت في المخفرين هذه الأبيات :

جزى الله خيراً معشراً حقنوا دمي      وقد شرعت نحوي المنقفة السم  
 دراهمهم مبدولة اضعيفهم      وأعراضهم من دونها الغفر والستر  
 اذا ما أغاروا واستباحوا غنيمه      أنار عليهم في رحالم الشكر  
 وان نزلوا فطراً من الأرض شامعاً      فما ضره الا يكون بها قطر  
 فلحظني واحد منهم وأنا أكتبها ،      فظن بي أني أكتب الى السلطان فأشتكي  
 ما كان من الفرسان الذين لقونا بقصر الجيزة ، فقال : قد سلمتكم الله من أولئك القوم ، وقد أحسنوا بنا في حسن الاجابة لنا ، فلا تكتب فيهم بشي .  
 فقلت : والله ما كتبت فيهم ولا في غيرهم الى السلطان بشي ، فقال لي شيخ المخفرين وقد دنا مني : فما تكتب ؟ قلت : أكتب أحياناً مدحتكم فيها .  
 فقال : وانك لتقرض الشعر . قلت : نعم ، قال : أنشدني على اسم الله ، فأشدته اياها . فقال : برك الله ووصلك . ثم صاح بالثلاثة ، فلما اجتمعوا أنشدتم اياها فما خرم شهد الله حرفاً واحداً فصجبت من حفظه لها ، ولم أعد عليه

حرفاً منها ، وتبينت الفرح في سائرهم وحفظوها بأجمعهم . ثم صاح بهم الشيخ : ما تنتظرون أرحضوا السوءة عنكم ، فأدخلوا أيديهم في جيوبهم وجمعوا شيئاً أخذه الشيخ منهم . ثم قال لي : قد شكرنا صنيمتك والله لا نجمع بين شعرك ووفرك ، ووضع العشرين ديناراً بين يدي ، فأكبرت ذلك وأعظته فقالوا لي : الصواب ألا يعلم بها عشرتنا فيرجع عليك منها أكثر مما خفته عن لقيك بقصر الحليزة . وركبت فسرت مع جمع كثير منهم ، وهم ينشدون تلك الأبيات ، فالتفت أن يقبلوا مني برأ فلم أصل الى ذلك ، ورأوا أن الشعر أحسن موقعاً مما ملكته .

أما القصة الثانية فهي : «وطالبي بعض عمال الخراج بمصر بمال زاد على ما في حاصلي ، فاحتجت الى معاملة بعض التجار عليه ، فدللت على رجل من أهل الشام يعامل برهون ، فصار اليّ ، وأنا في بيت المال ، منه شيخ حسن الصورة ، جميل اللقاء فقال : الى كم تحتاج ؟ قلت : الى مائتي دينار . فأخرج من كفه مالاً فوزنه واستزاد من غلام كان معه دنانير حتى أكل المائتين . ثم سلها اليّ واتصاني خطأ بها وقال : قد كفيت مؤونة الرهن . فقلت : فكيف أكتب الخط ؟ قال : بمائتي دينار كما أعطيتك . فقلت له : سبيل المعاملة غير هذا . فقال : والله لا قبلت منك ربحاً فيها ، ولو وهبتها لك لكان من أصغر حقوقك عليّ . ثم قال لي : تعرفني ؟ قلت : لا . قال : ركبت مركباً أريد الفسطاط من تنيس وحملت فيه تجارة لي ما كنت أملك غيرها ، حتى اذا بانفت المحلة ووزيت ضياعاً كانت في يدك ، كسّر بنا وغرق جميع ما أملكه ، وسلمت بحشاشة نفسي فجلست على الشط أبكي وأتعب ، فأقبلت في جماعة معك فسألني عن حالي فأخبرتكم بها ، فبثت في حشد من بغوص على المركب وما فيه ، وحططت على الشط ، فأخرجوا برأ كان لي وتلف ما سواه ، واستخففتني على ما ذهب لي فأخبرتكم به ، وكانت قيمته سبعين ديناراً ، فقسمتها لي على وكلائك

وكتابك ، فلما حصلت لي أعطيتني دنانير من عندك وقلت لي : هذا أرش  
 ما لحقك في الثياب ، وأمرت ان يكتب لي الى تبتيس ، وكتبت الى جماعة  
 معامليك بتبتيس بما لحقتي وبعونتي على أمري ، فرجع بك الي ما أملك ، وكسبت  
 جاهاً بتبتيس تضاعف مالي به ، وحسنت معه حالي . وأخذ خطي بالمال وانصرف .  
 أظننا الآن وقفنا بعض الوقوف على ترجمة الأحمدين المصريين من القدماء  
 ورأينا انها كانتا من العظماء بأدبها وبأخلاقها ، وأنها يتشابهان من وجوه كثيرة ،  
 وربما كان احمد بن يوسف المصري أعلم من ميمه البغدادي ، وكانت هذا  
 أوصل الى المأمون فأعجب بأدبه ، وذاك اتصل بالطولونيين ، وهم ما خرجوا عن  
 كونهم أتراكاً من بعض عمال الخلافة ، ولا شك ان للبيئة دخلاً كبيراً في  
 تعظيم أقدار الرجال .

محمد كرد علي

## رأس شجرة أو أغاريت

أثقت الحفريات الأثرية في البلاد الشامية أنواراً كاشفة على تاريخ سورية في عهودها القديمة . وبعثت من رسمها صفحات ماضٍ بعيد أغفلتها السطور وغيبتها العصور ، لولاها لنعم علينا تاريخ حقبة طويلة من ماضي بلادنا ، ولجهلنا فضل السلف في تشييد حضارة هذا العالم ، ومبلغ مساهمته في ازدهارها ، وأثره البين في تطور الفكر البشري ونموه ، وقد ساعدت الاكتشافات الأثرية على سبك تاريخ سورية بسلسلة مستحكمة الحلقات ، وصلت حاضر القطر بماضيه في خمسة آلاف سنة متصلة وأثبتت ان سورية كانت خلالها مبعث نور سطعت أضواؤه على البشر في فجر نهضته ، وانها كانت العامل القوي في تقدم الحضارة ونشرها في العالم القديم .

احتلت حفريات رأس شجرة منذ مرحلتها الأولى مقعد الصدارة بين مثيلاتها لخطورة انتاجها ، وبذت غيرها بوفرة وثائقها ، وغزارة فوائدها التاريخية ، وكشفت لنا صفحات مجيدة عن أخبار ديارنا خلال الألف الثالثة والألف الثانية قبل الميلاد . ولا يتسع هذا المقال للاحاطة بجميع فروع هذه الحفريات ودقائق أمرارها ، وابن لي أن أجمال في صفحات نابسطه غيري في مجلدات وعالجوه في مئات المقالات ، ولكنني سأكتفي هنا بالإشارة الى خطوطها العامة التي استقيتها من مصادرها حتى لا يفوت قراء مجلتنا أخبار هذه الحفريات التي شملت العالم شهرتها وشغلت المعاهد العلمية أعواماً .

## رأس شمرة .

هو اسم تل يقع شمالي مدينة اللاذقية وبينها نحو خمسة عشر كيلو متراً . وهو مشرف على البحر ويبعد ثمانمائة متر عن ميناء البيضاء التي عرفها بحجارة اليونان الأقدمون باسم لوكوس لين (Leukos Limen) وهو مرفأ مدينة أغاريت القديم ومرساها الطبيعي . وتبلغ مساحة هذا التل نحو ( ٢٦ ) هكتاراً ، وسطحه غير منبسط وقدر ارتفاع قته بـ ( ٢٢ ) متراً عن سطح الحقول المحيطة به ، ويستثمر الفلاحون أرضه منذ القديم في الأعمال الزراعية . ولا تدل مظاهر التل على مكانته الأثرية وكانت حقيقته مجهولة الى أن كشفتها الحفريات وأظهرت أنقاض المدينة القديمة التي كانت مشيدة عليه .

## أغاريت :

بقي الاسم الحقيقي للمدينة التي اكتشفت في تل رأس شمرة مجهولاً عند الآثاريين والجغرافيين ، وقد اقترح لها بعضهم أسماء مدن كانت في القديم عامرة في هذه المنطقة ثم زال رسمها ولم يبق منها سوى ذكرها ، وما لبثت الحفريات ان وضعت حداً لكل ما توهموه ، وكشفت الوثائق التي عثر عليها بين أنقاضها اسمها الحقيقي وهو : ( أغاريت ) ، وانها كانت قاعدة ملك دولة سورية ساحلية وهي مملكة أغاريت ، وأحصت هذه الوثائق أسماء ( ٩٠ ) بلدة كانت خاضعة لسلطانها وتدفع المال لخزانتها وتقدم الجند لجيشها . ولم يكن هذا الاسم مجهولاً فقد ورد ذكره بصورة مبهمه في نصوص قديمة عثر عليها في الأقاليم المجاورة كرسائل العارنة في مصر وبوغاز كوى في الأناضول وفي بعض النصوص الفرعونية . وهكذا يبعث اسم هذه المملكة من جديد ليحتل مكانته في التاريخ بعد أن نسي نحو ( ٣٠٠٠ ) سنة .

## الحفريات :

أوفد المجتمع العلمي الافرنسي في ربيع عام ١٩٣٩ بعثة أثرية برئاسة العلامة الأستاذ كلود شيفر ( Claude Shaeffer ) للتحقيب عن آثار تل رأس شمرة ودأب في العمل الى عام ١٩٣٩ . وتوقف العمل خلال الحرب العالمية الثانية ثم استأنفت البعثة أعمالها في عام ١٩٤٧ . وقد كشفت الحفريات حتى الآن نحو خمس مساحة التل ، وظهر جزء من أنقاض مدينة أغاريت وسورها ومعابدها ومدافنها وقصرها الملكي . وعثر في هذه الحفريات على ثلاث طبقات متراكمة مثلت فيها ثلاثة عهود مختلفة ، تتميز كل طبقة عن الأخرى بقدمها ونوع مصنوعاتها ومبلغ ثروتها وصلتها التجارية والاجتماعية بغيرها من الأقطار المجاورة لها كعصر وآسيا الصغرى وأرض كنعان وأشور وكلدان وجزر بحر ايجه وبقية أرجاء حوض البحر المتوسط ، وتقلي علينا أنقاض هذه الطبقات تاريخها في الف وخمسمائة سنة .

ضمت طبقة ظهر التل السطحية آثاراً بسيطة من العهود العربية والبيزنطية والرومانية والهلينية واليونانية ، وقد تداخلت آثار هذه العهود بعضها ببعض واختلطت من الأعمال الزراعية حتى تعذر تصنيفها وادخالها في تاريخ هذه المدينة ، بيد انه عثر في جزء من هذه الطبقة على حي مشحون بآثار صناعات السواحل اليونانية وجزرها في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد . يستدل بها أن أغاريت بقيت حتى قبل زوالها الأخير مركزاً مهماً لتصرف البضائع اليونانية التي عمت بلاد الشرق الأوسط في ذلك العصر .

## الطبقة الاولى أو أغاريت الحديثة :

وهي الطبقة التي تلي مباشرة الطبقة السطحية الآتفة الذكر ، تحوي أنقاض المدينة ومعابدها وقبورها وبعض الآثار المنقولة المعدنية والحجرية والعاجية وأواني وحلي ذهبية مصورة وعدداً من الجمرانات المصرية من عهد الأسرة التاسعة عشرة .

وكيسر أواني رخام نقش على احداها خاتم الفرعون رمسيس الثاني وقدراً وافراً من الأواني الفخارية المسندية والقبرصية وعثر فيها على كتابات هيروغليفية مصرية والواح فخارية عليها كتابة أنجيدية مسارية ورموز بابلية وشومارية وحشية وخورية كتب أكثرها في زمن (تككد) ملك أوغاربت المعاصر للفرعونين أمنوفيس الثالث والرابع والملك (سويوليوماش) الحثي . وكشفت الحفريات آثار الحريق الذي دمر أكثر المدينة على أثر زلزال شديد . ويتفق زمن هذه الكارثة مع ما كتبه (إيملك) ملك صور في رسالة بعث بها الى الفرعون أمنوفيس الرابع يقول فيها : «هدمت النيران أوغاربت مدينة الملك والتمم الحريق نصفها ، ولم يعثر على نصفها الاخر» . ويمكن تحديد تاريخ ذلك في سنة ١٢٦٥ قبل المسيح . وتتميز هذه الطبقة بوفرة الآثار المنقولة المصرية ويستدل منها على ان أوغاربت كانت خاضعة لسلطان مصر ولذلك حاوت أوغاربت التحرر من سيطرة مصر فأعلنت في عام ١٤٤٤ قبل الميلاد العصيان وثارت عليها ، وتظهر آثار هذه الثورة واقعة الأغاربيين على مصر بتخطيطهم جميع الآثار المصرية التي كانت في عاصمتهم ، وخذ المصريون هذه الحادثة التاريخية في كتاباتهم حينما ذكروا مآثر الفرعون أمنوفيس الثاني الذي أخمذ الثورة بقولهم : «ووصل جلالته الى أوغاربت وتغلب على جميع أعدائه ثم عاد مقتبطاً بعد أن ضم هذا البلد الى مملكته» . ونرى مما تقدم ذكره ان أوغاربت الحديثة كانت معاصرة للدولة المصرية الحديثة وعاشت في سني (١٢٠٠ - ١٦٠٠) قبل الميلاد .

### الطبقة الثانية أو أوغاربت الوسطى :

وهي الطبقة التي شيدت عليها أوغاربت الحديثة المتقدم ذكرها وعثر فيها على أنواع من الفخار السوري والفخار الكريتي من النوع الذي عثر عليه في (كاهون) في مصر داخل مساكن العمال الشاميين الذين استخدموا في بناء اهرام

الفرعون (سيزوستريس) الثاني ومدافنه الملكية خلال سني (١٨٨٨ - ١٩٠٦) قبل المسيح . وعثر أيضاً على تمثال صغير للأميرة (ششوميت نفرحج) زوج الفرعون الآنف الذكر ، ووجد تمثال ابي الهول قدمه الفرعون (امينمهاث) الثالث خلال سني (١٨٠٠ - ١٨٥٠) قبل الميلاد . يضاف الى ذلك أنواع من الأسلحة والحلي يمكن بها تحديد عمر أغاريت الوسطى بين سنة (١٦٠٠ - ٢١٠٠) قبل المسيح .

وعلى الرغم من الغموض الذي بكثفت تفاصيل تاريخ أغاريت الوسطى السيامي تجلي لنا أنها كانت وقتئذ حليفة مصر أو خاضعة لها تبادلها انتاجها الصناعي وتتقبل هداياها الملكية . ونأمل أن تزودنا حفريات المستقبل بمعلومات أوفى تعين على كشف ماخفي علينا من تاريخها .

### الطبقة الثالثة أو أغاريت القديمة :

ان تاريخ هذه الطبقة هو أشد غموضاً من الطبقة الثانية لتقادم عهدها ، ولأن الحفريات لم تتناول حتى الآن سوى جزء ضئيل منها ، ودلت الحفريات أن حربياً عظيماً قد دمر أغاريت القديمة بين سنة (٢٣٠٠ و ٢٤٠٠) قبل المسيح وانه هجرها عقب ذلك سكانها زمناً طويلاً حتى اعتلت أنقاضها طبقة تراب كثيفة يختلف غورها بين المتر والمتر والنصف . وقد ظهرت آثار مثل هذا الحريق في مدن كثيرة معاصرة لأغاريت القديمة منها مدينة جبيل وطروادة الثانية مما يؤكد ان الحريق لم يقتصر على أغاريت بل شمل أكثر أصقاع الشرق الأوسط وخاصة فلسطين ولبنان وسورية وغربي الأناضول وجزيرة قبرص ، هنالك ما يشير الى أن هذه الحرائق شبت اثر زلزال عنيف ترك آثاره في جميع بلاد شرقي البحر المتوسط وغربي آسيا الصغرى . وكان من أعظم الكسبات التي حلت في هذه الديار .

ولنا مما تقدم أن نلخص مراحل تاريخ مدينة أغاريت كما يلي :

التاريخ	العهد	الطبقات
١٢٠٠ - ١٦٠٠ قبل الميلاد	أغاريت الحديثة	الأولى
١٦٠٠ - ٢١٠٠	أغاريت الوسطى	الثانية
٢١٠٠ - ٢٤٠٠ (?)	أغاريت القديمة	الثالثة

وإنه ليتعذر علينا الآن تحديد تاريخ بداية مدينة أغاريت القديمة ومعرفة ما كانت عليه قبل عام ٢٤٠٠ قبل المسيح . وقد دلت الاختبارات التمهيدية التي جرت في أعماق الطبقات على وجود طبقتين رابعة وخامسة يتصل عهد أقدمها إلى الألف الرابعة قبل المسيح أو العصر الحجري الحديث . ولم تزل الوثائق التي عثر عليها حتى الآن محدودة لا تكون فكرة واضحة عن تاريخ تأسيس هذه المدينة . ويرجى أن تكشف لنا حفريات المستقبل تاريخ أغاريت في جميع مراحلها من بدايته إلى نهايته .

### أهم الاكتشافات :

بالإضافة إلى مئات الآثار المنقولة المكتشفة في الحفريات وقد دلت على براعة الصانع الأغاريتي وسلامة ذوقه فقد عثر معها أيضاً على منشآت عديدة تثبت مهارة البناء الأغاريتي وتفوقه . ومن أهم هذه المنشآت :

١ - مدينة أغاريت التي كشفت الحفريات جميع أدوار حياتها ومراحل عمراتها ، وتبين من خطط المدينة بأنها أسست على نهج موضوع فرض استقامة طرقها وتقسيم أحيائها وأسواقها إلى مربعات تكتنفها الطرق والمنافذ ، ولا يختلف تصميم الدور وقتئذ عن الطراز الشامي المألوف في الأرياف ، وتتألف الدار من باحة مكشوفة يحيط بها بيوت السكن وبقية مرافقها ، وقد يكون لبعض الدور

حمامات خاصة اذ عثر في احداها على حوض حجري للاستحمام يشبه أحواض الحمامات الغربية الحديثة .

٢ - وعثر على عدة مصانع دينية أهمها هيكل المعبود (داغون) وهيكل ابنه (بعل) ، ولم تكن معابد أغاريت مقتصرة على العبادة بل كانت في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد . معاهد ثقافية ودور تعليم شأن جميع المعابد الشرقية الكبيرة .

٣ - ان أعظم بناء ظهر حتى الآن في أغاريت هو القصر الملكي وهو من أم القصور الملكية القديمة التي اكتشفت في هذا الشرق حتى الآن بما كفيها في احكام بنائها وسعة أرجائها وتعدد أفسامها ، بنيت جدرانها من حجر نحيت ورصفت أرضه بصفائح حجرية ، وما يجدر الاشارة اليه وجود مجار مستورة تحت الأرض وداخل الجدران لتصرف مياه الأمطار والأقذار تتألف منها وحدة مع تصميم بناء القصر مما يدل على مبلغ عناية السكان بالنظافة وادراكهم تأثيرها في الصحة .

٤ - وعثر تحت أرض بعض غرف القصر والدور الخاصة على عدة مدافن يتزل إليها بسالام حجرية . وهي في شكل قبو محكم البناء وغاية في الاتقان تشبه المدافن المسيحية في ذلك العصر ، وتدل هذه العناية على ان الأغاريتيين لا يختلفون عن بقية الشعوب المعاصرة لهم بتكريم موتاهم وحرصهم على توفير أسباب الراحة والرفاهية لهم وتجهيز القبور بكل ما يفيد الراحل في حياته الثانية . وقد وجدت هذه القبور خالية لأن اللصوص سطوا في غابر الأزمان على هذه المدافن ونهبوا النفائس التي وصلت إليها أيديهم بعد ان حطموا ما زهدوا في حمله .

### الوثائق المكتوبة :

عثر في معابد أغاريت وقصرها الملكي على عدد كبير من الوثائق تشتمل على أناشيد وفرائض دينية ونصوص أدبية ومراسلات سياسية وادارية ومعاملات مالية وصكوك عقارية وتجارية وعقود اجتماعية وبيانات بأسماء أشخاص ومدن

وعقافير وغير ذلك . كتبت جميعها على ألواح آجر برموز مسماية باللغات الشومارية والبابلية والحثية والخورية ، وكتبت الكثيرة منها بلغة مجهولة تظهر في التاريخ لأول مرة . وما شاع خبر اكتشاف هذه اللغة الجديدة في الأندية العلمية حتى انبرى لها علماء اللغات القديمة يحلون رموزها . وقد توفى بعد جهد سنين الأستاذ ( هنس باور ) ( Hans Bauer ) الى حل معظم رموزها وتفهم أكثر معانيها ، وقد ساهم الأستاذان دورم ( Dhorme ) وفيرولو ( Virolleaud ) بهذا الجهد وكان لها الأثر المحمود في بعث هذه اللغة وادخلها في عداد اللغات السامية المعروفة .

ومن أثنى ما عثر عليه في القصر لوح صغير كتب عليه ( أبجدية رأس شجرة ) تتكون من ثلاثين حرفاً برموز مسماية سهلة التركيب وهي أقدم أبجدية معروفة الى يومنا هذا ، وقد كتبت هذه الأبجدية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ويعتبر اكتشافها أعظم اكتشاف أثري جرى منذ مطلع القرن العشرين . وقد حملت يومئذ الأسلاك البرقية نبأ هذا الاكتشاف الى جميع أممات صحف العالم التي نشرت خبره في أبرز مكان منها . فلا عجب ان أثارت هذه الأبجدية اهتمام العالم وانبجابه ، وهي أجل ابتكار ابتدعه الفكر البشري وجعلت القراءة والكتابة يتناول الأحداث والشيوخ على السواء ولولاها لبقيتا وفقاً على فئة قليلة من المحترفين اكتسبتها بقرق الجبن والجهد الطويل ، وهي بحق معلمة الانسان الأولى وجديرة بتكريم البشر وتقديسه وبحق للديار الشامية ان تعزى بهذه المعجزة التي أتى بها أحد أبنائها فعم نفعها العالم أجمع باستثناء الصين التي حافظت على كتابتها التقليدية القديمة المكونة من ( ٤٠٠٠ ) حرف .

ويسرنا ان نردد ما كتبه بحقها مكتشفها الأستاذ كلود شيفر ( Cl. Shaeffer ) في تقريره عن الحفريات حيث قال : « ان شعباً أنتج مثل هذه المفخرة يستحق أن يبادله الجميل بثله ويحق له أن يتبوا مكانة مرموقة في تاريخ العالم » .

## القطن واللغة العربية

هل يكون اليَقَق بمعنى القطن ؟

قامت سوق للقطن في بلاد الشام لهذه الآونة المتأخرة فأقبل الناس على زراعته ومجارة اخوانهم المصريين في توفير غلته . وكثر التحدث عن وفرة الفائدة من وراء تجارته . واستنار الأَطِيان الصالحة لغرس نبتته ، وأخذت الحكومة تُعدّ العدة وتمهد السبيل أمام المزارعين وترغيبهم للعمل فيه . فلا غرو إذا تردد ذكره في الأندية ومواطن السمر . وكثر الحديث عنه بين السامرين والمزارعين . ولبعض الشيوخ المسنين في دمشق ندوة سمر اشتمرت بالانساب اليهم وقد توفروا عليها . ورفهوا عن أنفسهم في التردد اليها . ومل بعض هؤلاء الشيوخ يوماً كثرة الكلام في القطن وما له علاقة به . فمال به الحديث الى اللغة ولكن في موضوع القطن أيضاً فقال : ومن أسماء القطن في اللغة العربية ( اليَقَق ) فيحسن ان ننجي كلمة ( اليَقَق ) ولا سيما ان الفرصة سانحة لإحيائها واستعمالها فيقال مثلاً : يَقَقُ أَطِيان فلان أجود من يقق أَطِيان فلان . وبلغ محصول أرض فلان من اليقق خمسين بالة . ومنعت الحكومة استيراد اليقق من الخارج حمايةً ليقق بلادها .

ولم يكذب يتم الفاضل كلامه عن ( يقق ) والنصح باستعمالها حتى ردوا عليه نصحه فاصحى له بلزوم اطراح هذا اللفظ وهجر استعماله . وضحك بعضهم من غرابته وثقل اللسان به . وسئلت عن رأيي فيما قاله الفاضل . وعمّا اذا كان ( أي اليقق ) ورد بمعنى القطن . أو استعمال اسماً له ؟ فقلت : ان ( يقق ) ليست من الغرابية وقبح اللفظ بحيث تطرح ويترك استعمالها : اذكروها

في مجلسكم هذا المرة بعد المرة تنعم وتسلس وتخف ولا تعود أسماعكم نبيو عنها :  
 فان تكرار ذكر اللفظ وثرديده في الأفواه كليل بصقاله . وتعبيد الطريق  
 الى استعماله . وترويج استعماله . وما الفرق بين يقق وشقق التي تستعملونها  
 كثيراً في كلامكم ؟ على أن الغريب من الفاظ اللغة مها كان ثقيلاً في السمع  
 نايماً عن الذوق ينبغي الاهتمام به . وتفهم معناه . وتبين طرائق استعماله  
 لا لأجل أن نستعمله نحن اليوم في حديثنا وكتابتنا . بل لتوسل بفهمه وتحقيق  
 معناه الى فهم النصوص القديمة المأثورة في ثقافتنا الدينية . وآدابنا العربية .  
 ألا ترون ان كلمة ( اليقق ) التي استهجنتموها وردت في كلام الفصحاء وفي  
 نصوص السنة أيضاً ( كما يأتي ) . فكلمتا ( جعظري ) و ( جعوظ ) مثلاً لا يحسن  
 ان تحول غزابتها وثقالتها دون معرفة معناهما . ومواقع استعمالهما . فقد وردتا في  
 كلام النبوة في مقام اقتضاهما . ولغرض استدعاهما . قال ( ﷺ ) : ( أهل  
 النار كل جعظري جعوظ ) الجعظري المتكبر اللفظ والجوآظ المتكبر الختال  
 في مشيئه . فاللقام يستدعي أن يقذف هذا المتكبر من شنيع ألفاظ اللغة  
 بما يحكي شناعته . وقيح حاله .

هذا ما يقال في ( يقق ) من حيث فصاحتها وتحديد مواقع استعمالها .  
 اما ما يقال فيها من حيث ورودها بمعنى القطن او اسماً له كما قال أخونا الفاضل  
 فهذا لا أعرفه وكل ما أعرف عن اليقق أنه من مؤكدات الألوان : يقال :  
 أبيض يقق كما يقال أسود حالك . وأصفر فاقع . واحمر قاني . فيحسن ان تراجع  
 المعاجم للثبوت في صحة ما قاله . وكان غزا ما قاله الى القاموس . واتفق  
 وجود القاموس ( طبعته الحسينية ) تحت متناول أيدينا . فقالتبناها واذا فيها  
 مانصه ( اليقق محرقة مجمار النخل . القطعة بهاء . والقطن . وأبيض يقق  
 محرقة وكتيف شديد البياض ) هذا ما قاله القاموس ولا أعلم من أين وقع  
 في نفسي الريب من قوله . واستنكار ان تكون اليقق اسماً للقطن . فقلت

للقوم لا ريب في صراحة هذا النص ودلالته على ما أراد صاحبنا . ثم يفتُ التنية على تحقيق الأمر واستنطاق المراجع الأخرى . فكان أول ما تصفحت المعاجم المطبوعة البيروتية الحديثة فاذا هي تنقل عبارة القاموس من دون زيادة سوى (الشرتوني) صاحب أقرب الموارد فانه عزى كون (اليقق) بمعنى القطن الى القاموس . فقويت الريبة في نفسي من هذا التخصيص للقاموس . وأهويت يندي الى معاجمنا القديمة : الصحاح واللسان والأساس والمصباح والمختار وأخيراً المخصّص فلم أجد فيها كلها ما يشعر بان (اليقق) من معانيه القطن . حتى ان (ابن سيده) في المخصّص نقل عن ابي حنيفة الدينوري (سيّد من كتب في النبات) : جميع ما يتعلق بالقطن من حيث اسمائه وأنوابه فلم يذكر ان اليقق من أسماء القطن قط : وعدد من اسمائه البيرس والكُرسف والعُطب . وهناك اسماء اخرى لما يشبه القطن ذكرها وذكر الأشجار التي تنبتها : كالخرُف (قطن العُشْر) والينلم (قطن القَصَب) والفشعة ماتطابرين جوف (الصاصلى) قال وهي أي الصاصلى حشيشة تأكل جوفه (كذا) صيبان العراق - ذكر ابن سيده عن الدينوري كل هذا مما يتعلق بالقطن ولم يذكر من اسمائه او من أنوابه اليقق !!!

بقي من ضرور التثبت في الأمر الرجوع الى نسخ القاموس نفسه المطبوع منها والمخطوط . أما المطبوع فالبينية والحسينية المصربتان ذكرتا ان القطن من معاني اليقق وقد ذكرنا نص الحسينية الذي كان أول ما راجعناه يوم وقوع الاشكال . وعن المطبوعات المصرية أخذ كل من ألف معجماً حديثاً في الشرق والغرب . ومثلها ترجمة احمد عاصم التركية للقاموس فان نسخته التي اعتمد عليها صرح فيها ان اليقق يكون بمعنى القطن وهذه عبارته (ويَقْقُ بموغه دبنور) اي ويقال للقطن يقق .

وأما مخطوطات القاموس فراجعت منها سبعا منها مخطوطة مكتبتني ( وهي نسخة الأمير عبد القادر الجزائري ) وبقية مخطوطات دار الكتب الظاهرية . وجميعها تقول قول المطبوعات من أن اليقق يكون بمعنى القطن سوى واحدة من تلك النسخ فانها أهملت ذكره وهي مخطوطة الشيخ ( محمد سنان الدمشقي ) وهي نسخة حسنة الحرف واضحة الخط ويظهر انها كتبت في حدود الألف للهجرة وقد كتبت على ظهرها ما نصه : ( قابلتها وصححتها على شيخنا الشيخ محمود الكردي <sup>(١)</sup> في دروس آخرها في غرة شعبان سنة ١١٦٥ مع سبع نسخ في مدرسة المرحوم الوزير الكبير الحاج سليمان باشا ( العظم ) بجلستنا بدمشق ) والتوقيع ( محمد سنان ) وقوله ( مع سبع نسخ ) يدل على أن هذه النسخ السبع لم يذكر فيها ان القطن من معاني اليقق ، وإلا لدرس المصحح كلمة ( القطن ) في متنه او أشار اليها في هامش نسخته على الأقل .

فهذه النسخ السبع يزداد عدد النسخ السالبة بحيث يساوي عدد النسخ الموجبة أو المثبتة . بقيت نسخة واحدة أو مرجع واحد هو أجلها قدراً . وأوثقها مصدراً . أعني به شرح القاموس للإمام الزبيدي . ونسخته التي علّق شرحه عليها . وهو مطبوع في متناول كل يد . والثقة به لا تقف عند حد . فلما رجعنا اليه وجدنا نسخة متنه لم نقل ما قالته المطبوعات ولا المخطوطات فهي موافقة لنسخة ( محمد سنان الدمشقي ) ورأينا شارحها الزبيدي نفسه لم يتعرض الى كون القطن يسمى ( اليقق ) ولا الاشارة الى ان هناك نسخاً من القاموس مذكوراً فيها ذلك . وهذا على خلاف عادته كما لا يخفى مع ملاحظة ان الزبيدي وهو يشرح نسخته الخاصة لا بد أن يكون بين يديه مخطوطات أخرى للقاموس .

(١) جاء في تاريخ المرادي ج ( ٤ ) ص ( ١٢٧ ) : محمود العيدلاني الكردي  
نزىل دمشق الشيخ العلامة المحقق المدقق الفاضل قدم دمشق وسكنها الى أن مات  
سنة ١٢٧١ هـ .

ينظر فيها ، وبقارن بينها . ثم يشرح ما تطمئن اليه نفسه . ويرجح صحته .  
فليس من الباطل أن أقول ان الفسخ المثبتة للقطن تكاد تكون مفقودة في  
مكتاب القاهرة لذلك العهد الذي عاش فيه شيخنا الزبيدي . ورأيت أن أنهي  
القول في هذا الموضوع عند هذا الحد وأقرأه في إحدى جلسات مجمع دمشق .  
ثم تفتنت الى ان اتقان العمل يكون بارجاء البحث الى حين حضوري الى  
مصر ومراجعة مخطوطات القاموس في خزائن دار كتبها العامة . وخاصة  
شرح ( القرافي ) على القاموس ( وفاته سنة ١٠٠٨ هـ ) وادم شرحه ( القول  
المأنوس بتحرير ما في القاموس ) . وهذا ما كان وجئت الى القاهرة فكان أول  
ما فعلت أن زرت دار الكتب المصرية وطلبت ما لديها من مخطوطات القاموس  
فوجدت القرافي في شرحه أو حاشيته لم يتعرض لمادة ( يقق ) . وراجعت نسخ  
مخطوطات القاموس وهي عشر فوجدت واحدة منها كتبت سنة ١٠٢٩ هـ أهملت  
القطن ( كنسخة محمد سنان الدمشقية ) فلم تذكر انه من معاني اليقق وبقية النسخ  
ذكرته فقالت ( اليقق حجار النخل والقطن الخ ) فنسبة النسخ الموجبة في مخطوطات  
دار الكتب المصرية كنسبة دار الكتب الظاهرية . أي أن بضع نسخ أوجبت  
واحدة سلبت . وتاريخ نسخ هذه المخطوطات بين التسعمائة وبين الالف  
ومئة وخمسين للهجرة أي انها كتبت في خلال قرنين ونصف .

بعد هذا كله بقيت أفكر في المراجع التي يمكن أن تكشف السئار عن مر  
وجود كلمة ( القطن ) في القاموس وعدّها من معاني اليقق فرجعت الى نهاية  
ابن الأثير في شرح الفاظ غريب الحديث فوجدته يقول في ( حديث ولادة  
الحسن بن علي عليها السلام ) مانصه : ( ولقّنه في بيضاء كأنها البيقق )  
اليقق المتناهي في البياض . ( ٥١٠ هـ ) .

فتمثل أمام عيني اتجاه جديد للبحث : ذلك احتمال ان تكون كلمة « القطن »  
كانت ثابتة في نص النهاية بعد قوله ( كأنها ) وثبوتها هو الذي أدى الى  
زيادتها أو دسها في بعض نسخ القاموس من قبل النساخ .

أما بسط معنى نص النهاية فهو أن النبي ﷺ شهد ولادة الحسن فلما وضعته أمه لفته في خرقه بيضاء كأنها من شدة بياضها اليقق . واليقيق هنا جمع يقق وهي جُمارة النخل أي شحمته البيضاء . فاليقيق هنا أي في نص النهاية اسم للجُمارة لا وصف . غير أن في قول صاحب النهاية بعد ( اليقق المتناهي في البياض ) في قوله هذا نظر إذ أنه لا يصلح أن يُلحق باليقيق بمعنى الجُمارة ولا أن يفسر اليقق وهو اسم به وهو صفة . لأن اليقق الجُمارة كما قلنا فكان عليه أن يقول : واليقيق الجُمارة . أما أن يسكت عن تفسير الجمار الأبيض الذي اسمه اليقق ويعدل الى تفسير اليقق باحد معانيه وهو المتناهي في البياض مع ملاحظة أن اليقق في عبارة الحديث لم يذكر بهذا المعنى فهذا غير مستحب من صاحب النهاية بل هو لمحرمي مبين لعادته والتزامه الاختصار في كتابه . وبيننا كنا في اشكال من نص القاموس اذا نحن في اشكال من نص النهاية ولعل بين النصين نسبة وعلاقة وان يكون تأويل نص النهاية مزبلاً لاشكال نص القاموس :

ذلك ان نجعل أصل نص النهاية هكذا ( ولفته في بياض كأنها القطن اليقق ) لا الجمار اليقيق ثم فسر صاحب النهاية اليقق الواقع للقطن بقوله ( اليقق المتناهي في البياض ) ويصبح هذا التفسير ذا فائدة عظيمة من حيث دلالة على ان القطن الذي شبهت به الخرقه البيضاء هو من الجنس الأبيض بياضاً خالصاً . وقد استفدنا من علماء زراعة القطن ان منه ما هو أسمر ومنه ما هو مشرب بجمرة ومنه الخالص الشديد البياض . بل زعم بعضهم ان من القطن ما هو أسود .

فاذا كان ما توقعنا من أن كلمة القطن واردة في أصل نص النهاية ثم سقطت سهواً أو خطأ وأن أصل الكلام ( ولفته في بياض كأنها القطن اليقق ) - اذا كان كذلك - كان مؤلف القاموس أو أحد نساخ قاموسه ذهب وهلكه الى أن

القطن يسمى يَقْتًا مذ سماع راوي الحديث يشبه الخرقة البيضاء بالقطن اليقق  
فظن أن القطن يسمى اليقق . وهكذا وجدت كلمة القطن في بعض نسخ القاموس  
أو على هامشه وبعضها لم توجد فيه .

فالأدلة على ما قلنا من أن القطن مدسوسة في القاموس يمكن حصرها في أربعة:  
(١) لم يذكر كتاب من كتب اللغة التي بين أيدينا ان ( يقق ) تكون  
بمعنى القطن حتى ولا أبو حنيفة الدينوري الذي استقصى ابن سيده معظم أقواله  
في مخصصه .

(٢) لم يثبت أن الفيروزابادي صاحب القاموس دون اليقق بمعنى القطن  
في قاموسه بديل ان هذا المعنى وجد في بعض نسخه دون بعض .  
(٣) ان الزبيدي أكبر شراح القاموس لم يذكر في مادة يقق أن اليقق  
يكون بمعنى القطن بل يظهر أنه لم يطلع على نسخة ما فيها هذا المعنى ولو اطلع  
لأشار الى ذلك ولا سيما انه القائل في مقدمة شرحه للقاموس واصفا له ما نصه :  
( واف بيان ما اختلف من نسخه والتصويب لما صح منها ) .

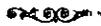
(٤) وأخيراً ان دوزي في معجمه ( مكل المعاجم العربية ) لما تكلم على مادة  
يقق قال ما ترجمته ( يقق : تجد أمثلة لاستعمالها من دون أبيض في الكامل  
ص ٣٣٠ سطر ( ١٠ ) وفي المفسري جزء ( ٢ ) ص ( ١٦٠ ) سطر ( ١٧ )  
طبعة ليسك سنة ١٨٦٤ ) وأراد بالكامل كامل المبرد طبعته الأوربية فراجعناها  
على أمل ان تكون اليقق ذُكرت بمعنى القطن لاصفة تابعة مؤكدة للون القطن  
بالبياض فاذا المثال فيها يدل على أن مراد ( دوزي ) بما قال انما هو استعمال  
يقق بمعنى الوصف أي المتناهي في البياض وقد حذف موصوفه . وهذا ما رواه من  
الشعر لبعض الفضلاء وهو قوله :

( قد كنت ارتاع للبيضاء في حلكِ فصرت ارتاع للسوداء في يَقْتِ )

أي أصبحت أذعر للشهرة السوداء في شمري اليقنى : فاليقق في هذا صفة حذف موصوفها لدلالة السياق . وهو التذمر والتشاؤم بالشب . فلا شاهد في البيت لاستعمال يقق بمعنى القطن . ولم<sup>(١)</sup> نظفر بنسخة (المقري) المطبوعة في ليبسك لنرى مثاله الذي استعملت فيه (يقق) وحدها من دون إلحاقها بأبيض . وهو في الغالب مثل ما في كامل المبرد . ولا يخفى أن دوزي الذي ذكر هذا لو ظفر بشاهد في الكتب وما أكثرها بين يديه على استعمال اليقق بمعنى القطن لذكره .

هذا وأخص بجني بقولي : ان جعل يققى اسماً بمعنى القطن لا دليل عليه في عامة أقوال اللغويين . وما في بعض نسخ القاموس . سهو أو مدهوس .

### المقري



(١) تم ظفرنا بنس المقري بواسطة زميلنا الأستاذ عبد الحميد العبادي بك فاذا هو قصيدة لبعض شعراء الأندلس يصف فيها خيل (النصور) ويمدد ألوانها (فن يقق كالطرس . . . وأبلق . . . وورد . . . وأشقر الخ) فاليقق في هذا النص انما اريد به أيضاً معنى للتناهي في البياض لا معنى القطن .

## نهضة اللغة العربية

للتعبير عن حاجات الحياة العصرية والتعليم العالي<sup>(١)</sup>

### لمحة تاريخية :

وَضَعُ الأُمَّةُ العربية اليوم من مدينة الغرب شبيهةً بوضعها في صدر الاسلام من مدينة الروم وفارس . وحاجة اللغة العربية اليوم الى التعبير عن العلوم الحديثة وعن حاجات الحياة العصرية شبيهةً بحاجتها الى مثل ذلك في القرون الوسطى . والوسائل التي يجب اتخاذها في هذا الزمن لايجاد مصطلحات في العلوم والمخترعات الحديثة لا تختلف عن الوسائل التي اتخذت في الأزمان الماضية .

ففي أيام الجاهلية كان معظم العرب في جزيرتهم قبائل بدوية مهنتها تربية الخيل والابل والضأن . وكان المتحضرون فيهم قلة تتنجر مع القبائل ومع البلاد المجاورة ، فكان من الطبيعي أن تعيش عبثة بسيطة ، وأن تكون لغتها بسيطة أيضاً ، على الرغم من شتى المدنيات التي قامت قبل الاسلام في بعض أنحاء الجزيرة العربية .

ولكن يجب أن لا يفهم من قولنا « لغة بسيطة » ان اللغة العربية كانت أيام الجاهلية في بساطة لغات بعض القبائل الافريقية أو الآسيوية في أيامنا هذه . فالحقيقة ان العربي في جزيرة العرب رجل ذكي نقاد تواق الى المعرفة ، ولذلك كان لديه لهجة هجائية مكتوبة ، فيها أدب وشعر وحكم وأمثال وأساطير ، وفيها أسماء عديدة لما كان يعرفه العربي في تلك الأيام : كتبانات الجزيرة

(١) دراسة للأمير مصطفى الشهابي بطلب من منظمة « اليونسكو » في هيئة الأمم المتحدة .

وحيواناتها وتضاريس أرضها ، وكخلقت الخيل والأنعام وأمراضها ، وكزراعة الحبوب والنخل والكرم وغيرها ، وكعرفة النجوم والجسوريات والحساب . ومع هذا يجب القول بأن معرفة العرب لهذه الأشياء لم تكن كافية لعددها علوماً . ثم ظهر الاسلام ونزل القرآن الكريم . ومن المعلوم ان القرآن كتاب دين ودنيا على السواء . فلما مست الحاجة الى فهم آياته ، والى فهم أحاديث النبي العربي ( ﷺ ) ، ووصاياه ، نشأت علوم جديدة اسلامية من تفسير وفقه وحديث . واقتضى ذلك العمل الكبير ايجاد مصطلحات عديدة استنبطها العلماء من صلب اللغة العربية ، إما بالاشتقاق ، وإما بالتضمن أي بتحويل معاني الألفاظ القديمة . ولما امتدت الفتوحات الاسلامية أدخلت العرب الى لسانها عدداً لا يستهان به من أسماء المآكل والملابس والأثاث والفنون الجميلة والأدوات الحربية والمصطلحات الادارية والأعمال الزراعية . وكثير من هذه الأسماء عُرِّبَ تعريباً من الفارسية والسريانية واليونانية .

أما العلوم فقد تفهيت العرب في أواخر عهد الأمويين الى نقلها الى العربية ، فظهرت في ذلك الزمن نواة التأليف والترجمة . ثم تقدمت الحركة الثقافية أيام الرشيد العباسي ، وبلغت أوجها أيام ابنه المأمون . وكان المأمون عالماً ونصيراً للعلماء ، فنقلت في أيامه الى العربية زبدة من علوم اليونان وفارس والهند . ثم استمر هذا العمل بعده ، وهكذا دخل العربية مصطلحات جديدة في الطب والفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والمواليد والزراعة ، مما اشتملت عليه أمهات المعجمات العربية كاللخصص والصحاح ولسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس . وصارت المصطلحات العلمية في تلك المعجمات صالحة للتعبير عن العلوم القديمة اجمالاً ، كما صارت نواة للتعبير عن بعض العلوم الحديثة .

## قدماء النقلة ووسائل النقل :

ولا بد لنا من التساؤل عن نقل هذا التراث العلمي العظيم الى اللغة العربية ، وعن الوسائل التي اتخذت لجعل تلك اللغة تنسج لذلك التراث ، ولما أضافه العرب اليه بعدئذ من نتاج بحوثهم العلمية .

فمن المعلوم ان معظم القدماء من علماء اللغة كانوا جمعوا مفرداتها بالسماع من بعض القبائل العربية التي لم تفسد باختلاطها بالأعجم ، وان هؤلاء العلماء لم يعدوا من صحيح الحكم العربي الا ما نطق به أهل الجاهلية والمخضرمون الذين عاشوا في الجاهلية والاسلام . وقد اقتصرنا هم وأصحاب المعجمات الأولى على ما جمعه ، ولم يميزوا لأنفسهم اشتقاق كلمات جديدة ، بل حظروا الاشتقاق ، ولكنهم أجازوا التعريب . ومع هذا فقد عدوا كل كلام وُضع بعد صدر الاسلام مولداً ودخيلاً على العربية ، وحكموا بمنع استعماله .

ولو لبث رأي المحافظين سائداً لجدت اللغة العربية ولاستحال تمييزها . ولكنه من حسن حظ هذه اللغة كونه عاش منذ القديم قلة من المجتهدين الأحرار ( كأبي علي الفارسي وابن جني ) أجازوا المتأخرين من علماء اللغة الدوام على تسميتها بالوسائل التي انشبت قبل صدر الاسلام ، أي بايجاد ألفاظ جديدة ( بالاشتقاق والنحت والتعريب ) وبضمها الى اللغة ، وبعدها صحيحة ، صحة التي دُوت بالسماع عن العرب قبل صدر الاسلام .

وكان لزاماً على نقلة العلوم من اليونانية أو من السريانية في عهد العباسيين أن يكونوا من الأحرار ، ولو اتبعوا رأي المحافظين لما استطاعوا هم ومن أتى بعدهم من جعل اللغة العربية مستودعاً وحيداً للعلوم القديمة طيلة قرون عديدة . ولم يكن نقلة العلوم القديمة الى العربية من علماء اللغة ، بل كانوا من

المستعربين ، وكان جهم نصارى أخضعوا اللغة العربية لأغراضهم ، وجعلوها  
صالحة لاستيعاب تلك العلوم<sup>(١)</sup> .  
وقد عمدوا هم ومن أتوا بعدهم الى اتباع وسائل ناجحة في الترجمة . ومن  
هذه الوسائل :

- ١ - ابدال المعنى القديم للكلمة العربية ، وتضمينها المعنى العلمي الجديد .
- ٢ - اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية للدلالة على المعنى الجديد .
- ٣ - تعريب كلمات أجنبية وعدّها صحيحة .
- ٤ - ترجمة الكلمات الأجنبية بمعانيها . وسنرى ان هذه الوسائل هي التي  
ينبغي لعلماء أيامنا هذه ان يرجعوا اليها في جعل اللغة الضاربة تنسج للعالم الحديثة .

### عيوب المعجمات العربية :

عند ما أخذ علماء العرب والمستعربون من علماء المشرقيات في هذه الأيام  
يؤلفون بالعربية أو يترجمون اليها رجعوا الى الأمهات من معجمات هذه اللغة  
فاتضح لهم ما يلي :

- ١ - خلوا هذه المعاجم من الفاظ كثيرة دخلت العربية على كرم العصور ،  
ولم تدبّر في المعجمات المذكورة لأنها - أي الألفاظ - عدت من المولد أو الدخيل ،  
أي مما لا يجوز أصحاب المعجمات استعماله . وقد جمع دوزي في معجمه المشهور  
عدداً كبيراً من هذه الألفاظ .
- ٢ - خلوا المعاجم المذكورة من مصطلحات العلوم والمخترعات الحديثة وهي  
تعد بالألوف من الألفاظ .

(١) من هؤلاء الفرخين بن اسحق النسطوري وثابت بن قرة الحراني  
وابن ماسويه وابن البطريق وقسطا بن لوقا البلبكي وابن وحشية والطوسي وحجاج  
ابن مطير الخ .

٣ - من أهم عيوب معجماتنا العربية كون عدد عظيم من الأسماء المدرجة فيها قد فُسر تفسيراً بعيداً عن التفسير العلمي . وهاكم ثلاثة أمثلة فقط على ذلك :  
(الاول) : ان الطير فيها هو كل ما يطير ، ولذلك أدرج الجراد والذباب والنحل في جملة الطير ، على حين انها من الحشرات .

( الثاني ) : ان كلمة حشرة لا تدل في معجماتنا على ما تدل عليه كلمة Insecte الفرنسية تماماً . فالفأر في معجماتنا حشرة ، وكذا الجرذ والحرباء والعظابة ، على حين أنها تنسب في التصنيف الحديث الى حلقات بعيدة عن حلقة الحشرات .  
( الثالث ) : ان تعريف الشجرة في المعجمات المذكورة يختلف عن تعريفها علمياً . ففيها ان كل نبات قام على ساق هو شجرة ، سواء أكان سنوياً أم محولاً أم معمرأ ، وسواء أكانت ساقه هشة أم خشبية . ولذلك ترى فيها ان الخشخاش شجرة ، والقنب شجرة ، والخردل شجرة . ومن المعروف انها كلها أعشاب سنوية لا أشجار بالمعنى العلمي الحديث .

والغاية من ذكر هذه الأمثلة الثلاثة بيان ما يبدو لنا من ضرورة تجديد معاني الألفاظ تحديداً علمياً في معجماتنا العربية .

(٤) من عيوب المعاجم المهمة أيضاً خلط أعيان المواليد في التسمية . واطلاق الاسم الواحد على أكثر من نبات او حيوان واحد . ومرد ذلك الى جهل القدماء بالتصنيف الحديث المبني على تشرحح الأحياء الدقيق . مثال ذلك ان معجماتنا لم تفرق بين الأرز والعرعر والصنوبر والسرو ، بل عرّفت الواحد بالآخر . وكذلك لم تفرق بين الأوز والبط ، ولا بين الأتقليس والجرطي ، ولا بين اللوز والبندق الخ .

(٥) كثير من الأسماء قد عُرّفت في معجماتنا تعريفاً ناقصاً ، فالشجور مثلاً عُرّفت بكلمة « طائر » ، والسعتر بكلمتي « نبات معروف » وهكذا . ولا بد من اللجوء الى تعريف أمثال هذه الأسماء تعريفاً علمياً .

(٦) في المعجمات كما في الكتب العلمية القديمة أغلاط علمية وخرافات لا يقبلها العلم الحديث . ولا حاجة الى ذكر الأمثلة فهي عندي كثيرة .  
 (٧) تَبَدُّلٌ في الاستعمال الحديث مدلول بعض الأسماء القديمة . فكلية « بَلَسَان » مثلاً تطلق اليوم على النبات المسمى بالفرنسية Bureau على حين انها تبدل في معجمتنا على نبات Balsamier . وكذلك كلمة « قَيْمَقَب » فهي تطلق اليوم على الشجر المسمى Erable ، أما في المعاجم فهي تدل على الشجر المسمى Azédarach الخ .

ويتضح من هذه الخلاصة الموجزة جداً ان الأسماء من معجمات لغتنا العربية لا تصلح لزماننا هذا ، على الرغم من الجهد العظيم الذي كان علماء اللغة القدماء بذلوه في تصنيفها . وهم يشكرون على ذلك لأنه ما كان في امكانهم أن يصنفوا أحسن منها في ظلمات القرون الوسطى .

ومن المؤسف القول بأن معجمتنا العربية الحديثة ( كحيط المحيط وأقرب الموارد والبستان والتنجيد وغيرها ) وان جاءت صورة صغيرة مشذبة للمعجمات القديمة ، فهي قد اشتملت من الوجهة العلمية على معظم ما فيها من عيوب ، ولذلك فهي أيضاً لا تصلح لهذا الزمن ، لأن ألفاظها غير معرفة تعريفاً علمياً ، ولأنها — أي المعاجم الحديثة — جاءت خالية من المصطلحات العلمية التي خلت منها المعجمات القديمة .

### النهضة الحديثة واللغة العربية :

بعد استيلاء التتر والمغول والسلاجقة والماليك وغيرهم على بلاد الخلافة العباسية ، وبعد خروج العرب من الأندلس ، خبا نجم المدنية العربية ، ووقف اللسان العربي عن التقدم بضعة قرون . وبينما كانت أوربة تسير بخطى حثيثة في نهضتها العلمية الحديثة كانت الدولة العثمانية المسيطرة على الأقطار العربية تغط في نومها حتى سُميت بالرجل المريض .

ويرى الكثيرون ان بدء النهضة العربية الحديثة في مصر يرجع الى أيام غزو نابليون الأول لها . فمنذ تلك الأيام أخذ الناس فيها يشعرون برجحان العلوم الحديثة ، وبالقوة المادية المنبعثة عن الأخذ بها ، وجعل المفكرين يتطلعون الى معرفة أسرار تلك العلوم .

ثم جاء محمد علي الكبير فأدرك بفطر ذكائه ومضاء عزيمته ان لاسبيل الى اتقاء نسلط الدول الغربية ، والى تأسيس ملك راسخ في مصر الا برفع غشاوة الجهل عن عيون الشعب ، وان ذلك العمل متوقف على تلقينه العلوم الحديثة بالوسائل التي اتخذها الأوربيون أنفسهم . وهكذا فتح محمد علي عدداً كبيراً من المدارس الحديثة . وجلب لها الأساتيد من أوروبا ، وأقام التراجم الى جانبهم . وبعث التلاميذ يدرسون في مدارس الغرب ، وحملهم بعد عودتهم على نقل زبدة العلوم الحديثة الى العربية ، حتى أشبهت أيامه في القرن الماضي أيام المأمون في بغداد .

أما في الشام فالنهضة الحديثة بدأت في أوائل القرن التاسع عشر . وهي تورد الى عوامل كثيرة منها الأرساليات الدينية ، ومنها بعدئذ الجامعة الأميركية فالجامعة الفرنسية في بيروت ، ومدارس الجمعية الخيرية أيام الوالي مدحت باشا في دمشق سنة ١٨٧٨ الخ . وقد كان للجامعة الأميركية خاصة تأثير يذكر في اللغة العربية ، لأن أساتيدها كانوا علماء أتقنوا العربية ، وجعلوا يلقون دروسهم بها في السنين الأولى من حياة الجامعة المذكورة . وقد ترجوا الى العربية وألّفوا بها عدداً من الكتب في علوم مختلفة . أما اليوم فأوسع مصدر للكتب الجامعية ولمصطلحاتها العلمية انما هي الجامعة السورية بدمشق التي تدرس بالعربية .

ومن المفيد ان نذكر كون اللغة التركية في الدولة العثمانية كانت خالية من الأسماء العلمية تقريباً . فلما صحّت عزيمته تلك الدولة في القرن الماضي على تعليم

العلوم الحديثة في مدارسها راح علماءها يفتشون عن المصطلحات العلمية العربية وبدخلونها في لغتهم حتى بلغت تلك المصطلحات العربية ٨٠ في المائة تقريباً من مجموع تلك اللغة في الكتب العلمية التركية .

والنقل في بدء النهضة الحديثة قام بجهود أفراد من العلماء تحلوا بصفات ثلاث لاغنى عنها وهي : اخصاء بالعلم أو الفن ، واتقان للغة الأجنبية التي يتقنون عنها ، ومعرفة لأسرار اللغة العربية ولوسائل تنميتها .

وكثير من المصطلحات الجديدة التي وضعها الأفراد في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر حسنة في الجملة . ولكن كثيراً منها أيضاً يحتاج الى تعديل او الى وضع ما هو أصلح منه . ومنذ عشرين سنة الى اليوم وضع بعض الأفراد معجمات أعجمية عربية في بعض العلوم استفاد منها أساتيد المدارس فوائد لا تنكر (١) .

ومن المؤسف بأنه لم يكن ثمة صلوات بين الأفراد في وضع المصطلحات ، ولا منهج ثابت يتبعونه في وضعها . فهذا يجد للكلمة الفرنسية مصطلحاً قديماً موافقاً ، وذاك يعرب الكلمة المذكورة تعريباً ، والثالث يترجمها بمعناها . ويتم ذلك دون اطلاع الواحد على ما فعله الآخر . ولهذا تعددت الأسماء للمسمى الواحد ، ومست الحاجة الى مجمع لغوي عربي مشترك لا يوضع المصطلحات عامة او اقرارها ، بل لتوحيد ما وضعه العلماء منها في مختلف الأقطار العربية ، بحيث يكون لكل معنى علمي مصطلح واحد .

(١) منها معجم الحيوان بالانكليزية والعربية للدكتور امين باشا المملوف ، ومعجم أسماء النجوم بالانكليزية والعربية للمؤلف نفسه ، ومعجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى ، ومعجم العلوم الطبيعية والطبية للدكتور محمد شرف ، وهو انكليزي عربي ، ومعجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية ، وهو من تأليفي ، يشتمل على نحو تسعة آلاف لفظ ، منها ثلاثة آلاف من وضعي ، وقد عرفت فيه الكلمات تعريفاً علمياً موجزاً .

## المجامع اللغوية العربية :

لقد أدرك مثقفو العرب وأدركت الحكومات العربية أن عمل الافراد في وضع مصطلحات العلوم لا يكفي لسد حاجة اللغة العربية وحاجات الحياة العصرية اليها ، ولذلك حصلت محاولات كثيرة لنقل هذا العمل الصعب الى أيدي الجماعات .

ففي مصر جاول السيد توفيق البكري منذ سنة ١٨٩٢ تأليف مجمع لغوي عربي ، فتم له ما أراد . لكن عمر هذا المجمع كان قصيراً وكان نفعه ضئيلاً .

وفي سنة ١٩١٧ ظهر مجمع لغوي برئاسة شيخ الجامع الأزهر فلم يكتب له البقاء . ولم تعش أيضاً المجمع التي قامت في بيروت وبغداد وعمان بعد الحرب الكبرى بمعونة حكومات لبنان والعراق وشرق الأردن . لكن حكومة العراق أنشأت أخيراً في سنة ١٩٤٧ أحدث مجمع وهو المجمع العلمي العراقي أم أغراضه « العناية بسلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشؤون الحياة الحاضرة » وللمجمع أغراض علمية أخرى وله مجلة فيها بحوث علمية ولغوية مفيدة .

وأقدم مجمع قاوم العقبات واجتازها هو المجمع العلمي العربي بدمشق . فقد تأسس سنة ١٩١٩ ، وكانت الحاجة يومئذ الى المصطلحات العسكرية والحكومية أهم الأسباب التي دعت الى تأليفه . ثم اتسعت أعماله وأصبح بموجب نظامه يعنى باللغة العربية وآدابها ، وبتراث العرب العلمي ، وبتأسيس دور الكتب ، وبتاريخ العرب والمسلمين . وله مجلة تصدر بانتظام منذ سنة ١٩٢٤ فيها بحوث لغوية وأدبية ودراسات للمخطوطات ، ومحاضرات للأعضاء ، وفيها جملة من المصطلحات العلمية في علوم مختلفة .

والمجمع الذي اقتصر نشاطه على اللغة العربية وحدها هو مجمع فؤاد الأول للغة العربية في مصر . فقد صدر في ديسمبر سنة ١٩٣٢ مرسوم بتأسيسه ،

وُعِين أعضاؤه الأول في سنة ١٩٣٤ ، ثم زيد عددهم . وبقضي نظامه بأن يكون من أعضائه العاملين من الأقطار العربية الأخرى ومن المستشرقين . وله أيضاً أعضاء مراسلون كجمعي دمشق وبنغازي .

وقد وضع هذا المجمع قرارات تيسر عمل العلماء الذين يعملون في وضع مصطلحات العلوم وحاجات الحياة العصرية . وهذه القرارات مهمة جداً لا يمكنها في هذا البحث . وحسي القول بأنها فتحت كثيراً من أبواب القياس التي كانت مغلقة ، ودلت على أن أعضاء المجمع 'يعدون' من العلماء الأحرار العاملين على تقدم لساننا ، مع المحافظة على سلامته .

وللمجمع المصري لجان تضع المصطلحات العلمية في شتى العلوم وحاجات الحياة العصرية ، ومجلس مؤلف من الأعضاء المصريين ينتظر فيها ، وموتمر يعقد في شتاء كل سنة لإقرارها . وللمجمع مجلة سنوية تشتمل على المصطلحات التي أقرت ، وعلى دراسات لغوية مفيدة . وقد وقفت هذه المجلة عن الصدور في سني الحرب الكبرى الثانية ، ثم عادت إلى الصدور في السنة الماضية . ومجموع ما صدر منها خمسة مجلدات تشتمل على مئات من المصطلحات في العلوم مع مقابلها بالانكليزية والفرنسية أو بالانكليزية وحدها .

وأعمال المجمع وإن تكن بطيئة فهو اليوم أصلح أداة لخدمة اللغة العربية في أقرار المصطلحات العلمية .

### طرائق نقل المصطلحات العالمية إلى العربية :

من القواعد المتبعة والتي أقرها مجمع مصر : (١) ترجيح الكلمات العربية الواردة في المعجمات القديمة على غيرها . (٢) ترجيح الكلمات العربية قديماً على التي عُرِّبت حديثاً . (٣) ترجيح الكلمة الواحدة على الكلمتين أو أكثر للدلالة على المعنى الواحد .

وطرائق نقل المصطلحات العلمية كثيرة مختلفة على حسب العلوم . ولتذكر  
 بإيجاز رأينا في وضع مصطلحات بعض العلوم مبتدئين بأسماء النباتات ومعظمها  
 لم تعرفه العرب ، وليس له أسماء في المعجمات ، ولا في كتب النبات القديمة .  
 ومعلوم ان علماء النبات الذين يسمون في أنحاء الأرض لالتقاط الأعشاب كثيراً  
 ما يجارون في كيفية وضع أسماء لأجناسها العديدة . فالنباتي يبدأ باطلاق اسمه  
 على أحد الأجناس النباتية ، ثم يطلق أسماء العلماء المشهورين على أجناس أخرى .  
 ثم يتبادر الى ذهنه أسماء ملوك او أمراء او حكام او آلهة من آلهة القدماء  
 او مدن او أقطار من الأرض . ومتى نفذت لديه هذه الأسماء يعمد الى أبرز  
 صفة في النبات فيسميه باسم من أصل يوناني او لاطيني بفيد معنى هذه الصفة .  
 وهذا القسم الأخير من الأسماء هو الأكبر عدداً . فالعالم العربي الذي يريد  
 نقل هذه الأسماء الى العربية يجب أن يكون عارفاً بوجود اسم عربي قديم للنبات  
 أم لا . فاذا وجد له اسماً عربياً أو معرباً قديماً رجحه على غيره . وان لم يجد  
 له اسماً عربياً ، نظر في اسم الجنس العلمي فاذا ألفاه بدل على علم غيره اضطرراً  
 (مثل دهلية *Dahlia* الموضوعنة تنوياً باسم النباتي السويدي دهل ، ومكورة  
*Maclura* نسبةً الى المواليدي الأميركي مكور الخ) . أما اذا ألفاه دالاً على  
 صفة بارزة من صفات النبات ، ترجمه الى العربية بمدلول معناه ، فيقول  
 «اذن الدب» للنبات المسمى أركتوتيس *Arctotis* ، ورملية أو زهرة الرمال  
 للنبات المسماة أريناريا *Arenaria* ، وشجرة البهاء للشجرة التي تدعى كالودندرون  
*Calodendron* الخ .

ولا حاجة الى تعريب أسماء الأجناس التي لها معنى . أما الألفاظ  
 الدالة على النوع فلها أيضاً معان يمكن ترجمتها فنقول مثلاً : خبازة مجمدة  
*Malva crispa* ، وخبازة صغيرة الزهر *M. parviflora* ، وخبازة حرجية  
*M. sylvestris* ، ولا نقول خبازة كرسبا وخبازة بريفلورا وخبازة سلفستريس .

وأما ألفاظ النبات الدالة على الصنف فاذا كان لها معنى ترجمت . وإذا كانت منسوبة الى علم عربت . ومن المعلوم ان الأصناف النباتية ، ولا سيما الزراعية منها قد ازدادت كثيراً حتى صار موجودها يعرفونها بالأرقام أحياناً .

وهذه الطريقة التي اتبعتها في وضع أسماء للنباتات يمكن اتباعها في وضع أسماء للحيوانات أيضاً . والمعلوم أن معرفة أصول الأسماء العلمية لاغنى عنها في القيام بمثل هذا العمل .

ولعله يجب أن اذكر ملاحظة ترد الى الخاطرة ، وهي ان الكثير من أعيان اللوالب اسماء عامية مشهورة ، فمن المفيد اقرار المناسب من هذه الاسماء واستعمالها الى جانب الاسماء العلمية .

وفي الاسماء الكيماوية لواحق وكواسع عديدة تضاف الى اول الاسم او الى آخره فيقاب مدلوله مادة جديدة . ويختلف علماء العربية في طريقة نقل الأسماء الكيماوية الى العربية ، فمنهم من يرى ترجمتها ، ومنهم من يرى تعريبها . وأنا من أنصار الرأي الثاني ، لأن اللواحق والكواسع المذكورة من الكثرة بحيث لا يستطيع ايجاد مقابل لها كلها في اللغة العربية . وعلى هذا نستعمل اسماء الأجسام الكيماوية كما وردت في اللغة الأجنبية . ولكنه من الضروري الاتفاق على اللغة الأجنبية كأن تكون الفرنسية او الانكليزية مثلاً .

ومن السهل في ترجمة الألفاظ الطبية اتخاذ قواعد ثابتة تجاه اللواحق والكواسع التي تلحق الأسماء فتدل على نوع من الأمراض ، او على صفة للمريض . فالكاسعة ايت Ite مثلاً تترجم بالتهاب فيقال التهاب المثانة Cystite ، والكاسعة متر Mètre تترجم بمقياس فيقال مقياس الكثافة Densimètre ، واللواحق والكواسع التي هي من هذا القبيل كثيرة مثل Pathie للمرض و Algie للألم و Logie للعلم أو البحث الخ . فيتألف الاسم العربي فيها من كلمتين غالباً . وهناك محاولات شتى لتأليف الاسم العربي من كلمة واحدة بدلاً

من كلمتين ، كقولهم مستكثف بدلاً من مقياس الكثافة وهكذا . والبحث في هذا الموضوع طويل .

هذه أمثلة عن الطرائق التي يجدر بنا اتباعها في نقل الفاظ بعض العلوم الى العربية . ويطول بنا نقس الكلام اذا مارحنا نبحث في مصطلحات العلوم الأخرى .

\* \* \*

### الخلاصة :

تعصب الشعوب العربية للفتها قومياً ودينياً . ونسعى الدول العربية المستقلة لجعل هذه اللغة صالحة لجميع مراحل التدريس في المدارس الحكومية . ومن المؤكد انها اليوم تنسج لجميع العلوم التي تدرّس في التعليم الثانوي ، وفي دور المعلمين الابتدائية ، وفي المدارس الزراعية والصناعية والتجارية المتوسطة . أما العلوم التي تدرّس في الجامعات فبعضها يمكن تدريسه بالعربية دون كبير عناء ، كالعلوم الحقوقية على أنواعها ، وكالرياضيات والفلسفة وعلم النفس والتاريخ والجغرافيا والفلك . وفي تدريس بعض مطولاتها بالعربية صعوبة بلاقيها الأساتيد كعلوم الطب والهندسة والكيمياء وعلم الحياة وعلم الأنساج وغيرها كثير . وقد نتج عن هذه الصعوبة كون الطب والهندسة بدرّسان الآن بالانكليزية في جامعات القاهرة وبغداد . أما الجامعة السورية في دمشق فهي تدرّس العلوم بالعربية في جميع كلياتها : ( طب ، صيدلة ، طب أسنان ، هندسة ، علوم ، آداب ، حقوق ، دار المعلمين العليا ) . وقد خدم أساتيدنا العربية بايجاد مصطلحات علمية عديدة ، وبتأليف مؤلفات عربية مفيدة في الدروس التي بلقونها على التلاميذ .

ويجب أن لا ننسى ان ثمة مصطلحات علمية عديدة لم يجد أساتيد تلك الجامعة لها مقابلاً عربياً فتركوها على حالها ، أي على ما هي عليه بالفرنسية .

كما أن الكتب التي ألفوها محدودة لا تسمح لخريج الجامعة بأن يوسع معلوماته في بعض العلوم .

وبناء على هذه الملاحظات وغيرها يمكننا القول بأن للمفكرين العرب ثلاثة آراء في لغة التعليم العالي : الأول جعل التعليم العالي كله بلغة أجنبية . وأصحاب هذا الرأي قلة ليس لها كبير تأثير ، والعمل به مضر باللغة العربية ضرراً كبيراً . والثاني تدريس بعض العلوم بالعربية ، وبعضها بلغة أجنبية ، على ما هي الحال عليه في جامعات مصر والعراق . وأصحاب هذا الرأي كثيرون في ذبك القطرين . والرأي العام متهيء الى تعميم التعليم بالعربية عندما تتقدم أعمال وضع المصطلحات العلمية في الجامع اللغوية ، ولا سيما في مجمع مصر .

والثالث جعل العربية لغة التدريس في جميع العلوم العالية . وهذا الرأي السائد في سورية يحتاج على ما أرى الى صراعاة الأمور الآتية :

(١) اتقان تدريس لغة أجنبية كبيرة ( كالفرنسية أو الانكليزية ) في المدارس الثانوية .

(٢) تدريس تلك اللغة في كليات الجامعة أيضاً .

(٣) جلب أساتذة أجنب يلقون دروساً ومحاضرات عملية ( لا نظرية ) باللغة

الأجنبية ، على ما كانت عليه الحال في كلية الطب بدمشق أيام الانتداب الفرنسي .

(٤) ذكر الأسماء العلمية أثناء التدريس بالعربية ، لأن هذه الأسماء مشتركة

بين اللغات الحية .

وهذه الوسائل الأربع يستطيع التلميذ الذي يدرس الدروس بالعربية في

كليات الجامعة ان يوسع بعدئذ معلوماته ويختص في معاهد الاختصاص بالديار الغربية .

وبعد فحقن العرب لانستطيع التحلي عن لغتنا ولا عن تراثنا العلمي والأدبي

الكبير . ونحن جاهدون اليوم لجعل لغتنا صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة ، لتتمكن

من التوفيق بين ثقافتنا العربية والثقافة الغربية . واعتقد أننا سنبلغ هذه الغاية .

## قصة جزيرة قوصرة العربية

- ١ -

### موقع قوصرة :

في الضفة الغربية من البحر المتوسط جزائر متعددة ، منها الكبيرة التي تجاوز مساحتها رقعة البلاد الافريقية ، ومنها الصغيرة التي لا يبلغ شأنها أحد الأعمال التونسية ، وما من هذه الجزائر بين كبيرة وصغيرة - الا وقد عرفه العرب وفتحوه بأساطيلهم مدة انتشار سلطانهم ، وملكوه زماناً طويلاً ، ونقلوا اليه وسائل حضاراتهم وأسباب تمدنهم ، زيادة على نصيبهم طوائف من العرب وأجناساً من البربر في أراضيهم .

ومن هذه الجزائر (سردانية) و (كوسكة) والجزائر الشرقية للأندلس (ميورقة ومنورقة وبابسة) التي وقع فتحها كلها على يد مسلمي المغرب ، سواء من اسبانيا أو من إفريقيا التونسية .

ومنها (صقلية) جزيرة البحر المتوسط العظمى - واتساعها ثلاثة أضعاف الديار الافريقية - وقد قبض الله الأغلبة أمراء القيروان فامتلكوها ، بعد غزوات وحروب عنيفة شغلت أبناء افريقية طوال القرن الثالث للهجرة ، ثم ألحقوها بملكهم المتسع العتيد ، فكانت من أعماله .

ومن صغار الجزر (مالطة) وتوابعا ، تلك التي رسخت قدم العربية فيها وتغلغلت في عروقها الروح الشرقية ، فلم تكن لتتركها الى اليوم .

وهناك جزيرة صغيرة أخرى تجاور الأرض التونسية ، وتسامتها من الشمال الشرقي ، وتنتظر دوماً اليها ؛ وقد حافظت على كثير من الآثار التي ورثها الحفدة

عن الأجداد ، ونعني بها هذه الجزيرة الصغيرة المشهورة اليوم باسم بنظلارية<sup>(١)</sup> .  
 هذه الجزيرة في منتصف الطريق بين صقلية وافريقية ، وتبلغ جملة مساحتها  
 نحو خمسة وثمانين ميلاً مربعاً ، ولا يتجاوز عدد سكانها العشرة آلاف نسمة .  
 وبعبارة أخرى هي بمثابة إحدى المدائن المتوسطة من البلاد التونسية — مثل المهديّة  
 أو نابل — ولها مرمى مأمون اتخذته الحكومة الإيطالية في هذا الوقت القريب  
 مركزاً أساسياً للطيران الحربي .

### تعريف القدماء :

وقبل الاطاحة بما بقي في قوصرة من الآثار والتقاليد يجدر أن نشير الى  
 ما عرفها به الجغرافيون العرب ، وما قال عنها أصحاب تقويم البلدان .  
 فهذا الشريف الإدريسي — صاحب الملك رجار — يكتب عنها في القرن  
 السادس من الهجرة<sup>(٢)</sup> : « وجزيرة قوصرة توازي حصن أفريقية من أرض

(١) قوصرة ( Cossyra ) اسم يوناني ، ومعناه السلة أو السفط أو الزنيل ،  
 وكان هذا الاسم أطلق عليها للشابهة الموجودة بين صورة الجزيرة وتلك الأداة . ومن  
 غريب الاتفاق أن كلمة قوصرة في اللغة العربية لها هذا المعنى بعينه ، قال الليث :  
 القوصرة — بالفتح ثم السكون والصاد للمهمله — وعاء التمر ، وهي القفة والزنيل  
 وما جاء على شكلها ، وأثبتها ابن القطاع الصقلي فقال بالالف : قوصرا . ( راجع  
 معجم البلدان : بأقوت ١٨٣/٧ ) .  
 وأنشدوا العلي بن أبي طالب :

أفلح من كانت له قوصرة يأكل منها كل يوم مرة  
 فالقوصرة هنا إناء يجعل فيه التمر . ( راجع الاقتضاب لابن السيد وتحفة العروس  
 للشجاني ، ص ١٥٤ ) .

ومما يزيد الأمر غرابة أن بنظلارية ( Pantellaria ) وهو الاسم الذي أطلقته  
 الاسبان عليها فيما بعد معناه أيضاً الخصفة والقرطلة ، فالعني واحد في مختلف اللغات .  
 وهناك توجيه آخر ربما كان أقرب للواقع ، وهو اشتقاق هذا الاسم من اللغة  
 الفينيقية التي كانت شائعة قديماً في شمال افريقية وجزائر البحر المتوسط ، وهو ( قيصرة )  
 تصغير قصرة ، والمعنى واحد في الفينيقية وأختها العربية .  
 (٢) كتاب نزهة المشتاق للإدريسي .

افريقية ، وتوازي بين مدينة الشاقفة ( Sciacca ) ومازرة ( Mazzara ) من صقلية ، وبنها مجرى ، وهي جزيرة خصبة فيها آبار وسواحل وأشجار زيتون ، وفيها معز كثير يزية متوحشة ، ولها من جهة الجنوب مرسى مأمون من الرياح .  
ويقول ياقوت الحموي <sup>(١)</sup> : « هي جزيرة في بحر الروم بين المهديّة وصقلية ، فتحها المسلمون في أيام معاوية ، وبقيت بأيديهم ثم خرجت ، وقيل ان في أيامنا هذه — يعني القرن السابع — فيها قوم من الخوارج الوهبة » .

ويصفها ابن سعيد الغرناطي — المتوفى بتونس سنة ٦٨٦ هـ ( ١٢٨٧ م ) — بقوله <sup>(٢)</sup> : « جزيرة قوصرة التي يجلب منها شريحة التين والقطران ، وهو يلتقط من شجر الصرو ، وبها المصطكي وهي للمسلمين تحت عهد فرنج صقلية ، وهي شرقي ( الحمامات ) على ساحل مدينة سوسة ، ومنها فتح المسلمون جزيرة صقلية » .  
وأورد ذكرها الملك المؤيد أبو الفداء — المتوفى سنة ٧٣٣ هـ ( ١٣٣٢ م ) — في تقويم البلدان ، فقال : « وجزيرة قوصرة قبالة افريقية بالقرب من تونس ، وبينها وبين صقلية مجرى ، ويوجد بها شجر المصطكي . ويجلب منها ( الى افريقية التونسية ) التين والقطن الكثير » .

وسنتكلم عن قطنها فيما يلي .

وفي « المسالك » لابن فضل الله العمري <sup>(٣)</sup> — من القرن الثامن للهجرة — : « وجزيرة قوصرة المقاربة لتونس ، وبها جماعة من المسلمين تحت الذمة على مقرر لهم ، ومثل هؤلاء المسلمين — اذا كانوا تحت أيدي الفرنج — يعرفون في بلاد المغرب باسم ( المدجنين ) » . وسنعود الى تفسير هذا اللفظ .  
هذه خلاصة مقاله جغرافيو العرب عن قوصرة .

(١) ياقوت : معجم البلدان ( طبعة مصر ) ج ٧ ، ص ١٨٣ .

(٢) كتاب « بسط الارض في طولها والعرض » لنور الدين علي بن سعيد ،

تقلا عن مجموعة أماري ص ١٣٤ .

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار — لابن فضل الله — خط بمكتبة

جامع الزيتونة .

٢ (٥)

## الفتح العربي :

وإذا ما أردنا البحث عن تاريخ استيلاء المسلمين عليها بتلخص لنا :  
 أن انتصاب غزاة العرب بأفريقية ، وامتلاكهم قرطاجنة - أم البلاد وعاصمتها  
 الكبرى - من يد الروم البيزنطيين ، في الربع الأخير من القرن الأول للهجرة  
 ( آخر السابع للميلاد ) ، دعاهم بحكم الضرورة القاهرة الى توجيه أنظارهم الى  
 غزو الجزائر المتوسطة في البحر بين العُدوتين الافريقية والأوربية .

وقد حملهم على ذلك أمران : الأول - وجوب التوقي من هجمات الروم  
 البيزنطيين ، ودفع غائلتهم عن التراب الذي امتلكه الاسلام ، ثم اتخاذ الوسائل  
 لبسط نفوذهم على ما وراء البحر المتوسط من البلاد . الأمر الثاني - التفكير  
 في تمد سلطانتهم على المراكز الحائلة بين سلطنتهم والبر الكبير ، وقد كانت  
 هنالك نقط مقاومة لعدوهم ، لذلك ترى أن اول ما شرع فيه الولاة الأمويون  
 - بعد الاستيلاء على افريقية - هو انشاء دار صناعة بحرية - وهي الأولى  
 من نوعها - في الاسلام . ولم يكن اختيارهم مكان قرطاجنة لهذا الانشاء  
 من باب المصادفة ، وإنما كان عن تدبير حكيم وخبرة سياسية بما ينجز للعرب  
 الغرض الذي قصدوه والغاية التي طمحت اليها نفوسهم .

أسس حسان بن النعمان الفسافي - حدود سنة ٨٠ هـ ( ٦٩٩ م ) دار صناعة  
 لانشاء السفن ، وجلب اليها العدة المناسبة ، وأقر حولها ألف قبطي بعيالهم ،  
 نقلهم من مصر ، كل ذلك بموافقة الخلافة الأموية وتدبير ساستها الأفاضل .  
 ومن ذلك الحين شرعت الأساطيل الافريقية في خوض عباب البحر المتوسط ،  
 والتعرف بساحاته ، والتحكك بساكني سواحلها من الافرنج ، بغزوات متوالية  
 وغارات متتابعة أدت في النهاية الى نصب سلطان الاسلام على كثير من المراكز .

## العرب والبحر :

ويناسب في هذا المقام أن نورد هنا فكرة العلامة ابن خلدون في أسباب تفوق العرب في البحر ، وما كان لذلك من الشأن ، قال <sup>(١)</sup> :

« وكان المسلمون لعهد الدولة العربية قد غلبوا على هذا البحر (يعني : البحر المتوسط) من جميع جوانبه ، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه ، مثل ميورقة ومنورقة ويايسة ومردانية وصقلية ، وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص ، وسائر ممالك الروم ، والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على الأكثر من لجة هذا البحر ، وسارت أساطيلهم فيه جائية وذاهبة ، والعساكر الاسلامية تجبز البحر في أساطيلهم من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدو الشمالية ، فتوقع بملوك الافرنج وتنخن في ممالكهم . . . . وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لا بعدها ، وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد بفريسته » .

وأول من غزا قوصرة — وما جاورها من الجزائر — هو القائد المغوار عبد الملك ابن قطن الفهري ، في ولاية مومى بن نصير لافريقية — سنة ٨٨ هـ (٧٠٧ م) ؛ وكان خروج الأسطول اليها من دار صناعة تونس . ثم غزاها حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، في مدة ابن الحبحاب — في حدود سنة ١١٨ هـ (٧٣٦ م) .

وفي اعتقادنا أن استيلاء المسلمين النهائي على هذه الجزيرة كان في حوالي سنة ١٣٠ هـ (٧٤٨ م) ، على يد الأمير عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، حفيد

(١) للقدمة لابن خلدون .

عقبة بن نافع ، رضي الله عنهم أجمعين . وقد كان عبد الرحمن هذا استقل بأمر افريقية والمغرب ، في آخر الدولة الأموية بالشرق ، وتزوج هو واخوته بأميرات من بني أمية لجأن الى القبروان عند سقوط آل بيتين ، فيكون فتح قوصرة قد وقع ثلاثة أرباع القرن قبل حملة الأغلبة على صقلية .

ثم كان امتلاك بني الأغلب لجزيرة صقلية - سنة ٢١٢ (٨٢٧ م) ، بقيادة أسد بن الفرات ، وقد اتخذوا قوصرة مدة حملتهم محطاً وسطاً لأساطيلهم في الغدو والرواح ، ونصبوا بها مركزاً معتبراً لحمام الرسائل في المخابرة السريعة .

### العمران العربي :

وقد أفادت قوصرة الجيش الفاتح بموقعها الوسط افادة عظيمة ، إذ أنها ساعدت الافريقيين على الاحتياء بقلعتها والحصن برفئها المتيع . ونظراً لحصانة هذا الموقع الحربي عُني بنو الأغلب بقوصرة عناية خاصة ، وفكروا في تعميرها لقلعة ساكنيها وقتئذ ، اذ كانت غير آهلة ، فجعلوا ينقلون اليها من نصارى صقلية الداخلين تحت ذمتهم الثالثة بعد الثالثة ، بواسطة سفانهم الشراعية ، ونصبوهم بها ، ووزعوا عليهم من سهول أراضيها الخصب ما يكفي حاجتهم الزراعية .

وانتقل الى سكنها بعد ذلك بشر من فلاحي الساحل التونسي ، من عرب وأفارقة ، ونزلوا بها مجاورين للنصارى الايطاليين النازلين فيها . فلم يمض زمان بعيد حتى أصبحت قوصرة تضم بين جوانبها عدداً كبيراً من نصارى الذمة والأفارقة المسلمين ، وقد فعل الدهر فيهم فأدجمهم في البوتقة الاسلامية ، فأصبحوا بعد حين كتلة واحدة متحلية بالأخلاق العربية ، لا تعرف غير الضالقة . وبذلك يتضح بعد مرعى الأمراء من بني الأغلب ، ومهارتهم في أساليب السياسة ، وخبرتهم التامة بنواميس العمران وقواعد الاجتماع .

حقاً انه لمنهج جديد فتحه الأغلبة في نظرية الاستعمار المفيد ، ولا إخال دولة سبقتهم الى سياسة اشراك العناصر المختلفة في تعمير الأرض وحياتها ، من غير

الثغرات الى جنس أو تحيز الى معتقد ، لاسيما وأنا نعلم علم اليقين أن الأغلبية هم الذين أدخلوا الى صقلية ومالطة - وخصوصاً الى قوصرة - أسباباً من الفلاحة الملائمة لتربتها الجبلية . فمن ذلك زراعة القطن التي انتشرت في عهدهم ، ولم تكن معروفة من قبل ، وظلت في نمو الى اليوم ؛ وقد أشار الى ذلك ابو الفداء فيما تقدم ، وكان القطن وقتئذ من أهم غلات البلاد الافريقية ، أدخله اليها العرب بعد الفتح ، وابتث زرعه في ناحية الواحات - قابس وبلاد الجريد - ، فوفقت الادارة الأغلبية الى نقل زراعته الى ممتلكاتهم كما مر .

وما زالت قوصرة تنتفع بزراعة القطن الى اليوم ، محافظة على الأسماء العربية العتيقة في صنعه وآلات نسجه ، كقولهم مثلاً : مخلوج ( Malugiu ) ويقصدون به القطن المندوف قبل غزله ، وقولهم : رذانة ( Ruddana ) وهي آلة صغيرة من خشب تدار باليد وينزل بواسطتها القطن ، وهي آلة معروفة ؛ غير أنهم يضحون الرء من الكلمة وهي مفتوحة في العربية .

ولا مرء في أن قوصرة أضحت من لدن العصر الأغلبي مستعمرة ذات صبغة عربية زاهرة ، اتخذت فيها السلطة القبروانية مركزاً حربياً ، وفيه محطة للحمام الرسائل الذي تستعمله الدولة في المخبرات السريعة بتحميله البريد المستعجل تحت أجنحته ، يفتدو ويروح بين البر الافريقي والأساطيل ؛ واستمرت الحال على ذلك سائر مدة الدولة العبيدية الوارثة للأغلبة . وقد نشطت هجرة الافارقة الى قوصرة ، فقصدوها زرافاتٍ ووحداناً ، لاسيما أبناء الخوارج من البربر الذين اضطهدهم الدعوة الفاطمية الشعبية فاضطروا للالتجاء الى الجهات القاصية .

### تقلص السلطة السياسية :

ثم ظهرت قوة النورمان في البحر المتوسط - منتصف القرن الخامس (الحادي عشر م) ، وقد زحزحت بالتدرج السلطة العربية من صقلية وبقية الجزائر ،

عند اخفاق دولة بني زيري الصنهاجيين في افريقية وما والاها ، بسبب زحفه  
بني هلال وبني سليم على البلاد ، وقضائهم على التمدن الافريقي . وبعثاً حاول المعز  
ابن باديس استرجاع صقلية وتوابعها ، وقد جهز أسطولاً ضخماً شحنه بالعدة والعدد  
نجدة لمن بصقلية من المسلمين — سنة ٤٤٤ هـ ( ١٠٥٣ م ) . وكان الوقت شتاء ،  
فلما كان الأسطول بجذاء قوصرة هاجت عواصف البحر ، ففرق أكثره ، ولم ينج  
منه الى الساحل الافريقي الا القليل .

وانضوت سائر الجزائر التي كانت للمسلمين في تلك النواحي الى مملكة ( رجار )  
كبير النورمان — سنة ٤٨٤ هـ ( ١٠٩١ م ) ، وقد أسس بصقلية ملكاً قوطياً ،  
تولاه هو وبنوه من بعده ، والملك لله وحده .

وكان من سياسة النورمان أن أمنوا المسلمين في النفس والمال ، وأقروهم  
بمنازلهم ، واحترموا معتقدهم فلم يسوهم بسوء ، بل استمالوهم بالعدل ، وقربوا علماءهم  
فدونوا لهم المصنفات الجليلة ، وامتنشدها شعراءهم ، فمدحوهم بيبديع الأشعار ،  
وبالجملة اتخذ النورمان من المسلمين البطانة والحرس والعشير ، تشهد بذلك رحلة  
ابن جبير الوزير الأندلسي .

وبتلك السياسة طمحت نفس ملك صقلية النورماني الى الاستيلاء على الساحل  
التونسي ، فجهز الجملط رجار ( Comte Roger ) جيشاً عرمرماً شحنه في أساطيله ،  
وقصد به المهديبة — عاصمة افريقية — على عهد آخر ملوك صنهاجة — ٥١٧ هـ  
( ١١٢٣ م ) ونزل الصقليون في مكان الديماس — حدود قرية البقالطة الآن — ،  
والتقى بالجند الصنهاجي وما انضم اليه من المتطوعة ، وبعد مقاتلة عنيفة كانت  
الدائرة على جيوش النصارى ، وتفلفت صفوفه .

وفي هذا الانهزام يقول شاعر صقلية الفحل عبد الجبار بن حمديس من قصيدة  
عصماء ، يمدح بها آخر ملوك صنهاجة الحسن بن علي ، ومطلع القصيدة <sup>(١)</sup> :

(١) واجع ديوان ابن حمديس ، طعة روسية سنة ١٨٩٧ ، ص ٢٢٣ .

أبى الله إلا أن يكون لك النصر وأن يهدم الايمان ما شاده الكفر ومنها :

فما للعلوج امتدّ في الغي جهلهم أما كان فيهم من ليب له حجر فكم قسموا في الظن أميال أرضنا ولم يطنوا منها مكاناً هو الشبر ومنها :

أما فتحت منهم بلاداً بلادنا فنزعهم كفرة على إثره كفر وكانت مفاتيح البلاد سيوفنا وأقفاها اذ فتحنا له عسر ألم يسب جيش الغزو منهم نواعماً فمن ثيب تقتاد في إثرها بكر ومنها ، وقد ذكر انه كان يوجد بجزيرة قوصرة صرح مؤلف من رؤوس قتلى الحرب :

وقوصرة فيها رؤوس جدودهم الى اليوم ملآن بأفلاقها العفر فلو تسأل الريح المعاطيس منهم لأخبرها عن كل شلو بها ذفر ومنها ، وقد أشار الى استيلاء النورمان على صقلية وقوصرة :

وما قتلوا من شدة البأس أهلها ولكنهم قلّ أحاط بهم كثر أتعجم نبع العرب عجم ولا يرى لما اشتد منها في نواجذها كسر توات عليها منهم كل صيحة كما روع الأعيار من أسد زار وهي قصيدة طويلة كلها عيوب .

وبعد وقعة الديماس جدد القحط رجار كبير النورمان حملته على المهديّة فاهتلكها هي والساحل التونسي - سنة ٥٥٤٢ هـ ( ١١٤٨ م ) ، وتشرد الحسن بن علي آخر الصنهاجيين الى المغرب ، في خبر طويل مبسوط في التاريخ التونسي ، وكان ذلك آخر عهد للسلطان الاسلامي بجزائر البحر .

أما صقلية ومالطة وقوصرة وما سواها فقد دامت بيد النورمان الى أن خلفهم عليها رؤساء الافرنج من الجرمان ، وما كادوا يبسطون نفوذهم على تلك الأصقاع

حتى تغيروا على بقايا المسلمين المدجنين المقيمين تحت ذمتهم ، فساموهم سوء العذاب ، وأنزلوهم منزلة الدل والهوان ، وألقوا بهم ألواناً من القساوة والاضطهاد .

أنجبت سياسة الارهاق التي سلكها الجرمان من أمرة هوهنشتوفن (Hohenstaufen) ، وبعدهم الافرنج من سلالة آنجو (Anjou) أن هاجر جماهير من مسلمي صقلية والجزائر الأخرى الى افريقية التونسية ، لاجئين اليها بمشاشة أنفسهم ودينهم ، فرحب بمقدمهم ولاية الموحدين والأمراء الحفصيون وفسحوا لهم المجال . فانخرط بعضهم في الجيش الافريقي لما كانوا يحسنون من فنون الحرب ، واتجه قسم كبير منهم الى فلاح الأرض وحياء الموات ، واشتغل أهل المعرفة منهم بتدريس العلوم . ومن بين هذا الصنف الأخير (آل الصقلي) الأشراف الادريسيون ، فانهم استقلوا بصناعة الطب في الحاضرة التونسية ، وتداولوا عليها خلفاً عن سلف ، ونالوا من الشهرة الكبيرة ما هو معلوم . ولا يبعد ان يكون أفراد هذا البيت الصقلي من ذرية الشريف الصقلي ، صاحب الملك رجار ومدون الكتب النادرة له .

وبطبيعة الأمر فان هؤلاء المهاجرين ، انما كانوا من طبقة السراة والمياسير ، أما لقب القوم والرعاع — وهم القسم الأوفر — ، فقد اضطروا للبقاء في أوطانهم عرضة للظلم والعذاب .

### قوصرة وبنو حفص :

ولطالما تدخل أمراء الدولة الحفصية لأول أمرهم في شؤون تلك الجزائر ، وهددوا الطغاة من ملوك الافرنج بالانتقام ان لم يرتدعوا عن سيرهم الغاشم ، ويرعوا حقوق من بطرفهم من ضعفاء المدجنين ، وآخر الأمر استقرت الحال على عقد معاهدة صلح ومهادنة بين المولى أبي زكرياء الأكبر أول مالك من بني حفص وفريدريك الثاني (Frederick II) ، امبراطور الدولة الرومانية

المقدسة وملك صقلية، بتاريخ ١٥ جمادى الآخرة من سنة ١٦٢٨ هـ (٢٠ ابريل ١٦٣١ م) لمدة عشر سنين . وبمقتضى هذه المعاهدة وقع الاعتراف من لدن الدولة الحفصية باستيلاء فريدريك على جزيرة قوصرة (بنطلارية) ، لكن بشرط رجوع نصف محصول ضرائبها الى الحكومة التونسية تنقاضي ذلك في كل عام . وقد نص هذا الصلح على وجوب احترام المسلمين المقيمين بمملكة فريدريك في عقائدهم الدينية ، واستقلالهم بأحكامهم الشرعية والعرفية <sup>(١)</sup> .

دام العمل بنص المعاهدة المتقدمة مادام الأمير أبو زكرياء الأول في قيد الحياة ، وكانت له أباد بيض في موالاة من بقي من مستضعفي المسلمين بجزائر البحر ، وعناية مشكورة بشؤونهم ورقة لحالم ، وامدادهم بما يحتاجون اليه من مرشدين ووعاظ . فلما قضى أبو زكرياء نحبته تنكب الافرنج عن المدجنين ، وصوبوا نحوهم أنواعاً من المكر والخداع . قال ابن خلدون <sup>(٢)</sup> :

«ولما بلغ الخبر بمهلك الأمير أبي زكرياء - ٢٣ جمادى الآخرة ٦٤٧ هـ (٤ اكتوبر ١٢٤٩ م) - الى صقلية ، وكان المسلمون بها في مدينة (بلم) قد عقد لهم السلطان مع صاحب الجزيرة على الاشرار في البلاد والضاحية ، ففساكنوا ، حتى اذا بلغهم مهلك السلطان بادر النصارى العيث فيهم . فلجأوا الى الحصون والأوعار ، ونصبوا عليهم نائراً من بني عبس . وحاصرهم طاغية صقلية بمقلهم في الجبل ، وأحاط بهم حتى استنزلهم ، وأجازهم البحر الى عدوته ، وأنزلهم لوجارة (Lucera) من عمائرها ، ثم تعدى الى جزيرة مالطة وقوصرة ، فأخرج المسلمين الذين كانوا بها ، وألحقهم باخوتهم ، واستولى الطاغية على صقلية وجزائرها ، ومحا منها كلمة الاسلام بكلمة كفره ، والله غالب على أمره .»

(يتبع)  حسن حسني عبد الوهاب

(١) راجع نص المعاهدة في كتاب Traité de paix et de Commerce

تأليف Mas Latrie ص ٨٢ ، ١٢٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ، طبعة الجزائر ، ج ١ ، ص ٤٠٩ .

## سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

- ١ -

تاريخ سفره - الطريق التي سار فيها:

من الموضوعات التي لم يتفق فيها مؤرخو الفتوح الطريق التي سار فيها خالد في سفره من العراق الى الشام ، وكذلك وقت سفره .  
وفي رواية للمدائني<sup>(١)</sup> ان خالداً شخص في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ، وأيد البلاذري هذه الرواية ولعله أخذها من المدائني على عادته . وما عدا هذه الرواية فلم يذكر الاخباريون القدماء ولا المؤرخون من بعدهم التاريخ الذي ترك فيه خالد العراق وذهب الى الشام ملياً أمر الخليفة ابي بكر .  
وكذلك اختلف المؤرخون في ذكر الحوادث التي سبقت سفر خالد وما وقع له في سفره . وقد خلطوا بعض فتوحات خالد في العراق قبل سفره بوقائع زعموا أنها وقعت في طريقه الى الشام ، كما ان بعضهم قدم تاريخ فتوحات خالد في الشام وزعم أنها جرت قبل فتح بصرى . وعلى الرغم من كثرة الأخبار واسهاب الاخباريين في شرح الحوادث فان الباحث لا يظفر في بحثه بما يشفي غليله .  
ومن الروايات ما جعلت خالداً في سفرته تلك يضرب ذات اليمين وذات الشمال ، فيسير غرباً ثم يغير اتجاهه فيسير شرقاً ، ثم يعود فيعرج الى الجنوبي الغربي . وفي بعض الروايات ان خالداً قطع البادية بطريق يبلغ ستائة كيلو متر وأكثر ، ليس فيه مياه الا في محلات محدودة .

(١) الطبري ، الجزء (٢) ص (٦٠١) .

أما المغازة التي قيل ان خالداً فوَّزَ منها فلم يثبت الرواة مبدأها ومنتهىها ،  
واكتفوا بالقول انها بين (قراقرز وسوى) ؛ ولم يذكرها بالضبط أين يقع  
هذان المحلان . وكانت كتب البلدان ومعاجمها خالية من الايضاح واكتفت  
بالقول ان قراقرز ماء للقبيلة الفلانية وسوى ماء لقبيلة أخرى .

وقد حاول الباحثون من علماء المشرقيات ان ييطوا اللثام عن هذا التعموض  
ولكنهم لم يتوصلوا الى ما يطمئن اليه البال ، واكتفى بعضهم بنقل الروايات  
كما جاءت وترجيح بعضها على البعض الآخر ، فظل موقعا قراقرز وسوى مجهولين  
لديهم الى ان ثبت الرحالة الشكوسلوفسكي (لويس موسيل) محلها على الخريطة  
التي رسمها في رحلاته العديدة قبل الحرب العامة الأولى وفي أثنائها في شمالي  
جزيرة العرب . والغريب ان (كابيتاني) المستشرق الايطالي صاحب الباع في  
تاريخ الاسلام جعل موقع سوى على الفرات وزعم ان المغازة التي أشار اليها  
المؤرخون الأقدمون واقعة بين الفرات ومدينة الرصافة في الجزيرة وذكر في بحثه  
المطول ان خالداً سلك طريق الفرات من الحيرة الى الرصافة ومنها توجه الى  
الشام بطريق تدمر .

وكذلك (دي خويه) المستعرب الهولندي وهو أحسن من كتب في فتح  
الشام ذكر في مذكرته عن فتوح الشام ان خالداً سلك طريق تدمر في سفرته  
الى الشام . وسيتضح لنا من ذكر الروايات المختلفة الباحثة في سفر خالد ومقارنتها  
وتنقيح ما ورد فيها من خلط للوقائع ، انه لا يعقل ان يختار خالد تلك الطريق  
الطويلة ويعرض نفسه للمسالخ التي أقامها الروم للدفاع عن أملاكهم من غزوات  
العرب وكان أهلها من العرب المنتصرة يحمونها . ولا سيما ان بعض الروايات أكدت  
ان ابا بكر أرسل خالداً نجدةً لجند المسلمين في الشام وحشه على السير بسرعة .  
ونذكر الآن الروايات الواردة في هذا الصدد وسنقدم الأقدم فالأقدم منها :

١ - رواية موسى بن عقبة (١) :

« كتب أبو بكر الى خالد بن الوليد وكان قد فرغ من أمر اليمامة بأمره بالمسير الى الشام . فمضى على وجهه وسلك على عين التمر ، فربدومة الجنادل ، فأغار عليها وسبي ابنة الجودري ثم مضى حتى قدم الشام » .

٢ - رواية ابن اسحق وقد ذكرها الطبري في حوادث سنة ثلاث عشرة هجرية (٢) :

« كتب ابو بكر الى خالد وهو بالحيرة بأمره أن يمد أهل الشام بمن معه من أهل القوة ويخرج فيهم ٠٠٠٠٠٠ ونزل في طريقه على عين التمر وفتحها ٠٠٠ » وقال : « ثم أراد خالد السير مفوزاً من قراقر وهو ماء ليلجأ اليه وهو ماء ليهراء ، بينهما خمس ليال ، فلم يهتد خالد الطريق فالتمس دليلاً ، فدُل على رافع ابن عميرة الطائي ، فقال له خالد : انطلق بالناس ، فقال له رافع : انك لن تطيق ذلك بالخيال والأثقال والله ان الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها الا مفزراً ، انها لخمس ليال جياذ ، لا يصاب فيها ماء مع مظلمتها ، فقال له خالد : ويحك انه والله ان لي بد من ذلك ، انه قد أتتني من الأمير عزمه بذلك ٠٠٠ » ثم شرح الطبري رواية ابن اسحق ذا كراً كيف أشار رافع لخالد ان يستكثر من الماء وكيف طلب عشرين جزوراً (٣) عظاماً ، سمناً ، مساناً وكيف انه ظمأهن حتى اذا أجهدت عطشاً أوردهن ، ثم قطع مشافهن وكهمن (٤) ، فسار خالد على رأس قوته ، فكلم نزل منزلاً افتظ (٥) أربماً من الجزور والنوق ، فأخذ ما في أكراشها فسقاه الخيل الى ان وصلت القوة الى آخر المفازة في سوى ، فدلها رافع على الماء وذكر ما قاله شاعر المسلمين بهذه المناسبة :

(١) ابن عساكر ، الجزء الاول ص (١٤١) .

(٢) الطبري ، الجزء الثاني ، ص (٦٠٨ : ٦١٠) .

(٣) الجزور : ما يجزر من النوق .

(٤) كم : شد فم البعير لئلا يأكل .

(٥) افتظ : شق بطن البعير وعصر ماء كرشه وشربه في المفاز .

لله عينا رافع أني اهتدت فوز من قراقرم الى سووى  
 خمساً اذا ما سارها الجيش بكى ما سارها قبلك انسى برى  
 ثم ذكر اغارة خالد على أهل سووى وهم من بهراء ، ثم سار خالد على وجهه  
 حتى أغار على بني غسان بمرج راهط ، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى ٠٠٠٠ «  
 ٣ - رواية سيف بن عمر (١) :

« فوافى خالداً كتابُ ابي بكر بالخيرة ، منصرفه من حجة أن مر حتى تأتي  
 جموع المسلمين باليرموك » . وبعد ما ذكر سيف توافي جموع المسلمين باليرموك  
 ونزولهم في ( الواقصة ) قال :

« وأمر أبو بكر خالداً أن يستخلف المثني بن حارثة على العراق في نصف  
 الناس ، فاذا فتح الله على المسلمين فارجع الى عمك بالعراق ٠٠ » ثم قال :  
 « ودعا خالد الأدلة ، فارتحل من الخيرة سائراً الى دومة الجندل ، ثم ظعن في  
 البر الى قراقرم ثم قال : كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم  
 فاني ان استقبلتها حسنتي عن غياث المسلمين ؛ فكلهم قال لا نعرف الا طريقاً ،  
 لا يحمل الجيوش ، بأخذه الفذ الراكب ، فايك ان تغفر بالمسلمين فعزم عليه  
 ولم يجبه الى ذلك الا رافع بن عميرة على تهيب شديد ٠٠ »

ثم ذكر سيف قيام خالد بالمسلمين خطيباً وشجده لمعتهم حتى وافقوه على المسير .  
 وبعد ما ذكر رواية محمد بن اسحق عن انتقاء الابل الشرف واروائها و كعبها ٠٠٠  
 قال : « ثم ركبوا من قراقرم مفوزين الى سووى وهي على جانبها الآخر مما يلي  
 الشام . فلما ساروا يوماً اقتضوا لكل نجدة من الخيل عشرأ من تلك الابل ،  
 فخرجوا ما في كروشها بما كان من الألبان ، ثم نسقوا الخيل وشربوا للشفة جزعاً ،  
 ففعلوا ذلك أربعة أيام ٠٠ » .

(١) الطبري ، الجزء الثاني ص ( ٦٠٢ : ٦٠٣ ) .

وذكر سيف بعد ذلك رواية 'محرز بن جبريشي الحاربي اذ قال خالد اجعل  
 كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ثم أمه تُفَضِّصِ الى سوى .  
 ثم ذكر عشور المسلمين على الماء في سوى واغارة خالد من سوى على مضبيخ  
 بهراء ٠٠٠ وانهم لفارون وان رفقته لتشرب حتى وجه الصبح وساقبهم بغنبيهم ويقول :

الا صبحاني قبل جيش ابي بكر

فصربت عنقه ، فاختلط دمه بجمره ٠٠ حتى قال : « ولما بلغ غسان خروج  
 خالد على سوى وانتساخه وغارته على مضبيخ بهراء وانتساخها فاجتمعوا بمرج راهط .  
 وبلغ ذلك خالداً وقد خلف ثغور الروم وجنودها مما يلي العراق ، فصار بينهم  
 وبين اليرموك صمد لهم ، فخرج من سوى فنزل الرمانتين ، علمين على الطريق ،  
 ثم نزل الكثب . حتى صار الى دمشق ثم مرج الصفر ، فلقى عليه غسان وعليهم  
 الحارث بن الأهم ، فانتسف عسكرهم وعيالاتهم ونزل بالمرج أياماً ؛ ثم خرج  
 من المرج حتى ينزل بقناة بصرى ٠٠٠ » .  
 ٤ -- رواية ابي يوسف بن يعقوب (١) .

نقل ابو يوسف روايته من محمد بن اسحق وغيره من أهل العلم بالفتوح والسيرة  
 وبعضهم يزيد في الحديث على بعض . وبعد ان ذكر قدوم خالد من اليمامة وفتح  
 للعراق قال : « وكان خالد أراد أن يتخذ الحيرة داراً يقيم بها ، فأتاه كتاب  
 أبي بكر بأمره بالمسير الى الشام مدداً لأبي عبيدة ، فتوجه من الحيرة مع  
 الأدلاء منها ومن عين التمر حتى قطع المغاوز ٠٠ » ويشير بعد ذلك الى ان خالداً  
 بعد قطعه المغاوز أغار على بني تغلب حتى أتى ( النقيب والكوائل ) ، ثم مر  
 بعانات حتى أتى الى قرقيسيا . ثم قال : « وسبى خالد في مخرجه من الحيرة الى  
 ان انتهى الى دمشق ألف رأس وقالوا خمسة آلاف ٠٠٠ » .

(١) كتاب الحجاج ص ( ١٦٩ ) وبمدها .

٥ - رواية الهيثم بن عدي كما ذكرها ابن قتيبة<sup>(١)</sup> :

قال ابن قتيبة : « حدثني أبي احسبه عن الهيثم بن عدي قال : لما كتب ابو بكر الى خالد يأمره بالمسير الى الشام والياً مكان ابي عبيدة ، أخذ على السماء حتى انتهى الى قُراقر و بين قُراقر وسُوى خمس ليال في مفازة ، فلم يعرف الطريق ، فدُل على رافع بن عميرة الطائي وكان دليلاً خريبتاً<sup>(٢)</sup> فقال لخالد خلف الأتقال واسلك هذه المفازة ان كنت فاعلاً ، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال لا بد من أن نكون جميعاً » . ثم ذكر الهيثم رواية ابن اسحق وقال في آخر الرواية ان خالداً لما سر بموضع يقال له البشير طلع على قوم يشربون و بين أيديهم جفنة واحدهم يتغنى :

الا عللاني .. . . .

ثم أقبل على أهل البشر فقتل منهم وأصاب .

٦ - رواية الواقدي كما ذكرها البلاذري<sup>(٣)</sup> :

« وقال الواقدي خرج خالد من سُوى الى الكوائل ، ثم أتى قرقيسيا ، فخرج اليه صاحبها في خلقٍ قتركه وأغار الى البر ومضى لوجهه ، وأتى (أرك) فأغار على أهلها وحاصرهم ، ففتحها صلحاً . وأتى (دومة الجندل) ففتحها ، ثم أتى (قُصم) فصالحه بنو مشجعة ، ثم أتى (تدمر) فامتنع أهلها وتحصنوا ثم طلبوا الأمان . . . ثم أتى (القريةين) فقاتله أهلها فظفر وغنم ، ثم أتى (حورانين) من (سنير) فأغار على مواشي أهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد أهل بعلبك وأهل بصرى وهي مدينة حوران فظفر بهم ، فسبي وقتل ثم أتى (مرج راهط) فأغار على غسان في يوم فصحهم . . . ووجه خالد بن بسر بن

(١) عيون الأخبار ، الجزء الأول ص (١٤٢) .

(٢) الحرث : الدليل الماذق الذي يهتدي الى المغاور .

(٣) فتوح البلدان ص (١١٩) .

ابي أرطاة العامري وحبيب بن مسلمة الفهري الى غوطة دمشق ؛ فأغار على قري من قراها وصار خالد الى الثنية التي تعرف بثنية العقاب . . . . » وبعد أن ذكر نزول خالد بالبواب الشرقي من دمشق أو بباب الجابية وتقديم أسقف دمشق له نزلاً وخدمةً قال . . . . « ثم سار خالد حتى انتهى الى المسلمين وهم بقناة بصرى . . . »

٧ - رواية المدائني كما ذكرها الطبري (١) :

« فوجه ابو بكر خالد بن الوليد أميراً على الامراء بالشام ، ضمهم اليه فشنخص اليه خالد من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ويقال في خمسمائة . واستخلف على عمله المثني بن حارثة ، فلقبه عدد بصندوداء ، فظفر بهم . . . . ولقي جمعاً ( بالأنصيتيخ والحصيتيد ) عليهم ربيعة بن بيجير التغلبي فهزمهم وسبي وغنم وسار ففوز من فراقر الى سوي ، فأغار على أهل سوي واكتسح أموالهم . وقتل حرقوص بن النعمان البهرائي . ثم أتى أرك وأتى تدمر فتحصنوا ، ثم صالحوه ، ثم الى القريتين فقاتلهم فظفر بهم وغنم وأتى حوارين فقاتلهم ، فهزمهم وقتل وسبي . وأتى مصم فصاله بنو مشجعة من قضاة . وأتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحهم . . . . »

٨ - ما ذكره البلاذري (٢) :

ولعل الرواية رواية المدائني نفسها ، قال البلاذري :

« وقالوا : لما أتى خالد بن الوليد كتاب أبي بكر وهو بالحيرة خلف المثني ابن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة . وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ويقال في ستائة ويقال في خمسمائة ، وأتى عين التمر ففتحها عنوة . ويقال ان كتاب ابي بكر وافاه وهو بعين التمر وقد فتحها فسار خالد

(١) الطبري . الجزء الثاني ص ( ٦٠١ ) .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ( ١١٨ ) .

من عين التمر فأتى صَنْدُوداه وبها قوم من كندة واباد والمعجم فقاتله أهلها .  
 وبلغ خالداً أن جمعاً لبني تغلب بن وائل بالمُصْبِغ والحُصْبِغ مرتدون عليهم  
 ربيعة بن بيجير فأتاهم ، فقاتلوه ، فهزموهم . . . . . ثم أغار خالد على قُرَاقِر وهو  
 ماء لكلب ، ثم فَوَّزَ الى سُوى وهو ماء لكلب أيضاً وفيه قوم من بهراء .  
 فقتل حرقوص بن النعمان البهرائي من قضاة واكتسح أموالهم . . . . . ثم ذكر  
 كيف عمده خالد الى الرواحل فأرواها قبل ركوبه المغازة وكيف قطع مشافرها  
 لثلاث تجتر ، فنعطش ثم استكثر من الماء . وحمله معه وجعل ينحر تلك الرواحل  
 راحلة راحلة ويشرب وأصحابه الماء من أكراشها . . . . . الى أن قال وكان  
 المسلمون لما انتهوا الى سُوى وجدوا حرقوصاً وجماعة يشربون ويتفنون وحرقوص  
 يقول :  
 ألا عللاني . . . . .

فلما قتله المسلمون جعل دمه يسيل في الجنة التي كان فيها شرابه . . وقال  
 بعض الرواة ان المعنى بهذا البيت رجل من كان أغار عليه من بني تغلب مع  
 ربيعة بن بيجير . . . . .

٩ - ما ذكره اليعقوبي (١) :

قال اليعقوبي « ثم كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ان يسير الى الشام  
 ويخلف المثنى بن حارثة بالعراق ، فنفذ خالد من أهل القوة من كان معه ويخلف  
 المثنى بن حارثة مع بقية الجيش بالعراق . وصار خالد الى الشام فلما صار الى  
 عين التمر لقي رابطة لكسرى عليهم عقبة بن ابي هلال النمري ، فتحصنوا ثم نزلوا  
 على حكمه ، ثم صار حتى لقي جمعاً لبني تغلب عليهم الهذيل بن عمران . . . . .  
 . . . . . وصار الى الأنبار ، فأخذ دليلاً يده على طريق المغازة ، فمر بتدمر  
 فتحصن أهلها ، فأحاط بهم ففتحوا له وصالحهم . ثم مضى الى حوران (حوارين)  
 فقاتلهم قتالاً شديداً .

(١) تاريخ اليعقوبي ص (١١٢) .

٢ (٦)

فقيل ان خالدًا سار في البرية والمفازة ثمانية أيام حتى وافى المسلمين فافتتحوا بصرى واجنادين» . ثم قال : «وروى بعضهم ان خالد بن الوليد صار الى غوطة دمشق ، ثم فر عنها الى ثنية ومعه رابة ييضاء تدعى العقاب ، فيها سميت ثنية العقاب وصار الى حوران فقصد مدينة بصرى» .

١٠ - ما ذكره ابن عساكر في تاريخه من الروايات (١) :

أ - رواية مصعب بن عبد الله : «لما سار خالد يريد دومة الجندل أخذ المغاوز واستأجر رافعاً واشترى خمسين شارقاً (٢) فكبتها وأجرها وسقاها عللاً ونهلاً ، فكلمها نزل منزلاً نحر وجعل أكراشها على النار وشرب القوم منها حتى اذا شارفوا رمد رافع . . . . . الى آخر الرواية» .

ب - رواية اسحق بن فدوة : «ان خالدًا ومن معه هبطوا ثنية الغوطة التي بقرب عذرا وهي مشهورة» .

ج - رواية ابن اسحق : «وكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد فسار الى الشام ، فأغار على غسان بمرج راهط ، ثم سار فنزل على فناة بصرى» . وفي رواية أخرى لابن اسحق : «خرج خالد من العراق حتى نزل عين التمر وأغار على أهلها ثم سار على نحو ما تقدم في رواية ابن اسحق التي أثبتناها قبلاً . . . . . الى ان يشير في آخر الرواية انه لما نفذت الابل التي سقاها خالد وربط أفوافها خاف العطش فقال لرافع وهو أرمد ويحك ما عندك ، قال أدركت الري ، هل ترى علمين كأنهما توأمان . وذكر بعد ذلك كيف وجدوا الماء في سوى ثم قال : «واستقام بجالد الطريق وتواصلت به المياه حتى اذا أغار على مرج العذراء وبه أناس من غسان . . .»

د - رواية اللاتطائي : قال «كتب ابو بكر لخالد أن ينصرف من العراق بثلاثة آلاف الى الشام ، فاشتق الأرض بين معه حتى خرج الى (ضمير)

(١) ابن عساكر الجزء الأول ص (١٢٠) .

(٢) شرفت الناقة أي صارت مسنة .

فوجد المسلمين معسكرين بالجالية وتسامع الأعراب في مملكة الروم ففزعوا له «  
ويقول ابن عساكر هذه رواية اللالطائي والبيهقي . وأضاف ابن عساكر قائلاً<sup>(١)</sup> :  
« وكتب ابو بكر الى خالد أما بعد فدع العراق وخلف أهله فيه الذين قدمت  
عليهم وهم فيه ، ثم امض مخففاً في أهل قوة من أصحابنا الذين قدموا من الجامة  
وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة  
ومن معه من المسلمين . وإن التقيتم فأت أمير الجماعة » .

١١ - ما ذكره ابن الأثير في تاريخه الكامل<sup>(٢)</sup> :

« لما رأى المسلمون مطاردة الروم استمدوا أبا بكر فكتب الى خالد بأمره  
بالمسير اليهم. والحث وان يأخذ نصف الناس ويستخلف على النصف الآخر المثنى  
ابن حارثة . . . . الى ان قال : وقيل ان خالداً سار من العراق في ثمانمائة  
وقيل في خمسمائة وقيل في تسعة آلاف وقيل في خمسة آلاف ، ثم ذكر وقعة  
المُصَيِّغ وقاتله فيه جماعة من تغلب ، ثم أشار الى تفويض خالد من قراقرز الى سوى  
كما رواها الطبري نقلاً عن سيف بن عمر وجعل مسير خالد بعد سوى على إرك  
وتدمر والقريتين وحوارين وقصم وثنية العقاب ، الى ان ذكر اغارة خالد على  
غسان في يوم فصحهم في مرج راهط ووصله الى بصرى وقال في الأخير  
ان خالداً طلع على المسلمين في ربيع الآخر .

١٢ - ما ذكره الذهبي في كتابه تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام<sup>(٣)</sup> :

وبعدما أورد الذهبي ما ذكره الطبري في تاريخه ذهاب خالد من العراق الى  
الحجج متكثراً ومعاينة أبي بكر له حينما علم ذلك ومعاقبته له بصرفه الى الشام  
ويأمره بنجدة المسلمين في اليرموك قال : « وقلت انما جاء الكتاب بأن يسير

(١) ابن عساكر الجزء الأول ص (١٣٨) .

(٢) تاريخ ابن الأثير ، الجزء الثاني ص (١٥٦) وما بعدها .

(٣) الذهبي ، الجزء الأول ص (٣٧٥) .

الى الشام في أوائل سنة ثلاث عشرة . . . . . ثم قال : « فسار خالد الى الشام فأغار على غسان بمرج راهط ، ثم سار فنزل في قناة بصرى وقدم أبو عبيدة وصاحبه ، فصالحوا أهل بصرى فكانت أول مافتح من مدائن الشام وصالح خالد في وجهه ذلك أهل تدمر » .

لم يشير الذهبي الى تفويض خالد من قُرَاقِر الى سُوى انما ذكر ان خالدًا سار الى مكة ومعه جماعة تعسف البلاد ، فتأتى له من ذلك ما لم يأت لدليل فسار طريقًا من طرق الحيرة لم ير قط أعجب منه ولا أصعب . . . بتضح من ذلك ان الذهبي خلط خبر تفويض خالد برحلته الى مكة حاجًا .

١٣ — ما ذكره ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية <sup>(١)</sup> :

« وبعث الصحابة الى الصديق يستمدونه بعد نزولهم في الواقعة ، قريبًا من اليرموك ، فكتب الصديق الى خالد ان يستنيب على العراق وان يقفل بن معه الى الشام ، فاذا وصل اليهم فهو الأمير عليهم ، فاستناب المشي بن حارثة على العراق وسار خالد مسرعًا في تسعة آلاف وخمسمائة ودليله رافع بن عميرة الطائي ، فأخذ به على السماوة حتى الى قُرَاقِر وسلك به أراضي لم يسلكها قبله أحد . . . . . » الى ان قال : « ووصل في خمسة أيام ، فخرج على الروم من ناحية تدمر فصالح أهل تدمر وإرك ، ولما مروا بهذراء أباحها وغنم لفسان أموالاً عظيمة وخرج من شرقي دمشق ثم سار حتى وصل الى قناة بصرى » .

١٤ — ما ذكره ابن خلدون في تاريخه المبتدأ والخبر <sup>(٢)</sup> :

وبعد ان ذكر ابن خلدون خروج خالد من العراق حاجًا متكتمًا وذهابه متعسفًا في البلاد وعودته الى الحيرة بعد الحج وعلم ابي بكر ببيعة خالد ومعاقبته له أن صرفه من غزو العراق الى الشام ذكر في صفحة ٨٤ :

(١) ابن كثير ، الجزء السابع ص (٧)

(٢) ابن خلدون ، الجزء الثاني ، ص (٧٨) وما بعدها .

«ولما استمد المسلمون أبا بكر بعث اليهم خالد بن الوليد من العراق واستخنه في السير اليهم ، فنفذ خالد ذلك ووافى المسلمين مكاتهم عندما وافى ماهان والروم أيضاً» .

١٥ - وأخيراً نذكر ما أورده الواقدي المزعوم في كتابه فتوح الشام وهو كتاب متأخر استند مؤلفه الى بعض روايات الواقدي واقتبس روايات أخرى وأضاف إليها من مخيلته وقائع مثيرة للحماسة ومستفزة للحمية ، فأخرج كتاباً حماسياً بقوي النفوس ويشجذ الزائم . وعلى الرغم من أن كتابه هذا لا يعتبر من الكتب التاريخية الوثيقة ، لكنه يتضمن بعض المعلومات الصحيحة ، لهذا لا بد لمن يدرس أخبار الفتوح من الرجوع الى هذا الكتاب .

قال الواقدي المزعوم <sup>(١)</sup> :

«وتوجه خالد بعد استلامه كتاب ابي بكر ، فلما وصل السماوة قال أيها الناس ، ان هذه الأرض لا تدخلونها الا باللاء الكثير . . . . .» ثم ذكر خبر رافع بن عميرة وارواء الابل وشق بطونها وضرب رافع على راحلته بيننا وشمالاً يبحث عن الماء وعثوره عليه . . . . . وأخيراً قال : «انهم فتحوا السخنة وإركه رأس الامانة لمن يخرج من العراق والروم تمسك بها القوافل وكان عليها بطريق . . . . . ثم ارتحل الى حوران . . . . .» .

أوردنا فيما سبق كل الروايات المتيسرة التي عرضت لسفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام . . . ويظهر منها ان الروايات جميعها ، باستثناء رواية واحدة ، لم تذكر تاريخ السفر . وهناك روايات تؤكد ان ابا بكر كتب الى خالد بعد عودته من الحج الى العراق بأمره بالمسير الى الشام ، وقال الذهبي انما جاء كتاب ابي بكر الى خالد بأن يسير الى الشام في أوائل سنة ثلاث عشرة . . . وتكاد الروايات تجتمع على أن أمر ابي بكر وافى خالداً بالحيرة .

(١) فتوح الشام ، للواقدي ، ص (١٤ : ١٥) .

وقد اختلفت الروايات في الطريق التي سلكها خالد . فومى بن عقبة وابن اسحق وسيف بن عمر والهيثم بن عدي يرون أن خالداً سار على طريق ( عين التمر - قُراقر - سُوى - مرج راهط ) . وأشار مومى بن عقبة وسيف بن عمر الى أن خالداً مرَّ في طريقه بدومة الجندل ، أما الهيثم بن عدي فذكر أن خالداً سار من السماوة الى قُراقر . وذكر مصعب بن عبد الله دومة الجندل والمفاوز فقط وقد أيد البلاذري هذه الروايات . أما ابو يوسف والواقدي والمدائني واليعقوبي وابن كثير وابن الأثير فذكروا طريقاً آخر . ومن الروايات ما جعلت خالداً يغزو في طريقه بعض الجموع من أهل البادية من تغلب وكتب وبهراء وغيرهم في أماكن متباعدة ، اعترضت طريقه أو انها كانت في جهة بعيدة عن الطريق . ومن الروايات ما جعلت خالداً يقضي كثيراً من الوقت في محاصرة المسالح والهجوم على المواقع الحصنة . ومنها ما جعلت خالداً يسير على طريق ملثو يشرق تارةً ويغرب تارةً أخرى ، ويتوجه الى الشمال حيناً وينزل الى الجنوب حيناً آخر ، والذي يتفحص هذه الروايات بامعان يبدو له أن أولئك الرواة أخطأوا في سلسلة الوقائع وقدموا تاريخ بعض الحوادث وأخروا تاريخ البعض الآخر ، فأدخلوا بعض فتوحات خالد التي جرت بعد سنة ثلاث عشرة في ديار الشام في ضمن الحوادث التي وقعت في سفره من العراق الى الشام ؛ كما أنهم أدخلوا بعض فتوحات خالد في العراق التي وقعت قبل سفره في حوادث رحلته الى الشام . لذلك ارتبك عليهم الأمر وجعلوا خالداً يسلك طريقاً بعيدة المنال .

وقبل أن نستقصي أخبار هذه الروايات وتقرن بينها وتجربدها بما غشينا من أخبار وقعت قبل سفر خالد وبعده يجدر بنا أن نتثبت من ثلاثة أمور لأن الاستناد اليها يسهل لنا الوصول الى الحقيقة .

الأمر الأول : أرسل أبو بكر خالداً الى الشام مدداً وغوثاً للمسلمين

لاستخدامهم له . وتكاد الروايات جميعها تؤيد هذا ولا عبرة لما ورد في بعض الروايات أن أبا بكر صرف خالداً من حرب العراق معاقبةً له .

الأمر الثاني : ان ابا بكر استنح خالداً في السير الى المسلمين ، ذكر ذلك سيف بن عمر ، كما رواه الطبري <sup>(١)</sup> والرواية كما يلي :

« ولما نزل المسلمون اليرموك واستمدوا أبا بكر قال : خالد لها ، فبعث اليه وهو بالعراق وعزم عليه واستنحه في السير ، فنفذ خالد لذلك ، فطلع عليهم خالد وطلع باهان على الروم » .

وذكر ذلك أيضاً المؤرخون المتأخرون ابن عساكر وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون .

الأمر الثالث : أغار خالد على الفسانيين بمرج راهط في يوم فصحهم . روى ذلك الواقدي والمدائني وأبده ابن الأثير .

طه الهاشمي

( يتبع )

## شيخ الإسلام ابن تيمية

- ٢ -

### أبيات من مرثيه

لقد نظم في رثاء الامام المترجم وذكر أعماله وآثره قصائد غزيرة ، ذكر طائفة منها صاحب الكواكب . وقد اخترنا أبياتاً منها نذكرها انموذجاً لما قاله فيه ، بعض واصفيه : قال ابن فضل الله العمري من قصيدة طويلة :

مثل ابن تيمية ترضى حواسده	بجبسه ولكم في جبسه غدروا
مثل ابن تيمية في السجن معتقل	والسجن كالنعمد وهو الصارم الذكر
مثل ابن تيمية نذوي خمائله	وليس يلقط من أفنائه الزهر
مثل ابن تيمية شمس تغيب سدى	وما ترق بها الآصال والبكر
مثل ابن تيمية يمضي وما عبقث	بمسكه العاطر الأردنان والطرر

ومنها في حساده ومناوئيه :

هل فيهم صادع للحق مقوله	أو خائض للوعى والحرب نستعر
رمى الى نحو غازان مواجهة	سبامه من دواء عونه القدر
بتل راهط والأعداء قد غلبوا	على الشام وطال الشر والشرر
وشق في المرج والأسياف مصلته	طوائفاً كلها أو بعضها تتر
هذا وأعداؤه في الدار أشجعهم	مثل النساء بظل الباب مستتر

ومن قصيدة لابن الرودي :

تقي الدين ذو ورع وعلم خروق العضلات به نخطاط

توفي وهو مسجون فريد وليس له الى الدنيا انبساط  
ولو حضره حين قضي لألقوا ملائكة النعم به أحاطوا  
قضى نجبا وليس له قرين ولا لتظيره لف القاط  
ثم قال :

فيا لله ما قد ضمّ لحد وبالله ما غطى البلاط  
م حسدوه لما لم ينالوا مناقبه فقد مكروا وشاطوا  
وكانوا عن طريقته كسالى ولكن في أذاه لهم نشاط  
وحبس الدرّ في الأصداف فخر وعند الشيخ بالسجن اغتباط  
بال الهاشمي له اقتداء فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا  
الى أن قال :

ألم بك فيكم رجل رشيد يرى سجن الامام فيسناط  
إمام لا ولاية كان يرجو ولا وقف عليه ولا رباط  
ولا جاراكم في كسب مال ولم يعمد له بكم اختلاط  
ففيهم سجتموه وغظنموه أما لجوا أذيتيه اشتراط  
وسجن الشيخ لا يرضاه مثلي ففيه تقدر مثلكم انحطاط  
أما والله لولا كتم سري وخوف الشر لا تخلص الرباط  
وكنت أقول ما عندي ولكن لأهل العلم ما حسن اشتطاط  
فما أحد الى الانصاف بدعو وكل في هواه له انخراط  
سيظهر قصدكم يا حابيه ويهنيكم اذا نصب الصراط  
فها هو مات عنكم واسترحتم فعاطوا ما أردتم ان تعاطوا  
وحلتوا واعقدوا من غير ردّ عليكم وانطوى ذاك البساط

ومن قصيدة للشيخ محمد العراقي الجزري :

باطليق اللسان في كل فن فلقد شرفت بك العلياء

ان تكن مت فالعلوم التي أحسيت من بعد موتها احياء  
ومنها :

أنت «صخر» الوجود في كل أرض والبرايا جميعها « الخنساء. »  
ومنها :

قسماً بالإله لو أنصف الدهر لأضحى في كل بيت عزاء  
ومن قصيدة زين الدين عمر بن الحسام الشبلي رحمه الله :

سل عنه غازانا وسل أمراءه لما أتوا بطلائع الأسراء  
والفعل قد ملكوا البلاد وأهلها كم قد من عات بغير عناء  
وللفاضل برهان الدين ولد شهاب الدين التبريزي الحنفي :

فمن جاهد الأعداء في الدين مثله ومن سل سيف العزم في وجه غازان  
ومنها :

وما ضره ان طال في السجن مكثه اذا كان في نسك وطاعة رحمن  
هذا قليل من كثير من مواهب هذا الامام الكبير وأعماله .

\* \* \*

علاوة على المحاضرة

دفع فرية عن ابن تيمية

بحث تاريخي عامي

لقد صدق كثير من العلماء والأدباء في مختلف العصور هذه الرواية الآتية  
في رحلة ابن بطوطة الشهير ، وجعلوها قضية مسلمة يروونها ويتوارثونها الى عصرنا  
هذا ، حتى ان دائرة المعارف الاسلامية التي تنقل الآن الى العربية في مصر ،  
قد ترجمت لابن تيمية ترجمة بقلم الأستاذ محمد بن شنب ( ص ١٠٩ - ١١٦ ج ١ )  
فيها أغلاط كثيرة ، ونقلت عبارة ابن بطوطة هذه ، وهي قوله عن إمام الشام  
وشيخ الاسلام ابن تيمية « وكنت إذ ذاك بدمشق ، فخصرته يوم الجمعة ،

وهو يعظ الناس على منبر الجامع وبذكركم ، فكان من جملة كلامه أن قال :  
 إن الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولي هذا ، ونزل درجة من درج المنبر .  
 فرأيت أن أنشر كلمة في هذا الموضوع تكون الحد الفاصل بين الحق والباطل .  
 ١- ان ابن بطوطة رحمه الله لم يسمع من ابن تيمية ولم يجتمع به ،  
 إذ كان وصوله الى دمشق يوم الخميس التاسع عشر من شهر رمضان المبارك  
 عام ستة وعشرين وسبعائة هجرية ، وكان سجين شيخ الاسلام في قلعة دمشق  
 أوائل شهر شعبان من ذلك العام ، ولبث فيه الى أن توفاه الله تعالى ليلة الاثنين  
 لعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وعشرين وسبعائة هجرية ، فكيف رآه ابن بطوطة  
 يعظ على منبر الجامع وسمعه يقول : ينزل ٠٠٠٠ الخ .

٢- ان رحلة ابن بطوطة مملوءة بالروايات والحكايات الغريبة ، ومنها  
 ما لا يصح عقلاً ولا تقلاً وهو بلقي ما ينقله على عواهنه ، ولا يتعقبه بشيء ،  
 فمن ذلك قوله : ( ١ : ٥٤ ) وفي وسط المسجد ( أي الأموي بدمشق ) قبر  
 زكريا عليه السلام ، والمعروف أنه قبر يحيى عليه السلام . وقوله أيضاً : وقرأت  
 في فضائل دمشق عن سفیان الثوري أن الصلاة في مسجد دمشق بثلاثين الف  
 صلاة ، وهذا لا يقال من قبيل الرأي ، وسفیان أجل من أن يفضله على  
 حرم الرسول ( ﷺ ) وعلى المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين وهما لم يبلغ  
 الثواب فيهما هذه الدرجة ، كما هو معلوم للمحدثين وغيرهم ، ومن تقوله التي  
 أقرها ولم ينكرها ( ١ ، ١٩٩ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ) النذور للقبور المعظمة ، والوقوف  
 على أبواب الملوك ، ومن ذلك النذر لأبي اسحق ، اذا هاجت الرياح في البحار ،  
 واشتدت الأخطار ، وهو ما لم يبلغه أهل الجاهلية الذين قال تعالى عنهم  
 « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين » .

٣- لم يكن ابن تيمية يعظ الناس على منبر الجامع كما زعم ابن بطوطة  
 ( ١ : ٥٧ ) ( فخصرته يوم الجمعة وهو يعظ على منبر الجامع ) بل لم يكن يحظب

أو يعظ على منبر الجمعة كما يوهمه قوله : « ونزل درجة من درج المنبر » وإنما كان يجلس على كرسي يعظ الناس ، ويكون المجلس خاصاً بأهله ، قال الحافظ الذهبي : « وقد اشتهر أمره ، وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه ، فكان يورد المجلس ولا يتلثم ، وكان يورد الدرس بثوذة وصوت جهوري فصيح ، وقال : وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع » .

وقال علم الدين البرزالي في معجم شيوخه : « وكان يجلس في صبيحة كل جمعة يفسر القرآن العظيم ، فانتفع بمجلسه وبركة دعائه ، وطهارة أنفاسه ، وصدق نيته ، وصفاء ظاهره وباطنه ، وموافقة قوله لعمله ، وأتاب الى الله تعالى خلق كثير » وإنما كان يخطب الناس على منبر الجامع الأموي في عهد دخول الرحالة ابن بطوطة دمشق ، قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني وقد كان خطيب المسجد ، وإمام الشافعية فيه ، وكان سكناه بدار الخطابة ( ج ١ ص ٥٦ رحلة ابن بطوطة ) .

ومما تقدم يعلم ان ابن تيمية كان مدرساً واعظاً ، لا خطيباً ، وكان يلقي درسه في التفسير صبيحة كل جمعة ، وهو جالس على كرسي في الجامع الأموي لا وافق على منبر فينزل درجة عنه ، وقد أشار الى ذلك الحافظ المؤرخ ابن عبد الهادي بقوله : « ثم إن الشيخ جلس يوم الجمعة ( أي بدمشق ) على عادته ، وقال وهو يصف حاله وأعماله بمصر : وبتكلم في الجوامع على المنابر من بعد صلاة الجمعة الى العصر ، فهو لم يقل على منابر الجمعة ، ولا على منابر الخطابة ، والظاهر ان المراد بالمنبر كل ما ارتفع عن الأرض كما يؤخذ من مفهومه اللغوي ، فهو بعم هذه الكرامى التي يجلس عليها المدرسون في المساجد الكبرى بمصر والشام والعراق ليسمع منها الجماهير ، فكيف غفل ابن بطوطة عن ذلك ؟

٤ - انك لا تجد في جميع ما تراه من كتبه المخطوطة والمطبوعة غير تفسير مسهب لمثل قوله الذي نقله عنه الشيخ ابن ناصر الدين الشافعي في الرد الوافر : « ومذهب السلف والأئمة الأربعة وغيرهم : إثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل ، وليس لأحد أن يضع عقيدة ولا عبارة من عند نفسه ، بل عليه أن يتبع ولا يبتدع ، ويقتدي ولا يبتدي » ولمثل ما فسر به كلامه السيد صفى الدين الحنفي البخاري في القول الجلي بقوله : « قلت : - وتفسير كلامه أنه يجب الإيمان بجميع المتشابهات الواردة في الكتاب والسنة كاليد والوجه والاستواء والنزول ، على وجه يليق به تعالى ، فلا يكيف بشيء منها ، ولا يمثل بصفات المخلوقين ، كما هو مذهب السلف ومن تبعهم من الخلف ، فلا يقال يد كيدنا ، ولا وجه كوجهنا ، أو استواء كاستوائنا ، أو نزول كنزولنا ، بل يداه ضفته بلا كيف ، وكذا وجهه ، وهكذا فقس سائر الصفات والأفعال » وأقول : هذه عقيدته الحموية والواسطية والاصفهانية التي عقدت له المناظرات حولها في مصر والشام ، بل هذه أيضاً كتبه ورسائله وفتاويه وردوده في العقائد قد بسط الكلام فيها على آيات الصفات والأفعال وأحاديثها كالوجه واليد والاستواء والنزول وغيرها بالمعقول والمنقول ، وكلها يتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات ، إثباتاً بلا تشبيه ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال تعالى : « ليس كمثل شيء » ، وهو السميع البصير » وقوله : « ليس كمثل شيء » رد للتشبيه والتمثيل ، وقوله : « وهو السميع البصير » دفع للإلحاد والتعطيل .

• - إن طريقة شيخ الاسلام في إثبات الأسماء والصفات ، وفي بيان منشأ غلط المعطلة والنفاة ، واضحة في جميع كتبه ، وخلاصتها أن لهذه الصفات وجوداً علياً ذهنياً ، ووجوداً خارجياً عينياً ، فوجودها الذهني ، هو العلمي المطلق المجرد عن جميع الخصائص والإضافات كالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر والكلام ، وكون الموصوف حياً علياً قديراً ، سميماً بصيراً متكليماً ، وهذا القدر

مشترك بين الموجودات كافة ، يطلق عليها بالاشترار الاسمى أو اللفظى ، كما هو ثابت لها فى الوجود العلمى والذهنى ، ولكن شيئاً من ذلك لا يقتضى المشاركة فى الأعيان الخارجية ، بل الذهن بأخذ معنى مشتركاً بين المسميين ، وعند الاختصاص بقيد ذلك بما يتميز به الخالق من المخلوق ، والمخلوق من الخالق ، ولا بد من هذا فى جميع أسماء الله وصفاته ، يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق ، وما دل عليه بالإضافة والاختصاص المانع من مشاركة المخلوق للخالق فى شيء من خصائصه سبحانه وتعالى .

٦ - بين شيخ الاسلام (رحمه الله تعالى) فى الرسالة التدمرية وغيرها أن نفاة الصفات يقعون فى كثير من الأوهام والمخاير (منها) ظنهم أن مدلول النصوص هو التمثيل (ومنها) أنهم بنوا على ظنهم السىء تعطيل ما أودع الله ورسوله فى كلامها من معاني الإلهية اللانقة بجلال الله تعالى . (ومنها) أنهم نفوا عن الله تعالى تلك الصفات بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . (ومنها) أنهم وصفوا الرب تعالى بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات ، أو صفات المنقوصات والمعدومات ، فهم يجمعون فى كلام الله وفى الله بين التعطيل والتمثيل ، وهذا من الإلحاد فى أسماء الله وآياته .

٧ - يظهر من كلام الحافظ ابن حجر ، أن الشيخ نصرأ المنبجى الذى كان مقدماً فى الدولة هو الذى أشاع مسألة النزول عن الدرر ، بسبب كتاب ورده من الامام ابن تيمية ينكر عليه فيه أقوالاً فى وحدة الوجود ، وبعدها عليه ، قال الحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة (١ : ١٥٤) : « وكتب اليه كتاباً طويلاً ، ونسبه وأصحابه الى الاتحاد الذى هو حقيقة الإلحاد ، نعظم ذلك عليهم ، وأعانه عليه قوم آخرون ، ضبطوا عليه كلمات فى العقائد مغيرة ، وقعت منه فى مواعيده (مواعظه) وفتاويه ، فذكروا أنه ذكر حديث النزول ، فنزل عن المنبر درجتين (كذا) فقال : كنتولى هذا ، فنسب الى التجسيم .

وأقول : قد عرفت المراد من لفظ المنبر ، حتى ان الحافظ ابن حجر قال : « وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث ، فيورد في ساعة من الكتاب والسنة ، واللغة والنظر ، ما لا يقدر أحد على أن يورده في عدة مجالس ، كأن هذه العلوم بين عينيه » ( ص ١٥٣ ج ١ ) من الدرر . وهذا مما يؤكد أنه كان يلقي درسه على كرمي يجلس عليه ، والمستمعون حوله ، فكلامه على طريقة المفسرين - من بعد صلاة الجمعة الى العصر ، وإيراده من الآيات والأحاديث ونصوص اللغة ، وأقوال العلماء ، في مجلس واحد ما لا يورده غيره في مجالس كثيرة كما تقدم ، هو طريقة المدرسين المحققين في حلقات المجالس الكبرى لا خطباء المنابر وهم وقوف ، لاسيما وقد صرحوا بجلوسه في دروسه ، وهذا لا يتيسر على منابر الخطب الجمعة .

ثم انظر الى قوله في خصومه : ضبطوا عليه كلمات في العقائد مغيرة ، فإذا كانت مغيرة فما ذنبه هو حتى يؤخذ بها أو تؤخذ عليه ؟ « ولا تزر وازرة وزر أخرى » والحافظ ابن حجر هو ناقل غير قائل ، وفي قوله : « عقائد مغيرة » ما يثبت أنه لا يعتد بما قالوه ، بل لا يعبأ بما اقترى به عليه ، كيف وقد نقل أقوال الأئمة الثقات فيه ، وهم قد نزهوه عن تلك المغريات ؟ ومن أراد استيفاء البحث فليراجع مجموعة الرد الوافر ، أو الرسالة التدمرية لشيخ الاسلام ، أو ملحق الجزء الرابع من فتاويه ، أو العقود الدرية للحافظ ابن عبد الهادي ، ليلفح حد اليقين في نفي مطاعن الطاعنين .

٨ - إن العلوم الحديثية قربت فهم النصوص على طريقة السلف ، ويثبت أنها الأعلم والأحكم ، بلثة كونها الأهدى والأسلم ، فن ذلك حديث التزول الذي أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين : « ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا . . . الخ » فقد أورد في كتاب (دفع شبه التشبيه) قول القاضي

أبي يعلى : « التزول صفة ذاتية ، ولا نقول : نزوله انتقال ، وقال ابن الجوزي : « وهذا مغالط » قلت : ليس بمغالط فقد ظهر في عصرنا ما يؤيد قوله ، فإن صوت المذيع الآن يسمع من كل مكان كما يسمع من مكانه ، وهذا الاختراع الحديث يقرب لنا فهم ما أورده البخاري في صحيحه ، من أن الله يتادي عباده بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، ومثله : إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صوته . . الخ ، بل الآلة التي تريك المتكلم الآن حاضراً عندك وهو لم يبرح مكانه (Télévision) تهدبنا الي فهم النزول الي سماء الدنيا بلا انتقال ، وأن هذا النزول هو صفة ذات لا صفة فعل ، كما قال القاضي أبو يعلى ، ومثله إسناد صفة الكلام اليه تعالى في قوله : « وكلم الله موسى تكليماً » وقول رسوله : « إذا تكلم الله بالوحي » فوصفه بما وصف به نفسه حقيقي غير مجازي ، وهو لا يحتاج الي تأويل بله التعميل ، فراراً من شبهة التشبيه ، فإن تشبيهه من ليس كمثل شيء ، بالخلق المتكلم بفم ولسان ، غير وارد من أصله ، فقد أنطق العلم الحديث الآن الجمادات فنطقت بفم ولسان ، كالنذيع والحاكي ، أفأبى قدرة الله وحكمته إلا أن يتكلم بفم ولسان ، كالإنسان ؟ أليس هو القادر على أن يختم على فم الإنسان ، وينطق جسمه الصامت كما أخبر بعدة آيات ؟ منها قوله سبحانه « اليوم نختم على أفواههم ونكفينا أيديهم » الآية . أفيعقل أن يكون هذا القادر الحكيم عاجزاً عن التكلم إلا بفم المخلوق ؟ وجملة القول : إن هذه الرواية مختلفة على ابن تيمية سواء صححت عن ابن بطوطة أم لم تصح ، فهو لم يره ولم يسمع منه ، ومؤلفاته جميعها ترد عنه هذه الكلمة الشاذة ، بل لو ثبتت الرؤية والسمع ، لصح أن نقول : إن ابن بطوطة شبه له ابن تيمية كما شبه عزق الخلة في القصة التي حكها ابن بطوطة في سبب تسمية الشيخ رسلان بالباز الأشهب (ج ١ : ٥٩) وقد

كنت دخلت على شاب من معارفي ، فقلت له : ما أشبهك بفلان ، قال :  
 فلان ما أعرفه ، ولكنني أعرف شاباً آخر لولا تحققي من وجودي المستقل عنه  
 لظننته إياي ، وحكايات الشبه والاشتباه في الأشخاص والأشياء لا تكاد  
 تحصر ، وهي داخلة في باب تحقيق الشخصية ( Identification ) من كتب الطب  
 الشرعي وغيره .

على أن ابن بطوطة لم يكتب رحلته بقلمه ، وإنما أملاها على ابن جزى  
 الكلبي ، وقال هذا في المقدمة : « وقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد الله  
 بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدتها ، موضحة للمعاني التي اعتمدها » . فيجوز أن  
 يكون ذلك من تحريف النساخ ، أو وسوسة بعض الخصوم ، والله تعالى أعلم .

( يتبع ) محمد بهجة البيطار

# تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى العصر الحاضر، مع نقد وتعليق

- ٢ -

## رأبي في إعجاز القرآن :

والذي أراه أنا هو أن القرآن باعتمادهم بمميزات فيه أدركوا جمالها وعجزهم عن مثلها . ومن هذه المميزات ما يرجع الى أسلوب القرآن الغريب الذي جاء مخالفاً لأساليبهم في الكلام وهي المميزات الظاهرة الواضحة التي يمكن حدها والإشارة إليها . ومنها ما هو داخلي يدرك بالذوق ويصعب بيانه وتعليقه ، بل قد يكون متعذراً .

فن هذه المميزات الواضحة الخاصة بأسلوب القرآن افتتاح آياته وسوره بما لا عهد للعرب به ، كالحروف المتقطعة في أوائل السور ، فإنها كالمفتاح الموسيقي للآيات التي بعدها ، وتوجيه الخطاب في مثل قوله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ . ومنها انتهاء هذه الآيات بفواصل موسيقية تنتهي بحرف ساكن قبله حرف لين أو بحرف لين قبله حرف صوتي مما يعطي ضرباً مستعذباً خاصاً من الموسيقى . ومنها هذا الضرب من الموسيقى الداخلية الناتجة من موسيقى الألفاظ مفردة ومركبة بعضها مع بعض . ومنها هذه المواضع التي تصلح للوقف في خلال الآيات والتي يتفق الوقف فيها مع أداء المعاني الجزئية في الجمل مما يضطر القارئ الى التمثل في القراءة وتدبر المعنى وتوتيل القراءة . ومنها توافق الحروف في أواخر الآيات أو تقاربها مما يشبه السجع ، ولكنه

لا يقاس به من حيث استعذاب النفوس له . ومنها هذا التقارب في مقدار الجمل ،  
والانسجام فيما بين الفاظها المفردة وتراكيبها ، حتى لكأنها تجري على وزن خاص .  
وأما الشيء الداخلي المعجز في القرآن والذي يدرك بالذوق فهو أنه قد حوى  
صفات الأدب الخالد ومميزاته . وهذا ما جعل المتأخرين من العرب ومن تعلموا  
العربية يدركون إعجازه ويتذوقون جماله . وهذا ما جعله لا يخلق على التكرار ،  
ولا يسرع الملل الى قارئه مهما أعاده ، إذا لم يكن معارضاً متعيزاً أو متخاملاً .  
هذه المميزات التي تجعل منه أدباً خالداً تظهر في الفكرة العامة السامية التي  
يقول بها القرآن والتي تجعل فيه وحدة موضوعية غائية تسعى للمثل الأعلى وتحقيق  
خير الانسانية وتظهر في العاطفة الصادقة القوية العميقة التي تنبت فيه ويستشفها  
القارئ له من ثنايا آيه وسوره وتثيرها التلاوة في نفسه فيشعر أن روحاً قوية  
خفية تحمله من عالم الارض لتخلق به في عالم السماء ، ويدرك أن القرآن  
يفتح عينه ليرى المثل العليا جليلة بيينة قريبة المثال اذا صمم العزم على سلوك طريقها .  
وتظهر هذه المميزات في تعاليمه الرفيعة وثيمه الأخلاقية التي تسعى لتنظيم الكون  
برغم بساطتها وفي هذه البساطة سرٌّ من أسرار جمالها . وتظهر في الخيال  
الخصب الذي يصور الندم وعذاب الضمير وآلام النفس وأفراحها وتعاطف البشر ،  
ويصور الجنة والنار وسيّر من مضى وقضى من الأمم . وتظهر في أسلوبه العظيم  
الذي أدنى ما يراد إبلاغه الى الناس بأجل موسيقى وخير أداء فترى المعنى  
ينساب الى النفس مع انسياب الألفاظ الى السمع فكان الكلام يقع في القلب  
لا في الأذن وتوى الروح فيه يخاطب الروح وتدرك منه معرفة منشئه بالروح  
البشرية وحسن التأني في مخاطبتها مما حمل بعض الباحثين الحديثين على القول  
بالإعجاز النفسي للقرآن .

هذه الصفات التي تجعل من القرآن أدباً خالداً هي التي أذهلت عقول الجاهليين  
فخاروا فيما يقولون فيه : أشعر هو أم سحر ، أكلام بشر هو أم كلام فوق

طاقة البشر . وهذه الصفات نفسها هي التي سافت بعض علماء المسلمين لأن يقولوا : إن القرآن معجز لأن الله يحيط بالألفاظ والمعاني فيقد الألفاظ على أقدار المعاني فينظم منها ما يسحر القلب ، يأخذ بالقلب . وهي التي ميّزت فن القرآن عن غيره من فنون الأدب ، وأدت ببعض العلماء ان يردّوا على من يتساءل : « لماذا لم ينزل القرآن شعراً من جنس كلام العرب الذي برعوا فيه حتى تصح المقارنة بينها » بأنه لو كان شعراً لم يكن خارقاً للعادة ، ولم يكن جديداً ، ولم تكن له طلاوته ، وبأن القرآن على الرغم من أنه يتناول أبحاثاً من طبيعتها ألا تتناول في أسلوب فصيح بليغ لأنها تعبر عن فكرة مجردة أو عن واجبات دينية اجتماعية فهو يعبر عنها فيما هو العاية في الجمال والفصاحة .

وتساءل بعد هذا أليس من سبب لعجز العرب عن المعارضة غير سحر القرآن وعجز العرب ، إذ أن من المؤكد أن ثقافتهم حينئذ يرغم تقدمها النسبي لم تكن تسمح لهم بوضع تشريع راق ، ولم لم يحاولوا بالفعل أن يعارضوا القرآن وقد ثبتوا طويلاً على تكذيب الرسول ، فإننا لانسلم بأنهم جميعاً كانوا يؤمنون بأنه صادق ، وأنهم إنما كانوا يظهرون غير ما يبطنون أنفة ومكابرة وجحوداً ، بل لاجرم أن كثيراً منهم لم تقبل أذهانهم فكرة الوحي واتصال الأرض بالسماء . فهذا أبو سفيان بن حرب الأموي يأتي النبي مستسلماً قبيل فتح مكة فيقول له النبي : أما أن لك أن تشهد أني رسول الله فيقول : « أما هذه يا ابن أخي ففي النفس منها شيء » .

وإذا كان في نفوس ابي سفيان وأمثاله شيء من نبوة محمد فلم لم يعارضوه ويحمله ، إذا كان ذلك في استطاعتهم ، بل لماذا لم يحاول ابو سفيان نفسه معارضته مع اعتقاده بكذبه . لا يستطيع أن يخرج من هذا إلا بأن بعضهم كانوا يشعرون بعجزهم عن ذلك ، وبأن بعضهم كمن ذكرنا قبل حاول المعارضة وفشل . ويبدو أن مفردات الألفاظ لم تكن هي التي تعوزهم لو أرادوا معارضة القرآن ،

لأن القرآن لم يستعمل إلا ألفاظاً مستعملة في بيئتهم . ولكن كان يعوزهم الأفكار الخصبية التي تربطها وحدة شاملة يمكن أن تؤلف شريعة . فبلاغة القرآن التي أدهشتهم لم تقم على اللفظ والسبك والموسيقى فقط ، فهذا جانب يسير منها . والجانب الأكبر هو تلك الغاية الاصلاحية التي بغذيتها تفكير ناضج عميق شامل بعيد النظر ، وتغذيها عاطفة متأججة وخيال خصب وروح سام يتوخى تحقيق هدف هو مثل أعلى للحياة البشرية يتيسر تحقيقه .

فميدان المباراة أن أتوا ببيان ساحر . وهذا البيان يجب أن يكون من الجنس الذي يأتي به النبي - وهذا بدهي وان لم ينص عليه - بحيث يقرعون الحجة بالحجة ويبينون فساد شريعة النبي . وهذا ما كان يعوزهم .

هذا إذا نظرنا الى الأمور نظرة واقعية صرفة أما اذا أدخلنا الايمان الديني في الميزان فمن السهل أن نقول بأنهم بشر ينقطعون عن أن أتوا بكلام يضارع كلام الله .

ومن جهة ثانية نرى أن النبي قد جاءهم بتعاليم اجتماعية لا يتأتى أن ينكروا جمالها وسموها فينقضوها بضدها ، على ما فيها من إضرار عظيم بمصالحهم الخاصة . وما كان في مقدورهم مها حسن كلامهم أن يحسنوا التقييح ويشوهوا الأصول الجميلة التي تكلم عنها القرآن ببيان ساحر . وفي هذه الحالة بنقصهم صدق العاطفة والايمان بالفكرة اللذان بدونها يستحيل أن يكون أدب خالد رائع .

ولو أنهم في سبيل قهر النبي وافقوه على أفكاره ودعوته للإصلاح وجاؤوا بمثل ما جاء به من سحر البيان لقضوا ، ولا شك ، على نفوذه وأثبتوا كذبه ولكن لم الأمر والغلبة عليه . ولكنهم يفتقدون عندئذ المكنة التي اكتسبوها في بيئتهم وكانوا جد حريصين عليها . وليس من السهل على الخضم أن يوافق خصمه على أفكاره ليقضي عليه ، فطبيعة الخصومة تقضي التمسك بالرأي ولو ظهر فساده . ثم إن الخلاف الجوهرى الذي هو خلاف على الأصول يزول حينئذ .

والذي أعتقده أن ضعف إيمانهم بنعاليتهم وبنجاحهم وبقواهم المحدودة ما قام لقوة إيمان النبي وصدق بقينه وثقته بنجاحه . فما ادعى النبوة افتراء وابتغاء للكذب ، وإنما كان يشعر بأنه لا ينطق عن الهوى ، وأن ما يأتي به إن هو إلا وحي يوحى . ومهما كانت أسباب عجزهم فالواقع أنهم عجزوا . وكيف لا يعجزون ؟ وهم ما أحسوا في قرارات نفوسهم بالتجربة النفسية الدينية التي كان الرسول يشعر بها ولا أحسوا ببعضها وكيف يستطيعون مجاراته في التعبير عنها أو عما يضارعها . ثم هل كان يفيدهم شيئاً لو جاؤوا بمثل القرآن سحر بيان أو أن حسم النزاع كان لا يتحقق إلا في نتيجة الصراع الروحي المادي بين فكرتين : فكرة المحافظة على القديم ، وفكرة التجديد وبناء المجتمع على أسس متبنة في الدين والاجتماع والسياسة . وكان من الطبيعي أن يكتب البقاء للأصلح منها ، وأن يذهب الزبد جفاءً ويبقى ما ينفع الناس في الأرض . وما كان الفقير المعدم الذي أطعمه النبي في زوال بؤسه بما وعدّه به من أموال الزكاة ، ولا العبد المظلوم الذي يطمح للحرية ، ولا الرجل المهين المفضوب الحق ، أن ينصتوا لأنبي جهل مثلاً اذا عارض القرآن بما يخالف كلمة الإصلاح . وقد كانت لتنظيم قوى المسلمين المادية تنظيمًا حسنًا أثر كبير في حسم النزاع بينهم وبين المشركين . ولم يكن ليحسم النزاع تحكيم البلغاء في أي الكلامين أبلغ : أكلام القرآن ، أم كلام أحد المشركين . ولو فشل النبي فهل كان يحفظ القرآن ، أو كان يحل محله أقوال المشركين وقرآن لهم آخر ؟ فالذي أعتقده أن النبي لو فشل أو قتل لفاض قرآن مسيلمة أو أمثال مسيلمة .

هذا التساؤل ليس إلا قولاً مجرداً لا ينتقص من إعجاز القرآن ، لأن الواقع أن العرب ، كما قلت سابقاً ، قد أدركوا جماله الفني ذوقاً وسليقة ، وأدركوا في باطنهم عجزهم عن مثله كما أدرك درجته من البلاغة أكثر البلغاء الذين جاؤوا منذ ابتداء الدعوة الإسلامية حتى الآن . وإذا كان بعضهم كما سنرى بعد قد

أنكر إعجازه فإنه لم ينكر مبلغه من البيان ، ومن أنكرها كان من المكابرين  
مكابزة من ينكر ضوء الشمس الواضح .

ولا يغبين عن البال أن لقوة العقيدة وضعفها أثراً كبيراً في القول بالإعجاز  
أو عدمه . فإن للقرآن في قلوب المؤمنين قوة قدسية تترك فيها حين تلاوته  
أثراً لا تتركه في قلوب الشاكين في أصل العقيدة الدينية أو المنكرين لها .  
وعند هذا الحد أنتهي من الكلام على الجدل بين القرآن وبين العرب في  
عهد الرسول . وقد رأينا أنه كان زمن الرسول فكرة بسيطة قوامها التحدي  
الذي جاء في القرآن وعجزُ العرب عن أن يأتوا بمثله عجزاً ظاهراً يتبين من  
الروايات التاريخية التي بين أيدينا . وقد رأينا أن كلني إعجاز ومعجزة لم تستعمل  
زمن النبي وإنما استعمل القرآن في مكانها كلمات أخرى كالآية والبرهان والسلطان .  
وترجع بساطة الفكرة في زمن النبي الى سذاجة الثقافة وعدم تعقدها قبل  
مخالطة الأعاجم ودراسة الفلسفة والعلوم الأخرى . وأنقل الآن الى الكلام  
على فكرة الإعجاز ، وما آلت اليه لدى العلماء في مختلف العصور بعد هذا  
العهد ، وما طرأ عليها من الفكر الإيضافية المستمدة من عناصر ثقافية جديدة  
لنحت الإسلام في العصور التي تلت عصر البعثة بلقاح فكري جديد .

\* \* \*

## الإعجاز بعد عصر النبي

### مقدمة :

كان المسلمون في عهد النبي ومن بعده من الخلفاء الراشدين ولا سيما زمان  
أبي بكر وعمر لا يطيلون النظر في دراسة مسائل الدين ولا يشيرون قضاياها  
المتشابهة التي تبعث على الاختلاف في الرأي كالقول بالجبر أو الاختيار ومشاكل  
الصفات الإلهية والذات وذلك لضعف ثقافتهم في بادئ أمرهم وانعزالهم في جزيرتهم

وعزروهم عن غيرهم من الأمم وعملاً بالحديث الشريف: «إن هذا الدين لمتين فأوغلوا فيه برفق فإنّ المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» وكانوا ينظرون الى القرآن نظرة تسليم ورضى على أنه كتابهم الديني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبأنهم يجب أن يرجعوا اليه في عامة أمورهم الدينية والمعنوية وكل ما يختلفون فيه من قضايا وآراء تعرض لهم في حياتهم ويرونه المثال الأعلى في كل ما يميزهم ومنه قوة البيان وما يدلنا على ذلك قول ابن مسعود: «القرآن لا يتفه ولا يشان» وقوله: «إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمشق أتأثق فيهن»<sup>(١)</sup> - وهذه النظرة الى القرآن هي التي توافق مقتضى حلمهم ، فالقرآن هو الروح الذي يوجههم الى مراتب الكمال في الدين والدنيا يأخذ بألبابهم وهو مصدر ثقافتهم الأكبر يرفده الشعر وما أثر من الأمثال والنثر . وأمر المسلمون بعدم الخوض في بعض الأمور التي تثير الشبهات وتضعف الإيمان بإثارتها الشك عن طريق التفكير فيها فأطاعوا الأمر راغبين .

فلما قاموا بالفتوح في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان اختلطوا بسكان البلاد المفتوحة وكانوا أكثر منهم مدنية وثقافة اختلطاً بدأتها عادياً ثم تفر فيه مناقشات دينية بين الغالبين والمغلوبين أو أحاديث في مسائل دينية فلسفية وكانت العرب يومئذ على أشد ما كانوا من الحماسة لدينهم من جهة ولأن الجفاء والانعكاش كانا بادئ بدء من الأمور الطبيعية بين الغالب الذي يجيش انقلاب المغلوب عليه والمغلوب الذي يبقى صولة الغالب ويجشى بطشه .

ثم قامت الفتن السياسية في زمن عثمان وعلي ورافقتها المناقشات السياسية والعصبية فرجع المسلمون إلى القرآن ليحكم بينهم واضطروا الى تفسير آياته ولم يلبث الخلاف السياسي أن انقلب الى خلاف مذهبي يرجع الى الفكر في رسم خطوطه الأساسية وفي دعمه وتأيينه فظهرت فرقة الشيعة في طورها الأول

(١) أي أتثقل محاسنهم .

وهو طور مناصرة عليّ على خصومه الأمويين ، وجماعة تنصر هؤلاء ، وفرقة الخوارج التي نشأت بعد قضية التحكيم بين علي ومعاوية ، وجماعة سائر المسلمين الذين وقفوا من هذه الفرق المتطاحنة موقف الحياد . وحمل ذلك كله المسلمين على التفكير في معاني أكثر آيات القرآن تفكيراً عميقاً بحث فيهم حركة فكرية وإن كانت محدودة فهي قوية لما رافقها من النقد غير المقصود في طوره البدائي . ثم زاد امتزاج المسلمين بشعوب البلاد التي كانت كما قلنا أكثر حضارة منهم وهي شعوب متعددة المذاهب وكل هذه المذاهب تخالف دينهم وتنكر صحته أشد الانكار ، ومن هذه البلاد الديار الشامية ، وكانت المناقشات الدينية قائمة فيها قبل الاسلام بزمن طويل على ساق وقدم تدور حول مسائل دينية فلسفية عويصة أهمها قضية لاهوتية المسيح أو ناسوته وقضية القضاء والقدر فكان حتماً عليهم أن يخوضوا غمار هذه المناقشات . واصطدموا في العراق وفارس بأتباع المذهب الزردشتي وأتباع المذهب المانوي وغيرهم . فاضطروا الى مناقشة أصحاب الأديان في أديانهم والدفاع عن الاسلام الذي ينكره خصومهم . وكان في مقدمة المسائل التي تستدعي الجدل والمناقشة مسألة نبوة النبي . ومسألة تحدي القرآن للعرب في أن يأتوا بمثله ومسألة أنه وحى منزل من عند الله لا كلام ألفه الرسول . وشيخ المسلمون عقولهم لايجاد الحجج العقلية التي تؤيدهم وتقنع خصومهم أو تسكتهم فلم يجدوا أدلّ على صدق نبوة النبي من القرآن فاعتمدوا عليه وقالوا بإعجازه وجعلوه مساوياً لمعجزات سائر الأنبياء المرسلين .

وساعدت النهضة العلمية التي قامت في مدينتي البصرة والكوفة وما ظهر بينهما من اختلاف في الآراء اللغوية والنحوية كما ساعد اختلاف في الرأي بين الفرق الاسلامية نفسها على أنهاض العقول من كبوتها وإثارة المناقشات في كل ما يتصل بحياة المسلمين العامة دينية وسياسية واجتماعية ومنها مسألة إعجاز القرآن . وكانت حربة الرأي محدودة في زمن الراشدين والأمويين والسيف وصلت

على رؤوس المخالفين الذين يطعنون في الدين ، ولم تنطلق الألسن من عقابها إلا في أواخر حكم بني مروان . ومع ذلك فإن أول طعن في القرآن ظهر مبكراً في عهد الرسول أو الخلفاء الأول فقد عزى الى رجل يهودي يسمى لبيد بن الأعمص<sup>(١)</sup> أنه قال : إن التوراة مخلوقة فالقرآن كذلك مخلوق وذكر أن ابن اخته طالوت أشاع قوله هذا في الناس فدان به بنان بن سمعان الذي تنسب اليه الفرقة البناينة وتلقاه عنه الجعد بن درهم مؤدب مروان بن محمد آخر خليفة أموي وكان متهاً بالزندقة ونحش الرأي واللسان ونسب اليه أنه أول من صرح بالجملة على القرآن والرد عليه وإنكار بعض ما ورد فيه وبأن فصاحته غير معجزة وبأن الناس يقدرون على مثلها وعلى ما هو خير منها وذلك بالاضافة الى قوله بخلق القرآن . وكان يصرح بهذا في دمشق عاصمة الأمويين وكان الخليفة مروان بن محمد فيما يظهر يرى رأيه أو يسكت عنه حتى نسبه بعضهم اليه فقيل فيه مروان الجعدي . وهذا يدلنا على أن الأفكار الحرة بدأت تظهر في آخر حكم الأمويين في صورة واضحة عظيمة الخطر لا في الخلاف بين المسلمين وغيرهم بل بين أهل السنة وغيرهم من أتباع المذاهب المناوئة لها وكان جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم يرجعون في هذا العهد الى القرآن لتأييد آرائهم . ولما انتقلت الخلافة من الأمويين الى العباسيين زاد اختلاط الأعاجم بالعرب المسلمين وكان أكثر الخلفاء العباسيين يتسامحون في الأمور الدينية وفي كل شيء غيرها إلا ما يتعلق بأمر السياسة والملك . ونشطت الخليفة المنصور ، وهو الثاني منهم ، حركة الترجمة والتأليف فاطلع العرب على علوم الأعاجم من اليونان والفرس والهند مما لم يكن لهم به سابق علم فساعدتهم ذلك على أعمال عقولهم وعلى انطلاق تفكير بعضهم تفكيراً حراً لا يقيد به الا الاجتهاد العقلي . ولما كانت الحربة الدينية مطلقة أو شبه مطلقة فقد وجدت في العهد العباسي

(١) نسب اليه أنه سحر النبي ، راجع صحيح البخاري في باب السحر .

منذ بدئه جماعة من المفكرين الأحرار ممن تختلف درجة تفكيرهم الحرّة قوة وضعفاً . وكان من أشهرهم حوالي منتصف القرن الثاني الهجري ابن المقفع وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وعبد الحميد الكاتب ووالبة بن الحباب وهم كتاب أو شعراء وقيل إنهم كانوا يجتمعون معاً وينتقدون القرآن أو يحاولون أن يجاروه بالنظم والأسلوب ويسدّد هذا القول بصفة خاصة الى ابن المقفع وصنرى مقدار حفظه من الصحة .

وبلاحظ في تاريخ الأدب العربي أن الاتهام بمعارضة القرآن قد وجه الى كثير من الكتاب والشعراء في العهود المختلفة منذ الأزمان الأولى حتى أواسط القرن الخامس الهجري تقريباً ويرجع ذلك فيما نرى الى قوة أساليب هؤلاء الأدباء وكيد خصومهم لهم والى أن كثيرين منهم كانوا من ذوي التفكير الحرّ أو ممن يميلون اليه . ومن اتهموا بالمعارضة عدا ابن المقفع أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ وأبو العلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩ هـ وابن سينا الفيلسوف . والروايات التي تتهم هؤلاء الرجال تنتهي الى القول بأنهم كفتوا عن معارضة القرآن شعوراً منهم بعجزهم . ولعلّ الاتهام بالمعارضة قد بولغ فيه أو اختلق اختلاقاً لا ثبات العجز عن مقارعة القرآن لأعظم شعراء العربية وكتابها والدلالة على أن هؤلاء إذا عجزوا فإن من دونهم أعجز . ولعلّ نسبة المعارضة اليهم راجعة الى أنهم جاءوا في عهد كثرت فيه المذاهب والفرق الاسلامية واحتدم الجدل في قضايا الدين ومسألة الإعجاز منها خاصة فلا يبعد أن يكون بعض هؤلاء الأدباء الذين اتهموا بالمعارضة من ذوي التفكير الحرّ قد أدلوا برأيهم فنقل عنهم مبالغاً فيه واسترسل فيه الخيال فأضاف اليهم ما لم يقولوه وحمل ألفاظهم فوق طاقتها مما لم يذهبوا اليه ، أو أن أحدهم قد شاع عنه الاستخفاف بالشعائر أو عدم القيام بها فوصم بإنكار الدين والرسالة ومعارضة القرآن وغير ذلك من الأمور .

ونجد الى جانب هؤلاء المفكرين الأحرار جماعة يطعنون في القرآن وهم أصحاب المذاهب الأخرى الذين أتاحت لهم الحرية في خلافة المأمون أن يبينوا آراءهم في النبوة والقرآن على ما يبدو لهم فقد كان المأمون يقول بجرية الرأي ويحميه من تعصب العامة ولا يحول دون الادلاء بالآراء في مسائل الدين ولهذا نراه يتناصر فكرة خلق القرآن التي طغت على كل شيء في هذا العصر حتى فكرة إعجاز القرآن التي أصبحت يدور الجدل فيها حينئذ على أنها جزء من مسألة خلق القرآن . ولا شك في أن أصحاب الأديان الأخرى كانوا يطعنون في النبوة والقرآن منذ عهد النبي ولم يكونوا في زمن الخلفاء الراشدين والأمويين يستطيعون الجهر بأرائهم وتدوينها كما فعلوا في هذا العصر . ففيه نرى عبد الله بن اسماعيل الهاشمي أحد رجال المأمون يكتب كتاباً الى صديق له مسيحي اسمه عبد المسيح بن اسحق الكندي يسأله فيه للدخول في الاسلام وبين فضله على النصرانية ويذكر ان القرآن هو احدي المعجزات المؤيدة لرسالة النبي فيجيبه عبد المسيح على كتابه بكتاب طويل ينقض فيه حجج صديقه كلها وبخاصة ما يتعلق بالقرآن ويذكر بعض ملاحظات شديدة على الطريقة التي جمع بها القرآن وعلى إعجازه ولغته وأسلوبه ويحاول بكل الطرق الممكنة دحض فكرة مجاوزته طاقة البشر . استمر هذان التياران تيار المفكرين الأحرار وتيار أصحاب الديانات الأخرى المناهضين حتى العصر الحاضر ونظن أنها سيستمران الى الأبد ووقف أمامها أول ما وقف في بدء العصر العباسي حين تكوّنت المذاهب الاسلامية المختلفة تيار فرقة المعتزلة التي ظهر بظهورها أول كلام علمي منظم في الإعجاز وذلك في منتصف القرن الثاني من الهجرة وبعد وجودها ردّ فعل لظهور طبقة المفكرين الأحرار ولناهضة أرباب الديانات الأخرى للإسلام مناهضة علمية . وظهرت بعد فرقة المعتزلة في الدفاع عن فكرة الإعجاز جماعة المتكلمين ثم جماعة المفسرين ثم جماعة الأدباء المناهضين عن القرآن .

نشأت فرقة المعتزلة ونشأت معها مسألة خلق القرآن وقدمه فيما نشأ معها من مسائل وتناول مجيهم في جملة ما تناول مسألة الإعجاز . وأشهر من تكلم فيها منهم النظام المتوفى سنة ٨١٥ م وعيسى بن صبيح المزدار المتوفى سنة ٨٥٠ أو ٨٧٠ م والجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ولم يؤلف كتاباً خاصاً فيها الا الجاحظ وكتابه في هذا الموضوع المسمى بنظم القرآن مفقود مع الأسف .

وستأتي آراء هؤلاء المعتزلة في حينها عند الكلام على كل منهم بمفرده مرتبين بحسب تاريخ وفاتهم . ولكل منهم رأي في الموضوع يخالف رأي الآخر . وظهر علم الكلام مع ظهور المعتزلة وبدأ فيه الكلام على مسألة الإعجاز كما يظهر في القرن الثالث من الهجرة فقد ألف فيه كتاب الدين والدولة في الدفاع عن الاسلام وإثبات النبوة للرسول العربي ومؤلفه هو علي بن ربن الطبري<sup>(١)</sup> مولى المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) وذكر في مقدمة الكتاب أن الخليفة أعان علي تأليفه وأورد فيه براهين على نبوة الرسول واختص الباب السابع منه للقول بأن القرآن هو معجزة النبوة وتدل براهينه والصفة التي تجلت فيها على أن هذه المسألة لم تطرق من قبل في علم الكلام وأنها لا تزال تؤخذ الى ذلك الوقت كما تؤخذ العقائد المسلمة التي يؤمن بها متبعوها إيمان المعجزات وأن أبحاث علم الكلام ما كان ينظر فيها جميعها على أنها وحدة متماسكة إلا على الندرة وكان يبحث في كل منها مستقلاً عن الآخر في بعض الأحيان<sup>(٢)</sup> .

وقد تكلم في هذه المسألة أيضاً ابو الحسن الأشعري (٣٢٤ هـ) وقد ضاعت كتبه الا قليلاً ولم يصل إلينا منها الا كتاب « مقالات الإسلاميين » ووقفنا على شيء من أفكاره في كتب أخرى كتبت عنه .

(١) راجع ترجمته في إخبار العلماء بأخبار الحكماء وقد ذكر أسماء مؤلفات له ولم يذكر بينها كتاب الدين والدولة .  
(٢) راجع مقال عبد العظيم الهندي في المجلة الاسلامية :

ومن أشهر المتكلمين الذين بحثوا مسألة الإعجاز محمد من يزيد الواسطي (٥٣٠٦) وعلي بن عيسى الرماني (٥٣٨٤) واحمد بن محمد الخطابي (٥٣٨٨) وأبو بكر محمد الباقلاني (٥٤٠٣) ومحمد بن يحيى بن سراقه (٤١٠) والشريف المرتضى (٤٣٦) .

ومن لم تصل كتبهم الينا متكلم كبير آخر هو أبو اسحاق الفرايبي المشهور بلقب الأستاذ (٥٤١٨) فقد تعرض لهذه المسألة في كتابه «جامع الجلي والخطي في أصول الدين في الرد على الملحدين» ومن جملوها جزءاً من كتبهم التي وصلت اليها ابن حزم (٥٤٥٦) في كتابه «الفصل في المال والنخل» والغزالي (٥٥٠٥) في كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد» والقاضي عياض (٥٥٤٤) في كتابه «الشفاء» .

وبدور علم الكلام على الإلهيات ، والنبوات ، تتناول الأولى مسألة الإعجاز من حيث أن القرآن كلام الله والثانية تقوم بجملة على فكرة الوحي ولا تصح النبوة من دون فكرة الإعجاز ، ورأى المتكلمون أن القرآن يتحدى العرب في أن يأتوا بمثله ويصف نفسه بأنه فوق طوق البشر ، والنبوي يقول في حديث له : «ما من نبي إلا وأوتي ما مثله آمن عليه البشر وأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً» فاستلهموا منها براهين الإعجاز .

ويبدأ المتكلمون بحثهم غالباً بأن القرآن مجزة النبوة كما فعل القرآن نفسه حين ردّ على منكري الرسالة وهم يقدمون خمسة أحكام يناقشونها ويقولون إنها اذا ثبتت صحت رسالة النبي وهي :

١) أنت النبي قد ظهر . ٢) أنه ادعى النبوة . ٣) أنه قدّم معجزة . ٤) أنه تحدى الآخرين ليأتوا بمثله . ٥) أن الناس قد عجزوا عن معارضته ولم يستطعوا أحد .

والحكمان الأولان مفروغ منها لأنه لا ينكرهما أحد . وتحدي النبي العرب

لا ينكره أحد لأنه مذکور في القرآن في أكثر من آية . وهم يستدلون على أن من تحداهم النبي قد عجزوا عن مثل القرآن لأنهم لو جاءوا به لوصل اليها كما وصل اليها الشعر الجاهلي والخطب وأنه لا يصح أن يقال إن المسلمين أخفوها أو إنها ضاعت لأن الخصوم كانوا يحفظونها لو وجدت ، ولا يتأتى أن يجعلها المسلمون لو وجدت لأنها تنقض ما يؤيد عقيدتهم . ثم إن اعتقاد الناس قروناً وأجيالاً بأنه فوق الطاقه كاف لأن يبرهن أن أحداً لم يستطع الاتيان بمثله . وما ذكر من معارضا للقرآن كان سخيفاً لا يوازيه . وحجة المتكلمين العامة على إعجازه هي ان العرب إن عجزوا عن مثله فغيرهم أعجز وقد اختلفوا في وجوه إعجازه وسنرى رأي كل منهم على حدة بعد هذه المقدمة .

وكتاب الباقلاني بين كتب هؤلاء الباحثين هو الحلقة الوسطى بين الأبحاث التي تتقدم للإثبات إعجاز القرآن وهو بلخص كلام من تقدمه من المؤلفين . واليه تنتهي ومنه تنفرغ كل الكتب التي ألفت بعده .

وفي نهاية القرن الرابع أي لدن وفاة الباقلاني تقريباً (٤٠٣ هـ) أخذت أكثر نظريات الإعجاز في علم الكلام شكها النهائي وسارت الأعصر التالية على غرار الأولى في التأليف وكانت مهمتها جمع ما قاله المتقدمون ولم تك مهمة المنكلم فيها وضع براهين جديدة بل وضع هذه البراهين في صور جديدة فالماوردي مثلاً بعد عشرين دليلاً على الإعجاز ولكن ليس فيها دليل جديد .

وأهم براهين المتكلمين على الإعجاز البلاغة والنظم البديع والمعاني الرائعة والإخبار عن الغيوب والأمور المستقبلية وغيرها مما ستره بعد بالتفصيل . وقد ذكر بعض المتكلمين دليل الصرفة . والمتكلمون من الشيعة أكثر ايراداً له من المتكلمين من أهل السنة (راجع ترجمة القطب الراوندي في أعلام الشيعة) وهذا يثبت الرابطة بين أصحاب التشيع النظريين والمعتزلة وبخاصة المتقدمين منهم . وبلاحظ في أبحاث المتكلمين بصورة عامة أنهم يخصون بعض صفحات من

كتبهم ليردوا على الانتقادات التي قال بها غير المسلمين وأحرار الفكر بعد أن بتعرضوا لمسألة إعجاز القرآن .

وقد أفرد أبو الحسن عبد الجبار ( الهمداني ) الأُسعد آبادي المتكلم ( ٤١٥ هـ ) لهذه الانتقادات والرد عليها كتاباً خاصاً شعر بالحاجة الماسة الى وضعه وسماه

« تنزيه القرآن عن المطاعن » ( وهو مطبوع في القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ ) .

ويرجع ما نعرفه من الإعجاز في علم التفسير الى نهاية القرن الثالث أو بداية الرابع وذلك لأنه لم يصلنا من التفاسير التي ألفت في القرن الثاني الا اسماؤها وقد اضطر المفسرون الى الكلام في الإعجاز لأن القرآن يتكلم على التحدي في عدة مواضع منها الآيات ( ٢١ ، ٢٢ ) من السورة الثانية وهي سورة البقرة وحفظ لنا من الكتب التي ألفت في القرن الثالث كتاب ابن جرير الطبري المتوفى ( ٣١٠ هـ ) في ثلاثين مجلداً كبيراً وهو عظيم القيمة وهو معلمة ضمت الأخبار المتعلقة بالقرآن في عهده وكان مثالاً لاحتذاء المفسرون المتأخرون كلهم . وهو يناقش هذه القضية أثناء تفسيره آية سورة البقرة في التحدي ( س ٢ آية ٢١ ، ٢٢ ) ويتكلم عنها بصورة بسيطة ليس فيها تعقيد الكلاميين الذي نراه في التفاسير بعده ولا يأتي ببراهين غير التي قدمها القرآن نفسه ويكتفي بشرح هذه الآيات .

وجاء على أثره من المفسرين الأولين حسن بن محمد القمي ( ٣٢٨ هـ ) وقد بقي كتابه وهو يناقش القضية في نفس الموضع ولعل من المهم أن نلاحظ الفروق في مناقشة هذه المسألة خلال ثلاثة أرباع القرن .

فالقمي يتبع في مناقشتها طريقاً أقرب الى طريق المتكلمين منها الى طريق المفسرين ويستعمل كل الاصطلاحات الفنية في علم الكلام مما يدل على أنه متكلم ومفسر معاً أو على أن علم الكلام قد مازج روحه الى جانب علم التفسير على حين أن ابن جرير الطبري مفسر فقط .

وكان من تلامه من المفسرين أكثر اتباعاً لطريقة القمي منهم لطريقة الطبري في هذه القضية أحياناً . وكثيراً ما نراهم يستمدون براهينهم من علم الكلام ولم يكن عمل القمي إلا بداية لسلسلة طويلة ، فلم يمض زمن حتى خرج التفسير عن ميدانه في هذه القضية وأصبح ميداناً لمناقشات علم الكلام ونظرياته وصار كل جانب يسعى لإثبات نظريته من القرآن فاستنبطوا من لغة القرآن البسيطة الخالية من الفلسفة كل الأفكار المحتملة وسعوا للتوفيق بين الفلسفة اليونانية وآيات القرآن .

ومن أشهر المفسرين الذين خاضوا في الإعجاز غير الطبري والقمي الراغب الاصفهاني (٥٥٠٢ هـ) في مقدمة تفسيره المنشور في نهاية كتاب تخرجه القرآن عن المطاعن لعبد الجبار الأسدأبادي المعتزلي (٤١٥ هـ) ، والرخشري (٥٣٨ هـ) في «الكشاف» ، وابن عطية الغرناطي (٥٤٢ هـ) في تفسيره ، وفخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) في تفسيره وغيره ، وبدر الدين الزركشي (٧٩٤ هـ) في كتابه البرهان في علوم القرآن<sup>(١)</sup> وجلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) في الإيقان في علوم القرآن ، وابن كمال باشا (٩٤٠ هـ) في تفسير وصل به الى سورة الصافات ، وأبو السعود (٩٨٢ هـ) في إرشاد العقل السليم ، والألومي (١٢٧٠ هـ) في تفسيره «روح المعاني» ، ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار «من الجزء الثاني حتى العاشر» ، وطنطاوي جوهرى في تفسيره «الجواهر» .

نعيم الحمصي

(يتبع)



(١) هذا الكتاب غير مطبوع وهو موجود في المدينة وفي مصر راجع مجلة المعارف المجلد ١٨ تاريخ ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٦ م ص ٤١١ .

# كتب مصورة

## في خزانة المجمع العلمي العربي

- ١ -

افتنى المجمع العلمي العربي حديثًا طائفةً من الكتب المصورة ينشر اليوم في مجلته قائمةً بأسمائها :

### أجزاء من الوافي بالوفيات للصفدي :

وهي : الخامس والسادس والثامن والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر • ومجلدان لم يذكر لهما رقم • وصفها كما يلي :

الخامس : أوله ترجمة « آدم بن عبد العزيز » وآخره ترجمة « أحمد بن سعيد »

عدد أوراقه ١٧٤ ورقة • من جامعة اوكسفورد • مخروم الأول •

السادس : يبدأ بترجمة « أحمد بن سلام » وينتهي بترجمة « أحمد بن محمد »

مخروم الآخر عدد أوراقه ١٤١ ورقة من جامعة اوكسفورد •

الثامن : أوله حرف الخاء « خاتون » وآخره « ابن السنينيرة » وهو تام

عدد أوراقه ١٩٧ ورقة من المكتبة الأهلية في باريس •

الحادي عشر : أوله ترجمة « الحسن بن علي » وينتهي بترجمة « حويطب بن

عبد العزى » وأول من اسمه « حيان » • ناقص الآخر عدد أوراقه ١٥٩ ورقة

من جامعة اوكسفورد •

الثاني عشر : يبدأ بترجمة « علي بن ادريس » وينتهي بترجمة « علي بن يعقوب »

عدد أوراقه ٢٤٧ ورقة من مكتبة المتحف البريطاني • وهو مخروم الآخر •

الثالث عشر: يتبدى بترجمة «زياد بن الأصفر» وينتهي بترجمة «سنقرشاه الأمير شمس الدين المنصوري» مذكور في آخره انه الجزء الثالث عشر . عدد اوراقه ١٧٩ ورقة من جامعة اوكسفورد .

الرابع عشر: أوله ترجمة «سُنين ابو جميلة الضمري» وآخره ترجمة «ابو عباد كاتب المأمون» تام عدد اوراقه ١٤٨ من جامعة اوكسفورد .  
الخامس عشر: في المجمع ثلاث مجلدات من هذا الجزء :

أولها: يتبدى بترجمة «سعيد بن علي ٠٠٠ بن حديدة» وينتهي بترجمة «صاعد بن الحسن - ابو العلاء اللغوي -» وهو جزء تام جاء في نهايته : (الجزء الخامس عشر من كتاب الوافي بالوفيات يتلوه ان شاء الله ابن الحسن الدمشقي والحمد لله رب العالمين ٠٠٠٠) يقع في ١٨٨ ورقة من المكتبة الأهلية في باريس .

وثانيها: تام يتبدى بترجمة «عبادة بن الصامت» وقد جاء في أوله : «بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين على كل حال اللهم أعن» وينتهي بترجمة «عبد الله بن محمد البادرأي الشافعي» عدد أوراقه ١٤٤ ورقة من مكتبة اوكسفورد .

وثالثها: كتب بخط مغربي يبدأ بترجمة «عبادة بن الصامت» وينتهي بترجمة عبد الله بن محمد ٠٠٠ يقع في ٩٨ ورقة من المكتبة الأهلية في باريس .  
السادس عشر: يبدأ هذا الجزء بترجمة «عبد الله بن عمر» وينتهي بترجمة «عبد السلام بن سعيد» وهو تام يقع في ١٠٥ ورقات من المكتبة الأهلية في باريس .

السابع عشر: أوله ترجمة «عبد السلام بن علي» وآخره ترجمة «عبيد الله بن الفضل» وهو تام في ١٠٧ ورقات من المكتبة الأهلية في باريس .  
وهناك جزآن فبين اسمه (محمد) . يتبدى أولها بترجمة «محمد بن طارق» وينتهي بترجمة «محمد بن عمار المهري الأندلسي» يقع في ١٧٨ ورقة من مكتبة

المتحف البريطاني . ويتبدى ثانيهما بـ « محمد عمر بن بن عبد العزيز ابو بكر بن الفوطية » وينتهي بترجمة « محمد بن يوسف بن عبد الله شمس الدين الشاعر الحياط الدمشقي » في ١٥٣ ورقة من مكتبة المتحف البريطاني .

### مرآة الزمان لابن الجوزي :

في المجمع صورة لتسعة أجزاء مختلفة من هذا الكتاب وصفها كما يلي :

المجلد الأول : يبدأ بمقدمة للكتاب أولها : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد ٠٠٠ » ثم تبدأ فصول الكتاب في الصفحة الثانية منه وينتهي بفصول « ذكر نبينا ﷺ » فصل في ذكر نسبه وأجداده ، وفصل في ذكر أبيه عبد الله . يقع هذا الجزء في ٢٥٦ ورقة من مكتبة المتحف البريطاني .

المجلد الثاني : ناقص الأول والآخر وقد سقط منه ثلاث وعشرون ورقة من وسطه من الصفحة ٢٨٨ حتى الصفحة ٣١١ . يبدأ بآخر السنة الخمسين وينتهي بالسنة التاسعة والثمانين للهجرة بترجمة عمران بن حطان السدوسي الخارجي ، من المكتبة الأهلية بباريز يقع في ٣١٤ ورقة .

المجلد الثالث : يتبدى بترجمة الربيع بن بونس ، وحوادثه بين سنة ١٧٦ و ٢٠٢ للهجرة . ينتهي بترجمة « عاصم بن صهيب » وهو مخروم من أوله وناقص من آخره . عدد أوراقه ١٥٣ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

المجلد الرابع : تقع حوادث هذا الجزء بين السنة التسعين بعد المائة والسنة الحادية والثمانين بعد المائتين ، تام . يبدأ بالكلام على يحيى بن خالد . يقع في ٢٣١ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز . وهو الجزء السادس من مرآة الزمان كما نض في آخره .

المجلد الخامس : تقع حوادثه بين السنة الثامنة عشرة بعد المائتين والسنة الثامنة والسبعين بعد المائتين أوراقه ٢٥٥ ورقة من مكتبة المتحف البريطاني .

المجلد السادس : يبدأ بحوادث سنة ٢٨٢ للهجرة وينتهي بحوادث سنة ٤٦٠ ستين بعد الأربعمائة أوله «وفي السنة التاسعة والسبعون بعد المائتين» وآخره : فصل السنة الستون وأربعمائة . أوراقه ٢٦١ ورقة من مكتبة المتحف البريطاني .

المجلد السابع : ورد فيه حوادث السنة الثامنة والخمسين بعد الثلاثمائة حتى السنة الأربعمائة وهو الجزء السادس عشر من المرآة . تام في أوله «ذكر ماجرى بين أولاد ناصر الدولة» وينتهي بآخر حوادث السنة الأربعمائة بالكلام على «ابو عبد الله القمي» أوراقه ٢٤٦ ورقة من المكتبة الأهلية بباريز .

المجلد الثامن : وهو القسم الأول من الجزء الثاني عشر من المرآة تام يبدأ بحوادث السنة الأربعين والأربعمائة وينتهي بحوادث السنة السابعة والستين والأربعمائة أوراقه ١٦٠ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

المجلد التاسع : وهو القسم الثاني من الجزء الثاني عشر من المرآة مخروم آخره يبدأ بحوادث السنة الثامنة والستين والأربعمائة وينتهي بحوادث السنة السابعة عشرة والخمسمائة للهجرة . عدد أوراقه ١٥٥ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

المحمدون من الشعراء للقفطي :

تام . جاء في صفحته الأولى من المقدمة : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . الحمد لله الذي أدب أمثرف خلقه بأحسن الآداب . . . ثم بدأ في الصفحة التالية بترجمة «محمد بن احمد الرقي» حرف الألف . . . وينتهي الكتاب بترجمة «محمد بن سعيد بن محمد . . . البغدادي . . . المعروف بابن الرزاز» عدد أوراق هذا المجلد ١٣١ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز .

خريدة القصر للحماد الكاتب الاصفهاني :

في المجمع صور لثانية أجزاء من هذا الكتاب وصفها كما يلي :

المجلد الأول : يتدئ بمقدمة المؤلف وهو الجزء الأول من الكتاب يقع في ١٩٩ ورقة من المكتبة الأهلية في باريز . تام .

المجلد الثاني : يتبدى بترجمة « المهذب ابو الحسين احمد بن منير الطرابلسي » وينتهي بترجمة « الفقيه ابو بكر المحيرفي » . وقد جاء في آخره مانصه : ( وهذا آخر ما وقع إلي من شعراء اليمن الى آخر سنة اثنتين وسبعين والحمد لله رب العالمين . . . . . ) ويتلوه القسم الرابع من كتاب خريدة القصر وجريدة العمر . وهذا الجزء مجلد في قسمين يقع الأول في ١٣٥ ورقة ويقع الثاني في ١٥٤ ورقة . من المكتبة الأهلية في باريس .

المجلد الثالث : ناقص من أوله . يتبدى بترجمة « ابو الحسين العسكري المصري » وينتهي بترجمة « رجل من عسقلان » . يقع هذا الجزء في ٣٠٣ ورقات . من المكتبة الأهلية في باريس .

المجلد الرابع : يتبدى بترجمة « بن ذو البراعتين تاج اصفهان » وأغلب هذا الجزء في ترجمة القاضي ابي بكر الارجاني . عدد اوراقه ١٤٠ ورقة من مكتبة جامعة او كسفورد .

المجلد الخامس : وهو الجزء الثالث من الخريدة أوله تمة ترجمة ابن الخازن البغدادي وآخره ترجمة الحسين بن ثابت . يقع هذا الجزء في ١٩٢ ورقة من المكتبة الأهلية في باريس .

المجلد السادس : وهو الجزء الحادي عشر من الخريدة كما جاء في أوله . يتبدى بباب في ذكر محاسن فضلاء جزيرة صقلية ، وينتهي بترجمة « ابو الحسن جعفر ابن ابراهيم اللسقي » . وهو تام ، اوراقه ١٩٩ ورقة من المكتبة الأهلية في باريس .

المجلد السابع : أوله « ابن خفاجة الاندلسي » وآخره ترجمة « ابن المصبي الاندلسي » وهو جزء تام عدد اوراقه ٩٥ ورقة من المكتبة الأهلية في باريس . المجلد الثامن : وهو نسخة ثانية عن المجلد السابع الذي سبق ذكره . خطها جيد جميل بخلاف سابقتهما وليس فيها اختلاف عن تلك . اوراقها ٢١٩ ورقة من المكتبة الأهلية في باريس .

قطب السرور في أوصاف الخمر:

لأبي اسحق ابراهيم المعروف بالرفيق النديم . وهو كتاب طريف يقع في جزأين بـ ٢٤٧ ورقة ، من مكتبة المتحف البريطاني .

تاريخ داريا:

كتاب يبحث في تاريخ داريا ومن نزل بها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين تصنيف القاضي ابي علي عبد الجبار بن عبد الله الخولاني الداراني . يقع في ٣٧ ورقة وقد طبعه المجمع العلمي العربي . وهو من مكتبة المتحف البريطاني .

فاكهة المجالس وفكاهة المجالس:

لأحمد بن عبد الدايم المقدسي يقع في ٢٣٦ ورقة اوله المقدمة للكاتب وهو مختار من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر . وآخره مانصه : آخر المجلدة الأولى من المتتقى بتلوها في الثانية عن كعب الأخبار قال خرج ابو يعقوب والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي آله وسلم . من مكتبة جامعة اوكسفورد .

الجزء الخامس من كتاب البرق الشامي:

لمحمد بن محمد بن حامد . وفيه سيرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . يقع في ١٣٨ ورقة من مكتبة جامعة اوكسفورد . وقد ورد في آخره : تم الجزء الخامس من البرق الشامي بحمد الله ومنه . . . . . يتلوه في الجزء السادس ودخلت سنة ثمانين .

الحكم في اللغة لابن سيده:

تام من أوله يتبدى بالبسملة وهو المجلد العاشر من كتاب الحكم كما نص في آخره يقع في ٢٩٣ بنتهي ( بباب الخامي ) من مكتبة المتحف البريطاني .

## التعريف والنقد الأسرة في الشرع الاسلامي

وضع هذا الكتاب الأستاذ عمر فروخ : الدكتور في الفلسفة ، ومن أعضاء  
المجمع العلمي العربي في دمشق ، وعضو جمعية البحوث الاسلامية في (بومباي) .  
يقع الكتاب في مئة وتسعين صفحة من القطع الكبير .  
مهد المؤلف كتابه ، بكلمة عنوانها : «نطاق هذا الكتاب» وعقب بعدها  
بـ «مصادر هذا الكتاب» ثم بـ «الإجتاع الانساني أساس التشريع» وجعل  
هذا البحث مجاري أربعاً . بدأها بالمجري الأول وهو (السومريون - الأكاديون)  
الى أن انتهى بالمجري الرابع وهو (أوربه) ثم «الشرع العربي في العصر الجاهلي  
والتشريع في الاسلام» فذكر مصادر هذا الشرع ، والمذاهب وأصحابها . وبعد  
ذلك يتناول أحوال الأمرة (وهو موضوع كتابه) من زواج وما يتصل به  
من : مهر ونسب وبنوة وحضانة ونفقة . والولاية ، والوصاية ، والبلوغ ،  
والرشد ، والحجر ، والهبة ، والوصية ، والمفقود ، والنشوز ، والطلاق ، والارث . . .  
قال في «كلمته الأولى» : ليس هذا الكتاب للعلماء ولا للباحثين ولا للقضاة  
أو المحامين ، ولكنه للقارئ العام الذي انقطعت الصلة بينه وبين موضوع التشريع  
للأسرة وأحوالها . اني أعتقد ان كثيراً من المشاكل العائلية ، التي تنتهي  
الى المحاكم ، ناشي عن جهل الناس لحقيقة «التشريع العائلي» . ولا ريب في  
أن معرفة هذا التشريع عامل أساسي في اسعاد الأمرة . من أجل ذلك قصدت  
في هذا الكتاب الى بسط مبادئ التشريع في الاسلام ، بأسهل ما يمكن من  
اللغة ، وأوضح ما يمكن من البيان ، مع الاستغناء عن التطويل ما أمكن .

وقد صدق المؤلف في ما قال ، ووفق في ما قصد اليه ، فناء كتابه سهلاً واضحاً ومفيداً ، اذا لم يكن للباحث والعالم - علي ما قال في كلمته - فان القاضي والمحامي اللذين أخرجهما - تواضعاً - من نطاق كتابه ، يحتاجان اليه أيضاً في المراجعة العاجلة ، والنظرة السريعة ، فكيف بالقارئ العام ، الذي وضع المؤلف كتابه له . وفي الكتاب آراء قوية يحسن أن يلتفت اليها ، وان يتدبرها أولو الألباب ، بالعمل لا بالقول . فقد ذكر المؤلف في ما ذكره : « ان للتشريع في الاسلام فائدة اجتماعية عملية . . وان الدين جاء لاسعاد الانسان ، فيجب ان يكون التشريع سبيلاً من هذه السبل التي تؤدي أيضاً الى هذا الاسعاد ، والتشريع في الاسلام لم يكن قاسماً جامداً ، بل كان فيه مذاهب تدرأ عن الانسان الحدود ما أمكن . . » .

ويقول في محل آخر : « فالشرائع اذن وسيلة الى غايات ، لا غاية في نفسها : انها سبيل الى اقرار العدل بين الناس ، لا أداة لاسعادهم ، ثم هي مبنية على العقل والمنطق ، لا على الاستبداد والهوى » .

ولعله كان يكون من الأسهل على « القارئ العام » الذي وضع المؤلف كتابه له ، لو انه لم يحشر فيه بعض الآراء المختلفة ، والمذاهب المتغايرة ، فلا يعرف هذا « القارئ » بأنها يأخذ ، وعلى أيها يعتمد . . واذا كان لا بد من ذكر شيء من هذه الأنظار المتباينة ، فيشير اليها في الحاشية . تحفيقاً عن ذهن « القارئ العام » ويختار له في المتن الرأي الراجح ، الذي يسير الزمن الحاضر . وبعد ، فانا نرجو لهذا الكتاب الرواج الذي يستحقه ، وان تعتمده المدارس تسمى لمعرفة ما يسمونه اليوم بـ « الأحوال الشخصية » ومن أجل المعلومات الاجتماعية والمدنية أيضاً .

شكر الله للأستاذ عمله في تأليفه ، ووفقه الى ما فيه خدمة أمته ومصالحها .

## كتاب تاريخ افرنج

ألف هذا الكتاب باللغة الفارسية ، رشيد الدين فضل الله ابي الخير<sup>(١)</sup> ، وهو جزء من تاريخه المطول « جامع التواريخ » وعني بنشره وتصحيحه ، ونقله الى اللغة الفرنسية « كارل يان K, Yahn » الأستاذ في جامعة « اوترخت Utrecht » وطبعه في « ليدن Leiden » من هولنده سنة ١٣٧٥ هـ ١٩٥١ م . والنسخة الفارسية تقع في ست وخمسين صفحة . والفرنسية في ست وسبعين . والطبع متقن ، والورق جيد .

قدم الناشر الكتاب ، بكلمة ذكر فيها بالخير ، أولئك الذين عاونوه في اخراج هذا التاريخ وترجمته وتصحيح مسوداته . ثم مهد له بمدخل ذكر السبب الذي من أجله وضع ابو الخير كتابه ، وعد عملهم هذا من المحاولات الأولية ، بل المحاولة الأولى في وضع تاريخ عام . ورشيد الدين المتوفى سنة ١٣١٨ م رجل من رجال الدولة المغولية ، ومؤرخ من كبار مؤرخيها المهدها . و« تاريخ افرنج »

(١) هو رشيد الدين فضل الله الطبيب والوزير من رجال الفرس المؤرخين . ولد في همدان واشتغل في التاريخ والطب وكان طبيب آل جنكزخان . ولي الوزارة أيام غازان ثم قتل بأمر أحد خلفائه . وهو مصنف التاريخ المشهور بجامع التواريخ . وهو تاريخ كبير في دولة جنكزخان وأولاده . ذكر فيه انه لما شرع في تبييض الكتاب ، مات غازان سنة ٧٠٤ : وقام مقامه ولده خدا بنده مجلد . فأمره باتمامه ، وادخال اسمه في العنوان ، وبالحاق أحوال الأقاليم ، وأهلها ، وبأن يجعل جامعا لتفاصيل ما في كتب التواريخ . وأمر من تحت حكمه من أصحاب تواريخ الأديان والفرق ، بالامداد اليه من كتبهم . وأمر بأن يجعله مديلا بكتاب صور الأقاليم ، ومسالك الممالك . فكتب أحوال الدولة الخنكزية ، وأورد الترك مفصلا في مجلد . وذكر خلاصة الوفيات في مجلد آخر . وأورد صور الأقاليم في مجلد آخر — على أن يكون ذيلاً له — ونقل أخبار كل فرقة على ما وجد في كتبهم بلا تغيير . وهذا الكتاب كتب بالفارسية ، ومنه نسخة في المكتبة الملكية بباريس . وترجم منه كاترمير القسم المختص بالمنول والفرس الى الفرنسية . وطبع سنة ١٨٣٦ .

عن دائرة المعارف للديستاني

عن كشف الظنون

يتناول تاريخ الغرب «الفرنجة وباباواتها وأباطرتها» وأديان هذه الشعوب وعقائدها ، وحدود الامبراطورية الأرمينية ، ومدانها . وبلاد الفرنجة ، وجزايرها . وخصائص هذه البلدان وطبائع أهلها .

ويرى الناشر ان المصادر التي اعتمدها المؤلف في كلامه على هذه الشعوب وأحوالها ، هي بعض التقاويم الغربية ، التي وضعت في القرن الثالث عشر . وفيها ما كان نقل الى كثير من اللغات الأوربية ، فاشتهر أمرها ، ووصل بعضها الى المؤلف ، فاطلع عليها ، أو عرف ما فيها .

يبدأ رشيد الدين كتابه بوصف بلاد «الفرنجة» فيقول : بلاد واسعة كبيرة ، واقعة في الشمال الغربي من العالم . يمتد بحر الروم حوالها من الغرب الى الشرق ، فيكون حدها الجنوبي ما بين طنجة والشام ، ويجدها من الشمال الروس والترك والصقالبة ، ومن الشرق بلاد يونان ، وأما من الغرب فيجدها البحر الغربي المعروف بالأوقيانوس . وأول هذه البلاد للقادم من الشرق هي بلاد «المانية» ثم «فرنسة» وهي في الوسط ثم «الأندلس» .

ورومية العظمى ، هي عاصمة «الفرنجة» أنشأها «ساتورنوس Saturne» المعروف بـ «نمروذ» . ويمضي ابو الخير يتحدث عن الخرافة الشائعة في تأسيس هذه المدينة ، ثم يصف البلاد ، دولة دولة ، ويذكر العاصر من مدنها ، وحكامها ، وألقابهم ، ومن منهم يتولى الحكم بالوراثة ، ومن يتولاه بالانتخاب . ثم يجيء الباب الرابع من القسم الثاني ، وفيه الكلام عن مولد عيسى ، وما رافقه ، وعقبه من أحداث ، ثم من تولى الملك ومن تولى البابوية ، مبتدأً هكذا :

تاريخ الامبراطور «أوغست» المعروف بـ «اوكتيفيانوس Octavien» ملك اثنتين وأربعين سنة قبل المسيح . وهو أول من لقب منهم بالقيصر . وكان رجلاً عاقلاً شجاعاً . ومدة ملكه كلها خمسون سنة كاملة .

ويستمر في هذا : يذكر الحاكم ، ومن عاصره من الباباوات ، واحداً واحداً ،  
 والمدة التي تولى كل منها فيها من السنوات والأشهر حتى الأيام أحياناً .  
 الى الامبراطور ادولف « دودلفوس قيصر » وهو الذي حكم تسع سنوات ،  
 وستة أشهر ، وذبح مئتين وخمسين ألفاً من المسلمين لمدن سورية الساحلية وتخريبهم  
 « Lucera » انتقاماً لما كان من فتح المسلمين لمدن سورية الساحلية وتخريبهم  
 كدناش تيرز في بلاد ايران على عهد غازان خان .  
 وينتهي الكتاب في سنة خمس وسبع مئة للهجرة ، وهي السنة الأولى من  
 ولاية البابا ( بنوكتوس Bénéfît ) .  
 فنشكر الناشر فضله وعنايته بهذا الكتاب ، ونود لو نقل الى العربية ونشر فيها .



### كتاب

## أدب الاملاء والاستملاء

ألف هذا الكتاب عبد الكريم بن محمد السمعاني . واعتنى بتصحيحه ونقله  
 الى الألمانية ، الأستاذ « مكس ويسويلر Max Weisweiler » وطبعه طبعاً  
 جيداً في مطبعة بريل بمدينة « ليدن Leiden » سنة ١٩٥٢ .  
 واسم الكتاب ، يدل على موضوعه دلالة واضحة ، أوجزها المؤلف في مطلع  
 مقدمته بقوله :

« . . . أما بعد فقد سألتني يا أخي رعاك الله وحفظك عن أدب الاملاء  
 والاستملاء ، وما يحتاج اليه المحلي والمستعربي من التخلق بالأخلاق السنية ، والافتداء  
 بالسنن النبوية ، وشرطت علي أن يكون مختصراً ، فإن المهم قاصرة ، واعلام  
 الحديث مندرسة ، والرغبات فاترة . فاستخرت الله سبحانه وتعالى ، وشرعت  
 في جمعه ، واقتصرت على ايراد ما لا بد منه ، وما لا يستغني عنه المحدث الألمي ،

(١) من مدن ايطالية ، « حاضرة فوجيه Foggia » سكانها اليوم يزيدون  
 على أربعة عشر ألفاً .

والطالب الذكي ، ويحتاج اليه غيرهما من يربد معرفة آداب النفس ، واستعمالها في الخلوة والمجالس» .

ويمضي المؤلف في أحاديثه بالكلام المسند ، والأخبار المتصلة ، على الطريقة التي جرى عليها بعض المؤلفين المتقدمين ، حتى في موضوعات تافهة يستغنى فيها عن الإسناد والسلسلة والعننة .

وبعد أن بنوه المؤلف بقيمة الاملاء ، ومن كان يعقد له مجلساً عاماً من الخلفاء وغيرهم ، « ينتقل الى أدب المهلي » فيجمل له فصلاً خاصاً ، يصف فيه ما ينبغي له من كرم الخلق ، وكال الهيئة ، وحسن الزينة ، وصدق الوعد ، واصلاح أموره التي تجمله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين ، وأين يكون مجلسه ، وكيف يكون صوته ، وأن لا يحدث الآ من كتابه ، فان الحفظ خوان . وان لا يغرب في حديث ، فشر العلم الغريب ، وخير العلم الظاهر . وان لا يروي ما لا يحتمله عقول العوام . وان يفسر ما يحدث به ، فتفسير الحديث خير من مماعه . ولا يفسر الآ ما عرف معناه ، وأما ما لم يعرفه فيلزمه السكوت عنه . ويكره له املال السامع واضجاره ، بطول الاملاء واكثره . وان يجتم المجلس بالحكايات والنوادر ، ثم بالأناشيد والأشعار .

ويذكر ما يجب من « المعارضة بالمجلس المكتوب واتقانه ، واصلاح ما أفسد منه زيبغ القلم وطفيناه (١) » .

وبعد ذلك « فصل في اتخاذ المستملي وأدبه » والمستملي هو الذي يبايع الاملاء عن المهلي الى من بعد عن الحلقة . ويستحب للمستملي ان يقعد على موضع مرتفع مثل دكة او كرسي ، فان لم يجد استملى قائماً ، لأن المقصود من الاستملاء أن يبلغ جميع الحاضرين ، وينبغي له أن يكون جهوري الصوت ، وأفصح الحاضرين لساناً ، وأدبهم بياناً ، وأحسنهم عبارة ، وأجودهم أداءً .

(١) وهو ما نسيه اليوم بـ « المقابلة » .

ثم «فصل في آداب الكاتب» ووصف ما يحتاج اليه من آلات النسخ :  
«الحبرة» و«القلم» و«المقلمة» و«السكين» و«الحبر والكاغد» وما يتعلق به ،  
وبالخط وطريقته وشروطه .

وفي الكتاب كثير من المقطوعات المنظومة المفقاة ، وهي في جملتها الى النظم  
أقرب منها الى الشعر . كقول القائل في إغارة الكتب .

لا تمنع الأهل كتبك واغتنم في كل وقت أن تعير كتابا  
فمعيها كعير ماعون فمن ينعسه لاقى الويل والأنصبا  
وأشار الناشر في الحاشية ، الى ان في نسخة من نسخ الكتاب «الأوصابا»  
مكان «الأنصبا» ولسنا ندري ما الذي حمله على ترجيح «الأنصاب» على  
«الأوصاب» .

ومن الحق أن يشكر الناشر على جهده ، وعنايته بهذا الكتاب ، واخراجه  
هذا المخرج الحسن الشائق .

عارف النكري

ص ٥٥٥

### تاريخ الحافظ ابن عساكر<sup>(١)</sup>

مرت أثناء مطالعتي تاريخ ابن عساكر على كلمات يسيرة وقع فيها شيء من  
التحريف فأحببت المشاركة في بيان وجهها الصحيح ، في رأبي ، وقد يكون  
رأبي خاطئاً - تلبية لدعوة الأستاذ المنجد الذي أبت له نزعة العلمية المجردة  
من كل شائبة إلا أن يقول : ( وهذا التاريخ من مفاخر التراث العربي فليفضل  
من يجد فيه خطأً أو خلافاً بتصحيحه فانما هو ملك للمسلمين والعلماء عامة ) .

١ - في صفحة ٤٣٤ ( وخرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار حين خرج  
أسامة حتى بلغ تقعا حذاء نجد وهرت الأعراب بذرايرهم ) وحشى الأستاذ المنجد

(١) من مقالة للأستاذ حمد الجاسر في جريدة « البلاد السعودية » .

على (نقع) فائلاً (بالتفتح ثم بالسكون موضع قرب مكة في جنبات الطائف ، معجم البلدان ٨٠٥/٤) وقد رجعت الى المعجم حينما استشكلت كلمة (نقع) فلم أجد فيه في هذه المادة سوى : (النقع موضع قرب مكة في جنبات الطائف قال العرجي بذكره :

لحيني والبلاء لقيت ظهراً بأعلى النقع أخت بني تميم  
فلما أن رأيت عينيها منها أسيل الخلد من خلق عميم  
وعيني جوذر خرق وثغراً كلون الأفحوان وجيد ريم  
حنا أتراها دوني عليها حنو العائدات على السقيم

لم يزد ياقوت في المعجم على هذا . ولكن أين النقع الذي في جنبات الطائف من المكاف الذي وصل اليه ابو بكر حذاء نجد ؟ أرى ان الاسم مصحف وصوابه : (بقعاء) قال ياقوت (في المعجم ج ٢ ص ٢٦١) : وبقعاء الموضع الذي خرج اليه الصديق رضي الله عنه لتجهيز المسلمين لقتال أهل الردة وهو تلقاء نجد ، على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة . قال الواقدي : وبقعاء هو ذو القصة وكذا قال السهمودي مؤرخ المدينة في وفاء الوفاء (ج ٢ ص ٢٦٤) .  
٢ - وفي صفحة ٤٢٦ - في الكلام على (أبني) قال الحافظ (وأهل الشام يقولون بيني بالياء وكلا القولين صواب وقد تبدل الألف ياء والياء همزاً في مواضع كقولهم أحمد ومحمد ، وأساف ويساف ، وأخامر ويخامر) ، ولعل الصواب في كلمة (محمد) يحمد . وفي كلمتي (اخامر ويخامر) احامر ويخامر إذ يحمد جد قبيلة ، وأحامر جبل وموضع في نجد وفي الحجاز (راجع المادتين في معاجم اللغة ومعاجم الأمكنة ، وانظر بحث ابدال الهمزة ياء في اصلاح النطق لابن السكيت ص ١٨١ وفي المزهج ج ٢ ص ٤٦٣ نجد خمسة عشر اسماً من

هذا الباب ؟ وليس منها ما ذكره ابن عساكر هنا (\*) .

٣ - وفي ص ٤٢٧ ( ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم وأشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود راية أبي بكر فقال له أسامة يا خليفة رسول الله لتركبني أو لأنزلن فقال والله لا تنزل ولا أركب وما أن أغير قدي في سبيل الله ) كذا وردت كلمة ( يقود راية أبي بكر ) والمتبادر ( دابة أبي بكر ) فلعل ما هنا تطبيع .

٤ - تكرار اسم المحدث المعروف عبد الله بن طيبة المصري المتوفى سنة ١٧٤ ( على ما في الخلاصة ) في الكتاب وقد صبغت كلمة ( طيبة ) بفتح اللام واسكان الهاء وفتح الياء والعين في ستة مواضع في الصفحات ( ٤٠٥ / ٤٠٦ / ٤٧٩ / ٤٨٠ / ٥٢٨ / ٦٠٠ ) مع أن المعروف في كتب الرجال في ضبطها فتح اللام وكسر الهاء واسكان الياء وبدل على هذا قول صاحب القاموس المحيط ( اللهيمة العفلة كاللهاعة ، والكسل والفترة في البيع حتى يفغن وعبد الله بن طيبة الحضرمي قاضي مصر محدث وثق ) وكذا في شرحه الناج . وقد ترجم الحافظ الذهبي ابن طيبة في الميزان ( ج ٢ ص ٦٤ ) .

٥ - وفي صفحة ٣٩٣ ( وزعموا والله أعلم - أن يعلى بن منبه قدم على رسول الله ﷺ بجزير أهل مؤتة ) . كذا جاء اسم ( منبه ) بالنون والباء المشددة . والصواب ( منية ) بالميم بعدها نون ساكنة فياء مثناة تحتية فتاء مربوطة - وهذا اسم أمه أو جدته - واسم أبيه ( أمية ) وقد وقع هذا التصحيف لبعض كبار العلماء كابن عبد البر في الاستيعاب ولكن الحافظ ابن حجر نبه على ذلك فقال في الاصابة ( يعلى بن أمية بن عبيد . . وهو الذي يقال له يعلى بن منية بضم الميم

(\*) ولا تزال هذه اللهجة - لهجة إبدال الهمزة ياء - مستعملة عند بعض القبائل البرية في عهدنا الحاضر ، فبنو 'وس ( نخذ من بني الحارث ) يدعوم قومهم ، ودعون أنفسهم ( بني يوس ) ، والكلب ، القبيلة القديمة المعروفة تسمى ( يكلب ) ، ووادي ارتند يسمى ( يرتند ) .

وسكون النون وهي أمه وقيل أم أبيه) ذكر هذا في حرف الياء في القسم الأول ، ثم ذكر في حرف الميم (منه روى عن النبي ﷺ في الذي أحرم بمعرة وعليه جبة وهو مختلق ، هكذا أورده ابن عبد البر وتعقبه ابن فرحون فقال هذا وهم ظاهر والحديث في الصحيحين ليعلى بن أمية وهو ابن منية بسكون النون بعدها تحتانية مثناة وهي أمه أو جدته وأميه أبوه وقد ذكره ابو عمر بن عبد البر على الصواب في يعلى) .

٦ - وفي صفحة ٤٠٣ قال الأستاذ المنجد عن قبيلة بني عذرة (من بني عمران من قضاة طرفة الأصحاب ٥٦) وطرفة الأصحاب ليس من الكتب المحررة المحققة . وقد نسب ابن الكلبي والممداني بني عذرة بأنهم بنو (عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف) وذكر ان لالحاف هذا ثلاثة أبناء عمران وعمرو واسلم . فعدا عذرة من بني أسلم (انظر المقنضب من جمهرة النسب ورقة ١٠٥/٩٢ نسخة دارالكتب المصرية . والا كليل ج ١ ص ١٥ نسختنا الخطية) .

٧ - وعلى ذكر قبيلة عذرة رأيت الأستاذ المنجد ذكر في صفحة ٤٣٢ عند ايراد المؤلف اسماء الذين كتب اليهم الصديق لمحاربة المرتدين ومنهم سعد هذيم فكتب ابو بكر الى معاوية العذري للقيام بجرهم فاختار الأستاذ المنجد (العذوي) وضبط العين بالفتح والوار بالسكون ضبط قلم وأشار في الحاشية الى ان في نسختين من الأصل وفي الطبري (العذري) وقال (وهو كما أثبتنا في الاصابة ٦/١١٧) وقد رجعت الى الاصابة فوجدت فيها (ج ٢ ص ٤١٧ طبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٨) ما هذا نصه (معاوية العذري ذكر سيف في كتاب الردة ان ابا بكر كتب اليه بأمره بالجدد في قتال أهل الردة) . واذن فاتفق نسختان من الأصل وتاريخ الطبري والاصابة على كلمة (العذري) ومعاوية من سعد هذيم وسعد هذيم من عذرة فتكون هذه الكلمة هي الصواب .

٨ - وأرى ان صحة كلمتي (سواكة) و (العرير) الواردتين في صفحة ٤٦٥

(سكاكة) و (الغوير) لوجود هذين الموضوعين في الجهة التي سلكها خالد رضي الله عنه في طريقه الى الشام ولتشابه الكلمتين في الكتابة . ففي المعجم (٩٧/٥) سكاكة احدى القريات التي منها دومة الجندل وقال (ج ٣١٦/٦) الغوير ماء لكلب بارض السماوة بين العراق والشام .

٩ - يرى الأستاذ محمود شاكر ان صحة بيتي عمرو بن الطفيل الدوسي الواردين صفحة ٥٤٠ هكذا :

قد علمت دوس بشطي تغلم الخ .

وأرى ان الصواب ما أورده المؤلف الا في كلمة (يشكر) فصوابها (شكر) اسم قبيلة من قبائل الأزد - دوس من الأزد والشاعر ازدي - وأرى أيضاً ان تقرأ باسكان (الميم) .

أما الموضوع المعروف باسم تغلم فقريب من المدينة - وبعيد جداً عن منازل دوس الذين لا يزالون في أمكنتهم القديمة - سراة الحجاز جنوب الطائف بمسيرة أربعة أيام .

وأقف من كلتي هذه عند هذا الحد آملاً أن يوفق الله الجميع للاسراع بطبع بقية المجلدات التسعة والسبعين . ولا يفوتني ان أوجه شيئاً من العتب (عتب الأخ على اخيه للأستاذ احمد عبيد واخوانه الذين طبعوا من مختصر هذا الكتاب العظيم سبعة أجزاء ثم وقفوا ، وكلمة فيها شيء من العتب أيضاً أوجهها لصديقنا الأستاذ الكرم السيد صلاح الدين المنجد على ما جاء في مقدمة الكتاب من قوله : (ابن الجوزي حنبلي بكره الأشاعرة والشافعية) ص ٦ وقوله (واعل حنبلية ابن الجوزي هي السبب في غمزه وتنقصه) ص ٢٧ . وقوله (فالبيبين في الحقيقة ، صدى لافتراء الحنابلة ، وتمصهم على الأشاعرة والشافعية . وقد كان الشريف عبد الوهاب الحنبلي ألف في الرد على الأشعري ، فجاها الحافظ يدافع عنه) ص ٢٩ . ما كان التمدح بهذا الامام احمد بن حنبل - رحمه الله - سبباً في غمط

الناس حقهم ولا في بغض علماء الاسلام ، وجهابذته الأعلام ، وما كان الخنابلة كلهم ذوي افتراء وتمصب على الشافعية ، ولا على صحيحي المعتقد من الأشاعرة . وما كان يسوغ الاطلاق والتعميم بمجرد قول الواحد أو الفئة القليلة وابن الجوزي والله يعفو عنا وعنه — قد ألف كتاباً في الرد على علمين جليلين من علماء مذهبه سماه ( الباز الأشهب المنقوض على مخالف المذهب ) فهل يسوغ مع هذا القول بأنه يكره الخنابلة ؟؟ وكثير من محققي الخنابلة يردون كثيراً من أقواله ، وخاصة في الصفات . بل كثير من الشافعية ينزهم خصومهم بالانحراف ، ليلهم الى آراء المحققين من علماء الخنابلة — والامام ابو الحسن الأشعري رحمه الله صرح في كتابه ( مقالات الاسلاميين ) انه على مذهب الامام احمد بن حنبل ، في باب الاعتقاد . ولا يجهل أحد من العلماء ما بين شيخ الاسلام ابن نيمية وبين كبار شافعية وقته من الصلة القوية والصدافة كالحافظ المزي ، والحافظ الذهبي وابن كثير وغيرهم . ( ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ) وحيا الله المجمع العلمي العربي ، وحيا الله رجاله العلماء العاملين .

حمد الجاسر (الرياض)

(استدراك)

أولاً — ورد في الصفحة ٢٠٢ السطر ١٧ من الجزء الثاني من المجلد السابع والعشرين من هذه المجلة كلمة « كاتب العدل » وورد في الصفحة ٢٠٣ السطر ١٢ كلمة « كتاب العدل » والصواب : « الكاتب العدل » و « الكتاب العدل » .  
ثانياً : ورد خطأ في فهرس الجزء الثاني من المجلد نفسه أيضاً أن كاتب مقال « التشريع اللبناني واحكام الوصية العامة » هو الدكتور عمر فروخ والصواب : الدكتور صبيحي الحصاني .

## (الرياض الناضرة ، والحدائق النيرة الزاهرة)

« في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة »

« تأليف عبد الرحمن السعدي طبع بمطبعة الامام نصر في ٢٠٠ صفحة »

مؤلف الكتاب من علماء نجد المعاصرين وموضوعه ديني أخلاقي افتتح بسرد ترجمة المؤلف بقلم أحد تلاميذه . ثم يقول المؤلف (أما بعد فهذه كلمات طيبات نافعات . ومقالات متنوعة في المهم من أصول الدين وأخلاقه وآدابه) . والفصول الأولى من الكتاب تضمنت أصول العقائد ثم أصول العبادات ثم فصولاً في الأخلاق كالصدق والأمانة والحث على المشاورة وواجبات أهل العلم في ما بينهم وبين الناس ودلالة القرآن والسنة على العلوم العصرية . . وان النظم الإسلامية فيها صلاح الأحوال وفصلاً في الرياضة . وفي بحث الرياضة هذا قال المؤلف : (أما الرياضة البدنية فبتقوية البدن بالحركات المتنوعة . ولكل قوم عادة وإذا تديرت الفوائد الشرعية في الحركات البدنية عرفت أنها معنية عن غيرها فحركات الطهارة والصلاة الى آخره . أقول لا أرى قول المؤلف هذا في الاستغناء عن الرياضة البدنية بحركات العبادات - سديداً ولا موافقاً للواقع ولا سيما إذا لاحظنا قوله ( صلى الله عليه وسلم ) إذا أتيتم الصلاة فأتوا وعليكم السكينة والوقار الى آخر الحديث (أو كما قال) والرياضة البدنية النافعة لا سكانية معها . ولا وقار فيها كما لا يخفى .

وقد ختم الكتاب بفصل تضمن آداباً منشورة حسنة الفائدة منها قوله : (من الغلط الفاحش الخطير قبول قول الناس بعضهم ببعض . ثم يبني عليه السامع حباً وبغضاً . ومدحاً وذمماً . فكم حصل بهذا الغلط أمور صار عاقبتها الندامة . وكم أشاع الناس عن الناس أموراً لا حقائق لها بالكفاية أو لها بعض الحقيقة . فتمت بالكذب والزور خصوصاً من عرفوا بعدم المبالاة بالنقل أو عرف منهم الهوى فالواجب على العاقل التثبت والتحرز وعدم التسرع وبهذا يعرف دين العبد ورزاقته وعقله انتهى . وقد أحسن المؤلف في ما قال في هذا الفصل وغيره من فصول الكتاب

جزاه الله خيراً .

## كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة »

تأليف الشيخ الإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد،

ابن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

عُني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه هنري لاووست وسامي الدهان

الجزء الأول سنة ١٩٠٦ هـ — ١٩٤٠ هـ

عُني كثير من مؤرخي العصور والمجتمعات، بوضع كتب التراجم والطبقات، فمنهم من رتبها على سني الولادات أو الوفيات مثبتاً الأول فالأول، ومنهم من نسقها على حروف المعجم، فبدأها بالألف وختمها بالياء، ومن هذه الطبقات التي وضعها الثقات المؤرخون طبقات الحفاظ، والقراء، والمفسرين، والمحدثين (وألف هؤلاء في الضعفاء والمدلسين) ومنها طبقات فقهاء المذاهب الأربعة على تقادم الزمن وتراخيه، وطبقات الحكماء والأطباء والأدباء والنحاة. ومنها طبقات النساء وأعلامهن. والناظر في كتب الطبقات والتراجم والمعاجم، وما أُلف في لغتنا العربية أو نقل إليها من العلوم والفنون والصناعات — ما طبع منها وما لم يطبع — تأخذ الدهشة والحيرة لكثرتها وإحاطتها، وسعة علم هذه الأمة وعنايتها بكل شيء. وبين بديء الآن كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » للحافظ ابن رجب الشهير، وقد عُني بنشره الأستاذان المحققان المشرق هنري لاووست والدكتور سامي الدهان. مهذا بمقدمة وصفا فيها إمام السنة أحمد بن محمد بن حنبل وأهل مذهبه وصفاً مجملًا قال فيه: «ملاؤا الشام والعراق جدالاً ونضالاً، وعلماً وأدباً، وفقهاً وسنة، وقد وصل إلينا من ذلك كله جوامع شيدوها، ومساجد أقاموها وكتب ألفوها، فيها الشعر والنثر، والنحو والفقه، والسنة والحديث، والتاريخ والتراجم، وقد ذكر بعضها في ثنايا هذا الكتاب» المقدمة ص ١٢.

وبعد أن ذكرنا ما أُلّف في طبقات الحنابلة من كتب، عقدنا الفصل الأول

في ترجمة المؤلف ذاكرين فيها أمرته في بغداد ، وهجرته مع أبيه شهاب الدين احمد بن رجب الى دمشق ، ونقلنا عن تاريخ الحافظ ابن حجر إنباء العُمر ( بالهمز بعد الألف كما هو المعروف ) - أن ابن رجب ولد ببغداد سنة ست وثلاثين وسبعمائة ، وعن العُلَيْمي أنه قدم مع والده من بغداد الى دمشق وهو صغير سنة ٥٧١٤ هـ قالوا : وبذلك يتضح تاريخ ولادته ، ويصبح سن الطفل حين قدم دمشق ثماني عشرة سنة ( كذا ا والصواب أن سنه إذ ذاك ، ثمان سنوات ، وبذلك يتحقق كونه طفلاً ) . وذكرنا في ترجمته سماعه ورحلاته ، وزهده وورعه ، وشهرته ومكاتبه ، وتاريخ وفاته . وعدّأ في الفصل الثاني رسائله ومؤلفاته فبلغت ثلاثة وثلاثين ، وأشارنا الى بعض ما طبع منها . ووصفنا في الفصل الثالث من المقدمة هذا الذيل على طبقات ابن أبي يعلى فبدأنا بوصف الطبقات المخطوطة ، ونوّأها بطبع مختصرها لشمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسي المتوفى سنة ٥٧٩٧ هـ وهو من أصحاب شمس الدين ابن قيم الجوزية . صححه وعطّق عليه الأستاذ احمد عبيد ، وطبعه سنة ١٣٥٠ كما في المقدمة ص ٢٥ ( وفي ص ٣٤ منها أنه طبع سنة ١٣٦٠ والصحيح الأول ) . وبعد وصف «الذيل» بنسخه الثلاث الظاهر بيتين والاستاذية بولية عرّصا صفحات منها أخذت بالتصوير الشمسي ، وختمت بها المقدمة التي بلغت ما يقرب من أربعين صفحة .

ثم بدت فاتحة هذا الجزء الأول من «الذيل» وابتدأت تراجمه بأصحاب القاضي أبي يعلى ، وأولها علي بن طالب بن زبيبا المتوفى سنة ٥٤٦٠ هـ وآخرها المبارك بن عبد الله البغدادي ، ولم تذكر سنة وفاته ، وقد جعل ترتيبه على الوفيات ، وبلغت التراجم سبعا وتسعين ترجمة منها ما كتب بصفحات ، ومنها ما رسم بأسطر . وقد ازدانت هذه الطبعة الجميلة بذكر أرقام التراجم ، وأسماء المترجمين في أعلى الصفائف ، مع أعوام وفياتهم ، والإكثار من إنشاء الفصول والأبواب تسهيلاً على المراجعين ، والدلالة على مواضع الآيات الكريمة من سورها ، ومواطن

الأحاديث الشريفة من كتبها ؛ وامتازت بوضع الفهارس الكثيرة للأعلام والبلدان ،  
وللكتب الواردة في هذا الجزء ، وللمراجع ببيان طبعتها وسننها . وبلغت صفحات  
هذا الجزء ( ٢٤٨ ) صفحة ، ومع الفهارس ثلاثمائة صفحة .

وقد بذل الناشران جهداً كبيراً في الترتيب والتبويب ، وتخريها الصواب  
في التصحيح والترجيح ، وفي إرشادها الى تراجم الذيل من صفحات المراجع  
وأجزائها ، مثاله ما جاء في ( ص ١٢٣ ) جعفر السراج المتوفى ( سنة ٥٠٠ ) .  
كتب في الحاشية ما نصه : « ترجمته في ع ٢١٤ - المنتظم ١٥١/٩ - شذرات  
٤١١/٣ - معجم الأدباء لياقوت ١٥٣/٧ - ابن خلكان ١٣٩/١ - البداية والنهاية  
١٦٨/١٢ » ويراد من ع المنهج الأحمد للعائدي ، مخطوطة تيجور باشا و « المنتظم »  
في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي طبعة حيدر آباد سنة ١٣٥٩ هـ .

من سبّر تراجم هؤلاء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب يرى أموراً أربعة  
تثير إعجابهم وإعجابه (١) زهد كثير منهم في هذا العرّاص الأدنى ، ورغبتهم  
في الباقيات الصالحات ، (٢) تبحر بعض أئمتهم في العلم تبحراً يقل نظيره في العلماء  
(٣) سلامة عقيدتهم من ضلالة التجسيم والتشبيه التي يرممهم بها الخصوم  
(٤) صدعهم بالحق ونصحهم للملوك فمن دونهم ، وهذه أمثلة لما ذكرت :

(١) الشريف ابو جعفر بن ابي موسى الخنيلي ( ٤٧٠ هـ ) وهو ابن عم الخليفة  
العباسي القائم بأمر الله ، ( ٤٦٧ هـ ) وقد كان من خيار بني العباس ديناً واعتقاداً  
ودولة ( كما يقول ابن كثير في تاريخه ج ١٢/١١٦ ) غسّله الشريف عن وصية  
الخليفة بذلك فقد قال : بغساني عبد الخالق ، وعرض عليه ما هنالك من الأثاث  
والأموال فلم يقبل منه شيئاً . وكان ابو جعفر أول من بايع حفيده المتقدي  
بأمر الله ، ( وهو الذي أخرج المفسدات من الخواطي من بغداد ، وخرّب الحمامات  
ودور الزواني والمغاني ) ولم يأخذ منه شيئاً . وكان ابو جعفر إماماً في العلم ،  
قائماً في إنكار المنكرات بيده ولسانه ، فلما حضرته الوفاة ، قال : « مالي

- يشهد الله - سوى الجبل والبلو ، وشيء يخفى عليّ لا قدّر له « (٢٩/١ من الذيل) .  
 ٢ - عبد الله الأنصاري الهروي شيخ الإسلام ابو اسماعيل <sup>(١)</sup> ، قال عنه  
 شيخ الإسلام ابن تيمية : هو إمام في الحديث والتصوف والتفسير ، وقال في الذيل :  
 « وكان الشيخ - رحمه الله - آية في التفسير وحفظ الحديث ومعرفة ، ومعرفة  
 اللغة والأدب . وفسر قوله تعالى : « إن الدين سبقت لهم منا الحسنى » ( الآية  
 ١٠١ من سورة الأنبياء ) فبنى عليها ثلاثمائة وستين مجلساً ، وقال ابن طاهر  
 الحافظ : سمعت الأنصاري يقول : إذا ذكرت التفسير فانما أذكره من مائة  
 وسبعة تفاسير . قال : وجرى يوماً - وأنا بين يديه - كلام ، فقال : أنا احفظ  
 اثني عشر الف حديث أمردها سرداً ، قال : ما ذكر في مجلسه حديثاً إلا  
 باسناده ، وكان يشير الي صحته وسقمه . وقال الرُّهَوي : سمعت ابا بشر  
 محمد بن محمد بن هبة الله الهمداني بهمدان يقول : سمعت بعض الأدباء يقول :  
 سئل شيخ الاسلام الأنصاري عن تفسير آية ، فأشاد أربعائة بيت من شعر  
 الجاهلية ، في كل بيت منها لغة تلك الآية » (ص ٧٤ من الذيل) .

وفي ص ١٨٨ في ترجمة ابي الوفاء بن عقيل ( ٥١٣ هـ ) :

« ولابن عقيل تصانيف كثيرة في أنواع العلم ، وأكبر تصانيفه كتاب الفنون ،  
 وهو كتاب كبير جداً ، فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ ، والتفسير ، والفقه ،  
 والأصلين ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والتاريخ ، والحكايات ، وفيه مناظراته  
 ومجالسه التي وقعت له ، وخواطره ، ونتائج فكره قيدها فيه ٠٠٠٠ . وقال الحافظ  
 الذهبي في تاريخه : لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ، حدثني من  
 رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعةائة » .

(١) عدّه في كشف الظنون ( ٥٢٢/٢ ) جماعة ممن شرح كتابه ( منازل  
 السائرين ) ومنهم المحقق ابن القيم بكتاب سماه « مدارج السالكين » طبع بمصر  
 في ثلاثة أجزاء كبار ( سنة ١٣٣١ - ١٣٢٣ هـ ) . (مجلد بهجة)

(٣) قال الحافظ ابن رجب : وقرأت بخط الحافظ أبي محمد البرزالي ، قال :  
 قرأت بخط الحافظ ضياء الدين المقدسي ، قال : كتب بعضهم الى ابي الوفاء بن  
 عقيل ، يقول له : صف لي اصحاب الإمام احمد على ما عرفت من الإنصاف ،  
 فكتب اليه يقول : « هم قوم خُشِنَ - الى قوله : ولم أحفظ على أحد منهم  
 تشبيهاً ، إنما غلبت عليهم الشناعة لإيمانهم بظواهر الآي والأخبار ، من غير  
 تأويل ولا إنكار ، والله يعلم أنني لا أعتقد في الاسلام طائفة محقة خالية من  
 البدع سوى من سلك هذا الطريق ، والسلام » ص ١٨٤ منه .  
 وفي مختصر الطبقات المطبوع ( ص ٤١٠ ) قصيدة في العقيدة لأبي الخطاب  
 الكندي ، مطلعها :

دَع عَنْكَ تَذْكَارَ الْخَلِيطِ الْمُنْجِدِ      وَالسُّوقِ نَحْوِ الْآنَسَاتِ الْحُرِّهِ  
 وَالنُّوحِ فِي أَطْلَالِ سَعْدِي إِذَا      تَذْكَارِ سَعْدِي شَغْلَ مَنْ لَمْ يُسْعِدِ  
 الى أن قال :

قالوا بما عرف المكف ربّه ؟      فأجبت بالنظر الصحيح المرشد  
 ومنها :

قالوا فهل لله عندك مُشَبِّهه      قلت المُشَبِّه في الجحيم الموصد  
 ومنها :

قالوا فما معنى استواه ابن لنا      فأجبتهم هذا سؤال المتدي  
 قالوا فأنت تراه جنماً قل لنا      قلت الجسيم عندنا كالمُنْجِدِ  
 قالوا فصفه بأنه متكلم      قلت السكوتُ قبيصة بالسيد

\* \* \*

قالوا فكيف نزوله فأجبتهم لم ينقله التكليف لي في مُسْتَدِ  
 (٤) في ترجمة أبي سعد البقال ( ٥٠٦ هـ ) :

وكان أبو سعد يعظ بمحضرة الخليفة المستظور والملوك . . . ووعظ نظام الملك الوزير

مرة بجامع المهدي فقال : الحمد لله ولي الإيعام . . . . « مَن هو على الخليفة أمير ، فهو في الحقيقة أجبر ، قد باع زمنه ، وأخذ ثمنه ، فلم يبق له من بهاره ، ما يتصرف فيه على اختياره ، . . . وأنت يا صدر الإسلام ، وإن كنت وزير الدولة ، فأنت أجبر الأمة . . . فاعمر قبرك ، كما عمرت قصرك » . . . .

فلما سمع نظام الملك هذه الموعظة بكى بكاءً شديداً ، وأمر له بمائة دينار ، فأبى أن يأخذها ، وقال : أنا في ضيافة أمير المؤمنين ، ومَن كان في ضيافة أمير المؤمنين يقبح عليه أن يأخذ عطاء غيره ، فقال له : فضاها على الفقراء ، فقال : الفقراء على بابك أكثر منهم على بابي ، ولم يأخذ شيئاً .

ومن لطيف المواقفات أني قرأت في ترجمة أبي محمد الإبراهيمي من الذيل (ص ٥٧) ما نصه :

وقال خميس الجوزي : « رأيت به بيغداد ملتقاً بأصحابنا ، ومختصاً بالحنابلة ، يخرج لهم الأحاديث المتعلقة بالصفات ، ويرويها لهم » قلت ما أشبه الأستاذ المستشرق هنري لاووست بالإبراهيمي فهو يبي كتبه بالطبع وينشرها في الشرق والغرب ، وينقل منها إلى الفرنسية وبولف فيها ما يرى فيه المصلحة والفائدة ؛ وقد دخل معه في هذا الغار ، وجرى في هذا المضمار ، زميله الدكتور سامي الدهان .

وبعد فإن أمانة العلم تقتضينا أن نقول : لقد سبقنا الأستاذان المدققان صلاح الدين النجد وعبد الفتاح أبو غدة فيها الأستاذين الناشرين إلى ما رأياه صواباً ، أما الأول فقد كتب فصلاً نقد فيه ما رأه منتقداً من كتاب « الذيل » ونشره في مجلة الثقافة المصرية ، وأما الثاني فقد نشر تصحيحه في مجلة المجمع العلمي العربي تحت عنوان « نظرة عابرة في ذيل طبقات الحنابلة » .

محمد بهجة البيطار

## أشباح ورموز

تأليف الأستاذ مارون عبود

نشرته دار العلم للملايين ، بيروت ( ١٩٤٨ ) مئة صفحة من القطع الصغير

يشتمل هذا الكتاب على مقالات « نضالية » كتبت ونشرت كما يقول المؤلف يوم كان الانتداب يسوق الرجال بعصاه ، منها مقالة الناطور ، ودقات حزن ، وعيد الشجرة ، وحامي النجوم ، وأجراس بيت لحم ، وعيد قيامة الأرض ، والجرماني ابن الله ، ومصرع نمر ، ومؤتمر أبناء العم . وهي كلها تدل على عاطفة قوية ، وخيال واسع ، وتفكير دقيق . ألم المؤلف ما شاهده في مجتمعه اللبناني من الفتن فنار على الأوضاع السياسية ، والاجتماعية ، والدينية ، وكتب ما كتب بأسلوب رمزي ندائي بذكرك بنينثشه وأندره جيد تارة ، وبنشيد الانشاد ، ومزامير داود تارة أخرى .

فما قاله : « إنا الى مسيح جديد يبارك الكسرات الباقية في معاجنتنا لأحوج منا الى بطرك يبارك أغصان الأرز » ( ص ١٤ ) .

« ان أفلاننا تفتش عن الانسان الأحسن ، والعلم يهدم ما نبني .  
لقد تداعت مملكة الروح .

أيها اللهب ، الذي دانته القشّة ، حنايك ، فبرد اليأس في القلوب .

أيها الشفق الأرجواني ، فنجنا من ربح الشمال . . . . إنها قاسية .

« لقد ضحيم رثائنا دخان المعامل ، وأضعف القلوب أزيز الطائرات » ( ص ٤٧ ) .

« إن بيضة العيد استحال قنبلة مدمرة ، فاذا نفعل يا سيّد ؟

كيف نحتفل بفصحك . وأنت الضحية ؟ ان لم تكن أنت فتعاليمك . . .

أيها الحمل الوديع ، قل للرعاة يرأفوا بالقطيع ! » ( ص ٤٩ ) .

وهكذا تتعاقب النداءات بأسلوب رمزي مفعم بالشايبه والاستعارات ،

فالبركان مصدر ، والدموع سوداء ، والشاعر مجوم ، والعباقرة حمر ، والزئزال أعمى ، والمعاصفة راقصة . فكأن هذه الأشباح الأرجوانية اللون ترمز كلها الى حقيقة واحدة هي روح الانسانية الحق ، النائرة على الواقع الطامحة في السلام العام . انك نجد هذه الروح ظاهرة في بكائه على مجده بلاده ، ودفاعه عن استقلالها ، وثورته على التعصب الطائفي ، ودعوته الى التحرر من الخرافات الدينية كما تلدها أيضاً من وراء رموزه عند كلامه على الدين المنحجر ، والعبادة الخالية من الايمان ، والبيضة المذرة ، والشمس المريضة ، والانسان الذي لا يموت ، فورا كل رمز من هذه الرموز الحسية معنى اجتماعي ، أو خلقي ، أو سيامي ، لا يصرح به الكاتب لأمر في نفسه ، ولكنه على كل حال رمز ناطق يؤثر في القاري ، ويبعثه على التأمل . وكثيراً ما كان التلميح بالشئ ، أدل على القصد من التصريح به .



## مذكرات البارودي

الجزء الأول طبع بمطابع دار الحياة - بيروت ١٩٥١

عدد صفحاته ١٢١ من القظم الصغير

هذه صور صادقة للحياة الاجتماعية في العصر الذي نشأ فيه الأستاذ فخري البارودي أهداها إلى شباب العرب « ليطلعوا فيها على صفحات من تاريخ بلادهم الحديث لعلمهم يجيدون فيها عبرة وذكري » . وقد استمد الكاتب هذه الصور من ذاكته وما دونته من الوقائع فجاءت مشتملة على طرف نادرة ، ونوادير مستملحة ، وقصص ممتعة ، على عادته في معظم كتاباته وأحاديثه .

قال الأستاذ في مقدمة هذه المذكرات : « ليس المهم في كتابة المذكرات سرد الحوادث التي تمر بالانسان ، بل يباين أثرها في حياته . والواقع ان المذكرات التي تعنى بالتوجيه الخفي هي التي تنال شأنًا . فسرد حوادث البطولة

هو توجيه خفي نحو البطولة ، وذكر آلام الوطن وبيان مأسر به من محن هو توجيه غير مباشر لتقديس الوطن والدفاع عنه .

« وأهم ما في المذكرات هو وصف حياة الكاتب وروحه وبيئته ، ليجد فيها القاري صورة واضحة للكاتب وللمجتمع ، فيحس وهو يقرأها أن الكاتب حي الى جانبه ، يحدته ويقص عليه أخباره فيكون شاهد عيان خالداً ، يساعد المؤرخ على إيضاح الحقائق .

« ويجب أيضاً ألا تفقد المذكرات روح الحكاية ، وأن يحس القاري انه يقرأ فيها قصة حياة ، وحياة وطن في فترة معينة ، لا أن يشعر أنه أمام كتاب معلومات جاف ، فالمعلومات تفقد رونقها اذا لم تكن مطبوعة بطابع الكاتب ، مزوجة بعاطفته ، وخفقات قلبه » .

وهذا كله صحيح ، لأن قيمة المذكرات لا تقاس بخطورة الحوادث التي تسردها ، وإنما تقاس بدلالة هذه الحوادث على روح العصر الذي كتبت فيه .  
ولعل أهم ما في هذه المذكرات وصف الحياة في البيت والكتاب والمدرسة ، ووصف ألعاب الطفولة ، والاشارة الى ولع الناس بالرتب والألقاب ، والكلام على بقطة الروح العربية ، وأثر الانقلاب العثماني ، والردة عليه ، ووصف ليالي الأتس في دمشق ، وحياة مقاهيها ، ومجتمعاتها الخاصة ، وتضامن أهلها ، كل ذلك بأسلوب متنوع ، وصراحة لطيفة تذكرك بصراحة (جان جاك روسو) في اعترافاته .

انك اذا طالعت هذه المذكرات خيّل اليك ان صاحبها مائل أمام عينيك يتحدثك عن مغامراته البريئة ، ويقص عليك أخباره ، فتصفي اليه وأنت تقول في نفسك : ان الحياة للمهاة جميلة ، وان أروع القصص أصدقها .

*Sélim Abdul-Hak- Catalogue illustré du  
département des antiquités greco-romaines au  
Musée de Damas 1951.*

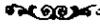
وضع الدكتور سليم عبدالحق مدير الآثار العام في سورية هذا الجزء المصور لما ضمه فرع الآثار اليونانية الرومانية في متحف دمشق باللغة الافرنسية ، ويقع هذا الكتاب في ( ١٨٠ ) صفحة من القطع الكبير يتخللها (٦٠) لوحاً مصوراً ، وهو من مطبوعات مديرية الآثار العامة ، طبع في دمشق سنة ١٩٥١ .  
يمتاز الكتاب بدقة الوصف وصحة النقل وقد جمع فيه المؤلف أصدق البيانات وأوفى الشروح عن الآثار المعروضة في قاعات متحف دمشق تنفع الزائر والباحث .  
وحبذا لو كان هذا الكتاب أصغر حجماً ليسهل على زائر المتحف حمله واستعماله .  
وقفت أثناء مطالعة هذا الكتاب القيم على بعض أخطاء رأيت التنبيه اليها  
لنصحيتها في طبعة ثانية أهمها :

				صفحة	
Adadiabos	صوابه	Adiabos	الكتابة (٥)	١٠	
Diphilianus	≡	Diphilinus	(١٩) ≡	١٣	
Kanoun	≡	Benyân	(٣) ≡	٣٠	
Y D 'Y	≡	Y r 'y	(٧) ≡	٣١	
سقطت نهاية النص التدمري كما يفهم في الترجمة الافرنسية .				(٨) ≡	٣٢
'L t' D n h	صوابه	'L t' D	(٩) ≡	≡	
Nebuzabad	≡	Nazurabad	(٩) ≡	≡	
'H w h y	≡	H y h	(١٠) ≡	≡	
'O g â	≡	'O z â	(١١) ≡	٣٣	

			صفحة	
'L h b l	≈	'L h d l	الكتابة (١٤)	٣٤
D k y r	≈	D k y b	(١٦) ≈	٣٥
. . . . le prêtre du dieu Arsù miséricordieux pour sa sécurité et la sécurité de ses frères. au mois de l'année . . . .			(١٦) ≈	٣٥
صوابه :				
. . . . le prêtre d'Azizu dieu bon et miséricordieux pour son salut et le salut de ses frères. au mois d'Octobre l'an . . . .				
et Zabdibôl	صوابه	les Zabdibôl	(٢٨) ≈	٣٩
Warton	≈	Wariôn	(٣٢) ≈	٤٠
NSBY'	≈	MSBY'	(٣٢) ≈	≈
			(٣٤) ≈	٤١
LYQR MLK' WSKR' . . . . . BYRH ŠNT . . .				
صوابه :				
LYQR MLK' TB' WSKR' . . . . . BYRH ŠBT ŠNT . . . .				
Abd 'Abgal وهو اسم	صوابه	a fait Abgal	(٣٨) ≈	٤٢
علم مثل اسم Abdibêl المذكور في ص : ٤٦ رقم (٥٠)				
Abdibêl au miséricordieux au bon			(٥٠) ≈	٤٦
Abdibêl à Rahmana le bon .	صوابه			
fil de Stéphane Elpias			(١٢) رقم	٦٩
fil de Stéphane et Elpias	صوابه			

			صفحة
Hoche Sahya	صوابه	Hosn Sahba	رقم (٢٩) ١١٥
Chozlaniyeh	≡	Guslanieh (١٠٨ و ١٠٧)	١٢٦
Dier el-Hajar	≡	Dier el'Aajr (٥١١٦)	١٢٧
Tsil	≡	Tassil (١٧)	١٤٧

نشكر صديقنا المؤلف على جهده وتحقيقه وحرصه على تعريف نفائس متحفنا ونأمل أن نرى قريباً تعريب هذا الكتاب لينتفع به جميع أبناء العروبة .



## مجلة الجوليات الأثرية السورية

تصدرها مديرية الآثار العامة في سورية في جزئين

وهي مجلة علمية أثرية تاريخية غايتها دراسة آثار تاريخ سورية ونشر أخبار المكتشفات الأثرية السورية والأعمال الفنية التي تقوم بها مديرية الآثار العامة ومساهمة العلماء السوريين بالنشاط العلمي العالمي وتعميم الثقافة الأثرية في هذه الديار ، وتشرف على تحريرها وإصدارها لجنة مؤلفة من السادة : الدكتور سليم عادل عبدالحق مدير الآثار العام والدكتور جورج حداد والأستاذان مطيع المرابط وفصل الصيرفي . تنشر أبحاثها باللغة العربية وغيرها من أمهات اللغات الأجنبية ، وقد صدر منها الجزء الأول من المجلد الأول فوجدناه حافلاً بالإنجازات العلمية المختارة وأهم أخبار الحفريات الأثرية في سوريا ونشاط المتاحف السورية ، وقد ساهم في تحرير موضوعاتها القيمة نخبة من الأساتذة السوريين وثقات الآثاريين الفرنسيين . وكانت سورية بأشد الحاجة الى مثل هذه المجلة التي سدت فراغاً في خزانة الدراسات الأثرية والتاريخية في الأرض العربية .

ونتمنى لهذه المجلة التقدم وطول البقاء ونشكر الدكتور سليم عادل عبدالحق الذي عمل على تحقيق هذه الفكرة ونعرب عن تقديرنا لجميع من آزره في هذه المهمة .

## بلدانية فلسطين العربية

جمع نصوصها الأب ٠١ س ٠ مرمرجي الدومني

يقع الكتاب في نحو (٣٠٣) صفحات من قطع الوسط ، طبع في بيروت سنة ١٩٤٨  
جمع في هذا الكتاب الأستاذ الأب مرمرجي معظم النصوص العربية  
الواردة في وصف فلسطين وبلداتها في أم المصادر العربية ، أقدمها لابن خرداذبه  
وأحدثها لعبد الغني النابلسي . وقد سهل بهذا المعجم على الباحث شقة التنقيب  
عن مطلبه وقرب له مناله وهي خدمة جليلة يسديها الأب مرمرجي لجمهور المشتغلين  
في دراسة جغرافية فلسطين وتاريخها .

لم يقتصر هذا المعجم على فلسطين بل تعداها أحياناً حتى بلغ الملا والحِجر  
ومعان من مشارف الحجاز وتنازل الزيتونة شمالي تدمر ، كما انه لم يشتمل على  
جميع المواقع الفلسطينية التي أغفلت ذكرها المصادر التي نقل عنها أو تجددت بعدها ،  
وحبذا لو تدارك حضرة الأب هذا النقص ونظم بياناً بها إتماماً للفائدة التي  
توخاها من هذا الكتاب .

وقد دونت أثناء مطالعتي هذا الكتاب القيم الملاحظات الآتية :

صفحة	الخطأ	الصواب
٣	بيت رأس	بيت اراس
٦	فحل	فحل
٠	وطيق	وفيق
١٨	على رأسه كالعامة	على رأسه كالعامة
٣٥	٥١٣	٥٨٣
٣٩	تنكيز	تنكز
٧٠	الارمني	الادمي
١٠٧	للمعزلة	للمعزلة م (١٠)

صفحة	الخطأ	الصواب
١٠٧	واقل	وقل
١١١	البزازير	البزازين
١١٣	ابورباح	ابورباح
١١٨	اقليم سفير	اقليم سنير
١١٩	بلنياس	بانياس
١٢٠	عن	من
١٢٤	مربين	مرمين
١٢٥	شفرعم	شفا عمرو
١٣٠	باريون	بارنون
١٤٠	اقليم حريز	اقليم جزين
١٤٥	وقصد	وقصر
١٩٩	مكة	عكة
٢١٢	بيت الرأس	بيت اراس
٢٢٣	مولم	قولم
٢٤٣	دكان	دكة
٢٤٤	وفيه الصخرة	وقبة الصخرة
٢٤٥	باب الثوبة التي تاب	باب التوبة التي تاب
٢٥٩	مفروش	مفروس
٢٦٠	بالبص	بالفص

ويجدر بكل عربي مطالعة هذا الكتاب لينتفع به ونشكر لحضرة العلامة الباحث  
جهوده وعنايته بنشر هذا الأثر بعد نكبة العرب بهذا الجزء العزيز .

## تشريع العمل

للدكتور احمد السمان ، والدكتور جورج عشي

كتاب تشريع العمل ، لهذين العليمين ، هو كتاب حديث لعلم جديد ، أصبح قائماً بنفسه ، بعد أن كانت الآراء فيه غير مستقرة ، والمقررات التي صدرت بشأنه مبعثرة ، وهذا العلم يتبع التطور الاجتماعي والاقتصادي ، ويسير قديماً مع الزمن ، وقد غدا اليوم من الضروريات في العالم لأنه يقرب بين العامل ورب العمل ، وبين هذين والحكومات ، لأن جل الشعوب هم عمال وأرباب عمل ، لذلك لا بد من وجود التفاهم بينهم بعد الآن ، لحفظ مصالح الفريقين ، وضمان العمل المجدي لهناة المجتمع .

واذ أصبحت سورية من البلاد العاملة في الصناعة ، كما انها عاملة في الزراعة ، فلا بد لها من قانون للعمل ، وهذا ما جعله يظهر في ١١ حزيران سنة ١٩٤٦ ، وبذلك تدخلت الحكومة السورية بأمر الصناعة ، وحماية العامل من شدة أرباب العمل ، وضمان حياته ومستقبله .

لقد بسط هذان العليان تشريع العمل ، فأوضحا فيه كثيراً من الأمور المفيدة ، التي ظهرت في العالم الراقي ، وشرحا فيه فلسفة تشريع العمل شرحاً جميلاً ، وقارنا بين القوانين الغربية ، وقانون العمل السوري ، وبذلك فقد أفادا تلاميذهما ، كما أفادا من طالعه من أرباب العمل والعمال ، لأنه يقرب الشقة بينهم ، وينبه الحكومة الى مراقبة هؤلاء ، ليصبح العمل منسجماً ولا يعود هناك رب عمل يستبد بعماله ، وعامل لا يقوم بما فرض عليه من الواجبات .

وقد شرحا التسريح التعسفي ( ص ٢٢٨ - ٢٣٢ ) الذي اهتم له الغربيون ، ولم يبحث عنه قانون العمل السوري ، على انهما لم يذكر القانون المدني السوري الجديد الذي بحث عنه في المادتين ٦٦١ و ٦٦٢ ، وأعطى الحق للعامل المهرح

دون أسباب موجبة ، وضرورة التعويض عليه ، وذلك عدا تعويض التسريح ، ولعلها يستدر كان ذلك في الطبعة التالية .

كما أنها بحثاً قضية التأمين او الضمان الاجتماعي ، وهذه قضية عالية ذات شأن ، ظهر أول أثر لها في ألمانيا سنة ١٥٣٠ وفرنسا سنة ١٥٣٦ وانكلترا سنة ١٦٠١ وخلصا مشروع بيفرديج ، الذي وضعه سنة ١٩٤٣ وأسبابه الموجبة ، ولكنها لم يأتيا على ذكر التشريع الجديد الذي ظهر في انكلترا ، ونفذ في ١٩٤٩/٧/٥ وكانت فوائده حمة ، على المجتمع الانكليزي ، لقد كان من الضروري ان يستعرضا الضمان العربي في أوائل الاسلام ، وقد فرض العرب العطاء لكل انسان ، وأعاشوا الفقراء ، والأيتام ، والشيوخ ، وكفينا البصر ، وعالجوا المرضى ، وأطعموا عابري السبيل وآوهم ، وفرضوا لكل مولود جعلاً سنوياً يتقاضاه والداه ، ثمناً للبن أمه ، وزوجوا العزاب والعانسات من بني هاشم ، وكل ذلك من بيت المال ، كما أنهم عفوا أصحاب الملاكية الزراعية والحيوانية الصغار وصغار التجار من الضريبة ( الزكاة ) ولا أشك انها سيدعثان عن كل ذلك أيضاً في الطبعة التالية .

وفي الحق ان لهذا الكتاب فوائد جزيلة ، وقد وفق العلمان به توفيقاً يشكران عليه . كما انها قد نبتها الى بعض المسائل التي لم يرد ذكرها في قانون العمل السوري ، وبذلك فتحها باباً لإعادة النظر في بعض موادها .

صبر الشريف

# آراء وأنباء

## المهرجان الأثني لذكري مولد ابن سينا

أقامته الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية في مدينة بغداد

بين ٢٠ و ٢٨ آذار سنة ١٩٥٢

لقد كان هذا المهرجان ظاهرة من ظواهر التعاون الفكري بين الشرق والغرب ،  
ووسيلة من وسائل التعريف بأجدادنا القديمة ، اشتركت فيه سورية ، ومصر ،  
والعراق ، ولبنان ، وشرقي الأردن ، وليبية ، وأندونيسية ، وإيران ، وتركيا ،  
ومنظمة اليونسكو ، واسبانيا ، وألمانيا ، وأميركا ، وفرنسا ، وانكلترا ، وضم  
ثمانين عضواً ، من فيلسوف يبحث في فلسفة الشيخ الرئيس ، الى طبيب ينتبع آثاره  
الطبية ، ومن مؤرخ يحقق في مولده ونشأته ، الى أديب يحمل شعره وأسلوبه ،  
توافدوا جميعاً الى مدينة السلام للاشتراك في احياء ذكرى هذا الفيلسوف العظيم ،  
فأقاموا في اليوم الأول حفلة افتتاح حضرها سمو الوصي على عرش العراق ،  
وتكلم فيها وزير المعارف ، ورئيس لجنة ابن سينا العراقية ، ومدير الادارة  
الثقافية ، وممثل المدير العام لليونسكو ، ومندوب عن الوفود العربية ، ومندوب  
عن الوفود الشرقية ، ومندوب عن علماء المشرقيات .

ثم عقد أعضاء المهرجان بعد ذلك ثماني جلسات علمية في قاعة الملك فيصل للبحوث ،  
والمناقشات ، والمحاضرات ، عولجت فيها موضوعات تاريخية وفلسفية وأدبية وطبية كثيرة .  
أما البحوث التاريخية فقد اشتملت على التحقيق في مولد ابن سينا ، ونشأته ، وإنتاجه  
والتعريف بآثاره العربية والفارسية ، وما ترجم منها الى اللغة اللاتينية ، وهل  
كان اسماعيلياً أم من الاثني عشرية ، كما اشتملت على وصف العصر العباسي

الذي عاش فيه ، وعلى منزلته بين مفكري القرون الوسطى ، ومدى انتشار كتبه ، وتأثيرها في الشرق والغرب .

وأما البحوث الفلسفية فقد اشتملت على نظريات ابن سينا الإلهية والنفسية ، كراهيه في الإله والعالم ، وراهيه في الشعور ، وراهيه في النفس الانسانية ، ونظريته في الخير ، وأثره في التصوف ؛ كما اشتملت على نزعه الانسانية ، وآرائه في التربية ، وعقيدته الدينية ، والجديد في منطقته ، وموقفه من مشكلة الألوهية ، والمقارنة بين آرائه وآراء ابن رشد وعلماء الكلام وباسكال ومونتني .

وأما المباحث الأدبية فقد اشتملت على منزلته في الأدب الفارسي ، وأثره في الآداب السريانية ، وشعره العربي ، ونقد كتاب الشعر لأرسطو وموقف ابن سينا منه .

وأما المباحث الطبية فقد اشتملت على بعض آراء ابن سينا في أمراض العين وأمراض القلب ، وعلى دراسة طبه من كتابه القانون ، وعلى تعليم طبه في اوربا ، وتحليل بعض أراجيزه الطبية .

وأضاف الباحثون الى ذلك موضوعات أخرى كمنظريه ابن سينا في الموسيقى ، ومساهمة لبنان ، ومصر ، وفرنسا ، ومنظمة اليونسكو ، في احيا ذكراه .  
وفيما يلي بيان مفصل باسماء المحاضرين وعناوين بحوثهم .

### السبت في ٢٢ آذار ١٩٥٢

- ١ - محمود الحضيري . . . . . سلسلة متصلة من تلاميذ ابن سينا في مائتي سنة .
- ٢ - الأب فنواقي . . . . . انتاج ابن سينا .
- ٣ - الدكتور أحمد أمين . . . . . حي بن يقظان لابن سينا .
- ٤ - = مصطفى حلمي . . . رسالة في اثبات ان الشيخ الرئيس « من الاتنا عشرية » لعلي الجيلاني .

- ٥- الدكتور أحمد آتش . . . . . رسالة الاكسبير ، هل هي لابن سيننا .
- ٦- لويس ماسينيون . . . . . مساهمة فرنسا في احياء ذكرى ابن سيننا .
- ٧- كارسيا كوميز . . . . . اسبانيا ودراسة ابن سيننا .
- ٨- علي أصغر حكمت . . . . . الآثار الفارسية لابن سيننا .
- ٩- أحمد حامد الصراف . . . . . ابن سيننا في الأدب الفارمي .
- ١٠- الدكتور عبد الرحمن بدوي . . . . . فن الشعر عند ابن سيننا بين أرسطو وابن رشد وأثره في الأدب العربي .

### الأحد في ٢٣ آذار ١٩٥٢

- ١- زكريا يوسف . . . . . الموسيقى عند ابن سيننا .
- ٢- شارل كوينتز . . . . . أراجيز ابن سيننا الطبية .
- ٣- الدكتور مصطفى شريف العاني . . . . . ابن سيننا الكهتال .
- ٤- = فؤاد قندلا . . . . . ابن سيننا وأمراض القلب .
- ٥- = عزة مریدن . . . . . ابن سيننا في قانونه .
- ٦- = جميل صليبا . . . . . نظرية الخير عند ابن سيننا .
- ٧- = محمد ثابت الفندي . . . . . الله والعالم .
- ٨- = أحمد فؤاد الاهواني . . . . . الشعور .
- ٩- كاظم اسماعيل كورقان . . . . . آراء ابن سيننا في الجراحة .

### الثلاثاء في ٢٥ آذار ١٩٥٢

- ١- الدكتور سهيل أنور . . . . . ابن سيننا ونظرية النبوة .
- ٢- = البير نصري نادر . . . . . النفس الانسانية عند ابن سيننا .
- ٣- الأنسة جواشون . . . . . الجديد في منطق ابن سيننا .

- ٤ - عباس العزادي . . . . . ابن سينا وأثره في التصوف .
- ٥ - زهدي جار الله . . . . . النزعة الانسانية في رأي ابن سينا .
- ٦ - الدكتور محمد يوسف موسى . الإلهيات بين ابن سينا وابن رشد .
- ٧ - ≡ بديع شريف . . . ابن سينا الشاعر .
- ٨ - ≡ محمد مهدي البصير . شاعرية ابن سينا .
- ٩ - ≡ محمد البهي . . . . . مشكلة الألوهية بين ابن سينا والمتكلمين .
- ١٠ - ≡ داود چلبی . . . . . ابن سينا والعصر العباسي .
- ١١ - ≡ فؤاد افرام البستاني . مساهمة لبنان في احياء ذكرى ابن سينا .

### الأربعاء في ٢٦ آذار ١٩٥٢

- ١ - كمال ابراهيم . . . . . التربية عند ابن سينا ورسالة السياسة .
  - ٢ - الدكتور مالكولم . . . . . رأي في الأرجوزة الطينية ( باللغة الفرنسية ) .
  - ٣ - الآنسة دالفيرني . . . . . ترجمة مؤلفات ابن سينا اللاتينية في العصور الوسطى ( باللغة الفرنسية ) .
  - ٤ - محمد كاظم الطريحي . . . . . العقيدة عند ابن سينا .
  - ٥ - الدكتور مصطفى عمر . . . ابن سينا وتعليم الطب في أوروبا في القرون الوسطى .
  - ٦ - الأب لويس بهنام . . . . . ابن سينا والآداب السريانية .
  - ٧ - فاندنبرج . . . . . باسكال وموافقي وابن سينا ( باللغة الفرنسية ) .
  - ٨ - جارديه . . . . . نظرية النبوة والحقائق الدينية عند ابن سينا ( باللغة الفرنسية ) .
  - ٩ - الدكتور ابراهيم مدكور . ابن سينا بين مفكري القرون الوسطى .
- وقد أقامت لجنة المهرجان العراقية معرضاً لكتب ابن سينا المخطوطة والمطبوعة ، ولما نشر عنه من الدراسات باللغة العربية واللغات الأجنبية ، كما أفادت أيضاً معرضاً للرسم فيه بعض التماثيل والصور الرمزية .

وكان المهرجان سبباً لنشر بعض الكتب والدراسات الجديدة . منها الجزء الأول من منطق الشفاء نشرته وزارة المعارف المصرية بتصدير الدكتور ابراهيم مذكور ، وتحقيق الدكتور احمد فؤاد الاهواني ، والأستاذ محمود الخضيرى ، والأب جورج شبحانه فتواتي .

ومنها ترجمة كتاب الاشارات والتنبيهات الى اللغة الفرنسية ، نقلته الآسة (جواشون) بعنوان : *Livre des Avertissements et des remarques* ،

• Paris, Vrin 1951

ومنها ثلاثة كتب نشرها المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة وهي :  
(١) الناحية الاجتماعية والسياسية في فلسفة ابن سينا لمحمد يوسف موسى ،  
(٢) المقدمات الفلسفية للتصوف السينوي للأستاذ ( لويس جارديه ) وعنوانه

باللغة الفرنسية : *La connaissance mystique chez Ibn-Sina et ses présupposés Philosophiques* . نكت في أحوال الشيخ الرئيس

ابن سينا ليجي بن محمد الكاشي ، حققه الدكتور احمد فؤاد الأهواني .

ومستشر الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية كتاباً فصيلاً عن المهرجات يشمل على جميع البحوث والمحاضرات التي أقيمت فيه .

هذا بعض ما أدى اليه مهرجان ابن سينا من البحوث والدراسات . واذا كانت الأوساط العلمية المختلفة تحتفل اليوم بإحياء ذكرى هذا الفيلسوف العظيم فما ذلك الا لأن تأثيره قد تجاوز حدود الوطن الذي عاش فيه . فهو عربي لأنه كتب باللغة العربية ، وهو إيراني لأنه ولد من أبوين فارسين ، ولكنه فوق هذا وذاك فيلسوف عالمي ، اشتهر اسمه بين فلاسفة الشرق والغرب ، لابل طبيب انساني عاش طبه حتى أواخر القرن الثامن عشر . لقد عظمت

نفسه كما يقول حتى ضاقت به الأمصار ، وغلا ثمنه حتى عدم المشتري . ولو عرف أن أمماً كثيرة ستدعيه بعد مرور الف عام على مولده لما شكأ دهره في شعره ، وبكفيه شرفاً أن يملأ الدنيا بعد موته كما ملأها في حياته ، وأن تدعيه أمم كثيرة ، وإن يكون اليوم في نظر الناس جميعاً رمز الحكماء ، وأمير الأطباء ، وفيلسوف الخير والكمال .

**جميل صليبا**



### تعليق

اطلعت في الجزء الأخير من مجلة مجمعنا المحترم (المجلد ٢٧ ص ٥٢) على المقال المنشور تحت عنوان (التأليف في الملوك) بقلم العلامة الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله وقد ذكر فيه مخطوطاً من تصنيف (عمر بن يوسف بن رسول) ملك اليمن - المئولي من سنة ٦٩٤ الى سنة ٧٩٦ هـ - في صنع الاسطرلاب ، وفي آخر الصفحة الأولى من المقال إشارة الى أن هذه النسخة كانت من مقتنيات ذلك الملك الجليل وانها الآن محفوظة في مكتبة أحمد نيور باشا بالقاهرة . وأعلق على البحث القيم المتقدم انه يوجد في مكتبتي الخصوصية مخطوط نادر كان أيضاً من جملة الكتب التي اشتملت عليها «الخزانة المظفرية» أعني خزانة عمر بن يوسف بن رسول العالم المؤلف ، والمخطوط هو «لباب الألباب» في شرح أليات الكتاب» تأليف سليمان بن بنين بن خلف النجوي المصري .

وقد جاء في وجه الورقة الأولى من نسختي هذه ، بعد ذكر اسم الكتاب المتقدم وبخط مقابر له عبارة : «وهو النصف الأول نُسِخ من نسخة المصنف ؛ ليوسف بن عمر بن علي بن رسول ، عفا الله عنه» ثم في السطر الذي يليه وبخط ابن رسول نفسه :

« الحمد لله ، مؤلف هذا الكتاب - رحمه الله - شافعي المذهب ، أنصاري النسب ، وهو أحد أصحاب ابن بري ، وله تصانيف في النحو والعروض تدل على تمكنه من العلوم وكثرة اطلاعه ، مات - رحمه الله - سنة أربع عشرة وست مائة من الهجرة النبوية » .

والنسخة تخرج في ١٩٠ ورقة من الورق البياضي الرفيع في القطع الكبير ، وقد جاء في آخرها العبارة الآتية :

« نجزت مقابلة هذا الجزء وهو النصف الأول من لباب الألباب في شرح أبيات الكتاب على حسب الطاقة والاجتهاد ، بامثال الأوامر العالية المظفرية زادها الله من العلم والعلو والتمكين في أمور الدنيا والدين ، وكتبه العبد الفقير الى الله تعالى حسن بن مُسَلَّم الخوي » .

وقد امتلك هذه النسخة بعد ذلك جماعة من جلة العلماء آخرهم عبد القادر ابن عمر البغدادي ( في سنة ١٠٧٢ هـ ) مؤلف خزانة الأدب .

وما تقدم يتبين عناية هذا الملك المصنف الجليل باقتناء الكتب النادرة واهتمامه باستنساخها من أصولها وجمعها في خزانته المظفرية ، والتعليق عليها بالرغم « من شواغل تدبير المملكة والقيام بأعباء أمورها في أكثر الأوقات » كما قال المعفور له الشيخ طاهر الجزائري .

وهذا ماوجب التنبيه إليه إحياءً لذكر مؤلف عظيم وإفادة للقراء الكرام والسلام .

حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي

( تونس )



## حول رد العامي الى الفصيح

شكرت للعلامة شفيق جبيري كلمته بتعريف كتابي «رد العامي الى الفصيح» في مجلة المجمع العلمي العربي (م ٢٧ ص ٢٨٣) فقد كان فيها على ما عرفناه من فضله ونقده الخالص المنزه عن كل شبهة وحيف ، وقد قرئت موضوع الكتاب بأنه عمل جليل ثم ذكر ما للذين يعنون برد الألفاظ العامية الى الفصيح من فضل كبير في اللغة ثم قال: «إلا أنهم اذا استطاعوا أن يستعينوا في مباحثهم باستشهاد من بعض كلام العرب من القديم كان أشد تأثيراً الخ ٠٠٠» . وكان من الحق والعدل أن يُتَّبِعَ كلامه هذا بقوله : «وكذلك فعل مؤلف الكتاب» لأنني لم آلُ جهداً في ذكر ما تيسر لي من الاستشهاد بالشعر العربي القديم وبكثير من الحديث الشريف . وما لم أعتز على شاهد له أسندته الى مرجع صحيح من كتب الأئمة وقد أدى بي حيي للاستشهاد الى استطراد في ذكر بعض النوادر كما تراه في مادة (رهذ) ص ١٥٠ من حديث خليدة بنت الزبيران وفي مادة (رح من خلقتي) ص ١١٢ من حديث زهير السمان وفي مادة (فزوج) ص ٢٩٢ من اعتراضني على صاحب اللسان في تفسيره (وسد فوجه) في بيت ابي ذؤيب الي غير ذلك مما يظهر فيه ما بذلت من الجهد في استخراج الشواهد وتمحيصها وتفسير غيرها .

أما الحديث على خربط وخربق فأني أردت من خربق معناها الفصيح الذي هو الافساد ، قال صاحب اللسان خربق عمله أفسده وخربق الشيء قطعه مثل خردله . وهذا كافٍ لتصح مأخذاً لخربط العامية لأنها مثلها زنة ومعنى وان شئت قلت وحرزاً . وأما كون خربق واردة في عامية دمشق لغير معناها اللغوي فلا يقدر في تخريج خراط العامية عليها .

وأما الخطرة لم أغفل كونها مأخوذة من معنى الحين وبعد أن ذكرت ما قاله مجاز الأساس . قلت : وهي أي الخطرة أي بمعنيها العامي والمجازي مأخوذة من الخطور في البال وهذا بيان للحقيقة من معناها .

أحمد رضا

( جبل عاملة )

### الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية

تدعو رجال الفكر في العالم العربي

إلى مسابقة عامة في التأليف

تطرح الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية على رجال الفكر والثقافة في العالم العربي مسابقتها العامة الجديدة في التأليف وموضوعها :

« المشاكل التي تعوق العالم العربي عن التقدم في السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأخلاق » وذلك بالشروط الآتية :

- ١- أن يقع البحث في نحو ٣٠٠ صفحة من الحجم المتوسط وان يكون مكتوباً باللغة العربية الفصحى .
- ٢- أن يرسل البحث المقدم للمسابقة إلى الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ( ١٠٢ شارع فاروق الأول بالمعجزة - الدقي ) في موعد غايته آخر أكتوبر ١٩٥٢ .
- ٣- أن تكون نسخ البحث المرسله منسوخة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخط واضح .
- ٤- يعطى صاحب البحث الفائز في المسابقة مكافأة قدرها ٤٠٠ جنيه ( اربعمائة جنيه مصري ) ، على أن تترك له الإدارة الثقافية حق طبع بحثه ، في مقابل تسليمها ( ٢٠٪ ) من نسخ كل طبعة .

## فهرس الجزء الثالث من المجلد السابع والعشرين

صفحة

للدكتور جميل صليبا	نظرية الحير عند ابن سينا	٣٢١
للأستاذ محمد كرد علي	الأحمدان المصريان القديمان	٣٣٧
للأمير جعفر الحسني	رأس شجرة أو أغاريت	٣٥٣
للأستاذ عبد القادر المغربي	القطن واللغة العربية	٣٦١
للأمير مصطفى الشهابي	نهضة اللغة العربية	٣٦٩
للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	قصة جزيرة قوصرة العربية (١)	٣٨٣
« طه الهاشمي	سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام (١)	٣٩٤
« محمد بهجة البيطار	شيخ الاسلام ابن تيمية (٢)	٤٠٨
« نعيم الحمصي	تاريخ فكرة إعجاز القرآن (٢)	٤١٨
	كتب مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي (١)	٤٣٤

### التعريف والنقد

للأستاذ عارف النكدي	{ الأمانة في التفرغ الاسلامي - كتاب تاريخ الفرنج - أدب الاملاء والاستملاء	٤٤٠ - ٤٤٢
« حمد الجاسر	تاريخ الحافظ ابن عساكر	٤٤٤
	استنوارك	٤٤٦
للأستاذ عبد القادر المغربي	الرياض الناضرة، والحدائق النبوية الزاهرة	٤٥١
« محمد بهجة البيطار	كتاب « الدليل على طبقات الخطابة »	٤٥٢
للدكتور جميل صليبا	أشباح ورموز - مذكرات البارودي	٤٥٣
	{ دليل الآثار اليونانية الرومانية في مشق دمشق (باللغة الفرنسية) - مجلة الحلويات الأثرية السورية - بلدانية فلسطين العربية	٤٥٩ - ٤٦٠
للأمير جعفر الحسني		٤٦٢ - ٤٦٤
		٤٦٥
للأستاذ منير الشريف	تشريع العمل	٤٦٧

### آراء وأبناء

للدكتور جميل صليبا	المهرجان الألفي لذكري مولد ابن سينا	٤٦٩
للأستاذ ح. ح. عبد الوهاب الصادحي	تعليق	٤٧٤
« احمد رضا	حول رد البامى الى الفصح	٤٧٦
	الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية	٤٧٧

## مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٥ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٦ - تاريخ حكام الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٧ - المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي الحسين التنوخي : بتحقيق  
الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - غوطة دمشق (الطبعة الأولى والثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ . ف . جبريالي .  
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٢ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٣ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكلمته الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان ابن حشوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .
- ١٥ - = = = = (الجزء الثاني) = = = = .
- ١٦ - ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ١٧ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلد الأولى) بتحقيق الأستاذ  
صلاح الدين المنجد .
- ١٨ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

- ١٩ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الأول ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسيني
- ٢٠ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسيني .
- ٢١ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجربيطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٢ - = = = = ( الجزء الثاني ) = = = =
- ٢٣ - الموفى في التجو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرح  
وتعليق الأستاذ محمد بهجة البيطار .
- ٢٤ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول : بتحقيق المسشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين
- ٢٥ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق الأستاذ  
صلاح الدين المنجد
- ٢٦ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٢٧ - التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا
- ٢٨ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه  
الدكتور يوسف العث
- ٢٩ - المنتقى من أخبار الأصفهاني للإمام الربيعي
- ٣٠ - تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجوالقي
- ٣١ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخنيلي الحلبي
- ٣٢ - الرسالة النباتية : للأمبر مصطفى الشهابي
- ٣٣ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٤ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني

بناع مطبوعات المجمع العلمي العربي  
في المكتبة العربية لأصحابها عبيد اخوان بدمشق

# مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٢

١٢ المحرم سنة ١٣٧٢

احمد فتحي زغلول

(٥١٣٣٢)

ولد في ابيان من عمل الغربية في مصر وأخذ التعليم الابتدائي والثانوي من مدارس مصر والاسكندرية . كان الامم الذي اختاره له أبوه «فتح الله صبري» فلما رأى ناظر المعارف ما كان يتجلى فيه من النبوغ سماه باسمه «احمد» واختار له من الألقاب «فتحي» فكان احمد فتحي زغلول ، وزغلول اسم أسرته . ثم أوفدته المعارف الى أوروبا فحذق علم الحقوق في باريس وتمكن من الآداب الفرنسية وجاء مصر فتولى وظائف كبيرة حتى بلغ منصب وكيل وزارة العدل وعني بما طلب منه وضعه من اللوائح والقوانين وهو الذي وضع لائحة اصلاح الأزهر ولائحة اصلاح المحاكم الشرعية . وكان أثره يشهدون بتفوقه عليهم في هذا المعنى .

قال فيه عبد الخالق ثروت من علماء مصر وقضاتها انه «نبغ في المعقول والمنقول ومعه الأدب الجم تزينه البلاغة ويزنه المنطق الصحيح الى العلم الغزير»

وثبته الحكمة ، وتؤيده قوة المعارضة الى صفات نادرة في تصريف الأمور ، وكان كاتباً مبدعاً وخطيباً مفوهاً ، وذا ذوق سليم فيما لم يعانهِ من الفنون وعلى جانب من دمائه الأخلاق والتواضع والبعد عن الدعوى يجمع الى هذا كله « شغفاً غريباً بحسن التنسيق والتنظيم » و « ان جهاده في عام واحد من أعوام حياته بقصر دونه جهاد رجال في أعوام ، ولم يقصر همته على أعمالها الكثيرة العظيمة بل كُنت تجده عاملاً في كل شأن من الشؤون العامة » « حياة كلها جهاد وعمل لم يوت فيها عقله وجسمه فسطها من الراحة ، مدفوعاً الى ذلك بعوامل فطرية ، مغالباً نواميل الطبيعة » .

كان رجل عمل يدعو الى تحييبه الى الناس وتعليمهم طريقته الرشيدة ولم يكن رجل ثورة لأنه بكره الثورات ويعتقد مضرتها ، وعنده أن القانون الحسن ما احتملته الأمة ونفذته راضيةً به مستعدةً له ، ويرى أن خير التعاليم السياسية والاجتماعية ما لام طبائع الأمة وكانت فيها قوةً على خصمها وجبر مواطن النقص فيها .

« شهد له كل ذي علم وفهم في مصر بأنه بدأ الأقران لم يجمع مالا ولم يتأثر عقاراً ، ولم يترك درهماً ولا ديناراً » ، وقالوا في صفاته الشخصية انه كان حسن العشرة حلوا المفاكحة ، تزيه النفس واللسان ، يرضي كل جليس بغير دهان ، لا يمل جلسه جدّه ، ولا يعيب بوقاره هناله ، وكان متأثقاً في زيه ومعيشته من دون ما تكلف .

وقال الشيخ محمد الخضري من أساتذة العصر في مصر : « أما خلقه فقد منح منه ما يوجب الى النفوس ، ويقربه الى القلوب طلاقة وجه وسعة صدر وتواضع الأشراف . كنا اذا أخذنا معه في مسألة رأينا منا قريباً على رفعة شأنه وعلو مقامه ، وربما بدرت منا الكلمة في تحطئة الرأي فيفسح لها صدره ، ويلقاهما لا تأفف ولا خجور . وأما اطلاعه على دقائق الفقه وأسراره فقد كنا

تجلس اليه وقد محصنا المسألة تمحيص من يريد النزول الى الميدان ومباهاة الأقران الى ما يخيل اليها أن الفقه علينا موقوف وعن غيرنا مصروف ، فلا نلبث ان نرى ذلك السيل الدافق وقد رجعنا الى أول مرحلة من مراحل البحث بما يمارض به علل الفقهاء ، وكان لشغفه بالقواعد العامة يستدرك على ما يخالفها من جزئيات المسائل فكان يحمل جلسه على البحث والاستقصاء وبعدل الفكر اذا زاغ ، ولم يكن سمره وعمله الا فيما يرضي ضميره من كتاب يولّف أو يترجم أو عمل صالح يقدم للجمهور من أمته » -

أتقن من لغات العلم الألمانية والانكليزية والفرنسية مئات من المصريين والشاميين والنونيين والعراقيين فكانت لهم أدوات تفاخر لتوصلهم الى الاستخدام في حكوماتهم ولكن احمد فحجي زغالول أحكم الفرنسية والعربية وما غفل ساعة عن تعريب الكتب وتأليفها يحملها لأمته فينير سبيلها الى العلم ويدعوها الى النهوض ، وما ألف ولا نقل من الغرب الا ما اعتقد نفعه للناس لا يقال انه ألف ونقل فما نقل وجود فيه ، وكل تأليفه وترجمته كان مجوداً فيها ، « أصول الشرائع » لبنتام و « خواطر وسواخ في الاسلام » لدي كاستري و « سر تقدم الانكليز السكسونيين » لادمون دي مولين وهو الكتاب الذي أثر في العقول ، ومما عرّب عن الحكيم غستاف ليون « روح الاجتماع » و « سر تطور الأمم » وترجم « جوامع الكلم » و « رسالة مصطفى فاضل الى السلطان عبد العزيز ينصحه فيها ويذكر له ما أصيبت به دولته من الانحطاط » . ومن تأليفه « الحمامة » و « رسالة في التزوير الخطي » و « شرح القانون المدني » ويقول علماء هذا الشأن ان هذا الشرح من أمتع ما كتب علماء الحقوق . وكان له فضل في وضع المصطلحات القضائية التي لم تكن معروفة فاختر من العربية ما ينطبق عليها . وكان دقيقاً فيما ينقل يحافظ في ترجمته على أفكار المؤلف لا يمسح ولا يحرف . وبلغ من تضلعه من الفرنسية أن كان بلقي نظرة على كتاب علم كتبها و يترجم عبارته ببيانات

عذب لا يشعر جليسه أنه يترجم بل يقرأ من كتاب . كان له اللسان الغربي  
أجمل أداة ينفع بها أمته ورأى أن يحمل إليها الفائدة من طريق التعريب لعله  
يتفوق الغرب علينا في جميع العلوم .

لم يهدف المترجم له للخمسين من عمره وأخرج للعربية هذا المحصول الجيد  
من علم العلماء والمفكرين بلفظ جزل سلس واضح وكان مع هذا لا يحرم نفسه  
من مباحها ولا قومه من العناية بخصوصياتهم بغشام في أفراسهم وأتراسهم  
ويشاركهم في آمالهم وآلامهم ويتبع نفسه بنصيبها من الرفاهة والنعيم . ولو كان  
كل من تعلم على طريقة فتحي مثله على جانب من بعد المهمة ومعرفة الواجب  
لقومه عليه لكان لنا من مجموع ما تحطه أقدامهم ويصدر من آرائهم وتجاربهم  
كثير نرجع الى ركازه في تنمية ثروتنا العلمية والمادية .

نقل فتحي أفكار غيره أكثر مما دون لنا أفكاره الخاصة لابقائه النفع العام  
في هذه الطريقة فخالف بذلك طريقة صديقه محرر المرأة قاسم أمين فان هذا  
دوّن تجاربه وتصوراته وجرأ على نشرها للناس . ولو مال الى الأكثر من  
نشر أفكاره الخاصة أكثر من نشر أفكار غيره لثم الخير للعقول على يده  
أكثر مما تم ولذلك كان أحد كبار أساتذتنا يقول ان مقدمة « سر تقدم  
الانكليز السكسونيين » أفيد من الكتاب الأصلي الذي عبره فتحي .

قال في مقدمة كتاب « سر تقدم الانكليز السكسونيين » من تعريبه وفيه  
مثال من حكم القاضي العادل على قصور أمته : « ضعفنا حتى أصبحنا نرجو كل  
شيء من الحكومة فهي التي نطالبها بحفظ حياتنا ، وخصب أرضنا ، وترويح  
تجارنتنا ، وتحسين صناعتنا ، هي التي نطلب منها أن تربي الأبناء ، وتعلم الفقراء ،  
وترزق العجزة ، وتبني أسباب البطالة ، وتحفظ الأخلاق ، وتلمّ شعث العائلات ،  
وتجمع أشعث القلوب ، هي التي نطالبها بتعويض ما نقص من ارادتنا ، وتقويم

ما عوج من سيرنا وسيرتنا ، ورد هجمات المزامين عنا ، والسهر على مصالح كل واحد منا ، فاذا تأخرنا في عمل من تلك الأعمال باهمالنا ، رميناها بسوء الإدارة ، واتهمناها بحب الأثرة ، وألقينا عليها تسمية خمولنا كلها .

« ولا ريب أننا بهذا الزعم قد ضلنا السبيل ، فانما الحكومة وازع لا يكف الا ما اقتضته طبيعته ، وشأن الحكومات في الأمم تأييد النظام وحفظ الأمن وإقامة العدل ، وتسهيل سبل الزراعة ، ومعاودة بعضهم بعضاً على ما يضمن خربة التجارة ، وتشجيع أهل الصناعات والحرف ، كما تقتضيه المصالح المشتركة ، وعلى قدر ما تسمح به امکانات ، وبالجملة فالحكومة وازع عام لا واجب عليه الا الأمر العام مما يدخل تحته جميع الناس ، ولا ينفرد بالاستفادة منه واحد بخصوصه ، وعلى الأمة بعد ذلك أن تستفيد من هذا النظام ، وتنتهز فرصة الأمن والطمأنينة لتسعى وراء منافعها ، وتطلب السكال في زراعتها وصناعاتها وتجارتها ، وفي نشر المعارف وحياء العلوم ، وفي أداء الواجب والحفاظة على الحقوق » اهـ .

كان احمد فتحي زغلول بكبر شقيقه سعد زغلول بضع سنين تخلد اسم هذا بعنله العظيم لاستقلال مصر وكان رجل ثورة ، وخلص اسم فتحي بتأليفه استفاد منها ابن مصر وأبناء العرب عامة وحرص على النهوض بأمتة من طريق العلم وبت الملكات الصحيحة في النفوس .

محمد كرد علي

## توهم الحرف الأصلي زائداً

### والشواهد على ذلك

الشدوذ في قواعد اللغة العربية معروف . وقد اعتاد النحاة والشراح إذا شدت لفظة عن قاعدتها ، أن يقولوا إنها شاذة ، من دون أن يعللوا شدوذها ، أو يذكروا سببه . ففعل أبي يأبى مثلاً جاء من الباب الثالث شدوذاً ، ولا أذكر انهم عللوا سبب شدوزه . ومثله فعل استمخوذ من دون اعلال شدوذاً . اللهم الا في ضرب واحد من الشدوذ : وهو أن يكون سببه ( التوهم ) فقد أكثر علماء اللغة من ذكر هذا السبب في طائفة كبيرة من الألفاظ الشاذة . والتوهم ضربان : توهم الحرف الزائد أصلياً : كيم منطقة ، قالوا في الفعل منها تَمَنَطَطَقَ ، والقياس تَمَنَطَطَقَ . وبالعكس : أي توهم الحرف الأصلي زائداً . وقد تَبَيَّعتُ الشواهد على الضرب الأول ، فبلغت من الكثرة حداً رأيت أنه كافيّاً في اعتبار هذا الضرب من التوهم قاعدةً يُتَمَتَذَرُ ، فيحمل على شواهد المنقولة عن الفصحاء شواهد أخرى تُشَبِّهها من كلام المولدين ، فنعتبرها صحيحةً سائفة الاستعمال ، ولا نخطئ في الكتاب المعاصرين أو المولدين في استعمالها قال الخفاجي في كتابه ( شفاء الغليل ) : ( لفظ الشُبَّانِك وان كان مواسداً لكنه ليس بخطأ ) . هذا ما أقوله في الضرب الأول <sup>(١)</sup> من الشدوذ الممثل وهو توهم الحرف الزائد أصلياً . أما الضرب الثاني وهو توهم الأصلي زائداً فقد أشرت إليه في خلال بحثي الأول ، ولم يكن قد علق بكفي من شواهد الا القليل . وها أناذا أبسط القول فيه :

(١) راجع ما نشر في مجلة المجمع العلمي العربي ( المجلد ٥ ص ٢٠٥ و المجلد ١٠ ص ١٢٩ و المجلد ١١ ص ٥٣٩ ) .

(قاهرة توهم زيادة الحرف الاصلى) : موضوع هذه القاعدة على

عكس موضوع القاعدة الأولى كما أشرنا آنفاً إذ أن موضوع هذه توهم زيادة  
وموضوع تلك توهم أصالة .

وأول شواهد هذه القاعدة أي توهم الزيادة منع (أشياء) من الصرف  
وقد سبق لنا القول أن بعض النجاة جعل السبب في منعها زيادة الألف والمهمزة  
في آخرها وأن أصلها شَيْئَاء وهو جمع شيء ، كما أن قَصَبَاتٍ جمع لقصب .  
وهناك من جعل همزتها زائدة مانعة من الصرف ، لكنه لم يجعلها جمعاً كقصباء  
بل جمعاً كأنصباء في جمع نصيب : فأصل (أشياء) عنده أشْيَيْئَاء حذفت  
المهمزة الوسطى فبقيت على وزن أفعال .

وكلا القولين لم يُعجب الكسائي رحمه الله ، فتأقتف منها وتجتب المرادغة  
فيها قائلاً : لماذا لا نقول الحقيقة وهي أن (أشياء) وزنه (أفعال) وأنه جمع  
شيء ، كما أن (أفياء) جمع فيء . ووزن أفعال جمعاً لا يمنع من الصرف  
فهذه أفياء ليست ممنوعة ، فكان الواجب أن تكون (أشياء) غير ممنوعة أيضاً .  
ولكن العرب ممنوعها !! فكيف ذلك ؟

قال شيخنا الكسائي في الجواب : إنما ممنوعها لكثرة تكررها على أفواه  
الناس ، ومشابهتها لجرأ ، فأرادوا التخفيف عليهم فممنوعها من الصرف . ولبس  
معنى هذه المشابهة التي قالها الكسائي إلا أن العرب أشبه عليهم أمر همزة  
(أشياء) لوقوعها بعد ألف فظنوها زائدة كهمزة (جرأ) مع أنها أصلية  
كهمزة أفياء ، وممنوعها من الصرف بناءً على هذا الاشتباه بل هذا التوهم .  
فن قوله هذا أو من هنا نبدأ في تأسيس قاعدتنا الثانية أعني (قاعدة توهم  
الزيادة) أي توهم الحرف الأصلي زائداً ونجعل (منع صرف أشياء) على رأي  
الكسائي (الشاهد الأول) .

أما (الشاهد الثاني) فهو (بُراء) على وزن عُراب في جمع يريء : فإن قومًا منعهوا أي منعوا بُراء من الصرف مع أن همزته أصلية لازائدة . وقد جروا في منعه على خطتهم في جمع أشياء مذ جعلوا أصلها (شياء) أو (أشياء) وهذه أي (بُراء) جعلوا أصلها (بُراء) جمعاً ليريء ، على وزن فُعْها . وكرمها جمعين لقيقه وكرم . لكن (برءاء) لم تبق على حالتها بل تلاعبوا بها فحذفوا همزتها الأولى تخفيفاً ، وجعلوها على وزن عُراب . فقالوا (بُراء) وإنما منعهوا من الصرف ملاحظة لأصلها الذي هو (بُراء) فإن ألفه وهمزته تفيدان معنى التأنيث في الجموع فتنوع برءاء من الصرف كما تنوع فُعْها وكرمها وشرفاء وأصدقاء . وهكذا (بُراء) التي أصلها (بُراء) . هذا ما قالوه في تخرج منع الصرف في بُراء عند من قال به ، وهو تخرج فيه تصف ، وفوط تكلف ، والأولى أن تخرجه تخرج الكسائي لمنع الصرف في (أشياء) استناداً إلى قاعدة (توم الزيادة) فإننا توهمنا زيادة همزة بُراء مع أنها أصلية . ومستندنا في هذا التوم رأي الكسائي في تخرج منع صرف (أشياء) مذ قال إنها منعت لمشايتها لجرأ .

(الشاهد الثالث) أملاك في جمع مَلَك ، وليس في هذا الشاهد منع صرف ، وإنما فيه جمع مَلَك على أملاك . ووجه الغرابة والشذوذ في هذا الجمع أن (مَلَك) أحد ملائكة السماء مشتق من الألوكة وهي الرسالة ، وهكذا الملائكة ، فإنهم موكلون بنقل الرسائل إلى الأنبياء . فأصل مَلَك مَأَلَك ، وجرى فيها قلب فقالوا مَلَأَك . وخففوها ألفاً فقالوا مَلَأَك ، وهو استعماله الشائع على السنة المسيحية ، ثم حذفوا الألف من مَلَأَك فقالوا مَلَك ، وهو الاستعمال الشائع عند المسلمين .

وسواء أقلنا إن أصل مَلَك مَأَلَك أو مَلَأَك أو مَلَأَك فإن همزته أصلية لازائدة . وإذا كانت الجموع ترد الأشياء إلى أصولها فيكون جمع مَلَك

إنما هو ملائك وملائكة ، بالهمزة الأصلية ، لكننا سمعناهم يجمعونها أيضاً على (أملاك) ، كأفراس جمعاً لفرس ، وقد أشبهت (أملاك) التي هي جمع ملك السماء (أملاك) التي هي جمع ملك (المكسور اللام) أخذ ملك الأرض ، فها أي أملاك وأملاك جمعان متفقان لفظاً مختلفان معنىً وتخريجاً .  
 وإذا قيل كيف جمع ملك السماء على أملاك ؟ قالوا في الجواب إنه شاذ .  
 وأرى أن يقال إن جمعه على أملاك مخرج على (قاعدة توم الزيادة) أي زيادة الهمزة في مالك وملاك ، مع أنها أصلية كما مر . فكان القياس جمعها على ملائكة ، لأن الجوع ترد الأشياء إلى أصولها كما لا يخفى . غير أن العرب توهموا الهمزة فيها (أي في مالك وملاك) زائدة ، وأن وزن ملك المخفف هو قَعَل بالتحريك ، وقَعَل الصحيح يجمع على أفعال ، فقالوا بناء على هذا التوهم أملاك ، كما قالوا ملائكة على الأصل .

(الشاهد الرابع) جمع منارة على منائر بالهمزة . وبيان ذلك أن الف منارة أصلية لازائدة . لأن الكلمة مشتقة من النار أو النور ، فوزن منارة مفعلة لا فعالة . لكنهم توهموها أي توهموا الألف زائدة ، وقد ظهر أثر هذا التوهم في الجمع فقالوا منائر بالهمزة . والقياس منائر بالياء ، إذ القاعدة في ذلك أن الواو والياء إذا وقعتا في فاعل جمعاً أي بعد ألف تهزنان إذا كانتا زائدتين كياء فضيلة الزائدة يقال في جمعها فضائل ، وتبقيان على حالتها إذا كانتا أصليتين ، كواو منارة ومنارة ، فيقال في جمعها مناور ومناور ، لكنهم في (مناور) قالوا منائر بالهمزة أيضاً بناءً على توهمهم ألفها زائدة . على أن قولهم في مناور منائر بالهمزة لا يتبع أن يقال فيه مناور بالواو أيضاً كما هو القياس .  
 (الشاهد الخامس) ما حكاه لنا شيخنا أبو العلاء المغربي في كتابه (عيت الوليد) نقلاً عن الفراء قال : (إنهم أي العرب يشبهون النون الأصلية

بالتون الزائدة ، قال : وهذا عند أهل الكوفة أسوغ منه عند البصريين ، يقولون مررتُ بطحانَ ، يشبهون نونه الأصلية بالتون الزائدة . وذلك إذا سَمَّوْا به ( اه كلامه .

فتون الطَّحَنُ أصلية وهي لام الكلمة وصيغة المبالغة من الطحن طحَّان ، ووزنه فعَّال ، كضربٍ من الضرب ، وشرابٍ من الشرب ، فهو إذاً مصروف ، لكنَّ وقوع نونه بعد ألف جعل العرب يشبهون ( على حد تعبير الفراء ) نونه بالتون التي تقع بعد ألف في صيغة فعَّال كسكران ، فيمنع طحَّان من الصرف كما منع سكران . والفراء قال ( يشبهه العرب ) ولا أرى التعبير بالتشبيه في هذا المقام بعلمه : لأن العرب لا يخطر ببالهم إبقاء التشبيه بين حروف كلماتهم التي تنبأثر عنواً من أفواهم . وإنما هم لما لفظوا كلمة ( طحَّان ) في ( مررتُ بطحان ) مثلاً توهَّموا طحَّان كسكران فأجْرَوْها مُجرأها . وقول الفراء : وهذا إذا سَمَّوْا به أي سموا بطحان فاجتمع فيه علتان ، العلمية المحقَّقة وزيادة الألف والتون المتوهَّمة — وقول الفراء أيضاً ( وهذا عند الكوفيين أسوغ منه عند البصريين ) يفهم منه أن اعتبار التون الأصلية زائدة في مثل ( طحَّان ) يسوغ عند البصريين لكنه عند الكوفيين أسوغ . ومعنى أنه أسوغ أي أكثر تمثيلاً في الاستعمال . وهذا يُشعر بقياسية مررتُ بطحَّان وعجَّان ونحوهما . وإذا كان مجعنا يرى أن من سلامة اللغة توسيع دائرة الخطاب بها فلا بأس من تسويغ ما سوغه البصريون بله الكوفيين . ( الشاهد السادس ) ما حكاه أبو العلاء المعري أيضاً في كتابه ( عبث الوليد ) معلّقاً على قول البخاري من أبيات أولها :

( لقد أمسك الله الخلافة بعدما وسمت وتلافي ميربها أن يُنفرا )

وقال في تلك الأبيات :

( أنت بركات الأرض من كل وجهة وأصبح غصن العيش فينان أخضرا )

قال أبو العلاء :

(شِعْر فَيِّنَانٍ وَغَصْنٌ فَيِّنَانٍ مِنَ الْفَتَنِ فَوْزَنَهُ فَيَعَالُ) أَي فَتَكُونُ نُونُهُ أُصْلِيَّةٌ لِزَائِدَةٍ ، فَيَصْرَفُ . ثُمَّ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ (لَكِنْ يَتْرِكُ صَرْفَهُ كَأَنَّهُ عَلَى وَزْنِ فَعْلَانِ هـ) وَإِذَا كَانَ عَلَى وَزْنِ فَعْلَانٍ كَانَتْ نُونُهُ زَائِدَةً كَتُونُ مَكْرَانَ ، فَيُصْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ .

فَقَوْلُ الْمَعْرِيِّ : (لَكِنْ يَتْرِكُ صَرْفَ فَيِّنَانٍ كَأَنَّهُ عَلَى وَنِ فَعْلَانٍ) لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا كَوْنُ وَزْنِهِ عَلَى فَعْلَانِ الزَّائِدِ النَّوْنِ أَمْرًا مَفْرُوضًا فَرَضًا أَوْ مَعْتَبَرًا عِتْبَارًا أَوْ تَوْقِيفًا تَوْقِيفًا ، وَهُوَ التَّعْبِيرُ الصَّحِيحُ الشَّائِعُ عَلَى أَسْنَةِ اللَّغَوِيِّينَ الَّذِينَ نَقَلْنَا عِبَارَاتِهِمْ فِي بَحْثِنَا عَلَى الْقَاعِدَةِ الْأُولَى أَعْنِي (تَوْهَمُ أَصَالَةِ الْحَرْفِ الزَّائِدِ) وَالْفَتَنِ فِي اللَّفَّةِ : الْغَصْنُ الْمَشْتَبِعُ : فَإِذَا قَالُوا فَرَعَ فَيِّنَانٍ وَشِعْرَ فَيِّنَانٍ وَآءٌ فَيِّنَانَةٌ أَرَادُوا أَنْ لَهَا فَنُونًا مِنَ الذَّوَابِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

(إِمَّا تَرَى شَمَطًا فِي الرَّأْسِ حَلَّ بِهِ مِنْ بَعْدِ أَسْوَدَ دَاجِي اللَّوْنِ فَيِّنَانٍ)  
(فَقَدْ أَرْوَعُ قُلُوبَ الْغَانِيَاتِ بِهِ حَتَّى يَمِيلُنَّ بِأَجْيَادٍ وَأَعْيَانٍ)  
وَأَعْيَانٌ هُنَا جَمْعُ عَيْنٍ بِمَعْنَى الْبَاصِرَةِ .

(الشَّاهِدُ السَّابِعُ) نَوْعٌ مِنَ التَّوْهَمِ غَرِيبٌ : لَأَ هُوَ مِنْ تَوْهَمِ الْأَصَالَةِ وَلَا هُوَ مِنْ تَوْهَمِ الزِّيَادَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ تَوْهَمِ الْحَرْفِ الزَّائِدِ حُرْفًا زَائِدًا آخَرَ . مِثَالُهُ : لُغَاتٌ جَمْعُ لُغَةٍ ، فَإِنَّهُ جَمْعٌ مُؤَنَّثٌ يُنْصَبُ بِالْكَسْرِ ، تَقُولُ سَمِعْتُ لُغَاتِ الْعَرَبِ ، لَكِنْ حَكِيَ الْجَوْهَرِيُّ فِي صَحَاحِهِ أَنَّ الْعَرَبَ يَتَوْقِعُونَ تَاءَ جَمْعِ التَّائِيثِ زَائِدَةً كَالتَّاءِ الَّتِي يُوقَفُ عَلَيْهَا هَاءٌ فِي نَحْوِ قَضَاةٍ وَرِوَاةٍ ، فَكَمَا يَقُولُونَ رَأَيْتُ قَضَاةَ الْبَلَدِ بَفَتْحِ تَاءِ قَضَاةٍ يَقُولُونَ سَمِعْتُ لُغَاتَ الْعَرَبِ بَفَتْحِ تَاءِ التَّائِيثِ . لَكِنَّ الْجَوْهَرِيَّ عَبَّرَ عَنْ هَذَا التَّوْهَمِ بِالتَّشْبِيهِ ، فَقَالَ إِنَّهُمْ شَبَّهُوا تَاءَ لُغَاتِ بِنَاءِ قَضَاةٍ ، وَهَذِهِ عِبَارَتُهُ :

(وجمعها أي جمع لغة لثمي ولغات أيضاً ، وقال بعضهم سمعت لغاتهم  
يفتح التاء ، وشبهها بالتاء التي يُوقف عليها بالهاء اهـ) .

وزاد صاحب اللسان على ما قاله الجوهري قوله : قال ثعلب : قال أبو عمرو  
لأبي حنيفة : يا أبا خيرة ! سمعت لغاتهم فقال أبو خيرة : وسمعت لغاتهم .  
فقال أبو عمرو : يا أبا خيرة أريدُ أكثف منك جلدًا . جلدك قد رق .  
ولم يكن أبو عمرو سمعها اهـ) أي ولم يكن أبو عمرو سمع هذه اللغة التي  
نطق بها أبو خيرة . ولذا تمكّم به ، مع أنه أي أبا خيرة أعرابي ثقةٌ تؤخذ عنه  
اللغة . فقال له أبو عمرو أريد أن آخذ اللغة عن آخر غيرك بكون  
جلده كثيفاً كجلود أعراب البادية . أما أنت يا أبا خيرة فقد لابت الحضارة ،  
وطاشرت أهلها ، فرق جلدك ، وفادت لعتك مذ قلت سمعت لغاتهم .  
ولكن صاحب اللسان والتاج أقرأ أبا خيرة على ما قال ، واعتذرا عن أبي عمرو بأنه  
لم يكن سمع ما حكاه أبو خيرة من تلك اللغة التي من مقتضاها جواز  
(سمعت لغاتهم) .

هذه أيها السادة شواهد سبعة على أن في اللغة العربية طريقة ثانية للتوسّع  
في تكاثر كلماتها ، وتسهيل أمر التخاطب بها . وهي اعتبار الحرف الأصلي زائداً  
وإجراؤه مجرى الزائد . وقلتهُ هذه الشواهد لا تسمح بأن أقترح على الجامع  
اعتباره قياسياً . وما يُدرينا لعل أو لعل غيري يَعْلَمُ بكفه شواهد أخرى  
فيُضيفها إلى شواهد السبعة ، ويكون لنا من ذلك كثرة نرتقي بها إلى تقديم  
الافتراح ، وتأسيس القاعدة .

أما القاعدة الأولى (قاعدة توهم أصالة الحرف) التي عددنا من شواهدنا  
فوق الخمسين شاهداً فأرجو أن لا تحرم حظتها من الحياة ، إن شاء الله .

## لمحة تاريخية

في اللغة البرتغالية وآدابها<sup>(١)</sup>

هبط هندي من منسك الى المدينة بعد عزلة وزهد طويل ، فوصلها تبعاً من وعناء السفر ، وما قاساه من عذاب في رحلته . فقد كان قليل الزاد الا بما حواه في دماغه ، طرق الباب وولج العتبة للقاء داعيه ، حاسر الرأس احتراماً ، خاشع الطرف حياءً ، امام مجمع ضم بين جدرانها نخبة علماء بلاده ، وعيون وطنه ، ألقى عليهم السلام وقال : « أنتى لي أن أحظى بشرف المثول بين أيديكم وتلبية دعوتكم للانضمام الى حلقتكم النيرة بالعلوم والمعارف . وقد أصبحت مشكاة هذا المجتمع ودليله في معارج معرفة سفر الحياة ، بما أفضموه عليه من خيرات تجاربكم وأفكاركم ، وإذ يتعذر عليّ أن أضراركم بحكمة واختياراً ، فقد عنمت على أن أرى ما تزرون وأسمع ما تسمعون وأنعلم ما تعلمون ، واسمحوا لي أن أتقدم خطوة وأزيج النقباب عن وجه كأس المعرفة ، وأضع على مائه وربقات من الزهر ، تعطر المكان ولا تشغل حيزاً .

أيها المحفل الكريم !

لغة جديدة وثقافة جديدة أنقل أول حجر من أحجارها الضخمة في المغرب لأضعه في أس بناء المعرفة في الشرق ، أنقل ثقافة ملايين من البشر بسطت عليهم سياسة الأقوياء ظلالها رديحاً من الزمن ، فأزالت معالم حضارتهم ومحت آثار جهادهم واكتشافاتهم من معاجمها . واللغات تتجيا أبداً حياة آلية ، أي

(١) المحاضرة الأولى التي ألقاها الأستاذ جورج ليان في مدرج الجامعة السورية الكبير في الساعة السادسة من مساء السابع من كانون الثاني سنة ١٩٥٠ .

ان بقاءها يتوقف دائماً على قوة ثقافة الشعب وسمو أدبه وبلغ نفوذه . وعامل القوة هذا لفعال أبداً في تدعيم اللغة وتموها وانتشارها فاذا ارتقى الانسان بعلمه وسطا عليه الترف فقد القدرة على التقدم والنجاح وهذا ما أصاب الاسبان والبرتغاليين الذين انغمسوا في الترف فانهطوا في سياستهم وتفرق شمل الوحدة التي تمتعوا بها حيناً في القرون الوسطى حتى القرن السادس عشر . ولما صحوا من صدمة استيلاء الأجناب على ثروتهم العلمية وجدوا قافلة العلوم والفنون والصنائع والثقافة العامة قد سارت وتركتهم وراءها بعيدين ، نشطوا اليوم وفتحوا خزائن خزائهم الغاصة بنفائس المخطوطات العلمية والأدبية والفلسفية والفنية فاذا بها ودائع عربية نفيسة وآثار كتابية نادرة .

اننا نفتح صفحة جديدة في تاريخ الثقافة العربية ، ونعيد الى الأذهان ذلك العصر العربي الزاهر في شبه جزيرة إيبيرية حيث ازدهر العلم والعمران والحضارة في ظلال العرب .

قد يتساءل بعضهم ، وما شأننا واللغة البرتغالية أو الاسبانية ؟ ألا يكفي طغيان الفرنسية والانكليزية الدوليتين على كل لغة في بلادنا ؟ فنجيب : ان رابطة الفكر من أمتن الروابط وأقواها بين الشعوب ، ولا شك أن محور هذه الروابط هو الصلات الثقافية البريئة من كل طعن ، والبعيدة عن كل مآرب ، والمنزهة عن كل استئثار يغتم به فريق ويغرم آخر . فالبرتغالية والاسبانية لغتان حيتان لا يقصد بنشرهما وتعميم ثقافتهما تأييد فكرة أو بث مبدأ من الميادي ، لكن ما يربطنا بها وبشعبها بحكم الفتح القديم . يوجب علينا أن نرجع قليلاً الى التاريخ فتعلم ولو قليلاً من الذين كنا علمناهم ، وتركنا آثارنا وعلومنا بينهم ، علينا أن ننقل الى أدبنا ما لم يزل منه مكنوزاً في ديارهم ، ومن التاريخ ما لا يزال مجهولاً لدينا .

ويجدر بي أن أنوه بما صرح به سفير البرتغال في البرازيل ،  
الدون جوان انطونيو بيا أنكو ، إذ أشار في أحد موافقه الرسمية الى الروابط المتينة  
التي استحكمت بين البرتغال والشعوب العربية ، وهي صلات الدم والعرق واللغة  
قال : « اني اعدُّ البرتغالية كاتبة شرعية للعربية » والكل ينبغي أن يكون هذا  
الكرمى البرتغالي في الجامعة السورية فاتحة عهد ثقافي جديد بين الشعوب المرتبطة  
بوشائج الدم ، الاسبان والبرتغال والعرب .

ويصرح رجال العلم والأدب في اسبانيا : « ان كل الأمم ، حتى تلك التي  
لا صلة لها بتاريخ اسبانيا والبرتغال وأدابها وتقاليدهما ، تعنى بدراسة آثار العرب  
في المعاهد الفنية والمجامع الأدبية ، بينما كان العرب أنفسهم في غفلة عن هذه  
الأمور الثمينة والآثار العظيمة » .

لم يتصل العرب بعد نزوحهم عن الأندلس بالاسبان لأسباب وعوامل شتى ،  
فكانت القطيعة منذ عدة قرون بين الشعوب العربية وشبه جزيرة إيبيرية ، وكان  
مرور الزمن عاملاً أول على محو تلك الأسباب التي دعت الى هذه القطيعة .  
فالعرب اليوم غيرهم بالأمس في المعترك الدولي ، يتبادلون الوفادات الرسمية مع  
الجميع ويحضرون المؤتمرات الدولية والعلمية والفنية والاقتصادية والسياسية وتنتل في  
مصالحهم في كل النواحي العملية بمصالح أمم الأرض . فحاجتنا الأساسية ونحن  
دول ذات كيان ، ان نأخذ بالأسس التي استندت اليها الدول القديمة في دعم  
تكوينها على أن لا تقتصر على تعلم لغات الآخرين ، بل نعهد الى درس تاريخهم  
وعاداتهم وأخلاقهم وميزاتهم وشؤونهم العامة والخاصة وان تكون دراساتنا  
لأحوال أمم الغرب مماثلة لدراساتهم العميقة عن الشرق ، تلك الدراسات التي  
بلغت ذروة عالية من الدقة والتخصص والبراعة ، حتى نجد بين متعلمهم ، العدد  
الوفير من ينقن اللغة العربية ولهجات أقاليمها ومناطقها المتعددة ، وما ذلك لخدمة  
الأدب بذاته - ولا لمجد الله - بل لخدمة لمصالح دولهم ، فيفدوننا أفراداً

وجماعات في بعثات رسمية ، وعلى شكل وفود علمية أو تحت ستار النيش عن الآثار والسياحة وجوب الأقطار للتعرف الى ما في الشرق من عجائب وغرائب .  
أيها السادة !

اننا مقتنعون كل القناعة بوجاهة فكرتنا ، وعلى أساسها نبدأ دراساتها وأبحاثنا اللغوية والأدبية والتاريخية التي لنا بها صلة مباشرة مع شبه الجزيرة أو مع الشعوب الأمريكية اللاتينية الجديدة . ولكي نتعرف الى شعب وجب علينا درس تاريخ لغته ونشأتها ، ولما كانت اللغة البرتغالية هي محور موضوعنا وجب الاطلاع على تاريخها القديم توصلًا الى فهم أديها وعلاقته بأدينا .

« ان أصل اللغة البرتغالية هندي اوروبي تغلبت عليه اللاتينية وهي لغة شعب ساد شعوبًا متعددة وامتد سلطانه السيامي والثقافي الى معظم مقاطعات اوربا وافريقيا وآسيا كما بسط اروقته على شبه جزيرة إيبرية فغدت الأمة الرومانية ، أمة تبسط جناحها على امم مختلفة في الجنس واللون ، متباينة في المدينة والعمران . فاللاتينية هذه - وهي احدى اللهجات الايطالية كأختها الأوسكو والأميريكو - كانت لغة الجمهورية اولًا والامبراطورية بعدئذ ، وقد امتازت اللاتينية بصفتين متباينتين : العامية والفصحى ، فالأولى منها كانت لغة الشعب والثانية لغة الآداب والديوان وتوسطت مع الزمن بين هاتين الصفتين لغة العائلات المختارة ولغة الخطباء والوعاظ اليوميين ، الذين كانوا يبيحون في خطبهم ومواعظهم وأحاديثهم الخاصة من الكلمات والعبارات ما لا تجيزه لغة الآداب ، فنجحت عن ذلك فوارق بيئته في المصطلحات لم تؤد الى انحطاط اللغة بسبب استعمال كلمات وعبارات حوشية ، بل لبست مع الزمن حلل الجدة والإبداع وتمهذت لهجتها تدريجيًا وارتقت رقيًا محسوسًا بما أفاض عليها خيال الشعراء والأدباء في احقاب متتالية . من وحي نهي حتى أصبحت لغة مقبولة وسهلة ممتعة تفاعلت في روح الأمة

وصارت تعتبر عن صور حياتها وروحيتها وتفكيرها ومدنيتها . وأثرت الحياة الرومانية ببعض مظاهرها وأشكالها ، في لغة الاقليم ولهجاته وعاداته واراداته ومدنيته حتى صار كل ما في الجزيرة روماني الصبغة . ولم تكن خطة روما القديمة في تطبيق سياستها الاستعمارية للسيطرة على الشعوب سوى الخطة التي يسير عليها دعاة الاستعمار في العصر الحاضر .

لم تتم رومانية شبه الجزيرة على أيسر سبيل ، ودامت سيادة اللاتينية وقوتها على هذا النحو من التأثير في الأصقاع الايبيرية من اوائل القرن الثالث قبل الميلاد حتى اواخر القرن الأول بعده ، أي منذ اجتاحت جيوش الفاتح كينيو سيبيون وجنود اخيه بوبليو شبه الجزيرة ، حتى قيام محرري البرتغال فيريباتو وسرتوريو ، اللذين شقا عصا الطاعة وأعلنوا العصيان العام ، ومقاومة كل ما هو روماني ، وامتدت ثورتها الى اسبانيا على حين كانت روما ترسل الحملات لاخماد الفتن والثورات المتعاقبة التي لم يمحمد اوارها حتى زحفت جنود البربر على شبه الجزيرة في القرن الخامس للميلاد وطردت آخر جندي روماني فيها .

ومما لا شك فيه ان معظم البرتغاليين حالياً هو من اصل لاتيني ، والشعب البرتغالي يقول انه احد ورثة مخلفات الرومان ، على اعتبار ان اللغة اللاتينية والثقافة الرومانية احتلتا المكانة الأولى في طول البلاد وعرضها فسيطرنا على المعارف العالية والآراء والمباني والمصانع وأثرنا في ترتيب الآداب الاجتماعية والعادات البيتية وفي العقائد الدينية والمذهبية وأشكال ادارات الأحكام والقوانين وغيرها . ولكن هذا التأثير كله قد تأثر هو أيضاً بما طرأ عليه من مصطلحات شعوب شبه الجزيرة وعاداتهم وتقاليدهم وما ألفوه في حياتهم الخاصة والعامة ، وهكذا بدأت اللغة البرتغالية تسميز لفظياً واجتماعياً رويداً رويداً وتتخذ شكلاً خاصاً ومنحى صريحاً يفرق بينها وبين لهجات ولغات اسبانية المتعددة وازدادت هذه الفوارق بعدئذ حتى الفتح العربي في القرن الثامن للميلاد بدخول تمايز

وتراكيب مغايرة لخصائص اللغة الأصلية كاستعمال الحجاز والاستعارة ، فصار للبرتغاليين صرونة اللغات الحية وسهولة الاشتقاق وقوة الابتكار والإبداع ، الا ان البرتغاليين تركوا قليلاً من المصطلحات بألفاظها الأصلية في الاسبانية والفيثيقية واليونانية والامسكاراس والسلتية والجرمانية والعربية ، ولغات الشعوب الأخرى التي اجتاحت شبه الجزيرة ، وكانت ماثلة لها روحياً وسياسياً كالفشتالية والفرنسية والايطالية والانكليزية . ولم يستطع البرتغاليون تحاشي اقتباس كلمات افريقية وآسيوية وهندية اميريكية بحكم ولهمم بالفتح والنظر لامتداد سلطنتهم الى ماوراء البحار . كما تسربت منهم كلمات وعبارات كثيرة الى اللغة اليابانية حينما اكتشفت طلائع البرتغاليين جزر اليابان حوالي ١٥٤٢ .

ونخرج من هذا التحديد الى ان اختلاط الفاتحين بالسكان الأصليين في شبه الجزيرة كان في المناطق الشرقية والجنوبية اشد منه في ناحية الاطلنطي وهذا ما سبب تباين اللهجات وانقسام الوحدة اللغوية وانقسامها الى اسبانية وبرتغالية ولا شك ان للاعتبارات السياسية اسماً متيناً في تكوين القومية في أواخر القرن الحادي عشر فانطبعت بطابع أدبي خاص ميّزها عن بقية اللغات في شبه الجزيرة الاسبانية .

تشتق كلمة برتقال من بررتوس كاله أو پورتو كاله نسبة الى مدينة پورتو أحد مرافئ تلك البلاد . واول من استعمل هذه الكلمة الكاتب هيداسيو في القرن الخامس فكانت الرسائل والوثائق وقتئذ تكتب باللغة الحوشية حتى اواخر القرن السادس عشر ، وتطورت هذه اللغة تدريجياً وحت بجديتها محل اللاتينية القديمة في الشعر والخطابة والأدب ، ثم ضبقت قواعدها وتصادبها وأفعالها وماشت اللغة الاسبانية جنباً الى جنب . ويمكن اعتبار دور الانتقال من جاهلية البرتغال الى مدنيتهما من ظهور ملحمة كامويس الخالدة بين الملاحم السبع المشهورة في العالم . وبقيت اللهجات في الأقاليم كما هي وتمددت بعد

فتوحات البرتغاليين واتصالهم في ماوراء البحار بشعوب آسيا واميريكيا وبلغت الآداب والثقافة البرتغالية أوجها في ذلك العصر ، مرافقة عظمة الأمة وقوتها وسلطانها الواسع حتى استقلال البرازيل وانفصالها عن البرتغال حيث نشأ في العالم البرازيلي أدب جديد تمثل بروح جديدة وعقلية جديدة مع طابع استقلالي بلغ ذروته في العصر الملكي وأوائل العهد الجمهوري مسائراً الأدب الغربي بنزواته ونزعاته وسموه وغاياته حتى اواسط القرن الثامن عشر ، ثم أخذ بالانحطاط والتبدل حتى وقتنا الحاضر بسبب ما طرأ عليه من عوامل شتى كما طرأ على بقية آداب العالم .

ولقد تحرر الأدب البرازيلي من القيود القديمة فلا يحتفظ منها الآن الا بالقدر الصغير الذي يخدم أهداف الأدب وبذلك مضى مستقلاً مصعداً في مرتفعاته ماشاء التصعيد لا يحسب لأحد حساباً ولا ينظر خلفه ليرى من تبعه ومن لم يتبعه . وهذا الاتجاه في الأدب البرازيلي المعاصر ظهرت طلائعه في حملة أقلام جريئين خالفوا اتجاهات أدباء النهضة الأقدمين الذين ما جرؤ احد منهم على حمل القلم قبل أن ترسخ قدمه بأعماق الثقافة المعروفة في عصره . فقد كان الأديب وقتئذ يدرك أنه ينشيء أدباً هو ذلك الشيء الذي يتصل اتصالاً مباشراً بالجزء الممتاز في كيان الانسان . واما ادباء البرازيل وبعض ادباء البرتغال المعاصرين فانهم اندفعوا الى اختصار الطريق والمهرب من الجهد اللغوي ، واتخذوا قوة البيان مركباً هيناً لا يكلف أكثر من صف العبارات وتجميلها كيفما اتفق ليطلق على هذا العمل الزهيد بعدئذ اسم الأدب المبتكر والعمل الأصيل . . .

ومادامت هنالك جماهير ينتشر بينها التعليم عاماً بعد عام وتنجذب بطبيعتها الى اللون اليسير الخفيف الشائق وما دام هناك ناشرون يريدون الربح ويمدون الناس بما يشتهون ، فلا بد ان يكتب الذبوع لهذا النوع من الأدب . وقد كتب الشاعر البرازيلي الكبير اولانوييلاك في احد أبحاثه عن اللغة البرتغالية في البرازيل ما نعهده حجة في تعريف هذه اللغة في تلك البلاد ، إذ أشار

في موضوعه «الى ان القسم الأعظم من كلمات اللغة الوطنية ليس من ابتكار الانسان بل وليد الأرض ، فبين الألوّف والألوّف من الكلمات التي تتكلمها ونكتها في البرازيل ما لا معنى له في البرتغال ، منها قسم في أسماء النباتات والحيوانات وما يعلو الأرض من مظاهر طبيعية وزراعية وقسم في الملاحاة والصناعة . فمن تلك الكلمات البرازيلية الأصلية ما هو من أصل هندي وافريقي ومنها ما هو من ابداع الشعب وابتكاره استوحاها من مشاهدة التقلبات الطبيعية كالنور وألوان السماء ، ومن فيضان الأنهر واعصارات الاوقيانوس وصخب الرياح وحفيف الأوراق ، وزقزقة العصافير من كل الأجناس والأنواع وجميع أصوات المخلوقات الحية التي نعيش هناك بينها ونسمعها» .

فهذه العوامل قد زادت في ثروة اللغة البرتغالية وضاعفتها ، والأهم النشطة هي التي لا تقف جهودها عند حدود لغتها بل تماشي قافلة العلوم المتقدمة في معارج الترفي والتطور . وهكذا ندرك أن الأدب لا ينبت وحده في صحراء قاحلة ولا في جزيرة من الجزر النائية ، وإنما ينبت وسط المجتمع ويستمد جذوره من حياته . فما بهز المجتمع من قوى أدبية واجتماعية وغيرها لا يلبث أن يجد صدها في صدر الأدب وأثره في توجيه نزعاته وضيافة اشكاله ، كما ان الأدب يصبح بدوره احدى القوى الفعالة في بناء النظم الاجتماعية وتغذية الحركات الفكرية .

وانما قضاء لغريضة الأدب نعرف العرب الى الروح البرتغالية في شاعرين هما كاسترو آكس وكازميرو دي ابريو . وكل ما في الأديبن البرتغالي والبرازيلي بوجه عام هو حنين وشوق الى البلاد الأم ومن فيها ، أنغام غرام وألحان هيام ونشائد اخلاص ، حب وخوف ، وأمل وبأس ، وتشبيب ورناء ، فن ذلك :

أيا شوقي الى فجر حياتي

الى طفولتي التي لن يأتي الزمان بمثلا

وأما لحي واخلامي وازهازي

في الغدو والآصال

تحت ظل الموز وبين البرتقال

\* \* \*

في تلك الأيام الجميلة

كنت انتشئ انفاس الطهارة

كأنها تفحات الأزهار الطيبة

والبحر امامي بحيرة هادئة صافية

والسماء فوقي رداء ازرق لامع

والعالم دوني اجلام ذهبية شبيهة !

والحياة انشودة الحب الشجيرة

\* \* \*

فياحبذا تلك الحياة الجميلة الهادئة

وحبذا تلك الليالي المطربة التي قضيتها على نغمت الحب النقي

والسماء مزينة بالانجم الزهر

والرياض مدبجة بأنواع الزهر

والأرض ملآنة بنوافح العطر

والأمواج تلثم الرمال

والقمر يقبل البحر

هذه من أطياب كازميرو الشهير في ذكريات شبابه .

ولنسمع هينمة الشاعر كاسترو آلّس الراسخ العقيدة :

أذكر ! وأذكر حينما كنت العب على الشاطئ والبحر يزيد وامواجه ترتفع

وتعلو كالجبال حاملة معها الزبد الأبيض فيناطح الجو !

قلت لأمي في تلك اللحظة : أبة موسيقى قاسية هي هذه الأعاصير الخفيفة ؟

هل يوجد ما هو اعظم من الاوقيانوس اد ما هو اقوى من الرياح ؟

تبسمت أُمِّي ونظرت الى السماء واجابت : كائن نخافه يا بني ولا نراه ،  
هو اعظم من البحر واقوى من الاعصار — هو الله  
ولنسمع ايضاً كاسترو آلفس يصف شعور عبقرى فيجيد :  
لو جاب الأرض مراراً لنأى عنه الناس ولو عاش عمراً  
فغير معدم واحشاؤه خاوية بقرب الأرض الغنية والنهر الجارى  
ليس له مأوى بأوى اليه في ارض الله الواسعة  
لا يجيد عطقاً من احد حتى ولا في العابات  
واذا نشد صديقاً لا يجده ، وان وقف خطيباً لم يظفر بسوى التصفيق  
يسير جاهداً في ارض وعرة يرتقى بمواقفه من نصر الى نصر ، مجده ، قوته وزاده  
فاذا قيل هذا عبقرى خالد لا يموت ، اجاب هو : هل عشت يوماً لأخشى  
ان أموت ولا أخلد ؟

فن هذه المنظومات ندرك ان ادب اللغة البرتغالية كبقية آداب العالم ،  
قسم يتصنع ادبائه في النظم فيأتون بالثافة ، وقسم ينقل الحقيقة المجردة فتأتي  
اشعاره طبيعية ، وثرة في القلوب ، ومثل هذا القسم الثاني منظومات الأقلية من  
شعراء البرتغال والبرازيل .  
أيها السادة !

هذه لمحات خاطفة من الأدب الذي نحن بصدده واليكم قطعة للشاعر الاسباني  
فيلاسيبستا — الذي يتفاخر بنسبه العربي — في البكاء على غرناطة الأندلسية  
وقد نظمها المرحوم فوزي المعلوف شعراً :

غرناطة اواه غرناطة ! لم يبق شيء لك من صولتك  
هل تترك الجارى سوى ادمع تجري على مادال من دولتك  
والنسمة الغادية الرائحة هل هي إلا زفرة نأخه ؟  
ما عدت في النهر كسلطانة جبهتها في مائه ساطعه  
للقة الحمراء في تاجها وهج وللمأذنة اللامعه

آه علي اجدادك الضائمه شيعتُها بالظرة الدامعه

\* \* \*

لله حراؤك تحسو الأمل وحيدة في الروضة الخاليه  
لم يبق لازهوه ندمانها ولا صدى أعيادها الماضيه  
ولم يعد للحب فيها أنين ينقله العود عن العاشقين  
بيننا يجيل البدر الحافظه باهنة في المرص اللامع  
بين أريج الزهر المنتشي وبين شدو الببل الساجع  
وقصرها الخاوي بأرجائه كم غمر الليل بضوائه  
اذ الجواري خاطرات علي سجاده جارية جاريه  
أروع ما في الشرق من رقصة تنسجه أقدامها العاربه

\* \* \*

غرناطة أوام غرناطة ما أنت الا خرب قابعه  
تحمل أسراب السنونو الي افريقيا أنباءك الفاجعه  
هناك ابناؤك من بأسهم باكون لا باكون من بأسهم  
عروا من الانماد بيض الطي وشحوا الخيل بيض السروج  
ويمسوا البحر فلما بدت منك على الأفق جبال الثلوج  
خروا على أوجهم راكعين وزفروا من قهرهم صارخين  
غرناطة أوام غرناطة ! ضعت فيا للعظم الضائمه !  
فيزفر الموج ويكي لهم حين يرى أعينهم دامعه !

وختاماً لا بد لي من توجيه التحية العاطرة مع كلمة شكر لحضرة السيد يوسف اليازجي صاحب فكرة إنشاء الكرمي البرتقالي في الجامعة السورية ، وقد عمر فتموه شخصياً أثناء زيارته لهذه المدينة الخالدة وتبرعه ببناء جناح خاص في هذه الجامعة العامرة ، فترجو ان يقبض الله لهذه الأمة كثيرين من أمثاله حتى نصل الى الدرجة التي وصل اليها الغرب في كل نواحي الحياة العلمية والاجتماعية .

جورج ليان

## سوانح

عهدت أديباً تمت له أدوات الفضل وما كان ينقصه الا أن يشرع بالعمل ،  
وبقيت دهنراً أتوقع أن يخرج من قلبه وألسانه ما ينتفع به قومه . وكثيراً ما كنت  
أتلطف بدعوته الى واجبه فنبت لي بطويل الأيام أن الرجل ضاحك دعوى  
لا يهجم نشر العلم بقدر ما تهجم المظاهر والمادة . وكان مما يؤلمه أن يرى بعضهم  
يرقون في الوظائف ، ومنهم تلاميذه أو من عرفهم صفاراً ، وهو ثابت في مكانه  
لا يتزحزح منه . وادعى في أخريات أيامه انه سيكتب كتاباً لم يسبق للعالم  
أن ألف لهم ما يحاكيه ، عجز القدماء والمحدثون عن الاتيان بمثله ، وسماه اسماً  
مفرياً . وظل على هذه الأوهام حتى وافاه الحمام ، وما أخرج فصلاً من فصول  
كتابه الذي لم يخطط سطرأ منه فيما أحسب .

بلغ الاعجاب بالنفس في بعض المعاصرين المفرورين أن ذهبوا من الأرض  
وما أفادوا أنفسهم ولا أفادوا غيرهم ، وما كانت دعاوتهم الا خيالات وأوهاماً ،  
ينجحون بها أمام أصدقائهم وأعدائهم . ولو كانوا على شيء من حب العمل  
لأخرجوا من بضاعتهم ما يبيضون به وجوههم . ويدفعون عنهم ما يرمون به  
من القصور . ولو ان كل مؤلف وكل باحث وكل مخترع توقف عن نشر  
ما ألفه وبجته واخترعه أو يبلغ غاية الكمال الذي يتصوره لمضت العصور وما ظهر  
في العالم ما يفيد الانسانية . المنتظمون لا يأتون عملاً كاملاً ولا ناقصاً .  
ويقال لمن يوهون بأنهم يتطابون الكمال بتدبيرهم عن نشر شيء من أديهم وبجتهم :  
لكل حسن في هذه الحياة أحسن منه ، والتسويف ليس من الحزم في شيء .

إذا كثرت عدد من يتجههم للثام ويخترقهم بنقضون مع الزمن ، ومن عود نفسه الاعراض عن الماحكين بنفع نفسه وبنفع غيره .

لاتعبأ بقول من يجيب اليك التفاضي عن انكار العيوب ، فالاصلاح لا يرجي الا اذا قام كل من بعقل بما بقدر عليه من تقويم المعوجات .

قالوا ان الغرب اخترع آلة اذا سلطت على رأس الانسان كشف بها ما يجول في خاطره من الأفكار . اذا صح هذا الاختراع يبطل الكذب والتعدي فتغدو هذه الآلة المباركة من أنفع ما أوجد الانسان لخدمة الانسانية .  
يل الحياة وتمله كل من لا يحسب حساب وقته ، ولا معنى للعمر مع الفراغ ، والخير كل الخير في المواظبة على العمل وان قل ، وقدبما قالوا : « غبار العمل خير من زعفران العطلة » .

قتل فلاح من قرية جويز في الغوطة قتيلاً وجاء الى الجامع الأموي يجتبي في غرفة أحد مدرسيه ، واتفق أن دخل قاضي دمشق الأستاذ سعيد الأسطواني غرفة المدرس فتقدم هذا الى القاضي يرجوه أن يخفف الحكم عليه . فسكت القاضي ، وبعد دقائق نادى خادمه وأمره اليه أن يذهب الى صاحب الشرطة ليرسل اليه بضعة شرطين فأتوا وقبضوا على القاتل ، واقترب القاضي من الشفيع وقال له : كيف تريدني على أن أعطل حداً من حدود الله ، بتخفيف الحكم في هذه الجنابة ؟ فأبلس الشافع ثم قال : الحق معك يا مولاي ، وأعاهدك على ألا أعود الى مثلها ، وكان القاضي بجرمه على قتل القاتل عظيماً جداً ، والمدرس باعتراه بغلظه في شفاعته متعقلاً ، وفي التمليق على ما وقع أقول : ان هذه الأمة ما خلت حتى في عصور الخطاطها من قوالين بالحق ومن متفانين بتطبيق مفاصل الشرع على القوي والضعيف سواء .

نظرت أعداداً من المجلات العربية التي تصدر في بعض أنحاء العالم الإسلامي في أماننا كمجلة «الحج» في مكة المكرمة ومجلة «البصائر» في الجزائر ومجلة «لسان الدين» في تطوان ومجلة «الثقافة الهندية» في نيودلهي - فوقفت فيها على أبحاث مثقنة بانثائها وموضوعاتها ، نفي بسعة علم كاتبها . فقوي أملي بأن تغدو اللغة العربية من أوسع اللغات انتشاراً بعد جيل أو جيلين على الأكثر ، وبخاصة إذا تضافرت جهود مسلمي الباكستان والهندستان مع جهود الدول العربية ، دع سائر مسلمي الأرض كأهل أندونيسيا والصين وتركستان والقوقاز والقرم والأفغان وإيران وتركيا . وإذا غدت اللغة العربية لغة الباكستان الرسمية أصابت العربية أعظم حظ بين اللغات ما كان لها مثله أيام عز الدولة الإسلامية .

كان أحد شيوخ الأزهر الجامدين مجاهر شيخنا الأستاذ الامام محمد عبده بالعداوة في حياته وبكتب في تكفيره وتبديعه ويورد في دروسه أشياء من هذا القبيل . روى لي أحد الأصحاب انه اطلع لهذا العالم المتعصب على مقالة كتبها في آخر أيامه اعترف فيها باساءته للامام وشهد بحسن اسلامه وسعة علمه ! الرجوع عن الخطأ من أجل الفضائل ، وكان هذا الاعتراف أجل وقعا لو جرى في حياة من يحاول منافسته ، والظاهر أنه كانت تجول دون ذلك أسباب منها المنافسة والحسد وحب الاستئثار بالخطوة من الملوك ، وحسن القبول من العامة . وبئس التحاسد تحاسد العلماء وبئس التباغض تباغضهم .

لو أقيمت الأمة على كل أمر فيه خير لها اقبال أبناء مصر والشام والعراق لعهدنا على التعلم لتولي الوظائف في حكوماتها لكننا من أرقى الأمم ، ولا يتأتى من تكثير سواد الموظفين الا انتشار روح الانكسار في سكان هذه الأقطار ، وفي ذلك من الخوف على مستقبل أبنائها ما لا ينكره ذو بصيرة . ومها سررنا بهذا الاقبال على المدارس لانراه الا مؤدباً الى ضعف الاستقلال الشخصي .

ذلك لأننا شهدنا مَنْ تعلم الميكانيكيات مثلاً يرغب أكثر ما يرغب في التوظيف ، ومن يدرس الطب لا أرب له في غير التوظيف ، ومن يتعلم الزراعة أو الكيمياء لا يختار غير التوظيف . وقلّ جداً في المدارس من يفكر في سلوك طرق المهن الحرة ، وإن اعتقد كل واحد ان مهنته تعود عليه بربح أوفر وعيش أهنأ اذا عاناها حراً . ونراه أبدأ بفضل العيش المضمون ولو كان قليلاً ضئيلاً . بدأت عقلية اختيار المعلمين لسلك التوظيف منذ وضع الحجر الأول في أساس أول مدرسة أنشئت في مصر في القرن الماضي ، وقويت هذه الفكرة مع الزمن وربما كان منها فيما يستقبل من الأيام ما تدخل معه الحياة الاجتماعية في اضطراب لا تقدر الآن مداه .

حبذا لو بحثت وزارات المعارف في الدول العربية في وصف دواء لهذا الداء داء اقبال المعلمين على الوظائف بما لا تتسع للقيام به خزائن هذه الدول ، ويضر بمستقبل أبنائها الضرر العظيم .

أسدى الغنيان الأمير كيان كارنيجي وروكفلر من ضروب الخير لخدمة الانسانية والعلم ما لم يفكر في شيء منه هنديان مسلمان أكثر منها ثروة حتى ليعدهما الناس أغنى أغنياء العالم . صرف الأمير كيان ثروتها الضخمة على الملاجيء والمستشفيات وبيوت العلم وخزائن الكتب والمخاير ولم يصرف المئتيان الهنديان شيئاً بذكر في هذه السبيل . خلد اسم الأمير كيين العظيمين بما جادت به نفسها الكريمة وبذهب الهنديان من الدنيا بصفقة المغبون كأنها ما ملكا ولا عاشا . جمع الأمير كيان العظيمان من الصناعة والتجارة ما جمعا بكدهما ونبوغها ثروة عظيمة ، أحسنا انفاقها كل الاحسان ، وجمع الهنديان أموالها من الصدقات والزكوات ، وشتان بين مال طاهر مشريف ومال تعافه النفس لأنه مجموع من الدناءة والدجل .

الأغنياء عندنا يجودون على التافهات من مظاهرهم ولا تجدتهم أنفسهم أن يبثوا

ملجأً أو مستشفى أو مدرسة تكون صدقة دارة عليهم ، وآية شرف حقيقي لبيوتهم . كان المسلمون أيام كانوا عاملين بتعاليم دينهم على قدم الغريبين في التفكير في الخير العام والصدقة الجارية .

عشت الربع الأول من عمري في مدينة لا أسمع فيها ليل نهار الا أذان المؤذنين وأصوات المهللين والمكبرين . حتى اذا مدأ أول خط حديدي بين بلدي ومينائها أصبحت أسمع صفير بخار القاطرات في الغدو والآصال . ثم جاء الترام الكهربائي بهزاته ورجفاته ثم اخترعت سيارات النقل والشحن والأوتوبوسات والأوتوكارات والموتوسيكلات والتراكتورات والموتورات وغيرها من المحركات ، وبكشفت البخار والكهرباء وما نتج منها من بديع المخترعات تطورت مرافق البشر وكانت أنت عليهم قرون كثيرة وهم بكتفون في استصباحهم بالشموع وسرج الزيت فأصبحوا لا ترضيهم المصابيح التي توقد بالنفط ولما أتى الكهرباء استمتع به الغني والفقير في المدن والقرى . كان الناس لا يعرفون للتدفئة غير الحطب والفحم ويتحملون ما فيهما من الاضرار بصحتهم ، وكربون الحطب وكربون الفحم فقال . فجاءت اوربا بهذه المدافئ السهلة تحمى بالحطب ثم بالفحم الحجري ثم بالكهرباء ثم بالمازوت وكان الدفء المنبعث منها أكثر قوة وأشد بعداً من الضرر .

قلت لصديقي الأير مصطفى بك حنفي من كبار رجال القضاء في مصر : لماذا لم توجه اليك رتبة الباشا مع ان آخر مناصبك كان وكالة وزارة العدل ، ومكانتها عظيمة في عرف الدولة ، على حين شهدنا غيرك ممن أعتقد أن ليس لهم اقتدارك ولا استقامتك قد وصلوا الى رتبة الباشوية ، ولو كان وراء رتبة أعلى لطلوها بكل حيلة . فأجابني رحمه الله جواباً لا يصدر الا عن عالم متواضع أشبع روحه بحب العدل والحق . كان صاحبي من النوادر في أبناء مصر الذين زهدوا في الألقاب والرتب لكثرة ما ابتذلت .

لم يرض بنو العباس أن يكون خليفة لهم الأول ابن أمة . ولما ضعفت مشيخت  
الأمة على عهد ملوك الطوائف رضي العرب أن تحكمهم دولة جلُّ أبنائها من  
المالِك الذين مرَّت يد الخِراس على رؤوسهم .

بما قلل عدد المختارين الى الجوامع انخطاط الفئة التي تقوم بممارسة الشعائر  
في الأوقات الخمسة وأيام الجمع والأعياد ، فلا يكاد المصلي يسمع خطيباً ولا  
اماماً ولا مؤذناً يحسن استهواء القلوب . هذا في المدن اما في القرى فان نفسك  
تذوقس مما تسمع ، وتود لو تخرج من المسجد قبل أداء الصلاة .

من عاداتنا ما يجب الاحتفاظ به لأنه جميل ومعقول ومنها ما ينبغي لنا أن نرفع  
عنه لمتافاته روح الزمن ، وقانون المنطق الصحيح . والعقل هو الذي نختكم اليه  
في مثل هذا الاصلاح .

اذا زكك أحد في وجهك الزم الصمت فالصمت بك أشبه ، واذا استطعت  
أن تنصامم حتى لا تسمع ما يقول تحسن لنفسك . فقد يقول المزكّي فيك  
ما يقوله لمن هو أقل منك شأناً ، لأنه ما حفظ من حجج الأماديج الا ما يقوله  
لكل من يراه .

ما انحلت الدولة الاسلامية الا بانحلال أخلاق علمائها وملوكها أي بفساد  
السلطين الروحية والزمنية كما يطلق عليها الانفرنج .

تتمتع الدولة بعظمتها مادام أسطولها يشق عباب البحار ، فاذا ضعفت بحريتها  
يضعف سلطانها ، هكذا كان شأن البرتغال واسبانيا وهولاندة وتركيا منذ  
تخلّفت عن خوض البحر .

يضحكني ما أسمعه في البيئات المتفرنجية في بعض أصقاع الشام من الألفاظ  
المستحدثة الثقيلة على السمع والطبع ، يطلقونها على الرجال والنساء سواء .  
ومنها ما تعذر عليّ النطق به مع اني كررته غير مرة . أولع بعض المسيحيين  
في الشام بالأسماء الفرنجية على ثقلها ويسمي الأقباط في مصر أولادهم بأسماء  
عربية اسلامية .

تكاد تكون كلمة العارفين متفقتة على أن ديار الاسلام على تباعد أقطارها  
وأمصارها تشابه في خرافاتها وأساطيرها ، ولعل معظم ما تمنعده من المعتقدات  
الباطلة انتقل اليها من الأمم السالفة أو من عوامل خلقها الزمن . التحريف  
يسطو على النصارى والمسلمين كما يسطو على اليهوديين والبراهمة . ولا تكاد تجد  
انساناً مها ارتقت مداركه يتجرد من خرافات يقف معها رؤساء الأديان وعلماء  
التربية موقف العجز ، لا يهتدون سبيلاً الى تبديلها او اصلاحها او القضاء عليها .  
ومن أرباب المذاهب من يتبرأ بما دوتته أهل مذهبه وشاع عنهم بالتواتر وأبده  
العيان . وأصحاب كل مذهب غارقون في ترهاتهم معتبطون بها ويتمنون أصحاب  
المذاهب الأخرى بالتحريف ويكذبون جهاراً على مخالفهم الا من عصم الله .

يلتقط المرء من السياحة جزءاً عظيماً من ثقافته ، المدرسة بأخذ منها النظريات  
وتحصل له العمليات بالاختلاط والتغرب . اذا قوي حب السياحة في العرب ،  
وتوالى رحيل المنورين منهم الى أرض أرقى بحضارتها من أرضهم ، يعودون الى  
أهلهم بما ترقى به معاشهم ومظاهر حياتهم .

يوم اشتدت حاجة دول العرب الى اخصائيين في العلوم والفنون أقبل الأذكياء  
من بنينا على تلقفها ، فكان لهم في حكوماتهم أسمى المناصب وأوفر الرواتب ،  
وهم بدا على بعض الأقطار طابع العصر وما جدّ فيه من ابداع .

يبالغ بعضهم اذا لقيتهم في تحيتك وبكثرت من ذكر أشواقه ، واذا غبت عنه قد يعيبك ويقنابك فالأولى بك اذا اجتمعت الى من هذه أخلاقه أن تقطع عليه حديثه وتشغله بمحدث غير حديث نفاقه .

هه الغريون الشرقيين بما ابتدعوه من حضارة ، فظن الشرقي ان فطرة الغربي هي التي أبدع بها ما أبدع ، وأن الشرقي يتعذر عليه أن يقلده ، فلما اختلط أهل المشرق بأهل المغرب ، ووقف الشرقي على أسباب فلاح الغربي ، تبين له أنه يشبهه من أكثر الوجوه ولا يتفوق الغربي الا بانتظامه ودؤوبه .

من الأردباء من يتمددون اغضابك ليخرجوك عن اتزانك ، وليتخذوا من احراجك ذريعة الى ابذائك ، اذا وقع نظرك عليهم يادر الى الهرب منهم ، فالهرب ثلثا الشجاعة كما يقول العوام .

نجح من عاجلوا في تأليفهم ما جودوه من دراسات جديدة في العلوم المعادية والمعاشية ، فحملوا الى من تناولوها معلومات صدوا بها نقصاً في معارفهم . ومن لا يُعْنَسَى كل العناية بتأليف ما يؤلف بعد محققاً لمن يكتب لهم من أهل جيله وأهل الأجيال القادمة ، والكتاب الضعيف التأليف ، على أي حال ، محكوم عليه بالفناء بعد أيام تمضي على صدوره من المطبعة .

كنت أعتقد بعد مرور سنين على تأسيس معاهد التخصص — وشهادتها يحرزها الطالب بعد شهادة العالمية من الأزهر — ان خريجي هذه المعاهد سينزعون عنهم ثوب الخمول وينصرفون الى ما ينفع بتفكير جديد وعزم وطيد ، واذا بالكسل القديم هو الكسل ، واذا بالتواكل القديم هو التواكل ، واذا المسألة مسألة طبائع وأخلاق وعلم وعمل .

لم أعلم أية دولة من الدول الحديثة خرجت على قانون الانسانية فعدت المسالمين  
 كالحاربين ، واستجازت قتل الآمنين والمستأمنين ، وهم بمنزل عن ساحات الوغى .  
 كانوا في الحروب الغابرة يقتل الرجال الرجال ، فابتدعت الدول في الحروب  
 الحديثة بدعة قتل الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال .

فطر الانسان على الشر ، والصالحون من جنسه شذوذ . علم الأنبياء والحكماء  
 الناس مارفعوهم به عن البيهيمية ، بيد أن تأثيرهم فيهم كان ضئيلاً لم يواز  
 ما تحمواوه من العناء في هدايتهم .

مررت برجل في الكهولة بعد نفسه لنيل الشهادة الابتدائية . في الغرب  
 قد يبدأ المرء في الستين أو السبعين من عمره بتعلم علم ما قدر له تعلمه في صباه .  
 ومنهم من بدرس لغة شرقية ، ولا يستغرب ذلك لأنهم كلهم مؤمنون بأن المرء  
 يتعلم مادام يعلو نفسه وينزل .

أحظ المجتمعات البشرية مجتمع لا تسمع فيه غير الاستسلام والرضا ،  
 لا يُقْتاد بتقدون ما اختلف من أوضاعه ، ولا دعاة أمناء ينكرون ما اعتل من  
 أحواله ، كلهم موافقون ليس فيهم مخالفون .

من أخلاق هذا العصر ألا يصاغ المدح والقدح الا عن غرض ، فقد يببالغ  
 رجل في وصف رجل لأنه قصده في حل مسألة فحلها له على ما يشتهي ،  
 ويُقدح في آخر لأنه لم ينزل على رغبته فينعمته بالجهل والأثرة وقلة الخير .  
 ولو قدر للمطعون فيه ان يراجع النظر بطلب من لم يعمل له ما يريد باديء بدء  
 لعاد بكيل له المدح بالمكيال الواسع ولا قام له الأعذار على موقفه منه بالأمس .  
 لذلك أوصيك أن تحذف معظم ما تسمع من المدح والقدح حتى تصل الى بعض الحقيقة  
 فلطالما غش المادحون والقادحون من يسارعون الى تصديقهم وبتقون بما يقولون .

إذا امتنعت من الاجتماع الى من اعتاد أن ينم لك وينم عليك تقلل من منفصاتك ، وإذا تجببت لقاء من فطروا على الضرر تعاون على الكبح من جاحمهم .

لا تعرف مواطن الضعف من انسان حتى تعاشره ، ولا تتجلى لك عيوب البيت حتى تسكنه ، ولا نقص القانون حتى يوضع موضع التنفيذ .

في صحبة الأشرار مضرتان عظيمتان اما ان تعاشرهم على مريض فتكون حالك معهم حال من يساكن الثعبان لا يأمن يوماً عضته ؛ واما ان تتكلف في حديثك معهم لترضيهم فتتعلم منهم النفاق .

لما ظهر محمد علي الكبير في مصر كان وادي النيل وعامة البلاد العربية قد بلغت الحد الأقصى في انحطاطها ، فأدرك بعد نظره أن تربة مصر بكر فتقدم وبذر فيها بذور المدنية فأنت أكلها ، وعدّ عمله المجيد من أدهش ما قام به فاتح شرقي .

ما كان التاريخ الى زمن قريب الا تدوين أخبار الحروب على ما يرضي الملوك ، وقد يعرض لذكر الظواهر الجوية من الزلازل والأوبئة والجحافات والسيول والجفاف ، ويذكر من يموت من الفقهاء والأدباء . والتاريخ اليوم يبحث في أسباب الازمات ويحللها ويعلمها ويسلسلها ويهتم بالاقتصاديات والاجتماعيات ويتدقق في أسباب الغنى والفقير ، والبواعث الى الثورات والحروب ، وينظر في سيرة من يتولون السياسة ، ويلم بكل ما يرفع نبي الانسان ويخفضهم . يقول صديقي الأستاذ محمد عبد الله عنان المؤرخ المعاصر : أصبح التاريخ في عصرنا علماً جليلاً يقوم على المباحث والمقارنات العلمية والنقدية والاستنباط المسند ، وأصبح وثيق الصلة بكثير من العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . م (٣)

كان رجل يقول لابنه وهو يتفرس فيه الغبارة : يا بُني انك لن تكون رجلاً ، ومضت أيام وارتقى الابن في وظائف الدولة وأحرز لقب باشا . فبعث ذات يوم يطاب أباه لمقابلته بواسطة الشرطة . فقال الابن لأبيه : كثيراً ما قلت لي اني لن أكون رجلاً ، وها قد كذبت الأيام ظنك فأصبحت في هذه المرتبة وهذه الرتبة . فأجاب الأب : وما زلت على رأيي فيك فأنت وما بلغت من المظهر لا تعدُّ الى الآن في الرجال ، كيف تأتي بي اليك مخفوراً ، ولا تقدر ما يحدث لي ذلك من الترويع ؟ وهذه النكتة تصدق لعهدنا على بعض من ارتقوا في السنين الطويلة أو بعوامل أخرى ، وظلوا على فطرتهم من قلة الذوق وخشونة الطبع .

نشأ التبطل في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى — وأذكر انه بلغ فيها عدد المتبطلين يومئذ ستة ملايين — فأصدرت الحكومة الألمانية قانوناً يحظر على الرجل تعاطي أكثر من حرفه ، حتى ينفصح المجال لكل وطني أن يجد رزقاً ، بمعنى أن الطبيب يبقى في طبه فقط لا يمارس الزراعة ولا التجارة ، ويحظر على المالى أن يتجر أو يستخدم في الحكومة أو في شركة ، وعلى صاحب العقار ان يفتح مهنياً ، وهكذا قسمت الدولة موارد العيش بين الرعايا وزادت على ذلك ان نقلت المعامل من جوار المدن الى الأرياف ، ومنحت كل عامل قطعة من الأرض يزرعها عياله فتأتيهم ببعض مؤونتهم .

أما في الشرق فقد شهدنا الخياط موسيقاراً ، والمزارع يندس في عمال الحكومة ، والمحامي يراي ، وعهدي بحمام يمارس مع حرفته خمس حرف ، وبملك يتجر ويقتني سفناً ينقل عليها تجاراته ، وبآخر يدير مزارعه على حسابه ولا يستطيع من في جواره من الرعية ان يبيعوا حاصلاتهم في الأسواق قبل أن تباع حاصلات الملك . فلو مرنا على القانون الألماني لوزعنا الثروة العامة على الطبقات ولقضينا على التبطل ، ولأدخلنا التجسين على الصناعات .

حدثني من شهد الثورة العثمانية المعروفة بانقلاب سنة ١٩٠٨ أن الأتراك في الأستانة أهانوا معظم وزراء السلطان عبد الحميد وعماله ، لما لقوا من جورهم أيام حكم الاستبداد ، الا عبد الرحمن باشا وزير العدل فانهم خطبوا في فضائله الخطب ، وأكبروا جلائل أعماله ، وعددوا بيض أباديه ، وحملوه على أكتافهم ورؤوسهم تمجيداً لماضيه الطاهر . يعرف الصالح من الرجال من عاشوا في حكم الطغاة على ما لا يعرف أمثاله في الحكومات الدستورية ، ذلك لأن من هم على شاكلته في الأخلاق قلائل في حكم الطغيان أشبه بالبقعة البيضاء في جلد الثور الأسود .

خطرت لي خواطر جمة وأنا أنصفح ديوان ابن حَيُّوس في مدح الدولة الفاطمية وهجوم لما أدبرت دولتهم ، ورجوعه بأماديجه على من خلفوه ، وتلونه في مدح العرب والترك ، وتجلت لناظري صفحات من تاريخنا الأدبي والاجتماعي ، وساءني أن ينظم مثل هذا الشعر الجزل في مدح الظلمة ، وأن أشهد رجلاً صنيفاً يطعن في الخلفاء بدون حق ليثبت للباطنية من الصفات كل ما يرضيهم فيرفعهم الى درجة الربوبية . وقلت كم ضاعت في العرب قرائح شغلت بالعبث ، وطوى الدهر الشعراء وشعرهم وما أفادوا منه الا حفنات من الدنانير ركبوا للحصول عليها مراكب العار الى الأبد ، وما عهد ان لفت شاعر من هؤلاء المداحين نظر مدوحه خليفة كان أم ملكاً أم أميراً أم قائداً الى عظم مصيبة الأمة بمن يقتل من النفوس في سبيل شهوات العطاء والى ما تثن منه الانسانية من حيف الكبير على الصغير . وما كان للشعراء من عمل الا أن يخلعوا على مدوحهم صفات أكثرها كذب وتضليل ، وان يصوروا الخلق في ظل تلك الدول الفاجرة كأنهم الملائكة في جنات النعيم . وفي يقيني ان طلاب الأدب لعهدنا يرون بهذه الأماديج والأهاجي كما ير عابر سبيل بجميفة تؤذي حواسه بنتها ومنظرها .

الكلام صورة الروح الذي يصدر عنه ويكون وقعه في النفوس بقدر ما لقائله من اخلاص وصدق . شعر عمر بن ابي ربيعة وشعر الشريف الرضي أقرب الى القلوب من شعر المتنبي وشعر الجعفي ، تقرأ في قصائد الأول والثاني العزة والكرامة وفي الثالث والرابع تراءى لك المطامع وصغر النفس .

عرفت شيخين مصري وشامي تخرج الأول في دارالعلوم وجمع الى تربيته الدينية الراقية تربية مدنية وأتقن الانكليزية حتى غدا يحظب بها كالانكليز . واكتفى الشيخ الثاني بالدرس في الأزهر ، وكلاهما من الذكاء على جانب عظيم . شهدتها لأول أمرهما راضيين عن حالتها الى أن قام في ذهن الأول أن صناعة التعليم عقيمة لا مستقبل لها فألقى نفسه في غمار السياسة طامعاً ان يتحدث الناس عنه كما يتحدثون عن مصطفى كامل السيامي ، وراح يسير على خطته وما أفلح في تقليده . وكان الثاني ضعيف الثقة بنفسه فاكتفى بما تدره عليه مهنته ، وأضاف اليها أموراً يتكسب منها قليلاً ، الا انه ظل طول عمره يتحسر على أوقات قضاها في صناعة التعليم ، وكانت تهيج نفسه اذا رأى بعض تلاميذه يتقدمه في المرامم يحكم مركزه .

وعندي ان هذين الرجلين صارا الى الانحطاط منذ أخذتا يتطلعتان الى ما لم يخلقا له ولا استعدادهما للقيام به ، ولو كتب لهما أن يتوفرا على استنار ما تعلمنا لأحرزا المظهر الذي تافت نفسها اليه من دون صحب ولا كبير تعب ، ولكنها الدنيا أرضعتها من أفاريقها ما بعيشان منه برفاهية ، وما يتقصها من المظاهر يعوضانه بما يتمتعان به من رضا النفس وراحة القلب . وأكبر العيوب التي تبدو في بعض أهل هذه الصناعة أنها تحاول جمع المغائم بأمرها ، تريد العلم وشهرته ، وتريد الجاه والمال ، وتريد الحكم والسياسة ، وتريد ان تعرف بالتقوى والصلاح وهي أبدأ حائقة تود لو لم تدخل فيها دخلت فيه من تحصيل العلم ، وانها لو سلمتها الأيام لجعلت لها الخيار في اتخاذ صناعة رابحة غير التعليم .

ربما كان الفقراء في القديم يهضمون أغنياء عصورهم أكثر مما يهضم أمثالهم في عصرنا . ذلك لأن الأغنياء في القدماء كانوا يعرفون واجبههم أكثر من هذا الخلف ، يفيدون من أموالهم من يحتاجون إليها وينفقون في نصرة الدين واحياء الآداب والعلوم ما كانوا يعتقدون ان الأمة لا تحيا بشيخه . كان الأغنياء قديماً يجاسبون أنفسهم موقنين أن واجبههم ان يشاركوا الفقير في نعمتهم ، يبنون بيوت العبادة ، وينشئون المصانع المفيدة ، ويعينون الأدياء والشعراء على ماشغلوا به أنفسهم ، والفقير والمحدث على نشر فقهه وحديثه . ولو لم يكونوا على ذلك في معظم الأدوار لما وجدنا اليوم في ديار الاسلام جامعاً ولا مدرسةً ولا مستشفى ولا أدباً ولا علماً ولا فقهاً ، ولا شيئاً مما هو الدعامة الأولى في حياة الشعوب . كانت تقوم بهذه الحامد الطبقة العالية والتالية لنفع الطبقة النازلة ، ولا تقصد من ذلك الا ثواب الله . وكانت الطبقة الثالثة أبدأ موضع اهتمام سائر الطبقات .

عهدي بعشرات البيوت في الديار الشامية ( دمشق ، حلب ، بيروت ، طرابلس ، حمص ، حماة ، نابلس ، القدس ، عكا ، يافا ، حيفا ، الناصرة ، صفد ، غزة ) وقد نعق فيها غراب الخراب ، وافتقر أربابها بعد جيل أو جيلين من تأسيسها ، وذلك بالاسراف والمغامرات ، وباستنامة الأبناء الى ما خلف الآباء وترك السعي والعمل . أضع الخلف ما خلفه السلف وأصبح حكم الأغنياء بعد الذممة الواسعة حكم من خلقوا فقراء ، والفرق بين هؤلاء ومن وصلوا الى الغنى وفقدوه ان قدما الفقراء راضون عن حالتهم لا يستحون من ظهورهم بالمظهر الذي يقدرون عليه ، أما الأغنياء المفتقرون فأمسوا من التعمذر عليهم أن يلبسوا لباس المعدمين ويسكنوا في مثل منازلهم . حكم القانون الطبيعي بخراب تلك البيوت فاضمحلث ثرواتها بقلة التدبير وتوزيعها بين الوارثين . ومثل ذلك جرى ولا يزال يجري في مصر وغيرها من ديار الشرق .

قالوا السفر قطعة من العذاب ، وما كان هذا العذاب في الواقع يصيب غير الفقير ، والغني في كل زمن مرفه في سفره كما هو مرفه في حضره .  
 وإذا اعتمد الفقراء على ركوب الحمير والخيول والبغال والجمال في تنقلهم فالأغنياء كانوا في الشرق والغرب يركبون المركبات والمحفات والهوادج لا يزعجهم شيء كأنهم في غرفة من غرف بيوتهم هيئت لهم فيها جميع موجبات الراحة ، فتنقل لهم أدوات مطابختهم وموائدهم وفرشهم ويحمل لهم البطيخ والفاكهة . ومن الملوك والأمراء في الشرق من كانت تحمل لهم على المظايا مساكب البقول والخضراوات يتعمدها خدامهم بالري والتربية في الطريق حتى يصيبوا منها ما طاب لهم في ابانه ، ومنهم من كان يحمل له الثلج من مئات من الأميال ، لتلايضيقوا بالقيظ ، ويتعلموا بالحرارة ، لا يختلف عيشتهم في السفر عما كانوا يتمتعون به ، لو كانوا في قصورهم في المدن .

ولقد كثرت الفنادق في الغرب منذ قرون ينزلها الأغنياء على الأكثر . وفي فارس كانت تتوفر للسائح المومر كل ضروب الراحة لأن الدولة كانت تنقل أوامرها مع البريد على الخيل والبغال ، فأقامت محطات تتوفر فيها ما يقتضي للمسافر من أنواع النعيم . وأشبهت هذه المحطات الأديار التي كثرت في أوروبا خلال القرون الوسطى ، وكان يقصدها السياح فتطعمهم وتؤذيهم فان مسحوا لها بشيء قبله وان لم يعطوها لانطالهم . بهذا كان القداماء يتغلبون على قطع المسافر ، وكانت مما لا يتصوره عقل أبناء هذا الزمان . ومعظم هذه المراحل الطويلة كانت في قفار وصحراوات لا ماء فيها ولا كلاً ولا حيوان ولا انسان . كان ابن المغرب الأقصى اذا نوى الحج يقضي حوالاً كالملا للوصول الى الأرض المقدسة والعودة منها في البر أو في البحر . واليوم تشهد أهد المسلمين عن الحجاز داراً لا يصرفون أكثر من أسبوعين في السيارة او الطائرة . وهذا من فضل أوروبا واميركا على البشر بما اخترعت عقول علمائها وأبدعتهم قرانهم .

قيل انه بلغ عدد المصطافين في لبنان في صيف ١٩٥١ أربعين الف مصطاف ،  
 وقدر ما أنفقوه بمليونين جنيه مصري . وقد عنيت الحكومة اللبنانية بنقل المصطافين  
 مجاناً في البحر والجو ذهاباً واياباً . وما كان هذا الاقبال على الاصطياف عظيماً  
 في جبال لبنان الا لأن اللبنانيين كانوا يستعدون لاتقان صناعة الفنادق والمطاعم  
 وما اليها ، منذ أكثر من نصف قرن ، وما أتى به اللبنانيون من أموال المهجر  
 صرفوا جانباً منه في انشاء البيوت وتنجيدها واقامة الفنادق على اختلاف درجاتها  
 ثم حملوا حكومتهم على أن تعبد لهم الطرق ، وتهيئ كل ما يعود على المصطافين  
 بالراحة . وكان من توسع سكان الأقطار المجاورة في فهم مدلول التمدد  
 وادراك قيمة الحياة والصحة ما زاد به الاقبال على الاصطياف .

من أبرد ما يبدو على لسان بعض المنتظمين قولهم في الحفلات العامة اذا خطبوا :  
 « أحييكم باسمي واسم أبناء وطني » وهو ما وكل اليه أبناء وطنه قط ان ينوب  
 عنهم في قول ما يقول ، وربما كانت أمته لا تعرفه ولا توافقه على فكره  
 ولا على النياية عنها ومنهم من يبلغ بهم التهموس فيما ليس لهم صوت فيه أن يجيوا  
 من يحاول ان ينفقوا عليهم باسم العرب أو باسم أهل الاسلام كافة ، وفي هذا كل  
 الرفاعة والسماجة .

محمد كرد علي



## معجم ما استعجم

تأليف : ابي عبيد البكري الأندلسي للثوف سنة ٤٨٧ هـ

وتحقيق : مصطفى السقا

وطبع : لجنة الترجمة والتأليف والنشر سنة ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م

صدر الجزء الرابع من هذا الكتاب القيم ، ويشتمل على حرف «الكاف» وما بعدها من الحروف ، ويجوي فهارس شاملة ، لما فيه من اسماء البلدان والمواضع ، والمياه والجبال ، والأعلام العامة ، والقوافي ، وجدولاً لبيان بعض الأخطاء التي وقعت في الكتاب ، وتقع هذه الفهارس في أكثر من مئتي صفحة . قام محقق الكتاب بوضعها وترتيبها ، فزاد الكتاب قيمة علمية ، وسهل الوصول للمراجعين والباحثين الى ما يرومون . وليس القارئ الكريم بحاجة الى تكرار القول عن صعوبة نشر المؤلفات القديمة ، وخاصة ما يتعلق بتحديد المواضع ، ولا الى الاشارة الى ما قام به الأستاذ السقا من عمل ، وما بذله من جهد ، في سبيل اخراج هذا السفر ، اخراجاً مطابقاً لقواعد النشر الحديثة العلمية ، من حيث الجملة . ولا نريد بكتبتنا هذه أكثر من ايضاح بعض ملاحظات لنا على هذا الجزء ، نرى في ايضاحها مشاركة في البحث العلمي البحث ، ومساهمة في التحقيق الذي قام به الأستاذ الناشر .

### فأولى هذه الملاحظات :

تحقيق النصوص القديمة يستلزم الرجوع الى مصادرها الأولى ، وهذا الكتاب فيه نقول كثيرة ، من كتب بعضها موجود ، وبعضها مفقود . ومحقق الكتاب - وان رجع الى قسم كبير من الكتب المتعلقة بالمواضع - فاته الرجوع الى كثير

من الكتب الموجودة ، التي نقل منها البكري ، فجاء ما نقله ناقصاً ، أو مشوهاً  
 عرفاً . لقد أكثر البكري النقل عن الهمداني ، العالم الجغرافي المؤرخ ،  
 والذي طبع من مؤلفاته « صفة جزيرة العرب » والجزآن الثامن والعاشر من  
 « الاكليل » . ونجد فيما نقله البكري عنه ، في هذا الجزء مخالفة للنص الصحيح .  
 ومثال ذلك :

١ - في صفحة ١٢٧٤ : ( المَسْجَمُ : هو خزاز الجبل المتقدم ذكره . قاله  
 الهمداني ) . كذا - ولكن الهمداني قال هذا القول ؛ في سياق إنبطاله ،  
 في « صفة جزيرة العرب » - ص ١٧١ ، طبعة ملر في ليدن وهي الطبعة الوحيدة  
 لهذا الكتاب - : ( ديار ربيعة ، من العروض ونجد : الدنائب ، وواردات ،  
 وخرّاز - ويقال فيه خَزَازِي - . . . وقد يرى قوم من الجبال ان ديار ربيعة  
 ابن نزار كانت من تهامة ، من سُردُور وبلد لَعَسَان ، من عك ، وان  
 تبعاً أقطمهم هذه البلاد ، لما حالفوه ، وهذا من الأخبار المصنوعة ، لأن الملوك  
 أجلّ من ان تحالف الرعايا ، وانما بنوا هذا الخبر على وهم وهوى ، فقالوا في  
 المهجم وهي خَزَازة : خزازي ، وفي الأنعم : الأنعمين ، وفي الدنائب :  
 الدنائب ، وفي العارضة : عويرض ) . ٥١٠ باختصار . وتوضح المسألة حينما نعلم  
 أن المَسْجَم وادِر في تهامة ، يصبُّ في البحر ، قرب زَبِيد ، وأنه كان يطلق  
 عليه اسم خَزَازة ، ويقارب هذا الاسم « خَزَاز » وهو جبل له ذكر كثير في  
 أشعار الجاهليين ، وله يوم من أشهر أيام العرب ، بين العدنانيين والقحطانيين ،  
 ولكن هذا الجبل في عالية نجد ، وقد أورد البكري شيئاً من الأشعار والأخبار  
 الواردة فيه ، وحينما ذكر « المَسْجَم » في هذا الجزء قال انه هو « خَزَار »  
 الجبل المتقدم ذكره ، ويون شامع بين المَسْجَم ، الواقع في تهامة ، وخرّاز  
 الواقع في نجد ، المعروف في هذا العهد ، وسبب هذا الخطأ هو النقل الناقص المتبور .

٢ - ومثال آخر في ص ١١٧١ نقل عن الهمداني أيضاً ، يتعلق بآرب ،  
 جُلُّهُ موجود في الجزء الثامن من «الاكلیل» الذي طبع مرتين .

٣ - ومثال ثالث : لعرام بن الأصْبَغ السُّلَمي الاعرابي رسالة عن «تهامة  
 وسكانها ، وما فيها من القرى والمياه والجبال ، وما ينبت عليها من النبات»  
 نقل البكري جُلُّها في كتابه هذا ، وصرح بنقله في موضعين ، في أول الكتاب ،  
 وفي مادة «رَضْوَى» . وهذه الرسالة قد حققها ونشرها العلامة عبد العزيز  
 الجيني الهندي ، سنة ١٣٥٧ هـ في «اورنيل كوليج مجازين» التي تصدر في «لاهور»  
 عن نسخة خطية ، موجودة في «الخرانة السعيدية» في حيدر آباد وكان خليفاً  
 بالأستاذ السقا الرجوع الى هذه الرسالة ، لتحقيق النقول الكثيرة التي نقلها  
 البكري منها ، ولكن ياقوت الحموي نقل جُلُّها في «معجم البلدان» والسيد  
 السموودي مؤرخ المدينة ، نقل قسماً كبيراً منها في كتابه «وفاء الوفا في  
 أخبار دار المصطفى» و«المعجم» و«وفاء الوفا» مطبوعان ، وعدم تحقيق  
 ما نقله البكري من هذه الرسالة ، سبب كثيراً من الغلط في تلك النقول ،  
 ففي ص ١٣٧٧ : (وَرِقَانُ : ٠٠٠ من جبال تهامة ، ومن صدر مُصْعِداً من  
 مكة ، فأول جبل يلقاه وَرِقَانُ) . وهذا القول من الغلط الشنيع ، (فَتَوَرِقَانُ  
 جبل لا يزال معروفاً ، وهو بعيد عن مكة ، بينه وبينها بيئٌ دونها بيئٌ ،  
 وليس بأول الجبال التي يلقاها المصعد منها ، والكلام الذي ساقه البكري في  
 تجديد هذا الجبل ، أخذه من رساله عرام - وان لم يصرح بذلك كعادته  
 في كثير مما ينقل - ولكن ليس في تلك الرسالة كلمة «مكة» بل كلمة «المدينة»  
 وهي الصواب ، فجبل ورقان بقرب المدينة ، ولعل كلمة «مكة» سبق قلم ،  
 أو أن في الكلام نقصاً ، وان صوابه في معجم البكري : (ومن صدر مصعداً  
 من المدينة الى مكة) . وفي هذه الصفحة مما نقله البكري : (وأهل الحجاز  
 يسمون السُّمَّاق الضمخ ، وأهل الجَنَدِ يسمونه العُرُون) . وكلمة (الجَنَدِ)

تحريف لكلمة (نجد) الواردة في رسالة عَرَّام [صفحة ١٢٢٥ طبعة الميمني في المحلّة المذكورة] . وليس لأهل الجَنَد لغة تقارن بلغة الحجاز . وعلى ذكر اللغة أرى ان قول السيد السقا [ص ١٢٧١] : أنطى بمعنى أعطى في لغة اليمن فيه تساهلٌ ، اذ من المعروف ان هذه اللهجة لا تخصّ اليمنيين ، بل يشاركونهم بعض العدنانيين من قبس عيلان وغيرهم ، ورباح بن الأشل الذي فسر السقا كلامه غنويٌ من قبس عيلان ، وهذا أبلغ دليل على عدم حصر تلك اللهجة في اليمنيين ، وسكان القسم الشمالي من نجد - حائل وتوابها - في هذا العهد يستعملون تلك اللهجة . وجاء في صفحة ١٣٥٢ : ( تأتي من شَمْتَصِير وذَرَوَة . . . وبأعلى كَلْبِيَّة ثلاثة أجيالٍ صفار ، منفردات من الجبال ، يقال لها سَتَابِك ) . و « ذَرَوَة » و « سَتَابِك » مما تصحف على البكري ، اذ هما في رسالة عَرَّام : « ذَرَة » و « سَتَانِك » . والبكري هنا نقل كلام عَرَّام بصرف .

### وثانية الملاحظات :

تقليل الأستاذ السقا من قيمة مطبوعة وسننفلد ، وثناؤه على مطبوعته ، في مقدمة هذا الجزء يقول عن هذه الطبعة : ( أرجو ان يكون من ورائها تصحيح لكثير من الأخطاء التي وقعت في تلك الطبعة . . . فهرس هذه الطبعة يمتاز بالتقصي الدقيق . . . فهرس الأعلام يمتاز بالاستيعاب والاستقصاء كسابقه ، وبأنه لا نظير له في طبعة جونتجن . . . فهرس القوافي ليس له نظير في طبعة جونتجن كذلك ، ويمتاز بشموله في دقة كاملة ، أما ما وقع من المؤلف من خطأ ، وكذلك ما وقع في مطبوعة جونتجن فقد أصلحته ، ونهت عليه ) هذا سوى ما في مقدمة الجزء الأول من هذا القبيل .

لالأستاذ السقا ان يصف عمله بالانتقان والجودة والشمول والاحاطة ، فهو

أهل لذلك ، وان خرج عن جادة كثير من العلماء الذين بدعون هذا الأمر  
لغيرهم ، ممن يستطيع الحكم على أعمالهم حكماً تزيهاً عادلاً ، فطبوعة جونتجن هي  
أول مطبوعة انتفع بها الباحثون ، وهي على ما فيها من أخطاء لم يسلم منها مطبوع  
عربي - على درجة حسنة من الصحة والجودة ، وطابعها مستعرب معروف بسعة  
الاطلاع ، وتحري الصواب ، ولو لم يكن من فضله الا تمهيد السبيل للأستاذ  
السقا ، لكفى في عدم النيل من عمله ، ان لم يوجب الثناء عليه . ولعلنا لانعدو  
الحقيقة اذا قلنا ان كثيراً مما ظنه الأستاذ خطأ في طبعة جونتجن هو الصواب  
بعينه ، وان في كثير مما ظنه صواباً هو خطأ . ومن الأمثلة مما في هذا الجزء :

١ - في ص ١٣٣٣ : ( وتجتمع سيُول العقيق وبُطْحَمَان وقتَنَا بالزغابة ) .  
وأشار الأستاذ الى ان في طبعة جونتجن : « الزغابة » وقال انه تصحيف ،  
مع ان التصحيف هو ما اختاره الأستاذ اذ مجتمع سيول تلك الأودية « الزغابة »  
بالزاي لا بالراء ( انظر كتاب وفاء الوفاء ج ٢ مادة « العقيق » و « زغابة » .

٢ - وفي ص ١١٥٠ : « ضَمَّ القَنْتَانُ لِقَفْعَسٍ » . وفي طبعة جونتجن  
« ضَمِنَ » وهي الصواب كما في معجم البلدان ، مادة « القنان » .

٣ - وفي ص ١١٤٤ : ( ديار سَعْدِ بْنِ هُدَيْمٍ ) . وقال السقا : ان كلمة  
« بن » ساقطة من طبعة جونتجن والصواب سقوطها ؛ لأن سعداً هذا حَضَنَتَهُ  
عبدٌ حبشيٌّ يقال له هُدَيْمٌ ، فغلب عليه ، فقليل : سعد هُدَيْمٍ ، وليس هُدَيْمٍ  
أباً لسعد . ( راجع المقنضب من جمهرة النسب مخطوطة دار الكتب المصرية ) .

٤ - وفي ص ١٢٢٧ : « المِسلِحُ » : بكسر أوله . . . منزل على أربعة  
اميال من مكة ) وفي طبعة جونتجن : ( ايام ) مكان ( اميال ) وهي الصواب ؛  
قال الهمداني - في « صفة جزيرة العرب » ص ١٨٥ - : ( ومن أخذ الجادة  
من مكة الى معدن النقرة ؛ فن مكة الى البستان ٣٥ ميلاً ، ومنه الى ذات عرق  
٢٤ ميلاً ، ومنها الى الضمرة ٢٠ ميلاً ، ومنها الى المسلح ١٧ ميلاً ) ٥١ ملخصاً .

وهذا من أدق ما يحدد بعد هذا الموضع عن مكة ، والظاهر أن كلمة « أميال » تصحيف لكلمة « ليال » .

٥- وفي ص ١٢٧١ : ( منتهيجٌ : بفتح اوله ، واصكان ثانيه ، بعده عين مهمله مكسورة ، وجيم معجمة ) . وكلمة « معجمة » لا محل لها وهي مسقطه من طبعة جونتجن ، اذ « الجيم » لا مشابه لها لكي تميز بالاعجام ، اعني لفظة « الجيم » .  
وفي ص ١٢٨٥ : ( الحَضْرَمِيٌّ وهو عبد الله بن عماد بن سلبان ) .  
وفي مطبوعة جونتجن ( سلمى ) وهو الصواب ( انظر ترجمة العلاء بن الحضرمي في الأعلام للزركلي ) .

### والملاحظة الثالثة :

وقع في هذا الجزء هفوات قليلة ، أذكر بعضها . وتصحيحها :

١- في ص ١١٥٧ :

ما كان بين الشَيْطَانِ وَلَعْنَةٍ لِنَسَانَا الا مَتَاقِلُ أَرْبَعُ  
والبيت بهذه الصفة ، وان كان صحيح الوزن الا انه خرج عن وزنه الصحيح ،  
وصوابه : فما كان ...  
لنسوننا

وبعده :

فَجُنَّا بِجَمْعٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ بِكَادَ لَهُ ظَهْرُ الرَّبِيعَةِ يَظْلَعُ  
٢- وفي ص ١١٨٥ في تعداد اعراض الهمزة - : ( المَسْجَازَةُ وَالْعِرْضُ ،  
وَحَجْرَةٌ ، وَالْعَامِيرِيَّةُ ) . والصواب : ( العَمَّارِيَّةُ ) وهي قرية معروفة بهذا  
الاسم ، تقع عن الرياض غرباً ، بما يقرب من ثلاثين كيلاً [ كيلومتراً ] .  
وانظر « صفة جزيرة العرب » ص ١٦٢ وفي « معجم البلدان » هذه المادة .  
٣- وفي ص ١٢٠١ : « وبث رسول الله ﷺ مربة الى مَدِينِ ،  
أميرهم زيد بن حارثة ، فأصاب سبياً من أهل مَيْسَاءَ ، قال ابن اسحاق :

وميناء هي السواحل) . وكلمة ميناء تصحيف (مقنا) بالقاف مكان الياه والميم مفتوحة ، وهذا التصحيف ناشئ عن كون القاف بالخط المغربي تنقط بواحدة من تحتها ، ومقنا قريبة في ساحل مدّين معروفة في هذا العهد ، بين «ظبا» و «حقن» . وفي عهد الرسول ﷺ كان سكانها من اليهود ، يقال لهم بنو حبيبة ، (انظر معجم البلدان مادة مقنا ، وانظر كتاب الرسول ﷺ لأهل مقنا في كتاب (الوثائق السياسية في عهد الرسالة ، للدكتور محمد حميد الله الآبادي الهندي) .

٤- وفي ص ١٢٣٦ : (ثم نزل نيريم ، وهي لبني جشم) . ونيريم هنا تصحيف (بريم) بالياء الموحدة المضمومة بعدها راء مفتوحة ، فياء مشاة تحتية ساكنة ، فميم . وهو منهل لا يزال معروفا بهذا الاسم ، قرب جبل (حصن) في عالية نجد ، واثم منازل بني جشم من هوازن قديما ، (انظر لتحديد هذا الموضع «صفة جزيرة العرب» ، وفي كتاب لغدة الاصهاني ، عن بلاد العرب : (ولهم بريم وهم شركاء جشم فيه ، قال الراجز :

تذكرت مشرربها من ثصابنا ومن برريم قصباً متفباً) ١٥

أما نيريم - بالناء المشاة المكسورة فراء ساكنة ، فياء مشاة تحتية مفتوحة فميم - فموضع آخر في شمال الحجاز ، بقرب البحر ، في جهة مقنا ، وهو الذي ورد في شعر كئيب ، وترريمُ بفتح التاء المشاة الفوقية وكسر الراء واسكان الياء - بلدة معروفة في حضرموت .

٥- وفي ص ١٢٤٨ : (قال ابو الصلت الثقفي) . وأليت المذكور هنا

في ديوان أمية بن ابي الصلت ، وأميه هو المعروف بالشعر .

٦- وفي ص ١٢٧٠ : (سيهان من جنب) . والصواب (سنهان)

بالتون مكان الياء ، وهي قبيلة لا تزال معروفة ، ويسمى باسمها بخلاف من يخالف

اليمين ( انظر تاج العروس - هذه المادة ، وانظر الكلام على قبيلة جَنْب في كتب الأنساب ) .

٧- نقل الأستاذ السقا في حاشية ص ١٢٢٣ - عن معجم البلدان - ان مَنفُوحَة قرية مشهورة ، كان يسكنها الأعشى وبها قبره . وهي لبني قيس ابن ثعلبة ، نزلوها بعد قتل مسيلمة ، ولا أدري كيف غاب عن الأستاذ ان جملة ( نزلوها بعد قتل مسيلمة ) لا تنفق مع كونها قرية الأعشى والتي قبر فيها ، اذ الأعشى مات قبل قتل مسيلمة ، وهو من بني قيس بن ثعلبة ؟ وإذن فجملة ( نزلوها بعد قتل مسيلمة ) لا محل لها .

٨- وقع في صفحتي ١٢٨٨ و ١٢٧٠ : ( وحش خَبِيَّة ) بالخاء ، وهي بالجيم ( جَبَّة ) منهل معروف في بلاد طيء ، بين بلدة « حائل » و « الجوف » والنصحيف هنا من البكري ، مثل كلمة ( الحَزَوَاء ) الواردة في ص ١٢١٨ وهي - فيما أرى - ( الحَوَزَاء ) التي ورد تحديدها في ص ١٣١٠ ، و ( المِلْح ) في ص ١٣٥٢ - الموضوع الذي قال المؤلف انه مذكور في رسم القاعة ، وصوابه ( مِلْح ) بيم مكسورة بعدها لام ساكنة ، فجيم ، وهو اسم قرية معروفة تقع غرب الأحساء ، في أرض تدعى الجسوف ، وبقريةا قرية تدعى ( نِطَاع ) . وقد أورد البكري [ ص ١٠٤٤ ] في كلامه على القاعة ، انها تسمى الأجواف ، وذكر قول الشاعر :

طُحُونٌ كَمَلْتَنِي مِبْرَدُ الْقَيْنِ قَعْمَةٌ

بِحِرْعَاءِ ( مِلْح ) أَوْ بِجَوِّ ( نِطَاعِ )

وقال لغدة الاصبهاني في كتاب « بلاد العرب » : ( ثم تخرج من بطن غيرة ، فقع في السّتار ، وفيه اكثر من مائة قرية ، لأفناء سعدية ، ولاسري القيس بن زيد مائة ، ومن قراها تاج ، قال ذو الرمة :

نَحَاهَا لِتَنَاجٍ نَحْيَةً ثُمَّ أَنَّهُ تَوَخَّسِي بِهَا الْعَيْنَيْنِ عَيْنِي مُتَالِعٌ  
وَعَيْنَتَا مُتَالِعٌ مِنْهَا ، وَقَرِيبَةٌ بِقَالَ لَهَا مِلْجٌ ، وَقَرِيبَةٌ بِقَالَ لَهَا نِطَاعٌ ،

قال العجاج :

إِنْ تَكِ دَهْنًا ظَمَعْتِ عَنْ دَارِهَا عَامِدَةٌ لِمِلْجٍ ، أَوْ سِتَارِهَا  
فَقَدْ تَصِيدُ الْقَلْبَ بِأَحْوَرَارِهَا وَكَفَلَّ بِتَنْصَارُ بِأَنْصِبَارِهَا

ومن التصحيف الذي وقع فيه البكري ، كلمة الهوسى ص ١٣٥٧ التي قال  
المؤلف إنها من مياه المرثوت ، والصواب - كما في « صفة جزيرة العرب »  
ص ١٥٣ - وكتاب لغدة الأصهباني - ص ٤٧ نسختنا المخطوطة - « أهوسى »  
بجذف اللام ، وأورد الأصهباني فيها قول الراجز :

كَرِيَّةٌ زَوْجَهَا كَرِيَّةٌ حَلَّتْ بِأَهْوَى فَهَوَى هَوِيَّهَا

٩- وفي ص ١٣٣٥ - عن النمرة : ( مائة في ديار بني تميم ) ثم أورد  
المؤلف بيتاً للراعي النخيري ، عقبه بقوله ( فذلك ان حَقِيلًا من ديار بني تميم ) .  
وكلمة ( تميم ) في الموضوعين تصحيف لكلمة ( نمر ) قبيلة الراعي ، وحَقِيلٌ جبل  
في بلادهم قال فيه الراعي :

وَأَقْضُنْ بَعْدَ كَطُوسِيْنِ بِجِرْفِ مِنْ ذِي الْأَبَارِقِ ، إِذْ رَعَيْنَ حَقِيلًا

١٠- وفي ص ١٣٦٥ : ( واقصة ماء لبني كليب ) وفي الحاشية نقلاً عن  
المعجم : ماء لبني كعب ، وكليب وكعب أصبح منها ( كلب ) . اذواقصة  
هي الى بلاد كلب أقرب منها الى بلاد هاتين القبيلتين ، وقد ذكر بعض المتقدمين  
أن واقصة لبني أسد ، وبعضهم ذكر انها لطي ، وأسد وطى كانوا مجاورين لكلب .  
١١- وفي ص ١٣٩٨ : ( بليقيس بنت هداد بن شرح ) . وهداد صوابه  
ما نقل الأستاذ في الحاشية عن الجزء العاشر من الاكليل ( الهدهاد ) وأما شرح  
فهو ( إلي شرح ) كما حقق ذلك الدكتور نبيه أمين فارس في طبعته الجزء  
الثامن من « الاكليل » ص ١٩ . وقد ورد هذا الاسم في المؤلفات التاريخية  
بصور مختلفة - ال شرح - البشرح - الى شرح - الشرح .

١٢ - وفي ص ١٤٠٣ : (صَيْدُ بَنِ هَمْدَانَ) والصواب : (صَيْدُ مَن) (صَيْدُ مَن) . اذ الصيد - وقد ورد تعريفها وتنكيرها - من ولد عمِّرو بن جُشم ابن حاشد ، وحاشد من همدان (انظر نسب الصيد في الجزء العاشر من الاكليل وانظر الجزء الثامن منه ص ٨٠) .

هذا ما أردت بيانه من ملاحظات وتصحيحات تتعلق بهذا الجزء ، غير مستوعب ولا مستقص ، ولا متعرض لأغلاط المصنف ، كقوله : (هَمْدَانُ وادي الطائف) ص ١٣٧٠ (كَدَاهُ جَبَلُ مَكَّةَ هُوَ عَرَفَةُ بَيْنَهَا) ص ١١١٧ (الْمَرْوَةُ جَبَلٌ بِمَكَّةَ مَعْرُوفٌ ، وَالصَّفَا جَبَلٌ بِإِزَاهُ ، وَبَيْنَهُمَا قُدَيْدٌ ، يَنْحَرَفُ عَنْهَا شِبْثًا ، وَالنُّشْكَلُ هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي يَنْحَدِرُ مِنْهُ إِلَى قُدَيْدٍ) ص ١٢١٧ - وأمثال هذا من الخلط في تحديد المواضع ، ولا لأغلاط الطبع مثل كلمة (مُعْتَمِدٌ) ص ١٣٣٨ التي صوابها (مَعْتَمِرٌ) و (فَجٌّ) ص ١٣٥١ وهي (فَجٌّ) ، لأن تصحيح هذين النوعين من الخطأ - أغلاط المصنف وأغلاط الطبع - يحتاج الى تطويل قد لا تتسع مثل هذه الصحيفة له ، ولأن من يُعنى بالبحث في تحديد المواضع القديمة من العلماء ، الذين لم من سعة الادراك ما يمكنهم من التثبت والتحقق ، والوصول الى الصواب ، حينما يريدون الاستفادة من هذا الكتاب القيم ، الذي أشارك حضرة محققه في قوله : (إني لمغتبط اذا أقدم معجم ما استعجم ، بعد اتمام طبعه ، في هذه الصورة الى العلماء والباحثين في الثقافة العربية . . . ليجلوه من خزائنها محل الصديق الوفي ، يفرغ اليه في التماس العون والرأي ، اذا أدرجن ليل الشبهة ، وغامت سماء الشكوك وخاصة فيما يتعلق بالجزيرة العربية التي هي الوطن الأول للإسلام والعرب والعروبة) .

محمد الجاسر

## قصة جزيرة قوصرة العربية

- ٢ -

### الدجن بقوصرة :

يظن الواقف على هذا الكلام من تاريخ ابن خلدون أن آثار الاسلام بعد ذلك انقطعت تماماً من تلك الجزائر - ولا سيما في قوصرة التي نجث عنها هنا بصورة خصوصية - والواقع أن الإفريقيين لم ينقطعوا عن تلك المستعمرات ، ولم يتركوها ، بل استمروا على الإقامة بها والتردد عليها مدة الدولة الحفصية . وقد تقدم لنا ما وصفها به ابن فضل الله العمري في القرن الثامن للهجرة ، حيث قال : « وبها جماعة من المسلمين تحت الذمة على مقرر لهم » . ومثله مارواه ابن سعيد الفرناطي المعاصر لتلك الحوادث ، حيث يقول : « وهي للمسلمين تحت عهد فرنج صقلية » ، وهو لا . المسلمون الخاضعون لحكم الإفرنج كانوا يعرفون في بلاد المغرب - وخصوصاً في اسبانيا - باسم المدجنين ( Mudejare ) (١) .

ويستفاد من خبر ساقه ابن ناجي عرضاً أن جزيرة قوصرة - في أوائل القرن التاسع للهجرة - كان يقطنها المسلمون والنصارى معاً ، وأنها كانت خاضعة لحكم نصارى الإيبان ، وأن للمسلمين المقيمين بها قاضياً ينظر في شؤونهم الدينية وأحكامهم الشرعية ، وأنهم كثيراً ما كانوا يכתفون الى صراسي افريقية ، وبالخصوص على مدن الساحل الشرقية ، وهي سوسة والمهدية وفاقس وقابس وجزيرة جربة ، فيما ذكره ابن ناجي . ويتبين من كلامه أن العلماء كانوا ينكرون

---

(١) أطلق نصارى الاسبان اسم ( Mudejare ) المحرف عن كلمة « مدجن » على من أقام تحت حكمهم من المسلمين في الجهات التي احتكروها من الأندلس .

على هؤلاء المسلمين رضاهم بالإقامة تحت حكم الكفار وعدم هجرتهم الى بلاد الإسلام ، واليك عبارة ابن ناجي بنصها <sup>(١)</sup> : « وجرى لي ، وأنا قاضي بجربة حدود سنة ٨٠٠ هـ ( ١٣٩٨ م ) - أن قدم لي رسم فيه شهادة قاضي قوصرة يذكر خق شهود من علمه ، فطلب مني العارض أن أوقع على خطه ، فلم أتمكن صاحبه من ذلك لأنهم ( أي مسلمو قوصرة ) قادرون على التجميل في الخروج منها ، وربما يخرج بعض من فيها ويعود اليها ، وهم تحت حكم الكفار » .  
ويؤيد ذلك أيضاً الفتوى الصادرة من عالم تونس في وقته - الإمام البرزلي - التي يقول فيها <sup>(٢)</sup> : « ومثله عندنا بأفريقية أهل قوصرة ، فإنها تحت إيالة أهل الكفر ، وقد اختار بعضهم الإقامة بها ، فمن غاب على أمره منهم فله مندوحة وليست بجرحه في حقه لأنه كالمكروه ، ومن كان باختياره فهو جرحه وحكم ماله يجري على ما سبق ، وهم - أي مسلمو قوصرة - ونحوهم من أهل الأندلس يسمون بالدجن » .

### نظام الحكم بقوصرة :

لم تقف في المصادر التاريخية التي لدينا على نص يفيد ما كانت عليه هيئة الحكم ونظام الإدارة بالجزيرة ، مدة الاستيلاء العربي . أكان فيها حاكم بانفراد

(١) راجع شرح رسالة ابن أبي زيد ( طبعة مصر ١٣٢٢ ، ص ٤٠٦ )  
تأليف القاضي أبي القاسم بن ناجي القيرواني المتوفى في رجب سنة ٨٣٩ ( يناير ١٤٣٦ م ) .  
(٢) راجع « للبيان » للونفريسي ، طبعة فاس ، سنة ١٣١٤ ، ج ٢ ، وكذلك « جامع مسائل الأحكام » خط بمكتبتي ، تأليف أبي القاسم محمد بن أحمد البرزلي مفتي تونس المتوفى سنة ٨٤١ هـ ( ١٤٣٨ م ) . وأقول بالنسبة إنه لو أمكن استتراء المؤلفات المحررة في الفتاوى ومسائل الفقه وفروعه خلال القرن الثامن والتاسم والعاشر بالأقطار المغربية - تونس والجزائر وللمغرب - لتيسر اخراج ما لا يحصى من مسائل التاريخ الصحيح بالوثائق الثابتة عن أخبار المغرب والأندلس ، وبخصوص علاقته ببلاد الأفرنج وجزائر البحر المتوسط ، ونحن في حاجة أكيدة الى ذلك لفقدان ما يعتمد عليه في هذا الشأن من كتب التاريخ العربي .

من لدن الدولة الافريقية ، أم كانت راجعة بالنظر الى والي مالطة أو صقلية ؟  
وهذا مما لم نعرفه من الأنباء الواصلة إلينا .

ولا خفاء أن الأمراء من بني الأغب كانت لهم عناية تامة بممتلكاتهم ،  
واهتمام خاص بسيرها وعمرائها وتقدمها ، فقد كانوا لا ينخلون عن تفقدها  
بأنفسهم من حين إلى آخر ، ومما مست الحاجة إلى ذلك . وقد يفيدنا التاريخ  
أن الأمير محمداً الثاني - الملقب بأبي الغرائق - ركب البحر مرة من مرفأ سوسة  
إلى جزيرة قوصرة ، وأقام بها بضعة أيام للكشف عن أحوالها ، ثم عاد إلى القيروان  
عاصمة ملكه . ولا شك أن غيره من أمراء تلك الأمرة كانوا يقصدونها ، كما كانوا  
يزورون مالطة وصقلية ، للوقوف على حالة البلاد والاستماع إلى شكوى الرعايا .  
وفي اعتقادي أنه كان لقوصرة عامل مستقل ، ينظر في شؤونها الإدارية  
ومصالحها الحربية والاجتماعية ، كما كان لها قاض شرعي مستقل يقضي بين  
سكانها المسلمين في أمور دينهم وأحوالهم الشخصية تنصبه حكومة القيروان  
أو المهدية ، وكذلك كان الشأن في بقية الأصقاع العربية المنقطعة عن العدو .  
ولما انفصلت قوصرة عن حكم الاسلام صار مسلمو الجزيرة هم الذين ينتخبون  
من بينهم قاضياً ، ترثضيه حكومة النصارى وتمضي أحكامه الشرعية ، على  
ما استفاد من كلام ابن ناجي . ودام الأمر على هذا النظام إلى القرن التاسع  
من الهجرة - وربما إلى القرن العاشر - غير أننا لا نعلم بعدها ما كان مصير  
المسلمين المدجنين بها ، ولا شك أنهم بتوالي الزمان وانقطاع المدد المادي والمعنوي  
عنهم من افريقية العربية - لعجز الدولة الحفصية في آخر عهدها - انثرت عقدهم ،  
وتبدد شملهم بالتدرج إلى أن آل أمرهم إلى الاضمحلال .

والظن الغالب - البالغ درجة اليقين - أن الاسبان في مدة تغلبهم على قوصرة  
عفوا على بقايا المسلمين بها ، وألزمهم التنصر قسراً ، مثلاً فعلوا مع اخوانهم  
المدجنين - في الوقت نفسه - في أصقاع الأندلس ، ولا غالب الا الله !

## جزيرات عربية أخرى :

وما ذكرناه عن أحوال سكان قوصرة في العصر الحفصي يمكن أن يقال مثله عن مسلمي بعض الجزائر الصغيرة الأخرى ، مثل لنبدوشة ( Lampedusa ) ونموشة ( Linosa ) في الشرق من البلاد التونسية ، والتابعين في النظر الى قوصرة . وقد يجد الباحث عنها تنقاً مبعثرة هنا وهناك أثناء المطالعة في المطولات ، فقد خصها ابو عبيد البكري في « مسالكه »<sup>(١)</sup> بمجرد الذكر ، ورسمها امام جزيرة قرقنة التونسية - يعني في شرفها - وهو الواقع ، وأثبتها الشريف الادريسي في نزهته بقوله<sup>(٢)</sup> :

« وأما جزيرة لنبدوشة فيبينها وبين أقرب بر من افريقية حيث قبودية ( مكان بلد الشاية الآن ) مجريان ، وبها مرمى مأمون من كل ربح ، ويحمل الأساطيل الكثيرة . وهذا المرمى منها في اللباج ( أو : الباس وهو ما بين الغرب والجنوب ) ؛ وليس في جزيرة لنبدوشة ، شيء من النار ، ولا من الحيوان البري . وجزيرة نموشة في الشرق مع الشمال يسيراً ، ثلاثون ميلاً ، وليس بجزيرة نموشة مرمى ولا شعراء ، والإرساء بها يكون مخاطرة » .  
وهذا الوصف - فيما رأيت - أشمل ما وقع لجغرافي العرب عن تينك الجزيرتين الصغيرتين .

وقفت على فتوى للامام ابي عبدالله المازري ومنها<sup>(٣)</sup> :

(١) ص ٨٥ ، طبعة باريس ، ١٩١١ .

(٢) مجموعة أماري ص ٢٤ ، ٢٥ ونزهة الأنظار لقديس الصفاي طبعة

تونس ج ١ ص ٥٣ .

(٣) الامام المازري هو محمد بن علي ينسب الى مازرة ( Mazzara ) من مدائن صقلية ، وتوفي بالهدية ٥٣٦ ( ٢١٤١ ) . وقبره بالمنستير ، وله مصنفات كثيرة في علوم الشريعة وغيرها ووردت الفتوى المذكورة في « المعيار » للونشريسي ج ٨ ، وفيه ترجمته ترجمة وافية جامعة في رسالته وضعها في ذلك .

« وسئل الامام المازري عن دفع لرجل مالا قراضاً ليسافر به الى المشرق وكتب بينها وثيقة ، واشترى الرجل بضاعة وحملها في مركب ، فلما وصل الى جزيرة ابدووشة انفتح المركب وخشي عليه الغرق ، فرد سالماً الى المهديّة ، ورفع البضاعة الى رب المال فطالبه بالوثيقة ٠٠٠ » ، الى آخر ما بالفتوى .

ومن هنا يستفاد أنّ السفر بين المهديّة والاسكندرية بالسفائن الشراعية - في القرن السادس للهجرة - كثيراً ما كان يقع على طريق لبدووشة هذه .

قوصرة والأتراك :

ولنعمد الى أخبار قوصرة بالخصوص ، فانها بقيت تحت حكم الاسبان الى أن ظهرت سيطرة الأتراك العثمانيين في البحر المتوسط ، وطمحت نفوسهم الى الاستقلال بالسيادة عليه .

ولقد أثبت التاريخ أن الزعيم التركي طورغود باشا - ويسميه التونسيون درغوث - افتتح قوصرة باسم السلطنة العثمانية ، وافتكها من يد الاسبانيين ، بعد ما استولى على مرسى المهديّة الحصين ، وذلك في سنة ٩٦٠ ( ١٥٥٣ م ) ، وقد أخذها معقلاً مأموناً لسفائنه الحربية .

وقد دامت قوصرة في تصرفه مادامت المهديّة تحت يده ، ثم استرجعها طائفة الاستبارية المعروفين بفوسان مالطة ، فبقيت تابعة لحكمهم زماناً طويلاً الى أن وضع الانكليز أيديهم على جزيرة مالطة ، وألحقوها بامبراطوريتهم الكبرى سنة ١٢١٥ ( ١٨٠٠ م ) .

وانا لاندري - كما قدمنا - أكان يقيم بقوصرة في تلك الأثناء شرذمة من بقايا المسلمين ، أم أنهم أجبروا جميعاً على التنصر من لدن الاسبان ، ثم من فوسان مالطة ، وهو المحتمل الغالب على الظان . والأمر الذي نعلمه يقيناً هو أن لغة التخاطب بين سكّان تلك الجزيرة كانت العربية ، وأن لباسهم - الى عهد غير بعيد - كان لباس مسلمي البلاد التونسية .

## قوصرة واللغة العربية :

وبين أجدنا من ذلك العصر رحلة حررها شاب فرنساوي اسمه جان بوني ( Jean Bonnet ) ، أمره الفرسان التونسيون ، وأقام مأسوراً في تونس خلال سنتي ١٦٦٩ ، ١٦٧٠ م ( ١٠٨٠ ، ١٠٨١ هـ ) ، يعني على عهد الأمراء المراديين . ثم أمكنته الفرصة من الفرار من مرسى صوسة على سفينة شراعية ، فعاد الى وطنه فرنسا ، بعد أن اجتاز على جزيرة قوصرة <sup>(١)</sup> .

يتلخص من هذه الرحلة المفيدة أن ذلك الشاب - وكان رباناً باحدي السفائن - لما حل في جزيرة قوصرة بعد فراره ، وهي أول ما وصله من أرض الافرنج ، لم يقدر على التخاطب مع سكانها - وان كانوا نصارى - الا بواسطة ترجمان مالطي ، اذ كانت اللغة التي يتكلم بها أهل بنطلاارية تشبه كثيراً اللهجة الجارية بين سكان جزيرة مالطة . ومن هنا يتضح لك أن العربية ظلت مستعملة بين قاطني قوصرة الى أوائل القرن الثاني عشر من الهجرة ، بل انها كانت لسان تخاطبهم الوحيد لا يعرفون غيرها من اللغات الافرنجية . ولا شك أن لهجتهم هذه لم تكن بالعربية الخالصة ، بل كانت لهجة أصولها عربية محرفة كثيراً ، في مستوى ما يتكلم به اليوم في جزيرة مالطة أو أقرب بقليل منها الى الفصحى ، بالنظر لقرب ما بين قوصرة وبلاد تونس العربية . وليس أدل على ذلك من أعلام الأماكن وأسماء البقاع الموجودة في قوصرة ، فانها عربية بنسبة ثمانين في المائة .

أذكر أن بعض المعارف الايطاليين قال لي ذات يوم : - أليس من العجيب أن تبقى أعلام البقاع في قوصرة عربية بهذه النسبة العظيمة ، بعد ما امتلك

(١) راجع الرحلة للمنوننة « Relation de L'esclavage d'un marchand

de Cassis à Tunis » Rédigée par A. Galland, Paris 1810.

وكذلك الفصل للشور في مجلة الكاهنة . « Un Marchand provençal esclave .

à Tunis par P. Grandchamp « La Kaheena » , Tunis, oct. 1938 P. 134.

النصارى اللاتينيون ناصية الجزيرة ما يقرب من سبعمائة عام؟ فقلت له: لا غرابة البتة في ذلك لما نعلم من قوة استيلاء العربية على النفوس، واستحواذها على القلوب استحواداً لا ينازعها فيه فاتح ولا يشاركها في سلطانه متغلب. وليس الأمر مقصوراً على قوصرة وحدها، بل هو شاهد في سائر الأصقاع التي شاء القدر أن يمتلكها العرب، كصقلية والأندلس ومالطة وسواها كثير.

### أسماء البقاع:

وانورد هنا - على سبيل التذكير فقط - بعض الأعلام العربية لأسماء  
أما كن موجودة الآن بقوصرة، فمن ذلك:

• المرسى (Limarse).

بيت المرسى - وترسم الآن بالحروف اللاتينية (Beccimursa) كما ينطق  
بها السكان.

• الشرف (Scirafe) - وهو مكان مرتفع.

• جبل (Gibele) - اسم لأرفع مكان بالجزيرة.

• جبل أحمر (Gelkhamar).

• الشمالية (Cimillia) - لمكانها من الناحية الشمالية.

• العنية (Muina) - بمعنى الجنان، وهو كثيراً ما يقع في الأعلام

الجغرافية في الجزيرة.

• الحمة (Khamma) - قرية صغيرة بها عين حمية من آثار البرقان الموجود

في وسط الجزيرة، ومن أجلها سميت هكذا.

• كدية الحمة (Cuddia di Khamma).

• حروشة (Caruscia) - وهي اسم لأرض متججرة على معنى ما نسجه

بالحرش في تونس.

- سلوم ( Sollume ) - أي السلم ، وهي طريق متصعدة في الجبل ونطقهم  
 سلوم - بزيادة الواو - يشبه تماماً ما باللهجة التونسية .
- خربة ( Harbe )
  - زيتة ( Zita )
- كدية ( Cuddia ) - لكل مكان مرتفع ، وهذه التسمية تدخل على  
 جملة من الأماكن .
- الحجر ( Khagiar )
- أبو قرة ( Buccura ) - والمظنون أنه امم علم في الأصل أطلق على المكان .
- كدبة ابن سلطان ( Cuddia Bonsultan )
  - طريق ابن سلطان
  - بوجابر
- بني قائد ( Beni Cued )
- بويرة ( Buria ) - تصغير بئر مع التأنيث
  - بلاطة ( Balata )
  - طريق الريح
- خنقة ؛ وبنطقونها حنكة ( Hanaca ) - امم مضيق بين جبلين
- الخنقة ( Le galche )
  - كدبة التنورة ( Cuddia attalora )
  - سداري ( Sidere )
- وسواها كثير جداً ، وربما عد بالئات ، اقتصرنا على جلب المهم منها .

## مفردات عربية :

ولو أردنا احصاء الكلمات العربية المستعملة الى الآن في اللهجة القوصرية الايطالية ، لزمنا افراد معجم صغير مستقل ، لذلك نكتفي هنا بالاشارة الى شيء منها :

- زيب ( Zebibo ) - للعنب المخفف .
- بيفرة ( Bifra ) - لبا كورة التين (وينطقها التونسيون بالناء بدل الفاء) وكلاهما صحيح ، والأصل في هذه الكلمة يوناني معرب .
- سواقي ( Scivachi ) - جمع ساقية ، محل سبيل الماء .
- دكانة ( Duccana ) - وهي المصطبة .
- سكارا : القفل (وينطقون بها سكاله) ، وقد يستعملون مثلاً جارياً الى اليوم في اللهجة التونسية وهو قولهم « كيف يبب كيف سكاله » ومعناه : الباب يساوي القفل في الرداءة .
- والقوصريون يعرفون بشخص جفا الذي تنسب اليه الحكايات الطريفة ، وهم يلفظون اسمه جفا ( Giufa ) بقلب الخاء فاء ، كما هو جار في بعض كلمات أخرى ، وينسبون اليه حكايات ونوادير مضحكة .
- بلاب : اسم نبات معرش معروف .
- داموس ( Damusso ) ويعنون به كل بناء معقود (مقوس) ، كما هو في التونسي .
- سامي ( Sessi ) - تحريف أساس . ويعنون به كل بناء مقام من الحجارة الكبيرة ، وبلا حظ أيضاً أن هذه الكلمة يستعملها كثير من سكان جزيرة سردانية للدلالة على بنايات قديمة منتشرة في بلادهم .
- خفاف ، حجر من نوع اللخاف الذي يطفو على الماء .
- بلاطة : حجارة كبيرة منبسطة ( Balata ) .

شمشة : تصغير شمس .

حربوشة : القطعة من العجين تدور ثم تلقى في الرماد الساخن حتى تستوي ، وهو ما يسمى عند فلاحينا بخبز الملة .

مطيرة : القطعة من الأرض تعد للحرارة .

صبالة : السبيل الذي يشرب منه الماء .

حفيان : وينطقون بها حفيانو ( Afiano ) يصفون بها الرجل اذا كان حافياً من غير حذاء .

وسوى ذلك كثير من الكلمات العربية الأصل ، وقد يصعب الوصول الى تحقيقها وارجاعها الى أصولها . وفيما ذكرنا كفاية لمن يريد أن يثبت أن العربية دأبت مستعملة في قوصرة الى عهد غير بعيد ، كما قدمنا . ثم طفت عليها الايطالية - أو بالتحقيق لهجة صقلية - لما آل أمر هذه الجزيرة الى حكومة رومة ، وبقيت كلمات عربية مندسة في المفردات التي لم يصلها التعليم والتقليد والحضارة الأوربية .

### العادات والتقاليد :

وما قيل في لغة التخاطب يقال في العادات والتقاليد ، فقد ظل سكان قوصرة الى زمان ليس بالبعيد مقلدين أهل افريقية في عاداتهم العربية وأنظمتهم الاجتماعية وتقاليدهم في كثير من مظاهر الحياة . فقد كانوا يلبسون الشاشية التونسية الحمراء ( الطربوش المغربي ) ، ويكتسبون ( القشاية ) الصوفية من صنع الساحل التونسي وجزيرة شريك ، ثم بانقطاع العلائق التجارية بينهم وبين تونس - من نحو مائة سنة أو أقل من ذلك - تحولوا الى لباس البرنيطة والأكسية الايطالية ، وكانوا لا يعرفون من الأواني والماعون الا ما يرد عليهم من فخار جزيرة جربة ، كالجرار لحزن الزيت ، والجوابي للخمر ، والقلال وأكواز الماء ، وهلم جرا . وكذلك كان نساؤهم الى أمد قريب يحتجبن ، واذا خرجن من البيوت

لعمل ما أو الى الكنيسة بنعجرن بلحاف أسود ، ولا يتركن ظاهراً من وجوههن الا العيون ، وكأتهن قلدن في اتخاذ ذلك الازار الأسود الذي ترتديه نساء الساحل التونسي عند الخروج من بيوتهن ، لا سيما من بينهن نساء مدينة صوسة .  
 وخلاصة القول أن غالب العادات العائلية والاجتماعية بقوصرة كانت تمت الى التقاليد العربية بصلة .

ولطالما وقع العثور في سواحل قوصرة وفي برينها على نقود عينية مضروبة بافريقية ، في أيام الأغلبة والعبيديين وبني حفص ، كما أن البحوث الأثرية (١) كشفت بها عن عدد لا يستهان به من الكتابات العربية المنقوشة على الحجارة والأواح الرخام (مشاهد) كانت موضوعة على قبور أعيان من سكانها في العهد الاسلامي ، مما يدل على اندماج هذه الجزيرة في بوتقة المدينة العربية كغيرها من البلاد .

\* \* \*

يتلخص مما تقدم أن كثيراً من عادات أهل قوصرة في زهم وكلامهم ، وطرائق بنائهم وفلحهم للأرض وصناعتهم اليدوية ، يرجع بأصله الى التقاليد التي ورثوها عن أبناء افريقية الاسلامية ، كما ورثها غيرهم عن العرب أيضاً من سكان صقلية ومالطة وسواهما من جزائر هذا البحر .

وهكذا تجرت سنن الكون في عملها الفعال منذ انبلج صبح الحضارة على ضفاف البحر المتوسط ، فقد حملت رياحه وأمواجه الغادية الرائحة بين جوانبه

(١) راجع بحث الأستاذ أورسي (Orsi) في مجموعة ١٨٩٩ ، ص ٤٥ وما بعدها ، ج ٩ Monumenti Antichi dep Lincei ، وكذا بحث الدلامة ميكالي أماري ، طبع بلم ١٨٧٩ ، وعنوانه le epigrafi Arabiche di Sicilia ص ١١٨ وما بعدها .

بذور مدنيات مختلفات تأتي بها تارة من المشرق الى المغرب ، وتنقلها أخرى من الجنوب الى الشمال طرداً وعكساً ، وتمزجها بالتراب والرقاب حتى اذا ما تألف منها هيكل متجسم الظاهر ، متماسك الأجزاء ، انسجمت في ثناياه مؤثرات خفية اندست في باطن التربة وفي أعماق النفوس ، وسرت فيها سريران الماء في العود ، وجرت جريان الدم في الشرايين ، صنعة الله ، ومن أحسن من الله صنعة !

فمن تلك البذور ما يضمحل بعد حين ويندثر لحقارته وعدم صلاحيته ، ومنها ما يظل حياً نامياً دهر الدهرين لمئاته في أساسه ، وقوة في وقعه ، وفائدة في بقاءه ، مصداق قول الله تعالى :

« فأما الزبد فيذهب جفاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

### حسن حسني عبد الوهاب



## سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

- ٢ -

### متى ترك خالد العراق ؟

قلنا ان الروايات ، ما عدا رواية واحدة ، لم تذكر تاريخ سفر خالد من العراق .  
روى المدائني ان خالداً شخص من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة  
وقد أيد ذلك البلاذري ولعله روى الخبر من المدائني . وأورد الذهبي ان كتاب  
ابي بكر جاء خالداً في اوائل سنة ثلاث عشرة . وهناك روايات عديدة تقول  
ان أمر ابي بكر وصل الى خالد بعد منصرفه من حجة سنة اثني عشرة ، وهذا  
ينطبق على ما ذكره الذهبي . وما دام خالد تكتم في حجة هذه فلا بد أنه ترك  
مكة بعد الحج وتوجه نواً الى العراق ، ولا يستطيع أن يصل اليه قبل انقضاء  
أكثر من نصف شهر . لهذا لا يمكن أن يضل أمر ابي بكر اليه الا في المحرم  
سنة ثلاث عشرة .

علما بما تقدم أن خالداً أغار على الفسانيين بمرج راهط في عيد فصحهم  
أي في يوم ٢٤ نيسان سنة (٦٣٤) وهذا يصادف يوم ١٩ ربيع الأول سنة (١٣) .  
واذا فرضنا أن أمر ابي بكر وافى خالداً في منتصف المحرم أو في أواخره ،  
واذا علما أنه قضى بعض الوقت ليتأهب للسفر ، إذن لا يشرع بالسفر الآ في  
نهاية شهر المحرم او في أوائل شهر صفر ، أي قبل منتصف شهر آذار  
سنة ٦٣٢ أو بعده .

أما المدة التي قضاها في السفر فلا يمكن معرفتها قبل معرفة الطريق التي سار فيها خالد في سفره الى الشام ، ومعرفة فيما اذا قضى بعض الوقت في الاغارات والفتوح كما جاء في الروايات .

### الطريق التي سلكها خالد<sup>(١)</sup> :

أشرنا فيما سبق الى أن خالداً أوفد مدداً ووثناً الى جيش المسلمين في الشام والى أن ابا بكر استخذه في المسير طالباً اليه أن يسرع الى نجدة اخوانه قبل أن يهاجمهم الروم ؛ لهذا يتراءى لنا أنه يختار الطريق الأقصر في سفره . ولا يخطر على بالنا أنه سلك طريقاً لا ماء فيها والموسم كما علمنا ، ليس موسم شتاء . والطريق الأقصر الذي يربط العراق بالشام هو درب الساعي أي ساعي البربد الذي يقطع بادية الشام من الغرب الى الشرق ويبدأ من دمشق ماراً بقربة ضُمير وينتهي بقربة هيت على الفرات . ويبلغ طول الطريق هذه أكثر من ستائة كيلومتر ؛ ولا يوجد فيه الماء الا في أماكن محدودة وهو غير متوفر بها ولا يمكن أن تسلكه جماعة كبيرة . لهذا ينبغي لنا أن نفقش على طريق أخرى يكثر فيها الماء . وهذه الطريق إما أن تكون في الشمال أو في الجنوب ، أي الطريق التي تسير بها القوافل بين العراق والشام . والطريق الشمالية تسلك وادي الفرات حتى (الفراض) ثم تترك الوادي وتنوجه الى الشمال الغربي الى (السخنة) ومنها الى تدمر فالقريتين ، فحوارين ، فدمشق . وتبدأ الطريق الرومانية القديمة من الفراض وتمر بالرجبة والسخنة ثم تذهب الى تدمر ومنها تنشعب عدة طرق رومانية الى حمص وحماة ودمشق . ومن السخنة تنشعب طريق الى الرصافة ومنها الى (صورا) على ضفة الفرات . وطول الطريق هذه من الحيرة الى دمشق أكثر من ألف كيلومتر . وتمر بالحصون التي أقامها الروم على حدود البادية كما تجتاز قلعة تدمر الحصينة . أضف الى ذلك أن الطريق المذكورة تجتاز ديار تغلب وهي القبيلة الكبيرة الموالية للروم ومنها العرب المتحصرة .

(١) راجع الخريطة .

لهذا لا يعقل أن خالداً يسلكها لأنها طويلة ، ولأنه لا بد من الاصطدام بالحصون والقلاع . والجند الروماني ومرتزة العرب مرابطون في المخافر وقد يسعى الروم الى ارسال قوة من مراكز أجنادها لسد الطريق بوجه خالد ومنعه من الانضمام الى المسلمين . وما دام المسلمون بحاجة اليه في الشام فينبغي لخالد أن يتجنب ما يؤخر سيره من قتال ومحاصرة حصون وقلاع .

### تفصيل الطريق بين العراق والشام :

ذكر ابن خرداذبة طريقين تقطعان البادية بين العراق والشام .

الأول - الطريق من عين التمر الى بصرى وتفصيلها ، من عين التمر الى ( الأخدمية ) ثم الى ( الحفية ) ثم الى ( الحائط ) ثم الى ( سووى ) ثم الى ( الأجبغير ) ثم الى ( الغربة ) ثم الى بصرى (١) .

الثاني - من الكوفة الى دمشق وتفصيلها من الحيرة الى ( القططانة ) ثم الى ( البقعة ) ثم الى ( الأبيض ) ثم الى ( الجبنة ) ثم الى ( القلوفى ) ثم الى ( الرواري ) ثم الى ( الساعدة ) ثم الى ( البقيعة ) ثم الى ( الاعنك ) ثم الى ( أذرات ) ثم الى ( منزل ) ثم الى ( دمشق ) (٢) .

لقد ثبت ( أليس موصل ) في كتابه هذين الطريقين . فثبت الأولى كما يلي (٣) :  
( الأخدمية ) تسمى اليوم ( أخدمية ) وهي على خمسة وسبعين كيلومتراً غربي عين التمر . وهو اسم لبئر في شعيب الأخدمية . أما الحفية والخلط فقد تحول اسمها ، والخلط انقلب الى ( غدير الخلط ) على بعد مائة وعشرة كيلومترات غربي الأخدمية ؛ أما الحفية فهي ( حفاية لاهه ) على الطريق القديم بين العراق

(١) المسالك والممالك ص (٩٧) .

(٢) » » ص (٩٩) .

(٣) ص (٥٢٦) Arabia Dezerta - Aleys Musij

والشام غربي غدِير الخليط على مسافة مائتين وعشرين كيلومتراً . أما سُرَى  
فذكر موصل ان ابن خرداذبة ذكرها خطأ بدلاً من ( قُرَاقِر ) لأن البيت  
الذي أوردته شاهداً هو الذي يذكر تفويض خالد بن الوليد من قُرَاقِر الى سُرَى  
بدلالة رافع ، قُرَاقِر في أول المغازة وسُرَى في منتهما . ولأن سُرَى تقع في  
الشمال بعيدة كثيراً عن هذه الطريق .

أما الغربية فهي ( أم غُرَبَات ) على سبعين كيلومتراً غربي قُرَاقِر والمسافة  
بين أم غُرَبَات وبصرى مائة واربعون كيلومتراً .  
وقد ثبت موصل الطريق الثانية كما يلي <sup>(١)</sup>:

القطعة طانة هي قرية ( القططانة ) الحالية ولا تزال مسكونة على بعد خمسة  
واربعين كيلومتراً غربي النجف . والبقة فلم يثبتها . أما ( الأبييض ) فقد  
ثبته ( بنحشم المعزّة ) وقال موصل ان ( غرّة ) مؤنث ( الأبييض ) وهو على بعد  
ستين كيلومتراً غربي القططانة والقرب من بئر ( المكن ) الغزير المياه . ولعل  
الجوش هو الجوش وقد وجد موصل في الطريق ( خبيرة الجوشية ) في نهاية  
وادي ( عرار ) على بعد خمسين كيلومتراً جنوبي غربي الأمكن . ولعل  
الجمع هو ( غدِير الجمعات ) على ستين كيلومتراً غربي الجوشية . والحوطي  
( غدِير الحط ) على خمسة وستين كيلومتراً غربي ، شمالي غربي الجمعان . ويجوز  
جبه تهجئة خاطئة لحوض ( مجنة ) الكبير الذي تجتمع فيه مياه الأمطار ،  
وهو على بعد مائة كيلومتر غربي ، شمال غربي الحط . أما القلوفى فوردت  
باسم ( علوى ) في مخطوطة اكسفورد لعلها ( عَوَوِيَّة العلووية ) وهي على  
سنة وتسعين كيلومتراً غربي ، شمالي غربي مجنة . والرواري فهو تحريف الدواري  
أي ( الدوارة ) الحالية أو تحريف ( الزواري ) وهو اسم لبركة مهمة على ثمانية  
وخمسين كيلومتراً غربي العلوية . والساعدة ، يجوز أن تكون منبع ( ساعدة )

على خمسين كيلومتراً غربي الدوارة . وتقع الأعتاك والبقيمة في جبل حوران .  
والمنزل بين أذرع ودمشق هو ( الكسوة ) .

وذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاويم ثلاث طرق بين العراق والشام<sup>(١)</sup> .  
الطريق الأولى طريق ( الكوفة الرهيمية - البختيت - القرائي -  
الحنفيس - الحشبية - العزيفة - قراقر - الأزرق - عمان ) .  
وقال : « وأما طريق الكوفة فتأخذ من الكوفة الى الرهيمية ١٢ ميلاً  
ثم الى البختيت نهارين ثم الى القرائي مثلها ثم الى الحنفيس نهاراً ثم الى الحشبية  
مثلها ثم الى العزيفة مثلها ثم الى قراقر مثلها ثم الى الأزرق مثلها ثم الى عمان  
مثلها ، الجميع ١١ مرحلة خفافاً .

وفصل موصل هذا الطريق وبين أن الرهيمية قريبة على بعد ثلاثين كيلومتراً  
غربي الكوفة . وقال ابن البختيت ورد اسمه في مخطوطي برلين واستانبول  
( ألبيريت ) وهو على بعد مائة وعشر كيلومتراً غربي ، جنوبي غربي الرهيمية  
وجاء اسم الغرابي في مخطوطة استانبول بدلاً من القرائي وهو غدير الغرابي على  
تسعين كيلومتراً غربي ألبيريت . وقد انقلب اسم بئر الحنفيس الى عمارة الحنفيس  
وهي خريبة في وادي الأبيق على بعد مائة كيلومتر و كيلومترين غربي ،  
شمالي غربي الغرابي . أما الحشبية فهي بركة ( ام إحسية ) الواقعة على بعد  
مائة وخمسة عشر كيلومتراً غربي الحنفيس . لم يعثر موصل على مرحلة العزيفة .  
ولا ماء في هذه الطريق في مسافة أربع مائة وخمسين كيلومتراً من البريت  
الى قراقر ولا يعثر المسافر على الماء فيه إلا بعد هطول أمطار غزيرة .

الطريق الثانية - طريق ( هيت - دمشق ) : لم يذكر المقدسي أسماء المراحل  
في هذه الطريق ولكنه اكتفى بقوله بأنها تقطع في عشرة أيام . فإذا قطع  
المسافر في كل يوم ستين كيلومتراً فيكون طولها ستائة كيلومتر ٠٠ يؤكد

(١) المقدسي : أحسن التقاويم في معرفة الأقاليم ص ( ٢٥١ - ٢٥٢ ) .

موسل بان هذه الطريق هي الطريق التي تسمى الآن بدرب الساعي الذي كان يريد المهجين بقطعه قبل الحرب العامة الأولى من ضمير الى هيت ماراً بيادية الشام من الغرب الى الشرق . والمسافة من هيت الى (قصر خباز) نحو من خمسين كيلومتراً ومنه الى (الهجرة) أو (المبيجر) مائة وعشرون كيلومتراً ومنه الى (راح) تسعون كيلومتراً وتقع (آبار الملوش) على مقربة منه . ومنه الى (سبع آبار) مائتا كيلومتر ومنها الى ضمير ستون كيلومتراً .

الطريق الثالثة - طريق (الرحبة - دمشق) . لم يذكر المقدسي مراحلها وجاء في مخطوطة استانبول أن مراحلها عشرة . . يبدأ السفر من الرحبة أي قصبه (ميادين) الحالية الواقعة على الفرات جنوبي دير الزور ومنها الى (آبار الجب) على خمسة وثلاثين كيلومتراً غربي ، جنوبي غربي الرحبة ومنها الى (كلبان الهيل) مائة وخمسة وعشرون كيلومتراً في الاتجاه نفسه ومنها الى (كلبان الأيتانية) وهي ذات مياه كثيرة على مائة كيلومتر من كلبان الهيل . والمسافة منها الى ضمير مائة وستة وثلاثون كيلومتراً لأماء فيها . تقطع هذه الطريق في ثمانية أيام . وهناك طريق آخر بين العراق والشام ، تقطعه القوافل التجارية تبدأ من الأنبار مارة بصفة الفرات اليمنى الى الفراض (أي الصاحية) أو الرحبة (الميادين) ومنها الى السخنة فتدصر فالقريتين فدمشق .

وتوجد طريق أخرى توازيها وبعيدة عن ضفة الفرات تبدأ من عين التمر الى (بردان) ثم الى (الحنى) ثم الى (المصبيخ) ، ثم تقطع وادي حوران في (عقلات حوران) ومنها الى (الرتقة) ثم الى (آبار الجب) ثم الى (السخنة) . وثمة طريق أخرى من أقصى الجنوب يربط العراق ببلاد الشام ، تأخذ من الحيرة الى دومة الجندل وتمر بوادي المر (وادي سرحان) وتنتهي بصرى . وتمر بقسمها الأول بالقادسية و (القرعاء) و (الليفية) و (الحبكة) و (ألبركات) و (قلب صوير) و (سكاكة) ثم ينتهي بدومة الجندل وتمر بقسمها الثاني بوادي

السر وقد قطعه المنهزمون في معركة الجمل سنة ست وثلاثين هجرية كما جاء في الطبري نقلاً عن سيف بن عمر<sup>(١)</sup> وجاء في الرواية :

«أجار عصمة بن أبيير التميمي غيبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن ويحيى أبناء الحكم بعد هزيمتهم في وقعة الجمل وقال لهم اختاروا أحب بلد إليكم أبلغكموه ، قالوا الشام ، فخرج بهم في أربعمائة راكب من تيم الرباب حتى اذا أوغلوا في بلاد كلب بدومة (دومة الجندل) قالوا (قد وفيت ذمتك) . ولعلمهم مروا بعد البصرة بنقرة السلطان وحبيكة حتى وصلوا دومة الجندل ومنها الى بصري بطريق وادي السر . ولما تعذر على العراقيين من ضباط وموظفين وغيرهم البقاء في سورية بعد احتلال الجيش الفرنسي لها سنة ١٩٢٠ تركوا دمشق على ظهور الابل واجتازوا البادية من ضمير الى كربلاء ومروا بخيضة لاهة وانتهوا بالأخضر . وكان سفرهم في شهر حزيران سنة ١٩٢١ .

ذكرنا الطرق التي تربط العراق بالشام ولنبحث الآن عن الطريق التي سار فيها خالد بن الوليد :

أرسل خالد مدداً وعوناً للمسلمين في الشام وطُلب اليه أن يسرع في النجدة فكان لزاماً عليه أن يختار الطريق الأقصر والأقل خطراً ، كما أنه كان ينبغي له ألا يجازف في طريقه بالمرور بمناطق تسكنها قبائل معادية وأقيمت فيها مسالح للعدو وألا يجهد خيله لأنه يحتاج اليها في مقاتلته للروم في الشام . ويتضح من الروايات ان قبائل بكر بن وائل كانت مع المسلمين وهي تنزل بادية السماوة من طريق (فيد - الأبلدة) الى أطراف الحيرة ، ولعل الحيرة وأطرافها كانت في المنطقة الفاصلة بين قبائل تغلب وقبائل بكر ويتضح أيضاً من أخبار الرواة أن قبائل تغلب كانت مناصرة للفرس ومقاتلة للمسلمين . والطرق بين العراق

(١) الطبري ، الجزء الثالث ص (٥٤٠) .

والشام ، من الأنبار الى الشمال الغربي ، تمر جميعها بديار تغلب ، ثم بديار كلب وبهراء . أما الطريق في أقصى الشمال المارة بتدمر فعليه حصون ومسالح ومخافر للروم على الحدود أقامها الروم ضد الفرس وضد غارات البدو . وفي الفراض مثلاً ، وتقع على الحدود ، حصنان واحد للروم في غربي الفرات والثاني للفرس في شرقيه . وفي قرقيسيا قلعة للروم في الضفة اليمنى . ومدينة تدمر ومدينة الرصافة الواقعة الى شمالها ، مدينتان محصنتان بأسوار ، وقد أقيمت الحصون والمخافر على طول الطريق بين تدمر ودمشق ، منها مخافر أمامية على حدود البادية ومنها حصون خلفية أقيمت في القرى والقصبات وعلى أماكن الماء .

ومن الواضح أن خالدًا لا يقدم على السير في طريق نقل المياه فيه وقد يستطيع المسافر الواحد أو القافلة المؤلفة من بضعة أشخاص أن تسير في الطرق التي تشح فيها المياه ؛ ولا يتيسر للقافلة الكبيرة ، وفيها خيل ، أن تسير في تلك الطرق ، ان وجد الماء فيها ، ففي محلات متباعدة جداً . ومن هذه الطرق طريق (الرحبة - دمشق) وطريق (هيت - دمشق) وقد بدا من تثبيت موصل لها أن أماكن الماء في هاتين الطريقين متباعدة كثيراً وهي امايركات أو أحواض طبيعية لا يكون الماء فيها إلا في الشتاء ، بعد نزول أمطار غزيرة . وقد تبين لنا ان خالدًا قطع الطريق بين العراق والشام بعد انقضاء موسم الشتاء ، وهو على رأس قوة ليست قليلة العدد وفيها الخيل التي لا تحتمل العطش كالأيل .

### عدد الرجال الذين سافر بهم خالد :

تضاربت الروايات في تقدير قوة خالد بن الوليد . فروى المدائني ان قوة خالد تتفاوت بين ستمائة وثمانمائة وأبد البلاذري هذه الرواية وجعل قوة خالد تختلف بين خمسمائة الى ثمانمائة . وأكد ابن الأثير ذلك . أما ابن عساکر فقال انها ثلاثة آلاف وجعل ابن كثير قوة خالد تسعة آلاف وخمسمائة . وقد ورد

أن أبا بكر أمر خالداً أن يستخلف المثني بن حارثة على العراق في نصف الناس .  
وفي بعض الروايات أن المثني اعترض على خالد لما رآه يستأثر بالصحابة ويترك له  
من لم يكن له صحبة ، وقال له والله لا أقيم إلا على انفاذ أمر أبي بكر كله  
في امتصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف <sup>(١)</sup> وذكر ابن عساکر ان أبا بكر  
كتب الى خالد أن يمضي مخففاً في أهل قوة من الصحابة الذين قدموا معه  
العراق من اليمامة وصحبوه في الطريق وقدموا عليه من الحجاز <sup>(٢)</sup> . وذكر أبو يوسف  
ان خالداً خرج بالعين الى العراق ومعهم من الأتباع مثلهم ، فمر بفيد ، فخرج  
معه خمسمائة من طي ومعهم مثلهم فانتهى الى شراف ومعهم خمسة آلاف أو أقل  
أو أكثر <sup>(٣)</sup> . ويتضح مما ذكره أبو يوسف ان الذين خرجوا من الحجاز ألفان ،  
ولو فرضنا انه أخذ نصفهم حين سفره من العراق امثالاً لأمر أبي بكر فيكون  
قد ذهب الى الشام على رأس الف رجل على أكثر تقدير . لهذا لا عبرة بما  
ذكره ابن كثير من أن قوة خالد تسعة آلاف وخمسمائة وما ذكره ابن عساکر  
من أنها ثلاثة آلاف . وقد صرح الروايات ان خالداً رد الضعفاء والنساء  
الى المدينة ليضي مخففاً في أهل قوة .

لهذا نرى ان رواية المدائني التي أبدها البلاذري ونقلها ابن الأثير هي أصح  
الروايات عن قوة خالد . فقوته اذن كانت بين ستائة وتسعمائة مجاهد . ومن  
الطبيعي أن القوة كانت راكبة ، ولا يبعد أن يكون ركاب الإبل ردفاً ،  
كأن يركب اثنان على جمل واحد . ولعل نسبة الخيل من الإبل كانت تنفاوت  
بين واحد في العشرة الى الواحد في الخمسة عشر .

(١) الطبري ، الجزء الثاني ، ص ( ٦٠٥ ) .

(٢) ابن عساکر ، الجزء الأول ص ( ١٣٨ ) .

(٣) الحجاج ، ص ( ١٦٩ ) .

## مقارنة بين الطرق :

ظهر لنا من الكلام عن الطرق التي تربط العراق بالشام أن الطريقين الأول والثاني اللذين ذكرهما ابن خردادبة والطرق الثلاثة التي ذكرها المقدمي كانت بأجمعها طرقاً تقطع البادية من الشرق الى الغرب والمياه فيها قليلة ، وهي اما آبار واما غدران او أحواض او جوابي مجمع مياه ، والمسافات بين أماكن الماء بعيدة تقطع في مرحلتين أو في ثلاث مراحل أحياناً . ولا يمكن قطعها بالخيول وبتعذر قطعها بقافلة مؤلفة من عدد كبير من الناس إلا في موسم الأمطار الغزيرة . ويبلغ طول الطريق في أقصى الشمال من عين التمر الى دمشق نحواً من ألف كيلومتر ، وهي تمتاز مساح الروم وقلاعاً وحصوناً ، يضاف الى ذلك أنها تقطع ديار قبيلة تغلب التي ظهر عداؤها للمسلمين بوقوفها في جانب الفرس ومقاتلتها للمسلمين قبل سفر خالد بن الوليد . ولا يوجد في هذه الطريق موقعا قراقر وسوى اللذان اتفقت الروايات على أن خالداً مر بها أثناء تفويزه في البادية . وقراقر ماء لكعب وسوى ماء ليهراء وليس لقبيلة كلب منازل في طريق (الفراض - أرك - تدمر) ، لأن هذه الأماكن واقعة في ديار تغلب . لهذا يصعب الاعتماد على الروايات القائلة إن خالداً مر بهذه الدروب ، اذ لا بد له ، في مسيره عليها من مناوشة التغلبيين من جهة ومقاتلة المسالخ واضطراره الى محاصرة الحصون والقلاع من جهة أخرى ، وفي ذلك مضيعة للوقت وانهاك لقوته الضعيفة ، فضلاً عن اقتحامه لهذه العقبات جميعها . وقد يتربص له الروم لما ينتهي اليهم من أنباء حركاته ويحولون دون نجاته للمسلمين .

وعلى الرغم من كل ذلك فان دي جويه وكابناني اعتمدا على الروايات التي تقول إن خالداً مر بأرك وتدمر والقريتين وحوارين في طريقه من العراق الى الشام . وكان سبب ذلك عدم المعرفة بموقعي قراقر وسوى . وقد اكتفى جغرافيو العرب

على عادتهم بذكر الروايات عن المواقع من دون أن يثبتوا المحل بالضبط ، فذكروا ان قراقرم ماء لككب وسوى ماء لبراء . وذكر باقوت في معجمه في مادة قراقرم انه ماء لككب وواد لككب بالسماوة من ناحية العراق ، نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام وفيه قيل :

لله در رافع أنى اهتدى خمسا اذا ما سارها الجيش بكى  
ما سارها من قبل أنسى يرى فوز من قراقرم الى سوى

وذكر البكري في مادة قراقرم موضع في ديار كلب واستشهد بيت نسبة الى خالد:

ضل ضلال رافع أنى اهتدى فوز من قراقرم الى سوى  
خمسا اذا ما ساره الجيش بكى

وبدل بيت قاله حكيم ان قراقرم بشق الشام والبيت كما يلي :

وان بنية قد ناؤنا بدارم فخوران أدنى دارم ققراقرم

وقد استند كابتاني في بحثه<sup>(١)</sup> الى الرواة من جماعة المدينة كالواقدي والمدائني

واعتبر رواية ابن اسحق نافصة . أما روايات سيف بن عمر وهو من جماعة الكوفة فلم يلتفت اليها . وكابتاني لا يعتمد كثيراً على سيف ويعتبر ما جاء في رواياته من نسج الخيال ولكن الاعتماد على روايات المدائني والواقدي في هذا الصدد من دون تمحيصها ، تظهر لنا ان خالداً ورجاله يجبطون خبط عشواء ويضربون في أرض البادية ويسيرون في اتجاهات متخالفة ، بينما اخوانهم في الشام ينتظرون وصولهم .

(١) لم نطلع على ما كتبه كابتاني عن رحلة خالد من العراق الى الشام لأن الجزء الثاني من مجلده الثاني من حوليات الاسلام نقد ، والذمخ في مكتبة وزارة الدفاع العراقية ومكتبة دائرة الآثار نافصة ، لا تحتوي على المجلدين الأول والثاني . وكان الكاتب التركي حسين جاهد بالشين قد ترجم المجلد الأول والجزء الأول للمجلد الثاني ونشر ترجمته في عشرة أجزاء . لهذا ظل الجزء الثاني للمجلد الأول بعيداً عن متناول اليد في خزائن بغداد والذي أدرجناه في بحثنا هذا من آراء كابتاني اقتبسناه من كتاب « الويسن موسل - The Arabia Dezerta » نقلاً عن ملحقه الباحث عن سفر خالد من العراق الى الشام وهو بحث قيم أماط اللثام عن كثير من النقاط الغامضة وثبت الطريق الذي سلكه خالد .

فالواقدي <sup>(١)</sup> جعل خالداً بعد وصوله الى سوى يخرج الى الكوائل ثم يأتي قرقيسيا ، ثم أرك ، ثم دومة الجندل فيفتحها ، ثم يأتي قصم فيصالحه أهلها ثم يبلغ حوارين فيظفر بأهلها أو يسبي ويغنم الى أن يغير على بني غسان في مرج راهط في عيد فصحهم . فضبر الواقدي هذا بدل على أنه كان يجمل جغرافية البلاد ، لهذا اعتمد على الروايات وحشرها حشراً من دون أن يتأكد من موضع الأماكن التي ذكرها .

رأى المدائني <sup>(٢)</sup> أن خالداً بعد أخذه أمر ابي بكر بالتوجه الى الشام ، قد ذهب من الحيرة لمحاربة الغزو في سندوداء ، ثم يقاتل جموع تغلب في المصبغ والحصيد ، ثم يفوز من قراقر الى سوى ، ثم يأتي أرك وتدمر والقريتين وحوارين وقصم ويقاتل أهلها ويظفر بهم حتى يغير على الغسانيين . والرواية هذه تتفق تماماً مع رواية الواقدي في أعمال خالد من سوى الى مرج راهط .

وقد ذكر ابو يوسف <sup>(٣)</sup> ان خالداً بعد أن توجه من عين التمر وقطع المغاوز أغار على بني تغلب حتى أتى الشقيب والكوائل ثم مر بعانات حتى أتى قرقيسيا وانتهى بعد ذلك الى دمشق . ومن الغريب ان كاتبنا الذي يعتبر ابن اسحق من أوثق الرواة أهمل روايته عن سفر خالد ولم يلفت اليها . ولعل رواية ابن اسحق على قصرها أصدق رواية عن سفر خالد وهي أقدم رواية وصفت كيف استعد خالد في قراقر لاجتياز المغازة الى سوى ودبر أمر الماء . وقد رواها بعده سيف بن عمر والهيثم بن عدي وأشار اليها البلاذري باختصار . ولم تشر رواية ابن اسحق الى أن خالداً مرّ بأرك وتدمر وحوارين . انما جعلت وجهته بعد سوى مرج راهط . وقال ابن الطبري استقامت بخالد بعد سوى وتواصلت به المياه حتى أغار على مرج راهط كما جاء في تاريخ ابن عساکر .

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (١١٩) .

(٢) الطبري الجزء الثاني ص (٦٠١) .

(٣) الحراج ص ١٦٩ .

والعمل الوحيد الذي قام به خالد في طريقه ، هو فتح لعين التمر ، خلافاً لما ذكره ابو يوسف والمدائني والواقدي من فتوح . ولم يذكر ابن اسحق في روايته ، المراحل التي نزل بها خالد بين عين التمر وقرافر بما يدل على انه لم يحدث شيء غير اعتيادي في هذه الطريق وانه سلك طريق القوافل ذات المياه .

وجرى سيف بن عمر على عادته فأسهب في روايته ولم يشير الى الفتح الذي تم لخالد في سفره وجعل طريقه من الحيرة الى دومة الجندل ومنها الى قرافر فسوى فرج راهط وقدم أخبار الفتوح التي وردت في الروايات الأخرى على سفر خالد . فذكر فتح عين التمر والقتال في الحصيد والمصيخ والغراض والبشر قبل ذهاب خالد الى الحج في آخر سنة ١٢ هجرية وقبل استلامه كتاب ابي بكر بالسفر الى الشام أوائل سنة ١٣ هجرية . لقد نبه سيف في روايته الى السبب الذي دعا خالداً الى أن يفوت من قرافر الى سوى وأوضح السبب الذي حدا بخالد على المجازفة في التفويض برجاله رغم الأخطار التي ذكرها دليله رافع . سأل خالد رافعاً : « كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فإني ان استقبلتها حبسني عن غياث المسلمين » ، هكذا يظهر ان خالداً اجتاز المغازة رغم وجود طريق أمين لأنه أراد ألا يقف الروم بوجهه فيمنعونه من نجدة المسلمين في الشام .

واعتمد « دي جويه » بعد أن ناقش الروايات على الرواية التي رواها ابن اسحق وأكمل نقصها بروايات المدائني والبلاذري وزيف رواية الواقدي التي جعلت مرحاتي الكوائل وقرقيسيا بعد سوى وضعف أيضاً رواية أبي يوسف التي جعلت خالداً بعد قطعه البادية يمر بعانات والنقيب والكوائل وقرقيسيا وقال <sup>(١)</sup> :

« ذكر ( هانبرج ) ان خالداً بسفره من الأنبار وعين التمر كان يستطيع بعد بضع مراحل ان يصل الى تدمر ماراً بأرض خصبة مزروعة . ولكنني أعارضه في ذلك ، لأنه كان ينبغي لخالد أن يسلك طريق الغراب للوصول

(١) مذكرة عن فتح الشام ص ( ٤٤ ) .

الى الطريق العام ، وبذلك يدور دورة كبيرة ، ناهيك بالأخطار التي تعرض لقوته الصغيرة باجتيازها أرض العدو . ويرى هانبرج ان المنازل أرك وتدمر . . الخ لا يمكن ان تكون على الطريق التي قطعها خالد والتي جعلها في حوران الشرقية على سيف البادية . ولا شك في أن خالداً كان في مكنته بعد ارتحاله من سوى ان يقصد الى الجنوب الغربي ويذهب رأساً الى عمان . بيد أن أكثر الروايات قالت ان خالداً توجه الى الشمال الغربي ونحو أرك . ولا يذكر ابن اسحق أرك وتدمر ولكنه يذكر مرج راهط . ولا تستند فرضية هانبرج الى أساس تاريخي وتضطرنا الى القول بأن خالداً بعد بلوغه بصرى ، لا يسرع للاجتماع بالقيادة الذين كانوا ينتظرونه ولكنه يقوم بغزوه نحو تدمر وهذا لا يعقل .

وإذا علمنا ان نصف الطريق الثاني التي سار فيها خالد تمر بأرك وتدمر والقريتين وحوارين ومرج راهط وان بدأ حركته من عين التمر يتعذر علينا الاعتراف ببعض الشيء بالقول ان خالداً غامر فاجتاز البادية للوصول الى الطريق العام لبلوغ دمشق من شمالي الجزيرة . ان الاتجاه الذي اتخذ على هذه الصورة يؤدي الى الشمال الغربي . لهذا يلوح لنا بأنه بعد تركه عين التمر تقدم نحو قراقر وفوز منها الى سوى ثم سار الى أرك . . . . .

حتى اذا وصل خالد في أرك الى الطريق العام مكث قليلاً في تدمر وبعمدة قصيرة بلغ القريتين ثم الى حوارين فالتقى لأول مرة بقوات انهالت عليه من بصرى وبملك تقاومه أعنف مقاومة . . . . .

ولما اجتاز خالد المضيق الشهير الواقع على طريق (دمشق - حمص) وقف برهة فوق الراية المطلة على المضيق . . . . . التي سميت بئنية العناب ، ثم تقدم جاعلاً دمشق على يمينه وباغت الغسانيين في مرج راهط في يوم الفصح . . . . .

قلنا ان مادعا المؤرخين الغربيين الى تصديق أخبار فتوح خالد في طريقه الى الشام واقرار الروايات القائلة انه دخل الشام من طريق تدمر ، هو جهلهم موضع قراقر وسوى .

## قراقر وسوى :

ومع ان ابن اسحق وابا يوسف جعلا المفازة بين قراقر وسوى بعد عين التمر وان سيف بن عمر وعقبة ذكرا ان المفازة بعد دومة الجندل وان الهيثم بن عدي قال ان خالداً مرّ بالسامرة حتى انتهى الى قراقر ففوز منها وان اللاتطائي (ابن عساكر) جعل المفازة قبل وصول خالد الى ضمير وعلى الرغم من كل ذلك فان كابتاني استند الى ما كتبه الرائد بيترس الذي زعم ان قرية (سويه) الواقعة على ضفة الفرات اليمنى هي سوى التي مر بها خالد . ولكن موصل ذكر ان اسم القرية المذكورة (السويّة) لا (سويه) وهي قرية من البوكمال . ويتضح مما كتبه موصل<sup>(١)</sup> ان كابتاني اعتمد على ما أورده اليعقوبي من ان خالداً ذهب الى الأنبار بعد أخذ أمر ابي بكر وأخذ دليلاً منها وقال ان الأنبار قد تكون قراقر لأنها على نهر الفرات ولأن خالداً أخذ الدليل منها . . . . ولا حاجة للإشارة الى تفاهة هذا الاستنتاج . واذا كانت الأنبار رأس المفازة بين قراقر وسوى فينبغي أن تكون المفازة على ضفة الفرات اليمنى على حين لا طريق القوافل المارة بالفرات ولا الطريق التي توازيه غرباً هي طريق مفازات ، لأن الأول يمر بجانب الفرات والثاني قريباً منه وفيه مياه ، فضلاً عن أن المؤرخين والجغرافيين قالوا ان قراقر ماء الكلب وديار كلب بعيدة عن الفرات وان الطريقين المذكورتين تمران بديار تغلب . وقد أجمعت الروايات على أن خالداً في سفره من العراق اجتاز مفازة بين قراقر وسوى وصرحت بعض الروايات ان طول المفازة خمس ليال وجعل اليعقوبي المفازة بين الأنبار وتدمر وقال ان خالداً سار في البرية والمفازة ثمانية أيام وقد ذكرت بعض الروايات ان خالداً فوز قبل وصوله دومة الجندل ومن الروايات ما جعل المفازة في حجة خالد من الفراض الى مكة . وقد استند كابتاني الى رواية المدائني التي جاء فيها أن خالداً بعد أن فوز

(١) Arabia Dezerta ص ( ٣٠٢ ) .

من قراقر الى سوى اتي أرك وتدمر ثم بلغ القريتين ٠٠٠ الخ استند الى هذه الرواية وقال ينبغي البحث عن موضع سوى في جوار أرك وزعم أن سوى هي قرية السخنة وبذلك فتنش على المفازة بين نهر الفرات والسخنة أي في سلسلة البشرية الممتدة من ضفة الفرات اليمنى الى شمالي شرقي السخنة . ولكن موصل اعترض على رأي كاتباني هذا وقال ان الطريق بين الفرات والسخنة من سلسلة البشرية قصير ، يقطع في يومين أو ثلاثة ، لا في خمس ليال كما جاء في الروايات ثم ان المياه فيه كثيرة . هكذا بنضح للقارئ ان سبب كل هذا الاختلاف جهل محل قراقر وسوى . ومن نظروا في الخرائط لم يعثروا على هذين الاسمين لأن الخرائط المتبصرة يومئذ لم تعرض لها بعد موضعها عن المناطق الكثيرة القرى ولم يتسن للرواد أن يروا بها فيثبتوها في الخريطة . وكان أول وآخر من ثبت هذين الاسمين في الخريطة الرائد الشكوسلوفسكي (أوليس موصل) الذي قطع قبل الحرب العظمى الأولى وفي أثناءها بادية الشام وشمالي جزيرة العرب . وثبت الأسماء التاريخية القديمة ورسمها على الخريطة ومر بقراقر وما يزال البدو يسمونها قراقر بفتح أوله وبلهجتهم وهو معروف لديهم باسم (كلبان قراقر) . وقد صورها موصل<sup>(١)</sup> وكلمة (كلبان) جمع كليب (كليب) البئر . وذكر ان الآبار فيها أكثر من عشرين بئراً تقع جميعها في الطرف الشمالي الشرقي لحوض المياه بين الجبلين الأسودين (المحاط) (وربذة) وعمق بعض الآبار ثلاثون سنتمترًا (?) وعمق الأخرى ثمانون سنتمترًا وتقع قراقر شمالي شرقي الجوف (دومة الجندل) على بعد مائتين وثلاثين كيلومترًا وشرقي ، جنوبي شرقي قرية (كاف) في وادي السرحان ، في المحل الذي تنعطف فيه حرة الشامة من الشمال الى الجنوب الشرقي وعلى شرقي الطريق المار بوادي السرحان بين دومة الجندل وبصرى وفي الحافة الشرقية لهذا الوادي الذي كان العرب يسمونه (بطان السر) وسبب هذه التسمية ان الوادي عريض ، عبارة عن قاع بين هضبتين . وتقع قراقر على بعد خمسمائة كيلومتر جنوبي غربي عين التمر .

(١) وجاء رسمها في ص ١٠١ من كتابه (البادية العربية) Arabia Dezerta .

أما موقع سوى فقد قال موسل انه في (سبع ييار) على طريق السيارات بين بغداد ودمشق شرقي ضمير على مسافة مائة وخمسة وعشرين كيلومتراً .  
والآبار في وادي قليل الغور ، تجف مياهها اذا استمر الجفاف عدة سنوات وهي تقع في سهل متموج ، من الصعب الاهتداء واليه . ويعرف موقع سبع أبيار بمرتفعين طبيعيين فوقهما رجم . وقال موسل ان البدو يسمونه (سوى) بسكون أوله وأضاف موسل : انه لا يوجد ماء بين قراقر و سوى <sup>(١)</sup> .  
أما وقد اهتمدنا الى موقعي قراقر وسوى بالاعتماد الى ما حققته المستشرق موسل وما أكده شاهد عيان وما جاء في خريطة Persian Gulf طبع وزارة الحربية البريطانية سنة ١٩٢٤ بمقياس واحد على أربعة ملايين فقد تبسر علينا تمحيص الروايات وتفضيل بعضها على بعض .

### طه الهراشي

( يتبع )

(١) ويبدو ان موقع قراقر يعرفه البدو ولا يحتاج كشفه الى كبير عناء ولو سئل الادلاء من العقيل وغيرم الذين يرافقون القوافل بين الشام والعراق والشام ونجد لتيسر معرفته ، لأنه على ملتقى الطرق وفيه مياه غزيرة سهلة للنال . وقد سألتنا الشيخ عبد العزيز العقيلي الموظف في المفوضية السعودية في بغداد ، وقد طاف كثيراً في البادية دليلاً وساعياً وتاجراً ، عن قراقر فما ان ذكرنا له اسمها حتى قال انها بين سبع أبيار والجوف بين رايتين ، الغربية منها سوداء ، مفتولة الرأس تسمى (مخاط) والراية القريبة تسمى (الربدة) . وقراقر كثيرة الآبار ، والماء تريب من سطح الأرض لا ينضب . وذكر المراحل بين قراقر وسبع أبيار وهي ست ويصنفها بأنها مرحلات خفاف . وأكد بأن علامة سبع أبيار رجاء أي كوسان من الحجارة والمنازل (أذنه) أي أم أذن و (كتب الشامة) وهي كئبان رملية و (تل المهر) و (الخويمات) و (غراب الهدالي) ، ثم سبع أبيار . لم يعرف عبد العزيز اسم سوى . والمنازل تلك مسجلة في الخريطة التي رسمها موسل . وذكر الشيخ عبد العزيز الرماطين اللتين ورد ذكرهما في الروايات وقال انها رايتان متقابلتان على شكل القبة يقمان بين قراقر وسبع أبيار بعد أرض الحرّة . اذل كان بالإمكان معرفة موقع قراقر كما تم لنا . ولكن لم يقسن الباحثين معرفة هذا الجبل الا بعد أن جال الرائد الشكوسلوف في موسل في البادية برفقة جماعة من عشيرة الرولة .

المؤلف

## شيخ الإسلام ابن تيمية

- ٣ -

### هـوة ثانية

### في اختيارات شيخ الإسلام

اشتهر شيخ الإسلام ابن تيمية بمسائل أثرت عنه ، وظن كثير من الناس أنه انفرد بها عن غيره ، بل ظنوا أنه خالف في بعضها الإجماع ؛ وهي أمور اجتهادية يقع في مثلها الخلاف بين العلماء . ومن المفروغ منه أن ابن تيمية قد بلغ رتبة الاجتهاد في الأحكام الشرعية ، وأنه كان يفتي الناس بما أدى إليه اجتهاده ، وأنه موافق في فتاواه بعض الصحابة أو التابعين أو أحد أئمة المذاهب الأربعة أو غيرهم ، ممن عاصروهم أو جاء قبلهم أو بعدهم ؛ وقد قائل العلامة برهان الدين ابن الإمام محمد المعروف بابن قيم الجوزية : لا نعرف له مسألة خرق فيها الإجماع ، ومن ادعى ذلك فهو إما جاهل وإما كاذب ، ولكن ما نسب إليه الانفراد به ينقسم الى أربعة أقسام ، (الاول) : ما يستغرب جدًّا فينسب إليه أنه خالف فيه الإجماع ، لندور القائل به وخفائه على الناس ، لحكاية بعضهم الإجماع على خلافه . (الثاني) : ما هو خارج عن مذاهب الأئمة الأربعة ، وقال به بعض الصحابة أو التابعين أو السلف ، والخلاف فيه محكي . (الثالث) : ما اشتهرت نسبتها إليه مما هو خارج عن مذهب الإمام رضي الله عنه ، لكن قد قال به غيره من الأئمة وأتباعهم . (الرابع) ما أفنى به واختاره مما هو خلاف المشهور في مذهب احمد ، وإن كان محكيًا عنه وعن بعض أصحابه .

وقد ذكر برهان الدين اختيارات شيخ الاسلام في هذه الأقسام الأربعة ،  
فالقسم الأول عدده منه في الطلاق عشر مسائل ، وعدده منه في غير الطلاق ،  
تسعة وعشرين مسألة . ومن مسائل القسم الثاني سبع عشرة مسألة . ومن الثالث  
ست عشرة ، ومن الرابع ستاً وعشرين . وتجد هذه المسائل في مجموع يشتمل  
على رسالتين ( الأولى ) : في مذهب الإمام داود الظاهري ، جمعها الأستاذ  
الشيخ محمد الشطي ( والثانية ) : في مسائل شيخ الاسلام ابن تيمية ، جمع العلامة  
برهان الدين المتقدم . وفي الكواكب الدرية ( من مجموع الرد الوافر المطبوع  
بمصر ١٣٢٩ ) شذرة من هذه الاختيارات ومعهما ذكر من اختارها من أئمة  
السلف ( من ص ١٨٤ ) .

وأهم هذه الأقوال التي اشتد فيها النزاع ، وادعى خصوم الشيخ أنه خرق  
بها الإجماع ، ثلاث مسائل فيما نراه : الطلاق ، والوسيلة ، وشد الرحال الى  
غير المساجد الثلاثة المفضلة حرم مكة ، والمدبنة ، والمسجد الأقصى ؛ ولنا في  
هذه القضايا الثلاث كلمات ثلاث أختم بها هذه العلاوة .

### ( قضية الطلاق )

الطلاق في الاسلام لا يكون إلا عن ضرورة وبصيرة ، وذلك بأن يكون  
الزوجان قانعين بأن لا سبيل لبقائهما على الحياة الزوجية ، لموانع جسمية أو نفسية ،  
خَلْقِيَّة أو خَلْقِيَّة ، تجعل صفو العيش كدراً ، وتعرض النسل للمهانة والشقاء ،  
فالفراق في هذه الحال نعمة لا نقمة ، والزوجان سعيدان به لاشقيات ،  
« وإن يتفرقا يُغن الله كلاً من سَعته » وآية ذلك أن يكون الزوج في حال  
الطلاق عاقلاً مختاراً ، وأن تكون الزوجة راضية مطمئنة ، فيمتنعها متاعاً حسناً  
وبفارقها باحسان . أما اذا لم يكن موجب للفراق ، فليس له أن يضارها  
بالطلاق ، وعليه أن يذكر قول العليم الحكيم : « فإن أظعنكم فلا تبغوا

عليهن سبيلاً» فهذا ضمان وأمان لها من الله تعالى طول حياتها عنده ، مادامت قائمة بواجبها . أما طلاق الغضبان والسكران ، والطلاق من أجل قضية أجنبية لا علاقة للزوجة بها ، فهو طلاق الظالمين لأنفسهم ولأزواجهم ، وسيأتي حكمه . وقد ذكر شيخنا القاسمي رحمه الله آداب التطلق المستنبطة من الكتاب الكريم والسنة الصحيحة ، في رسالته التي سماها « الاستئناس ، لتصحيح أركحة الناس » فعدّ منها عشرة آداب (الأول) : هو رعاية المصلحة في إبقائه ، بعد التروي والتحاكم . (الثاني) : إبقائه في حال الخوف من عدم إقامة حدود الله . (الثالث) : أن لا يكون القصد بإيقاع الطلاق مضارّة الزوجة . (الرابع) : أن يطلق لداع لا يتأتى معه اتخاذها زوجة . (الخامس) : أن لا يطلق ثلاثاً دفعةً واحدة . (السادس) : أن يشهد على الطلاق . (السابع) : أن لا يكون في حالة الغضب . (الثامن) : أن ينوي الطلاق ، لحديث « إنما الأعمال بالنيات » . (التاسع) : أن يكون التطلق مأذوناً فيه من جهة الشارع . (العاشر) : التطلق بإحسان ، لا بإساءة ولا بفحش من الكلام ، ولا بغي ولا عدوان .

هذه الجمل القصيرة كالعناوين لهذه الآداب العشرة التي شرحها أستاذنا في رسالته ، ثم قال : فأمر تعالى المطلّقين إذا طلقوا المأذون فيه - وهو المستوفي شروطه - أن يسرّحوا نساءهم راضيات عنهم ، داعيات لهم ، ذاكرات لجميلهم ومعروفهم وإحسانهم ؛ وذلك بأن يحسنوا اليهن بما يتتبعن به على قدر اليسر والعسر ، وأكد ذلك أيضاً بقوله : « متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين » فجعل ذلك حقاً لازماً على الذي يحسنون إلى أنفسهم في المسارعة إلى طاعة الله فيما ألزمهم به ، وأدائهم ما كلفهم من فرائضه ، ويحسنون إلى المطلقات بالتتبع على الوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة ، وختم البحث بهذه الكلمة الواعظة : تالله إن القلب يتفطر أملاً ، والعين تدمع دماً ، على ما أصبحوا فيه من الجهل ، ولا من سائق لهم إلى الفقه والعلم ، حتى أصبحت محاكم القضاة تياراً لأمواج شكايّة المظلومات ،

وميداناً لجولان دعوي الزوجات ، ( و ) حتى صار المسلمون يبتغيهم في الطلاق ، وهضم حقوق الأزواج عاراً على الإسلام ، وفتنة لسواهم من الأقوام ، « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الرحيم » .  
والحاصل ان مسألة الطلاق كمسألة تمدد الزوجات ، شرعت للحاجة اليها ، ولها شروط وقيود ، تثبت نفعها وتمنع ضررها .

### الطلاق عند الأجنبي

أما الطلاق في أوروبا وأميركا فالظاهر أنه لا يكون إلا لأسباب تقع بين الزوجين خاصة ، ولكنهم يطلقون لأهون الأسباب وأيسرها ، كقص الشعر ، وحقق الحية ، ولباس السهرة ونحو ذلك ، ولذلك كثر عندهم كثرة هائلة ، وهو طلاق باعته السامة والملل ، وحب التنقل ، وله عواقب وخيمة ، ومنها ضياع النسل . وقد نشرت جريدة الأهرام ( أول سنة ١٣٥٤ هـ و سنة ١٩٣٥ م ) اعتقاداً للقاضي لندي أشهر قضاة الطلاق في لوس انجلوس في ولاية ( كاليفورنيا ) خلاصته أن الحياة الزوجية تنزول من بلادهم ( أميركا الشمالية ) وتحل محلها الإباحة والفوضى في العلاقة ما بين النساء والرجال في زمن قريب ، وهي الآن كشركة تجارية ينقضها الشريكان لأوهى الأسباب خلافاً لهداية جميع الأديان ، إذ لا دين ولا حب يربطهما ، بل الشهوات والتنقل في وسائل المسرات .  
ومن غرب الاتفاق أني قرأت في صحيفة دمشقية صدرت اليوم ( ١٣٧١/٧/٢٢ ) و ( ١٩٥٢/٤/١٦ ) كلمة عن الطلاق عند الأميركيين وأسبابه ، يتبين منها أن نزول المرأة الأميركية - فتاةً ومتروجة - إلى ميدان العمل الخارجي هو الذي أثارها على طبيعتها وشربعتها ، ودعاها الى كراهية البيوت والأزواج والأولاد!!! فقد «زادت نسبة النساء العاملات في السنوات الأخيرة بمقدار (٥٠) في المئة ، في حين أن الرجال لم يزيدوا إلا بمقدار (٢٠) في المئة . وما يدل على أن

المرأة الأميركية تفوق جميع نساء العالم نفوذاً انتشار الطلاق في أميركا ، والشاهد أنه كلما قوي نفوذ المرأة كثر الطلاق ، لأن قدرة المرأة على الاستقلال بنفسها استقلالاً مادياً وأديباً يهون عليها أمر الفراق عن زوجها ، ولهذا نجد أن نسبة الطلاق في أميركا ثمانية أمثالها في بريطانيا ، كما نجد أن (٧٠) في المئة من حالات الطلاق تقع بناءً على طلب الزوجات لا على طلب الأزواج ، وقلم نجد الآن فتاة أميركية ترضى أن تكون ربة بيت فقط ، بل كل فتاة تريد أن تعمل وأن تكسب كالشباب ، وبعد الزواج ترفض المرأة أن تبقى في بيتها !!

قلت : سبب هذا الانحلال الخُلقي ، والتدهور الاجتماعي هو تحلي الرجال عن النساء ، بل دفعهن في تيار العمل والمهو خارج المنزل ، فاخزل نظام البيوت ، وتقوض دعائم الأسرة ، وهذا هو الذي يقلدهم فيه من بلاد الشرق عبيد الشهوات ، حتى تعطل الحياة المنزلية ، وتقفر البيوت من أهلها :

إذا لم تكن في منزل المرء حرّة مدبّرة ضاعت مصالح داره

### الطلاق في الاسلام

وبعد فاشيخ الاسلام في الطلاق الشرعي والبدعي كلام يطول ، ولشرحه في كتب ابن القيم حواشٍ وذبول ، وحسبنا أن نشير الى مراجعه فهي مطبوعة متداولة ، وفيها من حقائق التنزيل والتأويل ، ما يضمن سلامة الأُصْر ، بل سعادة البشر ، لو رعوا هذه النصوص حق رعيتها ، ولم يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير . وكتب الشيخين قد أشبعت هذا الموضوع بحثاً واستدلالاً ، ولم تدع للمبتدعة فيه شبهةً ولا مقالاً ، بل اوردت جميع مقالاتهم واثت عليها نقضاً وإبطالاً . وإنك لتجد هذه المباحث السابقة والحجج البالغة ، في الجزأين الثالث والرابع من فتاوى شيخ الاسلام ، والاغاثتين الكبرى والصغرى لتلميذه ابن القيم ، وله أيضاً سبج طويل في كتابه « زاد المعاد » وفي تهذيبه « لسنين ابي داود » واليك نبذاً قصيرةً منها كلها :

قال شيخ الإسلام في فتاويه <sup>(١)</sup> : إن الأصل بقاء النكاح ، ولا يقوم دليل شرعي على زواله بالطلاق المحرم ، بل النصوص والأصول تقتضي خلاف ذلك ، ولو غلظت الأيمان التي شرع الله فيها الكفارة بما غلظت ، ولو قصد أن لا يثبت فيها مجال ، فذلك لا يغير شرع الله ، وأيمان الخالفين ، لا يغير شرع الدين . وقال ص ٣١ : « والمرأة اذا أبغضت الرجل كان لها أن تفتدي نفسها منه وهذا الخلع تبين به المرأة ، فلا يحل له أن يتزوجها بعد إلا برضاها ، وليس هو كالطلاق المجرد . . . . إن الخلع هو الفرقة بعوض ، فتى فارقها بعوض فهي مفتدية لنفسها به ، وهو خالع لها بأي لفظ كان . . . . وذلك أن الاعتبار بمقاصد العقود وحققاتها لا باللفظ وحده ، فما كان خلعاً فهو خلع بأي لفظ كان ، وما كان طلاقاً فهو طلاق بأي لفظ كان ، وما كان بيناً فهو بين ، وما كان إبلاءً فهو إبلاء ، وما كان ظهاراً فهو ظهار ، والله تعالى ذكر في كتابه الطلاق واليمين والظهار والإبلاء والافتداء وهو الخلع ، وجعل لكل واحد حكماً ، فيجب أن نعرف حدود ما أنزل الله على رسوله ، وندخل في الطلاق ما كان طلاقاً ، وفي اليمين ما كان بيناً اه باختصار .

وفي ص ٣٣ : « إن كتاب الله يبين أن الطلاق بعد الدخول لا يكون إلا رجعيًا ، وليس في كتاب الله طلاق بائن إلا قبل الدخول . ولو قال : أنت علي كظهر أمي وقصد به الطلاق ، فإن هذا لا يقع به الطلاق عند عامة العلماء ، وفي ذلك أنزل الله القرآن فإنهم كانوا يعدون الظهار طلاقاً ، والإبلاء طلاقاً ، فرفع الله ذلك كله ، وجعل في الظهار الكفارة الكبرى <sup>(٢)</sup> وجعل الإبلاء بيناً يتربص فيها الرجل أربعة أشهر ، فأما أن يسك

(١) ج ٣/٢٧ طبع مصر ،

(٢) « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ، فتحرير رقبة من قبل ان يتأسا . . . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتأسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً » . . . الآيات (٢ و ٣) من سورة المجادلة

بمعروف أو يسرّح بإحسان ، وكل يمين يخلف عليها المسلمون من أيّامهم فيها كفارة يمين<sup>(١)</sup> ، كما دل عليه الكتاب والسنة .

وفي ص ٢٤٦ من « زاد المعاد » : وأجمع المسلمون على وقوع الطلاق الذي أذن الله فيه وأباحه ، إذا كان من مكاف مختار ، عالم بمدلول اللفظ ، قاصد له . واختلفوا في وقوع المحرم من ذلك . . . . ونحن نذكر المسألتين تحريراً وتقريراً ، كما ذكرناهما تصويراً .

وفيه : إن رسول الله ( ﷺ ) أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً ، فقام غضبان ثم قال : أبلغ بكتاب الله وأنا بين أظهركم ؟ وإسناده على شرط مسلم ٥١٠ .

قال البخاري في صحيحه : باب الطلاق في الإغلاق والسكران والمجنون وأمرهما ، والباطل ، والنسيان في الطلاق والشك لقول النبي ( ﷺ ) : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » - إلى قوله : وقال عثمان : ليس للمجنون ولا سكران طلاق . وقال ابن عباس : طلاق السكران والمستكره ليس بجائز . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وذهب إلى عدم وقوع طلاق السكران أيضاً - كعثمان - أبو الشعثاء ، وعطاء ، وطاوس ، وعكرمة ، والقاسم ، وعمر بن عبد العزيز ، وذكره ابن أبي شبة عنهم بأسانيد صحيحة ؛ وبه قال ربيعة والليث والسميحي والمزني ، واختاره الطحاوي .

وفي « أعلام الموقعين ج : ٣ / ٢٣٢ » - بعد أن ذكر من ذهب إلى القول بعدم نفوذ طلاق السكران من الخفية والشافعية - قال : والصحيح أنه لا عبرة بأقواله من طلاق ولا عتاق ولا بيع ولا هبة ولا وقف ولا إسلام ولا ردة ولا إقرار ، لبضعة عشر دليلاً ، ثم فصل القول في ذلك كله تفصيلاً .

(١) « فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام » .  
الآية ( ٨٩ ) من سورة المائدة

ومن « زاد المعاد <sup>(١)</sup> » : « وأما طلاق الإغلاق ، فقد قال الإمام أحمد في رواية حنبل : وحديث عائشة رضي الله عنها : سمعت النبي ﷺ يقول : لا طلاق ولا عتاق في إغلاق . يعني الغضب ، قال شيخنا - يعني ابن تيمية - : وحقيقة الإغلاق أن يعلق على الرجل قلبه فلا يقصد الكلام أو لا يعلم به كأنه انغلق عليه قصده وإرادته اه . قلت : قال أبو العباس المبرد : الغلق ضيق الصدر وقلة الصبر بحيث لا يجد له مخلصاً . ( قال شيخنا ) : وبدخل في ذلك طلاق المكره والمجنون ، ومن زال عقله بسكر أو غضب ، وكل من لا قصد له ولا معرفة له بما قال . اه .

وفي « أعلام الموقعين » <sup>(٢)</sup> :

الخرج الأول : أن يكون المطلق أو الخالف زائل العقل إما بجنون أو إغماء ، أو شرب دواء ، أو وسوسة ، وهذا الخرج يجمع عليه بين الأمة . اه . باختصار قليل .

ثم قال : الخرج الخامس : أن يفعل المحلوف عليه ذاهلاً ، أو ناسياً ، أو مخطئاً ، أو جاهلاً ، أو مكرهاً ، أو متأولاً ، أو معتقداً أنه لا يحنث به تقليداً لمن أفتاه بذلك ، أو مغلوباً على عقله ، أو ظناً منه أن امرأته طلقت ، فيفعل المحلوف عليه بناء على أن المرأة أجنبية ، فلا يؤثر فعل المحلوف عليه في طلاقها شيئاً . اه . وفي فتاوى شيخ الإسلام <sup>(٣)</sup> : ولا يقع طلاق المكره ، والإكراه يحصل إما بالتهديد أو بأن يغلب على ظنه أنه يضره في نفسه أو ماله . وفي ص ١٥٢ : ومن حلف بالطلاق كاذباً يعلم كذب نفسه لا تطلق زوجته ولا يلزمه كفارة يمين . وقال أيضاً : ومن علق الطلاق على شرط أو التزمه لا يقصد بذلك إلا الإحضار أو المنع فإنه يجوز فيه كفارة يمين إن حنث .

(٢) طبع مصر سنة ١٣٢٥ هـ ج ٣/٣٣١

(١) ص ٢٤٤ .

(٣) ج ١٥١/٤ .

وفي ص ١١٢ ج ٤ : ولو حلف بالثلاث فقال : الطلاق بلزمني ثلاثاً لأفعلن كذا ، فكان طائفة من السلف والخلف من أصحاب مالك وأحمد بن حنبل وداود وغيرهم يفتون بأنه لا يقع به الثلاث ، لكن منهم من يوقع به واحدة ، وهذا منقول عن الصحابة والتابعين ، وغيرهم في التنجيز فضلاً عن التعليق واليمين . وهذا قول من اتبعهم على ذلك من أصحاب مالك وأحمد وداود في التنجيز والتعليق والحلف .

وفي ص ١١٦ : الثاني صيغة قسم كقوله : الطلاق بلزمني لأفعلن كذا ، أو لأفعلن كذا ، فهذا يمين باتفاق أهل اللغة ، واتفاق طوائف الفقهاء ، واتفاق العامة ، واتفاق أهل الأرض ٥١ .

### المطلقة

وبعد فهذه مقتطفات من قصيدة ( المطلقة ) للشاعر الشهير الرصافي في الانتصار لمذهب ابن القيم وشيخه عليهما الرحمة والرضوان ، وقد نشرت في آخر «إغاثة اللغمان في حكم طلاق الغضبان» ومطلعها :

بدت كالشمس يحضنها الغروب فتاة راع نضرتها الشحوب  
مترهة عن الفحشاء خود من الخفرات آتية عروب  
ومنها :

حليلة طيب الأعراق زالت به عنها وعنه بها الكروب  
رعى ورعت فلم تر قط منه ولم ير قط منها ما يرب  
ومنها :

ففاض زوجها الغلطاء يوماً بأمر للخلاف به نشوب  
فأقسم بالطلاق لم يميناً وتلك ألية خطأ وحوب  
وظلقها على جبل ثلاثاً - كذلك يجهل الرجل الغضوب

وأفتى بالطلاق طلاق بتِ ذوو فتيا تعصبهم عصب  
فبانت منه لم تأت الدنيايا ولم يعلق بها اللام المعيب  
فظلت وهي باكية تنادي بصوت منه ترتجف القلوب  
لماذا يا نجيب صرمت حبلي؟ وهل أذنت عندك يا نجيب؟

ومنها :

فأطرق رأسه خجلاً وأغضى فأنبتة أقصرى عني فأني  
ولكن هكذا جرت الخطوب وما والله هجرى باختياري

وقد ختمها بقوله :

ألا قل في الطلاق لموقعيه غلوتم في دياتكم غلواً  
بما في الشرع ليس له وجوب أراد الله تيسيراً وأنتم  
يضيق بعضه الشرع الرحيب وقد حلت بأممكم كرب  
من التمسير عندكم ضرور وهى حبل الزواج ورق حتى  
لكم فيهن لا لم الذنوب يكاد إذا نفخت له يذوب  
به في الجو هاجرة حلوب كحيط من لعاب الشمس أدات  
ويقطع من التسم الحلوب يمزقه من الأفواه نفث

\* \* \*

دعاهم للصواب فلم يجيبوا فدى ابن القيم الفقهاء كم قد  
ومزدجر إن هو مستربب ففي اعلامه للناس رشد  
نجاها شيخه الخبر الأديب (١) نجا في ما أتاه طريق علم  
من العالمين لم تعه القلوب وبين حكم دين الله لكن  
لنا فينجيب منهم من ينجيب لعل الله يحدث بعد أمراً

(١) هو شيخ الاسلام ابن تيمية .

والمقصود - كما يقول ابن القيم - أن الناس لا يبدؤهم في باب الطلاق من أحد ثلاثة أبواب يدخلون منها (أحدها) باب العلم والاعتدال الذي بعث الله به رسوله (ﷺ) وشرعه للأمة رحمة بهم ، وإحساناً إليهم ، (والثاني) باب الآصار والأغلال الذي فيه من العسر والشدة والمشقة ما فيه (والثالث) باب المكر والاحتيال الذي فيه من الخداع والتجمل والتلاعب بمحدود الله تعالى ، واتخاذ آياته هزواً ما فيه ، ولكل باب من المطلقين وغيرهم جزء مقسوم .

### رجوع المحاكم المصرية الى الطلاق الشرعي

قال الأستاذ السيد محمد رشيد رضا في مناره : وأطال ابن القيم في تخريج أحاديث الباب والكلام عليها ، وأثبتته بالكتاب والسنة واللغة والعرف وعمل أكثر الصحابة (ثم قال) :

واقترح بعض الفقهاء والعقلاء على حكومتنا المصرية الرجوع فيها الى أصل الكتاب والسنة الذي كان أول من بسط دلائله شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم في كتبه اعلام الموقعين ، واغانة اللمعان ، وزاد المعاد ، ووافقها وأبدها من اعلام السنة وفقهاء الحديث بعدهما الإمام الشوكاني والسيد حسن صدقي ، وصاحبها شرح سنن أبي داود وحاشية سنن الدارقطني من متأخري علماء الهند الاعلام<sup>(١)</sup> .

ونقف عند هذا الحد من الكلام في يسر الإسلام وسماحته في أمر الطلاق وحماية الأسرة ورعايتها ، وان ابن تيمية لم يتخط هذه الدائرة من أقواله ، بل جميع ما أتى به مؤيد بالكتاب والسنة وما كان عليه اعلام هذه الأمة .  
ونختم هذا البحث بما جاء في القانون المصري للمحاكم الشرعية ، وهو المعروف بقانون (٢٥) المؤرخ ١٠ مارس سنة ١٩٢٩) تحت عنوان «الطلاق» ما نصه :

١ - لا يقع طلاق السكران والمكروه .

- ٢ - لا يقع الطلاق غير المنجز إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه ، لا غير .  
 ٣ - الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة .  
 ٤ - كنيات الطلاق - وهي ما تحتمل الطلاق وغيره ، لا يقع بها الطلاق إلا بالنية .  
 • كل طلاق يقع رجوعياً إلا المكمل للثلاث ، والطلاق قبل الدخول ،  
 والطلاق على مال ، وما نص على كونه بائناً في هذا القانون ،  
 والقانون ٢٥ لسنة ١٩٢٠ .

قلت : وهذا القانون المشار اليه سنة ١٩٢٠ هو ما اتفقت عليه اللجنة الموافقة من حضرات شيخ الجامع الأزهر ، وشيخ المالكية ، ورئيس المحكمة العليا الشرعية ، ومفتي الديار المصرية ، ونائب السادة المالكية ، وغيرهم من العلماء . وإنك لتجد في المذكرة الإيضاحية لهذه الأحكام الخمسة بياناً وافياً عنها واحدة واحدة ، ومن أئمة السلف ، وعلماء الحديث ، وفقهاء المذاهب أخذ بها ، وهذه المقررات منطبقة تمام الانطباق على ما قدمنا من مذهب الشيخين ابن تيمية ، وابن القيم ، والله أعلم .

محمد بن عبد الوهاب البيطار

•••••

( يتبع )

( استدرارك )

فانني أن أذكر ( في الفصل الذي عقدهته بعنوان : دفع فرية عن ابن تيمية ج ٣ م ٢٧ من مجلة المجمع ) أن لشيخ الاسلام كتاباً مستقلاً في ( شرح حديث النزول ) ( طبع بمصر سنة ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م ص ٢٣٠ ) وقد حقق فيه أن هذا النزول هو صفة ذات لا صفة فعل ، ونقل فيه روايات عن أئمة السنة كحماد بن زيد ، وإسحق بن راهويه ، بأنه تعالى في مكانه بقرب من خلقه كيف شاء . قلت : الكتاب كله يؤيد هذا المعنى ، ويبعد عن شيخ الاسلام ضلالة تشبيه الله بخلقه ، ويهدينا الى فهم النزول الى سماء الدنيا بلا انتقال .

ص ١٠ ب

•••••

# تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى العصر الحاضر ، مع نقد وتطبيق

- ٣ -

ودرس الأدباء قضية الإعجاز في علم البلاغة الذي انبثق ولا شك من العناية بدراسة القرآن من ناحية جماله الفني ولا ريب في أن فكرة إعجاز القرآن كانت من أقوى البواعث على نشأة علم البلاغة إن لم تكن أقواها جميعاً فقد انقسم القائلون بالإعجاز منذ البدء في بحث الموضوع بحثاً علمياً منظماً فربقين : فربقاً يقول بأن إعجازه راجع الى بلاغته وحسن نظمه وأسلوبه ، وفربقاً لا يرى إعجازه في ذلك وينسب له أسباباً أخرى ولكن الفريق الأول هو الأكثر ولم يكن بد من إثبات رأي هذا الفريق بالبرهان ولهذا أخذ أصحابه يجمعون نماذج من الأدب شعره ونثره ليقارنوها بالقرآن فألف الجاحظ كتابه «نظم القرآن» واسمه بدل على محتواه ولهذا عدّ الجاحظ أول المؤلفين في البلاغة وكتابه البيان والتبيين يصلح لأن يكون حجة على ذلك بما حمل من أبحاث ونظرات هي من صميم فنون البلاغة . وبذهب بعضهم الى أن الجرجاني هو أول من ألف في البلاغة ولا يصلح أن يطلق هذا القول من غير قيد فالجرجاني هو أول من نظم الأفكار التي قيلت في الموضوع وجعلها قواعد علمية وكتابه دلائل الإعجاز يصلح دليلاً على أن علم البلاغة نشأ من فكرة الإعجاز وكذلك الأمر في كتابه أسرار البلاغة وبتناقش عبد القاهر في أولها مسائل في البلاغة والنحو وبذكر بأنه ليس في استطاعة أحد أن يدرك إعجاز القرآن إذا لم يحسن التمييز بين الأشكال المختلفة للتعبير ويتذوق جمالها .

والذي مهد للجرجاني السبيل الى تأليفه كتاب دلائل الإيجاز تأليف محمد بن يزيد الواسطي في هذا الموضوع وهو مفقود الآن وقد بدأ الجرجاني بشرحه شرحاً صغيراً لمس عدم كفايته فشرحه شرحاً كبيراً في كتاب سماه المعتضد فلما ظهر له أنه مقصر عن الغاية التي يريد بها ألف دلائل الإيجاز بعده ، وليس بين أبدينا الآن كتاب الواسطي أو شرحا الجرجاني عليه لتبين لنا الصلة بين المؤلفين وندرس طورين هامين من أطوار التأليف في الإيجاز والبلاغة .

وجاء الفخر الرازي ( ٦٠٦ هـ ) فاختصر كتابي الجرجاني ونظمها تنظيماً جديداً في كتابه « نهاية الإيجاز في دراية الإيجاز » فقدم نظرية الجرجاني في النظم بشكل أوضح . وهو يتكلم على الإيجاز أيضاً في تفسيره وفي كتابيه في علم الكلام : « معالم أصول الدين » و « محصل أفكار المتقدمين » . ولكنه لا يأتي من عنده بمجديد .

ومن أشهر من ألف في الإيجاز على نهج عبد القاهر الجرجاني ابن أبي الإصبع القيرواني ( ٦٥٤ هـ ) ألف كتاب « بيان البرهان في إيجاز القرآن » وعبد الواحد الزملكاني ( ٦٥١ ) في « التبيان في علم المطلع على إيجاز القرآن » وحازم بن محمد القرطاجني ( ٦٨٤ ) الذي يقال إنه بحث هذا الموضوع في كتابه « منهاج البلغاء » وفي خزانة المدينة تصنيف للمؤلف باسم « البرهان الكاشف عن إيجاز القرآن » . ولا بد من القول بأن كلمة إيجاز أصبحت تطلق مع مرور الأيام على علم البلاغة وأضاعت عند بعض المؤلفين المتأخرين مدلولها الأصلي الخاص فوجد مؤلفاً وهو غياث الدين لطف الله ( ١٠٣٥ هـ ) يضع كتاباً في البلاغة سماه « الإيجاز في علم الإيجاز » فلا يتكلم فيه الا على المعاني والبيان ولا يبين العلاقة بين اسم تصنيفه وموضوعه . ولعل أكبر دليل على العلاقة بين فكرة إيجاز القرآن ووضع علم البلاغة العربية هو أن الإيجاز اذا أطلق يراد به البلاغة نفسها . ولا ينكر ما لفكرة الإيجاز من فضل في سرعة وضع علم البلاغة بيد أنها

قصرته على الموضوعات الخاصة بالقرآن دون غيره ، فلما صاغه المتأخرون في قواعد جافة ابتعدوا به عن الذوق الأدبي الأصيل وعن تنمية الشعور بجمال الأدب كما أنها منعت الأدباء أن يتهجوا نهج القرآن في أسلوبهم خوفاً من أن يتهموا بمعارضته ويتعرضوا لنقمة العامة . وربما كان السبب الأول في عدم تناول علم البلاغة لأبحاث كان يمكن أن يتناولها بكثرة يرجع الى جهود الفكر في العصور المتأخرة وما أصاب العالم الاسلامي عامةً والعالم العربي خاصةً من الأحداث التي عاقت سيرهما في مضمار المدنية أكثر مما يرجع الى تحديد فكرة الإعجاز لموضوعات علم البلاغة .

وبعد فليست هذه الجماعات الأربع - التي بحث مسألة الإعجاز ، وهي جماعة المعتزلة وجماعة المتكلمين وجماعة المفسرين وجماعة الأدباء - مستقلة متباينة أبداً فقد يجمع الرجل بين الأدب والاعتزال كالجاحظ وقد يجمع بين الاعتزال وعلم الكلام والتفسير كالزنجشيري ونزاهم جميعاً يستمدون البراهين بعضهم من بعض . ويبدو أن أقوم الطرق في البرهنة على الإعجاز وأحسن الوجوه في تعليقه ما جاء متأخراً منها في الزمن وقد تكلم المفسرون فيه بعد علماء الكلام وتكلم فيه هؤلاء بعد المعتزلة وآخر من تكلم فيه المؤلفون في علم البلاغة من الأدباء وهم خير من تكلموا فيه وأكثرهم توفيقاً .

ومن الخير أن انتقل بعد هذه المقدمة التي بينت فيها خطوط فكرة الإعجاز الرئيسة الى الكلام على من بحثوا فيها واحداً واحداً أصنفهم على حسب العصور التي عاشوا فيها ثم بحسب الجماعة التي ينتمون اليها .

## التوسع في الكلام على أطوار الفكرة عند العلماء

## القرن الثاني :

لم يصل إلينا مادون في هذا القرن من آثار مدونة في إعجاز القرآن مؤيدة أو منكرة . وهذا لا يعني عدم حدوث جدل في هذا الرأي ، فن المؤكد أنها كانت من أهم المناقشات في الديانات بين المسلمين وغيرهم . وذلك من البديهيات في مثل تلك البيئة الإسلامية . وقد اتهم بالزندقة في هذا العصر كثيرون ممن كان عهدهم حديثاً بالاسلام وقتلوا من أجل ذلك . ومن أشهرهم ابن المقفع فقد قتله والي البصرة متهماً آياه بالزندقة ونسب إليه بعضهم أنه عارض القرآن وألف كتاباً حمل فيه على الإسلام وانتقد القرآن . وأول من اتهمه بذلك القاسم بن ابراهيم الرازي ( ٢٤٦ هـ ) فقد ألف رسالة « الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع » وهو يعرض فيها أقوال ابن المقفع في هذا الكتاب ويحاول أن يدحضها بالحجج .

واختلفت آراء المحدثين من المؤلفين في كتاب ابن المقفع ورد القاسم عليه . فعبد العليم الهندي <sup>(١)</sup> يرى أن الرسالة من تأليف القاسم ولكنه يشك في حقيقة نسبة الكتاب لابن المقفع وذلك دون تحقيق . والأستاذ أحمد أمين <sup>(٢)</sup> يشك كل الشك في نسبة الأصل لابن المقفع والرد للقاسم وبين الوجوه التي تحمل على هذا الشك . والرافعي يتمكّم من ينسبون معارضة القرآن لابن المقفع ويرفضها : ( أ ) لأن ابن المقفع من أكبر البلغاء ولا يخفى عليه مقدار ما بينه وبين القرآن من تفاوت في البلاغة وعجزه عن معارضته . ( ب ) لأن من نسبوا إليه المعارضة

(١) في مقالاته في مجلة الثقافة الإسلامية :

The Islamic Culture N 1 and 2, 32 nd Year .

(٢) « ضعي الاسلام ج ١ ص ٢٢٥ و ٢٢٦ » .

زعموا بأنه أقطع عنها بعد أن بلغ في معارضة القرآن الى آية: «وقيل يا أرض ابلي ماءك ٠٠٠» من سورة هود أو بعد أن سمعها من صبي يقرأ القرآن فلا يعقل أن يقدم ابن المقفع وهو من هو في العقل والأناة على معارضة القرآن قبل أن يقرأه كله عدة مرات وكيف يقرأه ولا يطلع على هذه الآبة إلا بعد أن يسمعها من صبي أو بعد أن يعارض قسمًا كبيراً من القرآن .  
 (٣) لأن الدرّة اليثيمة<sup>(١)</sup> التي يزعمون أنه عارض فيها القرآن وربقات قليلة لا توازي ما بين أول القرآن والآية السابقة من حيث المقدار ولأنها مترجمة عن كتاب يزرجمهر في الحكمة وفيها عبارات منتحلة من كلام الإمام علي في نهج البلاغة<sup>(٢)</sup> .

ويرى الرافعي أن قول العلماء بأن ابن المقفع قد استجبا لنفسه من معارضة القرآن بعد وصوله الى هذه الآبة كذب وضعوه ليدفعوا به كذب الملحدين في أن ابن المقفع عارض القرآن فعلاً ممتدداً على قوته وفصاحته ولينتهوا من ذلك الى أن ابن المقفع في عظيم قدرته ورائع بلاغته اذا عجز عن معارضة القرآن فغيره أعجز ، ويقول بأن ابن المقفع إنما رمي بالمعارضة لأنه اتهم في دينه وبأن البلاء في عهده لم يكونوا يمترون في إعجاز القرآن وإنما كانوا يختلفون في وجوه إعجازه .

ويرجع أن الكتاب لبس لابن المقفع : (١) عدم النص عليه عند ذكر مؤلفات ابن المقفع غير رسالة القاسم بن ابراهيم الرازي السابق الذكر مع أن كسبه كانت معروفة مشهورة في العصر العباسي (٢٠) أن أسلوب الكاتب لبس

(١) لا ندري ماذا يريد الرافعي بقوله الدرّة اليثيمة . فهل يقصد كتاب الادب الكبير الذي كان يطلق عليه خطأ اسم الدرّة اليثيمة أو كتاب اليثيمة نفسه وهو مفقود واذا كان يقصد هذا الأخير فكيف اطلم عليه وكيف بنى حكمه .  
 (٢) يرى الأستاذ احمد أمين عكس ما يرى الاستاذ الرافعي فنهج البلاغة عنده قد اقتبس بمضه من الحكمة للترجمة لأن بمضه في رأيه منحول .

عريباً على ما هو معروف من براعة ابن المقفع في الكتابة وجمال الأسلوب .  
 (٣) أن حياة ابن المقفع لا تدل على أنه كان ضعيف الرأي حتى يرتكب  
 ما عرف به . (٤) أن «بول كراوس» من علماء المشرقيات يرى أن كتاب  
 «خدای نامه» المنسوب لابن المقفع ليس له وإنما هو لمحمد بن المقفع فلا يبعد  
 أن يكون هذا الكتاب أيضاً له أو لغيره أو أن أحد الثبوتة قد ألفه وعزاه  
 لعبد الله بن المقفع ليشتهر أو أن القاسم بن ابراهيم رأى الكتاب ولم يعرف  
 صاحبه فظن أنه لابن المقفع لما عرف من اتهامه بالزندقة في حياته . هذا إذا  
 أخذنا بالرأي القائل بأن الردّ للقاسم بن ابراهيم نفسه وليس لغيره .  
 ونستطيع أن نجزم بعد هذا كله بحقيقة واحدة هي أن القرن الثاني قد شهد  
 تأليف كتاب في نقد القرآن ومهاجمة الإسلام ، وأن ابن المقفع كان في جملة  
 الأدباء والمفكرين الذين اتهموا بمعارضة القرآن .

\* \* \*

### القرن الثالث :

بدأ الكلام في الإعجاز بصورة علمية منظمة في بداية القرن الثالث أو أواخر  
 القرن الثاني فقد رأينا كيف أرسل أحد رجال المأمون (١٩٨ - ٥٢١٨ هـ)  
 وهو عبد الله بن اسماعيل الهاشمي كتاباً الى صديقه عبد المسيح بن اسحاق الكندي  
 يدعوه فيه الى الإسلام ويذكر فيه حجج النبوة ومنها القرآن ، ورأينا كيف  
 أجابه المسيحي على كتابه وانتقد الإسلام ولم يجبه الى الدخول في الإسلام ،  
 وفي هذا العصر ظهرت أكثر النظريات الرئيسة في الإعجاز صدرت عن أحرار  
 الفكر والمعتزلة والمتكلمين ، وكثر الكلام في الدين والنبوة وبحث في الإعجاز  
 على أنه فرع لها . نشأ ذلك لأن هذا العهد كان عهد الترجمة والانصال بالثقافات  
 الأجنبية ولا سيما اليونانية منها كما كان عهد حرية الفكر واختلاط أصحاب

الأديان المختلفة بعضهم ببعض فأدى تمازج هذه الثقافات وتصادم هذه الديانات الى تطور في الأفكار ونهضة علمية كان من نتاجها ازدهار العلم والأدب في هذا العصر .  
 وظهرت المعتزلة وقويت وظهرت معها فتنة خلق القرآن وقدمه في نهاية القرن الثاني واشتدت أيام قاضي المعتصم احمد بن أبي دؤاد ( ٢٢٠ ) وكان لا بد أن تبحث هذه المسألة كما كان من واجب المعتزلة أن يردوا على أحرار الفكر والفلاسفة في مطاعنهم في الاسلام وظهر أول كتاب في الكلام مؤلفه علي بن ربن الطبري في خلافة المتوكل ( ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ ) . كما تكلم عنها بعض الأدباء المعاصرين كالجاحظ ولم يصل اليها كلام المفسرين في هذا الشأن إلا في بداية القرن الرابع . ونستطيع أن نصف من تناولوا هذه القضية في العصر الثالث كما يلي :

- ١ - الى من ضعفت عقيدتهم وأنكروا الإعجاز من أحرار الفكر وأرباب الأديان ويمثلهم ابن الراوندي من المتفلسفة وعيسى بن صبيح المزدار من المعتزلة .
- ٢ - والى المعتزلة الذين جنحوا الى القول بالصرفه ويمثلهم النظام ( ٢٢٠ هـ ) وابو اسحاق النصيبي وعباد بن سليمان وهشام القرظي وكانت وفاة الأخيرين حوالي منتصف القرن الثالث من الهجرة .

٣ ) والى المعتزلة الأدباء كالجاحظ .

- ٤ ) والى المتكلمين القائلين بإعجازه من جهة الأسلوب وأول من نعرفه منهم علي بن ربن الطبري الذي سبق أن أشرنا اليه .

### آ - آراء منكري الإعجاز :

من أشهر منكري الإعجاز في هذا العصر ابن الراوندي وعيسى بن صبيح المزدار .

#### ١ - ابن الراوندي :

فأما ابن الراوندي فقد ذكر الرافي أنه كان يقول إن في القرآن كذباً وسفهاً لأن فيه حروف هاتين الكلمتين (ص ١٤٣ من إعجاز القرآن للرافي )

وذكر في موضع آخر (ص ١٨٧ نفس المرجع) أنه أبو الحسين أحمد بن يحيى المعروف بابن الراوندي وأنه كان مشهوراً بالحط من الشريعة وأنه ألف في معارضة القرآن كتاباً سماه «التاج» وكتاباً في الطعن عليه سماه «الدافع» وقد طعن فيه على نظم القرآن ونقضه عليه الخياط وأبو علي الجبائي وذكر أنه نقضه على نفسه أيضاً وأنه كان يؤلف الكتب لأعداء الإسلام بأثمان يبيع منها ثم ينقضها بأثمان أخرى ولم ينقل من معارضته للقرآن شيء وإنما ذكر صاحب المعاهد التنصيص أنه اجتمع بالجبائي وأخبره عن معارضته للقرآن فقال الجبائي له: «هل تجد في معارضتك له عذوبة ودشاشة الخ قال لا والله قال: قد كفيني فانصرف حيث شئت. وربما وضعت هذه الرواية وضعاً للقول بأنه حاول المعارضة فعجز وأنه لم يكن مخلصاً يؤمن بأرائه بل يضرر خلاف ما يعلن. وذكر الرافعي له حجة في نقض النبوة وهي أن التحدى لا يصح أن يكون دليلاً على النبوة كما لا يصح أن يضع بطلميوس أو إقليدس كتاباً في علم من العلوم ثم يتحدى الناس إلى وضعه فإن عجزوا صححت رسالته.

وذكر الدكتور كراوس أن ابن الراوندي قال في القرآت على مارواه المؤيد الشيرازي:

«إنه لا يمتنع أن تكون قبيلة من العرب أفصح من القبائل كلها وتكون عدة من تلك القبيلة أفصح من تلك القبيلة ويكون واحد من تلك العدة أفصح من تلك العدة إلى أن قال: «وهب أن باع فصاحته طالت على العرب فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون اللسان وما حجتهم عليهم؟»

وذكر كراوس أيضاً أن ابن الراوندي لم يكتف بنفي الإعجاز من جهة اللفظ بل تجاوز هذا إلى نقض القرآن من جهة المعاني أيضاً فقد روى عنه داعي الدعاة وكذلك ابن الجوزي في تاريخ المنتظم وعبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص وغيرهم كثيراً من المطاعن التي طعن بها في القرآن الكريم وقال: «إن أردت

أن تقف على مطاعن الزنادقة عامة على القرآن الكريم وعلى ردود المتكلمين عليهم فاقراً كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٤١٥) .  
 وذكر عبد العلم الهندي أن ابن الراوندي كتب كتابه الدافع لبعض اليهود عندما كان مقياً معهم في محباً فاراً خائفاً وأنه يشبه بعض الشيء من يسمى بالرمح الحر (Free Lance) من صحفيي هذه الأيام الذي يكون لك وضدك من غير مبرر ويناصر كلاً من الفريقين بالحماسة نفسها وأنه لم يصلنا من كتاباته الكثيرة إلا أشياء وردت في كتب غيره وردود عليها .

## ٢ - عيسى بن صبيح المزدار :

وأما عيسى بن صبيح المزدار وتنسب إليه الفرقة المزدارية من المعتزلة فقد قال بخلق القرآن وكان مشهوراً بالزهد والورع ويلقب براهب المعتزلة ولكنه كان يكفر الناس بسرعة حتى إنه كفر مرة أهل الأرض قاطبة وهو يرى أن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحةً ونظماً وبلاغةً وعلى ذلك أصحابه (الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ط لندن ص ٣٨) .

## نقد وتلخيص :

يعاب على ابن الراوندي عدم إخلاصه لحقيقة يؤمن بها فهو ينصر الرأي وضده لئلا يقدم اليه وهذا العيب يبرأ منه عيسى بن صبيح المشهور بورعه وإخلاصه غير أن هذا كان كما يلوح لنا ضيق الفكر مبرم مع الحكم والتعميم ، يظهر ذلك من تكفيره أهل الأرض قاطبة على حين أن ابن الراوندي من الفكر قوي الحججة ينصر الرأي وضده ويشبه السفسطائيين من فلاسفة اليونان . ويتفق الاثنان على أن في طاقة البشر معارضة القرآن ويكتفي عيسى بالقول بذلك أما ابن الراوندي فلا . يكتفي بمجرد القول به بل يعارضه بكلام من عنده . وإذا صح أن ابن الراوندي قد قال إن في القرآن سفهاً وكذباً لوجود حروف

هاتين الكتلتين فيه دلّ ذلك على ضعف عقله وسفسطائية صبيانية فيه وربما نسب إليه ذلك ليوصم بالحمق والجهل .  
 وقوله بأن التحدي لا يصحّ أن يكون دليلاً على النبوة محتجاً على ذلك بوضع بطليموس أو إقليدس كتاباً في علم من العلوم أو بيداهة اختلاف مراتب الناس في البلاغة وطول باع أحدهم فيها عليهم قول قويّ الحجة يدل على سعة تفكير صاحبه وامتلاكه أزمّة المنطق وان كان لا يبلغ في قوته حدّ زلزلة فكرة الإعجاز من أذهان المؤمنين بها فان الإيمان الديني هو الشرط اللازم الكافي للقول بها فاذا وجد وجدت وإذا زال زالت .

### ب — رأي المعتزلة القائلين بالصرفة : (النظام) :

من أشهر المعتزلة القائلين بالصرفة وأولهم أبو إسحاق إبراهيم النظام (٢٣٠) وهو أستاذ الجاحظ في الاعتزال ، وكان يرى أن الإعجاز كان بالصرفة وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقاً للعادة وبهذا يكون الصرف هو المعجز لا القرآن نفسه ويروون له رأياً آخر في الإعجاز وهو أن القرآن إنما أعجز العرب لما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية والآتية (إعجاز القرآن للرافعي ص ١٤٤) .

وذكر الفخر الرازي أن النظام قال : «إن الله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام والعرب إنما لم يعارضوه لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به .  
 (نهاية الإعجاز في دراية الإعجاز) .

ولم يصلنا شيء من كتب النظام أو أبحاثه وإنما عرفنا رأيه من الكتب الأخرى التي بحثت في هذا الموضوع . ونلاحظ أن القول بالصرفة يرجع في حقيقته الى إنكار الإعجاز ولكن تحت ستار خادع من القول به وربما كان ذلك لانتفاء غضب السلطة او الجمهور .

## ج - آراء المعتزلة الأدباء : ( الجاحظ ) :

كان الجاحظ معتزلياً ومن أئمة البيان وقد وضع كتاباً في إعجاز القرآن من جهة النظم والأسلوب سماه نظم القرآن . وقد وردت بعض آرائه في البيان والتبيين وفي كتاب الحيوان وفي كتب غيره من المؤلفين بعده في الإعجاز . ونرى الجاحظ يعتقد بالإعجاز ويذكر أن العرب على بلاغتهم عجزوا عن معارضة القرآن أيام صاحب الرسالة وذلك في كلام طويل يشرح فيه كيف قامت المشادة بين النبي والعرب بعد أن تحدام الرسول أن يأتوا بمثل القرآن ويذكر له ما يدل على أن إدراك العرب لبلاغة القرآن المعجزة وقصورهم عنها كان بالدوق والشعور النفسي الداخلي وأن هذا القصور دليل على الإعجاز ( الاتقان للسيوطي ج ٢ ، ص ١٩٨ ) .

ومن الغريب ما ذكره الشهرستاني ( في الملل والنحل ص ٥٣ ج ١ ط لندن ) من أن ابن الرواندي حكى عن الجاحظ أنه قال إن القرآن جسد يجوز أن يقاب صرة رجلاً وصرة حيواناً ومثل هذا الرأي يضحك إذا نسب للجاحظ لما نعرفه عن تهكمه على مثل هذه الآراء .

وذكر للجاحظ قولان في الإعجاز : القول بالصرفة والقول بإعجاز الأسلوب فهل قال بالأول حين كان لا يزال متأثراً بآراء أستاذه النظام والثاني حين استقل بنفسه أو إنه جمع بين الرأيين معاً ؟ لا ندري ! فانه يذكر الرأيين في كتابه الحيوان ( ج ٤ ص ٣١ و ٣٢ ) متتاليين تقريباً . فيقول فيما يتعلق بالصرفة : « ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحدام الرسول بنظمه ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأسر فيه أدنى شبهة لعظمت القصة على الأعراب واشباه الأعراب والنساء واشباه النساء ولألقى ذلك للمسلمين عملاً وظلوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب وأكثر القليل والقال فقد رأيت أصحاب

مسيلمة واصحاب بني النواحة إنما تعلقوا بما الف لم مسيلمة من ذلك الكلام الذي يعلم كل من سمعه انه إنما عدا على القرآن فسلبه واخذ بعضه وتعاطى ان يقارنه فكان لله ذلك التدبير الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له» .

ويقول فيما يتعلق بإعجاز النظم والأسلوب : « فلم يبق له رأي - اي للدهري الذي لا يقول بالتوحيد - إلا ان يسألنا عن الأصل الذي دعا الى التوحيد والى تثبيت الرسل في كتابنا المنزل الذي يدلنا على انه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء فيه » .  
ويذكر الجاحظ في الحيوان ( ج ١ ، ص ٥ ) ما يفهم منه انه الف كتاباً في نظم القرآن وغريب تأليفه - وقد وضعه رداً على بعض المعتزلة الذين قالوا بأن فصاحة القرآن غير معجزة وهذا اول كتاب افرد في الإعجاز كما يقول الباقلاني الذي سئى نقده له فيما بعد - وانه الف ايضاً كتاباً اسمه « الحجة في تثبيت النبوة » وهذا يدلنا على تعرضه لعدة مسائل كلامية كان المعتزلة يعالجونها .  
وانا استبعد ان يكون الجاحظ قد قال بالرأيين معاً في وقت واحد لما نعرفه عنه من قوة التفكير ووضوح الحجة فان الرأيين متناقضان . ولم يتوسع الجاحظ في شرح نظرية النظم والاستشهاد عليها بأمثلة من القرآن ومن كلام العرب كما فعل من قالوا بها بعده كعبد القاهر الجرجاني لأنه - اي الجاحظ - كان اول من قال بها . وله فضل وضع الأسس التي شيد عليها أخلافه صروح حججهم .

د - المتكلمون القائلون بإعجاز القرآن من جهة الأسلوب :

علي بن ربن الطبري :

ظهرت مسألة الأسلوب مبكرة في إعجاز القرآن ظهوراً واضحاً في كتاب الدين والدولة لعل بن ربن الطبري معاصر المتوكل ص ٤٠ حيث يقول :  
« حينما كنت مسيماً كنت أقول كما يقول عم لي متعلم ببلغ بأن أسلوب القرآن

ليس معجزاً وليس من علامات النبوة لأنه في استطاعة الناس كلهم ولكن عندما حاولت تقليده واطلعت على مدلول كتابه علمت ان أتباع القرآن على حق فيما يدعونه له لأنني لم أطلع على كتاب يأمر بالخير وينهى عن الشر ويقدم شريعة الله والعقيدة في النبوة وإلهام الرغبة في الجنة والبعد عن النار كالقرآن فعندما يجعل لنا شخص كتاباً يحمل نفس المميزات ويوحى إلينا بهذه الطلاوة وهذه الروعة في القلوب ويحوز مثل هذا النجاح ويكون بنفس الوقت أمياً لم يتعلم أبداً فن الكتابة والبلاغة فهذا الكتاب يكون بلا شك إحدى علامات نبوته « فالمعجز عند ابن ربن الطبري إذن هو هدف القرآن الاصلاحى وتحقيقه هذا الهدف وأوامره ونواهيهِ وإخباره عن الجنة والنار وأسلوبه الطلي الرائع برغم أمية النبي .

\* \* \*

### القرن الرابع :

من أهم من كان لهم كلام في موضوع الإعجاز في هذا العصر أولهم صلة به المتنبي شاعر العربية الكبير فقد اتهم بمعارضة القرآن ، وابو الحسن الأشعري الذي كان في اول أمره معتزلياً ثم تحول الى مذهب أهل السنة وصار من أشهر متكلميها الذين ناخوا عنها ، وبندار الفارسي المتكلم ، والطبري والقمي المفسران ، والواسطي والرمثاني والخطابي المتكلمون الأدياء ، وأبو هلال العسكري الأديب وسنلخص آراءهم وما قيل فيهم على الترتيب مصنفين بحسب الطوابع الفكرية التي امتازوا بها .

### ١ - المتنبي :

اتهم في هذا العصر ابو الطيب احمد بن الحسين المتنبي الشاعر ( ٣٥٤ هـ ) بأنه ادعى النبوة وعارض القرآن وحبسه والى حمص من أجل ذلك .

وقيل إنه ادعى النبوة في حدائنه أمره في وادي السماوة - بين الكوفة والشام -  
وتبعه خلق كثير من بني كلب وكان يتظاهر أمام الناس بالقيام بالحواريق وقد  
ذكر المعري بعضها في رسالة الغفران (راجع ص ٢٢٠ من رسالة الغفران) .  
وقيل إنه تلا على البوادي كلاماً زعم أنه قرآن أنزل عليه يحكون منه سوراً  
كثيرة وإن ابن حامد قال : « نسخت واحدة منها فضاعت مني وبقي في حظي  
من أولها : « والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار إن الكافر لفي أخطار ،  
امض على سننك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فإن الله قامع بك زبغ من  
الحد في دينه وضلّ عن سبيله » .

ويقول الرافعي إن هذا لا يساوي نثره ولا شعره بلاغة مما لم يقصد به أن  
يكون قرآناً . كقوله يعاتب صديقاً له زاره في مرضه وانقطع عنه في إبلا له :  
« وصليني وصلك الله معتلاً ، وقطعتني مُبَيْلاً » فإن رأيت ألا تحبب العلة إلي  
ولا تكدر الصحة علي فعلت إن شاء الله » . ( إعجاز القرآن للرافعي في الكلام  
على من عارضوا القرآن ) .

## ٢ - أبو الحسن الأشعري المتكلم :

وفي هذا العصر يتعرض لهذا المبحث أبو الحسن الأشعري ( ٣٢٤ ) في كنيته  
ولكن هذه الكتب ضاعت وليس فيما بقي منها كلام فيه ووصلنا شيء من أفكاره  
عنه في كتب أخرى لغيره من المؤلفين (مقالة عبد العليم الهندي السابقة) .  
وجمل ما ذكر عنه من الآراء بتلخيص فيما يلي :

١ ) ذكر ابن حزم ( الفصل في الملل والنحل ص ١٥ فصاعداً ) قولاً روي  
عن الأشعري وهو أن المعجز الذي يتحدث الناس بالحيء ، مثله هو الذي لم يزل  
مع الله تعالى ولم يفارقه قط ولا نزل إلينا ولا سمعناه . ويرد ابن حزم على ذلك  
بأنه لا يمكن تحدثهم بشيء لم يروه ويمكن أن تفهم من قول الأشعري أن  
القرآن الذي بين أيدينا غير معجز .

٢ - ذكر ابن حزم (المرجع السابق نفسه) والرافعي (ص ١٠٧ من إيجاز القرآن) أن مقدار المعجز عند الأشعرية مقدار أقل سورة في القرآن وهم يحتاجون على رأيهم هذا بقول القرآن : « قل فاتوا بسورة من مثله » وقالوا ولم يتعد القرآن بأقل من ذلك .

ولا بوضوح هذان الرأيان رأي الأشعري في الاعجاز فالأول يمكن أن ينهم منه أن الأشعري لا يقول باعجاز القرآن الذي بين أيدينا ، والثاني لا يتكلم إلا على أقل مقدار تجدى فيه القرآن العرب .

### ٣ - بندار الفارسي المتكلم :

ويتكلم ابو حيان التوحيدي في مسأله الاعجاز ( الاتقان بحث الاعجاز ص ١٩٨ من الجزء الثاني ) فيذكر رأي بندار الفارسي في الاعجاز فيقول : « مثل بندار الفارسي عن موضع الاعجاز من القرآن فقال هذه مسألة فيها حيف على المعنى وذلك شبيه بقولك ما وضع الانسان من الانسان فليس للانسان موضع من الانسان بل متى أشرت الى جملته فقد حقيقته ودلت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار الى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاولة وهدى لقائله وليس في طاقة البشر الاحاطة بأغراض الله في كلامه وأمراره في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده .

ويظهر لنا من كلام بندار أنه متكلم يريد أن يحسن التلخيص فالقرآن معجز لأنه معجز ولأنه كلام الله فمن البديهي إذن أن يكون كلام البشر دونه وبلا حظ أنه عوضاً عن أن يستدل بالاعجاز على صحة النبوة وأن القرآن لذلك كلام الله عكس الآية ففرض ان كونه كلام الله قضية مسلمة وأنه لذلك كان معجزاً وهو يصور لنا انحرافاً خاصاً في فهم مسألة الاعجاز لم يكن عند الأولين .

## ٤ - الطبري المفسر :

وفي هذا الزمن نرى الطبري المفسر ( ٣١٠ ) يتكلم في تفسيره عن الاعجاز خلال تفسيره الآية التحدي من سورة البقرة (سورة ٢ آية ٣٢ - ٣٣) وقد ذكرت في المقدمة شيئاً عنه وعن ميزة كلامه في هذا الموضوع بين المفسرين ومجمل ما كتبه في تفسير هذه الآية (ص ٦٥ ج ١ من تفسيره) بملخص بما يلي :

١ - القرآن معجزة باقية أبد الدهر لا يستطيع الجن والإنس في كل عصر الإتيان بمثلا في البيان .

٢ - القرآن معجز لما فيه من القدرة على إيانة ما يقصده المتكلم .

٣ - تحدى القرآن العرب بمثل القرآن الذي هو بلغتهم ومعاني منطقته موافقة معاني منطقهم (وبلاحظ هنا أنه يقصد بالمنطق اللفظ لا العلم المعروف) .

٤ - عجز العرب عن معارضته الا من أتى بسخافات من نوع أقوال مسيلمة «والطاحنات طحنًا الخ» .

٥ - ذكر الوجوه التي بتفاوت فيها الكلام بلاغةً وما ورد منها في اللسان العربي وهي في جملتها لا تخرج عما يطرقه علم البلاغة من أبحاث التقديم والتأخير والاستعارة والايجاز والاطناب .

وعرض الطبري لمسألة النظم فقال : «ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب ووصفه الغريب وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سوره الخطباء وكلمت عن وصف شكله البلاء وتحيرت في تأليفه الشعراء ... الخ (ص ٦٥ ج ١ من تفسير الطبري) .

فهيم المحصي

( يتبع )

## كتب مصورة في خزانة المجمع العالمي العربي

- ٢ -

### الحماسة البصرية :

- لأبي الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري - ٦٥٦ هـ . يتدنى  
بالمقدمة ثم يتلوها باب الحماسة وأوله قصيدة لعمر بن الاطباية الانصاري .  
والنسخة بخط جميل مشكول عدد أوراقها ٣١٩ من المكتبة « نور عثمانية » .  
وقد حصلنا على صورتها بطريق الإدارة الثقافية للجامعة العربية .

### ديوان الغزي :

- لأبي اسحق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي المعروف بالغزي . افتتح  
بمقدمة تزيد على الصفحة أولها بعد البسملة : وما توفيتني الا بالله وحده ، قال  
الشيخ الامام الأديب أوحد الزمان ابو اسحق ٠٠٠ ثم تنلها القصائد بخط أقرب  
الى الرداءة . عدد أوراقه ١٧٠ ورقة . والديوان مصور من المكتبة الأهلية في باريس .

### ديوان ماماي الرومي :

- لمحمد بن احمد بن عبد الله الرومي الانجشاري احد أجناد الشام الشهير  
بماماي والمتوفى سنة ٩٨٥ للهجرة . ناقص الأول تقصاً يسيراً يتدنى بقصيدة أولها :  
بروق حمى نجد شجاني ابتسامها فحق لعيني أن يسح غمامها  
والنسخة بخط جميل مقروء غير مشكول بقلم نسخ كُتبت سنة ١٢٧٦ للهجرة .

- ٥٨٢ -

عدد أوراقه ٢٢٢ ورقة من جامعة الدول العربية «معهد احياء المخطوطات»  
وقد صور هذا الكتاب في «دار الكتب البلدية بالاسكندرية» .

### ديوان أسامة بن منقذ :

لمؤيد الدولة أسامة بن منقذ بن مرشد بن مقلد الكندي - ٥٨٤ هـ - :  
وهو ديوان مرتب على الأبواب ، أولها : باب الغزل ثم المكاتبات ثم الشكوى  
والفراق الخ ٠٠٠ نسخ سنة ٦٨٨ هـ بخط عبد العزيز بن احمد العجمي وهو خط  
جميل مقروء . عدد أوراقه ١٩٥ ورقة من مكتبة دار الكتب المصرية .

### ديوان ابن أبي حصينة السلمي المعري :

نسخة قيمة فريدة من جامعة الاسكوريال ناقصة الأول كتبت بخط جميل  
مقروء أولها قصيدة بتدنى بالبيت التالي :  
فأراجع اللب بأبي أن يحمله وزرأهوى الرجح الا كفال في الأزر  
وهذا المجلد هو الجزء الأول من ديوان ابن أبي حصينة . وقد جاء في آخره  
أشارة الى أن الجزء الثاني يتلوه مبتدئاً بأرجوزة في المدح . عدد أوراق  
هذا القسم ١٧٢ ورقة .

### ديوان عبد المحسن الصوري :

لأبي محمد عبد المحسن بن غالب بن غلبون الصوري . وهو ديوان تام  
للشاعر ، تفضل رئيس المجمع العلمي العراقي باهداء صورته الى شقيقه المجمع العلمي  
العربي في دمشق . وقد رتب على القوافي يقع في ١٧٦ ورقة وجاء في آخره  
مأنه : « نقلت نسخة هذا الديوان من نسخة نفيسة وجدت في جملة كتب  
آل السيد عيسى البغداديين ٠٠٠٠ وهي نسخة نفيسة ٠٠٠٠ خطها مقبول ويظهر  
انها من مخطوطات القرن السادس او السابع وقد جاءت في ثلاثه وعشرين  
كراساً بالقطع المتوسط في كل كراس عشر ورقات وفي كل صفحة خمسة عشر سطراً .

ديوان الخياط :

لأبي عبد الله أحمد بن محمد الخياط . وهو ديوان جميل النسخ مشكول بعض الشكل ، رتب على الحوادث والمناسبات ولم يرتب على القوافي . أكثره في المدح يقع في ثمان وسبعين ورقة من مكتبة دار الكتب المصرية .

مرآة الزمان لسبط بن الجوزي :

في المجموع من هذا الكتاب لابن الجوزي مجلدات مختلفة وصفها كما يلي :

المجلد الأول :

تام الأول . يتديء بالمقدمة ثم يسرد الفصول الخمسة التي يشتمل عليها هذا الجزء : الفصل الأول في معرفة التاريخ وهل فرقت العرب بينه وبين التورخ . الفصل الثاني في عيون التواريخ والآثار وأسانيد الأخبار : الفصل الثالث في انقضاء مدة العالم وما تقدم من السنين وتقدم . الفصل الرابع فيما ينبغي للمؤلف استعماله من الكلام المتسق النظام . الفصل الخامس في تراجم الأبواب . ينتهي هذا الجزء في « فصول ذكر نبينا ﷺ » ، فصل في ذكر نسبه وأجداده ، وفصل في ذكر أيه عبد الله . يقع في ٢٤٦ ورقة وهو ناقص الآخر من مكتبة المتحف البريطاني .

المجلد الثاني :

ناقص الأول والآخر يتديء بنهاية السنة الخمسين بترجمة المغيرة بن شعبة ، ذكر صفته وإسلامه وطرف من ذكائه ووفاته وأزواجه وأولاده ثم تدخل السنة الحادية والخمسون وينتهي هذا الجزء بالسنة التاسعة والثمانين وفيها افتتاح العباس ابن الوليد ومسلمة سوريبة وعمورية . . . الى ان يصل الى أول ترجمة عمران

ابن حطان السدوسي الخارجي وهنا يبدأ خرم آخر الجزء . يقع في ٣١٤ ورقة وقد سقط من وسطه ثلاث وعشرون ورقة من ٢٨٨ حتى ٣١١ وهو من المكتبة الأهلية في باريس .

### المجلد الثالث :

هذا الجزء كسابقه مخروم من أوله ومن آخره . يتندي بأخر سنة خمس وسبعين ومائة فيتكلم عن حج الرشيد بالناس في هذه السنة وينتقل الى ذكر من توفي فيها من الأكابر كالربيع بن بونس بن محمد والليث بن سعد بن عبد الرحمن ابي الحارث والمنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة ثم يتلو ذلك بقية السنين من سنة ست وسبعين ومائة حتى أول سنة اثننتين ومائتين حيث يبدأ خرم نهاية الجزء . يقع في ١٥٣ ورقة من المكتبة الأهلية في باريس .

### المجلد الرابع :

هذا المجلد من كتاب المرأة هو الجزء السادس فقد جاء في آخره مانصه : « يتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء السابع السنة الثانية والثمانون بعد المائتين » . يقع في ٢٣١ ورقة . يتندي بالسحلة والاستعانة والكلام عن السنة التسعين بعد المائة وينتهي بحوادث السنة الحادية والثمانين بعد المائتين . من المكتبة الأهلية في باريس .

### المجلد الخامس :

حوادث هذا الجزء يقع من السنة التاسعة والسبعين بعد المائتين حتى السنة الستين بعد الاربعائة . أوراقه ٢٦٢ ورقة وقد اختلف خط الصفحة الأولى عن بقية الصفحات وهو من مكتبة المتحف البريطاني .

### المجلد السادس :

يُندي هذا المجلد بحوادث السنة الثامنة عشرة بعد المائتين وينتهي بحوادث السنة الثامنة والسبعين بعد المائتين في خلافة المعتضد بالله وهو يقع في ٢٥٥ ورقة تام الأول والآخِر من مكتبة المتحف البريطاني .

### المجلد السابع :

كتب في أول هذا المجلد على الورقة الأولى أنه الجزء الثاني عشر من مرآة الزمان وقد ابتدأ بالبسملة والصلاة ثم حوادث السنة الأربعين والأربعمئة وانتهى بحوادث السنة السابعة عشرة وخمسمئة . وهو تام من أوله ناقص من آخره . قسمه المجمع تسهيلاً لحفظه الى قسمين :

القسم الأول : وتبدأ حوادثه في سنة ٤٤٠ هـ وتنتهي بحوادث سنة ٤٦٧ هـ .

والقسم الثاني : وتبدأ حوادثه في سنة ٤٦٨ هـ وتنتهي بحوادث سنة ٥١٧ هـ .

وهو من المكتبة الأهلية في باريس . مجموع أوراقه في القسمين ٣١٦ ورقة .

### المجلد الثامن :

هذا المجلد هو الجزء السادس عشر من مرآة الزمان . تتضمن أوراقه حوادث السنة الثامنة والخمسين بعد الثلاثمئة حتى السنة الأربعمئة . يبدأ بالبسملة وذكر ماجرى بين أولاد ناصر الدولة وينتهي بترجمة أبي عبد الله القمي التاجر المصري بزاز خزانة الحاكم . وقد ذكر في آخر المجلد انه «نجز الجزء السادس عشر من مختصر مرآة الزمان على التام والكمال ويتلوه في الجزء السابع عشر السنة الحادية والأربعمئة» . كتب هذه النسخة أحمد بن العلم بن عبد الله الحكيمي . وهي تقع في ٢٤٦ ورقة من المكتبة الأهلية في باريس .



## التعريف والنقد

### زوابع

ديوان شعر للأستاذ مارون عبود

طبع ديوان (زوابع) في دار المكشوف ببيروت ، عام ١٩٤٦ ، على ورق صقيل من القطع الكبير ، طبعاً جيداً ، وقوراً ، لا تجد فيه تلك الزينة المستهتره التي يجلي بها دعاة الأدب العاري قصصهم ودواوينهم ، وهو يقع في أزيد من ثلاثمائة صفحة ، ولعل أياته أقل من ألفي بيت : هذا هو وصف الديوان الطباعي أو الحسابي ...

أما مادة الديوان فقد وصفها المؤلف بأنها «رسالة قومية من قلب هذا الشرق النابض» ، وإنها لرسالة قومية ، ولكنها تنبع من قلب مارون عبود ، وهو خير من قلب الشرق ، الذي يشبه رأس التنين ... كثرة !

في «زوابع» شعر قومي ، يمجّد العروبة ويدعو الى الاعتزاز بالوطن والتجارب فيه والنفرة من المستعمر ، ويهيب بأبناء البلاد من مختلف المذاهب الى الخروج من أفق التعصب الضيق الى أفق العروبة والانسانية الرحيب ، فمؤلف الديوان صورة رفيعة للبناني العربي الذي نابذ التعصب الديني وانطلق بكرم كل قيمة فكرية في بلاده ، سواء أكانت مسيحية أم مسلمة ، فحسبه أنها عربية !

من كان يتصور مارونياً (سوى مارون عبود ..) بقول في الحجاز :

(وأما الحجاز مقام النبي التي شرف الله جدرانها

فسوف نظل لنا قبلة تحث لها الناس أظعانها

أو يقول في الاسلام مخاطباً الرسول :  
 (دين تدفق حكمة وتجديداً كالبحر لفظاً والسماء معاني)  
 ألفت منه وحدة كونية العبد والمولى بها ندان

\* \* \*

فلتنحن الأجيال إجلالاً اذا ذكر النبي الأظهر العدناني  
 ... وبذهب مارون عبود الى أبعد من شعره ، فيسمي ابنه البكر (محمدًا)  
 وتقوم عليه قيامة الدنيا المارونية ، ولكنه لا يبالي بسخطها ولا بوعيدها ، ويخلد لنا عمله  
 الكبير ، الذي كان يشبه تفجير القبلة الذرية ، في قصيدة لطيفة بقول فيها :  
 (خفف الدهشة واخشع ان رأيت ابن مارون ميمًا للنبي  
 أمه ما وضعته مسلماً أو مسيحياً ولكن عربي  
 والنبي القرشي المصطفى آية الشرق ونجر العرب)

وبعد .. فان ديوان (زوابع) يقرأ في كثير من اللذة ، وفيه أبيات بارعة ،  
 ولكنه لا يجعل من مارون عبود شاعراً من الطبقة الأولى ، وفي الديوان  
 كثير من نقط الضعف الفنية التي ينكرها الأستاذ عبود على الشعراء الآخرين ،  
 ولذلك قال لنا في مقدمة ديوانه ، بأسلوبه الساخر المحب :

« هذا هو مارون عبود الشاعر ، أما مارون عبود الناثر فهو رجل غير هذا ...  
 افهم يا صاحبي ، إن الناقد يعرف الذهب ويميزه ، وإن عجز عن خلقه . فان  
 رأيت عند هذا المارون ما لا ينطبق على آرائه في الشعراء ، حين ينتقد غيره ،  
 فكن متأكدًا أن مارون الناقد لن يرحم مارون الشاعر . فوالله ، وبالله ، وتالله ،  
 لاؤدبته أدباً صارماً ، ولاأحملن عليه ، كما حملت على غيره ، حملات غواشم ... »

## مجددون ومجترون

تأليف مارون عبود

٢٢٨ صفحة . طبع دار العلم للملايين ، عام ١٩٤٨

يدعو الأستاذ عبود في فاتحة هذا الكتاب الى التجديد والابداع في الأدب العربي ، وترك التقليد ، الذي يسميه ( الاجترار ) ، ويشبه الجديد بالكنة ، والقديم بالحماة ، ويصف لنا المشادة الدائمة بينها وصفاً لبنانياً ( بلدياً ) ، يخاطب الحواس والعقل معاً ، والأستاذ ، بعد ، مولع بالحكايات والأمثال البلدية ، لا يخلو منها كتاب من كتبه ، فن طلب الأدب العامي اللبثاني أو ( الفولكلور ) وجده هناك . . فهذا الأديب ، الذي يتتبع حركة الأدب الغربي كأحد تقاده ، حريص على تلوين كتاباته كلها بلون محلي خاص ، وبذلك يجمع بين « الاقليمية » و « العالمية » .

يقول لنا الأستاذ عبود :

« لندع المحترين يتلفون بما في بطونهم ولتخلق طعاماً جديداً . ان في الأدب أزياء تتجدد . إن البساتين تحتاج دائماً الى التظعيم ، والآداب بساتين الشعوب ، فلنظعم أدبنا فقد أصبح برياً » .

ويقول لنا أيضاً - وإن كان بكره لفظة أيضاً :

« . . قرأ شبابنا آداب الأمم فأعرتهم بالخلق ، ففهم لهم الحاربون القدماء ، يريدون أن تظل الجبهة في البيداء ، فقالوا : ليس هذا من كلام العرب ! إن الشعر يعمل تصنع فيه التعابير ، ولهذا يحق لنا أن نقول للشاعر : كن كيف شئت ، إلا اثنين فلا تقربها أبداً ، النحو واللغة ! » .

« . . وينقل بنا الأستاذ عبود من مقدمته « النظرية » الى « التطبيقات العملية » فيجمل لنا شيئاً من شعر بشارة الخوري وأمين نخلة ويوسف غصوب والياس أبو شبة

وامين تقي الدين ومحمد رضا الشيبلي و ابراهيم العريض واحمد الصافي النجفي وعمر ابوريشة ونازك الملائكة وينهي كتابه بكلمة صغيرة في أدب المهجر .  
 قد يرضيك رأي الأستاذ عبود وقد بغضبك ، ولكنك ستعجب بقوة حجته وبراعة أسلوبه ، وعندى أنه كان قاسياً شديداً على النجفي والأخطل الصغير ، فقد اكتفى من شعرهما بأبيات تشبع شهوته الى السخر والتفنيد . . والتأديب ! نحن مع الأستاذ في صف الكنة والجديد ، ولكننا لا ننكر ، مثله ، على الشعراء استعمالهم تراكيب قديمة ، كقفتة مصدور ، وسقى الله ضريحه ، والله دره ، وبعد الثريا عن الثرى الخ . . الخ . . فهذه التعابير يوجد مثلها في كل لغة ، ولا يقدح استعمالها في أدب كاتب او شاعرية شاعر ، فليس معنى الابداع أن ينشي كل أديب لغةً كلها جديدة ، وتعابير كلها أبتكار ، وإنما الابداع ان يزيد الأديب في ثروة الأدب ، التي تنمو ولا تنقطع ولا تغيب ! ونحن ، ششنا أم ابنا ، نستعمل في احاديثنا ورسائلنا كثيراً من الكلمات والتعابير القديمة في معان طريفة واغراض متجددة ، فاذا قلنا : « سلام عليكم » ، فلا يعني هذا اننا منحرون ، لأنه لا يطلب منا ان نخترع كل يوم كلاماً جديداً في تحية الناس !! . .  
 ينكر الأستاذ عبود على لسان الدين الخطيب مطلع قصيدته :

(جادك الغيث اذا الغيث همى يا زمان الوصل في الأندلس)

ولماذا هذا الانكار ؟ لأن ابن الخطيب - كما يقول - (شغل عقله تصور شاعر الصحراء المتقدة احشاؤه ، فأنساء توالي المطر وغزارته في الأندلس ، فنظم كأنه يئرب او مئى) . . وليس الأمر كذلك ، إنما هو دعاء معروف ، مألوف ، كتعبير « سلام عليكم » ! وهب ارض الأندلس لا تحتاج الى الغيث (ومن بدري ؟) فان ذكرى الأندلس تحتاج الى من يسقيها ويتمهدا حتى تدوم لها خضرتها ونضرتها ، وليس شيء أقوى من صورة الغيث في تأدية رسالة الإحياء والبث .

## على المحك !

تأليف مارون عبود

٢٩٠ صفحة من القطع الصغير . طبع دار العلم للملايين بيروت عام ١٩٤٦

كتاب من نسيج «مجددون ومجترون» وضحاياه هم الصافي وبشارة الخوري والرسافي والزهاوي والملاط والمعقاد ، وغيرهم ، وهو من الكتب التي تفيد قراءتها الناقد والشاعر ، فالناقد تقوي عنده ملكة النقد والسخر ، والشاعر تجنبه مواطن الضعف والقبح ، والسعيد من اتمظ بغيره !

يوطي الأستاذ عبود لكتابه بكلمة الشيطان لأبقان في رواية كرامازوف :

« يجب أن تشك وتجدد ، فبدون الشك والجحود لا نقد .. »

يجب أن أنتقد ، لأن النقد أصل الحياة .. »

وهذه الكلمات تضع في يدك مفتاح الكتاب كله !



## الرؤوس

تأليف مارون عبود

٣٣٣ صفحة من القطع للتوسط ، طبع دار للكشوف بيروت ، عام ١٩٤٦

يعرض علينا المؤلف ، في هذا الكتاب ، « رؤوس » الشعر العربي ، من اسرى القيس الى شوقي ، وقد قدم بين يدي كلامه على شعراء الجاهلية مقدمة حلل فيها « نفسية » العربي وأظهر أثر الصحراء في فكره وحسه ، ثم عدد شعراء الجاهلية ، أصحاب المعتقدات ، ووصفهم بكلمات قليلة لا غناء فيها ، وانتقل الى شعراء الاسلام ، فحدث عن شعراء العصر الأموي المجائزين ، الأخطل

وجرير والفرزدق ، وسماه « الثالث الأنجس » ثم تحدث عن غزل عمر بن ابي ربيعة ،  
 ووجد له كنية تليق به وتذكر الناس بوزير النساء في الغرب « دون جوان »  
 — ولعلك عرفت هذه الكنية ، فهي « أبو جوان » — وانتقل الى عصر العباسيين  
 فحدثنا عن بشار وأبي نواس وأبي تمام ودعبل وابن الرومي والبحتري حديثاً موجزاً  
 ولكنه يكشف لنا عن أبرز خصائصهم . أما (المتني) مالي الدنيا وشاغل الناس ،  
 فقد أخذ ثلث كتابه تماماً ، وما قاله فيه :

( ليس شعر المتني دواء يؤخذ بالفم بل بالدم ، فهو حامل رسالة العروبة ،  
 وهو شاعرها القومي الباقي . لم تكن نافذته مسدودة ، فأطل منها على الدنيا  
 بأسرها ، أما مخيلته فكانت كالرياح التي أرسلها الله لواقع . وبعد ، فالمتني  
 مركب غريب عجيب ، كأنه عنى نفسه حين قال : كأنك من كل النفوس مركب .  
 فيه جفاء الفرزدق ، ورقة جرير ، ووصف الأخطل ، وتفكير الفلاسفة ،  
 وخيال الشعراء العظام وهو الذي خطا بالشعر أعظم خطوة ، فجعل لغته الناس  
 المألوفة . وإذا كان حد الشاعر والكاتب الكبير كما قال فاكه : ( أي أنهم  
 لا يكتبون بعده كما كانوا يكتبون قبله ) ، فيكون هذا هو .

شبه المؤلف المتني بفيكتور هوغو ، وما نرى هذا التشبيه إلا بعيداً ، ورد  
 على كثير من الآراء الخاطئة التي تورط بها طه حسين في كتابه (مع المتني) ،  
 ومنها زعمه أن البيئة المصرية المثقفة المفكرة هي التي أنقذت شعر المتني من هذا الفساد  
 الذي دب إليه في البيئة الشامية ، ومن هذا التكلف الذي يفتته الذوق السليم !  
 وما قاله الأستاذ عبود ، وأحسن ، في الرد على هذه الناحية :

( اننا أرسلنا المتني الى مصر ناضجاً كل النضج ، بعد أن قضى في محيطنا سنين  
 أمت ذوقه وصيرت بصره رطباً وتمراً وأذهبت كثيراً من جفاء طبعه ولسانه .  
 فاللهجة الشامية التي هي أصح لهجات العرب والتي تكاد تكون حتى اليوم فصيحة  
 التي هي أسبغت على أسلوب الشاعر العظيم هذه الروعة وهذا الأسلوب البعيد

عن الكلفة والمعجمة ، بل هذه التعابير الدمثة التي يفوح من أردانها عرف المدينة وأريح الحضارة) .

وبترك المؤلف المتنبئ ، الذي استوقفه طويلاً طويلاً ، ليجدنا في كثير من الایجاز عن الشريف الرضي ، فالموثحات الأندلسية (وهنا ينقل الينا عن الشيخ فيليب الخازن أن شعراء العرب قلدوا موثحات الأندلسيين وأخذوا عنها القافية ، التي كانت مجهولة عندهم من قبل) ثم يجدنا بلغة البرق (أو البرقيات ، اذا شئت . . .) عن ابن الفارض وبهاء الدين بن زهير و «الرؤوس الصغيرة» التي اشتهرت بالقصيدة أو بالأبيات ، وعن شعراء جبل لبنان الذين ظهروا في عهد الأمير الشهابي ، وكانوا فجر النهضة الجديدة في دنيا العرب ، ويختتم كتابه بالكلام على شوقي .

## رواد النهضة الحديثة

تأليف مارون عبود

٢٢٤ صفحة . طبع دار العلم لللايين عام ١٩٥٢

يختلف هذا الكتاب عن سائر كتب الأستاذ مارون عبود التي مرت بك ، فهو كتاب نقد «موضوعي» ، مدرسي ، يصف لنا حياة كل واحد من رواد النهضة الحديثة وآثاره الأدبية ، ومن حق هذا الكتاب أن يقرأه كل مثقف ، وكل طالب ، حتى يعرف تاريخنا القريب وبكرم أعلامه ، الذين عبدوا لنا الطريق الى المعرفة والنور والحربة و . . . الحياة !

ذكر لنا الأستاذ عبود في كتابه أسماء أعترف — وأنا مطرق رأسي مخجلاً — أنني كنت أجهلها تماماً ، وذكر لنا أسماء أخرى أعرفها معرفة يسيرة ، ولكنه أجاد كثيراً في تصوير نواحي العظمة فيها ، وحببها إليّ وشوقني الى قراءة آثارها .

قد يقال إن الأستاذ عبود نظر الى الرواد من أفق لبنان ، أكثر مما نظر اليهم من أفق العروبة ، فأهمّل مثلاً أسماء مصرية أو شامية كان يجب أن تذكر ، وذكر أسماء لبنانية كان يجب أن تهمل ، ولكن هذه « الملاحظة » لا تنقص من قيمة كتابه ، لأنه يؤدي لكثير من أعلام لبنان شهادة من لون خاص ، شهادة « شخصية » ، لاتصاله بهم وأخذه عنهم ؛ هذا الى أن لبنان كان رائد البلاد العربية في النهضة الأدبية ، فغير غريب أن يكون أوائل رجالة أوائل العرب ، وقد وعدنا المؤلف ، على كل حال ، أن يقدم لنا ، في كتاب جديد ، أسماء جديدة ، فاعله يضيف الى « جريدة » الرواد أسماء من أهمهم .

أول رائد يحدّثنا عنه كتاب الأستاذ عبود هو المطران جرمانوس فرحات ، الذي ولد في القرن السابع عشر ، وكان أول نصراني ألف في النحو و ( قال الشعر عربياً ، بعدما كان زجلاً سرياني الوزن ) و ( صحیح الترجمة العربية للمزامير والأناجيل وسائر كتب الموارنة الكنائسية ، فعرفت الكنيسة فصاحة العرب ) ثم يحدّثنا عن الصائغ ، والنابلسي ، والحر ، والنخلوي ، والبربير ، وابن افرنجية ، والتبرك ، وكرامة ، وناصيف البازجي ، والأحذب والأسير والأنسي والكسني ، وخليل الخوري ، وفرنسيس مراث ، والبارودي ، وأرسلان ، وشاكر الخوري ، ومحيي الدين الخياط ، وتامر البلاط ، والبستاني ، ونجيب الحداد ، والشدياق ، وأديب اسحق ، وشميل ، ومحمد عبده ، والكواكبي ، ومصطفى كامل وغيرهم ، ولولا خوف الاطالة ، لنقلت من هذا الكتاب جملاً بل صفحات ٠٠ ولكن القارئ مطالب بأن يقرأ الكتاب ، فالأستاذ مارون عبود ، الذي يعرف الأدب الغربي ، قديمه وحديثه ، معرفة جيدة ، يظهر لنا في هذا الكتاب كأنه الأب لويس شيخو ، منقوصاً منه تعصبه ، ومزيداً فيه هذا الأسلوب القصصي الحلو ، الذي يهدد ولا ينم ، وبمطيك درساً بليغاً في الأدب ، وأنت تظن أنه يروي لك حديثاً أو « حكاية » : إنه العلم باللذة ٠٠ ، لا بالسيف !

## لمن ؟

للأستاذ ألبير أديب

مجموعة من الشعر الرضي ، طبع دار للعارف بمصر

(لمن ؟) ، مجموعة من الشعر المنشور ، وأكاد أقول ٠٠٠ من اللؤلؤ المنشور ،  
 ألفها ألبير أديب ، صاحب مجلة «الأديب» اللبانية .  
 كان الأستاذ أديب معروفاً عندنا بثقافته الفرنسية الواسعة ، وبأنه من أنصار  
 المدرسة الرضية في الشعر ، ولكنه يترك الآن كرامسي (النظارة) ويأخذ  
 طريقه الى (المسرح) ، لينشد مع المنشدين ، ويبدع مع المبدعين ، فهل كان  
 مقامه بيننا ، كل ذلك الزمن الطويل ، تعمية (كاموفلاج) أم تقية ، أم تواضعاً ؟ . . .  
 (لمن ؟) ، كتيب صغير في مئة صفحة ، ولو «ضغطت» كلماته وصفت صفوحاً  
 متتابعة بأحرف دقيقة ، كما يصف النثر في الكتب القديمة ، لما تجاوزت أوراق  
 الكتاب عشرين صفحة ٠٠٠ ولكن المؤلف عرض علينا كلماته كما ينبغي لها  
 فنياً أو (مسرحياً) أن تعرض : لوحة بعد لوحة ، ومشهداً بعد مشهد ، ولذلك  
 لا نجد في الصفحة «٥٩» مثلاً ، سوى هذه الكلمات :

حقيرة أنت

خلمت عليك المجد

فكنت .

ولا نجد في الصفحة (٧٧) سوى هذه الكلمات :

الى التي

كانت لي واحة

فاذا حذفنا حرفي الجر والضمائر والفعل الناقص ، بقيت كلمة واحدة !

لغيري أن تضيق نفسه (وأناقسه) بهذا الاسراف ، وأما انا فقد أكون آخر من يشكو أو يتألم ، لأنني أعرف البير اديب ، وذوقه ، وأناقته ، وأعرف أنه «جواهري» لا يضع الجوهرة إلا في حرز مثلها ! إن في الغرب من يرى أن تكتب الأشعار كتابة مخصوصة ، بحروف مختلفة الألوان والأحجام ، حتى تؤدي للمعين رسالة الموسيقى للأذن ، فلماذا نستكثر على الأستاذ أديب ان يعرض علينا شعره كما خرج من نفسه : دفقة بعد دفقة ، ووقفه بعد وقفه .

كتاب الأستاذ اديب صغير الحجم ، بل هو صغير جداً ، ولكنه يذكرني بكلمة «ده موسى» التي قالها في وصف جسم حسن : (خلقه الله صغيراً ، ليحمله جيلاً ٠٠) فهو صغير ، كالكلاسة ، واللؤلؤة ، وقطرة الندى ، ولكنه ككل أولئك فيه كل معاني النور ، والجزر ، والفجر !

تمنيت على الله أن يمد الأستاذ (أديب) بالقدره على النظم ، حتى تكسب كلماته في قوالب النظم جمالاً فوق جمالها ، ولكنني أشهد أن بعض شره ، أشعر من الشعر .

ان هذا اللون من الأدب معروف في الغرب ، ولكنه في بلادنا لون جديد ، ويجب على أديبائنا الذين يجهلون لغات الغرب أن يقبلوا على قراءته ، ليلقحوا به — كما يقول الأستاذ عبود — بسايتهم البرية !

في الغرب شعر رمزي غامض ، وأما شعر الأستاذ اديب فأكثره مشرق ، واضح ، سهل ، ولا يصح أن يسمى رمزياً إلا تجوزاً . . . . إنه يشبه بعض أغاني اوسكار ويلد ، ولكنه لا يشبه شعر مالارمه او فاليري ، فان عد شعراً رمزياً ، فصاحبه في اول درجات الصوفية الرمزية ، القريبة من أفق البشرية ؛ لم يذهب وراء الغيوم !

واليك الآن قطعة من هذه المجموعة ، عنوانها «شاعرة» :

( كانت جميلةً كشهر نوار  
 وكان يعبق منها العطر كورده  
 واسمها كان مباركا كهذا الشهر الجميل  
 جاءها يوماً شاب خبيث  
 ضحك من زهوها  
 فزادها غروراً  
 قال لها :  
 أنت أجمل من نوار  
 وعطرك أعبق من ورده  
 واسمك شيء من السماء .  
 فأمنت بما قاله الشاب الخبيث  
 وركنت إليه

\* \* \*

وأخلص لها الشاب شهراً كاملاً كدوار  
 وفي اول حزيران تركها  
 أما هي فما زالت ترى أشهر السنة  
 كلها شهر نوار  
 وما زال أنفها يعبق برائحة العطر  
 وقد شمخ هذا الأنف الدقيق  
 نشوه على دفته الوجه الناصع المستدير

\* \* \*

وتمضي الأيام  
 وشهر نوار لا تفارقها أيامه  
 الى أن جاءها يوماً شاب بجيابه ورد نوار  
 فقال لها أحبك  
 فضحكت من براوة الطفولة الساذجة  
 ولم تتميز المتفوان في خشوع الشاب  
 ولم تتفهم إخلاصه  
 فقال لها : أنا البنفسج بين أناملك  
 لي الهمس الناعم ، وليس لي الشوك  
 فقالت له : أنا لأحب البنفسج  
 أنا وردة ، ومني عبق الورد ، وشوك الورد  
 وضحكت من الطفل الشاب .

\* \* \*

ذهب الطفل كسير القلب  
 وأقسم أن لا يراها  
 ولكنه أقسم أيضاً ان لا ينساها !  
 وكان الطفل شاعراً مجهولاً  
 فأخذ ينشد في الناس مأساته  
 فاستعذب شعره كل الذين سمعوه  
 ولقيت به العذارى أميرها الصغير  
 فأحاطه العذارى ، وكان بينهما  
 ينشد فيخفقن له

ولكن قلبه كان مع تلك السيدة ذات الأنف الدقيق  
 وبكى الكثيرون لقصته  
 وتناقلتها المذارى همساً  
 وكن يشرن إليه كلما مرّ ، أو تراءى لمن  
 أما هو فلم يحفل بأحد  
 وظل مسترسلاً في نشيد ذلك الحب الطفل  
 أما هي فما زالت تؤمن بنوار

\* \* \*

ومس ورد نوار ، في أذنها حقيقاً  
 لم يستشعر به احد من الناس  
 حتى ولا الشاب الخييث  
 ولكن المذارى رأين الشاب الطفل  
 يجمع ورقات ورد ، تحفها الخريف  
 وكان الطفل الشاب يبكي بجنوح وسكون  
 وهو يجمع تلك الوريقات ويرفها الى فمه  
 وبقبلها بشيء من التقديس  
 فبكت المذارى لبكاء الطفل  
 الذي نسي الشعر  
 لأنه أصبح شاعراً كبيراً

الدكتور منبر المجلاني

## بصائر جغرافية

تأليف الأستاذ رشيد رشدي العابري

ان الذي دعا المؤلف الى اصدار هذا الكتاب هو ما رآه من انتشار الإلحاد والفساد في طبقات المثقفين والمثقفات . وقد كان نشر مقالات في بعض الصحف والمجلات ، ثم جرّدها ، وأعاد النظر عليها ، وأضاف اليها الكثير الطيب ، فجاء كتاباً مؤلفاً من أكثر من ( ٣٥٠ ) صفحة بالقطع المتوسط ، ونشرته مطبعة التفتيش في بغداد .

اشتمل الكتاب على مقدمة تمهيدية ومطلبين اثنين ، ( أو قسمين بتقسيم المؤلف ) .

القسم الأول : بصائر ( جغرافية ) في الإيمان بالله تعالى .

والقسم الثاني : بصائر جغرافية في أن القرآن وحى من الله وفيه « معجزات

القرآن العلمية الخالدة » .

أما المقدمة فقد استغرقت ( ٨٤ ) صفحة . استهلها المؤلف بنداء الى الشباب المسلم المتعلم ، بوجه أنظارهم الى ما يرمى اليه الاستعمار من سياسة الإفقار والذلة والصغار ، وفيها نصائح ثمينة وتوجيهات سديدة للشباب الواعي بنوعيه : الذكور والاناث — وهم عماد الأمة وعتادها — بدعوم فيها الى التماس أفضل الوسائل واقواها لا تقاذ المعذبين في الأرض — من بني قومنا وملتنا — من براثن الاستعمار الظالم الآثم . ( وفي المقدمة ) أيضاً مسائل مهمة جديدة بالتفكير والتدوير ( منها ) أن الاسلام والاستعباد لا يجتمعان ، ( ومنها ) أن ما جاء في القرآن الكريم من آيات العلم الكوني والطبيعي لم يكن لتأصيل قواعد الكيمياء والطب والرياضيات ، والعلوم الأخرى ، ولكنه ورد في سياق الاعتبار ، وفي موارد الارشاد والاستبصار ، وليس في الوحي المنزل ما يتعارض مع قطعيات العلم . وان دراسة العلم الطبيعي عبادة صامتة وتندبج عملي .

(ومنها) بحث المحكمات والمتشابهات في الآيات القرآنية ، وإعجاز الأخيرة خاصة منها (قال) وكم حكمة في القرآن اذا ما مستها يد العلم ، أسفرت أسرارها ، وظهرت أنوارها .

ثم عقد المؤلف في القسم الأول - وهو الايمان بالله تعالى - أحد عشر فصلاً ، وعدّها بالأرقام ، واستنبط من كل منها دليلاً واضحاً على وجود الله ، وعلى بالغ حكمته ، وسابغ نعمته ، وعجيب صنعه وتقديره ، وقد ضمننا لها عناوين مأخوذة من مباحثها لتدل عليها في الجملة وهذه هي :

(١) كيفية توزيع اليابس والماء على سطح الأرض . (٢) حكمة زيادة الماء على اليابس بثلاثة أمثال . (٣) التيارات المائية في المحيطات والأبهر ، والعوامل في تكوينها . (٤) دنيا المحيطات والأبهر ، وفيها ألوف الأنواع والأشكال من الحيوانات البحرية . (٥) الحكمة في وجود التضاريس واختلافها في اليابس . (٦) دقة نظام التوزيع للتضاريس . (٧) قوة الجاذبية التي أدت الى تماسك أجزاء الأرض في دورانها . (٨) ما لظاهر المدّ والجزر من فوائد صحية وزراعية وتجارية وصناعية . (٩) الهواء المحيط بالكرة الأرضية واتصاله بصميم حياة المواليد الثلاثة . (١٠) الكسوف والخسوف وأسباب حدوثها « الشمس والقمر يجسبان » . (١١) ما في اختلاف الليل والنهار واختلاف المواسم من أثر عظيم . وأما القسم الثاني ففيه المباحث العلمية الفلكية ، وهي بجملة في ما يلي ،  
والعناوين للمؤلف :

(١) رأي الإسلام وعلماؤه في العالم الشمسي . (٢) شكل الأرض . (٣) أثر الجبال في الحياة . (٤) البرازخ المائية . (٥) الاختلاف في الشروق والغروب . (٦) المناخ في الأرض وخاصة في القمر . (٧) الهواء وضغطه . (٨) المطر في نظر القرآن والعلم . (٩) ظل الأجسام وظل الأرض وظل القمر ، وعنوانه : (ظلال الله) . (١٠) أيام السيارات ، وأيام الأقمار ، وأيام الشمس ،

وعنوانها : ( أيام الله ) . ( ١١ ) ليل ونهار مرمدان . ( ١٢ ) حركة الأرض  
 والاتقالية ورجعة الاعتدالين . في بحث ( الرجوع والصدع ) . ( ١٣ ) قانون الجذب  
 العام . ( ١٤ ) الحركة في الكون . ( ١٥ ) الكواكب المذنبة ، والشهب والنيازك .  
 ( ١٦ ) عظمة الكون . ( ١٧ ) مواقع النجوم . ( ١٨ ) مصير الجبال يوم القيامة .  
 هذه المباحث الثانية عشر ، قد فصلت فيها هذه الحقائق الكونية ، وفسرت  
 آياتها تفسيراً ظاهراً ليس فيه اعتساف ولا انحراف ، بل أخذها المؤلف من  
 أمهات كتب التفسير ، كالطبري والقرطبي والكشاف والرازي والبيضاوي ،  
 وأضاف إليه ما استمده من قوى هذا العصر وحقائقه ، وعلومه ومعارفه ، متمشياً  
 مع أساليب اللغة ومعانيها ، وقد ذكر في خاتمة كتابه أن ما جاء به من العلوم  
 الكونية والطبيعية هو من القطعيات التي لا تقبل المراء والجدل ، لا من النظريات  
 التي تكون عرضة للتبدل والتغير مما لا يجوز تطبيقه على الآيات القرآنية .  
 ومن أمتع ما قرأناه في هذا الكتاب : ( ص ٩٠ رقم ٤ ) : صنته تعالى في  
 تمدد الماء وتجمده . ( ١٩٧ - ٢٠٣ ) تفسير الآية الكريمة : « لا يرون فيها شمساً  
 ولا زهريراً » وقد ذكر فيها خمسة وجوه من أبداع الوجوه . ( ٢١٨ و ٢١٩ )  
 وجه دلالة ماء المطر وماء الشرب على إعجاز القرآن ، وتفسير آيتي إزهاء السحاب  
 وانزال الماء من المزن . ( الآية ٤٣ من سورة النور و ٦٩ من سورة الواقعة )  
 وانظر ص ٢٢٤ أيضاً . ( ص ٢٥٢ - ٢٥٦ ) تفسير : « وإن يوماً عند ربك  
 كألف سنة مما تعدون » . ( ص ٢٦٧ - ٢٧٠ ) راجع في هذا الفصل الممتع  
 الاتساق المميز في معناه بين ( الرجوع والصدع ) . ( ٢٨٥ ) الحركة المسهنية  
 ومير التسمية . ( ٢٩٢ ) وجه المناسبة بين قوله تعالى : « النجم الثاقب » إن كل  
 نفس لما عليها حافظ » . ( ٢٤٩ ) ختام التفسير ، وليراجع في تمام تفسير كل  
 آية وجه كونها معجزة إلهية . ( ٢٩٦ ) مقدار سرعة الضوء وما يبتنا وبين أداني  
 الكواكب وأعلىها من المسافات والأبعاد .

والمؤلف الكريم من شيوخ السن والعلم ، ومن دعاة النهضة والتجديد ، على أساس ديني خال من الشوائب ، وتراه يحرص كل الحرص على رد المتعلمين الى حظيرة الدين ، ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

أما دعاة الإلحاد والفساد ، فهم :

عبي القلوب عموا عن كل فائدة لأنهم كفروا بالله تقليدا

فلو أنهم درسوا مثل هذه « البصائر » لعاد المستعدون منهم الى رشدهم ، وأما من لم يرفعوا بالحق رأساً ، ولم يقيموا له وزناً ، فترجو منهم - إن كانوا على شيء من العقل والفضيلة - أن ينشروا رأيهم بصراحة مبينين فيه ذرائع النهوض بهذه الأمة العانية ، لتعود أمة ثروة وقوة ، وسيادة وسعادة .

هذا وفي الطبع أغلاط كثيرة اعتذر المؤلف عنها ، وألحقها بجدول بين فيه الخطأ والصواب ، ثم أتبعه بجدول آخر باذلاً الجهد والعناية في التصحيح ، ولكنه على ذلك كله لم يستقص ، واليك مما لم نره في الجدولين :

ص	ص	خطأ	صواب
١٢٢	٦	ما ينفع	« بما ينفع »
٢٥٧	٩	الليل	« النهار »
٢٥٧	١١	لعلكم	« ولعلكم »
٢٧٧	٩	بما كتبها	« في منا كتبها »
٢٨٧	٢	الطارق	« والطارق »
٣٢٣	١٠	إذا الجيال	« وإذا الجيال »

هذه الآيات الكريمة وأما الحديث الشريف فنه ما جاء ( في ص ٤ من ١٠ ) « كاد الفقر أن يكون كفراً » .

قلت : أورده في « كشف الخفاء » للمجاولي بمدة الفاظ ، ثم قال : وللنسائي وصححه ابن حبان عن أبي سعيد مرفوعاً أنه كان يقول : اللهم اني اعوذ بك

من الكفر والفقر ، فقال رجل : وبمتدلان ؟ قال : نعم ، ثم قال في الكشف :  
وهذا أصحهما ، وما قبله من المرفوع ضعيف الإسناد .  
ونحن نرجو من وزارة المعارف العراقية التي قررت تدريسه في دور المعلمين  
والمعلمات ، أن تزيد في احسانها فيحقق رجاء المؤلف ورجاءنا معه ، في إعادة طبع  
« البصائر » بالاتفان المعهود ، وأن تحذو وزارات المعارف في البلدان العربية  
حذو معارف العراق ، فتدرسه في مدارس التجهيز وفي دور المعلمين والمعلمات ،  
ليسير رجال المستقبل على هدى الرحمن ، ونور القرآن .



### « من هدي القرآن »

تأليف محمد عمر الخطيب

مطبعة اليقظة بدمشق ( ص ٢٤٠ )

هذا كتاب يدل اسمه على مسماه ، بل يدل عنوان كل فصل منه على معناه ،  
فباحثه متوجة بالآيات الكريمة ، ومفسرة تفسيراً عصرياً تنذوقه العقول ،  
وتألفه النفوس ، لا لتبس فيه ولا تعقيد ، ولا جدال في مصطلحات لفظية  
ولا مرأه ، وقد أضاف المؤلف الى الآيات القرآنية ما يناسبها من الأحاديث  
النبوية ، وبينها بياناً واضحاً ، فجاء مؤلفاً وافياً ، ومن فصوله التي جمعت بين التأييد  
والطريف : « فلسفة الإيماء والمعراج ، محمد رسول العالم ، حقيقة الإيمان بالله  
ورسوله ، الجهاد بالمال والنفس ، رحمة المؤمنين وشدتهم ، ورائة الأرض ،  
اقامة العدل ، وجوب الإصلاح ، القرآن يبني المدينة الفاضلة ، المساواة في  
نظر المسلمين ، مقارنة بيننا وبين الغرب ، تمكين الله للمسلمين في الأرض ،  
المسئولية في الإسلام ، الإخلاص روح كل شيء » .

وقد شرح الأستاذ هذه الفصول شرحاً يشف عن سلامة ذوق ، وينم عن فضل أدب .  
ومنها تحت عنوان بقاء الصالح ما نصه : لقد علم الشارع الحكيم أن الأرض  
يرثها عباد الله الصالحون من أي جنس كانوا ، ومن أي لون كانوا ، فما داموا

صالحين لها ، فهي صالحة لهم ، وان الايمان وحده ، أو دعوى الإسلام وحدها ،  
والصلاة وحدها ، ليست سبيلاً صحيحاً للبقاء في الأرض أو استملاكها ، أو استخراج  
كنوزها ، ثم قال : لقد علم الشارع ذلك فأرشد المسلمين الى الأخذ بالأسباب  
واستكمال شروط القوة الخ . وقال : لقد وضع الحكيم العليم لهذا الكون صنفاً  
وقوانين من سلكها وصل الى مراده منها ، ومن انحرف عنها انحرفت عنه غايته ،  
فالمؤلف يستمد كل بحث من حقائق الزمن ، ومنن الله تعالى في الوجود ،  
فهو كتاب إرشاد وتعليم يوجه المسلمين وجهةً صالحةً تسعدهم في الدنيا ،  
وترشدهم الى معالي الأمور ، وتبعدهم عن سفاسفها ، وقد أشار المؤلف الى  
مواضع الآيات من السور والأجزاء ، وخرج أكثر الأحاديث ، ولم ينسح  
وقته لتخريج الباقي ، ولعله يتم تخرجه في طبعة ثانية ويصحح بقية الأغلاط  
المطبعة وهي لا تتخفى .

محرر بهجة البيطار

•••••

*Corpus inscriptionum semiticarum. pars quinta*  
*T. I. fasc. primus.*

مجموعة الكتابات السامية

(الكراس الأول من الجزء الأول من القسم الخامس)

تبلغ عدد صفحات هذا الكتاب نحو (٦٥٦) صفحة من القطع الكبير  
وهو من مطبوعات المجمع العلمي الافرنسي . طبع في باريس سنة ١٩٥٠ .  
جمع في هذا الكراس الأستاذ ج . ريكمنس ( G. Ryckmans ) الكتابات  
الصفوية التي استنسخها الأستاذة : دوسو ( Dussaud ) ودونان ( Dunand )  
ودي فوجيه ( de Vougué ) ووادغتون ( Waddington ) وغراهام ( Graham )  
وينزستين ( Wetzstein ) وماسكل وموتيرد ( Masclé - Mouterde ) وريس  
( Rees ) في رحلاتهم الى حزة الصفا الواقعة في الجنوب الشرقي من دمشق  
وقد عثر على أكثر هذه الكتابات ضاربة على صخورها البركانية بأحرف أجبدة

خاصة بهذه المنطقة، وقد حلت رموزها في عام ١٩٠١م. ويرجع تاريخ هذه الكتابات إلى العهد الروماني وتشير أكثرها إلى ذكرى وفاة أو ضيافة مسافر أو شفاء مريض أو تقديم قربان أو اغانة ملهوف أو لعن عدو .  
وأهمها في هذه النصوص وفرة أسماء الأعلام والقبائل والأرباب والألقاب العربية التي تدعوننا إلى أن نجزم بعروبة كاتبها وتشهد بأن اللغة الصوفية أقرب اللهجات السامية إلى العربية .

كنا نحن كما يتفق كثيرون لو بقاع المجمع العلمي الافرنسي عن تقاليدنا باستعمال اللغة اللاتينية في نشر أمثال هذه الأبحاث العالمية لنتم فائدتها لا سيما بعد أن زهد فيها أكثر أبنائها وقل في العالم عارفوها . ونرحب بهذا السفر الجليل الذي يقيد العرب أكثر من غيرهم ويساعدهم في دراسة تاريخهم وتبع تطور لغتهم .

*G. Ryckmans - Inscriptions Saffaitiques au British Museum et au Musée de Damas. Extrait du Muséon. T. L XIV, 1-2 Louvain 1951.*

### الكتابات الصوفية في المتحف البريطاني ومتحف دمشق

وهو مقال نشره الأستاذ ريكمنس في المجلد (٦٤) من مجلة موزبون (Muséon) الصادر عام ١٩٥١م وأورد منه هذه الرسالة التي درس فيها بعض الكتابات الصوفية المحفوظة في المتحفين المذكورين ولم تنشر بعد ولا يوجد في هذه الكتابات من جديد يخرج عن المؤلف في مثيلاتها المعروفة وهي تقتصر على تمنيات طيبة لمسافر أو مريض أو محارب أو ميت .

وألفت نظر الأستاذ صاحب المقال إلى سقوط العبارة الصوفية (W:1.Snm) من الترجمة الافرنسية في الكتابة الواردة في ص : ٩٠ : دمشق ١٣٠٩٤ .  
نشكر للأستاذ اهتمامه بجمع هذه الكتابات المشتتة لتضم إلى ما سبق له جمعه منها .

## تاريخ الحرم المقدسي

المؤلفه عارف العارف

طبع في القدس سنة ١٩٤٧ في نحو ١٢١ صفحة من قطع الوسط ووزن بصور كثيرة ترك لنا السلف كتباً كثيرة عن المسجد الأقصى ، فمنهم من تناول الناحية الدينية وعدد فضائل هذا المكان الشريف ، ومنهم من تناول وصف بنائه وذكر عمارته ، ومنهم من تناول الناحيتين الدينية والعمراية معاً . ورغبت المؤلفتان بالحق بهذه المجموعة هذا الكتاب الذي دون فيه طواري الحديثان التي أمت بهذا المكان وتطور بنائه تديناً متسلسلاً وجمع فيه تاريخ الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك يوماً بيومها وحولها من مبان وآثار معتمداً على أصدق الأخبار وأوثق المصادر وما تبقى من الكتابات المحفوظة على الجدران والأبواب والقباب والمنابر والسبلان بعد أن حققها بنفسه وأوضح ما غمض من نقاطها .

وقد جاء في الحاشية (٨) من الصفحة (١٠) (الادم : جمع ادم وهو الشيء الذي يؤكل مع الخبز مما كان) مع ان الصواب هنا : الادم جمع الاديم وهو الجلد المدبوغ .

ونقل في ص (١٨) : وصف المقدسي للمسجد الأقصى : منصرفاً بعبارة دون ان يشير لذلك واستبدل فيها المقاييس الاسلامية بالتر والسنتيمتر .

وقد عرب في ص : (١٩) ما نقله بالانكليزية الكتبتين كرزويل عن ابن الأثير وكان يستحسن أن ينقل عبارة ابن الأثير لا تعريبها عن لغة أجنبية .

وهذا الكتاب هو من خير ما وضع بالعربية في هذا الموضوع فقد جمع فيه الأستاذ المؤلف زبدة ما كتبه المسلمون والمفيدة مما كتبه الغربيون ، فجاء بوفرة مادته مرجحاً تنتفع به العامة ولا غنى عنه للخاصة .

## مجموعة مؤلفات

للسيد عبد الحميد الخطيب (الحجازي)

- (١) تفسير القرآن صدر منه الى اليوم ثلاثة أجزاء خص كل جزء من القرآن بجزء من التفسير وعلى هذا فيكون تفسيره في ثلاثين جزءاً وكل جزء في أكثر من مائتي صفحة .
- (٢) جزء صغير في ٣٢ صفحة سماه (تحية الحبيب) وهو يتضمن ثلاث تحايايا أو قصائد: في مدحه عليه السلام وقد تحللها قصيدة ثالثة ضمنها (التوصل بأسماء الله الحسنى) افتتحها بمقدمة ذكر فيها السبب الذي حمله على نظم هذه القصائد وخلاصته ان سورياً أخبره بأن وهايباً سمعه يقول في مسجد مكة (الصلاة والسلام عليك يا رسول الله) فلم يرض الوهابي ذلك منه : فال مؤلف أوضح في مقدمته هذه استنكار ما أخبره به السوري وأثبت أن الأمر بخلاف ما قال ، ونظم القصائد المذكورة مدحاً له عليه السلام ونشرها على مرأى وسمعت من بعض السعوديين الذين رضوها واستحسنوها .
- (٣) جزء صغير كالذي قبله أودعه ثلاث قصائد اثنتين منها عارض بها همزية الأبو صيري وبردته باسم (نهج البردة) و (همزية الخطيب) وقصيدة ثالثة بعنوان (أحبك ياربي) ومطلعها :

(أحبك ياربي وأشعر أنني بعينيك . لمحوظ فأفرح في سري)

- (٤) جزء بعنوان (العهد الذهبي لحكم صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود) افتتحه بمقدمة اهداء الى جلالته الملك ثم برسم جلالة ثم أفاض بسيرة حياته المفصلة بالبطولة والاهتمام بإسعاد شعبه ثم ببلاغات في ترجمة اخوته وأنجاله : الأمير سعود وصورته ، والأمير فيصل وصورته ، والأمير منصور وصورته ، والأمير عبد الله الفيصل وصورته . وختم الجزء بصورة وزير المالية (عبد الله بن سليمان) . وهكذا انتهى الكتاب من دون أن ينسى المؤلف وصف تقوى الملك وديمقراطيته وشرحه للمدنية الصحيحة ولأسباب تأخر المسلمين . والمجمع يشكر المؤلف

## من صميم الحياة

اسم لكتيب جميل الطبع حسن النبوغ جمع فيه مؤلفه السيد حمدي عبيد كلمات له في الأخلاق والمواعظ من مثل : « الحظ على الصدق ، وتجنب الخمرة ، واختلاط الجنسين ، والمرأة والتقليد ، وتربية الأولاد ، والرحمة والتقوى ، ومن هو أسعد الناس ؟ والعلم والعمل الخ » . ثم عقب هذه الكلمات النافعة بخطب وأحاديث للمؤلف كان أذاع بعضها في اذاعة دمشق . وموضوعاتها من جنس موضوعات كلماته المذكورة ومنها : « المرأة بين القديم والحديث ، وذكرى المولد النبوي » وغير ذلك مما ينبغي اطلاع الجمهور عليه فيستفيد منه المطالع ، ويتقوّم على ثقافته الناشئ . ومن حسن الكتاب لطف حجمه بحيث يصحبه القارئ في جميع حالاته .

المقربي

١٩٥٥

## وضع الاقتصاد العربي

لمحمد سعيد الزعيم

الأستاذ الزعيم لولب الحركة الاقتصادية في حلب لذلك تتوالى مقالاته ومحاضراته ، وآخر ما ظهر من منشورات الفرقة التجارية ( سنة ١٩٥٢ ) كتاب : ( وضع الاقتصاد العربي ، ونمو الاقتصاد العربي ) وفيه محاضرات للأستاذ الزعيم . نخص الأستاذ في المحاضرة الأولى : الاتفاقات التجارية التي جرت بين البلاد العربية ، بعد الحرب العالمية الأولى ، بالتاريخ والأرقام ، وعرض لمعرفة تأثير الأجنبي في الديار العربية .

ثم بحث عن التبادل التجاري بين الأقطار العربية بالأرقام والسنين ، وبين ضعف ذلك التبادل ونصح بضرورة توثيق عرى العروبة اقتصادياً .

ثم تناول التوجيه الاقتصادي في بلاد العرب : في الانتاج الزراعي والصناعي ، ودرجة نموه فيها ، وبين قوة ارادة العرب ونضالهم في الحياة وذكاهم وابتكاراتهم ، ونصح بضرورة الوحدة الاقتصادية ، لقوة العرب سياسياً واقتصادياً ، وقال :

« وان بلاداً كانت موحدة اقتصادياتها في زمن المهالك لحري بها أن تقعد اقتصادياً في زمن الرؤساء الميامين الذين حرروا الوطن العربي » .

والمحاضرة الثانية : تتضمن نمو الاقتصاد العربي ، وقد بين كيفية نموه ، والروح السياسية التي سيطرت عليه ، وضرر الانتداب فيه ، والحرب العامة الثانية وأموالها ، والصناعات الحديثة في الأقطار العربية ، وحالة التجارة الخارجية من سنة ١٩٢٥ حتى ١٩٥١ وكيف نمت وترعرعت ، وأشار الى مقادير النقد المتداول فيها . ويبحث عن الأراضي الزراعية العربية والمشاريع الجديدة المنتجة فيها ، ومساحاتها ومحاصيلها ، وأهم أنواعها ، وموازنة الديار العربية ، وما ينفق منها على التعليم والزراعة والكهرباء الخ . . . . . والمصانع وأنواعها ونتاجها وتكاثرها ، والتعامل التجاري بين ديار العرب والديار الأجنبية ، وسكان الأقطار العربية قديماً وحديثاً ، ودخلها السنوي ، وماشيتها ، وحالة العمران في الجزيرة العربية .

ثم تعرض لبحث موقف العرب اقتصادياً من امرائيل ، والتقدم الصناعي في امرائيل ، ودسائس اليهود في الديار العربية ومناصفهم الصناعية لها ، وما قاله : « قلبي حذر العرب اذاً المستقبل ولا تغشهم اذاعات سوء عن مستقبل امرائيل وعليهم ألا يغتروا وألا يطمئنوا ، فالحديد لا يقله إلا الحديد ، والعلم لا يجارب بالجهل . ونحن نبحث عن الدخل الوطني وزيادته وذلك : « لرفع مستوى أفراد الشعب في زيادة معدل الدخل الوطني للفرد وعدالة التوزيع بين أبناء الشعب الواحد » . ثم حض العرب على الأعمال الاقتصادية ونصحهم : « بالتمسك بأهداف الوعي القومي وساطان القانون وتوطيد العدل وتشجيع الأعمال الحرة والعمل الاقتصادي الجماعي وتنمية الثروات عن طريق زيادة الانتاج ورفع مستوى العمل » . وفي الحق ان الأستاذ الزعيم قد وفق في تبنيك المحاضرتين اللتين تغنيان عن مجلد كبير ، لما فيها من المادة الغزيرة والتوجيه الاقتصادي الواقعي ،

## كتاب الموفي في النحو الكوفي

بقلم الأستاذ محمد عبد الخالق عظيمية

عصفت حوادث الأيام بآثار نخاة الكوفة فخرنا متعة الاستماع الى حديثهم في كتبهم ومعرفة كيف يصورون آراءهم بأقلامهم ويفصحون عنها بأسلوبهم ويحججون لها ويدافعون عنها .

وليس فيما وصلنا من كتب المتقدمين من نخاة البصرة استعراض الا للقليل من آراء أهل الكوفة فشيخ الصناعة سيبويه لم يعرض إلا للقليل منها وكذلك صنع ابو العباس المررد في كتابه المقتضب وكان يتعاشى في الغالب التصريح باسمهم فيعبر عنهم بقوله ذهب جماعة من النحويين أو قوم من النحويين أو بعض من النحويين . . وهكذا قدر للنحو الكوفي أن يظل مبعثراً في بطون كتب نخاة البصرة يذكر فيها لغرض تضييفه وتوهينه غالباً حتى جاء كمال الدين ابو البركات الأنباري وألف كتابه « الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » .

وهو خير ما وصلنا من الكتب التي عرضت لهذا الموضوع ، لم يأل جهداً ولم يدخر وسعاً في سبيل الاستدلال والاحتجاج لمسائل كل من المذهبين ، على أنه شايع البصريين في كثير من مسائل كتابه الذي حوى ١٢١ مسألة ، لم ينتصر فيها للكوفيين الا فيما يقرب من عشر مسائل .

وهل في شرعة الانصاف أن يعتسف فتضعف قراءة سبعية متواترة ويحتج بأحاديث موضوعة ، وكل ذلك في سبيل ترجيح مذهب البصريين على الكوفيين ؟ وقد عرض السيوطي بإيجاز في كتابه الأشباه والنظائر لطرف من مسائل الخلاف بين المذهبين . وإذا أردنا أن نرسم صورة واضحة للمذهب الكوفي فليس أمامنا من سبيل إلا جمع أقوالهم المبتونة المنشورة في أضعاف كتب النحو . وكذلك فعل مصنف « الموفي » فحشد في كتابه قدرأ وافراً من مسائل النحو الكوفي وحاول تصويره جهد طاقته وان كان لم يحاول الاستيعاب والاستقصاء .

وما من شك في أن عشاق الدراسات النحوية سيرحبون أجمل ترحيب بطبع هذا الكتاب وسيحمدون للمجمع العالمي العربي جهده في إخراجه ، والكتاب يعتبر دعامة قوية في بناء النحو الكوفي .

وقد تكلف المصنف الإيجاز في أسلوبه فجاء كتابه بمثابة رموز وإشارات ، وما أشبه أسلوبه بأسلوب المتون المعقدة . على أنه قد ذكر مسائل كثيرة هي محل اتفاق من جميع النحويين .

أما جهد الأستاذ البيطار فهو جهد مشكور ، لم يدخر وسعاً في سبيل تجلية رموز الكتاب والإيانة عن مقاصده ، حتى زاد الوافي بهذه الشروح أضعافاً ، وعرض لنا نصوصاً نحوية من كتب مختلفة شرحت غوامضه ، وأغنت قارئ الكتاب عن أن يتطلبها في مظانها . كما ترجم لكثير من أعلام النحويين وغيرهم ، وشرح كثيراً من الشواهد شرحاً مجزئاً ، وأتى بزيادات استتماماً للفائدة ، فمل ذلك في حروف العطف ص ٦٢ وحروف النداء ص ٦٦ والترخيم ص ٦٩ وما يتعلق بفعل الشرط وجوابه ص ١١١ .

وقد حقق الأستاذ بعض الأقوال بما يشهد له بسعة الاطلاع ، تراجع هذه الصفحات ٢٩ - ١٠٠ و ١٣٧ - ١٣٨ .

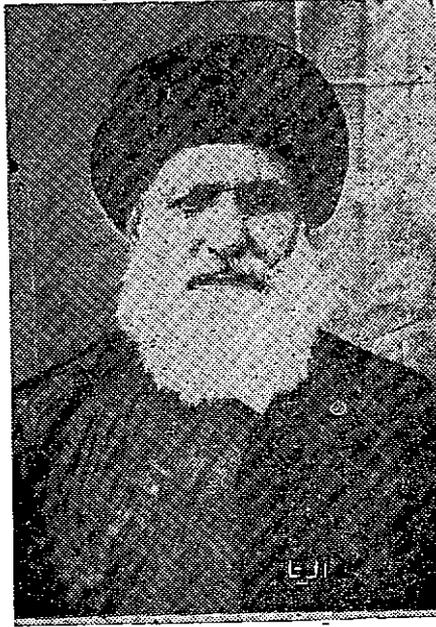
وكم وددت أن يشير الأستاذ البيطار الى المسائل الكثيرة التي اشتمل عليها الموفي وليست من اجتهاد الكوفيين وحدهم بل هي مسائل اتفق عليها جميع النحويين وهي إلى أن تضاف الى نحاة البصرة أقرب من إضافتها الى نحاة الكوفة لسبق البصريين وتقدمهم في وضع النحو وتقنين مسأله<sup>(١)</sup> .

محمد عبد الحامد عضية

١٣٤٥

(١) يرى القاري الجواب على ملاحظات الأستاذ في باب الآراء والانباء من هذا الجزء .  
(المجمع)

## آراء وأنباء



### السيد محسن الأمين

صرف العلامة السيد محسن الأمين رحمه الله وقته ونفيس عمره بالاشتغال  
بالعلم درساً وتخصيلاً ، وتعليماً وتصنيفاً ، وطبعاً لمؤلفاته ومؤلفات بعض المتقدمين  
النافعة ، فنشر عشرات الكتب الدينية والتاريخية والأدبية ، وأنشأ جهته العالية  
ومساعيه الحميدة المدرستين الحسينية واليوسفية للذكور والإناث في حي الأمين ،  
وألف بعض الكتب المدرسية في الأدب والدين .

كان الفقيه العظيم فقيهاً أصولياً ، عالماً مؤرخاً ، أدبياً متفتناً ، باحثاً مجتهداً نظاراً . ومن أجل الكتب التي ألفها في العهد الأخير ، تاريخه الكبير الذي سماه «أعيان الشيعة» وقد نشر منه حتى الآن (٣٥) جزءاً . رتبته على حروف المعجم ، وقدم له مقدمة في مجلد حافل ، وهو الجزء الأول من هذا الكتاب وفيه كل ما للإمامية الاثني عشرية من أخبار وآثار . ومن أهم ما جاء فيه وأفضله ما كتبه المؤلف تحت عنوان (نصيحة مهمة) وجه فيها النصح والتذكير إلى قومه العرب واخوانه المسلمين سنيين وشيعيين دعاهم فيه إلى الكف عن معاداة بعضهم لبعض ، وعن القدرح والتضليل ، والظعن والتشهير ، وقد آن لهم أن يعلموا أن الذي فرق بينهم هو السياسة ، وأنها تقضي عليهم اليوم بانفاق الكلمة ، لاسيما وهم إخوان في الدين . وجاء في هذه النصيحة مانصه : وأنتم أيها الاخوان الشيعيون عليكم أن تعملوا بما أمركم به إمامكم إمام أهل البيت جعفر بن محمد الصادق من التحبب إلى اخوانكم أهل السنة من زيارتهم ، والصلاة في جماعاتهم ، وتشجيع جنائزهم ، وعبادة مرضاهم ، وتجنب كل ما يوغر صدورهم ، حتى يقولوا : رحم الله جعفر بن محمد ما أحسن ما أدب به أصحابه ، ثم أوصى جميع المسلمين بمعاملة أبناء وطنهم بالرفق واللين ، واستشهد بخطاب الله لنبيه بقوله : «وجادلهم بالتي هي أحسن» وختم هذه الوصية القيمة بالدعاء لله سبحانه أن يوفق الجميع لما فيه الصلاح والإصلاح .

هذا وقد انتخب الفقيه الجليل عضواً في الجمع العلمي العربي في ٩ المحرم سنة ١٣٦١ هـ و ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ فحضر بعض جلساته ، وامتدح لمحاضراته ، وكتب ما عهد إليه به في مجلته ، وهاهي ذي ترجمته التي كتبها بخطه وكانت محفوظة في خزانة الجمع العلمي بين تراجم إخوانه الأعضاء :

## (نسبه)

هو محسن ابن الشريف السيد عبد الكريم ابن العلامة الفقيه السيد علي ابن السيد محمد الأمين ابن العلامة الفقيه المحدث السيد ابي الحسن موسى ابن العالم السيد حيدر ابن السيد احمد ابن السيد ابراهيم الحسيني الحلي العاملي المنتهي نسبه الى الحسين ذي العبرة ابن زيد الشهيد ابن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام .

## (مولده)

ولد بقرية شقراء من جبل عامل التابعة قضاء مرجعيون من عمل بيروت سنة ١٢٨٤ هجرية وبها نشأ .

## (تحصيله)

قرأ أولاً في مدارس جبل عامل النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق ومبادئ أصول الفقه ومبادئ الفقه وأصول الدين ودعي الى الامتحان في بيروت للاعفاء من الخدمة العسكرية خمس سنين فأجاب فيها .

ثم هاجر الى العراق سنة ١٣٠٨ هجرية لطلب العلم وتوطن النجف فأتم بها قراءة علي الأصول على مشاهير علماء استدلالاً موجزاً ثم استدلالاً تاماً حتى بلغ رتبة الاجتهاد والفتوى وقال الشهادة بذلك من مشاهير المجتهدين وأجيز الرواية وتخرج عليه في جبل عامل والنجف كثير من الطلاب هم من أفاضل العلماء . وبقي في النجف الى سنة ١٣١٩ هجرية ثم جاء الى دمشق فتوطنها ولم يزل الى اليوم وهو ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ هجرية وقد أشرف على الثمانين مجداً في المطالعة والتأليف والتصنيف ونشر العلم والتدريس والوعظ والتذكير والسعي في المصالح العامة مهمة لا تعرف الكلال ، معرضاً عما سوى ذلك من أمور الدنيا . تقول هذا تحديثاً بنصه تعالى .

## (أعماله الخيرية العامة)

أنشأ بدمشق سنة ١٣٢١ (المدرسة المحسنية) للذكور واشترى لها بمساعدة أهل الخير دارين فخمتين وتمكن من إيجاد أوقاف لها تزداد سنة فسنة . وأنشأ بعدها بمدة قليلة (المدرسة اليوسفية) للإناث التي اشتراها وقام بنفقاتها المحسن الشهير الحاج يوسف بيضون وأسس بدمشق (جمعية الاحسان) لمساعدة الفقراء وهي أول جمعية اسلامية خيرية أسست بهذا البلد الطيب . ثم أسس (جمعية الاهتمام بتعليم الفقراء والأيتام) .

## (انزواؤه)

هو في جل أوقاته منزوي في منزله مشغول بالمطالعة والتأليف والتصنيف وأجوبة المسائل معرض عن معاشرته الناس وقد دعي مراراً لتولي أعلى المناصب الدينية في الدولة فأبى .

## (تأليفه بين المسلمين)

وقد سعى جهده وبما في وسعه في كل فرصة وعند كل مناسبة في التأليف بين طوائف المسلمين حتى أزال كثيراً من سوء التفاهم وقرب بين القلوب وظهرت ثمرات جهوده في ذلك .

## (أسفاره)

حج بيت الله الحرام وزار المدينة الطيبة سنة ١٣٢٠ - ١٣٢١ هجرية ثم حج ثانيًا بيت الله الحرام سنة ١٣٤٠ - ١٣٤١ ومراً بمصر القاهرة في كلا السفرين . وزار المدينة المنورة بالقطار الحديدي من دمشق مرتين وزار بيت المقدس مرتين . وفي سنة ١٣٥٢ - ١٣٥٣ سافر الى العراق وايران وزار الأماكن المقدسة

وعرج على أكثر مدن الملكين وأقام فيها وزار خزائنها الكبيرة والصغيرة واطلع على ما فيها من المؤلفات المخطوطة النادرة ونقل منها كثيراً لمؤلفاته واستنسخ عدة من الكتب المخطوطة النادرة النفيسة واشترى بعضها وبقي في هذه السفرة نحواً من ١١ شهراً لم يأل فيها جهداً في التفتيش والتنقيب وعمل فيها رحلة مطولة .

### ( مؤلفاته )

ألّف في أنواع العلوم ما يزيد على مائة وعشرين مجلداً أكثرها مطبوعة وبعضها طبع مراراً . وأكثرها لا ينقص عن ٥٠٠ صفحة وجملة منها لم يؤلف مثلها في معناها . ومن أهمها كتاب أعيان الشيعة الذي طبع منه حتى الآن ١٧ مجلداً أكثرها يزيد عن ٥٠٠ صفحة الى ٨٠٠ صفحة ولم يتجاوز المطبوع حرف الجيم الى جندب بن جنادة والباقي كل مواده جاهزة .

### (١) السير محسن الأئمة الحسيني العاملي

### الموفي في النحو الكوفي

كتب الأستاذ الشيخ محمد عبد الخالق عضية في الموفي وشرحه في مجلة الحج التي تصدر بمكة المكرمة تقدمات ومما قال في شرح كتاب الموفي : « وعرض لنا نصوصاً نحوية من كتب مختلفة ، شرحت غوامضه ، وأغنت قارئ الكتاب عن أن يتطلبها في مظانها » وقد وصف ( الموفي وشرحه ) بذلك أحسن وصف ، واكتفى — على ما يظهر — بمراجعته دون غيره في تعليقاته عليه ، وهذه هي :

قال الأستاذ : « وكم وددت أن يشير الأستاذ البيطار الى المسائل الكثيرة التي اشتمل عليها ( الموفي ) وليست من اجتهاد الكوفيين وحدهم ، بل هي مسائل اتفق عليها جميع النحويين . . . ( ثم قال ) وأكتفى بالإشارة الى بعضها . أقول :

(١) كانت وفاته في (٥) رجب سنة ١٣٧١ هـ . رحمه الله .

إني تبعت في ما كتبت قول المؤلف : «أما بعد فهذا كتاب «نحو» وضعته على مذهب الأئمة الكوفيين ومصطلحاتهم ، إذ وجدت أهملت ٠٠٠ الخ» فكان نظري مصروقاً الى ما قاله المؤلف ، والواقع أن في بعض المباحث التي أوردتها اتفاقاً بين النحويين ، ولكن لا في كل ما تعقبنا به الأستاذ عزيمة من «المسائل الكثيرة التي اشتمل عليها الموفي» وقال عنها «واكتفى بالإشارة الى بعضها» . وأنا الآن أشير الى بعض ما أشار الأستاذ اليه ، وقال إنه متفق عليه ، (أي بين المذهبين البصري والكوفي) وأقتصر من ذلك كله على ما جاء في «الموفي» وتعليقاتي عليه ، من الخلاف الذي ذكرته (ناقلاً لا قائللاً) وأغفل ذكره الأستاذ أو جعله موضع وفاق :

وأول ما أذكره مما ادعى الاتفاق عليه بين النحويين «مواضع تأنيث الفعل للفاعل ، وتقديم الفاعل على المفعول» ص ٢٣ هـ . مكتفياً بهذا القدر ، من دون نقد ولا نقل ولا تعليق ، أما أنا فاني نقلت الخلاف في كلتا المسألتين كما تجده في الموفي وشرحه ، فالخلاف في التقديم والتأخير عن (حاشية الصبان ٤٢/٢) والخلاف في تأنيث الفعل من (المنار على التوضيح ٢١١/١) انظر ص : ٢١ و ٢٣ من الموفي بشرحه .

قال : «وتقديم المبتدأ وحذفه» نقلت عن الأنباري قوله : ذهب الكوفيون الى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه مفرداً كان أو جملة أي خلافاً للبصريين ، وأورد حجج كل من القولين على عادته . ص ٢٦ من الموفي . في بحث (المجزورات) في الموفي وشرحه . (٤٩ - ٥٢) . لم يشر الى الخلاف الوارد في ص ٥٠ - ٥١ ، واكتفى بالإشارة الى المتفق عليه في بحث (الإضافة) وهو في باب (المجزورات) ، وهل يكلف صاحب (الموفي) رحمه الله ، وهو يؤلف في (النحو الكوفي) أو شارحه ، أن ينص في كل باب من أبواب الكتاب على كل ما انفقوا عليه أو اختلفوا فيه ؟ حسب المؤلف أن تكون رسالته في النحو الكوفي ، ومصطلحات

أهله في أبوابه دون النظر في الجزئيات المتفق عليها أو المختلف فيها ، إذ أن هذا عمل آخر يحتاج الى كتاب مستقل .  
قال الأستاذ : نداء ما فيه «ال» ص ٦٦ ( قلت ) فيه خلاف أوردت شواهد في نفس الصفحة .

قال : الاستثناء المتصل والمنقطع والمُقَرَّغ ، قلت هي قضايا برهانها معها كما يقول المناطق ، وانظر الخلاف فيها معزواً الى أهله في ( ص ٧١ - ٧٢ ) .  
قال : كثير من شروط عمل المصدر محل اتفاق . قلت : قد أشرنا الى ما فيه الخلاف ، وعلم منه الاتفاق فيما عداه .

قال : فصل الضمير ومجيء نون الوقاية في بعض الأسماء ، قلت : ذكرنا الخلاف في فصل الضمير ( ص ٩٤ - ٩٥ ) .

قال : نواصب المضارع ص ١١٤ قلت : ذكرنا الخلاف في نفس الصفحة ، والمذاهب في ص ١١٥ .

قال : حروف الجر واستعمالها : ١٣٦ - ١٤٤ قلت : ياسيجان الله بل هي مملوءة بالخلاف ، وقد ذكرناه وعزوناها ( انظر ص ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ) فكيف أغفل الأستاذ ذكره ؟

قال : مواضع كسر همزة إن : وجواز الوجهين ص ١٤٨ . الخ قلت : بل هي ملأى بالخلاف أيضاً ، وانظره في بعض مواضع الكسر ، وفي إعمالها إذا خفت من الثقل ، وفي مدخولها أيضاً ( ١٤٨ - ١٥١ ) .

قال : « يشترط البصريون لزيادة : من شرطين : ١ - أت يسبقها نفي أو شبهه ٢ - تنكير مجرورها ، ولم يشترط الأخصش الشرطين . أما الكوفيون ، فلم يشترطوا الشرط الأول ، واشترطوا ( فقط ) تنكير مجرورها ( من حق فقط أن تؤخر ، وأت يقال : واشترطوا تأخير مجرورها فقط ، كما هو ظاهر ) مستدلين بقول العرب : قد كان من مطر ، قلت : جاء في الرضي ( ٣ / ٣٠٠ )

مانصه : والكوفيون والأخفش لا يشترطون ذلك استدلالاً بقوله تعالى : « يقفر لكم من ذنوبكم » فمن في حيز الإيجاب وهي داخله على المعرفة « اه ولم نعد في حاجة الى نقل تعليقه الأستاذ في هذه المسألة على الموفي وشرحه ، من بعد أن نقلنا كلام الرضي بنصه ، وهو مما لم يتيسر له الاطلاع عليه . قال : وأعتقد أن ذكر اسم المفعول هنا ( ص ١٨ ) سبق قلم ، فهو إنما يرفع نائب الفاعل . قلت : إنما فسرت شبه الفعل ، ومنه اسم المفعول الذي يرفع نائب الفاعل ، وقد جاء تحت عنوان ( المرفوعات ) وأما ابو الحسن ( الأخفش الأوسط ) فهو تلميذ سيبويه ، وشيخه هو ابو الخطاب ( الأخفش الأكبر ) كما قال الأستاذ ، ونحن نقلنا عبارة الصبان في حاشيته ( ٢١٥/١ ) ونصها : والأخشة ثلاثة ، لكن المراد عند الإطلاق : أبو الحسن شيخ سيبويه ، قاله الشيخ محيي » .

والظاهر أن الأستاذ قد أملى ما أملاه من ذاكرته وحفظه ، إذ لم نر له عزواً الى صفحة أو جزء من كتاب بعينه ، وعلى كل فله منا أعطر الشكر .

محرر بزمه البيطار

•••••

### أوهام في قانون ابن سينا

طالعت أكثر من مرة قانون ابن سينا فوجدت طبعة مصر أصح من طبعة رومة وطبعات الهند ، ومع ذلك فقد عثرت في الطبعة المصرية على أغلاط كثيرة ، منها أغلاط مطبعية لا تنسح هذه المقالة لذكرها كلها . أذكر منها على سبيل المثال : مضائلة : صحيحها متضائلة ( الجزء الأول ، الصفحة ١٨ ، الطر ٤ ) . تسميها عصبانية المرأى : صحيحها نسميها عصبانية المرأى ( ١٠٦٣٠ ) . فللجذب المطاؤل : الليف المطاؤل ( ٨٤٢٣٤١ ) . تنجذب : تنجذب ( ٢٩٤١٤٣١ ) . ان للرأس حركات خاصة : خاصة ( ٣٢٤٤٢٦١ ) .

وهكذا كل ما أذكره من الجزء الأول . طروخا بطير : طروخا بطير (ص ٥١ س ١٣) .  
 تثبت : تثبت ( ٢٢٦٥٢ ) . التوانه : التوانه ( ٢٥٦٥٥ ) . مسقما : مسقما  
 ( ٦٦٦٣ ) . الاسليم : الاسليم ( ١٥٦٦٥ ) . اطروقيا : اطروقيا ( ٢٩٦٦٧ ) .  
 الخادمة : الجاذبة ( ١٣٦٦٨ ) . افراد حمرة الحدّ : افراط ( ٢٥٦٧٣ ) .  
 انجذاب الأظفار : انجذاب ( ٢٩٦٧٣ ) . نزعان : نوعات ( ١٥٦٧٤ ) .  
 المتشابهة الأجزاء : غير متشابهة الأجزاء ( ٢١٦٧٤ ) . عدم القرحة : عدم  
 القرحة ( ١٤٧٥ ) . سمي جزا : جزا ( ٣٢٦٧٥ ) . الأرنبة : الأرنبة  
 ( ٥٦٧٧ ) . التهبج : التهبج ( ٢٦٦٧٧ ) والتهبج Boursouflure إنما وردت  
 غلطاً فيها وكتبت تهبج ... الخ .

ومنها أغلاط أصلية أكثرها في الكلمات الأعجمية من يونانية وغيرها . اذكر  
 منها على سبيل المثال أيضاً من الجزء الأول فقط : بقرانيطس : بقرانيطس  
 ( ١٩ : ٧٩ ) . كالضأن : كالضأن ( ١٠٦٧٨ ) . القرحة السيروتية :  
 الخيرونية ( ٢٧٦٧٨ ) . الدرباج : الزرباج ( ٢٧٦١٦٨ ) . الاسفيداج :  
 الاسفيداج ( ٢٢٦١٧٠ ) . ديانيطس : ديانيطس ( ٢٨٦٣٤١ ) . فرساموس :  
 فريافيسموس ( ٣٦٦٤٢ ) . اغلاجون : اغلوخون Agallochum ( ٢٦٦٣٥١ ) .  
 طعمهون : طقسيقون Toxicon ( ٣٢٦٢٥٢ ) . ابو حلسا : انخسا Anchusa  
 ( ٢٧٦٢٦٠ ) . اسبوس : اسوس Issos ( ٢٧٦٢٦٢ ) . اندروصارون :  
 اندروصارون Androseum ( ٢١٦٢٦٣ ) . الهليون : القاون ( ١٨٦٢٧٠ ) .  
 ابلقطنون : ابلقطنون ( ١٦٦٢٨٤ ) . البلاد التي يقال لها قارتا : قاربا  
 ( ٣٠٦٢٨٥ ) . كاليانسيا : كالثانسيا ( ٢٣٦٢٩٠ ) . الكركند : الكفكرزد  
 ( ٢٦٦٣١٩ ) <sup>(١)</sup> . برمان : برمان ( ٢٦٦٣٢٣ ) . طرغائشا :

(١) وهو صنع نبات المكوب .

طراغاتشا Tragacantha ( ٣٠٦٢٣١ ) • نيطافايون : نيطافايون ( ٢٧٤٢٣٤ ) •  
 فرمسي اعربيا : قرمبي آغريا ( ١٦٦٣٤٦ ) • انتصاب النفط : النفس  
 • الخ ••• ( ١٣٤٣٥٢ )

ومن الأغلاط ، ذكره في حرف الفاء الـ ( الققلامينوس ) Cyclaminus  
 وهو بقافين • فكان يجب ذكره في حرف القاف • وهذا الغلط بدل صراحة  
 على أن ابن سينا كان يجهل اليونانية •

عدا ذلك ، وجدت أوهاماً واقمة في التأليف نفسه • ذكر في ( ٢٦٦٢٥١٤١ )  
 الاغلاجون وصحيحه : الاغلاخون Agallochum وقال عنه : هو خشب يؤتى  
 به من بلاد الهند وبلاد الغرب ( كذا : العرب ) فيه صلابة ، منقط طيب الرائحة  
 له قشر كأنه الجلد موقى بألوان مختلفة اذا مضغ أو تمضمض بطبيخه ، يطيب النكهة •  
 وفي ( ٣٢٤٢٥٤٦١ ) ذكر ( اغالوجي ) ولا شك في انه الاغلاخون المار  
 الذكر ، فقد قال عنه : خشب هندي او اعرابي عطر الرائحة موثى الجلدة  
 يدخل في العطر ••• المضمضة بطبيخه يطيب النكهة •

مثال آخر : جاء في ( ١٥٤٤٠٣٤١ ) ( غاليون ) ( كذا : صحيحه غاليون  
 Galium ) قال : ومن الناس من يسميه غاليون وقوم يسمونه عالاريون  
 واشتقاق الاسمين جميعاً من اجساد اللبن لأنه يجمد كالأنفحة ••••• طيب  
 الرائحة ••• زهره اذا تضمد به نفع من انفجار الدم ••• وورقه ينفع من  
 حرق النار •

وفي ص ( ١٨٤٤٦٩ ) ( غاليون ) ( وهو الصحيح ) دواء طيب الرائحة مجفف  
 يجمد اللبن ••••• ينفع من انفجار الدم • مع حدة يسيرة • زهره نافع لانفجار  
 الدم • قد يظن ان هذا الدواء يشفي من حرق ( النار ) •  
 ووهم آخر ( في حور رومي ) ( ص ٣٢١ من عين الجزء الأول ) ( هو الافلاء

الصحيح) لكن ورد في ٢٨٤ (جوز رومي) وهذا غلط . وفي ص ٣٢٣ عاد الى الصواب فكتب (حور) .

لا أدري كيف وقعت هذه الأوهام . هل نقل أبو علي من كتب شتى وجدها في خزائن كتب الملك الساماني ، وكان في بعضها تحريف ، نقل على عجل ولم يفتن له ؟ أم دسّ بعده في متن قانونه بعض الفضوليين هذه الصور المحرفة ظناً منهم انها صحيحة وانها فاتت ابن سينا ؟ اني لا أنفي الاحتمال الثاني ولكني أرجح الاحتمال الأول اذا لم يكن في كل هذه الأوهام فني بعضها .  
اقتصرت في هذه العجالة على ذكر بعض الأوهام الواردة في الجزء الأول من القانون لا كلها ، ولم أتعرض لأوهام الجزئين الآخرين .

الموصل) (الركنور داود الجلي



### آراء وتعليقات

#### (المشاركة في المجلة لا الاشتراك)

١- أرى أن 'بترك قول ادارة المجلة « قيمة الاشتراك السنوي » وبكتب مكانه « قيمة المشاركة السنوية » لأن « الاشتراك » لا يكون الا من أكثر من اثنين والمشاركة تكون من واحد توحدت أجزاءه أو تعدد ، وقد نهيت على هذا الوهم قبل سنين فأخذت أكثر المجلات والجرائد تضع « المشاركة » مكان « الاشتراك » وصار أكثر الكتاب يقولون « شارك فلان يشارك » بدلاً من « اشترك » فلات ، وبما يوضح قبح استعمال « اشترك واشترك » للواحد أنك لا تقول « احترب فلان ولا اقتتل ولا اقتسم » ونسكت ، بل عليك أن تقول « احترب فلان وفلان واقتتلا واقتسما » . وبؤيد ما قلناه قولهم « كان

فلان مشاركاً في علم كذا وفن كذا» وهو أشهر من أن يؤتى له بنصوص ، قال ابن السيد البطليوسي « يريد أن الكاتب ينبغي أن تكون له مشاركة في جميع المعارف »<sup>(١)</sup> .

### (البواقيل لا البراميل)

٢ - وجاء في المحلّة<sup>(٢)</sup> قول أبي نواس :

فمن رأى النيل رأي العين عن كذب فما أرى النيل إلا في البراميل  
والرواية المعروفة « البواقيل » قال الشربف المرتضى ناقلاً « وقف ابن نواس  
بمصر على النيل فرأى رجلاً قد أخذ التماسح فقال :

أضمرت للنيل هجراناً ومقليةً مذ قيل لي إنما التماسح في النيل  
فمن رأى النيل رأي العين من كذبٍ فما أرى النيل إلا في البواقيل  
قال الصولي : والبواقيل سفن صغار ٠٠٠ وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت  
أبي نواس بأن البواقيل سفن صغار لأن البواقيل جمع بوقال وهو آلة على هيئة  
الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره ، وهذا مثل قول ابن الرومي :

أمرُّ به في الكوز مرَّ المجانب

وإنما أراد : إنني لا أمرُّ بماء النيل إلا إذا أردت شربه في كوز أو بوقال  
وما أشبه ذلك . وأظن أنه استمرَّ عليه الوهم من جهة قوله « فما أرى النيل »  
وصرف ذلك إلى أنه أراد النيل على الحقيقة ، وإنما أراد ماء النيل . وما علمت  
أن السفن الصغار يقال لها « بواقيل » إلا من قول الصولي هذا . ولو كانت  
ما ذكره صحيحاً من أن ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت أبي نواس بما ذكرناه  
أشبه وأليق وأدخل في معنى الشعر . وكيف بدخل شبهة في ذلك مع قوله

(١) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب « ص ١٤ » طبعة المطبعة الأدبية ببيروت

سنة ١٩٠١ م

(٢) المجلد « ٢٦ ج ٢ ص ١٦٣ »

« فمن رأى النيل رأى العين من كُثْب » ، ومن رأى النيل في السفن فقد  
 رآه من كُثْب ، ومن رأى ماءه في الآتية على بعد فلا يكون رائيًا له من كُثْب »<sup>(١)</sup> .  
 وقال ابن قتيبة « والنيل يستقبل الشمال وينضب في وقت زيادة الأودية  
 ويزبد في وقت نقصانها وزيادة أوله وآخره معها ولا تكون التماسيح الا فيه »  
 قال الشاعر : أضمرت ٠٠٠ في البواقي<sup>(٢)</sup> قال ناشر الكتاب « البواقي  
 — كما في معجم البلدان ( ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوروبا ) — : كيزان يشرب منها  
 أهل مصر . وقد روى في شفاء الغليل وزهر الآداب ( ج ٢ ص ١٨٠ طبع  
 المطبعة الرحمانية ) : البراقيل بالراء وفسر الخفاجي بأنه جمع براقال وقال : إنه  
 كوز من الزجاج ولم نجد هذين البيتين في ديوان أبي نواس وهو الذي نسب  
 له البيتان » .

فشارح عيون الأخبار لم يطلع على البيتين في أمالي المرتضى ولا على شرحه  
 وتقدمه الواضحين .

### ( تكلم عليه لا عنه )

٣ — وجاء في المحلة<sup>(٣)</sup> « فتكلموا عن حماسة الخالدين » والصواب « على  
 حماسة » ويؤيد قولنا ما قاله الخالديان أنفسهما في « ص ١٨٦ » وهو « وتكلم  
 على المعاني المخترعة ، والمتبعة ولا يجمع نظائر البيت في مكان واحد » .

### ( اتفق هو وكذا )

٤ — وفي ص ١٨٩ « والتي تتفق وطبيعة سير الشعر العربي » . والفصح  
 « تتفق هي وطبيعة » لأن عطف الاسم الظاهر على الضمير المرفوع المستتر

(١) أمالي المرتضى « ج ٣ ص ٥٢ ، ٥٤ » .

(٢) عيون الأخبار « ج ٣ ص ٢٧٩ » .

(٣) معج ٢٦ ج ٢ ص ١٨٤ . وقد كرر ذلك في ص ١٨٩ : « بدأ المؤلفون

يطيلون الكلام عن المعاني » والصواب « على المعاني » .

أو المتصل يستلزم الفصل بالضمير المنفصل أو ما يقوم مقامه من حرف أو اسم أو ظرف .

### (فلان مفتن لا متفتن)

• — وورد في ص ٢٩٦ « فقد جاء في بعض كلام الدكتور الركابي : « شاعر مفتن » والذي رأته في القاموس المحيط للفيروزآبادي « افتن » ولم أر « افتن » ومعنى « افتن » أخذ في فنون القول فهل أراد الدكتور « افتن » فأضاف الطابع نقطة الى النون فصارت « افتن » أم إنه يجد وجهاً لاستعماله ؟ قلت : لا شك في أن الذي رآه هذا الفاضل في قاموس الفيروزآبادي إنما هو « تصحيف » وأن الصحيح ما استعمله الدكتور الركابي من الافتنان . « وافتن الرجل في حديثه وفي خطبته » اذا جاء بالأفانين وهو مثل « اشتق » قال أبو ذؤيب : « فافتن بعد تمام الورد ناحية » وقال الزمخشري في أساس البلاغة « وافتن في الحديث وتفنن فيه . . . واتن في جريه » . وقال أمين الدولة محمد بن محمد العلوي الأقطبي « يقال رجل مفتن أي بأخذ في كل ناحية وطريق من العلم وهو مدح فاذا ذموه قالوا فلان متفنن أي مختلف الأمر ، مأخوذ من الفتن وهو الغصن وذلك أن الغصنة تذهب مذاهب مختلفة على غير استقامة » <sup>(١)</sup> ، والنصوص على ذلك متوفرة ومتوافرة .

الدكتور مصطفى جواد

(بغداد)

يتبع :



(١) المجموع اللطيف ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ٣٢٨٨ ور ١٨٧ » .

# الفهرس العام

## لمواد المجلد السابع والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

- |   |   |
|---|---|
| أشباح ورموز ( كتاب ) ٤٥٩                  | آراء وأبناء ١٣٨ و ٤٦٩ و ٦١٩               |
| أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧١ هـ | آراء وأحاديث في القومية العربية (كتاب)    |
| و ١٩٥٢ م ص ١٣٨                            | ١٠٤                                       |
| أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون ١٤٠   | آراء وتعليقات ٦٢٩                         |
| الوان شقي ( كتاب ) ١٣٦                    | الأب لويس شيخو ١٦١                        |
| امواج الروح ( كتاب ) ٢٧٤                  | ابن نيمية = شيخ الاسلام ابن نيمية         |
| أوهام في قانون ابن سينا ٦٢٦               | ابوالفرج الاصبهاني و كتابه الأغاني        |
| بصائر جغرافية ٦٠٦                         | ( كتاب ) ٢٧٩                              |
| بلدانية فلسطين العربية ( كتاب ) ٤٦٥       | احمد فنجي زغلول ٤٨١                       |
| التأليف في الملوك ٥٢                      | الأحمدان المصريان القديمان ٣٣٧            |
| تاريخ افرنج ( كتاب ) ٤٤٢                  | الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ٤٧٧ |
| تاريخ الحافظ ابن عساكر ( كتاب ) ٤٤٦       | أدب الاملاء والاستملاء ( كتاب ) ٤٤٤       |
| تاريخ الحرم المقدسي ( كتاب ) ٦١٣          | ارجوزة في محاسن دمشق ٢٢٥                  |
| تاريخ فكرة إعجاز القرآن ٢٤٠ و ٤١٨         | استدراك ١٥٧ و ٤٥١ و ٥٧٠                   |
| و ٥٧١                                     | الأسرة في الشرع الاسلامي                  |
| التشبيهات لابن ابي العون ( كتاب ) ١١٨     | ( كتاب ) ٤٤٠                              |
| تشريع العمل ( كتاب ) ٤٦٧                  | الاسلام بين السنة والشيعة ( كتاب ) ٢٩٠    |

- رد العامي الى الفصيح ( كتاب ) ٢٨٣
- رواد النهضة العربية ( كتاب ) ٥٩٩
- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة  
( كتاب ) ٤٥٢
- زوابع ( كتاب ) ٥٩٣
- سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام  
٣٩٤ و ٥٤٢
- سلسلة مطبوعات دارالعروبة في باكستان  
( رسائل ) ٢٩٣
- سوانح ٥٠٤
- شرح ديوان الحماسة ( كتاب ) ٢٨١
- شعر كعب بن زهير ( كتاب ) ٢٨٩
- شيخ الاسلام ابن نجيمة ١٢٥ و ٤٠٨ و ٥٥٩
- طلائع الثنائية في القديم ٢١٦
- علمان عربي وغربي ٣
- عبد الله بن المعتز ( كتاب ) ١١٣
- على المحك ( كتاب ) ٥٩٧
- العلوم والآداب والفنون على عهدالموحدين  
( كتاب ) ٢٦٤
- فهرس الأجزاء الأربعة للمجلد السابع  
والعشرين ١٥٨ و ٣١٨ و ٤٧٨ و ٦٣٨
- فهرس الأعلام لكتاب مقالات المجلد  
السابع والعشرين ٦٣٦
- التشريع اللبناني ١٩٨
- تصحيح نهاية الأرب ( جزؤه الخامس  
عشر ) ٢٧
- التعريف والنقد ١٠٤ و ٢٦٤ و ٤٤٠ و ٥٩٣
- تعليق ٤٧٤
- تهذيب الايضاح ( كتاب ) ١٢٣
- توهم الحرف الأصلي زائداً ٤٨٦
- ثنائية الأب مرمجي ٣١٠
- ثقافة الهند ( كتاب ) ٢٧١
- حول ديوان الواواء الدمشقي ١٤٩
- حول رد العامي الى الفصيح ٤٧٦
- حول ما كتبه الأستاذ الجاسر ٣١٢
- خزائن الكتب العربية في الخلفقين  
( كتاب ) ٢٧٠
- دراسة الأغاني ( كتاب ) ٢٧٤
- دراسة العقد الفريد ١٦٥
- دليل الآثار اليونانية الرومانية في متحف  
دمشق ( كتاب باللغة الفرنسية ) ٤٦٢
- ديوان ابن حيوس ( كتاب ) ١٤٢
- ديوان الواواء الدمشقي ( كتاب ) ٣١٦
- ذكرى ابي الشتاء محمود الألومي ٢٠٧
- الذبل على طبقات الحنابلة ( كتاب ) ٤٥٣
- رأس شجرة او اوغاريت ٣٥٣
- الرووس ( كتاب ) ٥٩٧

- مذكرات البارودي ( كتاب ) ٤٦٠  
معجم ما استعجم ٥٢٠  
معجميات ( كتاب ) ١٢٢  
مفنطقات من كتاب الأشباه والنظائر  
للخالدين ٦١  
مقدمة العقد الفريد ١٧  
مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام ٧٥  
ملاحظات ١٥٥  
من الأدب ( كتاب ) ٢٨٨  
من رسالة للأمير شكيب أرسلان ٣٠٩  
من صميم الحياة ( كتاب ) ٦١٥  
منمنمة دينية تمثل الرسول ( كتاب ) ١٣٢  
من هدى القرآن ( كتاب ) ٦١٠  
المهرجان الأنبي لد كرمي مولدا بن سينا ٤٦٩  
الموسوعة الاجتماعية ( كتاب ) ١٣٤  
الموفي في النحو الكوفي ( رد على نقد ) ٦٢٣  
= = = = ( كتاب ) ٦١٧  
نظرة عابرة في «ذيل طبقات الخنابلة» ١٥٢  
نظرية الخير عند ابن سينا ٣٢١  
نقض المنطق ( كتاب ) ٢٩٧  
نهضة اللغة العربية ٣٦٩  
هداية القرآن لبني الانسان ( كتاب ) ١١٥  
هدية للظاهرة ٣١٧  
الوجيز في الحقوق الادارية ( كتاب ) ١٠٦  
وضع الاقتصاد العربي ( كتاب ) ٦١٥
- الفهرس العام لمواد المجلد السابع والعشرين  
٦٣٣  
قصة جزيرة قوصرة العربية ٣٨٣ و ٥٣٠  
القطن واللغة العربية ٣٦١  
الكتابات الصغوية في المتحف البريطاني  
ومتحف دمشق ( كتاب ) ٦١٢  
كتب مصورة في خزانة المجمع العلمي  
العربي ٤٣٤ و ٥٨٦  
لكل زهرة عبير ( كتاب ) ٢٨٦  
لمحة تاريخية في اللغة البرتغالية وآدابها ٤٩٣  
لمن ؟ ( كتاب ) ٦٠١  
مباحث في فن الطبع عند العرب ( كتاب )  
٢٧٣  
مجددون ومجترون ( كتاب ) ٥٩٥  
مجلة الحوليات الاثرية السورية ( كتاب )  
٤٦٤  
مجموعة غرقة تجارة حلب ( كتاب ) ٣٠٧  
مجموعة الكتابات السامية ( كتاب ) ٦١١  
مجموعة مؤلفات ( كتب ) ٦١٤  
المحاضرات العامة ( كتاب ) ١١١  
محنة في الفردوس كشمير ( كتاب ) ٢٦٧  
السيد محسن الأمين ٦١٩  
مختارات من الأدب العامي الحضرمي  
( كتاب ) ١٢٠  
مختصر جمهرة النسب ٤١

# فهرس الأعلام

## لكتاب مقالات المجلد السابع والعشرين

مفسوقاً على حروف الهجاء

صلاح الدين المنجد ٢٢٥	احمد رضا ٤٧٦
طاهر الجزائري ٥٢	جعفر الحسني ١٣٢ و ٣٥٣ و ٤٦٢ و ٤٦٤
طه الهاشمي ٣٩٤ و ٥٤٢	و ٤٦٥ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣
عارف السكدي ١٠٤ و ١٠٦ و ١١١	جميل صليبا ٣٢١ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦٩
١١٣ و ١١٥ و ١٥٧ و ٢٦٤ و ٢٦٧	جورج ليان ٤٩٣
و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٤٤٠	حسن حسني عبد الوهاب ٣٨٣ و ٤٧٤
و ٤٤٢ و ٤٤٤	و ٥٣٠
عباس الغزوي ٢٠٧	حد الجاسر ٤١ و ١٤٣ و ٤٤٦ و ٥٢٠
عبد الفتاح ابو غدة ١٥٢	حكمة هاشم ٢٧٤
عبد القادر المغربي ٢٧ و ١٢٠ و ١٢٢	داود الجلي ٦٢٦
و ٢٩٠ و ٣١٠ و ٣٦١ و ٤٥٢ و ٤٨٦	سامي الدهان ١٣٤ و ١٣٦ و ١٤٩
و ٦١٤ و ٦١٥	سليمان ظاهر ٣١٦
عبد الله كنون ١٥٥	شفيق جبري ١٧ و ١١٨ و ١٦٥ و ٢٧٩
السيد محسن الأمين الحسيني العاملي ٦١٩	و ٢٨١ و ٢٨٣ و ٢٨٦ و ٢٨٨ و ٢٨٩
محمد بهجة البيطار ١٢٣ و ١٧٥ و ٢٩٣	شكري فيصل ٧٥
و ٢٩٧ و ٤٠٨ و ٤٥٣ و ٥٥٩	شكيب أرسلان ٣٠٩
و ٥٧٠ و ٦٠٦ و ٦١٠ و ٦٢٣	صبي محصاني ١٩٨

مصطفى جواد ٦٢٩	محمد راغب الطباخ ٣١٢
مصطفى الشهابي ٣٦٩	محمد عبد الخالق عضيمة ٦١٧
نعيم الحمصي ٢٤٠ و ٤١٨ و ٥٧١	محمد كرد علي ٣ و ١٦١ و ٣٣٧ و ٤٨١
منير الشريف ٣٠٧ و ٤٦٧ و ٦١٥	و ٥٠٤
منير المعجلاني ٥٩٣ و ٥٩٥ و ٥٩٧	محمد يوسف ٦١
و ٥٩٩ و ٦٠١	ممرضجي الدومنيكي ٢١٦

٥٦٤٥٥٦٤

## فهرس الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين

	صفحة
للأستاذ محمد كرد علي	٤٨١ احمد قنمي زطلول
» عبد القادر المغربي	٤٨٦ نوم الحرف الأصلي زاندا
» جورج لبان	٤٩٣ لحة تاريخية في اللغة البرتغالية وآدابها
» محمد كرد علي	٥٠٤ سوانح
» حمد الجاسر	٥٢٠ معجم ما استعجم
» حسن حسني عبد الوهاب	٥٣٠ قصة جزيرة قوسرة العربية (٢)
» طه الهاشمي	٥٤٢ سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام (٢)
» محمد بهجة البيطار	٥٥٩ شيخ الاسلام ابن تيمية (٣)
» » » »	٥٧٠ استدراك
» نعم الحموي	٥٧١ تاريخ فكرة إعجاز القرآن (٣)
» » » »	٥٨٧ كتب مصورة في خزانة الجمع العلمي العربي (٢)

### التعريف والنقد

للدكتور منير العجلاني	{ زوابع - مجدنون ومجتنون - على المحك - الرؤوس - رواد النهضة الحديثة - لمن ؟	٥٩٥ - ٥٩٦
		٥٩٧ - ٥٩٨
		٦٠١ - ٦٠٢
للأستاذ محمد بهجة البيطار	بصائر جغرافية - من هدي القرآن	٦٠٦ - ٦١٠
للأستاذ جعفر الحسني	{ مجموعة الكتابات السامية - الكتابات الصفوية في المتحف البريطاني ومتحف دمشق - تاريخ الحرم المقدسي	٦١١ - ٦١٢
		٦١٣
للأستاذ عبد القادر المغربي	مجموعة مؤلفات - من صميم الحياة	٦١٤ - ٦١٥
» منير الشريف	وضع الاقتصاد العربي	٦١٥
» محمد عبد الخالق عضيمة	كتاب الموفي في النحو الكوفي	٦١٧

### آراء وأنباء

السيد محسن الأمين	٦١٩
للأستاذ محمد بهجة البيطار	٦٢٣ الموفي في النحو الكوفي ( رد على نقد )
للدكتور داود الجلبي	٦٢٦ أوهام في قانون ابن سينا
» مصطفى جواد	٦٢٩ آراء وتعليقات
» » » »	٦٣٣ الفهرس العلم لمواد المجلد السابع والعشرين
» » » »	٦٣٦ فهرس الأعلام لكتاب مقالات المجلد السابع والعشرين

## مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٥ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٦ - تاريخ حكام الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٧ - المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي الحسين التنوخي : بتحقيق  
الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - غوطة دمشق (الطبعة الأولى والثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي .  
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٢ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٣ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان ابن حيسوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .
- ١٥ - = = = = (الجزء الثاني) = = = = .
- ١٦ - ديوان الوأواء الهمشي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ١٧ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلد الأولى) بتحقيق الأستاذ  
صلاح الدين النجد .
- ١٨ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

- ١٩ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعماني ( الجزء الأول ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٠ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعماني ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني .
- ٢١ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٢ - = = = = ( الجزء الثاني ) = = = =
- ٢٣ - الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الأستانبولي : شرح  
وتعليق الأستاذ محمد بهجة البيطار .
- ٢٤ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين
- ٢٥ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق الأستاذ  
صلاح الدين النجد
- ٢٦ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٢٧ - البصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا
- ٢٨ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه  
الدكتور يوسف العث
- ٢٩ - المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي  
٣٠ - تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي  
٣١ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخنيلي الحلبي  
٣٢ - الرسالة النباتية : للأمر مصطفى الشهابي
- ٣٣ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٤ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

تباع مطبوعات المجمع العلمي العربي  
في المكتبة العربية لأصحابها عبيد اخوان بدمشق